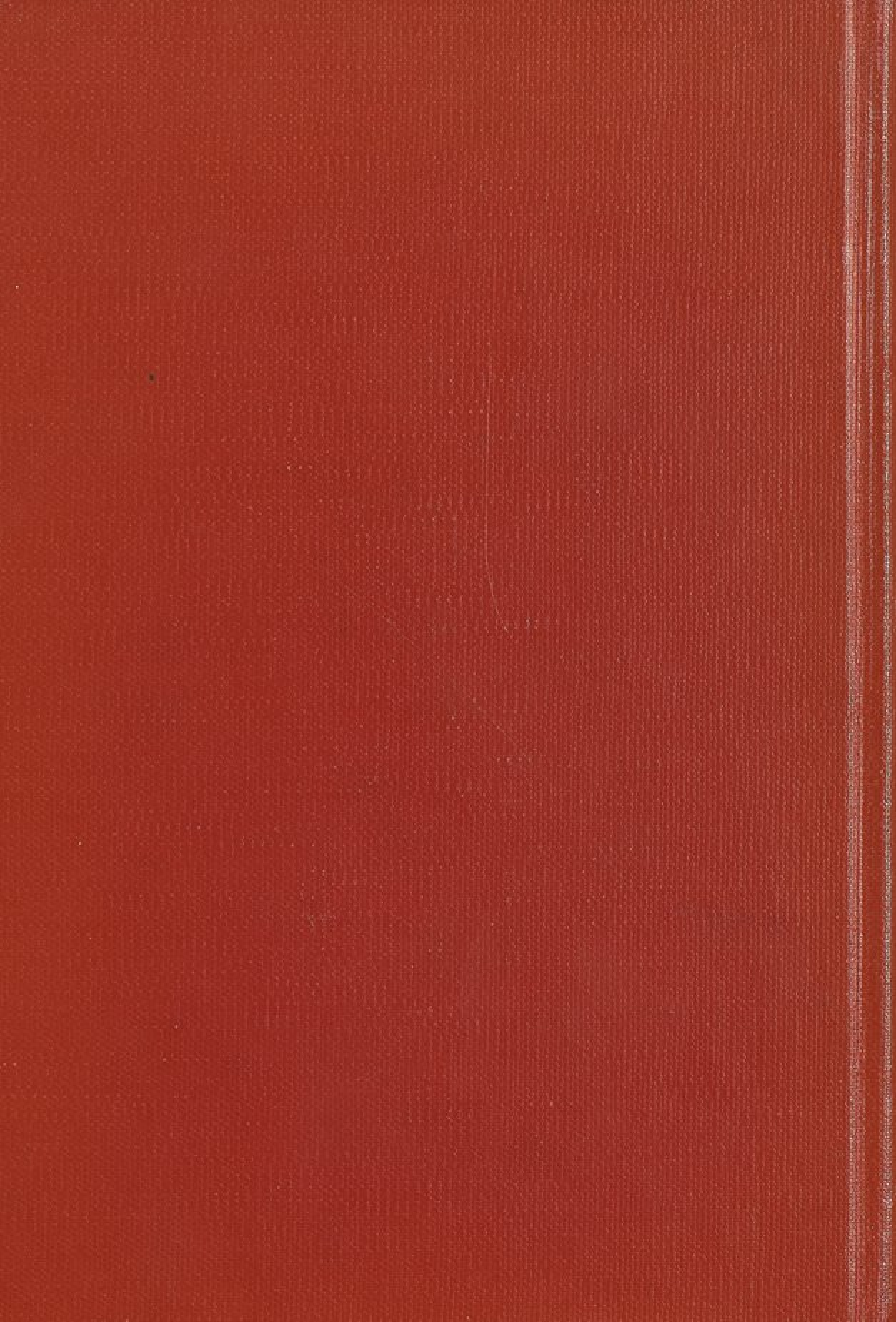
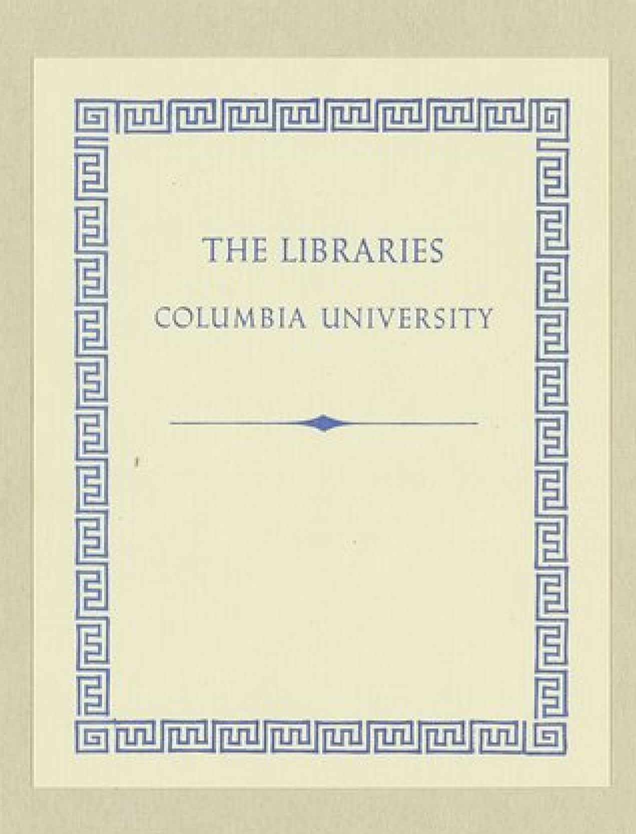
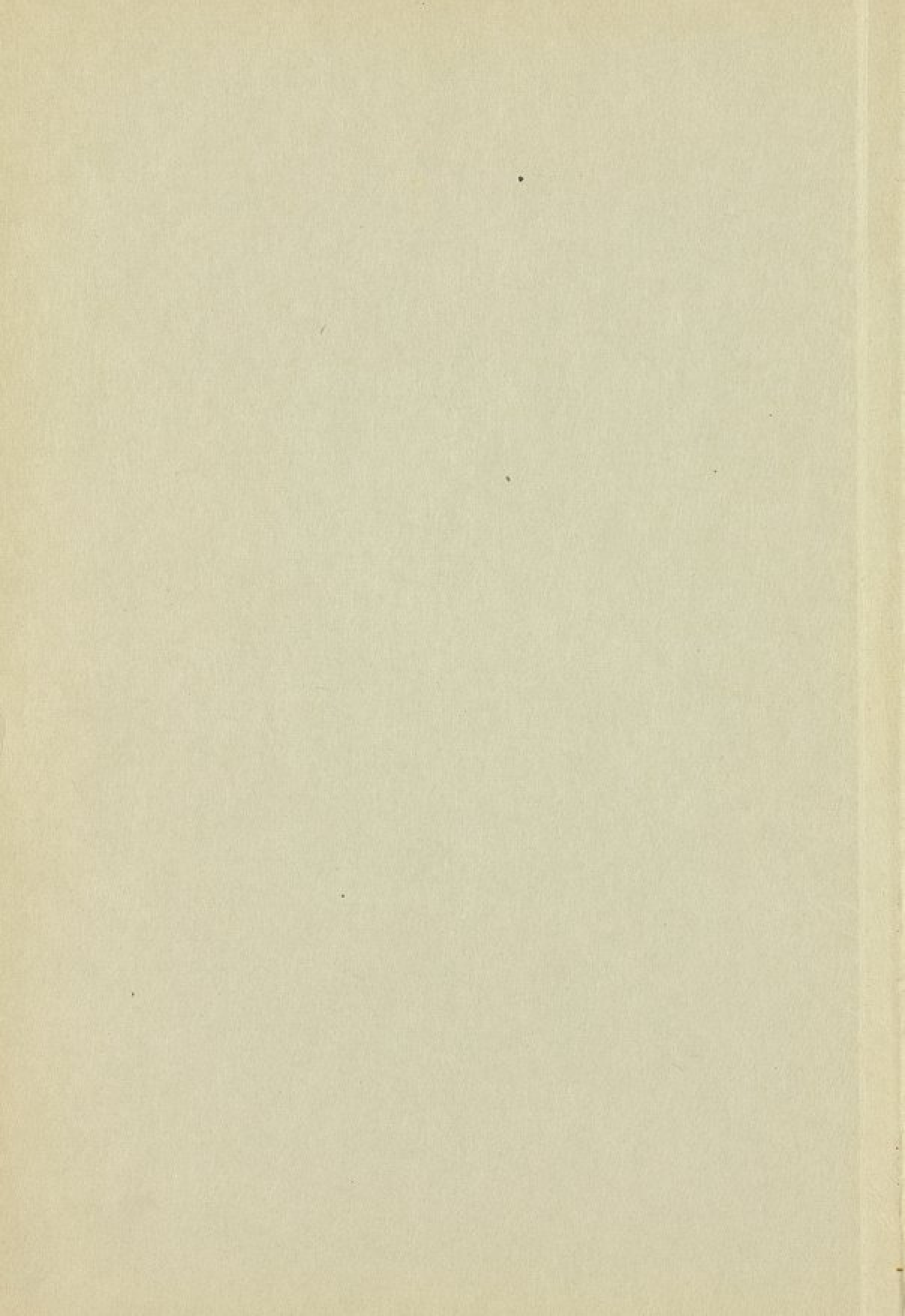
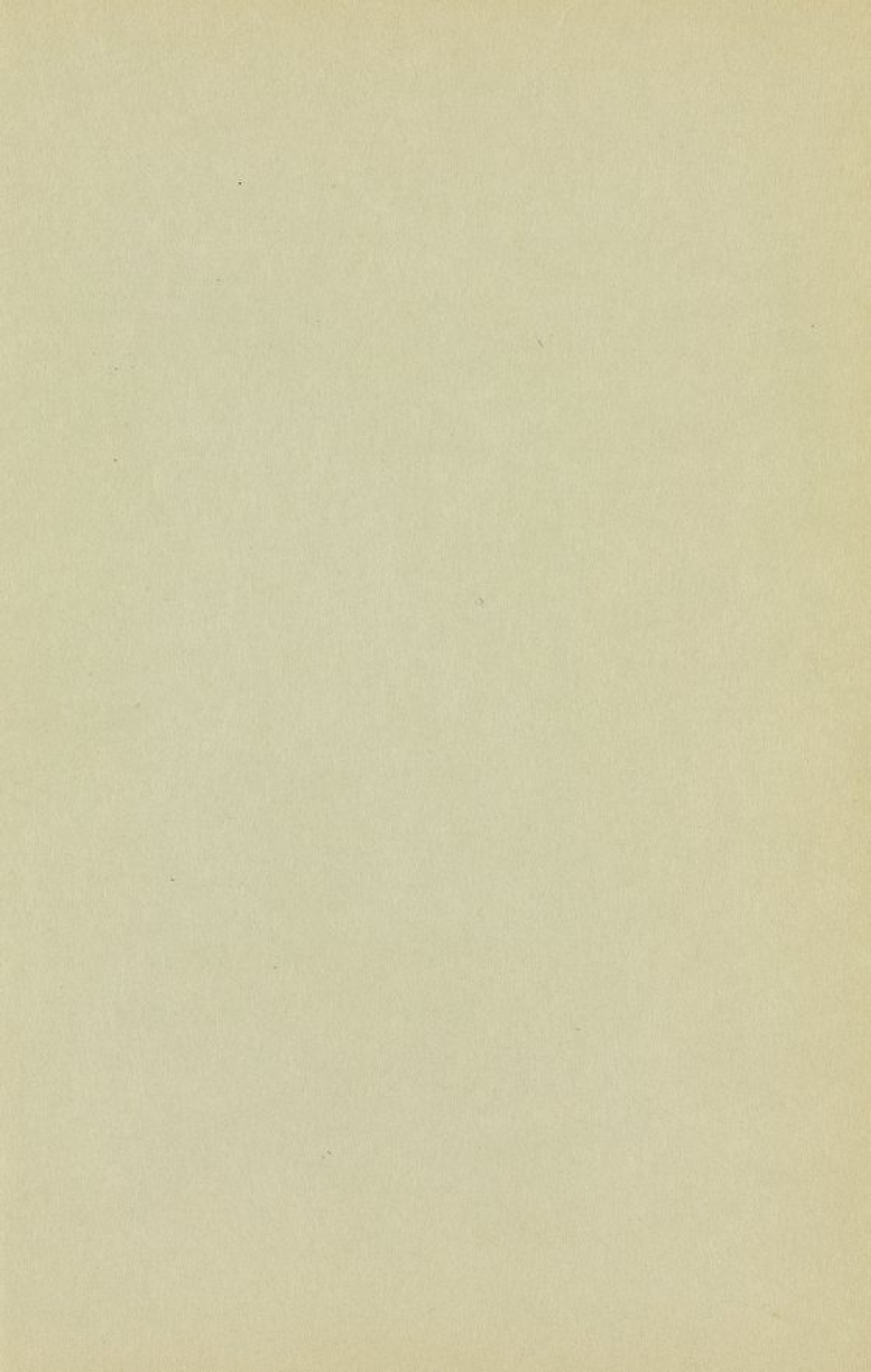
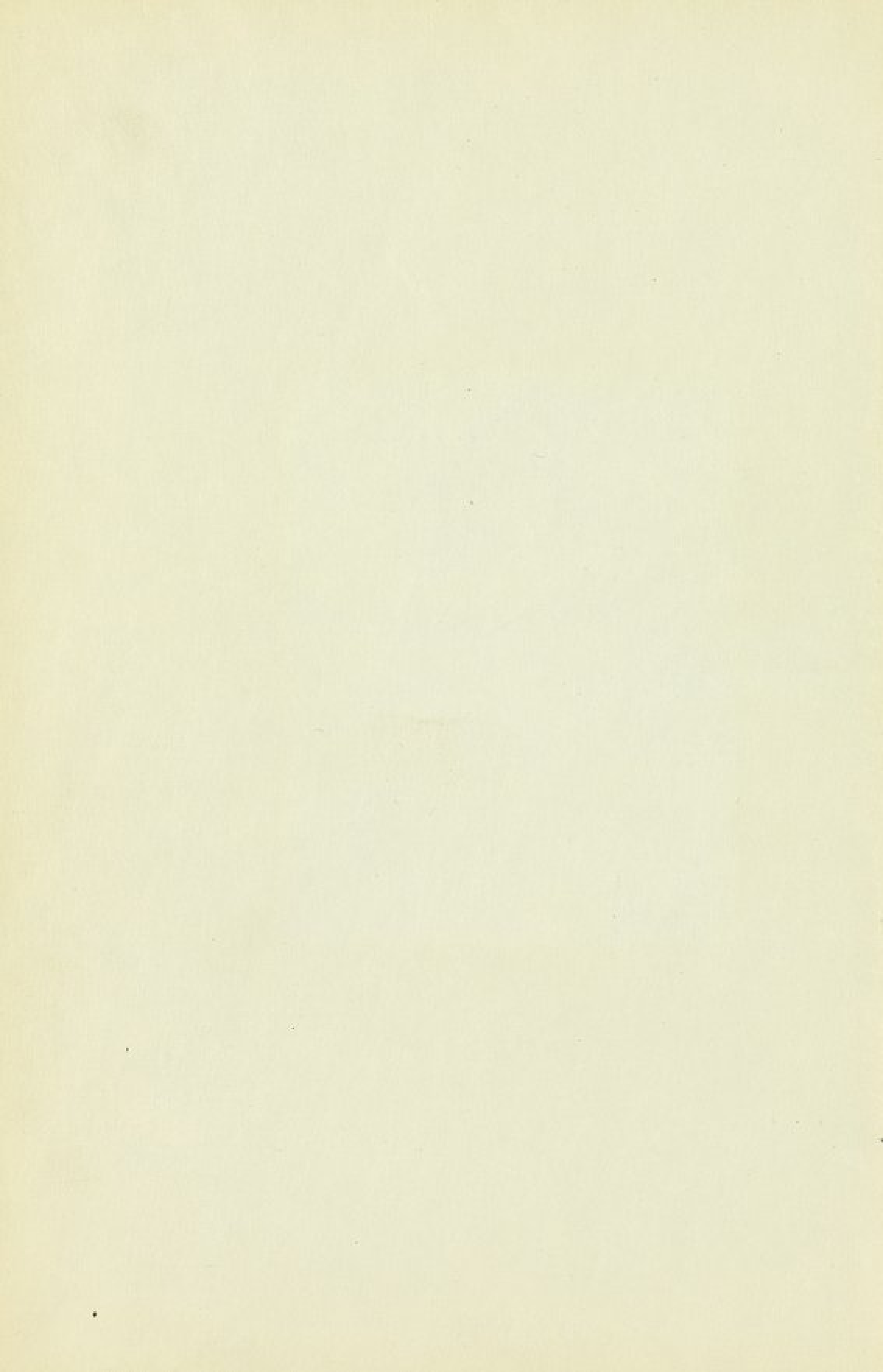
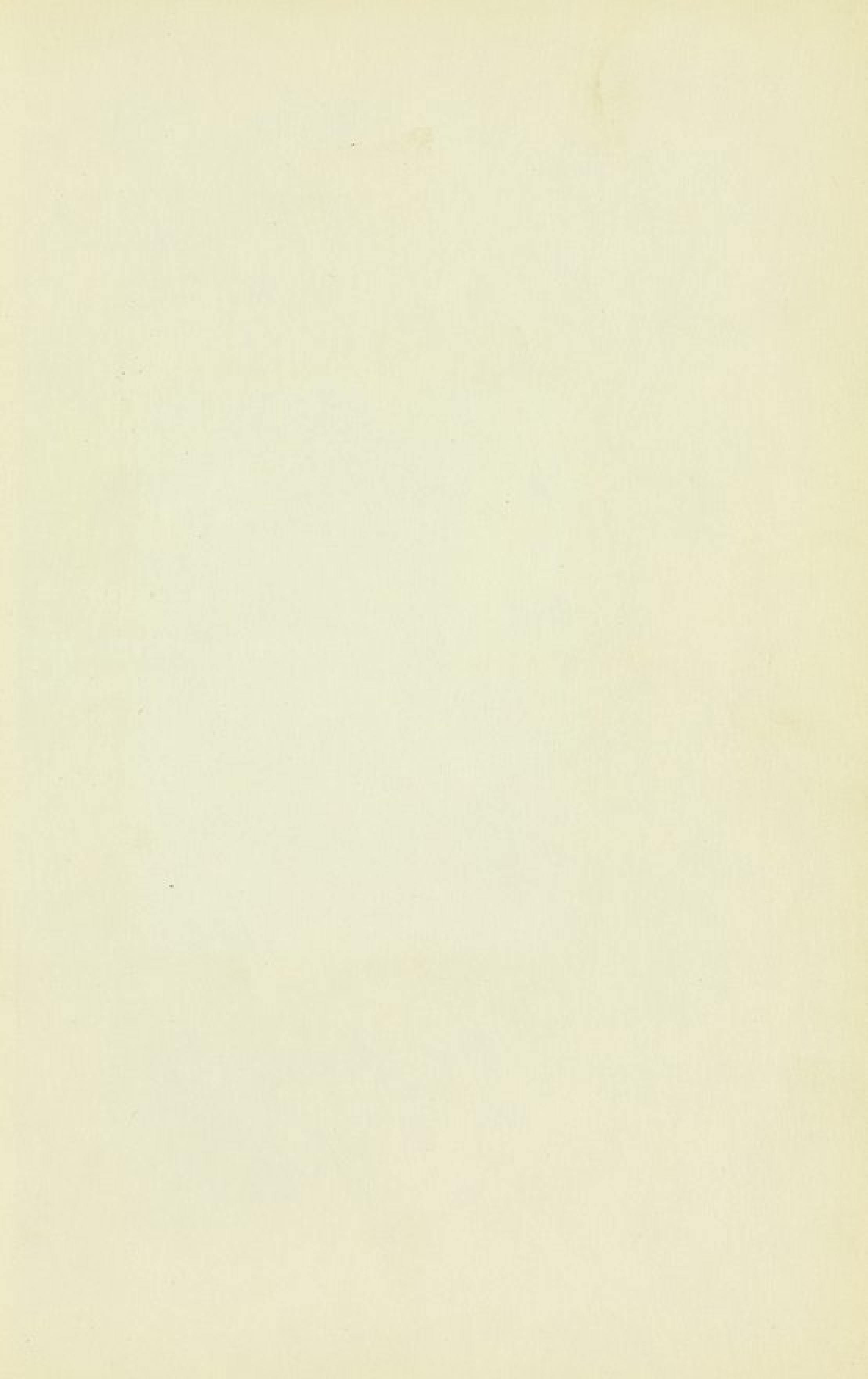



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY









مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



حلية البشر

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٤ هـ

الجزء الأول

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء مجمع اللغة العربية

١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

كتاب «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر»

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرزاق البيطار

ان هذا التاريخ يقع في ثلاثة مجلدات، ويبلغ نحو (١٨٠٠) ألف وثمانمائة من الصفحات بالقطع المتوسط، وقد كتبه مؤلفه في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته، وترجم فيه أيضاً لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم احياء، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته باكثر من عشر سنين لما اضر بيده اليمنى من الاسى والشلل القليل إلى ان توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ هـ.

وقد ترجم له الاستاذان الجليلان محمد كردعلي في مجلة المجمع العلمي، والزركلي في الاعــلام. ونشر كاتب هذه السطور له ترجمة مفصلة في مجلة المنار (م ٢١ ص ٣١٧ ـــ ٣٢٤) تأتي هنا.

أرّخ الأستاذ المؤلف لكثير ممن ليس لهم آثار تذكر، كترجمته لبعض اهل الطرق المعروفة. ونقل بعض ما يأثرونه من حكايات

غريبة أو امور مبتدعة ليست في كتاب ولا سنة ؛ وانما جارى في ما يحكيه العصر الاول الذي نشأ فيـــه ، وقد سبقه الى مثله المؤرخون ، كالامين المحبي في أعيان القرن الحادي عشر ، والسيد المرادي في اعيان القرن الثاني عشر ، فقد ترجم الاول لاول رجل في « خلاصة الاثر » وهو آدم الرومي فقال : أحد خلفاء العارف بالله تعالى جلال الدين الرومي المعروف بمنلاخدادنكار ، وكان شيخ زاويتهم المعروفة بمدينة «الغلطة». ووصف الثاني أول مترجم في «سلك الدرر» فقـــال في ترجمة ابراهيم الخلوتي : وأخذ عنه الطريق (أي عن أخي المترجم أبي الصفا) ، وعن العـارف السيد غازي الحلبي الخلوتي المشهور خليفة الشيخ إخلاص ، وجلس على سجادة المشيخة وبايع واشتهر ، وعقـــد الاختلاء في جامع المرادية بدمشق . اه المراد منه . وهذا النمط من التعريف مستفيض في كتب التراجم والتاريخ .

غير أنك تجد في «حليـــة البشر» من الفوائد مالا تجده في غـــيره ، مثاله من ترجمة الشيخ أحمد بن الشيخ اسماعيل العجلوني ببيرس ، فاني لم أرَ له ترجمة في معاجم المصنفين ، كالأعلام ، ومعجم المؤلفين ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة،

إذ لم تعرف له تآليف ، وانما له ترجمة لا تزيد على سطرين في كتاب «منتخبات التواريخ لدمشق» ، وفيها مانصه : ولد سنة ١١٧٤ تخرج على يده خلق كثير من علماء دمشق ، مات سنة ١٢٧٤ ﻫ (والصواب ١٢٤٧) وله ترجمة في مجموعة خطية لم يعرف اسم جامعها ، وهي مملوءة بالاغلاط العربية والاملائية ، بخطوط مختلفة ، وفيها كثير من التراجم ، وكثير منها مُرَمَّج بالقلم ، وبعضها لم يكمل ، وفي صفحاتها بياض) وقد كتبت بأقل من ثلاثة اسطر ، ومثالها : احمد بن اسماعيل بن علي بن محمد العجلوني الشهير ببيبرس الشافعي ، ولد سنة ١١٧٤ ﻫ وأخذ بالاستماع والقراءة والاجازة عن الشمس الكزبري ، والشهاب العطار ، ويوسف شمس وعلي الشمعة وشاكر . . وغيرهم وكانت وفاته في سنة ١٢٧٤ في ١٤ شوال ».

وأما في كتاب (حليه البشر) للأستاذ الجد رحمه الله ، فله ترجمة في صفحة كاملة ، منها قوله ــ بعد أن وصف المترجَم بأسطر ــ : برع في المعقول والمنقول ، وتبحر في معرفة الفروع والاصول ، ودرس في أول امره في المدرسة الفتحية ، في محلة القيمرية ، ثم بعد وفاة الشيخ ياسين العجلوني إمام جامع منجك

الكائن في ميدان الحصى ، تواقع عبد الغني آغا الشمّري ، (الشمّلي) على الشيخ بأن يجعل الميدان محلاً لاقامته ، ويتعاطى وظائف الجامع المذكور ، فأجابه بعد الاستخارة الواردة الى ما دعاه إليه ، وكان بينه وبين والدي محبة ، ولم يكن لهما اجتماع الا على المذاكرة والمطالعة ، من فقه وحديث وتفسير وتوحيد ، ولهما في كل جمعة أوقات يتذاكران بها بعض الفنون والآلات ، ولم يزل في الجامع المذكور الى ان دعاه داعي المنون . توفي رضي الله عنه ليلة السبت قبيل أذان المغرب ، خامس عشر شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة باب الله ، خلف ضريح الاستاذ العارف بالله ، تقي الدين الحصني ، وكان لجنازته مشهد حافل اه .

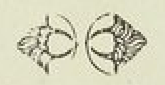
وكان أذِن لي الجدّ المرحوم في اختصار تاريخه «الحليـــة» والتصرف فيه ، على وفق ما ارتئيه (فاختصرته لنفسي فعلاً في ثلاثة مجلدات وفرغت منها في آخر ١٣٦٢ هـ وآخر ١٩٤٣ م) .

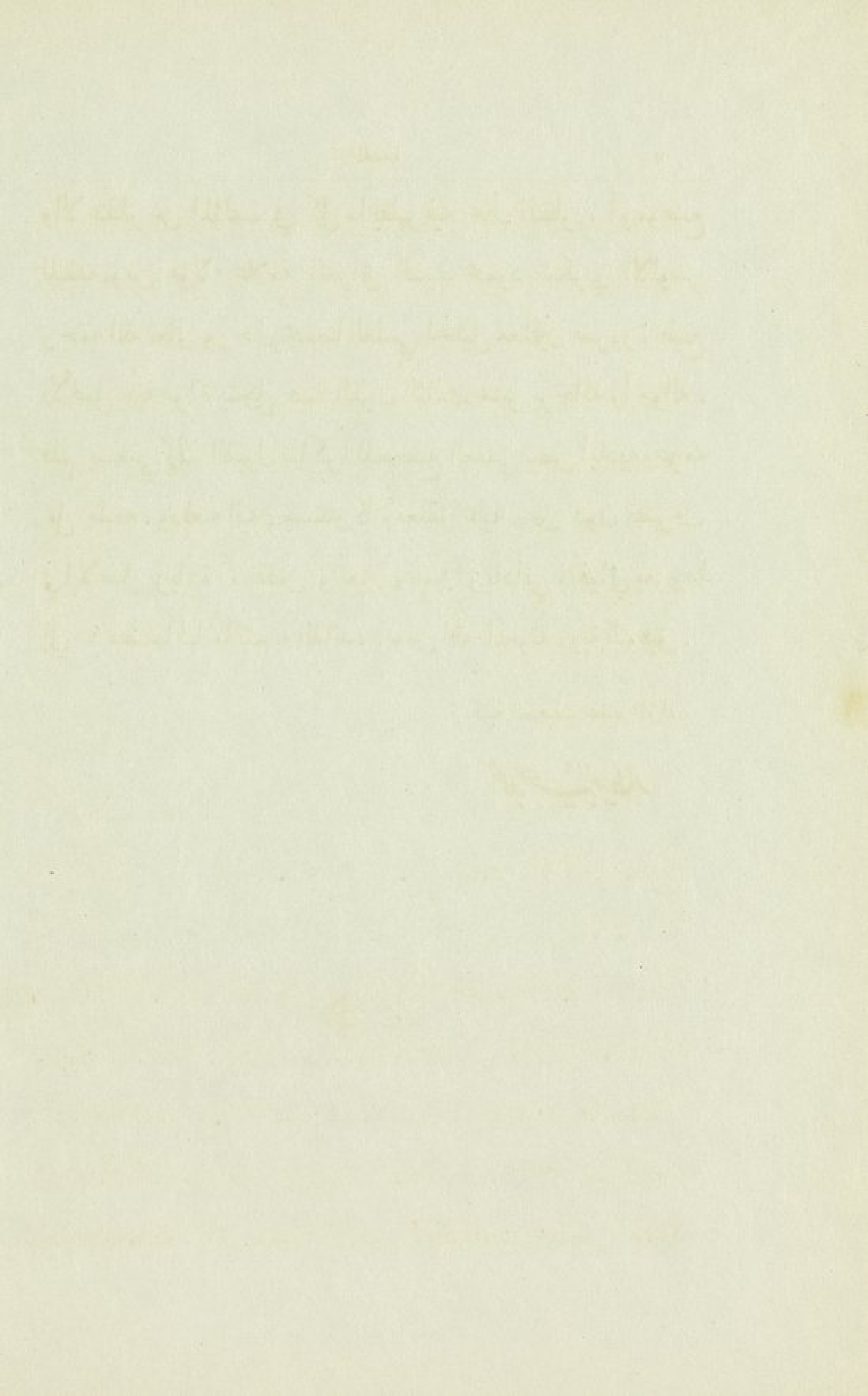
ثم اني استشرت افاضل اصدقاء المؤلف بعد وفاته : أنطبع الاصل أم المختصر ؟ فكان الرأي الراجح ابقاء الاصل على حاله وتنسيقه ، وطبعه من دون تصرف فيه بزيادة او نقص أو تغيير

والاعتذار عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر ، أو موضع للنقد ،ومن هؤلاء علامة العراق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله تعالى ورجال مجمعنا العلمي الجليل معلّلين ضرورة طبع الأصل بأنه مرآة يتجلى فيها القرن الثالث عشر برجاله وأحواله ، فلم يسعني إلا القبول شاكراً للمجمع العلمي بيض أياديه وعزمه على طبعه ، ودفعته اليه ، مستدركا ومعلقاً عليه ، من دون تصرف في الاصل بزيادة أو نقص أو تغيير ، مميزاً زياداتي وأقوالي بعزوها إلي ، مضيفاً لها ما تتم به الفائدة ، ومن الله المعونة ، وبه التوفيق .

وكتبه الضعيف حفيد المؤلف

محمد بهجة البيطار





ترجمة الشيخ عبد الرزاق البيطار

بقلم حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار

عبد الرزاق بن حسن بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار الدمشقي

في عاشر ربيع الاول من سنة ١٣٣٥ هـ فجعت دمشق الشام ، بوفاة أكبر علمائها الاعلام ، علامة الاقطار ، الاستاذ الجد سيدي الشيخ عبد الرزاق البيطار رحمه الله ورضي عنه ؛ ولقد كانت وفاته خسارة عظمى على المسلمين والاسلام ، واليك نبذة يسيرة من ترجمة حياته .

مولده وتحصيله

ولد المرحوم بمحلة الميدان من دمشق الشام سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين (سنة ١٢٥٣) وغب التمييز تعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم وجوّده على الشيخ الفاضل احمد الحلواني شيخ قراء الشام ، ثم حفظ المتون في مبادىء العلوم على والده العلامة الجليل المتفنن الشيخ حسن البيطار ، وكان يحضر دروسه الخاصة والعامة ، ثم في أول رمضان سنة ١٢٧٢ توفي والده رحمه الله، فقرأ على شقيقه الاكبر الشيخ محمد فقه أبي حنيفة

النعمان رضي الله عنه ، وأخوه هذا كان أمين فتوى دمشق يوم كان مفتيها العلامة الشهير محمود افندي حمزة ، وأخذ عن شقيقه الثاني جدي لوالدي العلامة الشيخ عبد الغني علم القراءات ، ثم لازم دروس العلامة المحقق الشيخ محمد الطنطاوي فاكمل عليه العلوم العربية والشرعية ، وتوسع في المعقول والمنقول ، وأخذ عنه علم الميقات والفلك والحساب . ثم صحب العارف بالله تعالى الامير عبدالقادر الجزائري فقرأ عليه جملة من كتب الحقائق وأعظمها «الفتوحات المكية» .

صحبته للأمير عبد القادر

لازم فقيدنا المرحوم الامير الملازمة التامة ، وأخذ عنه الفصل بالعدل في القضايا العامة ، ولقد كان يرد على الامير قدس سره كثير من الخصومات بين الخلق ، اذ كان هو المرجع للناس في دمشق ، فكان يحولها اليه ، ويُحِيلُ أصحابها عليه ، فيكون قوله الفصل ، باجراء الحكم على سنة العدل ، ولقد استفاد المرحوم من اخلاق الامير وآدابه ، حتى عد ثاني الامير في حياته وعهد اليه بتربية اولاده وتعليمهم ، وكنت اسمع من اصدق اصدقاء المرحوم علامة الشام الثاني فقيد الاسلام شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي

رحمه الله ان ادب الاستاذ ادب الملوك، قلت صدق رحمه الله ويعرف ذلك كل من جلس اليه وسمع حسن عبارته ورأى لطف إشارته .

صدعه بالحق وتأثير أفكاره

كان عصر المرحوم الذي تلقى فيه دروسه الشرعية عصر جمود على القديم ، وتلقي الاقوال بالتسليم من دون تمحيص للصحيح من السقيم ، فاستمر فقيدنا على طريقة معاصريه متأثراً بها الى مابعد الخمسين. ولقد سمعته في منزله يقول لعلامة العراق السيد محمود شكري الالوسي لما كان نزيل دمشق سنة ١٣٣٣ ــ وقد جاء ذكر أحد أئمة الاسلام العظام ــ كنا ايام التحصيل عند شيوخنا اذا ذكر مثل هذا الامام نظنه رجلاً خارجاً عن دائرة الاسلام؛ ثم الهمه الله تعالى الاخذ من الكتاب والسنة، وعدم قبول رأي أحد من دون حجة كما كان على ذلك سلف الامة ، وكما اوصى جميع الائمة رضي الله تعالى عنهم بعدم الاخذ بقولهم الا بعد معرفة دليلهم فصار يأخذ الاحكام بالدلائل ويقبل قول الحق من اي قائل ، ويصدع به ولا يخاف في الله لومة لائم؛ فإذا كان العلم الصحيح أخذ المسائل بأدلتها ــ كما

يقولون ــ فهو في بلاد الشام من اول العلماء بلا شبهة ولا مراء ، لانه اول من اخذ بالدليل ، وجاهد في هذه السبيل ، ورفع فوق رؤوس أهل الحق راية السنة والتنزيل .

وكان رحمه الله تعالى فصيح اللهجة ، قوي الحجة ، غزير المادة، وكان لدى مناظريه البطل المغوار والبحر الزخار ، لا يشق له غبار، وما ناظره احد الا اعترف له بالسبق في هذا المضمار ، وكان له مع صديقه المرحوم القاسمي مساجلات علمية ومحاورات أدبية تشف عن سعة علم وادب جم .

وكان له في المسائل القريبة ، اساليب في الاقناع عجيبة ، فمنها أن بعضهم زعم مرّةً انه يجب القيام ، عند ذكر ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ــ وجوباً بدعياً ــ تعظيماً له صلى الله عليه وسلم والف في ذلك رسالة ، وحملها للفقيد ليكتب له عليها تقريظاً فاعتذر إليه ، فألح عليه ، وأخيراً قال له الاستاذ المرحوم : أنت مقصودك من هذه الرسالة انه اذا قيل ولد الرسول عليه الصلاة والسلام يجب القيام ؟ قال نعم ، قال والذي لا يقوم عند ذكر ولادته ﷺ ؟ قال يكون آثماً لانه ترك واجباً قال : اكلما قيل ولد الرسول ﷺ يجب ذلك ؟ قال نعم . فعندئذ قال له الأستاذ : ها أنذا

قد ذكرت لك ولادته ﷺ ثلاث مرات فلمَ لم تقم ؟ فقال له : لأنه لا يوجد هنا الآن مولد ، فأجابه الاستاذ أنت اذاً تقوم تعظيماً لما اشتمل عليـــه المولد لا لمن ولد؟ فخجل ولم يجب ، ثم قال الاستاذ : إنّ تعظيم النبي ﷺ الحقيقي باتباعه في أقواله وافعاله ونشر هدايته التي جاء بها عن ربه مشتملة على سعادة خلقه .

خَلقه و خُلقه

كان المرحوم طويل القامة جميل الطلعة والهيئة ، جليل الهيبة والوقار ، يكاد سنا برق جماله وجلاله يَذهب بالابصار ، كلامه السحر الحلال ، وادبه ألعب بالعقول من الغيث في الحقول ، أما رقة شمائله (رحمه الله تعـالى) فلا اعلم له بها نظيراً في العلماء الاعلام ، ولقـــد كان الاستاذ القاسمي رحمه الله مولعاً بسمو أخلاقه ، ومعجَباً بعظيم آدابه ، وناهيك بذوق الجمال الذي كان معدن اللطف والظرف ، وقال لي مرة بعض الافاضل: ليت الاستاذ يكتب لنا رسالة في الاخلاق يستمليها من صفاته وآدابه فتكون من انفع ما كتب في هذا الفن . ولقد قلت مرة لاستاذنا القاسمي رحمه الله تعالى : اني قد عرفت كثيراً من العلماء وخالطتهم فلم اجد اكرم منكما (أي هو والاستاذ الجد رحمهما

الله تعالى) عشرة ولا ارق عاطفة ولا اخف روحا ، ولا الطف حديثاً ، مع مارزقتما من سعة العلم والفضل، فأنا لا أريد أن افارق مجلسكما ولو إلى النعيم ، ولا أمل حديثكما ولو استمر سنين . فقال لي : لهذا السر نحن لا نأنس بغيرنا كما نأنس بأنفسنا ولا نسرّ إلا إذا كنا منفردين . وقال لي مرة رب السيف والقلم الأمير محي الدين باشا الجزائري نجل الأمير عبد القادر (رحمهما الله تعالى) ما معناه : إن للمرحوم أدباً ممتازاً وكلاماً جذاباً أكسبه ثقة الأمراء ، ومحبة العظماء ، ونزل في نفوسهم منزلة رفيعة لا يدانيه فيها أحد من العلماء . وكان (رحمه الله تعالى) يراعي في مجلسه الطبقات ، ويعطي كل انسان نصيبه من الالتفات ، ومن عجيب أمره قدس الله روحه أنه كان يجلس اليه العالم والكاتب والشاعر والزارع والصانع والتاجر في مجلس واحد فيتبادل الأفكار والآراء مع كل واحد منهم بعِلْمِهِ ، ويفيده به الفوائد الجمة ، حتى يخرج الكل من عنده فرحين مسرورين . وكان (رحمه الله تعالى) واسع الصدر جداً ، كريماً مضيافاً ، يغضب للحق ولا يغضب لنفسه أبداً ، وكان يتحمل من الناس فوق ما يحتمل، ومن سعة صدره وشدة تحمله أنه مهما اشتد به الغضب لمسألة ما فلا يبدو شيء على أسارير وجهه .

والحاصل أنه ليس في وسعي أن احيط بمكارم اخلاقه، وحسبي أن أقول انه كان بها قدوة وكان مصداق قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة)

صحبة القاسمي له وما كتبه عنه في حادثة سنة «٢٤»

كان أشد النـــاس صحبة للمرحوم وملازمة له صديقه الأبر الشيخ جمال الدين القاسمي، فهو صاحبه ومريده العظيم الذي كان له معه أدب الولد البار مع أبيـه، قرأ عليه رسالة في الفلك وكان ينسخها دروساً بخطه، ويكتب على هامشها تقرير الأستاذ بنصه، ولقد حضرت على شيخنا المرحوم القاسمي مع تلاميذه دروسه في بيته وجامعه ومدرسته نحو ثلاث سنوات فندر جـداً أن يمر يوم يذكر لنا فيه الأستاذ المرحوم إلاّ ويقرر لنا فيه عظمته أو يطرفنا بنادرة مما اتفق له معه أو مع غـــيره، واذا ذكره في الدرس فيذكره دائماً بلفظ شيخنا، وكان يعده عالم الشام. وأذكر أنا كنا مرة نقرأ عليه في فن البلاغة (باب القصر) فقال في مثال قصر الصفة على الموصوف قصراً ادعائياً: لا عالم إلا الشيخ عبد الرزاق البيطار؛ قال مع انه يوجد غيره ممن يسمّون بالعلماء ولكن مع حشو وجمود.

وأخبرني عم والدي المفضال شقيق المترجم الشيخ محمد سليم البيطار بأنهم لما كانوا في مصر سنة (٢١ هـ) كان مفتي الديار المصرية الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى يجل الأستاذ المرحوم كثيراً ، ولا يتقدمه ابداً ، حتى ظن بعض أفاضل العلماء في مصر بأن الأستاذ الامام قد تلقى العلم عن المرحوم أيام كان في بلاد الشام .

واليك ما كتب عنه الأستاذ القاسمي بخطه في حادثة سنة «٢٤» التي جرت للمترجم مع بعض العلماء ، بشأن قبور الأنبياء والأولياء بتزوير بعض السفهاء قال : إن الشيخ عبد الرزاق البيطار ذاك العالم الجليل ـ ممن اشتهر بالانكار على ارباب الخرافات ، وممن يقاوم بلسانه و براهينه تلك الخزعبلات ، فانه ممن لا تأخذه في إبانة الحق لومة لائم ، ولا يصده عتب عاتب ولا قومة قائم ، وله صدع بالحق عجيب ، وعدم محاباة ومداراة ، وكل ما يروى من حكايات المتمفقرين فانه يزنه بميزان العقل فان أباه رده جهاراً ، وقابل قائله بالصد انكاراً ، وطالما صرح بالإنكار على من ينادي من يعتقد فيه العامة من الأموات ويستشفع به في قضاء الحاجات ، ويعرفهم ما قاله السلف في هذا الباب من أنه أمر ما أذن الله به ،

إذ أمر بدعائه وحده ، فدعاء غيره مما لا يرضيه كما صرح به في غير آية من كريم الكتاب ، وقصده ترقية العامة عن نداء أحد إلا الله ، وعدم تعليق القلب إلا بالخالق تبارك وتعالى . انتهى .

صبره واحتسابه :

مر على فقيدنا المرحوم — كما مر على فطاحل الرجال وأساطين العلم والحكمة قديماً وحديثاً — كثير من المصائب والفتن ، فكان بها مثال الصبر والثبات ، وإنما كانت تدار تلك التدابير السيئة بيد بعض المدلسين والمفسدين ، ومن لا خلاق لهم من الجامدين ، وإليك بعضها : اتهم بتأسيس مذهب جديد وبتسليم سورية لنجد، ومصر للانكليز ، وذلك سنة ١٣٢٤ ﻫ وكان مما قاله لوالي سورية إذ ذاك (هو شكري باشا وكان رجلاً عاقلاً عالماً) ، هل سورية ومصر — ياحضرة الوالي — تفاحتان في جيبي حتى أسلمها ؟ ثم إن كان في إمكاني أن أتصرف بهما وأسلمهما لغيري فلم لا أبقيهما لنفسي ؟ ووراء ذلك فان كان يتيسر لمثلي تسليمهما فرجل أقدر مني يسلم البلاد العثمانية كلها للأجانب وأين الحكومة وقوتها ؟ فخجل الوالي وقال : أنا أعلم أن هذه وشايات وأراجيف

لا أصل لها ، ولكني دعوتك عندي من أجل أن آنس بك وأفطر هذا المساء معك . وكان ذلك في رمضان سنة ١٣٢٤ ه .

وفتشت كتبه وداره مرات متوقعين أن يعثروا عنده على بعض أوراق سياسية أو مخابرات سرية فيسجنوه أو ينفوه ، ولكن طاش سهمهم فان الأستاذ (رحمه الله) لم يشتغل بالأمور السياسية ، ولم تكن كتب العلم تنزل عن يده إلا لحاجة ضرورية .

زهده في الوظائف ، وبعده عنها ، وخدمته للعلم :

كان المرحوم بعيداً عن التربع في المناصب ، والاغترار بالمظهر الكاذب ، ولقد حج المرحوم على نفقته ثلاث مرات وشدّ الرحال إلى المسجد النبوي والمسجد الأقصى ، وعرض عليه — إذ كان في الاستانة سنة ١٣٢٤ ه — من قبل المشيخة الاسلامية الافتاء أو القضاء في مدينة من أمهات المدن السورية ، فرفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح ، ونشره في طبقات الأمة بالتعليم والارشاد والتصنيف ، ولكن تأثيره كما قال عالم الشام جمال الدين أكبر من أثره كحكيم الاسلام جمال الدين .

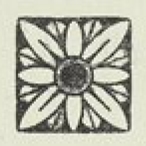
وكان رحمه الله تعالى يلقي دروسه العامة في جامع كريم الدين

الشهير بالدقاق في محلة الميدان ، ودروسه الخاصة في حجرته من ذلك الجامع وفي بيته أيضاً ، وقد انتفع به كثير من الطلاب ، وأنا قد حضرتُ عليه في دروسه العامة والخاصة طائفة من كتب التفسير والحديث والفقه ؛ عدا دروسي الخاصة التي كنت أقرأها عليه على انفراد . وبعد ان وقع الانقلاب سنة ١٣٢٦ ه واصبحت الحكومة دستورية شورية ، ثم بويع السلطان محمد الخامس بعد خلع عبد الحميد — انتخبته دمشق مع بعض رجالها لمبايعة السلطان محمد ولتقديم واجبات التهاني والتبريك له ، فكتبت عنه في ذلك جرائد العاصمة التركية . ورددت صداه الجرائد العربية السورية ، ثم ملأت هذه اعمدتها من آيات الشرف والافتخار ، برجوع شيخ الديار الشامية الى الديار .

تآليفه

أما تآليفه فتبلغ بضعة عشر كتاباً بعضها ديني واكثرها أدبي ، واكبرها تاريخه في رجال القرن الثالث عشر ، ذكر فيه المشاهير وغيرهم ، وكان اذن لي باختصاره ، (وقد اختصرته فعلاً) وتآليفه الدينية منها المنة ، في العمل بالكتاب والسنة . والمباحث الغرر ، في حكم الصور .

واللمعة في الاقتداء حال التشهد من صلاة الجمعة ، وشرح العقيدة الاسلامية للعلامة محمود افندي حمزة مفتي دمشق . أما رسائله وقصائده ومكاتيبه العلمية والأدبية فتبلغ لو جمعت مئات الأوراق ، ونسأل المولى أن ييسر لنا سبيل الجمع ، وتقديم الاهم منها للطبع بمنه وكرمه .



المدخل

(من فوائد هذا الجزء الاول وفرائده)

رأى المجمع العلمي الموقر ، أن يقتصر في الفهرس على أسماء الأعلام ، كما في الأصل ، لكن التاريخ اشتمل على فوائد وفرائد ، نشير إليها ، وندل عليها في هذا المقام ، ليقف المطالع على ما تضمنه الكتاب مجملاً في أوله ، ويبادر إلى قراءة ما يريده أو يهمه . ومن أهم ما نذكر به القراء الكرام أنّ المؤلف رحمه الله قد جمع من التراجم ما تمكن من جمعه مما وصل اليه ، وطوى ذكر من لم يكن يعلم ما له وما عليه ، وقد أورد كثيراً من القضايا والمسائل ، مما هو فيها ناقل غير قائل ، فمنها قصة مدّ اليد التي اشتهرت على الألسنة ، فهي من باب التخييل أو التمثيل ، ومنها

لبس الخرقة ، فهو شعار صوفي ، لادليل شرعي ، وانما حرص مجمعنا على طبع الأصل ، ليكون مرآة لذلك العصر . وقد ذيلناه بحواش نستدرك بها ما فات المؤلف ذكره ، ويُعدُّ من تمام تراجم بعض الأعلام ، كتسمية ما لم يكن معروفاً من مؤلفاتهم ، أو إضافة سنة وفاة من ترجم لهم في حياتهم ، أو بيان الحق فيما لا يسع المرء كتمانه ، كالفارق بين المخلوق والخالق ، في الخوف والرجاء والاستغاثة والاستعانة وغيرها ، فمنها ما هو طبيعي كسبي ، ومنها ما هو إلهي غيبي ، كالخوف من تصرف حي أو غائب أو ميت كتصرف الله تعالى بمخلوقاته وهذا يخالف الحس والواقع ، ويناقض عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى ، وهكذا سائر ما ذكرنا . وكتأمين المذنبين من العذاب يوم الحساب ، « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله » . وكدعوى علم بعض المخلوقات للغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه ، « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء » وكدعاء غير الله لما لا يقدر على كشفه إلا هو تعالى : « وإنْ يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » وقد نعلق على

بعض التراجم بما يخطر في البال ذكره بمناسبته . كذكرنا في ترجمــة الشيخ أبي النصر الخطيب لولده الشهيد سيف الدين الذي استشهد مع شبان العرب الغُيُر على بلادهم واستقلالهم ، (ص ١٠١) وفي ترجمة اخيه الشيخ أبي الخير ، موجزاً لترجمة ولده زكي بك الصديق العزيز الذي توفاه الله أثناء طبع ترجمة أبيه (٨ / ١١ / ١٣٨٠ ــ ٢٤ /٤/ ١٩٦١) ص ١٢٧) وفي ترجمة أحمد باشا الشمعة (ص ٢٦٠) لشهيد العروبــة ولده رشدي بك الذي اعدم مع رفاقه في ساحــة الشهداء بدمشق سنة ١٣٣٤ هـ ١٩١٦ م .

ومن عجائب التــاريخ ما حدث في مصر ، أوائل القرن الثاني عشر ، أن المماليك من الجراكسة ، قد كثر منهم الظلم والعدوان ، على المسلمين والنصارى واليهود على السواء . فطمع الفرنسيون في تملك مصر وإبعاد هؤلاء المماليك المتغلبين ، فجاءوا بغتة ، وكتب القائد بونابرت كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا ولد له ، ولا شريك له في ملكه ، (وهذه كلمة توحيد خالص) وبعد ذلك كلام كثير ، من جملته : إني اعبد الله واحترم نبيه والقرآن العظيم ، وانهم مسلمون (يعنون

أنفسهم) مخلصون (إلى أن قال) : أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون) وهذا الكتاب قد كتب بحنكة ودهاء ، واستغرق صفحتين(١٠٦ و ١٠٧) والظاهر أن اسلام القائد بونابرت ومن معه إسلام سياسي ، والغرض منه احتلال مصر بلا قتال ، ولكنهم قاتلوا وقتلوا ، ولو صحّ إسلامهم لما قاتلوا مسلمي سورية والجزائر ، ولكن يأبى الله للحق إلا أن ينتصر على الباطل :

فان قلتم قد يغلب الحق باطل نقول لكم : لا يغلب الحق باطل

وكانت مدة تملك الفرنساويين مصر ثلاث سنين وشهراً وخرجوا في أواخر صفر عام (١٢١٦) (ص ١٢٢ من الحلية). ومن ولاة سورية الذين عاثوا في الأرض فساداً أحمد باشا البوشناقي المشهور بالجزار ، فقد ولته الدولة العثمانية عكا وصيدا ، وكانت ولايته على دمشق (سنة ١٢١٨) فقتل خلقاً كثيراً بآلات اخترعت له ، وقتل المفتيين المرادي والمحاسني ، وتحركت الدولة الفرنسية لإنقاذ سورية منه ، وقدمت المراكب الانكليزية فرجع بونابرت بعساكره ، واخترمت المنية الجزار (سنة ١٢١٩) ودفن في عكا (ص ١٢٧ ــ ١٣٢) وبعد موته تسلط الناس

على ذوي شوكته فأذاقوهم العذاب . وعلى العكس من الجزار الظالم الغاشم : الوالي العادل الفاضل المصلح أحمد باشا والي سورية (ص ١٣٤ ـ ١٤٠) فقد تسنى له مع تغاير السياسات أن يكتسب رضا السلاطين ، ومحبة الأمة ، وثقة الأجانب فقد أدخل الجفاة من الأعراب بالطاعة ، ورغبهم في العلم والعمران، وشيّد المعاقل والحصون والمدارس في كل مكان ،ونشر الأمن ،ومد الأسلاك البرقية ، وعبّد الطرق ،وسهل المواصلات ، وأصلح الأراضي للزراعة ، وخول كل فرد من أفراد الأمة حقه المشروع .

ومما تتجه اليه الأنظار والأفكار تراجم من جلس للتحديث تحت قبة النسر في جامع بني أمية ، فقد كان من الشروط أن يقوم على درس الحديث تحتها اعلم علماء دمشق ،وبهذه المناسبة الطيبة أوردت خلاصة لتاريخ المسجد الأموي ، ومحدثي دار الحديث الأشرفية ، وموجزاً لتراجم أولئك الأعلام ، (ص ١٤٨ ــ ص ١٦٦) . وفي الديباج الخسرواني من ترجمة الامام أحمد بن ادريس المغربي اليماني (ص ٢٠٦ ـ ٢١٠) : أنه جعل الكتاب والسنة إماميه ، وكان يكافح أهل التقليد ، ويعلن أن قصر الحق على المذاهب

الأربعة من البدع ، وقد تكلم في هذه المسألة الفلاّني بمؤلف مطبوع ، والحافظ محمد الوزير في عواصمه ، وذكر له صاحب النفس اليماني ترجمة حافلة ، وسمّى في الأعلام ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات وغيرها بعض مؤلفاته . وأما العالم الأديب الشهير ، الشيخ أحمد البربير (ص ٢١٧ ــ ٢٣٨) فقد أورد له المؤلف مقامته في المنافسة بين الماء والهواء ، ففسرنا لغوياتها وأمثالها ، وترجمنا لمن ورد اسمهم فيها . والشيخ أحمد العطار (المتوفى سنة ١٢١٨) مؤسس مجد أسرته المباركة ، فقد تفرد في الحديث والتفسير ، وانتفع به خلق كثير . وأما سيرة أحمد الكاملي المراكشي البصير فهي من أعجب العجب (ص ٢٤٩-٢٥٣) وشيخ قراء الشام أحمد الحلواني الذي تفرد بهذا العلم ، وجود عليه المؤلف حفظه للكتاب العزيز . ونوجه النظر الى ترجمة أحمد باشا والي ومشير دمشق : (ص ٢٦٠ ـ ٢٨٠) وتقلبه العجيب الغريب ، والحوادث المؤسفة التي حدثت في عهده ، وتجد تفصيلا أوسع لها ، مع ذكر بواعثها ونتائجها (في ج ٣ / ٧٥ ــ ١٠٠) من خطط الشام ، للأستاذ كرد علي رحمه الله . الامير احمد الروزنامجي المعروف بالصفاتي : أمير وعالم

وكاتب (ص ٢٨٠) وفي حاشية (ص ٢٨٦) ذكرنا أن لفظ الغوث في الكتاب والسنة وكلام العرب ، انما يستعمل بمعنى الطلب ، ومنه : يا غياث المستغيثين ، وهو المدرك عبـاده في الشدائد ، وفي (ص٢٨٧) موجز ترجمة الحسن بن هـانيء أبي نواس ، وزهير بن أبي سلمى (ص٢٩٥) وعلقناإيضاحاً على دهلي من مدن الهند العظيمة ، والتي زرتها عام مؤتمر العالم الاسلامي الذي عقد في مدينة لاهور من باكستان (وقد شرفني الوفد الدمشقي برئاسته)،عام (١٣٧٧ هـ ١٩٥٧م) وفي (ص ٣٠٣)وصف للطريقة التجانية التي سخرت فرنسامنها ، وسخرتها لمصالحها . ومن الظرفاء : اسماعيل بن أسعد الخشاب : (ص ٣١٩) كان جليس الطبقات العالية وما دونها بلطفه وذوقه وأدبه ، وأمثلة من شعره الرقيق . وفي ترجمة اسماعيل بن عبد الجواد السرميني غرائب كثيرة . تراجع بتاريخ حلب الشهباء . وامين بن محمد الجندي الذي وشى عليه واش الى السلطان محمود فسجنه منفردا ، وضيق عليه جدا ، وقد أورد له المصنف أبياتاً وموشحا وتخميسات : (ص ٣٢٩-٣٣٩) أمين الجندي مفتي دمشق الشام ، من معرة النعمان (ص ٣٤٥) ، نظم المفتي الجندي نسبه ، وأوضح أصله وحسبه إلى (ص ٣٤٩)

الخروج عن دائرة الأسباب والمسببات في زوال الشدة وتفريج الكرب (ص٣٥٠) وهل يقدر على ذلك غير الرب سبحانه وتعالى ؟ قصيدة في مدح الصديق الأكبر أبي بكر (رضي الله عنه) . وثانية في امتداح السلطان محمود العثماني ، وهي قصيدة طويلة جداً ، وشعر من غزله ، ومثال من نثره ، وموشح مدح به الرسول الأعظم ، وله آثار لطيفة تراجع في ترجمته ،وآخرها (ص ٣٦٤) . وانيس الحمصي رئيس المؤذنين ، والذي كان يعظ النساء كل يوم في مشهد الحسين ، وكان كثيراً ما يقرأ من كتب الوعظ في جامع بني أمية في التركية والعربية . وأما بُنَيَّةُ بن قرينس الجربا الطائي ، فهو من رجال العرب وكرمائها وتجد في تعليقاتنا على ترجمته (ص ٣٦٩ ـ ٣٧٢) بياناً موجزاً لفارس النعامة أبي منذر البكري ، وللسموأل ، وعامر بن صعصعة ، وسلول بن مرة ، وبني الريان أو الديان ، وقبيلة طيء ، وحمير ، وخزاعة ، وعنترة والرولة : وفي قصيدة السموأل المشهورة : إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه» تفسير رواياتها ولغوياتها ، وذكر المصادر : كالشعر والشعراء وتاج العروس للزبيدي ، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة للكحالة ،

وعشائر العراق للعزاوي وغيرها . ويلي هذا ترجمة الشيخ بكري بن حامد العطار ، وقد زدت عليها نبذة مما كتبه الاستاذ سعيد الباني في حاشية كتابه «أحكام الذهب والفضة والحرير» واصفا اشتغاله وتدريسه للنحو والتفسير والحديث والفقه الشافعي ، ثم ذكر زهده وكرمه وحليته وأخلاقه . وتليه ترجمة محدث الشام شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني الذي علقت على ما كتبه الأستاذ الجد في (ص ٣٧٦ و ٣٧٧) بأن علم محدث الشام علم حفظ ورواية ، وكتب ودراسة ، أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، من بعد فريضة كل جمعة الى أذان العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن ، ووصفنا دروسه في دار الحديث ، لا سيما التقرير والتحبير في أصول الفقه ، ومنتخب كنز العمال ، من كتب الحديث الجامعة ، وقد تشرفت بالحضور عليه سنوات ، فجزاه المولى عنا خير الجزاء . ثم ترجم لوالدي بهاء الدين بن شقيق المؤلف عبد الغني البيطار ، وقد استغرقت ترجمة الوالد عشرين صفحة (ص ٣٨٠ ــ ٤٠٠) وعلقت على

بعض صفحاتها بتعليقات اقتضاها المقام ، كالتصوف وكلمتي فيه ، ونشأة الوالد ووصفه وتصوفه ، ومؤلفاته الدينية والأدبية ، ومقامته في المفاخرة بين الشمس والقمر ، وقصائده الغر في هذه المفاخرة في الثناء الأطيب على عمه المؤلف ، واخيراً وصف عمه لعلم ابن أخيه وادبه ، وبه ختمت الترجمة . وسمي الوالد بهاء الدين مهدي الرواس الصيادي ، الذي طاف البلاد العربية والاسلامية ، بعد أن جاور في الحرمين الشريفين ثلاث سنوات ، وفي الأزهر ثلاث عشرة سنة ، وفي ترجمته غرائب وله فيها قصائد (إلى ص ٤٠٧) وبعده بدر الدين أبو النور عثمان بن سند النجدي الوائلي ، فقد ذكر طائفة من مؤلفاته ، ومنها « مطالع السعود ، بطيب أخبار الوالي داود » وهو تاريخ جمع كثيراً من أخبار العراق ، وتراجم رجاله ووزرائه ، وقد اختصره الشيخ أمين المدني ، وطبع مختصره في مدينة بمبي ، وذكر أن له تاريخا على نحو سلافة العصر ، سماه « الغرر ، في وجوه القرن الثالث عشر » وطلب منه (من الشيخ غنام النجدي الزبيري نزيل دمشق الشام ، المتوفى بها سنة ١٢٣٧) ارسال ما تيسر له ترجمته من أجلاء دمشق .

وتراجع ترجمة هذا الفاضل الوائلي (نسبة الى قبيلة من عنزة، وهي وائل بن قاسط) (ص ٤٠٧ _ ٤١٢).

ثم توفيق باشا بن اسماعيل باشا ، وهـــذا أول من لقب بالخديوي من رجال أسرته ، وفي عهده انشىء المتحف المصري ودار الكتب المصرية ، ومن أولاده الخديوي توفيق ، والسلطان حسين ، والملك فؤاد: [وتجد في تاريخ الدولة العثمانية المنشور السلطاني لجميع الامتيازات الخديوية المصرية (ص ٣٠٤ـ٣٠٨) من المطبوع بمصر سنة ١٣١٤ لمؤلفه محمد فريد بك] وهذه الترجمة لتوفيق باشا من ص ٤١٤ ـ ٤٢٣ من الحلية. وأما توفيق البكري نقيب السادة الأشراف بمصر ، فقد نقلنـــا قوله في ترجمة نفسه ، وذكرنا تآليفه ، ووجهنـــا النظر الى « مشاهير شعراء العصر م ١ » و « مجلة المقتبس م ٢ » و « الأعلام م ٦ » وغيرها. وفسرنا اللغويات في قصيدة : (أما ويمين الله حلفة مقسم) إلى ص ٤٣٢ . وحروب ثويني بن عبـد الله الشبيبي شيخ المنتفق في ص ٤٣٣ _ ٤٣٤. وشيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي ، أبيات من شعره ، ومثـال من نثره ، وتعليقي على ترجمته الى آخر ص ٤٣٩ وترجمة السيد جمال الدين الأفغاني

بقلم تلميذه الشيخ محمد عبده (ص ٤٣٩ ـ ٤٥٠) وقد ذيلتها في صفحتي ٤٤٠ و ٤٤١ مشيراً الى المصادر وكتب ترجمته. وعلقنا على ترجمة السيد جعفر المشهور بالبيتي بأن شعره دل على أدبه، وبأن له ديوان شعر ومواسم، وآثار العجم والعرب في ثلاثة مجلدات.

حجليلان بن عليان من قبيلة من تميم: ٤٥٨ ــ بريدة وعنيزة موقعها ووصفها، من كتاب «جغرافية البلاد العربية» عقيدة الوهابيين، وصفها من كتاب: «عنوان المجد في تاريخ نجد». جودت باشا ابن الحاج اسماعيل آغا ناظر العدلية العثمانية: تآليفه ٤٥٩ و ٤٦٠ ــ جغرافية الأناضول والروملي.

(حرف الحاء)

وفيه ترجمة والد المؤلف الشيخ حسن البيطار (ص ٤٦٣ ــ ٤٧٥). دعي المترجم ــ وهو جدنا الأعلى إلى الامامة والخطابة والتدريس في جامع الدقاق (سنة ١٢١٦) وكاتب هذه السطور هو الآن خطيبه ومدرسه، (وكان إمامه أيضاً) منذ عام ١٣٣٤، والآن عام ١٣٨١ وقد عمر هذا الجامع كريم الدين الشهير بالدقاق سنة ٧٢٤. انظر الشذرات (ج ٦

ص ٦٢) . وكانت دعوته هو والشيخ عبد الرحمن الطيبي إلى الأستانة (سنة ١٢٦٣) وكان شيخ الاسلام أحمد عارف حكمة ، فتبادلا الاجازة بعد المذاكرة والمودة ، وتبادلا الثناء والتقدير والدعاء شعراً ٤٦٧ ـ قصيدته في تهاني السلطان عبد المجيد بختان ولديه مراد وعبد الحميد ٤٦٨ ـ لطيفة من الشيخ تعرف بها الحاضرون بعضهم ببعض ٤٦٩ ـ (وفي سنة ١٢٦٧) توجه المؤلف مع أبيه المترجم الى الحجاز ، وكانت هذه لوالده الحجة الثالثة . كانت وفاته غرة رمضان (سنة ١٢٧٢) قصيدة والدي في رثائه ، قصيدة جدي المؤلف في رثاء أبيه (ص ٤٧٣) ـ وأما حسن بن عمر الشطي فقد رحل اليه الطالبون من الديار النابلسية والبلاد النجدية ودوما والرحيبة وضمير وغيرها ، وأخذوا عنه الفقه رواية ودراية ، كما انفرد بعلم الفرائض ، وكان عليه نظارة المدرسة الباذرائية (من روض البشر للشطي ص ٤٧٨) والشريف حسن القنوجي هو والد العلامة حسن صديق خان ، وله تصانيف باللغات الثلاث العربية والهندية والفارسية ـ السيد حسن الشهير بتقي الدين الحصني كان اذا أراد التوجه الى مركز الحكومة لا بد أن يمشي بركابه

اربعون رجلاً من الشجعان ، وكلهم مقلدون بأنواع الأسلحة ، وقد تقلد نقابـــة الأشراف بدمشق ، ثم انتقلت للسادة بني العجلان ، وتقلد عضوية المجلس الكبير الى أن مات (سنة ١٢٦٤) (كما في منتخب التواريخ) ـ وحسن بن محمد الشهير بالعطار ، المصري مولدا ، المغربي محتدا ، نص إجازته لجدنا الأعلى والد المصنف (ص ٤٩٠) وفيها ذكر مشايخه وتصانيفه (الى ص ٤٩٢) ثم ينظر من بعد كيف بنيت له الدار ، ومـــا ارتكبه طلابه في سبيلها من الأوزار (ص ٤٩٣) ـ ومن عجيب امر السيد حسن الصيادي (والد أبي الهدى الشهير) أنه كان اذا قرأ على قطعة من السكر ، أو غيرها مما يؤكل ، فلا يضر الآكل سم الحيات ولا غيرها من المسمات ، ولا يؤثر فيه ضرر الكلب العقور أو غيره من الحيوانات باذن الله تعالى . ولترجمته تتمة مهمة ، والعهدة على القائل والناقل (ص ٤٩٤ و ٤٩٥) ـــ وحسن حسني بك من مهـاجرة الأتراك والأمراء في الروملي ، ترجمه أحمد عزت باشا في كتابه العقود الجوهرية ، وذكر له دواوين شعرية ، وأكثر من عشرين رسالة نثريـة ، قال : وله عدة رسائل باللغة التركية ، ومؤلفاته كثيرة ، وقوة قلمه وذهنه

شهيرة : ٤٩٩ ــ وترجم الباشا في عقوده أيضاً لملا حسن الموصلي ، ووصفه بأنه شاعر أديب ، وأورد له (في الحلية) قصيدة من نظمه ، (قال) ثم انه فقد بصره ، وبقي أغلب أحيانه يمشي بالأزقة ويرقد فيها ليلاً ، ويجر في أوحالهـــا ذيلاً ، فنسأله سبحانه حسن الخاتمة ــــ ولحسن بن علي قويدر الأزهري الخليلي عدة مصنفات ، ومنها نيل الأرب ، في مثلثات العرب : ٥٠٦ ـ وحسن بن عبد الرحمن الكليسي ، نقل الأستاذ الطباخ في تاريخ حلب ترجمته عن الحلية وزاد عليها ما نقلت ملخصه في الذيل (ص ٥١٤) وجاء في آخره قوله : وهو جد الأسرة الشهيرة بحلب ، المعروفة ببيت المدرّس (اهـ ج ٧ ص ٢٥٤) ــ وأما القاضي العام بدمشق الشام ، حسن حسني الموصلي فله تآليف ، أجلها تفسيره المسمى (فتح الرحمن بتفسير القرآن) كتب فيه مجلدين إلى سورة الأنعام ، وقرظه بعض الفضـــلاء ، ومنهم الأستاذ البيطار المؤلف ، ونص ما كتبه في (ص ٥٢٧) ــ وحسين المعروف بالرسّامة ، كان فرضي دمشق ورئيس حسابها وهو أحد تلامذة السيد ابن عابدين صاحب الحاشية ، ذكره السيد عـلاء الدين ولده في تكملة الحاشية ، وهو جد والدة

العلامة عبد المحسن الأسطواني وإخوانه (منتخبات الحصني ج ٢ ص ٦٤٧) قلت: والاستاذ عبد المحسن مد الله في عمره قد أربى على المائة ببضع سنين في (سنة ١٣٨١ هـ) - ملاحظة لنا على الكناية عن الذات الالهية، بسعدى ولبنى وغيرهما «ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون في أسمائه»: (٥٤٢) - الدعوة إلى تحكيم الوحي المنزل، وما عرف من سنن الصدر الأول، فيما يتجدد من الوقائع والحوادث، وإيراد الشواهد الكثيرة التي لاتحتمل الجدال والمراء: (في الحاشية ص ٥٤٣). وللسيد حسين بن يحيى الدولي الذماري رسالة سماها: «إرشاد الغبي، الى مذهب أهل البيت في صحب النبي» قال: ونقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بسب وما يقاربه، وقد أربى الذماري على المائة، وأسماء مؤلفاته في التعليق (ص ٥٥٠) - وإنك واجد في ترجمة حيدر الغازي الهندي سلطان ولاية لكهنؤ، قصة الفيل العجيبة، نقلاً عن كتاب الشرواني، الأديب اليماني، نزيل كلكته من مدن الهند، ونقل (في الحلية) عن كتاب عجائب المخلوقات للدميري وصفه

لحيوان ، رأسه كرأس إنسان ،ومن أسفله إلى سرتـه على هيئة زاغ ، وأنشد أبياتاً أولها :

أنا الزاغ أبو عجوه   أنا ابن الليث واللبوه

والورقة الأخيرة من هذه العجائب هي خاتمة الكتاب ، وهي في حيوانات غريبة الصور والأشكال ، وذكرها في ثلاثة أقسام (القسم الأول) أمم غريبة الأشكال والصور ، خلقها الله تعالى في اكناف الأرض ،وجزائر البحر ، (والقسم الثاني) : الحيوانات المركبة ، وهي تتولد بين حيوانين مختلفين في نوعيها (والقسم الثـالت) : أفراد الحيوانات التي هي غريبة الصور والشكل على سبيل الندور ، وقد ذكر أصنافها وأوصافهـا ، وذكر هذا الزاغ في القسم الثالث منها .

ولأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م : سنة ٢٥٥ هـ) كتاب الحيوان المطبوع بمصر بتحقيق وشرح الاستاذ عبد السلام محمد هارون ، وقد جاء في الجزء السابـع منه (ص ١٨) ما نصه : وسنذكر من فطن البهائم ، واحساس الوحش ، وضروب الطير ، أموراً تعرفون بها كثرة ما أودعها الله تعالى من المعارف

وسخر لها من الصنعة ، » ا ﻫ من تعليقنا (ص ٥٦٥) - وفي أول حرف الخاء ترجمة من أوسع التراجم للشيخ خالد أبي البهاء ، ضياء الدين النقشبندي الشهير (ص ٥٧٠ - ٥٨٧) وفيها شغفه بتحصيل العلوم والفنون العربية والشرعية والعقلية والرياضية ، على كبار المشايخ في الاقطار العربية والاسلامية ، ورحلاته الطويلة في هذه الاقطار ، ومناظراته العلمية في تلك الديار ، وقصائده الطولى بالعربية والفارسية ، وزهده في متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وتجرده وانقطاعه للعبادة ، وجمعه بين الطريقة والحقيقة . وفي عام ١٢٣٨ ، ارتحل بأهله وعياله من بغداد واستوطن دمشق : واشترى داراً في القنوات ، ووقف بعضها مسجداً وأقام فيه الصلوات . ولما شعر بدنو الأجل أوصى بأن يدفن في سفح جبل قاسيون ، وبنى السلطان عبد المجيد له مزاراً ، وعدة مقاصير للمريدين المتجردين ، ومطبخاً وبركة عظيمة للماء ، رحمه الله وايانا . وترجمنا بايجاز للجغميني والقوشجي الرياضيين ، ووسيم الكردي المنطقي المتكلم (ص ٥٧٣) وأشرنا إلى ما طبع من كتبهم . - كتب التاريخ التي

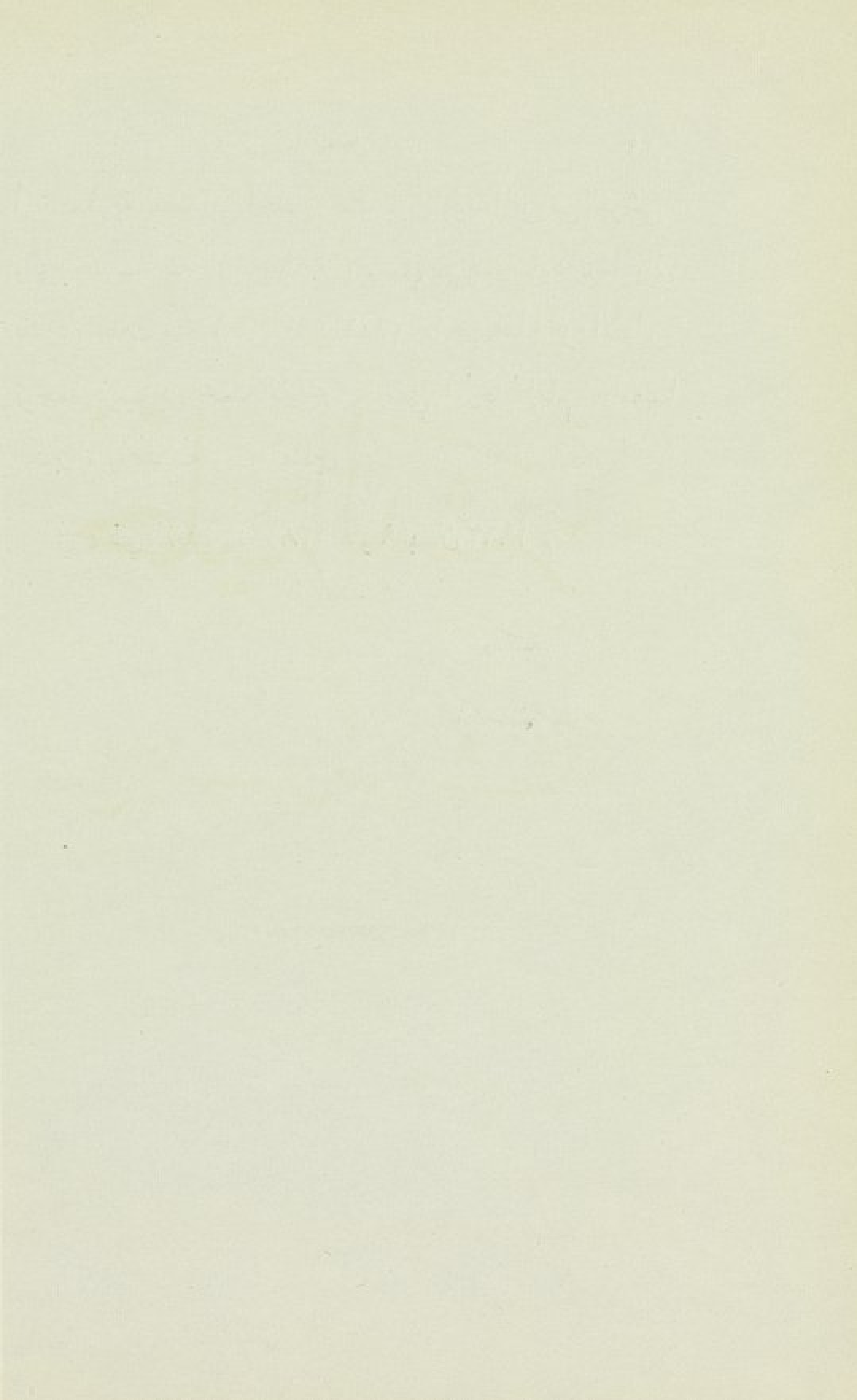
أثبتت ذرية للصحابي الجليل خالد بن الوليد المخزومي القرشي، والتي نفتهـــا عنه : (ص ٥٨٩) . وفي ترجمة داود باشا والي بغداد ، عظات وعبر (ص ٥٩٧_٦٠٧) . وآخر هذا الجزء الأول : ترجمة ذيب بن محمد الأريحاوي مفتي أريحا وإمام جامعهـا الكبير ، والحمد لله رب العالمين .

في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٨١ هـ و ٩ نيسان ١٩٦٢ م

وكتبه

محمد بهجة البيطار

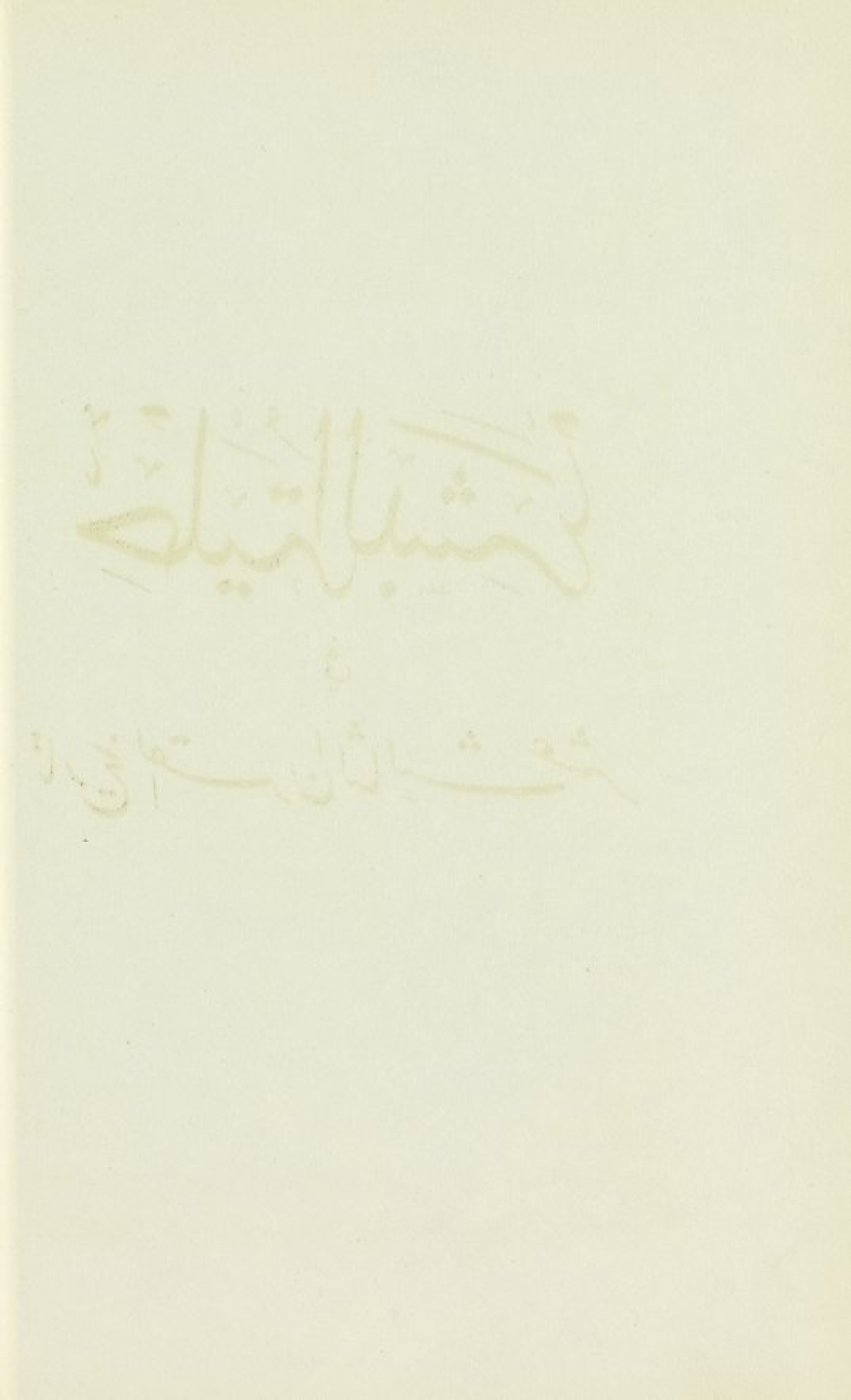




حلية البشر

في

تاريخ القرن الثالث عشر



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأسبحه عن كل ما لا يليق بكماله ، وأقدسه عما يقصر عن رفيع جلاله وبديع جماله ، وأستمنحه وهو المانح لكل مطلوب ، وأستفتحه وهو الفاتح لمرتجي نعمه أبواب الغيوب ، وأشكره شكر عبد لم يشهد في الوجود سواه ، وأذكره وهو الذاكر والمذكور لا إله إلا إياه ، وأبرأ اليه من كل قوة وحول ، وأستجديه وهو المجدي لكل حباء وطول ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنفرد بالبقاء ، والمتباعد عما حكم به على عباده من الموت والفناء ، وأصلي وأسلم مدى الليالي والأيام ، أكمل صلاة لائقة وأتم سلام ، على من أبدع مبدعُ الوجود إيجادَه على أعلى كمال ، ونظم به عقد الدين بعد الغواية والضلال ، وهو النبي العربي الذي لم ينطق عن الهوى ، ولا ضلّ من اتبعه عن المنهج الصواب ولا غوى ، محمد المبعوث من صفوة العرب المستوين على عرش البلاغة ، والمحتوين من بديع المعاني على ما لم يبلغ أحد بلاغه ، فجاءهم بما ألجأهم الى الاقرار بأنه قطب مدار الإنسان ، ومحور فلك الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان ، فتالله وبالله انه لهو المفحم والمعجز ، الذي أعيا الواصفين سواء المطنب منهم والموجز ، لا برحت نوافح الصلوات تحييّي مرقده الشريف كل أوان ، ما لاح برق أو ناح ورق أو تعاقب الملوان ، وأصلُ ذلك بطلب الرضوان لآله وأصحابه وعلماء أمته ، الناهجين منهجه الأسنى ، والمعتصمين بحبل شريعته وسنته ، وأسأله تعالى أن يعم جميع تابعيه بوافر إحسانه ، وأن ينعم عليهم بما يحذيهم لجوده

ورضوانه ، إنه هو المجيب لكل طالب وسائل ، والقريب الذي من دعاه فقد استمسك بأنفع الوسائل .

أما بعد فيقول العبد الفقير ، والضعيف الحقير ، المتبرىء من كل حول وقوة ، والمتبوىء نفسه لخدمة ذوي الفضل والفتوة ، الأسير الفاني ، والكسير الجاني ، المفتقر الى عفو مولاه المحسان الغفار ، عبد الرزاق ابن المرحوم حسن بن ابراهيم البيطار أصلح الله خلل حاله ، ونشله بمنه وكرمه من نكبة أوحاله ، ان أحلى ما يتحلى به جيد الانسان ، وأولى ما يتملى منه الأديب الولهان ، علم يكتسي به ويكتسبه ، وفضل يتزين به وينتخبه ، وفائدة يبيض غابر عمره بتسويدها ، وعائدة يصرف نقد أيامه ولياليه بتقييدها ، ودرة ساقطة من معدن الإطلاق يلتقطها ، أو قلادة من قريحته ينظمها خوف الشرود ويسبطها ، أو سيرة لمن سبق يرقمها ، أو رقيقة من بدائع البدائه يحررها ويرسمها :

مِن كل معنى ولفظ كخمرة في زجاجهْ

يسري النسيم اليـــه يبغي لديه علاجـــهْ

فان الكامل هو الذي يشتغل بما يحله ، لا بما يسقطه في أودية الهوان ويذله ، وقد كنت معروفاً بجمع لآلي أخبار السادة والأعيان ، مشغوفاً بالتقاط آثارهم المزرية بعقود الجمان ، حتى رقمت من أخبارهم أوراقاً شتى ، بيد أنني إذا أردت الوقوع على مراد منها لا أجتمع به حتى وحتى ، فعن لي أن أجمعها في كتاب تعذب مطالعته ، وتقرب على الطالب مراجعته ، وان أقصر الوطر ، على ترجمة أعيان القرن الثالث عشر ، لأن الأمين المحبي رحمه الله ترجم أهل القرن الحادي ، كما أن القرن الثاني قد ترجمه المرادي ، فأردت أن أتطفل عليهما بديوان يكون لكتابيهما ذيلا ، وإن كنت أعلم أني لست لذلك أهـيْلا ، ولكن من أغرب الغريب ، وأعجب العجيب ، هو أني رأيت أن بعض الناس قد ضنوا بتراجمهم أن تصاغ في قالب التحرير ، كأنما يطلب منهم

مترجمهم وافر الدراهم والدنانير ، مع أني لا أقصد بذلك سوى إحياء أخبارهم ، ونشر مطوي أوصافهم وجميل آثارهم ، لأنهم وإن كانوا في زمانهم أشهر من نار على علم ، إلا أنهم إذا لم تقيد أسماؤهم في دفاتر المآثر نثرتها الأيام في مطوى العدم :

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى	فتحسبه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهـــره	الى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من عاش عالماً	كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

فاقتصرت على ذكر من وصلت اليه ، وطويت غالباً ذكر من لم أكن أعلم ما له وعليه ، وحسب الطالب أن يقتصر على من وصلت اليه قوته وحوله ، وأن يعلم أن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولم أزل أقدم في هذا العزم رجلاً وأؤخر أخرى ، وأتردد في الإقدام والإحجام ولا أدري أيها أحرى ، الى أن تذكرت ما قيل ، من بديع الأقاويل ، إن المرء ابن وقته وساعته ، وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته ، ومن كانت بضاعته مزجاة ، فهو من الملام بمنجاة ، وذيل العفو عليه مسبول ، والكف عن زلله مرجو ومأمول ، وقد قيل :

ألا ليقل من شاء ما شاء انما يلام الفتى فيما استطاع من الأمر

فحققت ما كنت أردت ، وأظهرت من الفكر ما أضمرت ، وشرعت في كتابة هذا الكتاب ، معتمداً في التسهيل على رب الأرباب ، ووسمته وسميته ، بعد ما أتممته وأنهيته : (**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**) والأمل ممن نظر فيه ، ورأى ركاكة نثره وقوافيه ، أن يرحم بحسن التأويل جامعه ، أو يصون عن استماع كلامه مسامعه ، والأولى أن يلتمس له عذرا ، ويسبل على ما بدا له منه ستراً ، خصوصاً والفكرة غير مساعدة ، وهي لمكايدة الدهر مكابدة ، ومع إبداء ما ذكرت ، وإظهار ما به

اعتذرت ، فاني كلفت نفسي الصغيرة شيئاً كبيراً ، وأقحمتها في نفس الأمر أمراً عسيراً ، محافظة على إحياء ذكر هؤلاء السادة الأفاضل ، والقادة الحائزين لأعلا الشمائل والفضائل ، وخوفاً من ضياعهم بلا خُبْر ولا خَبَر ، مع أنه يحق لسيرتهم أن تتلى كما تتلى السور ، ورأيت أن أرتبه على حروف المعجم لا على الأعوام ، ليكون قريب المراجعة سهل المرام ، والله أسأل أن يجعله خالصاً من شوائب الملام ، وأن ينعم على جامعه ومطالعه والمسلمين بحسن الختام .

الشيخ ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن ابراهيم البيطار :

الدمشقي الجد الماجد ، والد سيدي الوالد ، فاضل شافعي المذهب ، عالم عامل طراز فضله بالعبادة مذهب ، قد احتوى على مكارم الشمائل والأخلاق ، واستوى على عرش اللطافة وفاق ، له عزة نفس تود النجوم الثوابت نيل علاها ، وعلو همة يتمنى البدر الوصول الى حسن ثنائها وسناها ، وكلام كلآلىء الصدف ، وآداب كالروض الانُف ، ولا ريب أنه

مورق عيدان العلا رطبها أبلج وجه العرف بسام

مع حكم أرق من نسيم السحر ، وشيم لو أنها للنجم ما غاب ولا استتر ، وأياد روائح غوادي ، كنسيم الروض غب الغوادي ، ولا ريب أنه من القوم الذين سعوا في مناهج التقوى ، ونحوْا نحو الصلاح في السر والنجوى ، أخذ عن جملة من الأفاضل ، وتلقى عن كثير من السادة الأماثل ، وكان ملازماً لأستاذه الفاضل ، وملاذه العالم العامل ، قطب دائرة الأفاضل ، والآتي في تحقيقاته ومعارفه بما لم تستطعه الأوائل ، مولانا الشيخ محمد بن المرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري فانه لازمه على الدوام ، وانتفع به فوق المرام ، وكان من جملة خاصته وأحبابه ، المتأدبين بجميل آدابه ، حتى اشتهر بالصلاح والعلم والعبادة ،

وألفته القلوب فوق العادة ، وكان ذا ثروة ومال من تجارته ، غير أن اليد الجزارية[1] قد أساءت في معاملته ، فسلبته جُلّ ما كان ، وأخّرته في الثروة عن الأقران ، عامله الله بأعماله ، وجازاه على ما كان من قبيح أفعاله ، وكان أعلى الله علاه ، وجعل الفردوس مقره ومثواه ، ذا رأي صائب ، وفكر ثاقب ، ليّن الكلام ، حسن المعاشرة ، رفيع المقام ، كثير المواصلة لأرحامه ، مع حبائه لهم وإكرامه ، ولد رضي الله عنه في منتصف رجب سنة ألف ومائة واحدي وخمسين ، ونشأ في حجر والده الى أن حظي من القراءة والكتابة على التمام ، وحصل له من التفنن في العلوم نصيب وافر واحترام ، ولم يزل مكباً على دروس العلم والطاعة وتلاوة القرآن ، إلى أن نشبت به أظفار المنية ففارق الدنيا من غير توان ، وذلك في غرة ربيع الأول سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين ، صب الله على قبره صيب الرحمة في كل وقت وحين ، وجمعنا به في دار الإحسان ، تحت لواء محمد سيد ولد عدنان .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد الباجوري قدس الله سره :

وجعل أعلا الجنان مثواه ومقره ، شيخ الوقت والأوان ، المستوي في فضائله على عرش كيوان ، فهو الذي بهر بإبداعه ، وظهر على ذوي الكمال بسعة اطلاعه ، وعطل العوالي بيراعه ، ومد لتناول المعالي طويل باعه ، وأطلع الكلام رائقا ، وجاء به متناسقا ، فهو العالم العامل ، والجهبذ الكامل ، الجامع بين شرفي العلم والتقوى ، السالك سبيل ذلك

---

(١) بدأ القرن الثالث عشر ، وأهم وزير مسموع الكلمة في الأستانة ــ قوي الشكيمة في ظلم الرعايا بالشام ــ أحمد باشا الجزّار ، تولى دمشق بعد ولاية عكا ، فرفعت الشكاوى عليه من أهل دمشق فعزل ؛ ثم تولى دمشق للمرة الثانية (سنة ١٢٠٥) وإنّ مدة حكم الجزّار بدمشق ــ وهي خمس سنين ــ لم يرتح فيها الناس شهراً واحداً من طلب الأموال ظلماً (خطط الشام ج ٢/٥) .

في السر والنجوى ، قد افتخرت به الفضائل ، حتى قدمته على الاوائل ، وكان لسان شمائله ، يخطب على منبر فضائله :

غنيت بحلية حسنها عن لبس أصناف الحلي
وبدت بهيكلها البد يع تقول شاهد واجتلي
تجد المحاسن كلها قد جمعت في هيكلي

ولد رضي الله عنه سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة بيجور ، قرية من قرى مصر المحروسة من الغم والملحوظة بعين السرور ، على مسيرة اثنتي عشرة ساعة من غير استعجال ، بل بسير الوسط والاعتدال ، ونشأ فيها في حجر والده وقرأ عليه القرآن المجيد ، بغاية الإتقان والتجويد ، ثم قدم الى الجامع الأزهر ، ذي القدر السامي الأظهر ، سنة ألف ومائتين واثنتي عشرة[1] هجرية ، لأجل تحصيل الآداب والعلوم الشرعية ، وسنه إذ ذاك أربع عشرة سنة تماماً ، ومكث فيه حتى دخل الفرنساوي سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر عاماً ، فخرج وتوجه إلى الجيزه ، وأقام بها مدة وجيزه ، ثم عاد سنة ألف ومائتين وست عشرة ، إلى المكان الأنور ، والجامع الأزهر ، عام خروج الفرنساوي من القطر المصري كما أفاد ذلك بنفسه ، أعلى الله تعالى في فراديس الجنان مقامات قدسه ، فأخذ في الاشتغال بالتعلم والتحصيل ، وقد أدرك الجهابذة الأفاضل ذوي القدر الجليل ، كالشيخ محمد الأمير الكبير ، صاحب المقام السامي الشهير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والسيد داود القلعاوي ، ومن كان في عصرهم ، وتلقى عنهم ما تيسر له من العلوم ، الى أن صار عمدة ذوي المنطوق والمفهوم ، ولكن كان أكثر ملازمته وتلقيه ، وأخذه للعلم الشريف الذي كان به ترقيه ، عن الأستاذ الشيخ محمد الفضالي ، والمرحوم الأستاذ الشيخ حسن القويسني ذي القدر العالي ، ولازم الأول بالجد والاجتهاد ، إلى أن توفي ورحل الى دار الفضل والإسعاد ، وفي مدة قريبة لاحت عليه لوائح النجابة ، ولبى السعد نداه بالإقبال وأجابه ، فدرس وألف التآليف

---

(١) في الأصل : واثني عشر ولعله سهو من الناسخ .

العديدة ، الجامعة المانعة المفيدة ، في كل فن من توحيد وأصول ، ومعقول ومنقول ، منها حاشيته على متن الشمائل ، وحاشيته على رسالة شيخه الفضالي في لا إله إلا الله ، وحاشيته على الرسالة المسماة بكفاية العوام ، فيما يجب عليهم من علم الكلام ، لشيخه المذكور ، وكتاب فتح القريب المجيد ، شرح بداية المريد ، للشيخ السباعي ، وحاشيته على مولد المصطفى ﷺ للعلامة ابن حجر الهيثمي ، وحاشية على مختصر السنوسي في فن الميزان ، وحاشية على متن السلم للأخضري في فن الميزان أيضاً وحاشية على متن السمرقندية في فن البيان ، وكتاب فتح الخبير اللطيف ، شرح نظم الترصيف في فن التصريف ، وحاشية على متن السنوسية في التوحيد ، وحاشية على مولد المصطفى ﷺ للشيخ الدردير ، وشرح على منظومة الشيخ العمريطي في النحو ، وحاشية على البردة الشريفة ، وحاشية على بانت سعاد ، وحاشية على متن الجوهرة في التوحيد ، وكتاب منح الفتاح ، على ضوء الصباح ، في أحكام النكاح ، وحاشية على الشنشوري في فن الفرائض ، وكتاب الدرر الحسان على فتح الرحمن ، فيما يحصل به الإسلام والإيمان للزبيدي ، ورسالة صغيرة في فن الكلام ، وحاشية على شرح ابن قاسم لأبي شجاع في فقه مذهب الإمام الشافعي ، قدس الله سره بمجلدين ، وله مؤلفات أخر لم تكمل فلذا أضربنا عن ذكرها صفحاً . وكان ديدنه رحمه الله التعلم والاستفادة ، والتعليم والإفادة ، حتى صار له ذلك سجية وعادة ، فكان عمره رضي الله عنه ما بين افادة واستفادة ، وكان لسانه دائماً رطباً بذكر الله ، وتلاوة القرآن ، وكان متميزاً بذلك على الأمثال والأقران ، وله وله عظيم وحب جسيم لآل بيت النبي الكريم ، ولذلك كان مواظباً على زياراتهم ، ومتردداً على أبواب حضراتهم ، وبالجملة فإنه رضي الله عنه كان صارفاً زمنه في طاعة مولاه ، وشاكراً له على ما أولاه ، فمن جملة نعمه عليه الانتفاع بتآليفه في حياته في كل ناد ، والسعي في طلبها من

أقصى البلاد ، والاجتهاد في تحصيلها من كل حاضر وباد ، والاجتماع بها على كل مرام ومراد ، وقد انتهت اليه رئاسة الجامع الأزهر ، ومَحفل الدين الأبهى الأبهر ، وتقلدها في شهر شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ولا غرو أنه ابن بجدتها[١] ، وأبو عذرتها ، وفي أثنائها قرأ كتاب الفخر الرازي في تفسير القرآن ، وحضره أفاضل الجامع الأزهر ذوي الملكة والإتقان ، ولكنه لم يكمل بسبب ضعف اعتراه . وقد امتدحه مهنئاً حضرته حين آلت الرئاسة اليه حضرة المعروف بكل كمال ، السيد محمد شهاب الدين فقال :

أترى الغمام بدره المنثور	وشى رياض الورد والمنثور
أم ذي تباشير الصباح تنفست	وجلت أشعتها دجى الديجور
كبلابل الأفراح أبدت طالعاً	حظي الزمان بحظه الموفور
هو كوكب إيضاح بهجة ضوئه	مغن عن المصبـاح والتنوير
رفعت لواء العز دولة مجده	وسطت بصارم فضله المشهور
أكرم به حبراً هماماً رحلة	تطوي القفار لعلمه المنشور
أبدى الطوالع في مطالع فخره	ولدى المواقف سار بالتيسير
زفت حواشيه ورقت وازدهت	بمحاسن التحبـير والتحرير
هو بر افضال وبحر فضائل	صاف عدته شوائب التكدير
كررت مدح حلاه إذ هو سكر	تقوى الحلاوة فيه بالتكرير
هو روض عرفان تجلى عن جنى	دان وكم ليس بالمـزرور
لا غرو إن طاب الزمان بطيبه	وشذاه عم الكون بالتعطير
يا دهر أعط القوس باريها فقد	أفرطت في التقديم والتأخير
هذا مجلّي حلبة السبق الذي	حاز الفخار بسعيه المشكور
هو سيد الأبناء سعد أوانه	فخر الزمان ميسر المعسور

(١) المثل : أنا ابن بجدتها : أي أنا عالم بها ، والهاء راجعة إلى الأرض ، وهي من بَجَدَ إذا أقام .

فرحت به الدنيا وأصبح وجهها ... فيه تلوح بشاشة المسرور
وزهت به العليا وقالت أرخوا ... أبهى إمام شيخٌ الباجوري ١٢٦٣
يا صاح حدث عن مآثره وقل ... قد صح نقل حديثي المأثور
طوبى لمن بمقام إبراهيم قد ... أدى فريضة حجه المبرور
وسعى وطاف بكعبة الطّول الذي ... تمت شعائره بلا تقصير
فليهنه الاقبال وليقض الذي ... قد فات من مندوبه المنذور
وإليه أهدي بنت فكر تنجلي ... في خجلة من جفنها المكسور
غايات ما ترجوه فض ختامها ... حيث انتهت بتكامل التوقير

ثم إنه لما قربت وفاته ، وكادت أن تتناهى حياته ، نزل به مرض الحمام ، ولازمه إلى أن استوفى من عمره التمام ، توفي يوم الخميس ثامن وعشرين من ذي القعدة سنة ألف ومائتين وست وسبعين ودفن بتربة المجاورين .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن دهمان الحلبي :

الشافعي القادري برهان الدين الفاضل الذي طوي على الفضل أديمه ، والعالم العامل الذي انتشر به الكمال حديثه وقديمه ، من أشرق في أوج الجمال طالع سعده ، وارتقى على كاهل الكمال بنيان مجده ، واسطة عقد الأفاضل ، وكعبة طواف ذوي الفضائل والفواضل ، الفقيه الورع الزاهد ، والمحدث الصوفي العابد ، ولد بدارة عزة قرية من أعمال حلب سنة خمس وخمسين ومائة وألف ، ودخل أيام شبابه حلب ، واجتمع بخاله الشيخ العارف أبي بكر بن أحمد الهلالي القادري وأخذ عنه الطريقة واعتنى بشأنه ، ثم ارتحل الى مصر سنة ثمان وسبعين ولازم الشيوخ في الأزهر وقرأ عليهم وحضر دروسهم وأكثر من الأخذ والاستفادة والسماع ، فقرأ على أبي داود سليمان بن الجمل وهو أجل من انتفع به ، والشيخ أحمد الفالوجي ، وسيدي محمد بن علي الصباغ ، وسيدي أبي عبد الله محمد الأمير ، والشهاب أحمد بن محمد الدردير ، وأبي الصلاح أحمد بن موسى العمروسي وأبي الحسن علي بن أحمد

الصعيدي المالكي ، وحسن بن غالي الجداوي ، ومحمد بن حسن السمنبودي المنير ، وأبي عبد الله محمد بن احمد بن الحسن الجوهري ، وصفي الدين محمد ابن أحمد البخاري وغيرهم ، فأخذ عنهم ولازمهم وانتفع بهم ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن سيدي الشيخ محمود بن يزيد الكوراني الكردي الشافعي خليفة الأستاذ الحفناوي ، وسمع على الكثير وانتفع واشتغل بالعلم والطريقة وتفوق ورأس على أقرانه ، وتقدم عليهم بوافر فضله وحسن بيانه ، ثم قدم الى حلب سنة ثمان وتسعين ومائة وألف فدرس بها ولزمه الناس ، وبعد مجيئه مات ابن خاله الشيخ أبو الضياء هلال بن أبي بكر الحلبي القادري في أواخر سنة ثلاث ومائتين وألف ، فاستقر مكانه شيخاً في زاويتهم الكائنة بمحلة الجلّوم بباب قنسرين ، وأقام مجالس التوحيد والأذكار وأوقات المواعيد على العادة ، ولزم أبناء الطريق واختلى الخلوات المتعددة ، ومع ذلك كان لا ينفك عن الإقراء والتحديث والإفادة ونقل الشيخ الفاضل العلامة خليل افندي المرادي في بعض تعليقاته أنه دخل حلب سنة خمس ومائتين وألف فاجتمع بالمترجم المرقوم وسمع من فوائده وزاره في زاويته وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية . ومات رحمه الله بعد ذلك لا بكثير .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى السعدي الجباوي بن الشيخ ابراهيم ابن السيد برهان الدين بن السيد مصطفى بن السيد سعد الدين الأصغر ابن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن السيد علي الأكحل بن السيد سعد الدين الجباوي قدس الله سره :

ولد المترجم المرقوم في دمشق الشام في المحلة المعروفة بالميدان وذلك سنة ألف ومائتين وسبع عشرة ونشأ في حجر والده وحينما بلغ سن التمييز ، تعلم القرآن العزيز ، ثم اجتهد في طلب العلوم على والدي إلى أن صار له ملكة عظيمة ، ومعرفة جسيمة ، ثم أخذ الطريق ، عن والده ذي المعرفة والتحقيق ،

ولم يزل يجتهد في السلوك والطاعة ، ويحفظ أوقاته عن البطالة والإضاعة ، إلى أن انتقل والده إلى الدار الآخرة العلية ، فآلت إليه مشيخة السجادة السعدية ، وكانت لا تليق إلا إليه ، ولا تعول إلا عليه ، فرفع منارها ، وأقام أذكارها ، وأدب طلابها ، وأتقن بناها واعرابها ، وشيد أركانها ، ورفع عنوانها ، وكان لي تردد إليه ، واعتماد عليه ، حيث انه حميد السيرة ، حسن السريرة ، واسع الصدر ، رفيع القدر ، وفي سنة اثنتين وثمانين بعد المائتين والألف تزوجت بكريمته البرة التقية ، والصالحة النقية ، السيدة رقية ، فرزقت منها أولاداً لم يبق لي منهم سوى الولد الصالح ، والشهم الفالح ، السيد محمد سعد الدين (١) جعله الله من أهل العرفان ، وفتح عليه فتوح السادة الأعيان ، وحفظه من كل عيب ، وصانه من كل شائبة وريب ، ولم يزل المترجم ملازماً لعبادته ، ناهجاً منهج سيادته وسعادته ، إلى أن دعاه داعي المنية ، إلى الدار الآخرة العلية ، فلبى الداعي من غير تأخير ، ومات فجأة وتعجّل في المسير ، وذلك أواخر رجب الفرد سنة اثنتين وثمانين ومايتين وألف ودفن بمدفن السادة السعدية في تربة باب الله وقبره ظاهر .

تتمـــة : طالما تطلبت ترجمة جده الشهم الهمام ، والسيد العارف الإمام ، مجمع الفضائل ، وقطب الأفاضل ، السيد سعد الدين الجباوي فلم أقف لها على خبر ، ولم أقع لها على أثر ، إلى أن رأيت روضة الناظرين ، وخلاصة مناقب الصالحين ، للامام الكبير العلامة ، والهمام النحرير الفهامة ، العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد الوتري قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه ، فإنه قد ترجمها ترجمة لطيفة ، مفصحة عن مرتبته المنيفة ، فأحببت أن أذكرها بتمامها بدون زيادة ولا نقصان ، لندرة وجودها في تراجم السادة

---

(١) توفي قبل أبيه بأكثر من عشر سنين ، كما أن أخاه الأكبر لأبيه الشيخ أحمد توفي قبل والده بنحو سنة ، رحم الله الجميع .

الأعيان ، فقال ما نصه : **ومنهم العارف بالله ، المستغرق في محبة مولاه الولي الجليل الشيخ** سعد الدين أبو محمد الشيباني الجباوي قدس الله سره ، ورضي الله عنه . كان في بدايته مولعاً في حب الكر والفر والفروسية وانتهى إلى قطع الطريق مع جماعة من أهل حوران ، وكان جده الشيخ يونس الشيباني الكبير قدس الله روحه بدمشق يدعو الله إذا خلا مع ربه بإصلاح سعد الدين أو بقبضه إليه ففي ليلة من الليالي والشيخ سعد الدين مع رفقائه وإذا بأحد عشر فارساً علي خيل بيض على طريقهم فكر عليهم سعد الدين بجماعته فلما قرب من الأول نظره شزراً وقال « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله »فسقط الشيخ سعدالدين إلى الأرض مغشياً عليه ، وجماعته أيضاً كل صعق وغشي عليهم أجمعين . ثم بعد برهة يسيرة أفاق فقال الفارس الأول : يا سعد الدين أنا نبيك محمد ﷺ وهؤلاء الصحابة العشرة ، وأعطاه من يده المباركة تينتين نفخ عليهما فأكلهما فانكشفت له العوالم[١] وثبت في قلبه خوف الله تعالى فصار ببركته عليه الصلاة والسلام من العارفين ، ثم انه ترك ما كان عليه وانحدر إلى دمشق ولبس الخرقة [٢] من والده الشيخ مزيد الشيباني وانتشرت به الخرقة السعدية وعمر رواقاً في قرية جبا من أعمال دمشق وأرشد بها السالكين ، وانتفع به أمة وظهر واشتهر وجرت على يديه الخوارق ؛ أخذ الطريقة ولَبِس الخرقة من والده الشيخ مزيد الشيباني ، وللشيخ مزيد طريقان في الخرقة ، الأول عن أبيه الشيخ يونس الكبير الشيباني ، وسيأتي ذكر سنده . والثاني عن الشيخ الإمام القطب الشريف السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه أخذ عنه الطريقة وتشرف ببيعته سنة خمس وخمسين وخمسماية ، السنة التي مدت بها للسيد المشار إليه يد جده [٣] ﷺ وقد نفخ في فمه وقال يا مزيد لك ما لنا وعليك ما علينا وأنت منا ولنا . وسند السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في الخرقة شهير في محله ، وأما سند الشيخ يونس الشيباني فإنه عن الشيخ أبي مدين عن الشيخ سعيد الأندلسي عن الشيخ أبي البركات

---

(١) قد تكون هذه القصة من باب التخييل أو التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .
(٢) هو شعار صوفي ، والاستاذ المؤلف هو ناقل كما ستراه في آخر القصة .
(٣) اشتهرت هذه الحكاية على الألسنة

عن الشيخ أبي البقاء عن الشيخ أبي بكر تاج العارفين عن الشيخ أبي بكر الشهير بالمقبول الشيباني قدس الله سره عن الشيخ أبي القاسم الكركاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاظمي عن الشيخ علي الكاتب عن الشيخ العارف بالله أبي بكر الشبلي عن شيخ الطائفة العارف بالله جنيد البغدادي عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الشيخ الحسن البصري عن الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ[١] . مات الشيخ سعد الدين رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين وستمائة ودفن في رواقه بجبا[٢] . ومرقده مشهور يزار ويتبرك به وله ذرية بدمشق وحوران معروفون كلهم على حال حسن وسيرة مرضية بارك الله بهم . انتهى كلام الروضة .

ابراهيم باشا بن محمد علي باشا خديوي مصر والقاهرة

غشوم ظالم ، وظلوم غاشم ، خليفة الحجاج في أفعاله ، وناهج منهجه في أقواله وأحواله ، محتو على الفساد ، منطو على الإنكاد ، مجبول على الغلظة والقساوة ، مجعول من الفظاظة معدوم من اللطافة والطلاوة ، ممتلىء منه البذا ، متضلع من الأذى ، لم يخلق الله تعالى في قلبه شيئا من الرحمة فينتزع ، ولم يودع الله لسانه لفظاً من الخير فيستمع ، سفاك لدماء المسلمين ، نباذ لطاعة أمير المؤمنين ، كان يعتقد أن ذلك ليس أمراً ذميما ، ولا يهوله قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما » . فإن هذا المترجم لما اشتد أزره ، وقوي أمره ، تولى قيادة العساكر المصرية ، وصارت له الإمرة الجندية ، ثم بعد ذلك وجهه والده إلى الأراضي الشامية ، ليضمها إلى الحكومة المصرية ، فلم يزل يسير بعساكره ، متقلداً لسيف طغيانه ومناكره ، حتى حل حي عكة ، وكان الوالي بها عبد الله باشا من طرف الدولة العثمانية

---

(١) هذا سند صوفي لادليل شرعي .

(٢) قرية من قرى دمشق الشام في جهة الجيدور ، تبعد عن الشام مقدار ثماني عشرة ساعة .

فدكها دكة أي دكة ، وسبب ذلك أن عبد الله باشا وقعت بينه وبين محمد علي باشا عداوة كلية ، بسبب أنه خابره بتسليمه بلاد الشام فلم يجبه إلى هذه الأمنية ، وكانت وقعة الشام مع سليم باشا آنفة الوقوع ، والأفكار تحكم بأن الجزاء مقطوع به لا ممنوع ، فلما سمع السلطان بعداوة عبد الله باشا مع محمد علي باشا أشفق من اتحاد الشام مع الخديوي المرقوم ، فأرسل للعفو عن الشام أجلّ مرسوم ، ووجه والياً يسمى علي باشا إلى الشام ، لمداركة الأمر بغاية الاهتمام ، فأرسل محمد علي باشا إلى السلطان شكاية على عبد الله باشا تطعن بعظيم شانه لعله يعزله ويجعله في مكانه ، فيصل إلى مطلوبه ، ويحصل من غير ضرر على مرغوبه ، غير أن السلطان لم يجبه إلى مراده ، ولم يوصله إلى ما تأمله في اجتهاده ، فجمع ابراهيم باشا الجموع الكثيرة ، وتغلب على غالب البلاد الشامية الشهيرة التي تحت ولاية عبد الله باشا كغزة والرملة والقدس والخليل ونابلس وبلاد الساحل ، وحصّن قلعة طرابلس وساعده أمير جبل الدروز الأمير بشير ورؤساء جبل نابلس ، لكون عبد الله باشا في العام الماضي حاصر قلعة سينور وهدمها وحصل منه ضرر لأهل نابلس وكان ذلك من أسباب الغلاء الذي وقع في البلاد الشامية ، فأرسل حضرة السلطـــان إلى والي مصر يأمره برفع عساكره عن عـكا ، فامتنع ، فأمر السلطان بجمع العساكر العثمانية وأمر والي حلب بالتوجـــه إلى مساعدة عبد الله باشا ، واستمر العسكر المصري يضـارب عكة بحرب لم يسمع بمثله ، وقد ورد كتـــاب من والي عكة إلى بعض أعيان دمشق يقول فيـــه : إن نارهم بالمدافع والقنابر لا تفتر دقيقـــة واحدة وإنهم يضربون اثنين وعشرين مدفعـــاً بفتيل واحد ، وإنهم في سادس شوال اقتحموا على عكة ودخلوا من الجهات التي خربوها من السور فخرج إليهم عسكر عكة وضاربوهم بالسيوف ومن فوق السور بالمدافع والقنابر حتى أهلكوا غالب من اقتحم وامتلأ وجه الأرض من قتلاهم فانهزموا خائبين ؛

وبسبب هذه الفتنة تعطلت الأموال الأميرية المعينة على نابلس وطرابلس وتلك الجهات لأجل ركب الحاج الشريف ، فورد الأمر السلطاني في خامس عشر شوال بأن لا يخرج الحاج في ذلك العام وأمر والي الشام بأن يتوافق مع أهل البلد ويحافظ الشام ، وفي ثالث وعشرين من شوال سافرت الصرة وأعيان الحج الموظفون إلى الاستانة ، وجاء في هذا الشهر عباس باشا بن محمد علي باشا إلى أرض البقاع العزيز وحصن بعض القلاع هناك ليقطع الطريق على العساكر العثمانية الواردة لقتالهم ، وافترق أهل جبل الدروز وتلك النواحي فرقتين فالنصارى منهم تابعوا الأمير بشير المتوافق مع ابراهيم باشا ، وخالفهم الدروز وأظهروا الإطاعة للسلطان ، وفي ذي القعدة توجه عثمان باشا الذي ولاه السلطان على طرابلس الشام بكل همة وجمع هناك عساكر كثيرة وحاصر طرابلس ، فوصل الخبر إلى ابراهيم باشا فتوجه من عكة بجمع من عساكره الحاصرين عكة إلى طرابلس ، فلما سمع به عثمان باشا خرج من طرابلس الشام لاقتضاء المقام ذلك ، وتفرقت جموعه ، ثم بعد أيام توجه ابراهيم باشا إلى حمص فدخلها في حادي وعشرين من ذي القعدة بلا قتال ، وكان في حماه جمع من العساكر العثمانية ومعهم ثلاثة من الباشوات القواد ، فلما سمعوا بوصول العسكر المصري إلى حمص ساروا إليهم ، فخرج ابراهيم باشا من حمص ولحقه بعض العساكر العثمانية خارج حمص عند البحيرة ، فرشقهم بالمدافع فرجعوا عند ذلك إلى حمص وأقاموا بها ، ولم يعينوا عبد الله باشا ، ولم يحصل منهم في هذه المدة سوى تثبيت البلاد ، وتوجه ابراهيم باشا إلى بعلبك وجاءه المدد من العساكر والذخائر ، وقام بإعانته أهل الجبل من النصارى والدروز وكان قبل ذلك قد قاتل بعض الدروز بعض النصارى ، فرجع إليهم ابراهيم باشا وكسر شوكتهم فأطاعوه ، وخرج حسين باشا سردار من الاستانة بعساكر عظيمة ، وولاه حضرة السلطان على مصر وما يليها ، وفي هذه المدة كلها يظهر محمد علي باشا الطاعة للسلطان

ولم يصرح السلطان بخروجه عن الطاعة بل وقع التصريح بخروج ابراهيم باشا وعباس باشا طمعاً في رجوعهما عن هـذا الأمر ، فلما رأت الحضرة الشاهانية أن محمد علي باشا مصرٌ على قتال عكة أرسل إلى البلاد يعلن بأن محمد علي باشا معزول من المناصب ، وأمر أهل البلاد بقتاله وورد الأمر إلى دمشق في نصف ذي الحجة بذلك وبتحصين البلد ، فحينئذ اشتد حصار ابراهيم باشا لعكة لعلمه بقرب مجيء حسين باشا ، فلما كانت ليلة الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام اقتحم العسكر على عكة ودخلوا إلى الأبراج على السلالم واستولوا عليها ، وقبض على عبد الله باشا ووقع من القتل والنهب والسلب ما لا يحمد ولا يحصر ، ولا يقال ولا يذكر ، وذكر بعضهم أن جملة من قتل من عسكر ابراهيم باشا اثنا عشر ألفا ومن عساكر عكة نحو خمسة آلاف ، وكان ابتداء حصاره لها في سابع وعشرين من جمادى الثانية فكانت مدة الحصار ستة أشهر ، ثم أرسل ابراهيم باشا عبدالله باشا من جهة البحر إلى الإسكندرية فلما علم محمد علي باشا بوصوله أرسل إليه يؤمنه ثم أرسل إليه أنواع الإكرام ، وأحسن له المعاملة والانعام ، ووصله بالهدايا السنية ، وأنزله منزلة علية ، ثم وجهه إلى الاستانة المحمية ، فغب وصوله وجهت عليه الدولة رئاسة الحرم الشريف في المدينة المحمدية ، وكان عالماً مطيعاً صالحاً محباً لذوي العبادة والصلاح ، وفي ثالث محرم الحرام سنة ألف ومايتين وثمان وأربعين أرسل ابراهيم باشا إلى دمشق يطلب منهم أن يمكنوه من الدخول إليها فلم يرسلوا إليه جواباً ، ثم طلب ثانياً فأرسلوا إليه أنا لا نمكنك من الدخول أصلا ، وفي ثامن المحرم جاء الخبر أن عسكره وصل إلى جسر بنات يعقوب فاستعـد أهل دمشق لقتاله ، واجتمع رؤساؤهم وتعاقدوا وتحالفوا على أنهم يد واحدة بعد ما كان بعضهم يميل إلى إبراهيم باشا خوفاً من انتقام الدولة من الشام بسبب قضية سليم باشا الآتية في ترجمته في حرف السين ؛ وحصل لأهل البلد والقرى

انزعاج شديد ، وشرع أهل القرى والأطراف في نقل الأمتعة لداخل السور ، وكتب وزير الشام إلى الباشوات الذين في حمص ومعهم وزير حلب أن يعينوا أهل الشام بعساكر من عندهم ، وأرسل ابراهيم باشا إلى بعض أعيان دمشق كتاباً مؤرخاً في تاسع المحرم يهددهم فيه ، وفي آخره أن بلاد عربستان قد ملكناها بسيفنا ولا يأخذها أحد منا ما دمنا في قيد الحياة .
وفي رابع عشر المحرم وصل بعض جيوشه إلى قريب من قرية داريا قرية من قرى الشام بينها نحو ثلاثة أميال ، فخرج إلى لقائهم خلق كثير من أهل دمشق فقاتلوهم قتالاً يسيراً ، ولم يقصد كل من رؤساء الفريقين اضرار الآخر ، وقتل من كل فريق رجل أو رجلان ، ثم رجع أهل الشام مظهرين الانكسار ، ولم يبق من أهل الشام رجل خارج البلد ، وبات أهل البلد تلك الليلة في كرب شديد وكل أهل محلة يحفظون محلتهم ، وفي ليلة الخميس خامس عشر المحرم نصف الليل هرب علي باشا وزير الشام وعسكره والقاضي والمفتي المرادي والنقيب العجلاني ومحمد جوربجي الداراني ، وجميع أبناء الترك الموظفين ، وغالب وجوه الشام ،وأصبحت البلدة نهار الخميس خالية من رؤسائها وأعيانها ولم يبق أحد ممن يعتمد عليه ، فأرسل ابراهيم باشا إلى أحمد بيك الدالاتي ربيب يوسف باشا الكنج فأقام متسلماً في البلد ، وأمر منادياً ينادي بالأمان ، وفي ضحوة النهار دخل العسكر إلى السرايا والمرجة ، ثم دخل ابراهيم باشا قبيل الظهر وطلب أن يتسلم القلعة من رئيسها علي آغا عرمان فأجابه بالامتثال وفتح الباب ، فأدخل ذخيرته إليها وعسكره وقت العصر ، وجاءه في ذلك النهار أمراء الدروز ومعهم خلق كثير من نصارى ودروز ، وقد لطف المولى سبحانه وتعالى كما هي عادته برفع القتال وبالإذعان والتسليم من دون ضرب ولا طعن ولا سفك دماء ، ثم كتب إلى الهاربين أن يرجعوا إلى أوطانهم ، فالذين ذهبوا إلى حمص وهم الباشا والقاضي والداراني ورؤساء المغاربة والأكراد أبوا الرجوع واستقاموا مع بشاوات العساكر السلطانية ،

وأما الذين ذهبوا إلى القريتين وهم المفتي والنقيب ورشيد آغا وكيلا راميني فإنهم رجعوا إلى دمشق ، ثم عزم ابراهيم باشا على قتال الذين في حمص فشرع في جمع الذخائر والعساكر ، وورد إليه من مصر عسكر كثير من النظام والأعراب وغيرهم ، واجتمع عند عباس باشا أيضاً في بعلبك جموع كثيرة ، ثم خرج ابراهيم باشا من دمشق في ثالث صفر وأخرج معه رؤساء المحلات كالرهينة ، وأقام مقامه أحمد بك الدالاتي ونصب القلالق في المحلات ، ثم جاء الخبر يوم الثلاثاء في ثاني عشر صفر أنه حصل بينه وبين العسكر السلطاني في حمص قتال نهار السبت تاسع صفر ، وأنه قتل منهم نحو خمسة آلاف وأسر نحو أربعة آلاف وفر باقي العسكر والباشوات وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وأخذ مدافعهم وذخائرهم وخيامهم وسائر موجوداتهم ، وكان في قلعة حمص جماعة منهم فطلبوا منه الأمان فأمنهم وأنزلهم من القلعة وتسلمها منهم ، وبعث إلى متسلم الشام بأن يعلن بالنصر فأمر أهلها بالزينة ثلاثة أيام ثم توجه نهار الثلاثاء ثاني عشر صفر إلى جهة حماه وهرب متسلمها ، فأقام فيها متسلماً رشيد آغا الشِمْلِي ثم بلغه الخبر أن حسين باشا سردار وصل إلى حلب وأن الباشوات الهاربين من حمص ذهبوا إلى حلب أيضاً مع عساكرهم ، فلحقهم ابراهيم باشا ونزل قبيل حلب بنحو أربع ساعات ، فطلب حسين باشا من أهل حلب أن يخرجوا معه لقتال ابراهيم باشا فقالوا له نحن لا نقاتل معك ولا معه بل نحن رعية لمن غلب فإنا نخاف على أنفسنا وعيالنا ، فخرج حسين باشا من حلب هارباً هو وبقية العساكر والباشوات وترك بعض العسكر الذي جاء به وذخائره ، فخرج أعيان حلب إلى ابراهيم باشا يستقبلونه وينالون أمانه ، فدخلها ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر بلا قتال أصلاً ، ثم خرج منها يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر إلى أنطاكية وعينتاب واللاذقية ، وورد الخبر نهار السبت سابع ربيع الأول أنه استولى على حصن اسكندرونة وعلى حصن بانياس وبيلان ، وكان فيه حسين باشا وحصلت مقتلة عظيمة ، ثم

هرب حسين باشا ومن معه من الوزراء والعساكر الكثيرة ، وقد شاع أنها مائة وخمسون ألفاً ، وترك جميع مهماته ومدافعه وذخائره ، ثم سار ابراهيم باشا بعد ذلك إلى ادنه وقد دخلها من غير قتال في غرة ربيع الثاني وأقام بها شهراً ، ثم حاصر (بوكله) ومن فيها من العساكر السلطانية ودخلها في غرة جمادى الأولى بعد قتال رشيد باشا ، وفي آخر جمادى الثانية قدم إلى دمشق رشيد بك أميراً عليها من قبل محمد علي باشا ،وفوض إليه النظر في أمر بلاد الساحل والقدس وغزة والشام وحلب ، ثم جاء الخبر في خامس رجب أن ابراهيم باشا دخل إلى قونية وكان فيها أربعة عشر وزيراً ، فلما سمعوا بوصوله هربوا ودخلها بلا حرب ولا قتال ، وجاء الأمر إلى دمشق بالزينة وضرب المدافع ثلاثة أيام في كل يوم ستين مدفعاً ، ثم جاء الخبر في آخر شعبان أن الوزير الأعظم جاء إلى قريب من قونية ، فخرج إليه ابراهيم باشا وأسره وفرق جمعه وأسر من عساكره نحو سبعة آلاف ، وأرسل إلى مركز سورية دمشق الشام بعمل الزينة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً مع ضرب المدافع وإظهار دواعي السرور والحبور ، وقد نظم أمين أفندي الجندي الشاعر هذه القصيدة مادحاً ابراهيم باشا ومتعرضاً بها لهذه الوقائع التي تقدم ذكرها ، وكان بنظمها كما قيل : مكره أخاك لا بطل .

نحن الأسود الكاسره	نحن السيوف الباتره
من أرض مصر القاهره	سرنا وقد نلنا المنا
بارودنا شراره	تشوي الوجوه ناره
وعزمنا بتاره	من العدا أمكننا
نحن بنو الحرب فلا	نخشى غبارا إن علا
ولم نضق عند البلا	صدراً إذا الموت دنا
بالروح جدنا كي نقيل	لمصرنا الفخر الجميل
ونبتغي الفضل الجزيل	فعلا يعز الوطنا

عاداتنا أخذ الرجال بالبيض والسمر العوال
ونارنا بالاشتعـــال لهيبها يبدي السنا
جهادنا لا ينكر في كل قطر يذكر
وسيفنا إذ يشهر للنصر يبدي معلنا
اما العلا تقديمهـــا مستوجباً تعظيمهـــا
الشاه ابراهيمهـــا أدامـه المولى لنا
أبو خليل في الحروب لا زال كشاف الكروب
وحينَ يدعى للركوب بالبيض يغزو والقنا
لمـــا غزونا عكة بالطوب دكت دكتا
وللأعـــادي بكتا هجومنـــا واخذنا
صبحاً علونا سورها وقـد هدمنا دورها
أما ترى قصورها قد حلها هدم البنا
فزنا بفتح الطائلي للقـــدس والسواحل
والشام ياذا الكاملي والله قـــد أعزنا
ويوم حمص لو ترى على العداة ماجرى
وقد علا فوق الثرى صرعى يقاسون الضنا
هناك أضحوا هالكين وفي دماهم غارقين
وانحل عقـد الظالمين وحل للباغي العنـــا
ولحماة مع حلب سرنا وجدينا الطلب
ولم نجد بمن هرب إلا طريحاً بالضنا
وعند بيلان سمت وقائـــع قد عظمت
وللبغـــاز اقتحمت فرسانـنـــا وأسدنا
لما بهم غنى الحمـــام خلوا المهمات الجسام
وكل ماتحوي الخيام غنيمة أضحت لنـــا

في جفن حاز قد سما	حر الوغى محتكما
وجيشهم قد هزما	بالويل يشكو الوهنا
أمام قونه قد بدا	حرب مبيد للعدا
وحل بالضد الردى	لما استخفوا بطشنا
وقد أطلنا قهرهم	لما أمرنا صدرهم
ومذ ولينا أمرهم	بالذل مالوا نحونا
هذا وهذا كله	عزيز مصر أصله
وليس يخفى فضله	دوماً على أهل الثنا
فنسأل الله المعين	بحرمة الهادي الأمين
يديمه للمسلمين	مولى مغيثاً محسناً

ولما قرئت هذه المنظومة المزدوجة على ابراهيم باشا وأنشدت بين يديه أمر للشيخ أمين ناظمها بمائة دينار، فدفعت له في الحال، ثم ان ابراهيم باشا أراد أن يتجاوز حدوده، وأن يبلغ مراده ومقصوده، وذلك أنه في خامس شعبان صدر الأمر من والي الشام شريف بك بجمع أعيان البلدة وعلمائها ورؤسائها، وغب اجتماعهم أخرج كتابة من محمد علي باشا مضمونها أن السلطان محمود خرج عن طور أسلافه وأنه زاد في الظلم والبغي وأنه أمر بتغيير زي الناس وملبوسهم ومساواة النصارى مع المسلمين في الزي، وأن سبب ذلك سوء رأيه ولذلك تغلب عليه أعداؤه من الفرنج حتى ملكوا معظم بلاد الإسلام، وأنه لم يبق له عند الملوك احترام ولا اعتبار ولا عند رعيته، وأنه بسبب ذلك صارت المصلحة في عزله من السلطنة وتولية ابنه محله لأجل نظام الملك وإقامة أحكام الشريعة، لأنه لو بقي في السلطنة يزيد الضرر على المسلمين، وطلب إخراج فتوى بجواز ذلك وأن يكتب عليها المفتي وعلماء البلدة من جميع المذاهب، فكتبوا له ما أراد، وسايروا هذا الباغي الذي لربوع الطغيان شاد .

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وأفتوه بأنه يجوز خلع الإمام ، إذا جار ونهج منهج الشام ، ولزم من ابقاءه ضرر ، ولم يلزم من خلعه فتنة هي أكبر وأضر ، وأدهى وأمر ، وادعى كذلك هذا الباغي على حضرة المرحوم السلطان محمود ، ان الذي وقع من عماله في أيامه لم يسمع بمثله من اختلال نظام البلاد ، وأحوال العباد ، حتى خربت بلاد الروم والأناضول من أخذ رجالهم للحرب وسلب أموالهم واستيلاء الإفرنج عليهم ، وكذا غيرها من البلاد ، وما وضع من الأعشار والمكوس والمصادرات وزوال الأمن عن أهل المدن في بيوتهم فضلاً عن البراري ، فاستولت الأعراب على القرى وعلى الأغلال وارتفعت الأسعار وانتهبت القوافل ، وفي غرة رمضان أمر والي الشام وهو شريف بك بجمع المفتي والنقيب وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ليلة شهر رمضان ، فقال : إن أفندينا محمد علي باشا كتب إلى البلاد من شهرين بأن من أراد الحج فليقدم إلى الشام ، فما حضر إلا نادر من الأفراد فلذلك لم يخرج الحاج . ثم ان ابراهيم باشا لما ازداد في سموه وزاد في عتوه منعته الأجانب ، وتعصبت الإنكليز إلى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من انتشار قوة إسلامية شابّة ذات سلطة ومركزها مصر ، فتخشى أن تمتد من هناك إلى الهند الذي هو روح قوة الإنكليز لاسيما إذا عاضدته إحدى الدول الأوروباوية مثل فرانسا ، فلذلك حاربته مع الدولة العثمانية التي هي إذ ذاك على تعب شديـــد من حرب الروسيا والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهروا محمد علي باشا ، ولكن لإتمام مقاصد الإنكليز لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار إليها أيضاً ، فكان الأوفق لها إبقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كل من الجهتين ، وبقي محمد علي باشا والياً على مصر على شروط معلومة في ترجمته ، وجاء خبر الصلح على ذلك إلى الشام تاسع عشر ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومايتين وألف ،

وكان قد تمكن ابراهيم باشا من البلاد الشامية وقهر الناس واستباح الحرام ، وفعل جميع الموبقات والآثام ، فلم يبق شي من القبائح في زمنه إلا وقد فعل بدون إنكار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وكان قد وضع بعد إحصاء أهل المدن والقرى في دفتر على كل فرد من البالغين منهم مالاً أقله خمسة عشر قرشاً وأكثره خمسماية قرش ، تؤخذ منه في كل سنة ، كما وضع ذلك من قبل على أهل مصر واستولى العسكر على أكثر المساجد والمدارس والتكايا ، ومنعوا المصلين من دخولها وجعلوها اسكنائهم ولدوابهم ، وذلك سنة تسع وأربعين ، فكان ذلك سبباً لضياع أوقافها وخرابها ، وقدم العيسوية على المحمدية ، وأذل أهل الشرف والعلم وذوي الاحترام ، وأعز الأسافل والطغاة على الإسلام ، ثم بعد رجوعه من البلاد الرومية ، لا زال يدور في البلاد الشامية ، حتى وصل في أواخر سنة تسع وأربعين إلى القدس الشريف في أيام الموسم ، فوقعت هناك فتنة بين العيسوية تلف منها خلق كثير ، وفي سنة ألف ومايتين وخمسين اشتغل بإدخال من وقع في أيديهم من الناس في العسكرية ، فهرب الناس وتشتت أمرهم وكثر البكاء والنحيب وتوقفت الأشغال والمصالح ، وطلب من جبل نابلس إجراء ذلك عليهم ، فخرجوا عن الطاعة وحصروا ابراهيم باشا في القدس ، واجتمع منهم خلق كثير ولا زالوا محاصرين له نحو شهرين ، وكان رئيسهم الشيخ قاسم الأحمد ، فلما ضاق به الحصار وأيقن بالهلاك والدمار أرسل إلى قاسم الأحمد كتابة تلطيف مصحوبة بمال جسيم ، ووعده بالالتفات والتقديم ، وأنه لا يأخذ منهم عسكراً ولا مالاً ، وأنه يوسعهم نعمة ونوالاً ، فرضي قاسم الأحمد لقلة عقله وسوء رأيه وجهله ، وفك عقدة الحصار والضيق ، وتفرق الناس متمسكين بما جرى من العهود والمواثيق ، فخرج ابراهيم باشا حتى وصل الى يافا فوجد العساكر قد وصلت لنجدته ، وتخليصه من نكبته ، فنكص على عقبه في الحال ، واشتغل بالقتل والنهب والحرق وسلب الأموال ، فهرب

قاسم الأحمد إلى الخليل ، فلحقه ابراهيم باشا بعساكره واشتغل بالنهب والسلب والقتل حتى لم يبق منهم إلا القليل ، ثم دار على الساحل ، ففعل بأهله هذه الرذائل ، ولم يزل يتتبع آثار قاسم الأحمد حتى قبض عليه ، وقتله بدمشق هو والبرقاوي ونكث العهد الذي عهد به إليه ، وأمر بجمع السلاح من سائر البلدان ، التي تحت أمر هذا الشيطان ، ولم يزل في ظلم وعناد ، وقبح وفساد ، وسفك وسلب ، وقتل وضرب ، إلى أن دخلت سنة ثلاث وخمسين هجرية ، فطلب من جبل الدروز الشرقي مائة وثمانين نفراً للعسكرية ، فحضر مشايخ الدروز وطلبوا استبدال ذلك بالمال ، فلم يرض إلا بإحضار الرجال ، فأجابوه بأنهم يبادرون إلى الإحضار ، من غير تأخير ولا اعتذار ، وقصدهم التخلص من هذا الظالم ؛ والعاتي الغاشم ، فلما وصلوا إلى الأوطان ، أزمعوا على عدم الطاعة والإذعان ، وغب وصول الخبر ، توجهت إليهم العساكر كالجراد إذا انتشر ، وكان أمير الجيوش علي آغا البصيلي وهو كبير طائفة الهوارة والصعايدة ومعه عبد القادر آغا أبو جيب من أهل الشام من ميدان الحصى ، فعقدوا هناك مع كبراء الدروز مجلساً للمشاورة في هذا الأمر ، فامتنع الدروز من دفع الأنفار ، وقالوا ندفع من المال ما يزيد عن البدلات ، فقال البصيلي اني أرسل مراسلة أستشير بها أفندينا وعلى ذلك قر القرار ، ففي تلك الليلة كبست الدروز العساكر ، وأذاقتهم كؤوس المنية حتى لم يبق منهم إلا النادر ، ومن جملة من قتل عبد القادر آغا أبو جيب ، وكان المتسلم في جبل حوران والدروز ، وآلت جميع أمتعة العساكر وآلات حروبها إلى الدروز ، ولم يسلم من القتل سوى علي آغا البصيلي ومعه خمسة عشر نفراً ، فوصل الخبر إلى ابراهيم باشا فصعب عليه الأمر ، وصار بصره يتوقد كالجمر ، وابتدر بجمع العساكر ، واستعد فوق العادة من المهمات والذخائر ، ووجههم للقتال ، وأوصاهم بالاستئصال ، فحين علم الدروز جمعوا جميع متاعهم ودخلوا اللجاه ، ولا ريب أنه محل

الأمن والنجاة ، لأنها حصن حصين ، وملجأ رصين ، فعب وصول العسكر قامت الحرب على ساق ، وكان الفناء على العساكر الإبراهيمية قد ركب جواده وساق ، وأول من قتل من رؤساء العساكر العظام ، محمد باشا القائد العام ، وتبعه يعقوب بك فقتلا أقبح قتلة ، وامتد القتل إلى البقية من غير مهلة ، فكانت الدروز على هذا الباغي سيف الانتقام والهوان ، وبعد مدة تحرك العصيان جبل الدروز الغربي تحت رئاسة الشيخ شبلي العريان ، ولم تزل بعد ذلك يد الصغار تستطيل عليه ، وتتوجه جيوش التأخير إليه ، وفي سنة خمس وخمسين توفي السلطان محمود ، وتولى إمارة المؤمنين السلطان عبد المجيد خان ، لا زالت دولتهم محفوظة إلى آخر الدوران ، وفي تاريخه أمر ابراهيم باشا بأمر والده بقتل علي آغا بن محمد آغا خزنه كاتبي ، وبعد مدة أمر السلطان عبد المجيد خان بخروج ابراهيم باشا بعساكره من الأرض الشامية ، إلى الأقطار المصرية ، فأجاب الأمر بالسمع والطاعة ، وجمع عساكره وذخائره ومتاعه ، وفرق ذلك بالشام ، على المساجد والجوامع وبيوت الأرامل والأيتام ، ثم بعد شهرين من مجيء الأمر بخروجه خرج من باب الله بعساكره ونزل بسهل القدم ، بعد أن جعل الشام وأهلها من كل نعمة في عدم ، وذلك في اليوم السادس من ذي القعدة الحرام ، سنة ست وخمسين ومايتين وألف من هجرة سيد الأنام ، وكان يوم خروجه يوماً شديد الثلج والبرد ، والهواء والشرد ، وكان يحث عساكره على العجلة والسرعة ، ومن تأخر ولو لتعب كان قبره موضعه ، وأخذ معه جميع الحبوب والمواشي ، من غير خوف ولا تحاشي ، ولما وصل مصر امتدحه مهنئاً له الشاعر الأديب ، والماهر الأريب ، محمد شهاب الدين صاحب الديوان بقوله ، وإن كان مدحه في غير محله :

سمهري يثني أم غصن بان   أم قوام دونه صبري بان
صال بالعسال مغسول اللما   وتهادى هادماً ما أنا بان

يا مليك الحسن رفقاً بشج ... كلما حاول كتم الشجو بان
مرج البحرين فيضاً دمعه ... إذ رأى جفنيه لا يلتقيان
جاء لما جار سلطان الهوى ... طالباً من عادل القد الأمان
رُبَّ ساق وهو قاس قلبه ... عطفه منذ أدار الكأس لان
أهيف إن ماس تيهاً ورنا ... رحت منه بين سيف وسنان
كسر القلب وما كان التقى ... فيه من حين هواه ساكنان
يا له ثاني عطف قد غدا ... واحداً في الحسن فرداً دون ثان
من رآه وهو يسعى بالطلا ... قال ما أسعد ذياك القران
هو بدر أشرقت أنواره ... وضياء البدر يبدو حيث كان
وهو شمس بسناها احتجبت ... لكليم الطرف قالت لن تران
فاسقنيها أيها الساقي على ... عارض الآس وثغر الاقحوان
في رياض رقصت أغصانها ... حيث غنتها من الطير قيان
حدق النرجس فيها عينه ... إذ رأى المنثور يومي بالبنان
إن بكى الطل على أفنانها ... بسم الزهر وعن در ابان
بينما الراووق يهمي دمعه ... في رباها قهقهت منه القنان
لمدير الكأس في أدواحها ... لم تلح شمس سوى شمس الدنان
يا نديمي قم وبادرها وطب ... هذه الجنة والحور الحسان
وأدر لي بنت كرم عتقت ... نورها الباهر يحكي البهرمان
زوجت بالماء بكراً فأتت ... إذ علاها بذراري من جمان
بالنهى قد فعلت كاساتها ... فعل ابراهيم سلطان الزمان
أسد الهيجاء ضرغام الوغى ... قاصم الأعداء من قاص ودان
فهو كالشمس سمت آفاقها ... وسناها كان في كل مكان
فرع أصل قد تسامى في العلا ... وعلا شأناً على رغم لشان
سرّه أن كان مَن عسكره ... ورمى القرن فنادى يا رمان

سطوات بأسها حامي الحمى   واكف كم بها كف افتتان
كم له في السلم من مرحمة   وكأين من حنو وحنان
يمم اليم ورد ما تشتهي   وعلى المورد ياصاح الضمان
لم يكن في كل بحر لؤلؤ   انما اللؤلؤ في بحر عمان
حلمه الروض جناه يجتنى   ويرجّي العفو فيه كل جان
همم فوق السموات سمت   ومعال دونهن الصعب هان
وحلى جلت وجلت غاية   أيجارى من له سبق الرهان
ياعزيزا لايضاهى ابداً   عزه يكسو العدا ثوب الهوان
كم حروب كشفت عن ساقها   خاضها طرفك مطواع العنان
بجيوش شمرت عن ساعد   ماله يوم نزال من توان
هاك مني بنت فكر تنجلي   في حلي من بديع وبيان
قد اعيذت بشهاب ثاقب   صانها عن كل شيطان وجان
وبدت من خدرها قائلة   ان وصلي للحبيب الآن آن
وبودي لو الاقي حظوة   منه تكسوني جلابيب امتنان
فَدُنُوِّي منه غايات المنى   وقبولي منتهى كل الأمان

وكانت وفاة المترجم المرقوم ختام ذي الحجة الحرام سنة اربع وستين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام ، وكان ذلك في حياة والده لأن والده توفي أول ليلة من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين ومائتين والف ، ودفن في جامعه الذي أنشأه في قلعة الجبل .

الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبد الله الحنبلي الدمشقي

كان عالماً بارعاً ، وزاهداً عابداً ورعاً ، فقيهاً في مذهب سيدنا الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ريب أنه ذو مقام كامل اكمل ولم اطلع له على

شيء من الشعر ، ولا من السجع والنثر ، توفي رحمه الله سنة اثنتين وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة العارف بالله الشيخ رسلان ، قدس الله سره وجعل الفردوس مقره .

الشيخ ابراهيم الزهيري الشافعي المصري

مفرد لأشتات العلوم جامع ، وأديب ضوء أدبه لامع ، تقنع بقناع الزهد والكفاف ، وارتدى برداء الصون والعفاف ، قد نبذ الدنيا وراء ظهره ، ورضي منها بكفايته من غير زيادة مدى عمره ، توفي رضي الله عنه سنة اربعين ومـائتين والف من الهجرة ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمة الله عليه .

الشيخ ابراهيم السقا الشافعي المصري الازهري

العالم العامل ، والعلامة الفاضل ، خاتمة الفقهاء الشافعية بالديارين الشامية والمصرية ، فلا غرو أنه الشيخ الإمام ، والأوحـــد الهمام ، له همة في العلوم عالية ، وكمالات سنية سامية ، وطلاقة وجه وضي ، وطلاوة خلق رضي ، وسجايا تزدري بالرياض النواضر ، ومزايا تحار فيها الأعين النواظر قد تأهل لمشيخة الإسلام في الأزهر بشهادة العلمـاء الأعلام ، غير أن الحظ بعد موت العلامة الباجوري قدم غيره عليه ، وجعل أمر مشيخـة الأزهر إلى غيره لا إليه ، وله مؤلفات عديدة (١) ، وتقريرات مفيدة ، وكان خطيب الجامع الأزهر ، والمـكان الأنور ، وله ديوان بديع يخطب

---

(١) منها « غاية الأمنية في الخطب المنبرية ــ ط » و « حاشية على شرح البيجوري لعقيدة السباعي ــ خ » في مجلدين ، ورسالة في مناسك الحج « وحـاشية على تفسير أبي السعود » ، لم يتمها ، و « التحفة السنية في العقائد السنية ــ خ » الأعلام (ج ١ / ٤٨) .

فيه من إنشائه ، يعرب عن فضله ورفعة قدره بين أمثاله وقرنائه ، قد اجتمعت به في الأزهر سنة ثمانين ومائتين والف فدعا لي وأجازني بما تجوز له روايته عن مشـايخه ، غير اني لم أجتمع به مرة ثانية ، لأنه كان منحرف المزاج ، ومشتغلاً في أغلب الأوقات بأخذ العلاج ، وكان الأزهر الشريف فارغاً من الناس فلذلك كان خروجه إلى الجامع قليلاً ، لأن الطلبة وأكثر العلماء كانوا في مولد السيد البدوي والدروس في الأزهر مرفوعة ، وكان الناس يومئذ في كرب شديد وهم عظيم ، بسبب وقوع الريح الأصفر عندهم ، ومما كتبه المترجم المرقوم إلى السيد عبد الهادي بن السيد رضوان نجا الأبياري من مصر حينما كان المومى اليه مسافراً منها ، وغائباً عنها فقال :

لقد كمل الرحمن وصفك بالعـلا وما شين شيء من كمالك بالنقص
ومن جمع الآفاق في العين قادر على جمع أشتات الفضائل في شخص

حلت منّا أحرف المحبة محل الزلال من الصادي ، وفوضنا الأمر في تمتعنا قريباً بعودة العبد الجليل لربه الهادي ، وقد اتحفنا من حضرة أمير الكلام بدر منثور ، وأشرقت منه المودة في ليالي السطور ، فسبحـان من أودعك سراً أنت به العلم المفـرد بين الملا ، تحدث بأعذب منطق « ماودعك ربك وما قلى » :

ويشهد الله وحسبي به اني إلى مجدك مشتـاق

فلله مزاياك التي لاتبعث إلا على مزيد الاشتياق ، ومكارمك التي قضت لك بالتفوق على الأقران بالاتفاق ، ولقد شق علينا بُعْدُك مشقة كبرى ، وحرماننا من أنسك الذي يقوم مقام الراح للأرواح سكراً ، واني لأعجب ممن جهل عظيم قدرك فعاداك ، ونقل عنك مـالم تتفوه به قط فاك ، فإنه حسد ومثلك من يحسد ، والحسد لاتهمد ناره ولا تخمد ، انما أعجب ممن

كونه ظلم نفسه وانطوى على البغي الشنيع ، وانه لايرقب في مؤمن إلّا ولا ذمة وان الله لسميع ، تحلّى وتروّج بالكذب والتمويه ، وتخلى عن كل مافيه على كرم النفس دلالة وتنويه ، ولكن على جنابك حسن التفويض والتسليم لأمر مولاك ، فلا بد ان شاء الله أن يريك بسرعة العود لمصر ماتقر به عيناك ، وبالصبر تجتني ثمرات الآمال ، والله تعالى يحسن لنا ولكم الحال والمال ، آمين .

وله رحمه الله كتابات بديعة وانشاآت رفيعة ، ورسائل لاتبارى وعوارف في ميدان البلاغة والفصاحة لاتجارى ، توفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين وثمان وتسعين .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد درويش الشهير بالخلاصي الحلبي الأصل

الدمشقي المنشأ والموطن الحاذق الطبيب ، والحكيم النجيب ، قد انتهت اليه رئاسة الطب في عصره ، وكان الخاص والعام معترفاً بعلومه وقدره ، ينتهي أمر المشكلات في الطب اليه ، ولا يعول في زمنه إلا عليه ، وقد انفرد بمعرفة الداء من النبض والقارورة ، وللناس عنه حكايات تدل على كماله معروفة مشهورة ، وله مشاركة في بعض العلوم ، وشعر في سلك اللطافة منظوم ، وكان بمجرد القبض على النبض ، ورؤية القارورة يعرف حقيقة الداء ، ويعالجه بأحسن الدواء ، فلا ريب أنه جالينوس الزمان ، وبطليموس الوقت والأوان ، توفي اليوم السادس من شهر شوال سنة خمس وخمسين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير بالقرب من مقام السيدة سكينة .

الشيخ ابراهيم ابو اسحق برهان الدين الدمشقي

القطب الشهير ، والفرد الذي أطبق على ولايته الجم الغفير ، صاحب الكشف والكرامات ، والاخبارات عن المغيبات ، كان بركة الديار

الشامية ، ومقصد الدعاء في المدينة الدمشقية ، وكراماته ظاهرة ، وواقعاته باهرة ، وكان عفيفاً زاهداً ، وصالحاً عابداً ، ذا تقوى واقبال على مولاه ، واعتماد عليه في سره ونجواه ، ولد رضي الله عنه سنة ... ومات رحمه الله بعد سنة المائتين والألف ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشيخ ابراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحية دمشق ، يزار ويتبرك به ، والمشهور أن الدعاء عند قبره مستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته [١] ومحله بغاية الحسن والنزاهة لأنه مطل على سائر دمشق ونواحيها .

الشيخ ابراهيم بن محمد الزمزمي

المكي المولد والدار ، العلي المنصب والمقدار ، علامة الزمان ، وفهامة الوقت والأوان ، تصدى في أم القرى للافتاء والتدريس ، وكان يقري ويفيد ، ويخفض جناحه للمستفيد ، ويبذل كل علم نفيس ، ويتكلم في سائر العلوم ، ويجيد في بيان المنطوق والمفهوم ،

صفاته في العلوم إن ذكرت   يغار منها النسيب والغزل
تعرف من عينيه حقائقها   كأنه بالعلوم مكتحل

فائدة لاذهاب الصداع

ومن فوائده التي أفاد بها سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف أن من حصل له صداع فقال ويده على رأسه لا إله إلا الله مائة وخمساً وستين مرة زال عنه الصداع [١] والحكمة في ذلك أن هذا العدد موافق لعدد الصداع وعدد لا إله إلا الله ، فاحرص عليها فانها من عزيز الفوائد والمجربات العوائد ، ومن قال بعد العطاس وبعد أن يحمد الله اللهم ارزقني مالاً يكفيني ، وبيتاً طيباً واسعاً يؤويني ، واحفظ علي ديني ، واكفني شر مايؤذيني ، أعطاه الله ذلك بمحض فضله ومنه وكرمه . ولهذا المترجم شمائل

---

(١) كم للعقيدة من تأثير على المعتقد وغيره .

تدل على علو مقامه ، وسمو فضله واحترامه ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن احمد الزمزمي

الإمام العالم الفاضل ، والهمام الكامل العامل ، نادرة الزمـــان ، ونخبة الوقت والأوان ، وهو من أهل بيتٍ لهم فضل ومقام ، ورفعة بين ذوي الفضائل واحترام ، وإنه من العلماء الذين علمهم لاينكر ، وفضلهم في الأنام على الدوام يذكر ، وله مؤلفـــات كثيرة ، وأشعـار غزيرة ، إلا أنه لم يتيسر لي الوقوع على شيء منها مع أنني أكثرت من السؤال عنها ، وكان له ميل إلى العمل بالدليل ولا يعول نحو التقليد ولا يميل ، نظم متن الدرر البهية للبدر اليماني العلامة الشوكاني ، في فقه الحديث . توفي رحمه الله بمدينة أبي عريش سنة الف ومائتين وثلاث وستين .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن الامير الصنعاني اليمني ثم المكي

عالم الحجـــاز ، في الحقيقة والمجاز ، فاضل عصره وزمـــانه ، وفريد أهل مصره في أوانه ، ذو العلوم البديعة ، والمعارف الرفيعـة ، والزهـادة الحقية ، والعبادة النقية ، المتحلى بالفضـائل ، والمتخلي عن أنواع الرذائل ، ولد سنة الف ومائة وأربعين تقريباً ونشـأ في العلم والصلاح ، والتقوى والفلاح ، واستفاد وأفاد ، ونال من القبول أتم مراد . [١] مات رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة المَعْلى .

---

(١) من تآليفه : « مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن » و « فتح المتعال ، الفارق بين أهل الهدى والضلال » و « مجموع » ذكر فيه مؤلفات والده وشيوخه وتلاميذه ، وتراجم بعض معاصريه . كما في : « نيل الوطر ، والبدر الطالع » .

الشيخ ابراهيم بن اسماعيل بن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي

هو عالم زمانه، وجهبذ أوانه، ولد سنة الف ومائة وثمان وثلاثين في شهر رجب ونشأ في حجر والده، وكان شهماً صالحاً، وإماماً في العلوم راجحاً، ورعاً زاهداً، ومتقشفاً عابداً، توفي في شعبان سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين ودفن في مقبرة أسلافه .

ابراهيم بن الشيخ محمد الدمشقي العمادي

من الأعيان الأفاضل، وذوي الشأن والفضائل، تولى إمامة محراب الحنفية، مع الخطبة في جامع بني أمية، وكان فاضلاً صالحاً، عابداً زاهداً ناجحاً، ناسكاً لطيفاً، لين الجانب عفيفاً، مات نهار الأحد في الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم بن مصطفى أبو الصلاح الرحيباني ثم الحوراني ثم الدمشقي الشافعي

الخطيب والمدرس والإمام بجامع الدقاق بميدان الحصى، ولد سنة أربعين ومائة والف وبعد أن بلغ رشده وملك أشده، وقرأ في دمشق الشام، على بعض العلماء الأعلام، تشوقت نفسه إلى الانقطاع، ليكون له تمام الانتفاع، فسافر الى الديار المصرية، ليجاور في البقعة الشريفة الأزهرية، فقرأ في الأزهر على السادة الكرام وأخذ عن العلماء الأفاضل الأعلام، وأجازوه بجميع ماتجوز لهم روايته، وتنسب اليهم درايته، منهم السيد احمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر ابن بجير الدين الملوي الشافعي، والسيد محمد بن سالم الحفني، والسيد عبد الله بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي، والسيد محمد الصبان الشافعي، والعلامة محمد بن الامير المالكي القاهري، والعلامة الشيخ سليمان الجمل، والعلامة

الشيخ سليمان بن عمر بن محمد البجيري ، والعلامة أحمد بن موسى بن داوود العروسي الأزهري ، ومحمد ثعيلب بن سالم الفشني الشافعي الأزهري ، والعلامة علي بن أحمد الصعيدي المالكي ، واحمد بن عبد المنعم بن صيام الشافعي ، وشيخ الدماشقة الأخيار ، الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر الشافعي الشهير بالعطار ، والشيخ محمد الكزبري ، والشيخ حسين بن طعمة ابن محمد الشافعي البيتماني الأصل الدمشقي الميداني القادري ، والشيخ أبي المواهب الحنبلي ، والشيخ محمد الكاملي ، والشيخ عثمان الشمعة ، وغيرهم من العلماء العاملين والفضلاء الصالحين ، وكان هذا المترجم من أهل العزلة والانفراد عن الناس متقشفاً متنبهاً لآخرته ، وفي آخر عمره غلب عليه الجذب ، مات رحمه الله يوم الجمعة وقت الزوال سادس عشر شوال سنة أربع وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الله قرب قبر والدي وقبر الشيخ تقي الدين الحصني رحمهم الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن عبد الله السويدي

ولد سنة الف ومائة وست وأربعين وبلغ من العلم والعمل ، فوق ماتعلق به الرجا والأمل ، وصار من السادة الأفراد ، والقادة العبّاد ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ، وصار في زمانه ممن نهج مناهج الفضل في سيره ، مات سنة ست ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم أبو عبد اللطيف بن أخت الشيخ أبي بكر الخلوتي الدوغراني ثم الدمشقي الخلوتي الحلبي الشافعي القادري

الإمام الفقيه ، النبيه ، النحوي اللغوي الصرفي الصوفي المحدث الكبير ، والعالم الشهير ، البركة القدوة الصالح العابد ، المرشد الزاهد ، الخاشع الناسك الأوحد المتفنن بقية السلف الصالح . ولد بدمشق سنة اثنتين وخمسين ومائة والف ، وأخذ عن العلامة عطية

الأجهوري ، والعلامة سليمان الجمل ، والفاضل الشيخ محمد الصبان ، والعلامة الشيخ محمد الجوهري ، والعلامة أحمد الفالوجي ، والعلامة الشيخ علي الصعيدي ، والأوحد الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عباده ، والشيخ السومي ، والشيخ الدردير ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ محمود الكردي ، والشيخ محمد الحفني ، والشيخ عبد الكريم السمان ، وغيرهم . وأخذ عن العلامة الكزبري الكبير ، والشيخ أسعد المنير البعلي ، ثم الدمشقي ، مات يوم السبت تاسع ربيع الأنور سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

السيد ابراهيم بن احمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين بن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلقه الشهر

النجيب الذي أبدع فيما أبدى ، وطرز من نسيج فكره للآداب والفضائل حللاً وبرداً ، تأبى غير اكتساب المعارف همته ، ولا تميل إلا لانتسابه إلى المعالي بغيته ، وله فطنة قضت له بالحظ الأوفر الأوفى ، وقريحة لم تستق إلا من المنهل العذب الأصفى ، وقد اشتهر في زمانه اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وافتخر به مصره على باقي الأمصار ، ومن جملة من ترجمه الإمام الجبرتي بقوله : الجناب الأوحد ، والنجيب المفرد ، والفصيح اللبيب ، والنادرة الأريب ، تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني ، إذ كان إمام والده وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة ، فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الاكبر يوسف في كتابة قلم الشهر ، فلما شاخ وكبر ، سلمه إلى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتباً نفيسة ، وتمهر في غرائب الفنون ، وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والاذكار على الشيخ محمد كشك ، وكان يبره ويلاحظه بمراعاته ، وانتسب اليه وحضر

الصحيح وغيره على شيخنا السيد المرتضى الزبيدي ، وسمع عليه كثيراً من الأجزاء الحديثية في منزله بالركبيين وبالأزبكية في مواسم النيل ، وكان مهيباً وجيهاً ذا شهامة ومروءة وكرم مفرط ، وتجمل فاخر ، تَمَلّهُ فوق ماسمته مهمته ، سَمُوحاً بالعطاء متوكلاً ، توفي صبح يوم الاربعاء غاية شهر شعبان سنة اثنتين ومائتين والف بعد أن تعالّ سبعة أيام ، وجهز وصُلّيَ عليه بمصلى شيخون ، ودفن على والده قرب السيدة نفيسة رضي الله عنها .

ابراهيم جلبي بن أحمد آغا الباوودي الشافعي المصري

الفريد الذي أبدى المحاسن وأبدع ، والوحيد الذي من سلسال حياض النباهة تضلع ، واللبيب الذي سلك مسالك المعارف ، والنجيب الذي ملك منها كل تليد وطارف ، والكامل الذي انتقى أحسن الخصال ، وترقى على درج الجد والاجتهاد إلى أن بلغ رتبة الكمال ، وهو من رجال الجبرتي القائل فيه : الصنو الفريد ، والعقد النضيد ، الذكي النبيه ، من ليس له في الفضل شبيه ، ولد في مصر ونشأ في حجر والده إلى أن توفي والده المرقوم سنة اثنتين وثمانين ومائة والف فعانى المترجم تحصيل الفضائل ، وطلب العلم ولازم حضور الدروس في الأزهر في كل يوم ، وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ احمد الخانيونسي ، وفي المعقول على الشيخ محمد الحفني [١] والشيخ علي الطحان ، حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر ، وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار مايحتاج اليه من المسائل النقلية والعقلية ، وترونق بالفضائل ، وتحلى بالفواضل ، إلى أن اقتنصهُ في ليل شبابه صيّاد المنيه ، وضرب سورٌ بينه وبين الأمنية ، وذلك سنة خمس ومائتين والف .

---

(١) في تاريخ الجبرتي : الحشني

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمود الحريرى الحنفى الأزهرى
مفتي السادات الحنفية بمصر

الماجد الذي ابتهجت به وجوه المعالى ، وتبسمت له ثغور المكارم الباسمة باللآلىء ، وقد ساعده وقته بالاقبال ، وصدّره في مصادر الرفعة والإجلال ، فأبدى من خزانة فكره عقود الفضائل ، وأنشأ من معدن قريحته فرائد الفواضل ، واستوى على عرش الرفعة والكمال ، واحتوى على مايثبت له كل فضيلة واجلال ، كيف لا وهو مفتي الأنام ، ومرجع الخاص والعام ، وقد أحسن الجبرتي الهمام ، قائلا في ترجمة هذا الإمام : العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، والإمام الفقيه ، والهمام النبيه ، تفقه على والده الرفيع الشأن ، وحضر في المعقولات على أشياخ الوقت كالبيلي والدردير والصبان ، وأنجب وتمهر في العلوم العقلية والنقلية ، وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للأصول والفروع الفقهية ، ولما مات والده في رجب سنة الف ومائتين وعشرين ، تولى منصب والده في الإفتاء وإفادة المسلمين ، وكان لها أهلا مع التحري والمراجعة في المسائل ، والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الرذائل ، مواظباً على وظائفه ودروسه وما يثبت جميل المآثر ، ملازماً لداره إلاّ عمّا دعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع الأكابر ، وكان مبتلى بآخرته بضعف البصر ، واعتراه داء الباسور فقاسى منه غاية الضرر ، وانقطع بسببه عن الخروج من داره ، ولم يزل ملازماً له حتى نزل بدار قراره ، توفي رحمه الله يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وصلي عليه في الأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويداري ظاهر حارة كتامه المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم البيسوني البجيرمي الشافعي الأزهري رحمه الله تعالى

الأوحد الذي علمه الله تأويل العلوم ، والأمجد الذي ملكه من مختومه خزائن الفهوم ، فأضحى في مصر المعارف ، قائلاً في ظل وارف ، مواظباً على الاعتكاف في محراب الإفادة ، والطالبون قد لازموا حرم كعبته للاستفادة ، كيف لا وهو العالم الذي يشار اليه بالبنان ، والعامل الذي أذعنت لكماله الأفاضل والأعيان ، والبحر العذب الطامي ، والغيث الهاطل الهامي ، ذو التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ولد سنة ست وخمسين ومائة والف تقريباً ، ونشأ من أول عمره منشأ غريباً ، فكان كل من رآه يعلم بالفراسة أنه سيكون له عز وجاه ، وقد ترجمه الجبرتي المفضال رحمه الله فقال : علامة زمانه ، وفهامة عصره وأوانه ، الفاضل الفقيه ، والكامل النبيه ، هو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمي الشيخ الصالح ، والورع الزاهد الفالح حضر على الأشياخ المتقدمين ، وهو في عداد الطبقة الأولى من المدرسين وكان متواضعاً لين الجانب ذا انس وايناس ، وأفاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس ، كان ملازماً للتقوى والعبادة ، ومحالفاً للقناعة والزهادة ، مستحضراً للفروع الفقهية ، والمناسبات المعقولة والشواهد النحوية والشعرية ، والمحاضرات الأدبية ، والمفاكهات العذبة الندية ، جيد الحافظة لاتمل مجالسته ولا تعل مؤانسته ، ولم يزل على حالته وافادته ، وزهده وعفته وعبادته ، حتى خطبته المنية ، ودعته إلى منازلها العلية ، توفي يوم السبت نصف المحرم الحرام سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف عن نحو خمس وسبعين سنة .

السيد الشيخ ابراهيم بن الشيخ صالح بن الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن الرشيد

الأستاذ المحقق الرباني ، والملاذ المدقق الصمداني ، المرشد الكامل المقصود

والمستمد من معارفه ذوو الكشف والشهود ، كاشف أستار الحقائق ، وراشف كؤوس العرفان من بحر الدقائق ، شيخ الطريقة الإدريسية ، المستمدة من فيوضات الحقيقة الشاذلية . أصل آبائه وأجـداده من البلاد السودانية ، ولهم بها قدر ورفعة سنية ، ولهم نسبة نبوية ، وسلسلة علية ، ولد المترجم في نصف شهر المحرم الحرام سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ، ومن صغره اشتغل بحفظ القرآن ، وتعلم الضروريات من العلم وما لا بد منه للانسان ، ومن بداءة أمره لوائح السعادة عليه لائحة ، وروائح الطاعة منه نافحة فائحة . تفقه على حضرة والده ، في اقليمه وبلده ، ثم أخذ الطريق من سيدي أحمد بن إدريس ، واشتغل به متجنباً كل أمر خسيس ، لاتباعه للطريق الذي هو أنفس نفيس ، ثم بعد وفاة شيخه اتفق الجميع ، بانه لايليق لغيره أن يجلس في مكان شيخه ذي المقام الرفيع ، فرحل بعد ذلك إلى صعيد مصر سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، فنشر بها الطريقه الأحمـدية وأقبل عليه الناس من كل فج عميق ، وحصل له كرامات ظاهرة ، وخوارق باهرة ، ثم سافر إلى السودان ، ومعه جملة كبرى من المريدين والإخوان ، ثم عاد إلى الصعيد ثانياً وأقام بها مدة ، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين ، فاشتد الإنكار عليه ، وتوجهت جيوش الملام إليه ، ودام أمره على ذلك مدة من الزمـان ، وتجلد على تحمل الشدائد وصبر على الهوان ، إلى أن لاحظته عين العناية ؛ فعامله الجميع بالتعظيم والرعاية واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وأقبل عليه الكبار والصغار ، ثم لازم الرحاب المكية ، والبلدة المشتملة على المسجد الحرام والشعـائر الدينية ، فما زال بها يقيم الأذكار ، في الليل والنهار ، ويرشد السالكين ؛ للوصول إلى مقام التمكين ، إلى أن تمكن منه المرض الداعي للرحيل ،

إلى جوار الملك الجليل ؛ فأجاب طلبه من غير إمهال ، وذلك في يوم الأحد بعد العصر تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين ومائتين والف من هجرة سيد ذوي الكمال ، وصلي عليه في المسجد الحرام ، ودفن في تربة المعلا عليه رحمة الملك السلام ، وبَنى بعض المحبين مزاراً واسعاً عليه ، وهو في أول المعلا على يمين الذاهب اليه .

وقدرثاه بعض مريديه بقصيدة أولها :

ذروني أبكي بعد شيخي ومرشدي ... لأحدث عهداً في بقية معهدي
وما شاقني برق بأبرق رامة ... ولا نغمات من حمام مغرّد
بلى شاقني وجه الرشيد الذي به ... تشعشع نور الحق في كل مشهد
إذا مارأت عيناك بهجة نوره ... رأت بدر تم في منازل أسعد
وإن لثمت يمناك يمناه فالتزم ... بركن سوى ركن من البيت أسود
سما بشعار الصالحين وهديهم ... وأعلى منار الدين بعد محمد
أمد علينا الله من بركاته ... وأوردنا من بره خير مورد
إذا ماذكرت الأكرمين فإنه ... هو الكوثر الفياض والعارض الندي
ومهما مدحنا الصالحين فمدحه ... به نختم الذكر الجميل ونبتدي

الشيخ ابراهيم بن الشيخ السيد محمد الميدري البغدادي الشافعي

العالم الذي رقى معراج الفضائل ، واستقى من بحر معارفه السادة الأفاضل ، وجمع من الفنون ماتفرق عند غيره ، وسار بسيرة ذوي السر المصون فلم يلحقه أحد من معاصريه في سيره ، له اليد الطولى في المعقول والمنقول ، والفكرة القادحة في معرفة الفروع والأصول ، وليس من يجاريه في ميدان العلوم الرياضية ، ولا من يباريه في الأبحاث الجدلية والعقلية ، وله كتاب في المناظرة ، قد فاق مزاولة أهل المحاضرة ، شرح فيه نظم

رسالة الولدية ، وعند تمامه قد قرض له حضرة الجهبذ الذي هو بكل كمال حري ، عبد الباقي أفندي العمري ، فكتب عليه مايشهد بفضل مؤلفه ، وعلو فهم مصنفه ، وقد أحببت أن أذكره بتمامه ، وفاء بحق مقامه ، وها هو ذا :
لا نُسَلِّم لمن علمته نفسه غاية الكر ونهاية الإقدام ، من أهل الخلاف بدار الخلافة مدينة السلام ، ولو كان وهيهات أن يكون نفس عصام ، معارَضَةَ مابرهن عليه هذا الغلام ، الشارح لهذا النظم البديع الانتظام بالبرهان القاطع بالمدية الاسماعيلية ، وشفرة الدلائل القطعية الخليلية ، جادةَ الجدال ومادةَ الخصام ، ومناقضة مادوّن وبيّن فيه من آداب البحث في مناظرة أرباب النظراء الأعلام ، بالتبيان الساطع بصحة نقله الاستقرائي المؤدي بعد الإلزام ، للتضمن والالتزام ، فياله من شب شبّ من توقد نار قريحته الضرام ، فأجج في كانون أفئدة ذوي المعارضة بالقلب فحمةَ الإفحام ، وقدح زند فكرته بمرخ المشاجرة وعفار المكابرة ، فأبرزت ناره ترمي بشرر كالقصر فقلنا يانار كوني برداً وسلام ، هذا وقد أوتي الرسالة الولدية قبل أن يدرك الحلم ، بل قبل أن يبلغ الفطام ، فيالله دره لقد كاد أن يكيد أساطين الحكماء ، والفلاسفة القدماء ، بقوة احتجاجه ومنعة سلوك منهاجه ، وشدة إحكامه لهذه الأحكام ، كما كاد حضرة سميه ابراهيم ، عليه الصلاة والتسليم ، وفاء بالإقسام ؛ اولئك الأصنام ؛ وقد غادرهم ابن الأصفياء أفلاذا ، كما جعلهم أبو الأنبياء جذاذاً ، وقال « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون » بكلام ، فأبوا الفتح لأبواب آداب البحث لذوي الملكة من الطلاب ، طاب ثراه لقد ملأ الوطاب ، واستوفى المرام ، وإبراهيم الذي وفى بل زاد وأحسن في الإتمام ، حيث تمطى للمناضلة ، وامتطى غارب المجادلة ؛ واقتحم هذا الاقتحام ؛ كيف لا

وقد صح له وثبت لسلفه العظام ؛ القبول التام ، لدى الخاص والعام ، واقتسام الأموال من وقت سام ؛ واقتحام الأهوال من وقت حام ، على أنه الشبل الذي قد ترعرع في بحبوحة الغابة الحيدرية ، ونشأ في أحضان اللبوأة الصفوية ، فربض ربضة الضرغام ، وتشعشع كالبدر التمام ، وكبت الخصم الألد ؛ بما منع وردع ودفع ورد ؛ ونقض وأبرم ، وفوض وهد ؛ وفتق ورتق وحل وشد ؛ أحزم حزام ، وكتب ما أثبت به حقية مدعاه ببطلان دليل الغاصب ، من مخلفات آبائه ذوي الأبوة ، وأولي الفتوة ، أشرف المناصب ، كأنه اتخذ من أظفاره التي لم تقلم لمحابره الأقلام ، فملأ الأقاليم السبع بزئيره ؛ والجهات الست بهمهمته في الآجام ، وأملى فأبلى سرائر سر تثبت الأقانيم الثلاث ، من غير لثاث ، ذلك اليراع بصريفه وصريره فأسمعت كلمات باريه الصم الدعــاء للاستسلام ، وغسلت ذئاب المعارضين عن الإقعاء بفناء أجمة هــذا الباسل المقدام ، وراغت ثعالب المناقضين عن جلسة القرفصاء بباب غاب هذا الغشمشم القمقام ، فمتى شاء قال للسعد أو أشار للفخر على ساق العبودية ، وقدم الرقية ، بساحة أعتابنا الصفوية ، الفسيحة المساحة ، وباحة أبوابنا الحيدرية الغير مباحة ، قم تام ، وقانا الله تعالى وإياه هــول المطلع ورزقنا وإياه حسن الختام ، وكان المترجم على حالة صالحة ، وسيرة راجحــة ، إلى أن خطبته المنية لدار السلام ، سنة الف ومائتين و[1] . . .

السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله المشهور بحيدري زاده البغدادي

عالم عصره ، وفريد مصره ، ونخبة زمانه ، وعمدة أهل وقته وأوانه ، الحسيب العلوي ، والنسيب النبوي ، ذو المقام الفاخر ، والاحترام الباهر ، والصفات الحميدة ، والشمائل المجيدة ، والسيرة الحسنة ، والسريرة المستحسنة ،

---

(١) لم أقف على تاريخ وفاته .

سطوات بأسها حامي الحمى ... واكف كم بها كف افتتان

كم له في السلم من مرحمة ... وكأين من حنو وحنان

يم اليم ورد ما تشتهي ... وعلى المورد ياصاح الضمان

لم يكن في كل بحر لؤلؤ ... انما اللؤلؤ في بحر عمان

حلمه الروض جناه يجتنى ... ويرجّي العفو فيه كل جان

همم فوق السموات سمت ... ومعال دونهن الصعب هان

وحلى جلت وجلت غاية ... أيجارى من له سبق الرهان

ياعزيزا لايضاهى ابداً ... عزه يكسو العدا ثوب الهوان

كم حروب كشفت عن ساقها ... خاضها طرفك مطواع العنان

بجيوش شمرت عن ساعد ... ماله يوم نزال من توان

هاك مني بنت فكر تنجلي ... في حلي من بديع وبيان

قد اعيذت بشهاب ثاقب ... صانها عن كل شيطان وجان

وبدت من خدرها قائلة ... ان وصلي للحبيب الآن آن

وبودي لو الاقي حظوة ... منه تكسوني جلابيب امتنان

فَدُنُوّي منه غايات المنى ... وقبولي منتهى كل الأمان

وكانت وفاة المترجم المرقوم ختام ذي الحجة الحرام سنة اربع وستين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام ، وكان ذلك في حياة والده لأن والده توفي أول ليلة من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين ومائتين والف ، ودفن في جامعه الذي أنشأه في قلعة الجبل .

الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبد الله الحنبلي الدمشقي

كان عالماً بارعاً ، وزاهداً عابداً ورعاً ، فقيهاً في مذهب سيدنا الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ريب أنه ذو مقام كامل اكمل ولم اطلع له على

شيء من الشعر ، ولا من السجع والنثر ، توفي رحمه الله سنة اثنتين وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة العارف بالله الشيخ رسلان ، قدس الله سره وجعل الفردوس مقره .

الشيخ ابراهيم الزهيري الشافعي المصري

مفرد لأشتات العلوم جامع ، وأديب ضوء أدبه لامع ، تقنع بقناع الزهد والكفاف ، وارتدى برداء الصون والعفاف ، قد نبذ الدنيا وراء ظهره ، ورضي منها بكفايته من غير زيادة مدى عمره ، توفي رضي الله عنه سنة اربعين ومـائتين والف من الهجرة ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمة الله عليه .

الشيخ ابراهيم السقا الشافعي المصري الازهري

العالم العامل ، والعلامة الفاضل ، خاتمة الفقهاء الشافعية بالديارين الشامية والمصرية ، فلا غرو أنه الشيخ الإمام ، والأوحـد الهمام ، له همة في العلوم عالية ، وكمالات سنية سامية ، وطلاقة وجه وضي ، وطلاوة خلق رضي ، وسجايا تزدري بالرياض النواضر ، ومزايا تحار فيها الأعين النواظر قد تأهل لمشيخة الإسلام في الأزهر بشهادة العلمـاء الأعلام ، غير أن الحظ بعد موت العلامة الباجوري قدم غيره عليه ، وجعل أمر مشيخـة الأزهر إلى غيره لا إليه ، وله مؤلفات عديدة [1] ، وتقريرات مفيدة ، وكان خطيب الجامع الأزهر ، والمكان الأنور ، وله ديوان بديع بخطب

---

(١) منها « غاية الأمنية في الخطب المنبرية ـ ط » و « حاشية على شرح البيجوري لعقيدة السباعي ـ خ » في مجلدين ، ورسالة في مناسك الحج « وحـاشية على تفسير أبي السعود » ، لم يتمها ، و « التحفة السنية في العقائد السنية ـ خ » الأعلام (ج ١ / ٤٨) .

فيه من إنشائه ، يعرب عن فضله ورفعة قدره بين أمثاله وقرنائه ، قد اجتمعت به في الأزهر سنة ثمانين ومائتين والف فدعا لي وأجازني بما تجوز له روايته عن مشايخه ، غير اني لم أجتمع به مرة ثانية ، لأنه كان منحرف المزاج ، ومشتغلاً في أغلب الأوقات بأخذ العلاج ، وكان الأزهر الشريف فارغاً من الناس فلذلك كان خروجه إلى الجامع قليلاً ، لأن الطلبة وأكثر العلماء كانوا في مولد السيد البدوي والدروس في الأزهر مرفوعة ، وكان الناس يومئذ في كرب شديد وهم عظيم ، بسبب وقوع الريح الأصفر عندهم ، ومما كتبه المترجم المرقوم إلى السيد عبد الهادي بن السيد رضوان نجا الأبياري من مصر حينما كان المومى اليه مسافراً منها ، وغائباً عنها فقال :

لقد كمل الرحمن وصفك بالعـلا ... وما شين شيء من كمالك بالنقص
ومن جمع الآفاق في العين قادر ... على جمع أشتات الفضائل فى شخص

حلت منّا أحرف المحبة محل الزلال من الصادي ، وفوضنا الأمر في تمتعنا قريباً بعودة العبد الجليل لربه الهادي ، وقد اتحفنا من حضرة أمير الكلام بدر منثور ، وأشرقت منه المودة في ليالي السطور ، فسبحـان من أودعك سرّاً أنت به العلم المفـرد بين الملا ، تحدث بأعذب منطق « ماودعك ربك وما قلى » :

ويشهد الله وحسبي به ... اني الى مجدك مشتـاق

فلله مزاياك التى لاتبعث إلا على مزيد الاشتياق ، ومكارمك التي قضت لك بالتفوق على الأقران بالاتفاق ، واقد شق علينا بُعْدُك مشقة كبرى ، وحرماننا من أنسك الذي يقوم مقام الراح للأرواح سكراً ، وإني لاأعجب بمن جهل عظيم قدرك فعاداك ، ونقل عنك مـالم تتفوه به قط فاك ، فإنه حسد ومثلك من يحسد ، والحسد لاتهمد ناره ولا تخمد ، انما أعجب من

كونه ظلم نفسه وانطوى على البغي الشنيع ، وانه لايرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمة وان الله لسميع ، تحلّى وتروّج بالكذب والتمويه ، وتخلى عن كل مافيه على كرم النفس دلالة وتنويه ، ولكن على جنابك حسن التفويض والتسليم لأمر مولاك ، فلا بد ان شاء الله أن يريك بسرعة العود لمصر ماتقر به عيناك ، وبالصبر تجتني ثمرات الآمال ، والله تعالى يحسن لنا ولكم الحال والمال ، آمين .

وله رحمه الله كتابات بديعة وانشاآت رفيعة ، ورسائل لاتبارى وعوارف في ميدان البلاغة والفصاحة لاتجارى ، توفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين وثمان وتسعين .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد درويش الشهير بالخلاصي الحلبي الأصل

الدمشقي المنشأ والموطن الحاذق الطبيب ، والحكيم النجيب ، قد انتهت اليه رئاسة الطب في عصره ، وكان الخاص والعام معترفاً بعلومه وقدره ، ينتهي أمر المشكلات في الطب اليه ، ولا يعول في زمنه إلا عليه ، وقد انفرد بمعرفة الداء من النبض والقارورة ، وللناس عنه حكايات تدل على كماله معروفة مشهورة ، وله مشاركة في بعض العلوم ، وشعر في سلك اللطافة منظوم ، وكان بمجرد القبض على النبض ، ورؤية القارورة يعرف حقيقة الداء ، ويعالجه بأحسن الدواء ، فلا ريب أنه جالينوس الزمان ، وبطليموس الوقت والأوان ، توفي اليوم السادس من شهر شوال سنة خمس وخمسين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير بالقرب من مقام السيدة سكينة .

الشيخ ابراهيم ابو اسحق برهان الدين الدمشقي

القطب الشهير ، والفرد الذي أطبق على ولايته الجم الغفير ، صاحب الكشف والكرامات ، والاخبارات عن المغيبات ، كان بركة الديار

الشامية ، ومقصد الدعاء في المدينة الدمشقية ، وكراماته ظاهرة ، ووقعاته باهرة ، وكان عفيفاً زاهداً ، وصالحاً عابداً ، ذا تقوى واقبال على مولاه ، واعتماد عليه في سره ونجواه ، ولد رضي الله عنه سنة ... ومات رحمه الله بعد سنة المائتين والألف ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشيخ ابراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحية دمشق ، يزار ويتبرك به ، والمشهور أن الدعاء عند قبره مستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته[١] ومحله بغاية الحسن والنزاهة لأنه مطل على سائر دمشق ونواحيها .

الشيخ ابراهيم بن محمد الزمزمي

المكي المولد والدار ، العلي المنصب والمقدار ، علامة الزمان ، وفهامة الوقت والأوان ، تصدى في أم القرى للافتاء والتدريس ، وكان يقري ويفيد ، ويخفض جناحه للمستفيد ، ويبذل كل علم نفيس ، ويتكلم في سائر العلوم ، ويجيد في بيان المنطوق والمفهوم ،

صفاته في العلوم إن ذكرت   يغار منها النسيب والغزل
تعرف من عينيه حقائقها   كأنه بالعلوم مكتحل

فائدة لاذهاب الصداع

ومن فوائده التي أفاد بها سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف أن من حصل له صداع فقال ويده على رأسه لا إله إلا الله مائة وخمساً وستين مرة زال عنه الصداع[١] والحكمة في ذلك أن هذا العدد موافق لعدد الصداع وعدد لا إله إلا الله ، فاحرص عليها فانها من عزيز الفوائد والمجربات العوائد ، ومن قال بعد العطاس وبعد أن يحمد الله اللهم ارزقني مالاً يكفيني ، وبيتاً طيباً واسعاً يؤويني ، واحفظ علي ديني ، واكفني شر مايؤذيني ، أعطاه الله ذلك بمحض فضله ومنه وكرمه . ولهذا المترجم شمائل

---

(١) كم للعقيدة من تأثير على المعتقد وغيره .

تدل على علو مقامه، وسمو فضله واحترامه، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن احمد الزمزمي

الإمام العالم الفاضل، والهمام الكامل العامل، نادرة الزمـــان، ونخبة الوقت والأوان، وهو من أهل بيتٍ لهم فضل ومقام، ورفعة بين ذوي الفضائل واحترام، وإنه من العلماء الذين علمهم لاينكر، وفضلهم في الأنام على الدوام يذكر، وله مؤلفـــات كثيرة، وأشعـار غزيرة، إلا أنه لم يتيسر لي الوقوع على شيء منها مع أنني أكثرت من السؤال عنها، وكان له ميل إلى العمل بالدليل ولا يعول نحو التقليد ولا يميل، نظم متن الدرر البهية للبدر اليماني العلامة الشوكاني، في فقه الحديث. توفي رحمه الله بمدينة أبي عريش سنة الف ومائتين وثلاث وستين .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن الامير الصنعاني اليمني ثم المكي

عالم الحجــاز، في الحقيقة والمجاز، فاضل عصره وزمــانه، وفريد أهل مصره في أوانه، ذو العلوم البديعة، والمعارف الرفيعـة، والزهـادة الحقية، والعبادة النقية، المتحلى بالفضـائل، والمتخلي عن أنواع الرذائل، ولد سنة الف ومائة وأربعين تقريباً ونشـأ في العلم والصلاح، والتقوى والفلاح، واستفاد وأفاد، ونال من القبول أتم مراد. [١] مات رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة المَعْلى .

---

(١) من تآليفه : « مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن » و « فتح المتعال، الفارق بين أهل الهدى والضلال » و « مجموع » ذكر فيه مؤلفات والده وشيوخه وتلاميذه، وتراجم بعض معاصريه. كما في : « نيل الوطر، والبدر الطالع ».

الشيخ ابراهيم بن اسماعيل بن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي

هو عالم زمانه ، وجهبذ أوانه ، ولد سنة الف ومائة وثمان وثلاثين في شهر رجب ونشأ في حجر والده ، وكان شهما صالحاً ، وإماماً في العلوم راجحاً ، ورعاً زاهداً ، ومتقشفاً عابداً ، توفي في شعبان سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين ودفن في مقبرة أسلافه .

ابراهيم بن الشيخ محمد الدمشقي العمادي

من الأعيان الأفاضل ، وذوي الشأن والفضائل ، تولى إمامة محراب الحنفية ، مع الخطبة في جامع بني أمية ، وكان فاضلاً صالحاً ، عابداً زاهداً ناجحاً ، ناسكا لطيفاً ، لين الجانب عفيفاً ، مات نهار الأحد في الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم بن مصطفى أبو الصلاح الرحيباني ثم الحوراني ثم الدمشقي الشافعي

الخطيب والمدرس والإمام بجامع الدقاق بميدان الحصى ، ولد سنة أربعين ومائة والف وبعد أن بلغ رشده وملك أشده ، وقرأ في دمشق الشام ، على بعض العلماء الأعلام ، تشوقت نفسه إلى الانقطاع ، ليكون له تمام الانتفاع ، فسافر الى الديار المصرية ، ليجاور في البقعة الشريفة الأزهرية ، فقرأ في الأزهر على السادة الكرام وأخذ عن العلماء الأفاضل الأعلام ، وأجازوه بجميع ماتجوز لهم روايته ، وتنسب اليهم درايته ، منهم السيد احمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر ابن مجير الدين الملوي الشافعي ، والسيد محمد بن سالم الحفني ، والسيد عبد الله بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي ، والسيد محمد الصبان الشافعي ، والعلامة محمد بن الامير المالكي القاهري ، والعلامة الشيخ سليمان الجمل ، والعلامة

الشيخ سليمان بن عمر بن محمد البجيري ، والعلامة أحمد بن موسى بن داوود العروسي الأزهري ، ومحمد ثعيلب بن سالم الفشني الشافعي الأزهري ، والعلامة علي بن أحمد الصعيدي المالكي ، واحمد بن عبد المنعم بن صيام الشافعي ، وشيخ الدمـاشقة الأخبار ، الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر الشافعي الشهير بالعطار ، والشيخ محمد الكزبري ، والشيخ حسين بن طعمة ابن محمد الشافعي البيتماني الأصل الدمشقي الميداني القادري ، والشيخ أبي المواهب الحنبلي ، والشيخ محمد الكاملي ، والشيخ عثمان الشمعة ، وغيرهم من العلماء العاملين والفضلاء الصالحين ، وكان هذا المترجم من أهل العزلة والانفراد عن الناس متقشفاً متنبهاً لآخرته ، وفي آخر عمره غلب عليه الجذب ، مات رحمه الله يوم الجمعة وقت الزوال سادس عشر شوال سنة أربع وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الله قرب قبر والدي وقبر الشيخ تقي الدين الحصني رحمهم الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن عبد الله السويدي

ولد سنة الف ومائة وست وأربعين وبلـغ من العلم والعمل ، فوق ماتعلق به الرجا والأمل ، وصار من السادة الأفراد ، والقادة العبّاد ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ، وصار في زمانه ممن نهج مناهج الفضل في سيره ، مات سنة ست ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم أبو عبد اللطيف بن أخت الشيخ أبي بكر الخلوتي الدوغراني ثم الدمشقي الخلوتي الحلبي الشافعي القادري

الإمام الفقيه ، النبيه ، النحوي اللغوي الصرفي الصوفي المحدث الكبير ، والعالم الشهير ، البركة القدوة الصالح العابد ، المرشد الزاهد ، الخاشع الناسك الأوحد المتقن بقية السلف الصالح . ولد بدمشق سنة اثنتين وخمسين ومائة والف ، وأخذ عن العلامة عطية

الأجهوري ، والعلامة سليمان الجمل ، والفاضل الشيخ محمد الصبان ، والعلامة الشيخ محمد الجوهري ، والعلامة أحمد الفالوجي ، والعلامة الشيخ علي الصعيدي ، والأوحد الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عباده ، والشيخ السوسي ، والشيخ الدردير ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ محمود الكردي ، والشيخ محمد الحفني ، والشيخ عبد الكريم السمان ، وغيرهم . وأخذ عن العلامة الكزبري الكبير ، والشيخ أسعد المنير البعلي ، ثم الدمشقي ، مات يوم السبت تاسع ربيع الأنور سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

السيد ابراهيم بن احمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين بن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلفه الشهر

النجيب الذي أبدع فيما أبدى ، وطرز من نسيج فكره للآداب والفضائل حللاً وبرداً ، تأبى غير اكتساب المعارف همته ، ولا تميل إلاّ لانتسابه إلى المعالي بغيته ، وله فطنة قضت له بالحظ الأوفر الأوفى ، وقريحة لم تستق إلاّ من المنهل العذب الأصفى ، وقد اشتهر في زمانه اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وافتخر به مصره على باقي الأمصار ، ومن جملة من ترجمه الإمام الجبرتي بقوله : الجناب الأوحد ، والنجيب المفرد ، والفصيح اللبيب ، والنادرة الأريب ، تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني ، إذ كان إمام والده وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة ، فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الاكبر يوسف في كتابة قلم الشهر ، فلما شاخ وكبر ، سلمه إلى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتباً نفيسة ، وتمهر في غرائب الفنون ، وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والاذكار على الشيخ محمد كشك ، وكان يبره ويلاحظه بمراعاته ، وانتسب اليه وحضر

الصحيح وغيره على شيخنا السيد المرتضى الزبيدي ، وسمع عليه كثيراً من الأجزاء الحديثية في منزله بالركبيين وبالأزبكيـة في مواسم النيل ، وكان مهيباً وجيهاً ذا شهامة ومروءة وكرم مفرط ، وتجمل فاخر ، تَمَلَّهُ فوق ماسمته مهمته ، سَمُوحاً بالعطاء متوكلا ، توفي صبح يوم الاربعاء غاية شهر شعبان سنة اثنتين ومائتين والف بعـد أن تعالّ سبعة أيام ، وجهز وصُلّيَ عليه بمصلى شيخون ، ودفن على والده قرب السيدة نفيسة رضي الله عنها .

ابراهيم جلبي بن أحمد آغا البارودي الشافعي المصري

الفريد الذي أبدى المحاسن وأبدع ، والوحيد الذي من سلسال حياض النباهة تضلع ، واللبيب الذي سلك مسالك المعارف ، والنجيب الذي ملك منها كل تليد وطارف ، والكامل الذي انتقى أحسن الخصال ، وترقى على درج الجد والاجتهاد إلى أن بلغ رتبة الكمال ، وهو من رجال الجبرتي القائل فيه : الصنو الفريد ، والعقد النضيـد ، الذكي النبيه ، من لبس له في الفضل شبيه ، ولد في مصر ونشأ في حِجر والده إلى أن توفي والده المرقوم سنة اثنتين وثمانين ومائة والف فعانى المترجم تحصيل الفضـائل ، وطلب العلم ولازم حضور الدروس في الأزهر في كل يوم ، وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ احمد الخانيونسي ، وفي المعقول على الشيخ محمد الحفني [١] والشيـخ علي الطحـان ، حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر ، وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار مايحتاج اليه من المسائل النقلية والعقلية ، وترونق بالفضائل ، وتحلى بالفواضل ، إلى أن اقتنصهُ في ليل شبابه صيّاد المنيه ، وضرب سورٌ بينه وبين الأمنية ، وذلك سنة خمس ومائتين والف .

---

(١) في تاريخ الجبرتي : الحشني

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمود الحريرى الحنفى الأزهرى
مفتي السادات الحنفية بمصر

الماجد الذي ابتهجت به وجوه المعالى ، وتبسمت له ثغور المكارم الباسمة باللآلىء ، وقد ساعده وقته بالاقبال ، وصدّره في مصادر الرفعة والإجلال ، فأبدى من خزانة فكره عقود الفضائل ، وأنشأ من معدن قريحته فرائد الفواضل ، واستوى على عرش الرفعة والكمال ، واحتوى على مايثبت له كل فضيلة واجلال ، كيف لا وهو مفتي الأنام ، ومرجع الخاص والعام ، وقد أحسن الجبرتي الهمام ، قائلاً في ترجمة هذا الإمام : العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، والإمام الفقيه ، والهمام النبيه ، تفقه على والده الرفيع الشأن ، وحضر في المعقولات على أشياخ الوقت كالبيلي والدردير والصبان ، وأنجب وتمهر في العلوم العقلية والنقلية ، وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للأصول والفروع الفقهية ، ولما مات والده في رجب سنة الف ومائتين وعشرين ، تولى منصب والده في الإفتاء وإفادة المسلمين ، وكان لها أهلاً مع التحري والمراجعة في المسائل ، والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الرذائل ، مواظباً على وظائفه ودروسه وما يثبت جميل المآثر ، ملازماً لداره إلاّ عمّا دعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع الأكابر ، وكان مبتلى بآخرته بضعف البصر ، واعتراه داء الباسور فقاسي منه غاية الضرر ، وانقطع بسببه عن الخروج من داره ، ولم يزل ملازماً له حتى نزل بدار قراره ، توفي رحمه الله يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وصلي عليه في الأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويداري ظاهر حارة كتامه المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم البيسوني البجيرمي الشافعي الأزهري رحمه الله تعالى

الأوحد الذي علمه الله تأويل العلوم ، والأمجد الذي ملكه من مختومه خزائن الفهوم ، فأضحى في مصر المعارف ، قائلاً في ظل وارف ، مواظباً على الاعتكاف في محراب الإفادة ، والطالبون قد لازموا حرم كعبته للاستفادة ، كيف لا وهو العالم الذي يشار اليه بالبنان ، والعامل الذي أذعنت لكماله الأفاضل والأعيان ، والبحر العذب الطامي ، والغيث الهاطل الهامي ، ذو التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ولد سنة ست وخمسين ومائة والف تقريباً ، ونشأ من أول عمره منشأ غريباً ، فكان كل من رآه يعلم بالفراسة أنه سيكون له عز وجاه ، وقد ترجمه الجبرتي المفضال رحمه الله فقال : علامة زمانه ، وفهامة عصره وأوانه ، الفاضل الفقيه ، والكامل النبيه ، هو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمي الشيخ الصالح ، والورع الزاهد الفالح حضر على الأشياخ المتقدمين ، وهو في عداد الطبقة الأولى من المدرسين وكان متواضعاً لين الجانب ذا انس وايناس ، وأفاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس ، كان ملازماً للتقوى والعبادة ، ومحالفاً للقناعة والزهادة ، مستحضراً للفروع الفقهية ، والمناسبات المعقولة والشواهد النحوية والشعرية ، والمحاضرات الأدبية ، والمفاكهات العذبة الندية ، جيد الحافظة لاتمل مجالسته ولا تعل موانسته ، ولم يزل على حالته وافادته ، وزهده وعفته وعبادته ، حتى خطبته المنية ، ودعته إلى منازلها العلية ، توفي يوم السبت نصف المحرم الحرام سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف عن نحو خمس وسبعين سنة .

السيد الشيخ ابراهيم بن الشيخ صالح بن الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن الوشيد

الأستاذ المحقق الرباني ، والملاذ المدقق الصمداني ، المرشد الكامل المقصود

والمستمد من معارفه ذوو الكشف والشهود ، كاشف أستار الحقائق ، وراشف كؤوس العرفان من بحر الدقائق ، شيخ الطريقة الإدريسية ، المستمدة من فيوضات الحقيقة الشاذلية . أصل آبائه وأجداده من البلاد السودانية ، ولهم بها قدر ورفعة سنية ، ولهم نسبة نبوية ، وسلسلة علية ، ولد المترجم في نصف شهر المحرم الحرام سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ، ومن صغره اشتغل بحفظ القرآن ، وتعلم الضروريات من العلم وما لا بد منه للانسان ، ومن بداءة أمره لوائح السعادة عليه لائحة ، وروائح الطاعة منه نافحة فائحة . تفقه على حضرة والده ، في اقليمه وبلده ، ثم أخذ الطريق من سيدي أحمد بن إدريس ، واشتغل به متجنباً كل أمر خسيس ، لاتباعه للطريق الذي هو أنفس نفيس ، ثم بعد وفاة شيخه اتفق الجميع ، بانه لايليق لغيره أن يجلس في مكان شيخه ذي المقام الرفيع ، فرحل بعد ذلك إلى صعيد مصر سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، فنشر بها الطريقه الأحمدية وأقبل عليه الناس من كل فج عميق ، وحصل له كرامات ظاهرة ، وخوارق باهرة ، ثم سافر إلى السودان ، ومعه جملة كبرى من المريدين والاخوان ، ثم عاد إلى الصعيد ثانياً وأقام بها مدة ، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين ، فاشتد الإنكار عليه ، وتوجهت جيوش الملام إليه ، ودام أمره على ذلك مدة من الزمان ، وتجلد على تحمل الشدائد وصبر على الهوان ، إلى أن لاحظته عين العناية ؛ فعامله الجميع بالتعظيم والرعاية واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وأقبل عليه الكبار والصغار ، ثم لازم الرحاب المكية ، والبلدة المشتملة على المسجد الحرام والشعائر الدينية ، فما زال بها يقيم الأذكار ، في الليل والنهار ، ويرشد السالكين ؛ للوصول إلى مقام التمكين ، إلى أن تمكن منه المرض الداعي للرحيل ،

إلى جوار الملك الجليل ؛ فأجاب طلبه من غير إمهال ، وذلك في يوم الأحد بعد العصر تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين ومائتين والف من هجرة سيد ذوي الكمال ، وصلي عليه في المسجد الحرام ، ودفن في تربة المعلا عليه رحمة الملك السلام ، وبَنىَ بعض المحبين مزاراً واسعاً عليه ، وهو في أول المعلا على يمين الذاهب اليه .

وقدرثاه بعض مريديه بقصيدة أولها :

ذروني أبكي بعد شيخي ومرشدي	لأحدث عهداً في بقية معهـدي
ومـا شاقني برق بأبرق رامـة	ولا نغمات من حمـام مغرّد
بلى شاقني وجه الرشيد الذي به	تشعشع نور الحق في كل مشهد
إذا مارأت عيناك بهجة نوره	رأت بدر تم في منازل أسعد
وإن لثمت يمناك يمناه فالتزم	بركن سوى ركن من البيت أسود
سما بشعار الصـالحين وهديهم	وأعـلى منـار الدين بعد محمد
أمد علينـا الله من بركـاته	وأوردنا من بره خير مورد
إذا ماذكرت الأكرمين فإنه	هوالكوثر الفياض والعارض الندي
ومهما مدحنا الصـالحين فمدحه	به نختم الذكر الجميل ونبتدي

الشيخ ابراهيم بن الشيخ السيد محمد الميدري البغدادي الشافعي

العالم الذي رقى معراج الفضائل ، واستقى من بحر معـارفه السادة الأفاضل ، وجمع من الفنون ماتفرق عند غيره ، وسار بسيرة ذوي السر المصون فلم يلحقه أحد من معاصريه في سيره ، له اليد الطولى في المعقول والمنقول ، والفكرة القادحة في معرفة الفروع والأصول ، وليس من يجاريه في ميدان العلوم الرياضية ، ولا من يباريه في الأبحاث الجدلية والعقلية ، وله كتاب في المناظرة ، قد فاق مزاولة أهل المحاضرة ، شرح فيه نظم

رسالة الولدية ، وعند تمامه قد قرض له حضرة الجهبذ الذي هو بكل كمال حري ، عبد الباقي أفندي العمري ، فكتب عليه مايشهد بفضل مؤلفه ، وعلو فهم مصنفه ، وقد أحببت أن أذكره بتمامه ، وفاء بحق مقامه ، وها هو ذا :
لا نُسَلِّم لمن علمته نفسه غاية الكر ونهاية الإقدام ، من أهل الخلاف بدار الخلافة مدينة السلام ، ولو كان وهيهات أن يكون نفس عصام ، معارَضَةَ مابرهن عليه هذا الغلام ، الشارح لهذا النظم البديع الانتظام بالبرهان القاطع بالمدينةِ الاسماعيلية ، وشفرة الدلائل القطعية الخليلية ، جادةَ الجدال ومادةَ الخصام ، ومناقضة مادوَّن وبيّن فيه من آداب البحث في مناظرة أرباب النظراء الأعلام ، بالتبيان الساطع بصحة نقله الاستقرائي المؤدي بعد الإلزام ، للتضمن والالتزام ، فياله من شب شبَّ من توقد نار قريحته الضرام ، فأجج في كانون أفئدة ذوي المعارضة بالقلب فحمةَ الإفحام ، وقدح زند فكرته بمرخ المشاجرة وعفار المكابرة ، فأبرزت ناره ترمي بشرر كالقصر فقلنا يانار كوني برداً وسلام ، هذا وقد أوتي الرسالة الولدية قبل أن يدرك الحلم ، بل قبل أن يبلغ الفطام ، فيالله دره لقد كاد أن يكيد أساطين الحكماء ، والفلاسفة القدماء ، بقوة احتجاجه ومنعة سلوك منهاجه ، وشدة إحكامه لهذه الأحكام ، كما كاد حضرة سميه ابراهيم ، عليه الصلاة والتسليم ، وفاء بالإقسام ؛ اولئك الأصنام ؛ وقد غادرهم ابن الأصفياء أفلاذا ، كما جعلهم أبو الأنبياء جذاذاً ، وقال « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون » بكلام ، فأبوا الفتح لأبواب آداب البحث لذوي الملكة من الطلاب ، طاب ثراه لقد ملأ الوطاب ، واستوفى المرام ، وإبراهيم الذي وفى بل زاد وأحسن في الإتمام ، حيث تمطى لمناضلة ، وامتطى غارب المجادلة ؛ واقتحم هذا الاقتحام ؛ كيف لا

وقد صح له وثبت لسلفه العظام ؛ القبول التام ، لدى الخاص والعام ، واقتسام الأموال من وقت سام ؛ واقتحام الأهوال من وقت حام ، على أنه الشبل الذي قد ترعرع في بحبوحة الغابة الحيدرية ، ونشأ في أحضان اللبأة الصفوية ، فربض ربضة الضرغام ، وتشعشع كالبدر التام ، وكبت الخصم الألد ؛ بما منع وردع ودفع ورد ؛ ونقض وأبرم ، وفوض وهد ؛ وفتق ورتق وحل وشد ؛ أحزم حزام ، وكتب ما أثبت به حقية مدعاه ببطلان دليل الغاصب ، من مخلفات آبائه ذوي الأبوة ، وأولي الفتوة ، أشرف المناصب ، كأنه اتخذ من أظفاره التي لم تقلم لمحابره الأقلام ، فملأ الأقاليم السبع بزئيره ؛ والجهات الست بهمهمته في الآجام ، وأملى فأبلى سرائر سر تثبت الأقانيم الثلاث ، من غير لثاث ، ذلك اليراع بصريفه وصريره فأسمعت كلمات باريه الصم الدعـاء للاستسلام ، وغسلت ذئاب المعارضين عن الإقعاء بفناء أجمة هـذا الباسل المقدام ، وراغت ثعالب المناقضين عن جلسة القرفصاء بباب غاب هذا الغشمشم القمقام ، فمتى شاء قال للسعد أو أشار للفخر على ساق العبودية ، وقدم الرقية ، بساحة أعتابنا الصفوية ، الفسيحة المساحة ، وباحة أبوابنا الحيدرية الغير مباحة ، قم نام ، وقانا الله تعالى وإياه هـول المطلع ورزقنا وإياه حسن الختام ، وكان المترجم علي حالة صالحة ، وسيرة راجحـة ، إلى أن خطبته المنية لدار السلام ، سنة الف ومائتين و[١] . . .

السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله المشهور بحيدري زاده البغدادي

عالم عصره ، وفريد مصره ، ونخبة زمانه ، وعمدة أهل وقته وأوانه ، الحسيب العلوي ، والنسيب النبوي ، ذو المقام الفاخر ، والاحترام الباهر ، والصفات الحميدة ، والشمائل المجيدة ، والسيرة الحسنة ، والسريرة المستحسنة ،

---

(١) لم أقف على تاريخ وفاته .

ولد سنة[1] . . . . ونشأ في العلم والعبادة ، والطاعة والزهادة إلى أن بلغ مبلغ الكمال ، ونبغ في العلم وجال فيه كل مجال ، وترقى وساد ، واستفاد وأفاد ، واشتهر بين الخاص والعام ، واعتمد عليه العلماء الأعلام ، وقد الف كتابا سماه « المجد التالد في مناقب الشيخ خالد »[1] ، فأجاد في تأليفه ، وأفاد في ترصيفه ، وأخذ الطريقة العلية ، عن قادة النقشبندية ، ذي القدر الباهي الباهر ، والصدر الزاهي الزاهر ، مولانا الشيخ خالد صاحب المقام التالد ، والمجد الموروث عن جد ووالد ، فلازم الذكر والتقوى ، في السر والنجوى ، وكان صاحب مجاهدة كلية ومشاهدة قلبية ، وأحوال عجيبة ، وأطوار غريبة ، وأخلاق حسنة ، وصفات مستحسنة ، ومذاكرات أنيقة ، فيما يتعلق بالشريعة والحقيقة ، ولم يزل إلى أن آن ارتحاله ، وحان انتقاله ، سنة الف وثلاثماية ونيف[2] .

الشيخ ابراهيم العراقي البياري الشافعي الاشعري

كنز الفضائل وتحفة الأفاضل ، من اشتهر علمه وفاق ، وسَما قدرُه في الآفاق ، كيف لا وهو حلال المشكلات بفكره ، ومعطّر الدروس بنفثات صدره ، ناشر برود التحرير ، ومظهر شموس التحبير في التقرير ،

---

(١) ١٢٣٥ — ١٢٩٩ أديب بغدادي المولد والمنشأ والوفاة ، كردي الأصل ، تولى نيابة القضاء ببغداد ، والف كتبا ، منها : (عنوان المجـــد ، في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجـــد — خ) و (أصول الخيل ، والابل الجيدة والرديئة) و (أعلى الرتبة ، في شرح النخبة) في الحديث ، و (إمداد القاصد ، في شرح المقاصد) للنووي . و (إمعان الطلاب ، في الاسطرلاب) وفي هدية العارفين (١ : ١٤٢) أسماء كتب أخرى من تأليفه . الأعـلام للزركلي (ج ١ / ٣٧) .

(٢) في الأعلام ومعجم المؤلفين : سنة ١٢٩٩ هـ .

ومنهاج الإمداد ، وإرشاد الإسعاد ، تحفة المحتاج ، وكعبة المنهاج ، فهو الهمام الذي يشم أرج التدقيق من أنفاسه ، والإمام الذي يشام برق التحقيق من أدلته وقياسه ، وقد أفاد من الفوائد ، ماهو على رسوخ قدمه في المعارف شاهد ، ونظمه عثمان بن سند في كتابه أصفى الموارد فقال :

علم سما للعلم أعلى ذروة	شمخت على الأعلام والأطواد
مغني اللبيب يفيد كل مطوّل	تلخيصه في مجمع الايراد
مفتاح إيضاح لمعنى مرتج	مصباح مفتقر إلى الإمداد
من عابه في الدرس قال مقرراً	يحيى الدروس بذهنه الوقاد
هو روضة لكن كمائم روضه	لم يخلها يوماً من الأوراد
ذكر الربيع فقال يا أم اشكري	مني ربيعاً للبويطي الهادي
فأنا الذي أحييت من يحيى الذي	أبقى من الآثار بالأسناد
وجعلت للأحياء تدريسي منذى	يسري إلى الأرواح والأكباد
كابدت أبحاثاً إذا أنصفتني	أيقنت أني مسك هذا النادي
ولقد سلكت من البحوث سباسبا	وملاجئاً أعيت على الرواد

ولم يزل المترجم ينتشر كماله ، ويشتهر بين الأنام حاله ، إلى أن خطبته المنية ، ودعته إلى المقامات السنية ، فرحل من هذه الدار إلى دار القرار وذلك في سنة الف ومائتين ونيف وعشرين [1] ، عليه رحمه رب العالمين .

الشيخ ابراهيم بن الموحوم الحاج علي الأحدب الطوابلسي ثم البيروتي

العالم الذي طاول الثريا علمه ، والناظم الذي سحر الألباب نثره ونظمه ، والإمام الذي شاد ربوع الشعر والخطابة ، والهمام الذي لزم الأدَبُ جنابه ولثم أعتابه ، والفصيح الذي بسقت في ناديه أدواح الفصاحة ، والمليح الذي مازل قدمه يوماً عن مناهج الفلاحة ، تقدم في

(١) لعلّ الأصل : وتسعين .

بيروت حتى صار إمام محرابها ، وخطيب منبر معارفها وآدابها ، ومنحة خزانة نبهائها ، ونفحة ريحانة ألبائهـا ، فلا ريب أنه مرجع السادة الأفاضل ، ومجمع القادة ذوي المكارم والفضائل ، ولد أعلى الله مَقامه ، وجعل الفردوس مسكنه ومُقامه ، في طرابلس الشـام ، ذات اللطف الباهر والثغر البسام ، سنة الف ومائتين وأربعين ، من هجرة السيد الأمين ، وانه لعمري من عائلة عرفت بالتقى والصلاح ، والعبادة والصيانة والنجاح ، وبعد أن قرأ القرآن ، وأتقن تجويده أي اتقان ، سلك منهج العلم بهمة لاتعرف الملل ، واجتهاد دل على أن فضله لابد وان يستوي على عرش الأمل ، فقرأ على جملة من الأفراد ، والسادة القادة الأمجاد ، منهم الشيخ عرابي أفندي الذي هو بكل كمال حري ، والشيخ عبد الغني أفندي الرافعي العمري ، ونال من الفضـائل والعرفان ، ماقدمه على الأمثال والأقران ، ثم أخذ بالتدريس ونفع البرية ، وبث مافتح عليه به من المواهب اللدنية ، ولقد زار دار السعادة العثمانية ، ومقر الخلافة الإسلامية ، أيام سلطنة ساكن فراديس الجنان ، الإمام الأعظم والخليفة الأفخم السلطان عبد المجيد خان ؛ فاجتمع بعظمائها ، وانتفع بأكابر علمائها ، وبعد عوده من دار السعـادة ، ورجوعه إلى ماكان عليه من الإفادة والاستفادة ، استدعاه سعيد بك جنبلاط حاكم مقاطعة الشوفين وقتئذ إلى المختارة من جبل لبنان ، واتخذه مستشاراً في الأمور الشرعية المستنبطة من السنة والقرآن ، وذلك سنـة الف ومائتين وسبع وستين ، ولم يزل باعزاز وإكرام ومقام مكين ، إلى أن بدأ الخلاف بين الدروز والنصارى في جبل لبنان ، سنة ست وسبعين ، فرحل إلى وطنه طرابلس في الوقت والأوان ، وفي سنة سبع وسبعين طلب إلى بيروت وعين نائباً في المحكمة

الشرعية ، وحينما حضر النائب الموظف من الدار العلية ، جعله باش كاتب [١] في المحكمة المرقومة واستمر بهذه المأمورية ، وكان مع ذلك مشتغلاً بنشر العلوم ونثر لآلىء الآداب ، متمسكا للقيام بواجبها بأعظم الأسباب ، وفي سنة الف ومائتين وتسع وثمانين زار القطر المصري واجتمع بعلمائه الأعلام وأمرائه وأعيانه الفخام ، وكان رحمه الله إماماً في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، رفع الله مقامه وأسكنه أعلى فراديس الجنان ، وكانت محاكم جبل لبنان تعتمد على فتاويه وقوله ، لما عرفته من تدقيقه وصحة نقله ، فكان لدى عروض المشكلات مرجعاً ، وكل عويصات المسائل مقصداً ومطمعاً ، وكان قليل الكلام بما لايفيد ، وبحراً زاخراً لكل مستميح مستزيد ، مع طبع هني وأخلاق مرضية ، وفكر صائب وأوصاف علية ، وذهن متوقد وحاضرة جيدة ، فكان ينظمماينوف عن سبعين بيتاً بجلسة واحدة بدون تكلف ولا طول مدة ، وكثيراً ماتكون المبيضة عين المسودة ، وبالإجمال إنه كان رحمه الله فرداً فريداً ، وكاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً ، وقد تولى رياسة جريدة ثمرات الفنون ، ثم أقام على تصحيحها المصون ، وله فيها المقالات الأدبية ، والفصول الحكمية والطرائف العربية ، والنصائح العالية ، والمواعظ السامية التي لو جمعت لبلغت عدة أسفار ، واشتهر قدرها وطار ، وعند تشكيل ولاية بيروت انتخب عضواً في مجلس معارفها ، فزاد قدرها به لدى ناعتها وواصفها ، وقد نسخ بخطه كتباً كثيرة ، وألف مؤلفات عديدة شهيرة ، ونال من الرتب العلمية ، من ابتداء خارج بحسب الطريق إلى رتبة مدرس السليمانية ، وهي من رتب كبار المدرسين ، وفي سنة ألف ومائتين وثمان وثمانين ، نال النيشان [٢] المجيدي من الرتبة الرابعة ، وتفرس الناس فيه الأهلية للمراتب الجامعة ، وفي سنة تسع وثمانين

---

(١) رئيس الكتاب . (٢) الوسام .

وجهت عليه بموجب براءة سلطانية خدمة الفراشة الشريفة في الحرم الحرام على ساكنه أفضل الصلاة وأتم السلام ، ومن مؤلفاته رحمه الله ، ورضي عنه وأرضاه ، فرائد اللآل « في مجمع الأمثال » وهو عبارة عن الأمثال التي جمعها الميداني وغيره نظمها بنحو ستة آلاف بيت وكتاب « مهذب التهذيب » في علم المنطق نظماً وعلق عليه شرحاً ، ونظم مولدين شريفين مطولاً ومختصراً ، وكتاب « نفحة الأرواح على مراح الأرواح » ، في علم التصريف وكتاب « كشف الأرب عن سر الأدب » وديوان النفح المسكي في الشعر البيروتي . وله ديوان آخر جمعه في بلده طرابلس الشام ، وديوان آخر تضمن من القصائد والمقاطيع والرسائل البليغةماينوف عن خمسين كراسة وذلك لسنة الف ومائتين وخمس وتسعين ، وما نظمه بعد ذلك محفوظ في مسوداته . وله شرح فرائد اللآل في مجمع الامثال ، شرحه بمجلدين وكتاب « إبداع الإبداء ، لفتح أبواب البناء » ، في علم التصريف وكتاب « نشوة الصهباء ، في صناعة الإنشاء » ، « وكتاب تفصيل اللؤلؤ والمرجان ، في فصول الحكم والبيان » وكتاب « فرائد الأطواق ، في أجياد محاسن الأخلاق » وهو مائة مقالة نثراً ونظماً جارى بها مقالات العلامة جار الله الزمخشري ، وكتاب « عقود المناظرة في بدائع المغايرة » ، وهو جزآن يحتويان على خمس وعشرين مغايرة أدبية في المناظرة بين السيف والقلم وما شاكل ذلك ، وكتاب « ذيل ثمرات الأوراق » وكتاب « الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية » وهي الرسائل التي كانت بين المترجم وبين عبد الهادي أفندي نجا الابياري في مصر إلاّ أن جمعها كان للأبياري لا للمترجم ، وله مقامات جعلها على لسان أبي عمر الدمشقي وأسند روايتها الى أبي المحاسن حسان الطرابلسي وهي عبارة عن تسعين مقامة جارى في إبداعها العلامة الحريري وله كتاب « كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان »

وهو آخر مؤلفاته ، وله رحمه الله من الروايات عشرون رواية وكانت وفاته رحمه الله في شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمان .

ومن قصائده الأنيقة ، وأشعاره الرقيقة ، قوله مادحاً حضرة السيد الأمير عبد القادر الجزائري الحسني قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه .

عقود ودادي نظمها ليس يفسخ ... وشرح غرامي محكم ليس ينسخ
نشأت بخمر الحب نشوان فهو لي ... إذا شئت ترب يا أبا الفضل أو أخ
أذل لمن أهوى وكم ذل عاشق ... أشم له أنف إلى المجد أشمخ
تمد خدود الغيد قلبي بنارها ... فمنها جرى دمعي فلا يتبوّخ
ولم تكتحل عيني بميل من الكرى ... وكم بين من أهوى وبيني فرسخ
أروح قلبي بالمنى وهي قد قضت ... فهل بوفا بدري بها الروح تنفخ
بجر فؤادي للعنا هدب شادن ... ترض به الأحشاء منا وترضخ
وأبدى محياه لعيني نسخة ... بها راح ينسى كل حسن وينسخ
وأطلع حول الورد ريحان عارض ... به دون وردي جنة الخد برزخ
ويسكر دون الرشف خمر رضابه ... لما أنها بالنار للخد تطبخ
وبي زائر بالزور قد زار مضجعي ... سرى وجناح الليل أقتم افتخ
أطار الكرى من وكر جفني طيفه ... فأمسى به طير السهاد يفرخ
فرحت به أنشى المعاني وانتشى ... بذكراه والأجفان بالدم تنضخ
رسخت بأوصاف الجميل وإنني ... بمدح ابن محي الدين ذي المجد أرسخ
فتى الفضل عبد القادر السيد الذي ... يجيب ندى من أمه وهو يصرخ
وذو النسب السامي الذي نشر طيبه ... هو المسك مع طول المدى ليس ينسخ
محط رحال المعدمين وقصدهم ... فنجب الرجا في باب علياه نوخ
تضم به العلياء طود مهابة ... بطلعته الغراء تسمو وتشمخ
إمام بأفق الشام للحق منشىء ... تلاشى به من كان في البطل يلخ

من الغرب وافى الشرق فازدان بهجة　　وأمست به عين المنى تتنضخ
وحل به العز الذي ليس ينقضي　　فكان به مبدا المعالي يؤرخ
رسا فوق هام النجم سامى مقامه　　فأضحى له بالفضل مرمى ومرسخ
من القوم كل المجد يعزى لعزهم　　كرام لمن قد ضل بالسيف دوخوا
مناقبه تتلى بها سور الثنا　　وليس لها في محكم المجد منسخ
حمى الدين والدنيا بعز شهامة　　تضيق بها الارض الفضا وهي سربخ
شمائل ما للمسك في الشم طيبها　　بأنفاسها برد الشمال مضمخ
له الكلم اللاتي بها السمع يزدهي　　وتعنو لها شم العلي وهي شمخ
لقد أنطقت بالحق من كان أخرسا　　وأسمع من صم بها عاد أصلخ
أقل نداه دونه كل وابل　　فيرضى المرجى بالغنى حين يرضخ
عوادي الحيا تهمي حياء لطله　　وقد أغرقها أعين منه نضخ
فطوبى لأرض الشام إذ حل شامة　　بها فهي فوق النجم بالتيه ترمخ
درى بعض مافيه من العلم والتقى　　وحسن الحجا من كان في العلم يرسخ
لقد سار مثل البدر في فلك العلا　　بطول دراري الأفق عزاً ويبذخ
وأرج أرجاء الممالك بالثنا　　فكل بطيب الفضل منه يضمخ
فلا ملك إلاّ وأصفاه ودّه　　وإن تجر ذكراه لديهم يبخبخوا
صفا باطناً لله مع حسن ظاهر　　به تمدح العلياء والمجد يمدخ
فما شأنه وهو النقي من الخنا　　مقالة ذي عرض به يتطلخ
فيا من به الدين ارتدى برد عزه　　فعاد بسامي فضله وهو أبلخ
تنبه شعري في معاليك للعلا　　وأمسى به صعب المعاني يدوخ
فأنشأت أبكاراً تجلت شموسها　　إذا كان يمسي الغير للشعر يسلخ
وأبدعت بالأفكار إنشاء صورة　　يشوه بها وجه المعادي ويمسخ
وأرسلتها مع رقة اللفظ صخرة　　بها هام من يَشْنَنا معاليك يشدخ

يعون ابن هاني حين يتلى نظامها ويغدو على ما كان منه يوبخ
أتت وهي تشدو في معانيك بالوفا عقود ودادي نظمها ليس يفسخ

وقال رحمه الله

بحبة الخال قلبي صاده رشأ إذ ضمخت خده بالمسك تضميخا
أبان لي غرة من تحت طرته كانت لبدء غرامي فيه تاريخا

وقال رحمه الله

أمر القلب غـــزال فاتن سلب العشاق طيب الوسن
وجهه والطبع منه واسمــه حسن في حسن في حسن

وقال رحمه الله وأحسن مقره ومثواه

ومهفهف دبت عقارب صدغه تحمي رياض شقائق النعمان
وعلى كثيب الردف يسعى أرقم من شعره قد حار فيه جناني
حاولت قربي من حماه فصدني وأباحني الخد الشهي القاني
فأجبته مابي مخـالفة لمـا قالوه في الأمثال منذ زمان
لاتقربن أبداً مواطن عقرب وافرش ونم بمواطن الثعبان

وقال طيب الله ثراه

أبصرت مروحة بكف مهفهف تطفي ببرد هوائها نار الجوى
قد كنت خلوا قبل ترويح بها نحوي فجاءتني بأسباب الهوى

وقال

بليت بقاسي القلب مارق للذي يؤمل بعد البعد منه وصالا
ألان به دمعي الصفا سائلًا له وقد ماس عجباً بالدلال ومالان

وقال متغزلاً

يا غزالاً قد نسجت الغزلا بحلى جفن له قد عزلا
من منحت القرب حولاً كاملًا لست تبغي عن لقاه حولا

عدم القوة من بعـــد النوى والجفا منك فلا حول ولا
ويح من يصبو لأحداق الظبا ويرى دوماً بها مشتغلا
افتـــدي ألعَسَ لايمنحـــني من مجاني الثغر منه العسلا
قد شوى قلبي على نار الغضا إذ قلاه بالتجـــافي وسلا
جفنه والعطف في حرب الهوى قد نضا السيف وهز الأسلا
خاله المسكي حبات الحشـــا قد غدت للحسن منه خولا
مل من قربي إذ أترع لي في الهوى كأس صدود وملا
لايرى التسهيل في وصل إذا جئت أبدي شرح حالي جملا
فصل المشتـــاق عنه حينا أحرق القلب بهجر وصلا
خبري بالخـــد والردف له ملأ السهل به والجبـــلا
عـــامل اللحظ بقلبي فاعل فهو مكسور بما قد فعلا
من ضمير الصبر قد فرغه حينا أظهـــر فيه عمـــلا
إن أتاه الدمع يومـــاً سائلا ردّه نهراً بمـــا قد سألا
أفلا يسعدني بدري الذي نجم سعدي في هواه أفلا
ويواو العطف من صـــدغ له يجعل الوصل لهجر بدلا
يا خليلا فاتحا عذلي به ان تجد عيباً فسد الخللا
واطّرح عذلي فمن أجفانه سبق السيف بعشقي العذلا
واعذر الصب الذي تيمه بعذار فاتن من عذلا
لام تعليل بدت في خده أثبتت للوجد فيه عللا
حجة العشق به واضحة للذي في الشعر يبدي جدلا
أيها الحاكم فيها حسنه جائراً وهو به قد عدلا
جانس الحسن باحسان فما كان ملك الحسن الا دولا
وأرى الدنيا كظل زائل لا يطيل المرء فيه أملا

من أتى ينقل أخباراً بها للذي يأتي كما قد نقلا
والبقا الكامل وصف ثابت لإله ملكه قد كملا

وقال عفي عنه

من لي بعطار أراني شامة سوداء فوق الوجنة الحمراء
أمسى يبيع ويشتري أهل الهوى في سوقه بالحبة السوداء

وقال رحمه الله

يا ظبية في جفنها سحر به جنت دموع العين وهي دماء
الشمس انت فليس من عجب إذا أمن ازديارك في الدجى الرقباء

وقال رحمه الله

اني أحمل انفاس النسيم الى حماكم نفحات نشرها عطر
ولا أحملها شوقي لعلمي ما فيها من الضعف ان وافى بها السحر
لكن بها من ثنائي روضة أنف بها تفتح من ذكراكم زهر
فان سرت وعرفتم طيب نفحتها فثم نشر الثنا منكم له خبر
وذكركم من حديث النفس منية مَن ثناؤكم في لياليه له سمر

وقال عفي عنه

كلفت بفاتن عذب الثنايا فؤادي في محبته تعذبْ
جميع جوارحي تصبو إليه لذلك مدمعي فيه تصببْ

وقال

نشرت برقعاً على ورد خد منع الصب في الهوى نيل مأرب
وهولي مُبغض اذا رمت لثما اذ غدا قلبه لقلبي عقرب

وقال

هيفاء قد حجبت بشد عصابة عني الجبين وما رثت لنحيبي
فاعجب لمحجوب لها في حكمها قد ورثوه الحسن بالتعصيب

وقال

ومهاة في جيدها شهب عقدٍ　　رمت أني من خدها أتقرب
فأجابت : لتنيلكَ الشهب لمساً　　هو من لثم بدر خدي أقرب

وقال

عليك للنفس حق أن تطيب بها　　اذا سئمت لطول الجد بالتعب
وان تُسَرِحَ طَرْفاً في الرياض لدى　　خلٍّ براحته ترتاح من تعب

وقال

زرد العذار حمى الورود فلم يكن　　للطرف أن يدنو من الوجنات
وإذا محب مدّ عينا نحوها　　يبغي جناها كُفَّ باللامات

وقال

بعيني غزال البان هاروت ماكث　　فلا تعجبوا والجفن بالسحر نافث
عجول بقتل العاشقين اذا رنا　　وهيهات لحظ ينفث السحر رائث
لأسد الشرى غاب بأهداب جفنه　　لذاك لها في القلب أمسى مضابث
من الترك سام قد حمى برد ثغره　　فياحسن حام قد سما فيه يافث
هلال جمال بالمثاني معوذ　　ودون سماع اللفظ منه المثالث
رشا لا يُرى ثان لمفرد قده　　كما وجهه للبدر والشمس ثالث
به في الهوى قلبي الشقي جد جدّه　　على أنه بالهائم الصب عابث
يشق على العاني شقيق بخده　　لحبة قلبي خاله المسك وارث
رعيت قديم الورد غضا جناؤه　　ولا عارض فيه يعارض حادث
حريري جسم في المقامات قد حكى　　محاسن عنه تسلب اللب حارث
لعهدي أمسى ناكثاً بدلاله　　وأي مليحٍ لايرى وهو ناكث
له قد صفا ودي ولا كان عاشق　　بماذق من يهوى وفي الحب غالث

تنزهت عما ليس يرضي أخا العلا ... وما عاشق طابت سجاياه رافث
حليف صبابات اغوّت في الهوى ... وليس سوى غيث من الدمع غائث
لقد حاول السلوان عنه مفندي ... وما ذو صبابات عن الحتف باحث
تحمل عبءًا بالذي في الهوى نوى ... فأصبح ينوي وهو عاو ولاهث
دعوا من وشى عني يحدث بالذي ... يشـاء فدمعي للصبابة نابث
ومن لي بأن استكتم الدمع صبوتي ... وعنهـا بتلوين المدامع بائث
زناد الأسى وارٍ لبعد معذبي ... كما زند أفراخي بلقياه غالث
عقدت يمين العهد يوم مددتهـا ... لتوديعه لا كان في الحب حانث
نهـار أراني هوله يوم موقفي ... وجفني بقاني الدمع للخد مائث
دعينـا لتوديع فلمـا تجمعت ... قلوب بها نابُ النوائب ضابث
لبثنا بوادي الجزع في موقف النوى ... يبدد منا لؤلؤ الدمع لابث
وما فضل جمع جره لوعة الأسى ... وللمشْهَدُ مر وهو للحتف باعث
لئن حل عهداً قد عقدناه ذو هوى ... فاني على عهد الأحبة ماكث

وقال موشحاً

في سما الأفراح بدر السعد لاح ... فاجْلُ شمسَ الراح واترك قول لاح

قد وفى وصل الصفا فصلُ الربيع
شاكراً فضل الأيادي للربيع
وغـدا يبدي مقامـات البديع

عندليب في فروع الدمع صاح ... داعياً سكران حب غير صاح

وزهت بالحسن للورد خدود
قد حلا فيها لعشاق ورود
والحيا قد حاك للروض برود

نسجها قد كان من غزل الرياح فلذا تكسو الفتى ثوب ارتياح

وبدا غصن عيون النرجس

بقدود في رياض السندس

كالعذارى برزت في الأطلس

وحلا مبتسماً ثغر الأقاح بثنايا الغادة الخود الرداح

وجلا الريحان آيات العذار

لرشا يحلو به خلع العذار

وانجلى عن جل ناري الجلنار

حين أبدى وجنة الغيد الصباح رمقتها أعين منا وقاح

حبذا العيش بأيام الصبا

وزمان فيه قلبي قد صبا

حيث تروي لي نسيمات الصبا

خبر الإسعاد عن ذات الوشاح من لها قلبي حماه مستباح

غادة تنشيء من غمز الجفون

كل عشق إن تقل كن فيكون

كم أفاضت من عيون بعيون

صافحت أهل التصابي بالصفاح وعليهم شرعت سمر الرماح

نشرت فرعاً غدا أصل الغرام

فوق جيد فكسا الصبح ظلام

وغدت ترسل للصب سهام

من جفون أثخنت قلبي جراح لاترى في قتل مضناها جناح

جعل الصب لعينها النسيب
بمعان دونها يعنو حبيب
وأتى يبدع أسلوباً عجيب

بلآل جوهريات صحاح لزفاف فى سما الإقبال لاح

وهو طويل قد جعله تهنئة بزفاف لبعض أحبابه رحمه الله .

وقال أيضاً هذا الموشح الآتي داخلاً به على أعجاز نونية الوزير ابن زيدون التي كتب بها لولادة بنت المستكفي وقد كتب بها للقاضي الشريف

أجرى مآقينا بعد المحبينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ياطيب أوقاتي بسفح نعمان
إذ نلت لذاتي بوصل نعمان
يدير كاساتي روحي وريحاني

فالآن لما بان يزرى غصون البان أضحى التنائي بديلا من تدانينا

ياجيرة البان جرتم ودمعي جار
هجرت أوطاني ولم أنل أوطار
والبعد أشجاني وطير أنسي طار

ومارقت أجفان ، بعدالحمى والبان شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

أحبابنا عودوا لذلك الحب
كي يورق العود بالأنس والقرب
وبالقا عودوا مروع القلب

واسقوا غصون الود، بالعطف بعدالصد فنحن روض وأيديكم سواقينا

يا طالما أبدى لي المنى الخل
وأسعدت سعدي وأجملت جمل

وراق لي وردي — يوم اللقا الوصل
حيث المنا واف ، وظله ضاف — ومورد اللهو صاف من تصافينا
أيام عيشي راق — بقرب ذات الخال
وقرطهـا الخفاق — يدنو من الخلخال
ولي بكشف الساق — قد ساقت الآمال
فبعدها قد كاد ، بما لنا قد كاد — يقضي علينا الأمى لولا تآسينا
خود وفت وعدي — باللطف والإيناس
وأسعدت جدي — بعطفهـا المياس
وخدها الوردي — ببوسه لاباس
أنعم به خداً ، لصبه أهدى — ورداً جناه الصبا غضا ونسرينا
قد زاد وسوامي — بالحلي في الصدر
وهمت للكاس — من ثغرها الدر
وليس لي آسي — سواه من ضر
لذا رجا قلبي ، من ورده العذب — شربا وان كان يروينا فيظمينا
يا بانة الوادي — هل عائد أنسي
وعهد إسعـادي — بالبدر والشمس
وأنجـم النادي — يسعون بالكاس
ومنية العشاق ، أدار وهو الساق — فينا الشمول وغنانا مغنينا
ذكرت أيامي — بقرب ذي المجد
شريف السـامي — بدر العلا رشدي
مولى بإلهامي — يعيد مـايبدي

من أن وصفناه ، بما مدحناه   فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا

شهم لنا أولى   عــوائد البر
ولم يزل أوْلَى   بالحمد والشكر
وزادني طــولى   برفعــة القدر

وأغصن المن ، أدنى لمن يجني   قطوفها فجنينا منه ماشينـا

مع بعده وقتي   عهــدي وأولاني
والود لي أصفى   فضــلا ووالاني
وزادني عرفـا   من بعد نكران

فان يكن قد دان، قلبي لذا الإحسان   فالحر من دان انصافا كما دينا

مــولى أياديه   جيد العلى حلت
كما مساعيه   عقد الأمى حلت
ومن يوافيه   له المنى حلت

لقد خطرنا بما أسدى لنا كرما   في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

حيث الصفا حيا   بما نرجيـــه
وقد غدا حيا   ميت الرجا فيه
وكم دعا هيــا   داعي أمانيـه

لذاك قد نلنا منه بما منّا   منى ضروباً ولذات أفانينا

واشوقي البادي   لطيب ناديه
إذ بالمنى نادي   لمن ينـاديه
من بعد ابعادي   عن ورد صافيه

بدلت بالبلوى عن جنة المأوى   والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

يامن علي الشعري   به علا شعري
وبالوفا أجرى   لطفاً بلا أجر
وللعلى أسرى   بي مطلقاً أسري

هيهات أن ننسى من بعدكم درساً   بيض الأيادي التي مازلت تولينا
أوقات شربي صاف   من وردك الحالي
وبدر أنس طاف   بكأس آمالي
وغاظ بالأتحاف   مرآك عـذالي
لذا دعوا جهراً بهجـة حرا   بأن نغص وقال الدهر آمينـا
فحالت الأحوال   عن ذلك العهد
وقطعت آمال   معـذب الصد
وعز لمع الآل   ظمآن للورد
واوجه القصد عادت من البعد   سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

وقال من قصيدة

خطرت لأعطـاف المحاسن ثانيه   هيفـاء للشمس المنـيرة ثانيه
ورمت سهاماً عن قسي حواجب   منعت مراميهـا بلوغ مراميه
وهوت معاطفها تميل مع الهوى   واحر أحشائي بنـار الهـاويه

السيد الشيخ ابراهيم البرزنجي الكردي

بقية ابناء البتول ، ونهاية القصد والسول ، المحرر لمعاني المعقول ، والمحبر لمبـاني المنقول ، من صرف همته فيما تحمد عقبـاه ، وعرف الحق فاتبعه واجتباه ، وان هذا المترجم يكفيه شرفاً انه على نسق أبيه ، وان أباه معلوم بأنه سيد شريف عالم عامل فاضل نبيه ، وانها من بيت العز والشرف ، الذي ينحط لعـلوه البدر وهو في الشرف ، فـلا ريب انه توطد في وهاد الفخار ، وغرد صادح فضله مهيمناً بما تحلى به من الفضل والمقدار ، فَحَسَبُهُ أظهر من عمود الصبح نوراً ، ونسبه أشهر من الشمس ظهوراً ، وأهله أهل جود وكرم ، وأصله ممن نسب اليهم سمو الهمم ، كلهم ذوو فصاحة وبراعة وبلاغة وبداعة .

من أناس سموا على ذروة النجـــم فخـــاراً بأحمد وعـلي
ورثوا المصطفى فخاراً فهل من شرف مثـل مـا سموه علي

روى عنه من ابناء العصر الجم و كمل به فن المعقول والمنقول وتم ، وما زال مهابا معظما موقرا مكرما ، مقصودا لكل اشكال معدوداً من أعيان ذوي الكمال ، في كل يوم يسمو مقـامـه ، وينمو احترامه ، الى ان دعاه داعي السعود ، الى الاجابة لدار الخـلود ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين من هجرة النبي الامين ﷺ .

السيد ابراهيم مفتي البصرة بن السيد بدر الدين بن السيد مبارك ابن السيد صالح بن السيد رجب بن السيد شعبان بن السيد محمد درويش ابن السيد صالح بن السيد عبد الله بن السيد عبد الرحمن بن السيد حسن ابن السيد حسين بن السيد يوسف بن السيد رجب بن السيد القطب الجليل شمس الدين محمد سبط الحضرة الرفاعية رضي الله عنهم .

ان هذا المترجم من رجال تنوير الابصار ، في طبقـات السادة الرفاعية الأخيار .

فقال في ترجمته ، واظهـار منقبته : ولد بالبصرة ونشأ ببيت أبيه وسيده ومربيه ، ورضع ثدي الكمال ، وتلقى العلم عن فحول الرجال ، واتقن علوم الشريعة وعده ارباب العرفان من حسنات الزمان ، لبس الخرقة الرفاعية من أبيه ، السيد بدر الدين الرفاعي وانتشرت على يديه ، أخذ عنه الافاضل ، وولي نقابة الاشراف بالبصرة برهة يسيرة ثم وجهت عليه خدمة الافتاء بها وبقي مفتياً حتى مات بها . وقد كان معتقدا مبجلا محترما ذا شأن كبير ، وقدر خطير ، وله تصانيف وتآليف جليلة أشار اليها المرحوم شاعر العراق السيد عبد الغفـار الاخرس في بعض قصائده التي امتدحه بهـا وقد أكـثر من مـدائحه ، وأشار الى ما أحسن الله

اليه به من منائحه ، منه ما قاله — من قصيدة فيه لازالت سحب الرحمة توافيه :

قريب من رسول الله يدعى بأزكى العالمين ابا وأما
نماه الانجبون وكل قرم الى خير الورى يعزى وينمى
تخلق من سنا نور مبين فكان الجوهر النبوي جسما

ومنهـــا

تأمل في عظيم من قريش تجد أسد الشرى والبدر تما
عليه من رسول الله نور به يمحو الظلام المدلهما
إذا الأمر المهم دها كفانا بدعوته لنا ماقد أهما

وله فيه من قصيدة أخرى

ولي في البصرة الفيحاء قوم أصول بهم على الخطب الجسيم
جرى من صدر ابراهيم فيها على الدنيا ينابيع العلوم

ومنها

إذا عدت قروم بني معد فأول من يعد من القروم
عماد الدين قام اليوم فينا بأمر الله والدين القويم
وفرع من رسول الله دلت أطايبه على طيب الاروم

ومنها

لقد كرمت له خيم وجلت وخيم الأكرمين أجل خيم
وهل في السادة الأنجاب الا كريم قد تفرع من كريم

ومدائحه كثيرة ومناقبه شهيرة ، وقد كان من أكابر القوم أهل الباطن والظاهر ، ومن أشراف السادة الأحمدية الذين توارثوا مكارم أبي العلمين كابرا عن كابر ، توفي المترجم المرقوم بعد الخمسين والمائتين والألف بالبصرة ودفن بها وقبره معروف . انتهى ولعمرى ان فقده مصيبة عظيمة وداهية جسيمة فهو كما قيل :

من بعده تلك الدروس تعطلت　　يبكي لهـا قلبي ويبكي المنبر
قد كان فخرا للانام ومفتيا　　يفتي بحـق الله هـذا الانور
فالصبر منا قد تمزق ثوبه　　من أين للصب المعنى يصبر
غدر الزمان بنا بابراهيمنا　　هذى على كل المصائب تكبر

ابراهيم الداغستاني

كان من مشاهير العلمـاء ، وأفاضل السادة الفضلاء ، نشـأ على العلم والتقوى ، والإخلاص في السر وفى النجوى ، والعبادة والصلاح ، والسير على نهـج الاستقامة والنجاح ، ولم تزل الايام تمنحه مطلوبه ، وتحبوه مراده ومرغوبه ، الى أن أجلسته يد العناية ، وأقعدته سواعد الرعاية ، على مرتبة التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح ذي المقام النفيس ، فكان يبذل بجهوده في إبداء اللطائف . ونشر العلوم والمعارف ، ثم تولى القضـاء في حلب والشام ، ثم بعد ذلك تولى قضاء البيت الحرام ، ولما طعن في السن وضعف بصره لزم داره ، وجعل العبادة مراده ومداره ، وفي شهر محرم سنة الف ومائتين وتسع هجرية ، وجهت اليه رتبة صدارة « روم ايلي » التي هي أعلى رتبة علمية ، وفي ثمانية عشر جمادى الآخرة سنة الف ومائتين وعشر توفي الى رحمة الله ، أعلى الله مقـامه وأولاه مناه آمين .

السيد ابراهيم بن قاسم بن محمد بن علي الحسني الرويدي المكنى بأبي الفتح

اديب كامل ، قد اشتهر بين الأفاضل بالفضائل ، وحسن بين الناس ذكره ، وعلا مقامه وقدره ، قال الامام الجبرتي : ولد بمصر كما أخبر هو عن نفسه سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وكان فريداً بالأدب والجمال والكمال والظرف واللطف ، حفظ القرآن المجيد ، وأتقنه على أتم تجويد ، ومهر بحسن الكتابة والخط ، حتى كاد أن يقال لايوجد من يساويه في مصره قط ، وكتب بخطه الفائق الحسن الخالي عن المماثل ، كثيراً من المصاحف

والأحزاب والأدعية والقطع والدلائل ، وكان إنسانا حسنا يحفظ كثيراً من نوادر الأشعار ، وغرائب الحكايات والأخبار ، وعجائب المناسبات على أتم مطلوب ، وروايتها على أحسن أسلوب مرغوب ، والحاصل أنه كان فريدا ، وفي كماله وحيدا ، توفي سنة إحدى عشرة ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمود بن الشهاب أحمد العطار الدمشقي الشافعي

عالم جليل ، وفاضل نبيل ، شهير الذكر ، كبير القدر ، من بقية المشايخ الأقدمين ، الناهجين على طراز كُمّل الصالحين ، له محاضرة لطيفة ، ومذاكرة ظريفة ، وتواضع بين ، وجانب ليّن ، ولد بدمشق عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف تقريباً ونشأ بها ، وقرأ على مشاهير مشايخها ، منهم عمه الشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الطيبي والعلامة عمر أفندي الآمدي وملا بكر الكردي وغيرهم ، وأخبرني رحمه الله أنه قرأ على والدي المرحوم الأربعين حديثاً النواوية دراية في مجالس متعددة واستجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه فأجازه وكتب له بخطه ، وكان ناسوته يشهد بكماله ، ولا التفات لما نسبه اليه بعض حساده ، وأعدائه وأضداده ، وقد تصدر للاقراء والإفادة في جامع بني أمية ، وعكف عليه من الطلبة كثيرون ، وكان ينظم الشعر أحياناً ، ويؤثر الانزواء عن غير محافل الفضلاء ، ولم يزل على حالة حسنة وصفة مستحسنة ، إلى أن توفي سلخ شعبان سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

السيد ابراهيم بن السيد محمد بن السيد عبد الله ابن الولي الكبير السيد أحمد الراوي الرفاعي

قد ترجمه أحمد عزت باشا بن محمود أفندي بن سليمان أفندي الفاروقي رحمه الله فقال : هو الشاب التقي النقي اللوذعي ، ولد براوه بعد السبعين ومائتين

وألف ، ونشأ في حجر أبيه وتلقى عنه العلوم وتفقه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ورحل لطلب العلم إلى الموصل وإلى بغداد ، وأحرز سهماً من الكمال . إلى آخر ماترجمه به وقد ذكر له قصيدة مدح بها الشهم الأوحد والقطب الغوث المفرد السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره وأعلى قدره وجعل في الجنان مقره فقال :

يا أخا السير إن أردت وصالا ووصولا إلي العلا واتصالا
بفسيح الوادي المقدس فاترك زمرة الحائرين واخلع نعالا
وتذلل واسلك طريق الرفاعي من كساه الرسول قالا وحالا
ولديه الوفود كم قد أقالت عثرات وخففت اثقالا
وهو مأوى القفول في كل عصر كم جلا عن قلوبها أقفالا
وهو ليث الوغى وغيث البرايا منه تسقى قلوبها الآمالا
وهو السيل إن أردت علوماً وهو السيف إن أردت قتالا
وهو باب النبي لاثم يمنا ه جهاراً وقد تجلى تعالى
حين أبدى محمد معجزات معجزات لأحمد اجلالا
كيف لا وهو شبله وكذا الآ باء تعلو ان انجبت أشبالا
وكذا الآل بالفضائل تسمو هكذا هكذا وإلا فلا لا
يا ابن بنت الرسول يا ابن علي من بعزم صم القلوب أسالا
يوم بدر وخيبر وحنين وتبوك كم للضلال ازالا
يا رفيع المقام يابن الرفاعي طبت نهجاً وبهجة وجمالا
رضي الله عنك يا سيد القو م الذي جل هيبة وجلالا
يا حمي الأولياء يا مقدامهم يا مجير الجاني إذا الذنب صالا
جد لعان بنظرة وتلطف لعبيد ما عنكمو قط مالا
بجاهكم قد لاذ راوي أحاديث علاكم مفصلات طوالا
كم لكم من مآثر وصفات قد تجلت للناس سحراً حلالا

لو أردنا ايرادها بمقـال | لرأينا تفصيلها اجمالا
آل طه لا زال في الكون منكم | كل آن يرى الزمان رجالا
علماء أئمـة أمراء | أوليـاء وسادة أبطالا
شكر الله سيركم والمساعي | ومقالا وسيرة وفعالا

الشيخ ابراهيم ابو اسحاق بن عبد القادر الرياحي المغربي التونسي
شيخ الاسلام وعمدة العلماء الأعلام بمدينة تونس

عالم الغرب ومفتيه ، وشاعره المتقدم على المتنبي وابن النبيه ، فهو علامة الدهر وفاضله ، وفهامته الذي تعالت شمائله ، قد شهد بفضله عدول السند وروى عن علمه كل عالم معتقد ، ونشرت صحف نداه فطويت صحف حاتم طي ، ورفعت رايات علاه فأذكرتنا بمعالي أبي ، فلله ما أبدع بيانه ، وارفع قدره في الأنام وشأنه ، وأعذب نظامه ونثره وأطرب سجعه وشعره ، ومن جملة شعره قصيدته التي قدمها تهنئة لحضرة السلطان عبد الرحمن بن هشام حينما جلس على تخت السلطنة في فاس بوصية من عمه السلطان سليمان فقال :

نصر من الرحمن جل لعبده | أيروم خلق نقض مبرم وعده
وعدت به الاقدار وهي نوافذ | في الشاكرين له سوابغ رفده
فليبتسم ثغر الهنا مستبشراً | فالوقت ينطق عن سعادة جده
إن يمض مولانا سليمان الرضى | وعليه تبكي الباكيات لفقده
العلم والتقوى وكل فضيلة | منشورة طويت به في لحده
فلقد أقام لنا أبا زيد هدى | نوراً مبيناً يستضاء برشده
لو لم يكن كفؤاً لما أوصى به | وبنوه ترفل في ملابس مجده
سعدت به الأيام ثم أراد أن | تبقى السعادة للورى من بعده
أعظم به نصراً يدوم سروره | للخافقين سرى تضوع زنده
اهدى الى الأعداء أقتل غصة | والأوليا متنعمون بشهده
فاستبشروا باليمن من مرضاته | واستمطروا نيل المنى من وده

ما هو إلا ابن الرسول وهل فتى ... في الناس يعدل عن مكارم جده
وتناسقت أسلافه كرما كما ... راق النواظر لؤلؤ في عقده
لا غرو ان جمع المحاسن كلها ... منهم بإرث الجمع حق لفرده
لا يأفك الخراص حيث يقول قد ... ذهب الزمان بعمره وبزيده
فبسيف ما ننسخ يقد أديمه ... حتى ولو وفى العيان برده
فلكم وكم من آخر زمناً له ... فضل عظيم لا يحاط بسرده
يا أهل فاس والمغارب كلها ... والشرق من مصر لغاية حده
يهنيكم هـذا الزمان فإن في ... أيامه للدين مطلع سعده
والعلم والتقوى وكل معظم ... عند الشريعة فهو بالغ قصده
النور أوقد منهم أتراهم ... يرضون إلا باستدامة وقده
الله يبقي نوره متوقـدا ... يفنى الزمان ولافناء لخلده
ويخص مولانا الأمير بنعمة ... لاتنقضي وعناية من عنـده
ويـديه ظلا ظليلا كلما ... حمي الورى هرعوا لجنة برده
وحسام فتح كلما نهضت به ... عزماته فالنصر شاهد حده
وتمام بدر كلما اقتعد السرى ... لم يسر الا في منازل سعده
وعليه تسليم تأرج نـده ... لكنه في الفضل عادم نده
ثم الصلاة عـلى النبي وآله ... والحمد في بدء الكلام وعوده

وللمترجم أشعار كثيرة وآثار غزيرة وتحقيقات شريفة (١) وتدقيقات منيفة ، ولم يزل يصعد على سلم السمو ويترقى على معراج العلو إلى أن دعاه داعي المنية الى الآخرة العلية وذلك سنة الف ومائتين وثلاث وستين (٢) .

---

(١) له رسائل وخطب جمعها حفيده عمر الرياحي في كتاب سمي : « تعطير النواحي ، بترجمة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ـ ط » ومن كتبه « ديوان خطب منبرية » وحاشية على شرح الفاكهي « لقطر الندى » في النحو وغيرها .

(٢) في الأعلام ، ومعجم المطبوعات ، ومعجم المؤلفين وغيرها : سنة ١٣٦٦ هـ .

ابو المواهب بن حسين بن سليم بن سلامة الدجاني مفتي يافا

عالم قد زان علمه العمل ، وناظم قرّت بحسن نظمه المقل ، حديثه أعذب من الماء الزلال ، ونثره ألذ من الوصال بعد الدلال ، قد قرأ في الجامع الأزهر الى أن حصل له الحظ الأوفر ، واجازه شيوخه بما تجوز لهم روايته ، وتنسب إليهم درايته ، من حديث وتفسير وفقه وتوحيد وأصول ، وغير ذلك من نحو وصرف ومعقول ومنقول ، ثم بعد حصوله على غاية سؤله ، رجع الى بلده وأهله ، ونزل في دار العالم الفاضل والمرشد الكامل بغية الأماني الشيخ أبي رباح الدجاني ، ولما قصدت زيارة بيت المقدس سنة ألف ومائتين وتسعين نزلنا في دار الشيخ أبي رباح ، واجتمعنا بالمترجم المذكور فأدخل علينا غاية البشر والانشراح ، وكان يقرط آذاننا بلآلىء كلامه ودرر نثره ونظامه ، وأسمعنا قصيدته التي مدح بها حضرة أبي رباح المومى إليه وهي هذه :

إلامَ بربة الخلخال صاح ... فؤادك في المحبة غير صاح

وتنثر عقد دمعك ذا انتظام ... أكان الطل أم زهر الأقاح

وتخلع في العذارى ثوب نسك ... أليس عليك في ذا من جناح

بروحي غادة رشفات فيها ... ودر حديثها نقلي وراحي

تميل بعادل الأعطاف تيها ... فتهزأ بالغصون وبالرماح

كست جسمي السقام وما كفاها ... إلى أن أوسعته من الجراح

بطيف خيالها ضنت فجادت ... كرائم أدمعي بعد الشحاح

رأت حل الوصال بها حراما ... وسفك دم المحب من المباح

لأسمر قدها هزت وصالت ... ببيض لحاظها المرضى الصحاح

فدعني عاذلي واعذر محباً ... وحق الحب لا يصغي للاح

يخوض معارك الظلماء فرداً ... يسامر ساهر النجم المياح

ومن عشق الصباح عليه هانت ... مراقبة النجوم إلى الصباح

يميناً بالهوى العذرى لعذري ... بها بين البرية ذو اتضـاح
فقد كملت صفات الحسن فيها ... كما كملت صفـات أبي رباح
امام قد سما هـام الثريا ... ونال من العلا أعـلى القداح
الى قصب المكارم حاز سبقاً ... وجارى الغيث في بذل السماح
وبحـر نهل مورده فرات ... جرت بعبابه سفن النجـاح
بروض المجد قد غرست يداه ... غصون الفضل بادية الصلاح
يراع يمينه في الخطب أمضى ... إذا ماخط من بيض الصفاح
وركن الملة البيضاء أعلى ... بنور هداه في كل النواحي
حمى بسنان همته حماها ... فليس حريمهـا بالمستباح
وليس لحـاسد يبغي مداه ... بمعراج المكارم من طماح
لحيٍّ حلّه يمم لتحظى ... بمـا أملته حسب اقتراح
فيا لله من حي تسـامى ... ينادي الوفد حي على الفلاح
فيامولى المعـارف كل مولى ... تراه لديك مخفوض الجناح
اليك الفكر قد أهدى عروساً ... سمت بنطاقها ذات الوشاح
لها المهر القبول وليت شعري ... أهل يرجى لذلك من نجاح
فمعذرة لمن أمسى غريبـاً ... يكاد يغص بالماء القراح
إذا ابتسمت بروق الشام يوماً ... فيملأ أرض مصر بالنواح
مقيم جسمه فيها ولكن ... له قلب بهاتيك البطاح
بقيت بأوج مجدك ماتغنت ... بروض الشكر أطيار امتداح

وله نظم كثير رقيق ونثر بكل مدح حقيق ، وتأليفات لطيفـة وتحقيقات شريفة ، ومفاكهات حسنة وادراكات مستحسنة ، وبعد موت أخيه الكبير آل الإفتاء منه اليه وإنه لايليق أن يكون مستنداً في استحقاقه إلا عليه ، ولم يزل ذا سيرة حميدة وشهرة بديعة فريدة .

الشيخ أبو رباح السيد عبد القادر الدجاني اليافي الدودير

عالم في علمه لايجارى ، وعامل في عمله لايبارى ، معروف بالفضل والكرم وموصوف بين الاكارم بالوصف الأتم ، بيته لكل قاصد معروض واطعام الوافدين وإكرامهم كأنه عليه مفروض ، لايرد وارداً ولا يمنع من الزائرين قاصداً ، كأن ابا تمام قال بحقه هذه الأبيات العظام :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

جواد إذا ماجئت للجود طالباً حباك بما تحوي عليه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

مع عفة وديانة وعبادة وصيانة وصيام وقيام وطاعة على كمال الانتظام ؛ واذا رأيته رأيت شهماً ذا هيبة ووقار وهيئة حسنة قد جللتها الأنوار ، تهابه النفوس قبل أن تعرفه وتصفه بالكمال قبل أن تستوصفه ، فلا ريب أنه في زمنه فريد مصره بل فريد أوانه وعصره ، وكل من عرفه أقر له بذلك واعترف ، وعلمه أنه من خلاصة ذوي المجد والنسب والشرف ، وقد جاور في أول أمره في الجامع الأزهر والمحل الأعلى الأنور ، وأخذ عن السادة الأفاضل ذوي الشمائل والفضائل كالشيخ الباجوري والشيخ السقا والشيخ الأشموني والشيخ الخضري والشيخ عليش وغيرهم ، وقد أخذ عن الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا وعن الجسر شيخ سجادة الطريقة الصاوية . وله كرامات عجيبة وخوارق غريبة . وكنت زرته ونزلت في داره حينما توجهت لزيارة بيت المقدس ، فرأيت رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا ، ذا أوصاف علية وأخلاق نبوية ، وكأن لسان حاله يخاطب من حل لديه : ليس للشيخ منة عليك بل منتك عليه ، وفي يوم من الايام بعد صلاة الفجر رأيته يريد الذهاب على خلاف عادته ، فسألته عن ذلك فقال اني في

هذه الليلة رأيت القطب عبد القادر الجيلاني فسلم علي ورحب بي ، ثم قال استقبل ضيوفي فإنهم في الصباح يردون عليك من صبحه ، فأنا خارج لاستقبالهم وانصرف ثم عند الزوال جاء الوابور ومعه جماعة من الهنديين القادريين فجاء بهم جميعاً الى داره ، وقال لي قد وصل بحمد الله ضيوف الأستاذ وكان يقوم بخدمتهم بنفسه ماوكلهم إلى أحد من خدمه ، وكان يقدم لكل واحد منهم مايشتهيه من طعام وشراب ودواء على حسب حاجتهم ، وهذا أمر نادر لايقدر عليه في الناس إلا السادة الأكابر ، ومع ذلك هو مقصود للسؤال والجواب ، وإقراء الطلاب ، ولم يزل مقامه يعلو واحترامه يسمو ، الى أن دعاه داعي المنية ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وتسعين .

الشريف السيد الاستاذ ابو الهدى بن السيد حسن وادي بن السيد خزام ابن السيد علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين الرفاعي الخالدي الصيادي قطب مدار الفضائل ، ومجمع أسنى الشمائل ، مصباح ذوي العرفان ، ومفتاح غيب كعبة الوجدان ، الحسيب الذي علا حسبه ذروة العلا ، والنسيب الذي اشتهر نسبه بين الملا ، من سراة لهم السر الأعلى ، وحماة لهم القدر الأجلى ، وأفاضل استوى فضلهم على عرش الكمال ، وأماثل قد طار ذكرهم في الآفاق وجال كل مجال ، وطاول شرفهم الحمل والميزان ، وحاول الترقي الى ذروة اليمن والإيمان ، وهو ممن تأثل مجده في بحبوحة ذلك الشرف ، وتبوأ من السيادة أسنى الغرف ، مرتوية أفياؤه بماء النبوة ، متأرجة أرجاؤه بعبير الفتوة ، مع مهارة في العلوم ، ومحاضرة فاض فيضها من فضل سيبه الموسوم ، وأخلاق تألق جمالها الوضاح ، وأوصاف تأنق عبير روضها الفواح ، وأدب تردى بالبراعة وتوشح ، وشعر ترنح للقبول وترشح ، وحسن تلاعب بأطراف الكلام ، وتناسب فيما تنشره ألسنة الأقلام ، وجمال ألبسه الكمال إهابه ، وجلال لو رآه الغضنفر الكاسر في غابه هابه .

فطن له علم يفيض ومنسب … من ضرعه در النبوة يرشح

فرع زكا من دوحة الشرف التي … من فوقها ورق السيادة تصدح

هذا ملخص نسخة السادات من … يثني عليه كأنما هو يقدح

انظر جميع خصاله وفعاله … فجميعها عبر لمن يتصفح

عجباً لقوم يكفرون بها ولو … عقلوا وما عقلوا الصواب لسبحوا

يحق لعصره به الفخار، ولمصره ان يتيه به على سائر الأمصار، فهو إمام الكل في الكل، لو حاول اللسان حصر أوصافه لعجز وكل، كيف لا وهو إمام وابن إمام، وهمام وابن همام، وهلم جرا لا تقف عند حد، حتى تنتهي الى أشرف جد، فليس في نسبهِ إلاّ ذو فضل وحلم، حتى تقف على باب مدينه العلم، وهذا فرع طابق أصله، ومتأخر ولكن فاق من قبله، طلع في جبهة الدهر غرة، فكان للعيون مسرة وقرة، وما قارن هلاله ابداره، حتى أحاطت به العلا داره، فلا غرو إن ألقت إليه الرياسة قيادها، وجعلت إليه السيادة استنادها، فأصبح ومرتبته العليا، وعبده الزمان وأمته الدنيا، ولله دره من عالم بهرت حجته، وبحر زخرت لجته، فقذف لؤلؤا ودرا، وعم الأنام إحسانا وبرا، وناهيك به من ذي منطق فصل، وفضل قد تأثل في الزيادة والوصل، ولما ضاع أرج ذكره نشرا، وتهلل محيا الوجود بسناه بشرا، وانتشر صيته انتشار الصباح، وتعطرت بعبير ثناه الفيافي والبطاح، وعشقت أوصافه الأسماع، وأسرع اليه طلاب المعالي للأخذ والسماع، دعاه مولانا السلطان، الغازي عبد الحميد خان، إلى حضرته العالية الشريفة، واستبقاه في بحبوحة نعمته المنيفة، ونظر إليه بعين عنايته، وأسبل عليه ستر رعايته، فهناك امتد في الدنيا باعه، وعمرت بكمال الإقبال عليه رباعه، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح :

هذا الهمام ابن الهمام أبو الهدى … كنز الندى نجل النبي المجتبى

هذا وحيد الدهر قطب أولي العلا … شمس الملا شرقاً بدت أو مغربا

ألف الندى ورأى السخاء فريضة　　فاعتاد بذل المال من زمن الصبا
ان تدن آمل بره ونواله　　لاقاك بالوجه البشوش ورحبا
ذا البحر ان يممته تظفر بما　　أملته جرب ترى صدق النبا
قد قر في عرش الكمال سموه　　فلذا تراه على البرية كوكبا
من آل بيت قد علت أركانه　　وله العلا قد قال أهلا مرحبا
أبقاه ربي للأنام مدى المدى　　ما أشرقت شمس وما هبت صبا

هذا وإني بحمد الله قد اجتمعت بهذا المترجم الفريد ، حينما تشرفت به دمشق الشام وكان قد قصدها على قدم السياحة والتجريد ، مريدا بعد زيارة ساداتها زيارة أقربائه بني الصياد ، فحصل لي بالاجتماع بحضرته غاية المنى والإسعاد ، غير ان الحصة كانت قصيرة ، وكانت المذاكرة بيننا يسيرة ، فلم تحصل المعرفة المقتضية للتذكار ، وعلى كل حال فاني اعدّها من النعم الكبار ، وقد وعيت من بديع محاضرته ما أدهش ، ورويت من أحاديث شعره ما أطرب وأنعش ، وكان كثيراً ما ترد عليه احوال ، دالة على استشرافه على مقام الكمال ، وإني لأرجو من واهب العطيه ، ان يمتع بصري برؤية حضرته على احسن حال قبل حلول المنيه ، انه كريم وهاب ، اذا دعاه العبد أجاب ، ثم انني أيام رقمي لهذا التاريخ طلبت من حضرة المترجم ترجمته بالمراسله ، لتكون لكتابي حلية لطيفة ولذاتي من جملة المواصله ، فأرسل لي حفظه الله من تأليفاته الشريفة جملة ومنها كتابه المسمى « بقلائد الزبرجد » ، على حكم مولانا الغوث [1]

---

(١) إن لفظ الغوث — في الكتاب والسنة وكلام العرب ، كالاستغاثة — إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، ومعناه : المدرك عباده من الشدائد إذا دعوه ، ولا يجوز الاستغاثة بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلاّ الله . وأما قوله تعالى — في سورة القصص — « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » فهي استغاثة عادية ، داخلة في دائرة الأسباب والمسببات .

الشريف الرفاعي أحمد »، مذيلا هذا الكتاب بترجمة هذا الاستاذ، والعمدة الشهم الملاذ، وهذه الترجمة من إنشاء العالم الفاضل، والجهبذ السميدع الكامل، السيد محمد بن السيد عمر الحريري الرفاعي شيخ السجادة الرفاعية، في مدينة حماة المحمية، فنقلتها بحروفها من غير تغيير ولا تبديل، كما هي مرقومة لتكون نسبتها الى حضرة منشيها باقية ومعلومه، فقال بعد خطبة دخل بها على المرام، وقد حذفتها لاقتضاء المقام، هو العالم المحقق والفاضل المدقق، شيخ الطريقه، وكشاف كل حقيقه، فرع الزاوية الهاشميه، ويتيمة قلادة السادة الأحمدية، مجدد طريقة جده أبي العلمين، وناشر أعلام فضله في المغربين والمشرقين، المالك زمام الفضائل والمعالي في كل نادي، صاحب السماحة والسيادة السيد الشيخ محمد ابو الهدى افندي ابن شيخ المقام العالي الصيادي، العارف الكبير، الهمام الشهير السيد الشيخ حسن وادي، بن السيد علي بن السيد خزام، بن السيد الشيخ علي الخزام، دفين حيش الولي المقدام، ابن الولي العارف العالم المرشد الكامل السيد الشيخ حسين برهان الدين، بن السيد عبد العلام، بن السيد عبد الله شهاب الدين المبارك الزبيدي البصري الرفاعي، بن السيد محمد الصوفي، ابن السيد محمد برهان، بن السيد حسن الغواص، بن السيد الحاج محمد شاه، بن السيد محمد خزام دفين الموصل، بن السيد نور الدين، بن السيد عبد الواحد، بن السيد محمود الاسمر، بن السيد حسين العراقي، ابن السيد ابراهيم العربي، بن السيد محمود، بن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك، بن السيد محمد خزام السليم، ابن السيد شمس الدين عبد الكريم، بن السيد صالح عبد الرزاق، بن السيد شمس الدين محمد، بن السيد صدر الدين علي، بن القطب الجواد السيد عز الدين احمد الصياد، بن السيد ممهد الدولة والدين عبد الرحيم الرفاعي، بن الإمام ولي الرحمن السيد عثمان، بن السيد حسن، بن السيد

عسله ، بن السيد الحازم ، بن السيد احمد ، بن السيد علي مكي ، بن السيد رفاعه ، ويقال له الحسن نزيل المغرب ، بن السيد المهدي ، بن السيد أبي القاسم محمد ، بن السيد الحسن ، بن السيد الحسين ، بن السيد أحمد ، بن السيد موسى الثاني ، بن السيد ابراهيم المرتضى ، بن الإمام موسى الـكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، بن الإمام محمد الباقر ، بن الإمام زين العابدين علي الأصغر السجاد ، بن الإمام الهمام علم الإسلام عين أئمة الأعلام ، سبط الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي امتحن بأنواع البلاء أمير المؤمنين مولانا أبي عبد الله الحسين الشهيد بكربلا ، إبن إمام الأئمة وأمير نحل هذه الأمة سيد الأولياء ، وقائد أزمة الأصفياء ، أمير المؤمنين مولانا الإمام علي رزقه من زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين بنت سيد المخلوقين عليه أفضل صلوات رب العالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ولد حفظه الله وحماه سنة الف ومائتين وست وستين لثلاثة أيام خلت من شهر رمضان المبارك بشيخون من أعمـال معرة النعمان ، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم شرع في الكتاب فمهر ، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أفاضل الرجال الأعيان فأتقن وأحسن ، ثم تشرف بلبس الخرقة والخلافة الرفاعية من يد والده المتقدم ذكره صاحب الأنفاس الزكية ، وله إجازتان أيضاً بطريقتهم العلية الرفاعية الصيادية ، الأولى من شيخه وابن عمه أحد مشاهير أولياء الله السيد الشيخ علي خير الله الرفاعي الصيادي شيخ المشايخ بحلب الشهباء ، لبس منه الخرقة الرفاعية باذن والده ، وأقام عنده بحلب مدة ولا زال بعدهـا يتردد لزيارته في أغلب أوقاته ، مستمداً فيوضات نفحاته ، وصالح دعواته ، حتى حاز بحمد الله منه على تمام رضاه ، وآذنه بما لديه ففاز به محفوظاً بعناية الله ، والثانية من حضرة شيخه الأجل الولي الأكمل ، غوث[1] زمانه وشيخ أهل عصره وأوانه ، طـاهر الأنفاس

---

(١) قدمنا ما في لفظ (الغوث) في ذيل (ص ٧٤) فتأمل .

المستأنس بربه المستوحش من الناس ، مولانا السيد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الشيوخي الصيادي الرواس ، لبس منه الخرقة عام تشريفه بغداد دار السلام ، وتمم السلوك على يديه ، وأخذ عنه العلوم الشرعية والتصوفية ، وحفظ جميع كلامه المنظوم بعد الوقوف على كنوز حقائقه الدرية ، ورموز معاني دقائقه الخفية ، ولما استوفى سلوكه في الطريقة ، وملك زمام الكشف عن مضمرات كل حقيقة ، آذنه بالرجوع لوطنه ودياره لنشر الطريق المبارك وقال له يوم وداعه :

دخلت لحاننا فاشطح وغني — فأنت وحقنا عنـا تنوب

فعاد مصحوبا بالسلامة للديار الحلبية ، وعمتها بسببه بركة الحضرة الرفاعية وبعد رجوعه ببرهة يسيرة ، خطر دار السعادة مركز الخلافة الإسلامية ، فنشر بها علم الطريقة العلية ، وانتسب له أفاضل الناس ، لعلمهم أن طريقه المبارك قام على أساس من العرفان والشرع وأي أساس ، وعاد منها بنقابة أشراف جسر الشغور من أعمال حلب ، فانعطفت له الأنظار والقلوب بحسن الطلب ، ثم بعد برهة يسيرة ولي نقابة الأشراف بحلب الشهباء ، وأقبل على تعظيمه واحترامه بها الفقهاء والفقراء ، وفي هذه الأثناء لازال يخطر اسلامبول المحروسة ، ذات الأطلال المأنوسـة ، ويترقى في المراتب العلمية ، ويعظم اشتهاره لدى رجال الدولة العلية ، حتى بلغ أمره الخليفة المعظم ظل الله في العالم [١] ، وارث سرير خلافة سيد المخلوقين نبينا وسيدنا محمـد ﷺ ، ناصر الشريعة الغراء ، وناشر ألوية الطريقة السمحاء ، خادم الحرمين الشريفين امام المشرقين والمغربين ، السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان ،

---

(١) هذا الوصف وأمثاله للخليفة ، هو الذي كان متعارفا في ذاك العهد ، وكان لابد من اثباته في أي كتاب مخطوطـا كان أم مطبوعا . وقد رأى المجمع العلمي بدمشق طبع هذا الأصل كما هو ، ليكون مرآة لذلك العصر .

ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان ، خلد الله خلافته بالتوفيق الى آخر الدوران ، آمين .

فأحضره لديه ، وعطف بكليته عليه ، وقلده مشيخة المشايخ في دار الخلافة العلية ، وألحقه الى رتبة قضاء العسكر التي هي منتهى المراتب العلمية ، ومع كل هذا مابرح منعكفاً على خدمة الطريق الشريف ، مشتغلاً بفضل الله بإعلاء منار الشرع العالي بالتصنيف والتأليف ، حتى ألف الكتب الجليلة الكثيرة ، والرسائل الظريفة الوفيرة ، وقد حرر اكثرها الطبع ، بأحسن شكل وأجمل وضع ، وهاهي بحمد الله بأيدي المسلمين ينتفع بها العوام والخواص من الموحدين ، لأنها مشحونة بالأصل الديني المتين ، محفوظة مصونة من شبه أرباب الغلو في الدين ، مرفوعة القواعد على اساس الكتاب والسنة السنية ، رافعة أعلام المجد والمفخرة لعامة الملة الاسلامية ، ولخاصة الفرقة الزكية الرفاعية ، منها كتاب ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الاسلام على خمس ، وقلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ، وسلسلة الإسعاد في تاريخ بني الصياد ، وداعي الرشاد الى سبيل الاتحاد ، وهداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي ، ورسالة في التواتر والفجر المنير ، فيما ورد على لسان الغوث الرفاعي الكبير ، والصباح المنير في ورد شيخ الاولياء السيد أحمد الرفاعي الكبير ، وديوانه الفيض المحمدي والمدد الاحمدي ، وكتاب الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ، والحقيقة المحمدية في شأن سيد البرية ، والمدد النبوي في بيان حكم العهد العلوي ، وروح الحكمة فيما يجب من الاخلاق على هذه الأمة ، والمدنية الاسلامية في الحكمة الشرعية ، وتطبيق حكم الطريقة العلية على احكام الشريعة النبوية ، وسياحة القلم في الحكم ، والواعظ المعرب عن حقيقة المسلم المتأدب ، والسهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب ، وتاريخ الخلفا ورّاث النبي المصطفى ، والكوكب الزاهر في مناقب الغوث عبد القادر ، والعناية الربانية في ملخص الطريقة

الرفاعية ، وديوانه الثاني الجامع لأشتات درر غرر المعاني ، وحضرة الاطلاق في مكارم الأخلاق ، وقرة العين في مدح الإمام أبي العلمين ، وطريق الصواب في الصلاة على النبي الأواب ، وغير ذلك من المآثر التي سارت بها الركبان ، وملأ شعاع فضلها النواحي والبلدان .

وقد امتدحه البلغاء وأثنى عليه فضلاء الشعراء لما من الله به عليه من الأخلاق ، الشاهدة له بصحة النسب المحمدي وطهارة الأعراق ، منها :

ياساري البرق بل ياسائق السحب — حي المنازل بين البان فالكثب
انخ هناك مطايا الغيث مثقلة — من كل منهمر بالقطر منسكب
وقف على الدار وسط الحي منتسباً — لثغر ساكنها وافخر بذا النسب
قرب لها خبري يابرق محتسباً — فذاك والله عندي افضل القرب
واستعمل الرفق في التبليغ ان لها — بقصتي طربا ناهيك من طرب
ماالدار يابرق في المعنى سوى صدف — ودرة الخدر فيها منتهى أربي
موهت بالدار والمعني ربتها — كذ كرنا الكأس والقصد ابنة العنب
فاذكر لها عجباً من أمر مدنفها — دان على البعد لم يحضر ولم يغب
زفيره من أواز الوجد في صعد — ودمعه من مجاري الخد في صبب
عدمت من عذلوني في الهوى سفها — وحاربوني أو ناديت وا حربي
ولو رأوا مارأت عيني وكان لهم — قلبي ولاموا لكان اللوم اجدر بي
لكن أخالهم خشباً مسندة — وهل يؤثر داعي الحب بالخشب
عاشوا خليين من عشق يؤرقهم — فطاب عيشهم وهما ولم يطب
ياعاذلي خل عذلي مشفقاً فلقد — أخطأت والله فى عذلي ولم تصب
جسمي بدار اغترابي لايفيق ولى — قلب شج عن دياري غير منقلب
يالهف قلبي على تلك الديار ويا — شوقي إليها وياوجدي وياوصبي
علمت أني إن لازمت تربتها — لم أبرح الدهر في هم وفي ترب
فاخترت فرقتها لاعن كراهتها — ولاغراماً بسير الأينق النجب

لكننا الهمم العليا روت خبراً　　العز مرتبط بالوجد والخبب
فكان ذاك علينا موجباً سفراً　　لولا الأماني لم يندب ولم يجب
لم أنس ماوجدت بالبيد اينقنا　　من الوجى ونفاد الماء والعشب
والركب في سكرة هزته سورتها　　لا سكرة الراح لكن سكرة التعب
في مهمه طامس الأعلام مشتبه　　سهل خلي من الحصباء والحصب
يرى الدليل به حربا لناظره　　لا يستغيث بغير الويل والحرب
والليل ملقٍ خياما من غياهبه　　قامت بلا عمد فيها ولا طنب
حتى إذا احتبكت في الأرض ظلمته　　وأنجم الأفق في حجب من السحب
حرنا فلما هتفنا باسم سيدنا　　أبي الهدى ضاء نور السبعة الشهب
محمد خلف الصياد صفوته　　الهاشمي الرفاعي الفتى العربي
أبو السراج أخو النورين حيدرة　　أجل عصبة طه وابنه العصبي
الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسبين الطاهر النسب
هادي الخليقة مهدي الطريقة كشاف الحقيقة جالي ظلمة الريب
مجدد لربوع الفضل حين حكت　　نهى أعاديه من واه ومن خرب
انى ومن كل علمٍ حزنُ ثاكلة　　فما استراح الى ان قال وا طربي
ذو فكرة فعلت بالمشكلات على　　جهابذ الدهر فعل النار بالحطب
آراؤه انجم في الخطب مشرقة　　وعقله لرحى التدبير كالقطب
ترى بصيرته الأزمان حاضرة　　ما كان مقتربا أو غير مقترب
وتشهد الكرة الأرضية اجتمعت　　كأنها وضعت للهو واللعب
يا دولة اتخذت منه لها ولدا　　يهنيك خير اخ يهنيك خير أب
يهنيك ذو الحزم والتدبير والأدب المطبوع والنسب المرفوع والحسب
يهنيك مولى على الأعداء فكرته　　أشد من حملات الجحفل اللجب
عقل ينوب عن الكشف الجلي وندى　　لله ما فعلت جدواه بالنوب
أحرزت يا دولة الإسلام منه فتى　　ساد الورى وهو حاشاه الصغارصي

ان المقادير قد خطت يراعتها … على محياه هذا سيد العرب
من معشر ارفع الأشياخ منزلة … امام طفلهم يجثو على الركب
صيد صناديد أشراف جهابذة … نجب جحاجحة من سادة نجب
آل الرسول خيار الناس قاطبة … خلاصة الخلق طرا نخبة النخب
لو نبأ الله بعد المصطفى أحدا … لكان منهم لعمر الله ألف نبي
شرف وعظم ومجد ما استطعت ولا … تطلب لبكر القوافي غير مطلبي
وان حظيت بحبر من أئمتهم … فامدحه محتسبا أو غير محتسب
وخص منهم فتى الفتيان سيدهم … شيخ المشايخ كهل الفضل والأدب
أبا الهدى من إذا يممت ساحته … أتاك معروفه عفواً بلا سبب
هذى الأقاليم فاطلب من يماثله … فيها ندى واحتكم ان فزت بالطلب
شبه به البحر إن البحر يشبهه … لكنه العذب مأمون من العطب
وانسب اليه جميع المكرمات ولا … تنسب إليه ادخار المال والنشب
يرى رؤوس اليتامى اذ يقبلها … اشهى له من خدود الخرّد العرب
أما العفاة فلو شاهدت قربهم … منه لحققتهم من أقرب النسب
أرضاه أن جيوش الحمد هاجمة … عليه والمال من كفيه في هرب
للجَمْعُ بين الدجا والصبح في قرن … أدنى من الجمع بين الحمد والذهب
شكرا لما نلته من صفو نعمته … الحب والقرب والترتيب والرتب
كم كربة أثقلت ظهرى ففرجها … بهمة سميت فراجة الكرب
وكم أيادٍ له عندي مؤيدة … لها دليلان من لحمي ومن عصبي
مدحته عاجزا عن دوك غايته … مع انتخابي القوافي خير منتخب
وليس في العجز عن ادراكها عجب … صفاته حصرها من أعجب العجب
يجوز صدقي وكذبي في سواه وان … امدحه يوما فمعصوم من الكذب
أبا السراج وأنت المصقع اللَّسِنُ الشهم البليغ إمام النظم والخطب
خذ مدحة من لباب الشعر لو تليت … في منتهى الشرق كان الغرب في طرب

أقسمت لهي على الأعداء لو فهموا　　اشد وقعا من الهندية القضب
ودونك العيد فاستبشر بزورته　　أنالك الله فيه منتهى الأرب

ومنها :

ان شيخي أبا الهدى لحسام　　سله الله والرسول الإمام
فهو بالله واثق خصام　　رجل لا تريعه الأيام
وله عند كرها إقدام

طود حلم من الزلازل ما ارتج　　وصبور على البلا قطّ ما لج
بيت عز كل الكمال له حج　　وإمام قامت به دولة المج
د بطور به تباهى الإمام

قرشي مهـــذب علوي　　هاشمي مقرب أريحيّ
علم مفرد تقي نقي　　ونسيب وسيد أحمدي
خالدي شهم كريم همام

مرشد العصر بالجلال توشح　　وعن الرشد والهداية أوضح
عارف عرّب العلوم فأفصح　　كم له في الورى لعمرك من أح
وال فضل حارت بها الأفهام

ومعال فوق السهى ثابتات　　وجياد تحت النهى صافنات
كم أرتنا في السبق من آيات　　ولكم من مكارم بينات
شهدت في علوها الأيام

وأياد جزيلة وهبـــات　　تتوالى كالبحر زاخرات
وسمات عن أصله باسمات　　ولكم من عزائم صارمات
عقدها لا يحله الإبرام

ولكم من مآثر طيبات　　وصلات منه لنا واصلات
وفعال عن حكمة صادرات　　ولكم من مناقب باهرات
دون مرقى سنامها الأوهام

ماجد حاز همة إن ترنها بعظيم الجبال ينحط عنها
كم فقير نال الغنى من لدنها ولكم من مواهب رد منها
عارض المزن وانقضى الانسجام

بهداه أحيا القلوب وانعش وبساط المنى لراجيه يفرش
وهو في دولة اذا الخطب ادهش اسد من عصابة كللتها الش
هب في ضوئها وصح النظام

جل بين الأنام أمرا ونهيا وبفعل الخيرات احسن سعيا
المعيُّ به الفضائل تحيا وفتى من عشيرة عرش عليا
هم رفيع وعبدهم لا يضام

ضيفه يستقر في خير منزل وصروف الزمان عنه بمعزل
سيد ملجأ لكل مؤمل وكريم به تفاخر في سلـ
ـك التدلي اهل كرام عظام

عارف قد اتى بأوثق حزم كان من بعضه علوم ابن حزم
ضيغم لم يزل بصحة جزم يقرع الحادث المهم بعزم
حيدري في طيه إقدام

وهو ما زال للبرية غوثا من يديه يستمطر الجود غيثا
وذراع دعا الأعادي حوثا (١) وتراه في حومة الحرب ليثا
بارزا ما التوت له أقدام

لعروس الكمال اصبح بعلا ولها دون غيره كان أهلا
فيصل لا يزال قولا وفعلا بالغا من مراتب العز اعلى
رتبة في أساسها الأحكام

---

(١) في القاموس : وتركهم حَوْثَ بَوْثَ ، وحَيْثَ بَيْثَ وحِيثِ بِيثِ اذا فرّقهم وبدّدهم اهـ .

ذكرها يطرب النفوس ويرقص فعليها يا دهر حافظ أواحرص
يا لها رتبة الى خير مخلص نظمتها من الشريعة ايدي الص
دق واستحكمت بها الأحكام

صبح هدي عن الهداية اسفر وبه باطن المريد تنور
عَلَم عيلم همام غضنفر كيف لا وهو صاحب القدم الفر
د الرفاعي ابو الهدى المقدام

كم بنشر العلوم احسن صنعا وأفاد العموم خيرا ونفعا
هاشمي قد طاب اصلا وفرعا من حسين بقية النسب العا
لي المباني وعضبه الصمصام

ذو يراع جواده ليس يسقط في مداه ولا بعشواء يخبط
وبما شاء لا يريد التوسط وارث المرتضى وقرة عين الط
هر والغوث ان عدا الأخصام

تاج هام العلا وجوهر نصل احمدي نضته اشرف أهل
عين آل الصياد اطيب نسل شبل اهل العبا ذو آية أصل
بعلاه تشيد الإسلام

مجلي رفده العفاة تحلوا وبوجه السرور منه تملوا
حاتمي ماقال ليت ولا لو وابن آل فيهم اضاء سما الكو
ن بهدي وزاح عنه الظلام

كوكب في ذرى العلا يتوقد وعلى فضله الخناصر تعقد
وهو للسالكين اعظم فرقد وسليل الغوث الرفاعي من قد
رفعت عزة له الأعلام

لذ بأعتابه الشريفة وادخل لحماه وارو المحامد وانقل
وبأفعاله وأقواله قل اعظم الأولياء قدرا وشيخ الـ
كل ان شد في الخطوب حزام

من يساويه سؤدداً وفخاراً وعلوا ورفعة واقتدارا
أي غوث سواه كان نهاراً لاثماً راحة الرسول جهاراً
بعد عصر والأربعون قيام

فبروحي دون الورى أفديه من وليّ بَنَى جدار بفيه
فهو في الأوليا وحق أبيه كنز سر تطلسم البأس فيه
وثوى في وحيده الضرغام

ماسواه يوم الشدائد يرجى بعد طه الرسول حصنا وملجا
كم وقعنا بالمهلكات فأنجى ولنا بابنه إبي الهدى لِلنجا
هل ذاك الدليل والالزام (١)

حجة القوم شيخهم في الأنام مرشد الوقت بهجة الأيام
قطبه الهاشمي شبل ضرام فرخه حافظ الوراثة حامي
ركنها ان تجز حماه اللئام

للمريدين في الحقيقة منجد ولهم في منازل القرب مسعد
ومن الكشف حين فاز بمقصد اخرته من السراج سراج الد
ين كأس مدامه الإلهام

فتراءى في عالم النشر والطي فجر صدق يمحو الضلالة والغي
وتبدى في هيكل مفرد الزي وعليه من مجد سيدنا الصيّـ
ادِ درع طرازه الاحترام

---

(١) إن الخوف نوعان خوف عادة كالخوف من عدوّ أو سبع مثلاً ، وهذا خوف طبيعي لامحذور فيه ، وخوف عبادة كالخوف من تصرّف حيّ أو غائب أو ميت بعباد الله ، كتصرف الله تعالى بمخلوقاته ، وهذا فيه كل المحذور ، لأنه يتضمن اعتقاد أنّ لبعض المخلوقات قدرةً على التصرف بأنفس الأحياء وأموالهم ، كقدرة الله تعالى ، وهذا يناقض الحسّ والواقع ، ويخالف عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى .

بشذا رشده الزمان تعطر فروى للأنام عنه وأخبر
وبدا ينجلي بأحسن مظهر وله نسبة حسينية الطر
ز جلاها شيخ العراق خزام

آل بيت مقدس قد كساهم خلع المجد ربهم واصطفاهم
وهداهم بفضله واجتباهم رضي الله عنهم وحباهم
صولة ينجلي عليها الدوام

ومقاما من الكواكب أعلى واحتراما بين الأنام وفضلا
وحماهم من كل ماساء فعلا وعليهم أزكى التحيات من الل
ه تعالى مدى المدى والسلام

ومن نظم صاحب الترجمة الذي فاق نظم الدرر قصيدته التي تخلص بها لمدح جده النبي المفتخر وهي :

هل منقذ لأخي النوى مما به قطعته أيدي الحظ عن أحبابه
كالظل أضحى قائماً شبحاً بلا جرم يلجلج في رسيس ثيابه
مافيه إلا الروح تخبر أنه حي ولا رسم بطي نقابه
كمد تلهب ناره ودموعه كالغيث لاينفك وبل سحابه
فالوجد هدّ وجوده بزفيره والصد حارب قلبه بحرابه
ياللرجال لحائر أسبابه قطعت وأين الوصل من أسبابه
أوزاره قد أثقلته وعوقت أسفاره الآثام عن آرابه
وطغت عليه الحادثات وما له الا الذي لاذ الورى بجنابه [1]
محبوب رب العالمين نبيه ورسوله وأمين سر كتابه
سيف الرسالة صاحب الحكم الذي أحيا رسوم العدل فصل خطابه
مصباح فرقان المثاني من بدت حكم الكتاب تضيء في محرابه

---

(١) انظر الصفحة التي بعدها .

فلك المعاني الخافيات بمشهد ما الرسل الا من نجوم قبابه
سير الهلال سرى بليل عروجه وسرت ملائكة العلا بركابه
وطوائف النور المضيء تحفه شرفا له بذهـــابه وإيابه
حتى دنا بعد التدلي صاعداً بهبوطه السامي لبوج رحابه
فتمثل الأملاك بين يديه في مغناه يستسقون من ميزابه
والدين أشرق وجهه متهلـلا في أفق وادي يثرب وشعابه
فلذاك رصع أرضه شهب السما والمسك غلغل في غبار ترابه
والبدر قلب وجهه متململا يرجو القبول على أريكة بابه
لله ركن عز من ذاك الحمى أضحى أمين الوحي من حجابه
خضعت ملوك العالمين لمجـده وتمثلوا رهبـاً لدى أعتابه
ومن انتمى لرفيع سدة جاهه لم يفترسه زمانه بمصـــابه
وعبيده مهما تدنس بالخطا هو في أمان الله يوم حسابه [1]
وتحفه من ذيله نفحـاته في هينات زمـانه وصعابه
هو روح هذا الكون قرة عينه ومدار رمز سؤاله وجوابه
هو كنز علم الله صاحب أمره [2] هو سيفه والكون نوع قرابه
هو مظهر السر الخفي عن السوى والمحضر المطوي في جلبابه
هو حجة الرسل الكرام أمامهم هو شيخهم بمشيبه وشبـابه
مـا الأولياء العارفون بربهم إلا الذين حسوا لذيذ شرابه

---

(١) كيف يكون في أمان الله يوم حسابه من لا يعرف حقيقة حاله ومآله ، والله تعالى يقول : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » الأحقاف / ٩ ويقول : « ثم ما أدراك مايوم الدين ، يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله » الانفطار/ ١٨و ١٩ .

(٢) ان الله تعالى وحده يعلم غيب السموات والأرض ، وأما الرسول (ص) فهو يعلم ما أوحي به إليه قال الله تعالى : « قل لاأقول لـكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب » الأنعام / ٥٠ وقال سبحانه : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » الأعراف / ١٨٧ .

ما الكون الا نقطة هو أصلها … أو طلسم هو شكل حرف صوابه
ما الحلم إلاّ ما اليه رجوعه … والعلم إلاّ مذهب من دابه
والجود الا نسمة من طبعه … والمجد إلاّ من سنا آدابه
لمعت براهين الهدى بظهوره … ودجى الضلال محاه نور شهابه
والحق أقبل والفتوح أمامه … والغي ولى مدغماً بضبابه
أدعوه للكرب الملح [1] وأين من … عزماته ليث الثرى في غابه
فلكم حللت به وعزة قدره … عقد الزمان ولان صلد صلابه
ولكم لجأت له بقلب خاشع … فحماه بالإحسان من أتعابه
أنا عبده والعبد مهما زل عن … طرق الرضا ساداته أولى به
صلى عليه الله مالمع الضحى … ولآله يهدي الثنا وصحابه

ومن نظم هذا الهمام في مدح سيد الأنام

اعجز المنقبض المنبسط … بمعان شط منها الخطط
وبدا من جامع الشأنين في … طالع الكونين طور وسط
وانجلى في الأفق البحت سنا … صحف صفت عليها النقط
وبدوح الغيب قامت حكم … صحة ماقام فيها الغلط
وبآيات المثاني جوهر … بأكف الوهم لايلتقط
فوقها منك حبيبي أسدلت … حجب للحشر لا تنكشط
أنت سر الكل والكل له … منك حبل عاصم مرتبط
حار في درك معانيك الورى … والمدى المقصود عنهم شطط
شأنك السيار فيه درر … لمعانيها البرايا سفط
جل من جلل مجلاك ضيا … بحواشيه البها يختبط
جمع هذا الفرق فرق جمعه … منه قد دل عليك النمط

---

(١) أين هذا من قوله تعالى : وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو » الأنعام / ١٧ وقوله سبحانه : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك ، فإن فعلت فانك اذاً من الظالمين » يونس ١٠٦ .

ومنه قوله يمدح سلطان الرجال وكعبة أهل الوجد والحال جده الامام الرفاعي الكبير لازال رمسه الأعطر مهبط مدد الخالق القدير .

قلب المحب بحبه مشغول | وله عليه تلهف وعويل
لازال يطويه الهيام على لظى | وجد وينشره ضنى وذبول
يالائمي واللوم ليس بنافع | أيصد عن طلب الحبيب عذول
دع لوم أهل العشق واطرح عذلهم | إن العذول بشأنه مخجول
ولقد تزيا بالغرام وأهله | ذو ريبة في زيه مخذول
ردته بينة المحبة خاسئا | وشهود أحكام الغرام عدول
ذو الصدق في سوح المحبة ثابت | وأخو الرياء من الظلال يميل
يلهو إذا خشع المحب وإنما | مجلى الخشوع على الفؤاد دليل
متن الهوى تحت الضلوع وشرحه | بشروط حال العارفين طويل
قد يدعي الحب الملح كواذب | والعاشقون الصادقون قليل
ولكم تباكى المدعون وما بكوا | ودموع أصحاب الولوع سيول
ولربما سكت المحب لفكرة | فيمن يحب وعقله مذهول
يامن ولعت بهم وطبت لذكرهم | رفقا فقلبي للصدود عليل
أوزال رضوى وانتحى عن أرضه | حاشاي عنكم باكرام أحول
ماقلت أصحو من سلافة حبكم | الا اعتراني سكرة وخبول
لكم التحكم في القلوب ولم تزل | تسري اليكم أنفس وعقول
قد حرت في تعريفكم جلالكم | لم أدر يال الحي كيف أقول
أيطول فهمي سر رفعة قدركم | ومقامكم هام الفخار يطول
ولكم بصف العاشقين مشاهد | غرر لها بين الورى وحجول
وغداة كل قبيلة بإمامها | تدعى ويبدو المضمر المجهول
ويرى هناك الحق والدعوى ويظـ | ـهر للعيان فضيلة وفضول
فأمامكم ياأهل أم عبيدة | علم الرجال السيد المقبول

شمس الحمى الغوث الرفاعي الذي ... في الفضل صح حديثه المنقول
سلطان أقطاب الرجال وشيخهم ... وشجاعهم حيث القلوب تزول
ذو السيرة النبوية العليا التي ... فيها انطوى المنقول والمعقول
شبل الحسين سليل اصحاب العبا ... سيف الرسول الصارم المسلول
كم مرة نصر الضعيف بنظرة ... وعلا وعز بومشتيه ذليل
غوث إذا لجأ الكسير لبابه ... طرف الزمان يراه وهو كليل
توراة عنوان الزبور نصوصه ... وبسره الفرقان والإنجيل (١)
ناب النبي فعلمه من علمه ... وطريقه بطريقه موصول
ذو همة برهانها متواتر ... كالفجر لكن ما اعتراه أفول
وكفاه أن مد النبي يمينه ... لجنابه والحي فيه قفول
خرجت من القبر الشريف كأنها ... عضب من النور الجلي صقيل (٢)
سارت بها الركبان تنقل نصها ... مسكا بأقطار الوجود يجول
هذا أبو العلمين ذو الكف الذي ... من راحه بحر الفيوض يسيل
أخذ الخضوع كشأن طه مذهباً ... فطريقه للمكرمات سبيل
ان قال عن دعوى قؤول شاطح ... سكرا فهذا بالخشوع فعول
لله خارقة بطي وجوده ... معها كثير الخارقات قليل
خشعت لديه الأولياء وكلهم ... سامي المهابة عارف وجليل
وكأنه دون الجميع لعقله ... طود من العلم الصحيح ثقيل
لا يستفز بوارد عن شأنه ... وبربه عن غيره مشغول
يجري له الإحسان بحر الامتنا ... ن وذيله من دمعه مبلول

---

(١) حين ينشد المنشد هذا البيت يذكر السامع بقول القائل :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد ! !

(٢) قدمنا في هذه الترجمة مافي هذا الغلوّ من مخالفة لنصوص كتاب الله تعالى .

هذا هو الفحل المكين بطوره ... لله ما كل الرجال فحول
وقفت رجال الله تحت لوائه ... ونواله لصروفهم مبذول
ومرى على أثر الرسول وما له ... في السائرين مماثل وعديل
شيخ بتولي المقام وسيد ... حمل الضعاف ببابه محمول
مأوى صنوف العاجزين رحابه ... ماخاب في ذاك الرحاب نزيل
هو كعبة يحمي الطريح بو كنها المـعالي ويأمن خائف ودخيل (١)
نفحات فضل الله في ذاك الحمى ... فياضها متواصل وهطول
ولشيخ ذياك الرحاب عوارف ... حزب العفاة بمنحها مشمول
من لاذ فيه بصدق قلب خالص ... مافاته المسؤول والمأمول (١)
لازال أصحاب القبول ببابه ... ولهم تدق من الفتوح طبول
فعليه لا برحت ميازيب السلا ... م تسح ماذكر الخليل خليل
أو قام منه على سرير صفاته ... ملك عليه من الرضا اكليل
أو ثبت القلب الخفوق بحبه ... صبر من الود القديم جميل

ومنه قوله يمدح شيخه القطب الاعظم السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الرواس قدس الله سره ونفعنا به آمين

لربي مني الشكر شيخي ومرشدي ... إمام الزمان الغوث قطب رحى المجد
غدا وحده ركن المعالي وانني ... عرفت به مابين أهل الحمى وحدي

ومن شعره في النسيب والغزل لازال محط رحال أهل الأمل

تندب الأطلال روحي كلما ... هب في الأرجاء ريح السحر
ويفيض الدمع من عيني دما ... ركب قوم سار سير القمر
واختباط البرق من نحو الحمى ... يخطف القلب لجيران التلال

---

(١) قدمنا في هذه الترجمة مافي هذا الغلوّ من مخالفة لنصوص كتاب الله تعالى .

فعلام كل هـذا ولما هـاهم مروا كلمح البصر
يارعى الله أويقات غضاض فنّعَ البشرُ بها هامَ السرور
مع خلان مضت بين الرياض وبنا دنيا رحى الوصل تدور
راح هذا وكأن الدهر مـا أغمض العين ولا نلنا الوصال
فاقض يادهر بنا ما أنت قاض قد رضينا باختيار القدر
آه لو عادت ليالينا القدام دور لشفينـا غلة تحت الضلوع
وروينا من أحاديث الغرام مرسلات من أساطير الدموع
ووصلنا في الهوى ما انصرما ورأينا ماتعـاناه الخيال
لكن الأمر خيال والسلام خطرات من قبيل السمر
قسما بالعهد والود القديم دور كل آن وجدهم عندي جديد
هم سروا والوجد في سري مقيم يفعل الله تعالى مايريد
مازهى الروض أو الودق همى غدوة إلاّ ومني الدمع سال
وعلى نهج الصراط المستقيم ثابت في الحب طول العمر
كلما العتم انجلى قلبي يطير دور والى أنوارهم آهي يطول
واذا ما الشمس جدت بالمسير ذكرت نفسي لهم تلك القفول
واذا موج الظلام التطما خلته من شعرهم بعض الحبال
وعلى كل قليل وكثير شكلهم منطبع في نظري
يا نسيم الصبح خذ قلبي لمن دور اقلقوه يوم بانوا بالفراق
واذا ما عدت بالذكر الحسن هات ما عندك من طيب التلاق
وأعد روحا بها البين رمى لجج الحين وألقاها وشال
وارحمنها فهي خنساء الحزن وافتقاد الإلف طبع البشر
ليت خلاني بذياك الاوى دور ذكروا خلاً لهم خلوه ليت
ذا حنَين من تباريح النوى صار لا درّ النوى حيا كميت

نظم الشعـــر لهم اذ نظما وطوى أحشاءه ضمن المقال
وعلى عرش الإشارات استوى فكره ثم أتى بالدرر
هذه ياحسرتي قصـــة من دور مسه الضر وأفناه الجزع
دنف مذ أزمع القوم وهن واصل الحزن وللحزن انقطع
كم يناجي الطيف فيهم كلما رام أن يبدي لهم قصة حال
قائلاً بالله ياطيف الوسن عَطَفُوا أم قلبهم من حجر
وعبير فاح من تلك الخيام دور يوم زمت عيسهم قبل الصباح
أنا مفتون بهم حتى القيـــام ولهذا طـــال ندبي والصياح
أسأل البرق إذا ما اضطرما عنهم يالهف قلبي والغزال
فعلى أرجائهم مسك الختام ينشر الدهـــر فتيت العنبر

وقال أطال بقاه وأعلى مرتقاه

أي غصين الياسمين انتبه واتركن بالله ما أنت به
هزك الريح فقلدت لذا خصر ريم مـــاله من شبه
حدك القطع لهذا فاعتذر علّ أن تدرأه بالشبه

وقـــال

لي بالأبيرق فتية خلفتهم وطرحت بين خيامهم أحشائي
منهم لظى ناري وماء مدامعي يا لوعتي من نارهم والمـــاء

وقـــال

لي في العراق أحبة ملكتهم قلباً عليهم يوم بانوا ذابا
ذاق العذيب بقربهم لكنه لما أطالوا البعد ذاق عذابا

وقـــال

والذاريات من الدموع تلهفا يوم النوى والمرسلات سيولا
ماكنت أعلم أن غزلان الحمى يصلتن من ريش الجفون نصولا

وقـــال

ايهـا البرق الذي تلوى به   قادحـات من زناد الولع
مارأيت العيس لما أزمعت   وتوارت عن زوايا لعلع
عجباً تلويك أخبار اللوى   لظبا روض النقا والأجرع
انني المضنى الذي فارقتهم   كيف يابارق لو كنت معي
أنت حينـاً تتلوى وأنا   زفرتي ماعشت لم تنقطع

ومن لطائف شعره قوله

ألا فرج من حضرة الله محكم   يؤيد ايماناً تحكم في السر
فيانفحة البشرى من الله سرعة   ويااغارة الجبار من حيث لاندري

وهذه النبذة من ترجمة هذا الامام مغنية عن الاكثار

توفي رحمه الله تعـالى في الآستانة في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وسبع وعشرين والحمد لله والصلاة على رسوله في البدء والختام .

الشيخ أبو السعود بن الشيخ محمد جلال بن الشيخ محمد افندي المكنى بأبي المكارم بن السيد عبد المنعم بن السيد محمد أبي السرور البكري الصديقي المصري

بقية السلف الصالح ، ونخبـة الخلف الناجح ، تولى خلافة السجادة البكرية في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندمـا عزل ابن عمه السيد خليل البكري ، ولم تكن الخلافة في فرعهم ، بل كانت في أولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور ، فلمـا حضرت الدولة العثمانية إلى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو ، سعى في السيد خليل الكارهون له ورموه بالقبائح ، ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم ، وعزلوه من نقابة الاشراف ، وردت للسيد عمر مكرم ، ولم يكتفوا بذلك

بل ذكروا أنه لايصلح لخلافة البكرية ، فقال الباشا : وهل موجود في أولادهم خلافة ، قالوا نعم وذكروا المترجم فيمن ذكروه ، وانه قد طعن في السن ولكنه فقير من المال ، فقال الباشا الفقر لاينفي النسب ، وأمر له بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم ، ولبس التاج والفرجية والفروة السمور خلعة من الباشا ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، وجعل له مرتباً معلوماً ، فراج أمره واشتهر ذكره ، وسار بسيرة حسنة مقرونة بكل كمال ، وكانت تتحاكم لديه أرباب الطرائق فيقضي بينهم بلا ميل لأحد بل بما يظهر له من الحق والصواب ، ولم يزل على حالته وطريقته مع خضوعه ولين جانبه وحكمه على نفسه إلى أن ضعفت قواه ولازمه المرض وأقعده في الفراش ، فعند ذلك طلب سادات مشايخ الأزهر نزوله عن خلافته لولده السيد محمد الكامل الرشيد ، فعرضوا القصة على الوالي فحولها لولده المرقوم في حياة والده وطلبه لذلك ، وتوفي المترجم في أواخر شهر شوال سنة سبع وعشرين بعد المائتين والألف وصلي عليه في الأزهر ودفن في القرافه بمشهد أسلافه رضي الله عنهم أجمعين .

الشيخ أبو الفتح ابن الشيخ عبد الستار افندي ابن الشيخ ابراهيم افندي الاتاسي الحمصي

عالم مصره ونخبة أهل أوانه وعصره ، ولد سنة ست عشرة بعد المائتين والالف ، وأخذ العلوم عن والده المومى اليه ، وكان جل اعتماده في الأخذ عليه ، وكان رحمه الله له خلق جميل ، وقلب عن الكمالات لايزيغ ولا يميل ، ولطافة مشهورة ، وملاحظة لعواقب الأمور مأخوذة عنه ومأثوره ، تولى منصب الإفتاء بحمص بعد عزل أخيه الأكبر الشيخ محمد سعيد افندي وكان له وظيفة التدريس في جامع سيدنا خالد بن الوليد الصحابي الجليل ، مع كونه غزير العلم جيد الفهم ، يغلب عليه الصواب

في السؤال والجواب ، توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثمائة والف ودفن في مقبرة حمص وقبره معلوم مشهور يزار ويتبرك به .

الشيخ أبو الفتح ابن الشيخ عبد القادر ابن الشيخ صالح الخطيب الشافعي الدمشقي

ولد بدمشق ونشأ بها وتخرج بأبيه وأقرأ في رسائل نحوية وفقهية في مدرسة الخياطين ، وله حلقة تدريس بجامع بني أمية بين العشائين ، وتولى خطابة الأحمدية ، وإمامة مسجد برأس سوق الخياطين ومحافظة المكتبة بالمدرسة الظاهرية ، وكان فقيراً قانعاً شرح الاجروميه والعوامل ، واختصر بعض أجزاء من تاريخ ابن عساكر من النسخة الموجوده في المكتبة الظاهرية على تحريفها [١] وكانت وفاته في تاسع المحرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة والف .

أبو عبد الله محمد بن ادريس وزير السلطان عبد الرحمن بن هشام سلطان فاس وكانت توليته في ربيع الأول سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين

الوزير الوحيد ، والشاعر المجيد ، والعالم الفاضل ، والعامل الكامل ، من انتهت اليه الفضائل ، وانتظمت به عقود الشمائل ، لقد أدى الوزارة حقها ، واستأثر المحامد واسترقها ، وكان شاعر مدينة فاس وفاضلها ، وأديبها وعالمها وكاملها ، ومن نظمه مهنئاً السلطان عبد الرحمن حينما جلس على تخت السلطنة بفاس سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين كما تقدم :

---

(١) تعاقب على اختصار أجزاء من هذا التاريخ الكبير بعض الفضلاء الدمشقيين ، وطبع بضعة أجزاء منه ، ثم رأى المجمع العلمي بدمشق أن يطبع الأصل ، فطبع جزءين منه بتحقيق بعض الفضلاء .

مولاي بشراك بالتأييد بشراكا ... قد اكمل الله بالتوفيق مسراكا

الفتح والنصر قد وافاك جيشهما ... والسعد واليمن قد حيا محياكا

الله البسك الإقبال تكرمة ... وبالتقى والنهى والعلم حلاكا

فراسة الملك المرحوم قد صدقت ... لما تفرس فيك حين ولاكا

أعدت للدين والدنيا جمالهما ... فأصبحا في حلى من حسن معناكا

وزادك الغيث غوثا في سحائبه ... فجاد بالقطر قطراً فيه مأواكا

وله قصائد كثيرة ، ومدائح شهيرة ، ومناقب سنية ، ومفاخر عليّة ، ولم يزل على حاله بالغاً من الترقي جل آماله ، إلى ان توفي هذا الوزير المذكور والفرد العلم المشهور سنة الف ومائتين وأربع وستين رحمه الله تعالى .

أبو الأنوار شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بني الوفا ، وخليفة السادات الحنفا ، وشيخ سجادتها وحط رحال سيادتها

الأستاذ الشهير ، والجهبذ النحرير ، والرئيس المفضل ، والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره ، من شهرته غنية عن مزيد الإفصاح ، ومناقبه أظهر من أن يتعلق بها البيان والإيضاح ، وأمه السيدة صفية بنت الاستاذ جمال الدين يوسف أبي الارشاد بن وفاء .

ولد المترجم وتربى في حجر السيادة و الصيانة، والحشمة والديانة، وقرأ القرآن ، والتفت بجده واجتهاده لطلب العلم على ذوي الشان، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الاستاذ شمس الدين محمد أبي الاشراق بن وفا ، عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن ابيه الشيخ يوسف أبي الارشاد ، عن والده ابي التخصيص عبد الوهاب ، الى آخر السند المنتهي الى الاستاذ ابي الحسن الشاذلي ، ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمي فحضر عليه عدة من الكتب في فنون متعددة ، وهو اول اشياخه ، ثم لازم الشيخ خليل المغربي ،

والشيخ احمد الميجري الملوى شيخ الشيوخ في وقته ، واجازه بمروياته ومؤلفاته الاجازة العامة ، وكذلك الشيخ احمد الجوهري الشافعي اجازة عامة ، واجازة خاصة بطريقة المولى عبد الله الشريف ، وحضر دروس الاستاذ الحفني ، والشيخ عمر الطحلاوي المالكي ، والشيخ مصطفى السندوبي الشافعي ، والشيخ محمد الناري ، والشيخ احمد القوصي ، وسمع المسلسل بالأولية من عالم اهل المغرب الشيخ محمد بن سودة التاودي الفاسي المالكي عند وروده مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف بقصد الحج ، وكتب له اجازة بخطه مع سنده ايضا ، واجازة بدلائل الخيرات واحزاب الشاذلي ، وكذلك تلقى الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي ، وكذلك من إمام الحرم المكي الشيخ ابراهيم بن الرئيس محمد الزمزمي ، واجازه بالمسبعات وبما لأسلافه من الاحزاب ، وكناه بأبي الفوز ، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم .

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين والف وصلى عليه في الأزهر ، ودفن بالقرافة في مشهد اسلافه في التربة التي اعدها لنفسه .

ابو السعود بن ضيف الله مراد

الشاب الأديب ، والناجح الأريب ، من صاغ من فرائد درره عقدا ، وجدد للأدب بعد الاندراس عهدا ، فهو الإمام الذي يقتدى في النظام به ، والهمام الذي اثمرت رياض الجمال بآدابه ، تتطاول له اعناق السرور حينما يمد لها سماط المنظوم والمنثور ، ومن شعره البديع المتحلي بأنواع المعاني والبديع قصيدته وهي :

أبدور مشرقات أم غرر في ليال داجيات أم طرر
وغصون تنثني يا عجبا أم قوام ماس عجبا وخطر

وعيون ناعسات دعج ترشق العشاق نبلا أم وتر
وبروق أومضت في الأفق أم ثغر حبي افتر عن عقد درر
بدر حسن حرق القلب هوا ه وقد قرح جفني بالسهر
سحر الألباب لما حسر الحجب عن حسن محياه سحر
امر العشاق في عضب لوا حظه عمدا وجهرا ما أمر
صبت الروح اليه ولقد صبت الأجفان دمعا كالمطر
أهيف إن بان يثني عطفه يزدري بالبان والقلب حجر
في اللمى والثغر والطرف لقد حل شهد ولآل وحور
قده مع وجنتيه ومحياه رمح وشقيق وقمر
بت ولهان به في خطر هائما في حبه لما خطر
وهن العظم به واشتعل الرأس شيباً مذ تناءى وهجر
اسمح ابخل صد واصل منيتي وبما تهوى تحكم يغتفر
عاذلي مال عن الإنصاف مذ لام في عذل به عين الضرر
قال ذره قلت كلا انني عبده افعل دوما ما أمر
وهو ريم يوسفي حسنه لو رأى البدر سناه لاستتر
وهي قصيدة طويلة ، وله من الشعر قصائد جميله .

الشيخ ابو السعود الشهير بالسباعي الدردير الحفني العدوي

مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها ، العارف بترصيعها وتنميقها ، الناظم لعقودها ، والراقم ابرودها ، المجيد لارهافها ، والعالم بجلائها وزفافها ، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء ، فطاب نشره ، وطار في الأقطار ذكره ، شمائله تتضاءل لها قطع الرياض ، ويبادر به الظن الى شريف الأغراض . قد التفت الى طلب العلوم التفات المشغوف ، وسقط على تطلبه سقوط المشوق الملهوف ، الى ان بلغ منه

مبلغ الكمال ، ونبغ به ونال منه أعلى منال ، وحضر دروس شيوخ عصره ، الى ان صار مرجعا في مصره ، وأقبل الناس عليه من كل جانب ، للاستفادة والحصول على الرغائب . توفي رحمه الله في حدود الألف والمائتين وسبع وثلاثين .

أبو السعود بن احمد افندي بن علي المعروف بالحسيبي الدمشقي

من ذوات الشام وكبرائها ، وافاخمها وعظمائها ، له تولع بجمع نوادر الكتب النفيسة ، وله مذاكرة لطيفة انيسة ، واقبال على قاصديه جميل ، ولطف بوارديه جزيل ، وفي سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة توفي احمد افندي بن أمين افندي منجك نقيب دمشق الشام ، فكتب مفتي الشام محمد افندي المنيني سلسلة موصلة للمترجم المرقوم للذات الطاهرة ، وختمها له ذوات الشام وشيوخها ، ثم ارسلت الى النقابة في الدار العلية ، وبعد مدة توجهت النقابة على المترجم المرقوم وقام بها بسيرة حسنة ، وصفات مستحسنة ، مع عفة عالية وشهامة وافية ، وبيت مفتوح ، وطعام ممنوح وغِنىً وافر ، وجاه موروث كابرا عن كابر ، أحسن الله اليه آمين .

الشيخ ابو النصر بن المرحوم الشيخ عبد القادر بن الشيخ صالح بن الشيخ عبد الرحيم الخطيب

طلب العلم على أبيه ، وعلى غيره من كل عالم نبيه ، الى ان سما مقامه ، وفشا في الناس احترامه ، وقد انتقل بعياله الى حرستا قرية تبعد عن الشام مقدار ساعتين ، وسار بأهلها سيرة حسنة ، يصلي بهم ويخطب لهم ويعظهم ويعلمهم ما يحتاجون اليه ، ثم بعد ذلك أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ علي اليشرطي المستقيم بعكه ثم ذهب الى الاستانة المعمورة ودخل في سلك النيابات ولا زال ينتقل من مكان إلى مكان في النيابات الى عام الف وثلاثمائة وستة عشر .

حضر الى الشام وصادف انه بعد حضوره بمدة توفي في شهر رجب مفتي دمشق الشام محمد افندي المنيني فتعرض لها المترجم ، وكتب عرض

المقيم ×

ومازال ×

فحضر وختم له كثير من الناس ، وكذلك غيره تعرض لهـا ولكن صادف القدر ، وتوجهت الإرادة الأزلية للشيخ صالح افندي قطنا ، فتوجه الإفتاء عليه من شيخ الاسلام جمال الدين افندي . وعلى كل حـال فهو شهم شجاع جميل المعاشرة ، يغلب عليه الميل الى الطاعة والمروءة والحماسة والتباعد عن الرذائل ، ولم يشتهر عنه انه في مدة نياباته ارتشى من أحد أحسن الله حالنا وحاله .

ثم في ثالث ربيع الثاني خطب يوم الجمعة في جامع بني أمية وقرأ فيه الدرس العام بعد العصر ، وخرج الى قرية تل منين لحضور عرس دعي اليه ، وكان يوم السبت ، وبعد صلاة العشاء أصابه وجع قلب ولم يمض عليه ساعة حتى مات ، فأحضروه في الصباح الى الشام وجهزوه وصلوا عليه في جامع بني أميه ثم دفنوه في مدفن أسلافه في مقبرة الدحداح ، وذلك رابع ربيع الثاني سنة الف وثلاثماية واربع وعشرين (١)

الشيخ العلامة المتفنن الباحث المتقن ابو العباس المغربي المالكي

صاحب العلم الباهر ، والفضل السامي الظاهر ، والشهرة العـامة ، والشمائل الكاملة التامة ، وهو من رجال الجبرتي ، أخـبر رضي الله عنه أن أصله من الصحراء من عمالة الجزائر ، دخـل مصر صغيراً فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي وتفقه عليه ولازمه ، ومهر في الآلات والفنون ، وأذن له في التدريس فصار يقرىء الطلبة في رواقهم ، وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه ، وتميز في الفضائل ، وحج سنة اثنتين وثمانين ومائة

(١) في « المنتخبات » ان المترجم رحل الى لأستانة مراراً ، وتعرف بعلمائها ووزرائها . كان فقيهاً شجاعاً جسوراً ، متكلماً يصدع بقول الحق ، ولد سنة ١٢٥٣ هـ ومات سنة ١٣٢٤ ودفن بالدحداح جانب أخويه ، ومن أولاده السيد سيف الدين أحد شهداء الواجب ، الذي قتل في بيروت مع شبان العرب الغُيُر على بلادهم واستقلالهم .

والف وجاور بالحرمين سنة واجتمع بالشيخ ابي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه ، وعاد الى مصر ، وكان يحسن الثناء على المشار اليه واشتهر أمره وصارت له في الرواق كلمة ، واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلاطة لسانه ،وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق ، وتعصب له جماعة فلم يتم له الأمر ، ونزل له السيد عمر افندي الاسيوطي عن نظر الجوهرية ، فقطع معاليم المستحقين ، وكان حجاجاً سلط اللسان يتقى شره . توفي ليلة الاربعاء حادي عشرين شعبان سنة الف ومائتين وسنتين غفر الله لنا وله ، وجعل في دار النعيم مستقره .

الشيخ أبو بكر بن علي البطاح الاهدل

العلم الأمثل ، والطود الأفضل ، إمام المحققين ، ونخبة المدققين ، سراج الإسلام ، وكعبة الأئمة الأعلام ، قد ساد بفنون العلوم ، وتدقيق المنطوق والمفهوم ، فهو غرة في جبين الدهر زاهرة ، وشامة في صفحة العصر ظاهرة ، يحق له أن يقال فيه ، وأن يصفه الدهر بملء فيه .

وأرى الخلق مجمعين على فضـــلك من كل سيد ومسود
عرف العارفون فضلك بالعلـــم وقال الجهـــال بالتقليد

جد واجتهد في المعالي ، الى أن صار حسنة الايام والليالي ، أخذ العلوم من عدة مشايخ منهم السيد سليمان الأهدل ، وتميز بالكمال في الملكات الثلاث ملكة الاستحصال ، وملكة الحصول ، وملكة الاستنباط ، وكان عمدة في التفسير والحديث والفقه والتصوف والآلات والأصول . وخلاصة الكلام ، إنه من السادة الأعلام ، ومما كان ينشده :

إن رمت إدراك العلوم بسرعة فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا لميزان العقول مقوم والنحو تقويم اللسان المنطق

مات رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف .

الشيخ الملا ابو بكر الكردي الشافعي الدمشقي

أحد العلماء الأعلام ، المتقدمين في العلوم بدمشق الشام ، كان مجاورا في جامع الورد في سوق صاروجا ، وكان ملازما للإفادة العلميه ، والآداب العمليه ، مع التقوى والعبادة ، والعفة والزهادة ، كثير السكوت عن فضول الكلام ، لا يتكلم إلاّ في ذكر أو قرآن او اقراء درس او افادة حكم من الأحكام ، قرأ عليه الأجلاء من العلماء ، والكثير من الفضلاء ، وكان له مشاركة قوية ، في العلوم العقلية والنقلية ،وقد اخذ عن المرشد الكامل اوحد الزمان ، وقطب العصر والأوان ، مولانا خالد النقشبندي مجدد القرن الثالث عشر ، وعن غيره ممن عرف بالفضل واشتهر ، وله تأليفات كثيرة ، ورسائل شهيرة ، وله تفسير على القرآن المجيد اخترمته المنية قبل إتمامه ،قد اجاد فيه وافاد ، واعتنى به فوق المراد ، وكان معدوداً من ذوي النهايه ، معروفا بالكشوفات والولايه ، وقد حضرت بعض مجالسه ، واستفدت من بعض نفائسه ،وكان كثيراما يذاكرني مع صغر سني في المسائل العلمية ، والنوادر الأدبية ، مات رضي الله عنه سنة تسع وستين ومائتين والف ، ودفن بتربة سوق صاروجا .

الشيخ ابو بكر الكردي الجزاوي الدمشقي

العالم الامام ، والأوحد الهمام ، نزيل دمشق الشام ، اخذ العلوم عن افاضلها ، وارتفعت رتبته في المعارف بين ذوي فضائلها ، حتى صار عمدة مقبولا ، معروفا في الكمال لا مجهولا ، مرفوع المقام ، يتبرك به الخاص والعام ، مات يوم الاثنين عاشر ذي الحجة الحرام الذي هو من شهور سنة ثلاث واربعين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

ابو بكر باشا الطرابلسي والي مصر من طرف الدولة العثمانية وكانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين والف

كان وزيرا عاقلا الا انه لم تساعده يد الاقبال ، ولم تلاحظه عين العناية في تسديد الأقوال والأفعال ، وذلك لاستطالة المماليك على الاراضي المصريه ، ونفوذ كلمتهم بها على كلمة الوزارة العثمانيه ، فكان ما كان من خروجه ودخول الاجانب ، وتسلطها على بلاد مصر وايقاعها في المعاطب ، وبيان ذلك مع التفصيل ، المقتضي عدم التطويل ، قال في الفتوحات الاسلامية ، المنسوبة للحضرة الاحمدية الدحلانية : كانت مصر قبل ان تتملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة ، وكان لهم كثير من المماليك الذين هم ايضا من الجراكسة ومن غيرهم من الترك ، فلما تملكت الدولة العثمانيه مصر لم تزل المماليك باقين وفي كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة ، وكان منهم امراء ورؤساء ، فصارت لهم عصبية قوية ، فتغلبوا على الاملاك والاراضي والاطيان والمحصولات والخراجات والجمارك ، وكانوا اذا جاء الباشا المتولي على مصر من الدولة العلية ينقادون له في الظاهر وفي الباطن هم متغلبون ، فكانوا يبقونه اذا ارادوا ويعزلونه اذا ارادوا ، ولا يصل الى الدولة من محصولات مصر الا القليل والباقي بأيديهم ، وكان لهم رؤساء ، وعلى الجميع امير كبير تحت أمر الوزير المتولي من السلطنة صورة وظاهرا فقط ، فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف النصارى واليهود ، فيتعدون كثيرا عليهم لا سيما على تجارهم ، وكانت الدولة العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصارى ، فطمع الفرنسيس في تملك مصر وابعاد هؤلاء المماليك المتغلبين ، واوهموا على المسلمين انهم انما يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة العلية ، فجهز الفرنسيس عليها جيوشه بالسر والكتمان من غير اطلاع

احد على ذلك وجاءوهم بغتة فتملكها على الوجه الآتي ذكره ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ، وكان الوزير المتولي على مصر من السلطنة العلية في تلك السنة هو المترجم المرقوم ابو بكر باشا الطرابلسي ، وكانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين والف ، وكان للمماليك المتغلبين على مصر اميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بك ومراد بك ، كان تحت طوعها جميع الصناجق والعساكر ، فلما شاعت الاخبار بقدوم الفرنسيس للاستيلاء على مصر خرج الوزير المتولي من السلطنة العلية وهو ابو بكر باشا المتقدم ذكره من مصر وتوجه الى غزة ، ثم منها الى دار السلطنة ، وكان توجهه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة ، وبقيت مصر بيد ابراهيم بك ومراد بك وصناجقها والأمراء والعساكر التي تحت ايديها ، وكان اهل مصر عند خروج ابي بكر باشا من مصر وقبل خروجه بايام يسمعون اشاعات عن مسير الفرنسيس الى تملك مصر ، ولم يقفوا على حقيقتها ، فلما كان العشرون من المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين والف وصلت مراكب الفرنسيس مشحونة بالعساكر وآلات الحرب ، فتقاتل من كان فيها من العساكر مع أهل الاسكندرية ، ولم يكن اهل الاسكندرية مستعدين لقتالهم فلم يقدروا على دفعهم ، لا سيما وقد جاءوهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الأمان منهم ، فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها ، فلما جاء الخبر الى مصر اخذ ابراهيم بك ومراد بك بالاستعداد لهم ، وابرزا جيشا من العسكر الى موضع يقال له الجسر الاسود ، واخرجوا المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس في مصر ، وكثر الهرج والمرج ، وتقطعت الطرق وارتفع السعر وكثر السراق ، ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيس فيه **بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه** [١] ، **وبعد ذلك** كلام **كثير من جملته : اني**

(١) هذه كلمة توحيد خالص .

اعبد الله واحترم نبيه والقرآن العظيم وانهم مسلمون (يعنون انفسهم) مخلصون ، واثبات ذلك انهم نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة اهل الاسلام ، ثم قصدوا مدينة مالطة وطردوا منها الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة أهل الاسلام ، وكل ذلك من الكلام الذي يوهمون به على اهل الاسلام انهم موحدون لله تعالى ، وانهم يحبون اهل الاسلام ويحبون سلطانهم ، وانهم انما جاءوا لنصرة سلطان الاسلام ، وابعاد المماليك المتغلبين على ممالكه ، ودفع ظلمهم عن الرعية ، ومن جملة ما في ذلك الكتاب خطابا للمسلمين : وما جئتكم لإزالة دينكم ، وانما قدمت اليكم لأخلص حقكم من يد الظالمين الصناجق المماليك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ، ويعاملون الملة الفرنساوية بالذل والصغار ، ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بانواع الايذاء والتعدي ، ويأخذون اموالهم ويفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها مثله ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فانه قد حكم بانقضاء دولتهم ، واني اعبد الله سبحانه اكثر من المماليك ، واحترم نبيه والقرآن العظيم ، وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله تعالى ، وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم (١) هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضاوب ، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا إن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بأحسن ما فيها من الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة ، فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العلية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء منهم سيديرون

(١) الصواب : بعضهم عن بعض .

الأمور ، وبذلك يصلح حال الامة كلها ، وسابقا كان في الاراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما ازال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، ومع ذلك فالفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني ، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم ، طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير ، فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد الفريقين المتحاربين ، فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب ، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقاً الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر ، وإن جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل (للسرعسكر) من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا ، وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذي هو أبيض واكحل وأحمر ، وأن كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار ، وأن كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضا تنصب صناجق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه ، والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم ، وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئنا ، وتكون الصلاة تامة في الجوامع على العادة ، والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله إجلال السلطان العثماني ، أدام الله جلال العسكر الفرنساوي ، لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية ، وعلى المشايخ في كل بلد يختموا حالاً على جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي للمماليك ، وعليهم الاجتهاد التام أن لا يضيعوا أدنى شيء منها .

وفي التاسع والعشرين من المحرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة ، والتقوا عند بشقيل وحصلت مقتلة عظيمة ، وقدر الله أن المسلمين هزموا ففر مراد بك ومن معه الى الصعيد ، وفر ابراهيم بك ومن معه في البر الشرقي الى الشام ، وقيل لم يقع قتال كثير وانما هي مناوشة من طلائع العساكر بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين ، وكانت مراكب في البحر لمراد بك فاحترقت بما فيها من الجبخانه والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية ، واحترق من فيها من المحاربين ، فلما عاين ذلك مراد بك دخله الرعب وولى منهزماً ، وترك الاثقال والمدافع التي في البر ، وتبعته العساكر ، وركب ابراهيم بك الى ساحل بولاق طرف البر الشرقي ، ورجع الناس منهزمين طالبين مصر ، فاجتمع الباشا والعلماء ورؤوس الناس يتشاورون في هذا الحادث العظيم ، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بك وكشافه ومماليكه ، وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرؤون البخاري وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ الطرائق وأتباعهم ، وكذا أطفال المكاتب ، ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الاسماء . ويوم الاثنين حضر مراد بك الى بر امبابه وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة الى بشقيل ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه ، وكان معه في ذلك علي باشا الطرابلسي ونصوح باشا ، وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة وأوقفها على ساحل أمبابه ، وشحنها بالعساكر والمدافع والمتاريس والخيالة والمشاة ، ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك ، فانهم من وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة ، الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد ، واستمروا طول الليالي ينقلون الامتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الارياف ، وأخذوا أيضاً في تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل

وأسباب الارتحال ، فلما رأى اهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع ، واستعد الاغنياء وأهل المقدرة للهرب ، ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك لما بقي بمصر منهم أحد ، وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس ، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً ويجلسون في مكان خراب أو مسجد ، ويرتبون أمرهم فيمن يصرف لهم مايحتاجون اليه من الدراهم التي جمعوها ، ويجعلون عليهم قيّما يباشر ذلك ، وبعض الناس يتطوع على بعض في الانفاق ، ومن الناس من يجهز جماعة من المغاربه والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا مافي قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم فلم يشح أحد في ذلك الوقت بشيء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر ، وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمر والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون باذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف إلى القلعة فأخرج بيرقاً كبيراً سمّته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم ، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور ، وغيرذلك وأما مصر فانها صارت خالية الطرق لاتجد بها سوى النساء في البيوت ، وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة ، وغلا سعر البارود والرصاص جداً بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفاً ، والرصاص بتسعين نصفاً ، وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده ، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزاوية علي بيك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله تعالى بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام . وحصل الامر أن جميع من بمصر من الرجال تحول إلى بولاق ،

وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضي هناك إلى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولا مأوى فيرجعون إلى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون إلى بولاق ، وأرسل ابراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا من المقدمة بنواحي شبرا وما والاها ، وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقبعان وأولاد علي والقناوبة وغيرهم ، وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد ، وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم ، وكذلك العرب أغارت على الاطراف والنواحي ، وقامت الارياف على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر وغارة على الأموال وافساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لايحصى ، وطلب أمراء مصر تجار الافرنج الذين بمصر وحبسوهم في القلعة وفي بعض أماكن غير القلعة من بيوت الأمراء ، وصاروا يفتشون في الافرنج على الاسلحة وغيرها ، وكذلك بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس على الاسلحة ، والعامة لاترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت هذه الفتنة ، ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر ، وتختلف الناس في الجهة التي يجيئون منها ، فمنهم من يقول أنهم واصلون من البر الغربي ، ومنهم يقول من الشرقي ، ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين ، وليس لاحد من الامراء همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل قربهم ووصولهم الى فناء مصر ، بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عساكره ومكث في مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم ، وليس هناك قلعة ولا حصن ولا معقل ، وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو.

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيس الى الجسر الأسود ، وأصبح يوم السبت فوصل أم دينار ، فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين والمجاورة بلادهم ، ولكن الاجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون في ريشهم مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون في رؤيتهم مغمورون في غفلتهم ، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين بل أشيع ذلك ، فلم يأتوا إلا من البر الغربي ، ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي ، وتقدموا الى ناحية بشقيل بلد مجاورة لأنبابه ، فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول ، فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتابعة الرمي وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار وكثير من كشاف محمد بيك الالفي ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الافرنج نحو الستة الاف ، وكان رئيسهم الكبير بونابارته لكنه لم يشهد الوقعة ، بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير ، ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع ، وكذلك العسكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر الأرناؤوط من دمياط ، وطلعوا إلى أنبابه وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس ، فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي في القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ، ورفعوا الاصوات بقولهم يارب يالطيف ، ويا رجال الله [١] ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم ، فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب ، لا برفع الصوت والصراخ

---

(١) قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال سبحانه وتعالى : « أم مَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ؟

والنباح ، فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ؟
وركب طائفة كبيرة من الامراء والاجناد من العرضي الشرقي ومعهم ابراهيم بيك الوالي ، وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب ، فتزاحموا على المعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جداً ، فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين ، هذا والريح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه مع شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك انقسم على تراتيب معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس ، بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله وأرسل بنادقه المتتابعة والمدافع ترمي ، واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح ، وصمت الاسماع من توالي الضرب ، بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزت والسماء عليها سقطت ، واستمر الحرب والقتال نحو ثلثي ساعة ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربي ، فغرق الكثير من الخيالة في البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيراً في يد الفرنسيس وملكوا المتاريس ، وفر مراد بك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية ، وبقيت القتلى والثياب والامتعة والاسلحة والفرش ملقاة على الارض بير أنبابه ، والقى كثير نفسه في البحر ، ولما انهزم العسكر الغربي تحول الفرنسيس بالمدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة ، فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب في الحال ابراهيم بك والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الاثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً ،

فأما ابراهيم بك والأمراء فساروا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعاً في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون الى الله تعالى من شر هذا اليوم الوصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ، وقد كان ذلك قبل الغروب ، فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من معه من الأمراء ، فأركبوا النساء على الخيول والبغال والحمير والجمال ، والبعض ماش كالجواري والخدم ، واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر ، البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه ، فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر ، البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الاكثر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلا للقضاء متوقعاً للمكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم في الغربة ، فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور ، والذي أزعج قلوب الناس بالاكثر ان في عشاء تلك الليلة شاع في الناس ان الافرنج عدوا الى بولاق واحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وان اولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء ، وكان السبب في هذه الاشاعه ان بعض عسكر مراد بيك الذين كانوا في الغليون لمرسى انبابة لما تحقق الكسرة اضرم النار في الغليون الذي هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة امر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى الجهة القبلية ، فمشوا به قليلا فوقف في الطين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانه فأمر بحرقه ايضا ، فلما صعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل ايقنوا انهم احرقوا البلدين ، فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع ، وخرج اعيان الناس وافندية الوجاقات واكابرهم ونقيب الاشراف

وبعض المشايخ القادرين ، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهرب واللحاق بهم ، والحال ان الجميع لا يدرون اي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأيّ محل يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج والبغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج اكثرهم ماشيا او حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب اركب زوجته او ابنته ومشى هو على اقدامه ، وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات واطفالهن على اكتافهن يبكين في ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصبحها ، واخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع ، فلما خرجوا من باب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم واحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته او يسد جوعته ، فكان ما اخذته العرب شيئاً كثيرا يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التي خرجت من مصر في تلك الليلة اضعاف ما بقي فيها بلا شك ، لأن معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريمهم ، وقد اخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير الناس واهل المقدرة اخرجوا ايضا ما عندهم ، والذي اقعده العجز وكان عنده ما يعجز عليه حمله من مال او مصاغ اعطاه لجاره او صديقه الراحل ، ومثل ذلك امانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا على قتله او دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان ، فمنهم من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جاز متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم او عطب ، وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين ، قال الشاهد فما راء كمن سمع ، ولما اصبح يوم الأحد المذكور

والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم في اسوأ حال من العري والفزع ، فتبين ان الافرنج لم يعدوا الى البرّ الشرقي وان الحريق كان في المواكب المتقدم ذكرها ، فاجتمع في الازهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على ان يرسلوا مراسلة الى الافرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ، ففعلوا ذلك ، وارسلوا صحبة شخص مغربي لا يعرف لغتهم وآخر صحبته ، فغابا وعادا واخبرا انهما قابلا كبير القوم واعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : واين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور لدينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ وطمنهم وبش في وجوههم . فقالا : نريد امانا منكم ، فقال : قد أرسلنا لكم سابقا ، يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم ، فقالا : وايضا نريد امانا لاجل اطمئنان الناس ، فكتبوا لهم ورقة اخرى مضمونها انا ارسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، واخذ مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا الى البرّ الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم واسرنا بعضهم ونحن في طلبهم حتى لم يبق منهم احد بالقطر المصري ، واما العلماء والمشايخ واصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين ونحو ذلك من الكلام ، ثم قال لهم لا بد ان المشايخ والشربجية يأتون الينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة اشخاص عقلاء يدبرون الأمور . ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي وآخرون الى الجيزة ، فتلقاهم وضحك لهم ، وقال انتم المشايخ الكبار ، فأعلموه ان المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال لأي شيء هربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحتكم وراحة الرعية واجراء الشريعة

فكتبوا لهم عدة مكاتيب بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن برجوعهم الناس ، وكانوا في وجل وخوف على غيابهم ، واصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر شيخ السادات والشيخ الشرقاوي والمشايخ ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية ، وأما عمر افندي نقيب الأشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجي والافندية . وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك وحرقوهما ، ونهبوا ايضا عدة بيوت من بيوت الامراء واخذوا ما فيها من فرش ونحاس وامتعة وغير ذلك وباعوه بابخس الاثمان . وفي يوم الثلاثاء دخلت الفرنساوية الى مصر وسكن بونابارته بيت محمد بيك الألفي بالازبكية الذي انشأه الأمير المذكور في السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه اموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه حصلت هذه الحادثة ، فما دخلوه بل تركوه بما فيه فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس ، وكذلك حصل في بيت حسن كاشف بالناصرية . ولما دخل كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا في الاسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا ايضا يحاكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه باغلى ثمن ، فيأخذ احدهم الدجاجة ويعطي صاحبها في ثمنها ريالاً (فرانسي) ، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على اسعار بلادهم واثمان بضائعهم ، فلما رأى منهم العامة ذلك انسوا بهم واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وانواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وانواع المأكولات ، وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان واللبن ، وصاروا يبيعون اليهم بمـا احبوا من الاسعار ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوي ، واطمأن الناس لذلك وهدأت الخواطر وطابت الافكار ، وغلب الأمان [على الخوف] وراج امر البيع والشراء . وفي يوم [الخميس]

ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عند قائم مقام مصر عسكر ، فلما حضروا تشاور معهم في تعيين عشرة انفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات ، فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ احمد العريشي والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي ، وحضر ذلك المجلس ايضا مصطفى كتخدا والقاضي ، وقلدوا محمد آغا السلماني اغاة مستحفظات ، وعلي آغا الشعراوي والي الشرط وحسن آغا امين احتساب ، وذلك باشارة ارباب الديوان فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرّفوهم أن سوقة مصر لا يخافون الا من الاتراك ، ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم ، وقلدوا ذا الفقار كتخدا بيك كتخدا بونابارته ، وسأل أرباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت ، فقالوا هذا فعل الجعيديه واوباش الناس ، فقال لأي شيء يفعلون ذلك وقد اوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها ، فقالوا هذا امر لا قدرة لنا على منعه ، وانما ذلك وظيفة الحكام ، ثم امروا بالنداء بالأمان وفتح الدكاكين والاسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا واستمر غالب الاسواق والدكاكين معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلقة التي للأمراء ودخلوها ، واخذوا منها اشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة ، فعندما يخرجون منهـا يدخلها طائفة الجعيديه يستأصلون ما فيها ، ثم ان معسكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا في البيوت ولم يشوشوا على الناس ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وبعد ايام طلبوا سلفة خمسماية الف ريال من التجار ، فأخذوا في تحصيلها بعد مراجعتهم في تخفيفها فلم يفعلوا

ونادوا بالأمان لنساء الامراء ، وأمروا كل من عندها شيء من متاع زوجها تأتي به ، وصالحت زوجة مراد بيك عن نفسها وأتباعها من نساء الامراء بمائة وعشرين ألف ريال ، واستخرجوا من الخبايا شيئاً كثيراً ، ثم طلبوا من أهل الحرف والاسواق مبلغاً من المال يعجزون عنه ، فاستغاثوا بالمشايخ فتشفعوا عندهم فلطفوها لهم . ولما جاء وقت مولد النبي ﷺ أمروا بصنعه على المعتاد وأعطوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال ، وصنعوا شنكا ليلة المولد ، وجاءت مراكب الانكليز وحاربت مراكب الفرنسيس ، وأحرقوا لهم مركبا كبيرا ، واستمر اياما ثم ذهبوا ، واما ابراهيم بيك ومراد بيك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم . وفي شهر ربيع الثاني طلبوا من الناس حجج املاكهم وقيدوها عندهم ، ووضعوا عليها قدرا معلوما من الدراهم ، وأمروا المشايخ أن يكتبوا للسلطان كتاباً مضمونه الثناء عليهم وحسن سيرتهم ، وأنهم من المحبين للسلطان ، وأنهم محترمون للقرآن والإسلام ففعلوا ، وفي عاشر جمادى الاولى جمعوا الناس وقرروا على الأملاك أموالاً زيادة عما كان قبل ذلك ، وهاج عامة الناس ونادوا بالجهاد ، ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ، ثم صار النداء بالأمان ، ثم تتبعوا كثيراً ممن كان قائماً في تلك الفتنة فقتلوه . وأما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب في نظامات دولتهم فهو طويل لا حاجة لذكره ، وكذا ما كان يجري من الحوادث . ولما جاءت أخبار دخول الفرنسيس مصر إلى الحجاز قام شيخ عالم مغربي بمكة يقال له محمد الجيلاني واستنفر الناس للجهاد ، فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقاتلوا من وجدوه من الفرنسيس ، ولم يقدروا على استخلاص الأقطار المصرية منهم ، فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم .

ثم جهز الفرنسيس جيشاً لمحاربة أحمد باشا الجزار في عكا ، فملكوا كثيراً من قرى الشام وحاصروا أحمد باشا في عكا ثم عجزوا عن أخذها ، فارتحلوا عنها . وأجروا ما يعتاده أهل مصر من مولد السيد أحمد البدوي وغيره على حسب المعتاد ، وكذا اخراج المحمل والحج ، وحصل بينهم

وبين أهل الأرياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم ، وصاروا يتبعون الامراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به ، وحضرت مراكب إلى السويس فيها أموال وبضائع للشريف غالب ، فسمحوا عن عشورهـا وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهاداة بهدايا عندهم ، ووضعوا الشيخ العريشي قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع ، وتوجه بانوبارته إلى بلاد الفرنسيس سنة أربع عشرة وجعل ساري عسكرهم نائبا عنه بمصر ، ثم ترقى بانوبارته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيس . وفي شهر رجب من سنة أربع عشرة جاء جيش من السلطان سليم يقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه والياً على مصر ، وهو الذي يقال له أيضاً ناصف باشا ، وسار من جهة الشام حتى وصلوا إلى العريش ، فاستعد الفرنسيس . لقتالهم وخرج بجنوده إلى الصالحية ، ثم توسط الانكليز بالصلح على شروط كثيرة ، منها أن الفرنسيس يتنحّى عن الديار المصرية بعد ثلاثة أشهر ، ففي تلك المدة صار الناس يحتقرونهم ويسخرون بهم ، ويقول بعضهم لبعض سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس وهم يحقدون ذلك عليهم ، وكشف همج الناس نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا في عواقب الأمور ، حتى إن فقهاء الأطفـال كانوا يجمعون الأطفـال ويمشون فرقاً وطوائف وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ، كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الرمان . ولم يملكوا لأنفسهم صبراً ، حتى تنقضي الأيام المشروطة ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التي تأسّست في قلوب الفرنسيس ، وأخـذ الفرنساوية في أهبة الرحيل ، وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس . ثم إن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم جماعة

بعد جماعة ، ووصل الوزير يوسف باشا إلى بلبيس والتقى بالامراء المصريين وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقي القلاع التي أحدثوها ونزلوا منها ، فلم يطلع اليها أحد من العثمانيين ، وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير في مدينة بلبيس في رمضان ، فقابلوه وقابلوا والي مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعا وانصرفوا .

ثم في شهر شوال وقعت حادثة كانت سببا للنقض ، وذلك أن جماعة من عسكر العثمانيين تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنسيس فقتل بينهم شخص فرنساوي ، فثار من ذلك فتنة ، ثم قتلوا ستة أنفار كانوا سبب الفتنة فسكنت ، لكن لم تطب نفوس الفرنسيس ، ثم إن الفرنساوية طلبوا ثمانية أيام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها ، فأعطوهم الثمانية أيام ونصبوا وجاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلاً باطراف مصر ممتداً إلى شبرا وترددوا إلى القلاع وهي لم يكن بها أحد ، وشرعوا باجتهاد في رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع ، واجتهدوا في ذلك ليلاً ونهـاراً والناس يتعجبون من ذلك ، وأشيع أن الوزير اتفق مع الانكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر ، وكان الفرنساوية عندمـا تراسلوا وترددوا إلى جهة العرضي تفرســوا في عرضي العثمانيين وعسكرهم وأوضاعهم ، وتحققوا حالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلمـا حصل ماذكر تأهبوا للمقاومة ونقض الصلح والمحاربة ، وردوا آلاتهم إلى القلاع ، فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه بهـا من عساكرهم ، خرجوا باجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا في النواحي ولم يبق في المدينة إلا من كان داخل القلاع .

فلما كان اليـوم الثالث والعشرون من شوال ركب السر عسكر الفرنساوي بعدده وعدده صباحا ومال على العساكر المصرية من كل جانب

فشتت شملهم وفرق جمعهم ، ولم تزل العساكر المصرية فارة من عدوها حتى دخلت مصر ، مع وقت العصر ، ولما دخل نصوح باشا صار يقول للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعج الناس وهاجوا ، وخرجوا من عقولهم وماجوا ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشام وساروا إلى حارات النصارى يقتلون وينهبون [1] ويأسرون فتحزبت النصارى ولا يزالون يتقاتلون إلى آخر النهار ، وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس ، فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والكرات على البلد من القلاع ، ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف مالا يوصف ، وأحاط الفرنساويون بالبلد احاطة السوار بالمعصم ، وأكثروا من الرمي بالمدافع على البيوت من القلاع ، وعدمت الأقوات ، وانسدت عن الجلب الطرقات ، وهلكت البهائم ، وليس للناس من مجير ولا راحم ، ثم هجموا في ليلة شاتية على البلد من كل ناحية ، فقتلوا الرجال ، وسبوا الحريم ونهبوا الأموال ، وأحرقوا البلاد ، واذاقوا الناس كؤوس الإهانة فوق المراد ، ووضعوا أيديهم على البيوت والحوانيت وسائر الأموال ، وملكوا النساء والصبيان والرجال .

وفي أوائل ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائتين والف خرج العثمانيون من مصر ، واستولى الفرنساويون على سائر آلاتهم ومدافعهم وعددهم وتم لهم أمر الاستيلاء على مصر ، وأمنوا الناس ، ثم انه قرر على أهل مصر يدفعون عاجلاً تأديباً لهم زيادة على ما وقع منه عشرة آلاف ألف ألف فرنك ، وسافر السر عسكر وأقام مكانه يعقوب القبطي يفعل بالمسلمين ما يشاء ، ودارت العساكر للتحصيل ، فباعت الناس أمتعتها الجليل منها

---

(١) القاعدة الشرعية توجب علينا قتال المعتدين ومن يعاونهم ، واخراجهم من أرضنا وأما أهل ذمتنا فتجب علينا المحافظة عليهم كأهل ملتنا .

والقليل ، إلى أن انفقد المشترى ولو بأبخس الأثمان ، وذل في ذلك الوقت كل عزيز وهان ، ولم يزل ذلك الظلم يتفاقم ويزكو ويتعاظم ، والناس يتمنون المنية ، في كل بكرة وعشية ، إلى آخر شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف برز الأمر من مولانا السلطان سليم بالتجهيز إلى مصر براً وبحراً ، فعساكر البر بمعية يوسف باشا وعساكر البحر بمعية الانكليز ، وفي أوائل ذي القعدة وردت مراكب الإنكليز إلى ثغر الاسكندرية ، وجاءت الأخبار إلى الفرنساويين بأن يوسف باشا وعساكره وصلوا إلى العريش ، ثم وقع الحرب بين الانكليز والفرنساوي براً في الإسكندرية ، وكانت الهزيمة على الفرنساويين ، وقتل منهم كثير ، ثم وقع قتال آخر بينهما فقتل من الفرنسيس خمسة عشر ألفا . وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون مات فيه خلق كثير ، وفي خامس المحرم عام ستة عشر ومائتين وألف تحصن الفرنساويون وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إلى القلعة بمصر ، وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر وغير ذلك ، ووضعوا المتاريس خارج البلد وحفروا الخنادق ، وشاعت الأخبار بأن العثمانيين والانكليز تقدموا وتملكوا رشيد ودمياط .

وفي ثالث صفر وقع الحرب بين العثمانيين والفرنساويين وكان النصر للعثمانيين ، ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيس من مصر ، وتسليمها للدولة العثمانية ، فخرجوا في أواخر صفر ، ودخل الوزير يوسف باشا مصر في التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل ، وكانت مدة تملك الفرنساويين مصر ثلاث سنين وشهراً . وهذا مجمل ذلك ولو فصلناه لطال المسير على السالك .

الشيخ أبو بكر بن عمر بن عبد الواحد الحلبي الشافعي الفقيه المقرىء

احد القراء والمشايخ بحلب ولد بها سنة أربع وخمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه علي حيدر بن محمد المقري ، وأخذ القراءات عن

المتقن الكبير أبي محمد عمر بن شاهين ، ومحمد بن مصطفى البصري الحلبي ، وأتقن الحفظ والتجويد والترتيل ورغب فيه الناس ، وقرأ الفقه على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي الحلبي ، ومصلح الدين مصطفى بن ابراهيم الحموي العلواني لما قدم حلب ، وما زال معتنى به مقصوداً للتلقي عنه والاخذ منه ، إلى أن توفي سنة الف ومايتين وبضع عشرة رحمه الله تعالى .

الشيخ الملا أبو بكر البغدادى امام حضرة شيخ الحضرة مولانا خالد قدس سره

العالم العامـــل ، صاحب الآثار والشمائل ، والمعارف والفضائل ، والبراهين والدلائل ، إمام حضرة العمدة الأستاذ ، والصفوة الملاذ ، مولانا المجـد التالد ، سيدنا الشيخ خالد ، قدس الله سره فإنه امامه في الحضر والسفر ، مـع تجرده عن العوائق القاطعة الموقعة له في الخطر ، المتحلي بمحاسن الأفعال ، وجميل الأحوال ، المتخلي عن كل مايطعن في المقام ، وينافي الاحترام ، الفقيه العابد ، والورع الزاهد ، السياح في قفار التوحيد والتجريد ، حافظ كلام الله تعالى المجيد ، الصادح في المحراب بالسبع المثاني والـكارع من كؤوس العرفان زلال الاماني ، إذا سمعته حينا يجودالقرآن في اقبـاله على المعبود ، قلت هـذا ملك اعطي مزماراً من مزامير آل داوود ، صاحب المقام الصفي الانيس ، ذو التسبيح والتقديس ، قـد لازم حضرة مرشد الزمان مولانا خالد واستجلب رضاه وفاز بأنظاره الاكسيرية وكان خليفة عنه في اعطاء الطريق ، وارشاد الناس الى العهد الوثيق ، ولم ينفك عنه الى أن توفي في دمشق الشام ، ودفن في جنب حضرة مولانا خالد في جبل قاسيون من جهة حارة الاكراد مع الشيخ اسماعيل والشيخ

عبد الله الهراتي وصي الشيخ وكانت وفاة المترجم المرقوم سنة الف ومائتين ونيف وخمسين رحمه الله تعالى .

السيد الكامل أبو بكر الصيادي الزيتاوي بن السيد محمد بن السيد سليمان بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد خير الله الثاني بن السيد محمد بن السيد خير الله بن السيد ابي بكر بن السيد محمد بن السيد ابي بكر بن السيد محمد بن السيد ابي بكر بن السيد عبد السميع بن السيد المطيع بن السيد شريف بن السيد عبد السميع بن السيدشمس الدين احمد الاصغر بن السيد القطب صدر الدين علي بن الغوث الاكبر السيد عز الدين احمد الصياد سبط النفس النفيسة الرفاعية رضي الله عنهم

قال صاحب تنوير الأبصار في طبقات السادةالرفاعية الأخيار : كان كآبائه بكفرزيتا ، وكان من أهل العلم والكمال ، وتزوج واعقب السيد حسين ، والسيد حسين اعقب السيد محمد الزيتاوي نزيل حماه الشيخ العابد الصالح الورع والمترجم، وذريته كلهم بحمد الله ذوو تقوى وعبادة ، وصلاح وزهادة ، توفي المترجم في حدود الأربعين ومايتين وألف .

السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين العلوى الحسيني الحضرموتي

امام فاضل ، وزاهد عابد عـالم عامل ، من بيت علت أركانه ، وَسمَا قدرهُ وشأنه ، ولدَ بحضرموت ، ونشأ ببيت السيادة والأدب ، وتربى بربوع الرفعة على مهاد الرتب ، وقرأ العلم على أفاضل بلاده ، وطاف الأقطار الى أن قدم الحجاز ، واجتمع بالأفاضل ذوي القدر والامتياز ، وذهب الى الهند واجتمع بعلمائها وأذعن له أفراد فضلائها ، ثم ذهب الى

دار السعادة اسلانبول المحمية ، وكان قدومه اليهـا سنة اثنتين وثلاثمائة وألف هجرية ، فاجتمع بساداتها الأفاضل ، وتحلى بها بما رامه من أنواع الفضائل ، ثم رحل الى مصر ، ومنها الى حضرموت ؛ ولبيته في تلك الناحية شهرة جليلة ، وله تآليف مفيدة ، منها كتاب « رشفة الصادي من بحر فضائل بنى النبي الهادي » ، وله شعر عذب رشيق ، يتنوع برياض أساليبه كل معنى أنيق ، وكانت ولادته في حدود الخمسين والمائتين والألف ، تقريباً ، أحياه الله الحياة الطيبة ، وأحسن اليه بكل طـاعة من جنابه الشريف مقربة ، ومن نظمه مشطراً قصيدة الاستاذ ابن بنت الميلق الشاذلي[1] مادحا حضرة الغوث الرفاعي قدس سره ، وهي قصيدة صوفية طويلة جداً ، أولها :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ولم يروق رحيقاً غير صافيه[2]

ومنهـا :

ان المريد مراد والمحب هـو المبدوء بالحب من ذي العرش هاديه
فهـو المراد المهنى في الحقيقة والمـحبوب فاستمل هذا من اماليه
ان كان يرضاك عبداً انت تعبده ملاحظاً نفي تمثيـل وتشبيه
وان اقامك في حال فقف ادباً وان دعاك مـع التمكين تأتيه
فيفتح الباب اكراماً على عجل باب المواهب بشرى من يوافيه
تضحي وتمسي عزيزاً في ضيافته ويرفـع الحجب كشفاً عن تنائيه
وثم تعرف ماقـد كنت تجهله ويصطفيك لأمر لا ترجيـه

(١) هو محمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٧٩٧ هـ .

(٢) شرح هذه القصيدة ابن علاّن المكي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ . وقد طبع هذا الشرح مع شرح ابن علان أيضا لقصيدة أبي مدين التي مطلعها : ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا ـ بمطبعة عبد الرزاق سنة ١٣٠٥ انظر معجم المطبوعات لسركيس (ص ١٨٩) .

يوليك ماليس يدري الفهم غايته ويعجز الحصر قد جلت معانيه

وترتوي من شراب الانس صافية في مقعد الصدق والمحبوب ساقيه

من ذاقها لم يخف من بعدها ضرراً يا سعد من بات يملوا بصافيه

وصل يارب ماغنت مطوقة يسلو الخلي بها والصب تشجيه

وما تمايلت الاغصان من طرب على النبي صلاة منك ترضيه

والآل والصحب والاتباع ماتليت من ذاق طعم شراب القوم يدريه

وله قصائد كثيرة وموشحات شهيرة اطال الله بقاه وأعلى مرتقاه[١]

السيد أبو الخير الخطيب بن المرحوم الشيخ عبد القادر بن الشيخ صالح بن عبد الرحيم

فاضل لم يطلق في غير الفضائل لسانه ، ولم يتخذ غير مأثور الشمائل عنوانه ، حاز معالي الآداب بحسن الهمة ، وترقى على درج الكمال الى أن لحق العلماء الأئمة ، وهو الثاني من أكبر اخوته ، والمنتخب من بينهم من حين نشأته ، وانهم أربعة وكل منهم قد نشأ على العلم والكمال ، والتحلي بالمعارف والتخلي من الاوحال ، غير ان المترجم قد تقلد بأعلى الفرائد ، وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد ، تخرج على يديه الكثير من ذوي الطلب ، ونالوا من بيانه بديع المرام والأرب ، مع ورع وزهادة ، وتقوى وعبادة ، نشأ في حجر والده وعليه تكمل ، وبه قد حاز على ما رجا وامّل ، وكان مواظبا على تدريس العلوم ، للخاص والعام ، في جامع بني امية في دمشق الشام ، وكان يقرأ بعض دروسه في مدرسته أمام سوق الحرير ، وكان هو الساعي بعمارتها وارجاعها من المملوكية الى التحرير ، وكان له نوبة خطابة في جامع بني أمية المومى اليه ، وهو قد سعى بها لنفسه الى ان وجهت عليه ، وكان محبوباً بين الناس ، لم تسمع يوما من يذكره بباس ، توفي مساء الخميس

---

(١) لم أقف على تاريخ وفاته .

ثالث ربيع الأول سنة ثمان وثلاثمائة وألف من هجرة النبي الأمين (١) وقد ناهز من العمر نيفا وستين ، ودفن بجبانة الدحداح شمالي دمشق ختم الله لنا وله بخاتمة أهل السنة ، وحشره في زمرة سيد المرسلين وأسكنه الفردوس في الجنة .

أحمد باشا الجزار البشناقي والي عكا

ولد في بوسنة سنة خمس وثلاثين ومائة والف ، ولما بلغ من العمر ست عشرة سنة ، خان أخاه بامرأته ، فما أقبحه وما ألعنه ، وذلك لما كان مطبوعاً عليه من فساد الطبيعة ، ومخالفة الملة والشريعة ، فاضطره الأمر إلى الهرب من بلاده إلى القسطنطينية ، فقضى بها مدة بالذل والشقاء والفاقة القوية ، فأوجبت عليه ضرورة الهوان والتنكيد ، إلى أن باع نفسه لأحد تجار العبيد ، فآل به الأمر إلى أن بيع بمصر ، فدخل في سلك المماليك المصرية ، وجعل الزمان يساعده على المرام والأمنية ، فارتقى من منصب إلى أعلى ، حتى صار والي البحيرة في مصر السفلى ، وتولى قيادة جيش محاربة العرب الخارجين على الدولة ، فظفر بهم وغدر بروسائهم وصال عليهم أي صولة ، ومن ثم لقب بالجزار ، عليه مايستحقه من المنتقم الجبار ، وكان قاتله الله مجبولاً على الفظاظة ، والقسوة والغلاظة ، قليل الرحمة عديم الإسلام ، مطبوعاً

---

(١) وقد نعى الناعي أمس ـ الأحد في ٨ / ١١ / ١٣٨٠ هـ ٢٤ / ٤ / ١٩٦١ م) ولده الصديق العزيز الأستاذ زكي بك الخطيب ، بعد مرض طويل ، وكان رحمه الله ذا ايمان صادق بدينه وعروبته ، وجرأة نادرة بصراحته في وطنيته ، وقد حصل العلوم العالية في الحقوق والادارة والسياسة والاقتصاد في المدرسة الملكية في الأستانة ، وتقلد وزارة العدل بدمشق ، والنيابة في المجلس النيابي السوري ، وساهم في تأسيس جمعيات النهضة العربية ، والنهضة الأدبية ، وله مقالات كثيرة في الصحف المنتشرة وترجم كتاب الاقتصاد السياسي لشارل جيد . ولد عام ١٨٨٧ بدمشق ، وصلينا عليه بعد ظهر الاثنين في جامع بني أمية ، ودفن في مقبرة الدحداح تغمده المولى برضوانه .

على الفسوق والآثام ، قد اتخذ هواه من دون الله هاديا ونصيرا ، واستكبر في نفسه وعتا عتواً كبيراً ، وكان سفاكاً للدماء ، لايتقيد بشرع بل كان يفعل مايشاء ، فأكرمه على قتل العرب حضرة علي بيك حاكم مصر ، ولقبه بلقب بيك جزاء ذلك النصر ، غير أنه بعد ذلك ساءت سيرته فركن إلى الفرار ، ومكث في قسطنطينية أياماً ثم هرب إلى سورية بقصد الاستتار ، فدخل دير القمر ملتجئاً إلى الأمير يوسف الشهابي الوالي حينئذ على جبل لبنان ، سنة خمس وثمانين ومائة والف من هجرة سيد ولد عدنان ، فرحب به الأمير وأكرمه ، وأبقاه عنده واحترمه ، ثم بعد أيام أرسله إلى بيروت ، وعامله معاملة الأكارم من ذوي البيوت ، ورتب له شيئاً من الرسومات وافيا بالمرام ، فأقام أياماً ثم سار إلى دمشق وخدم عند عثمان باشا والي الشام ، وفي سنة سبع وثمانين ومائة والف جعله الأمير يوسف متسلماً من قبله على بيروت وجعل معه طائفة من المغاربة ، ثم انها لم تطل المدة حتى خان ورام أن يبلغ مآربه ، فصمم على مبارزة الأمير وشرع في ترميم الأسوار ، وجعل يجيء الميرة وآلات الحرب للحصار ، ويمنع أهل البلاد من الدخول إلى المدينة ، ولا يدع شيئاً يخرج منها بهمة مكينة ، ثم لما دخل بيروت ثانية وفعل مافعل ، استغاث الأمير يوسف بحسن باشا وأخبره بما حصل ، وكان قد سافر إلى قبرص قاصداً القسطنطينية ، فعاد حسن باشا من قبرص بهمة قوية ، وأخرج الجزار من بيروت ، وهو مقهور ممقوت ، ووعد الأمير انه سيعزله وعاد إلى القسطنطينية ، وسار الجزار بعسكره براً إلى صيدا وعساكره ستمائة من الشجعان اللاونديه ، فأرسل الأمير التكديه يكمنون لهم في الطريق ، ولما التقى العسكران قتل أصحابُ الجزار أكثر التكديه وضيقوا عليهم أشد التضييق ، وقبض على بعض أعيانهم ، وجعل الموت نصب عيانهم ، فجعل الأمير يعتذر للجزار ، ويستشفع في إطلاق جماعته على مائة الف قرش وتخليصهم من الدمار ، ولما طلب الأمير المال

من الجبل أبي الامراء الدفع ، فطلب الامير من قائد عسكر الجزار أن يتلف اشجار بيروت وأن يستأصلها بالقطع ، ففعل وقتل جماعة من رجالهم معتصما بحبل الظلم والعدوان ، ثم دهم الشويفات فرجع عنها بالخزي والخسران ، ثم سار إلى صيدا ثم إلى بعلبك وعظم أمره في تلك الاقطار ، وحينئذ خرجت بيروت من يد الامير يوسف ودخلت في حكومة الجزار ، فأمر الجزار قائده أن يضبط ما للأمير واللبنانيين في البقاع ، عوضاً عمّا أتلفه من الرجال والاشجار والمتاع ، فلما بلغ الأمير ذلك اصطلح مع أمراء الجبل وجمع عسكراً لمقاتلة الجزار المذكور ، فانهزم في عدة مواقع وهو مكسور ، ثم بعد ذلك وقع الصلح بين الأمير يوسف والجزار ، فصار يساعده ويوادّه وهو عنده بمنزلة المستشار ، ثم ان الجزار بعد أن أنعم عليه الامير ظاهر العمر وقلده قيادة جيشه وعدده ومدده ، جحد معروفه وخانه وقتله بيده ، وحيث كان ظاهر العمر عدوا للدولة أنعمت على الجزار مكافأة على ذلك بولاية عكا وصيدا معاً ، فبقي عليهما إلى حين أن أوقعته المنية في أودية المهالك ، ثم بعد تلقيب السلطان له بالوزارة ولاه على دمشق زيادة على توليته ، وذلك عام الف ومائتين وثمانية عشر فزاد في الطغيان على عادته ، من قتل الأنفس وسلب الأموال ، حتى قتل من أعيان دمشق خلقاً كثيراً من ذوي الكمال ، من أجلهم وأفضلهم السيد عبد الرحمن أفندي المرادي مفتي الحنفية وأسعد أفندي المحاسني مفتي الحنفية أيضاً ، واصطنع للناس أنواع العذاب بآلات اخترعها له طائفة من الاكراد ، وأعانوه على ظلمه للعباد ، حتى أكثروا في البلاد الفساد ، وأقروه على دعواه أنه مجدد الوقت ، بل باء هو وإياهم بالطرد والمقت ، وكان رئيسهم رجلا يدعي التصوف ، ويقول ان الشيخ الاكبر في فتوحاته المكية أخبر عنه ، وادعوا أن قتل الانفس وسلب الاموال ، وجميع مايفعله ليس حراماً عليه بل حلال ، هكذا شاع عنهم حتى أكفروا علماء العصر بإنكارهم عليهم ،

وألف بعض المتهورين ممن أضله الله على علم في ذلك كتابا وادعى فيه أنه المجدد ، وكان من أعوانه ، وكان من جملة أعوانه أيضاً رجل اسمه عبد الوهاب ، له اطلاع في بعض العلوم ، أرسله إلى دمشق مع طائفة من المعذبين والعساكر وكان رئيسهم وإليه المشورة في أمورهم ، فما زال يتغالى في قباحته ، ويتعالى في مَضرَّته وإساءته ، ويتلذذ بقتل الرجال ، وسلب الاموال ، حتى كادت تخافه الاطفال ، وترتج لسطوته الجبال ، وكان قد اجتمع هذا الضال يوماً مع الفاضل العلامة السيد شاكر العقاد في دار المولى حمزة أفندي العجلاني مفتي السادة الحنفية ، فشرع الخبيث يطنب في مدح الجزار ، وأقسم بالله العظيم أنه ليس بظالم وأنه عادل وكرر ذلك مراراً : ثم أقسم أنه على الكتاب والسنة ، ثم التفت مخاطباً السيد شاكر المرقوم وقال له ياشيخنا أما تقول انه عادل ؟ فحاوله الشيخ المرقوم رحمه الله تعالى وقال له ان له على الناس فضلاً عظيماً حيث دفع عنهم شر الفرنج لما حاصروه في عكا وبذل جهده في ذلك ، فقال له لاأسألك عن هذا ، فقال له أنا أقول ان ذنوبنا كثيرة والله تعالى أرسله الينا لينتقم منا به . فعرض بذلك إلى أن الظالم ينتقم الله تعالى به ثم ينتقم منه : قال السيد شاكر رضي الله عنه وفهم الخبيث مني ذلك حتى رأيت شعر شاربيه كالمسلات واقفاً من شدة الغيظ ، ثم قام الشيخ وانقضى المجلس على ذلك ، فرحم الله تعالى روحه ونور مرقده وضريحه ، ماأصلبه في دينه ، حيث لم يور في كلامه بأنه عادل عن الحق ويرضيه بذلك لخوف ضرره ، وقد كفاه الله تعالى شر هذا الخبيث .

ثم انه لازال هذا الضال يتغالى في الظلم في البلاد الشامية ، إلى أن قدمت الناس على مجاورته الموت وشراب كؤوس المنيه ، فتحركت الدولة الفرنساوية على الاتيان اليها لإنقاذها من يد هذا الظالم المجبول على الضرر ، وذلك عام الف ومائتين وأربعة عشر ، فحاصر عكا وضيق عليها المسالك ،

فالتمس الجزار من الامير بشير الوالي حينئذ المساعدة ، فاعتذر بأن الأهالي لاتوافقه على ذلك . ثم قدمت مراكب الانكليز لعكا لرد الفرنساويين ، فلم تطل المدة حتى رجع بونابرت بعساكره ، وصفا الوقت للجزار عمدة الظالمين ، فاشتغل بتعذيب الناس وظلمهم بالقطع والقتل ، والجدع والسمل ، إلى غير ذلك من الأفعال الفظيعة ، والأحوال الشنيعة ، حتى صار جوره وعدوانه مثلاً سائراً ، ولم يزل إلى أن هلك قبحه الله في عكا سنة الف ومائتين وتسع عشرة ودفن بها في الجامع المنسوب اليه ، وقد أرخه بعضهم بقوله :

هلك الجزار ولا عجب ومضى بالخزي وبالاثم
وبميتته الباري عنا أرخ قد كف يد الظلم

وعند موت الجزار كان في سجنه اسماعيل باشا فأخرجه الشيخ طه الكردي الظالم وأجلسه عوضاً عن الجزار مدعياً بأن الجزار بايعه بالولاية قبل موته ، وكتب اسماعيل باشا للولايات يبشرهم بولايته ، أما نائب الجزار في دمشق فلم يقبل أن يعترف باسماعيل باشا والياً ، فكتب للأمير بشير يطلب منه محافظة الطرقات وأن يمده برأيه ، فأجابه الأمير اني فعلت كل شيء قبل ورود رسالتك ، وأما اسماعيل باشا فلا يكون لان الدولة لم تجعله في هذا المنصب ، وبعد برهة أتى ابراهيم باشا والياً على دمشق فسار مع عساكر الامير بشير وقتل اسماعيل باشا والي عكا ، ووضع عوضا عنه سليمان باشا ، فرجعت دمشق ايالة على حدتها وكان ذلك سنة الف ومائتين وعشرين . وبعد موت أحمد باشا الجزار ، تسلط الناس على عزوته ، وذوي شوكته ، فأذاقوهم كؤوس العذاب ، وفتحوا عليهم للهون والذل كل باب ، وقرؤوا كلام من الامر منه واليه ، « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ، خصوصا وقد كانوا يعتقدون في الجزار وجماعته ماأخرجهم ظاهراً من الدين ، وأدخلهم في عداد الطاغين المعتدين ، فمال الناس عليهم ميلة الاستئصال ،

وأذاقوهم كؤوس العذاب والنكال ، إلى أن أبادوهم أجمعين ، وسيوقفهم الله بين يديه فالحمد لله رب العالمين .

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الدسوقي الاصل الدمشقي المنشأ والولادة الشافعي

كان رضي الله عنه في دمشق الشام . من افراد ذوي الفضل التام ، يعتمد في الصواب عليه ، ويشار لدى تحقيق الجواب إليه ، ومع ذلك كان عالماً عاملاً ، وأديباً في السنة كاملاً ، ذا شمائل حسنة ، وفضائل مستحسنة ، له دأب على العبادة ، والقناعة والزهادة ، ذا كمال وأدب ، ومجد يدعوه للترقي على أوج الرتب ، اذا حل بناد تهلل بالبشر والسرور ، وتحلى بأنواع الجمال والحبور ، وترنمت بوسيم شمائله اطياره ، وتفتحت بنسيم خلقه أنواره ، توفي رضى الله عنه بالمدينة المنورة ، والبلدة المقدسة المطهرة ، سنة سبع واربعين ومائتين وألف ودفن في البقيع ، تحت ظل السيد الشفيع ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

الشيخ أحمد بن السيد عبد الغني الاصبحي المشهور بكشوره الدمشقي الميداني الشافعي القادري

علم العلماء الاعلام ، وتاج الفضلاء الفخام ، عمدة الافاضل ، وبحر الفواضل والفضائل ، علامة عصره ، ونخبة أوانه وفريد دهره ، صاحب الصفات العالية ، والشمائل السامية ، قرأ رحمه الله على والدي مدة حياته ، ولم يزل دائبا على الطلب من تمييزه الى مماته ، وكان له مشاركة والمام في الفنون العربية [١] ، وقدم راسخة في العلوم الشرعية ، رحل رضي

---

(١) كيف يكون علامة عصره وفريد دهره ، من تكون له مشاركة والمام فقط في الفنون العربية ؟ ولكن السجع قد انسجم مع الطبع ، في ذلك العصر ، عصر المشاركة في العلوم والفنون ، دون التخصص .

الله عنه سنة ثلاث وستين ومائتين والف الى القدس الشريف بقصد الزيارة والعبادة ، التي هي في ذلك المحل تضاعف فوق العادة ، فتوفي هناك في سبعة وعشرين خلت من شهر رمضان في السنة المرقومة ، وكان له هناك شهرة عالية موسومة ، فأمر الوالي الذي كان هناك وهو الحاج حسن بيك ابن موسى باشا الشهير بالكحالة بتجهيزه ، مع توقيره وتعظيمه وتمييزه ، وكانت له جنازة حافلة ، وأثنية عالية ممن شيّعه وغيرهم هي بحسن حاله ضامنة وكافلة .

الشيخ أحمد بن الشيخ اسماعيل العجلوني بيبرس الدمشقي الشافعي

العالم النحرير ، والشافعي الصغير ، له آثار مرفوعة على أكف الثنا ، وسيرة محمودة محمولة على هام المرام والمنى ، أحيا دروس العلم بعد الاندراس ، وفصل مجملها غب وقوعها في مهاوي الالتباس ، واتخذ الفضل عنوانه ، وقصر على رغائب السنة لسانه ، وقد أقر له الخاص والعام ، بأنه فرد الأفاضل الأعلام ، وكنز الأرب وأسّس مبناه ، ومحط رحال العرفان والتقدم والجاه ، تسامت في زمن شيوخه رتبته ، وعمت في قلوب الناس طراً محبته ، برع في المعقول والمنقول ، وتبحر في معرفة الفروع والاصول ، وكانت له اليد العلية ، ودرس في أول أمره في المدرسة الفتحية ، في محلة القيمرية ، ثم بعد وفاة الشيخ ياسين العجلوني امام جامع منجك الكائن في ميدان الحصى تواقع عبد الغني آغا الشمري ، على الشيخ المرقوم بان يشرف الى الميدان ، وأن يجعلها محلاً لإقامة ذاته العلية الشأن ، ويتعاطى وظائف الجامع المذكور والح عليه ، فأجابه بعد الاستخارة الواردة الى ما دعاه اليه ، وكان بينه وبين والدي محبّة فوق المأمول ، وكان كل منهما ملازماً للآخر ملازمة الصلة للموصول ، ولم يكن لهما اجتماع الا على المذاكرة والمطالعة من كل ما يفيد ، من فقه

وحديث وتفسير وتوحيد ، ولهما في كل جمعة أوقات ، يتذاكران بها بعض الفنون والآلات . ولم يزل في الجامع المذكور الى أن دعاه داعي المنون ، الى الدار العالية والمقام المصون . توفي رضي الله عنه ليلة السبت قبيل اذان المغرب خامس عشر شهر شوال سنة سبع واربعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الله خلف ضريح الاستاذ العارف بالله تقي الدين الحصني ، وكان لجنازته مشهد حافل ، وجمع برفعة القدر والشأن كافل .

أحمد حمدي باشا والي ولاية سورية بن يحيى بك ابن الوزير ملك أحمد باشا

كان والده من الممتازين بين رجال أمير المؤمنين السلطان محمود العثماني ، وأما جدّه فكان الوزير الأعظم عند السلطان الأعظم محمد المشهور بلقب (اوجي) . ولد في القسطنطينية في العشر الأخير من ذي الحجة عام الف ومائتين واثنين وأربعين ، وقرأ على بعض المشايخ مايلزمه من العلوم الدينية والدنيوية كالصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والعلوم الرياضية ولمعا من الحكمة الطبيعية ، وأتقن فن الإنشاء علماً وعملاً ، ونبغ في التركية والعربية والفارسية ، ثم انتظم في سمط كتبة النظارة الداخلية في الباب العالي ، ثم انتقل إلى ديوان كتاب الصدارة العظمى متمماً ماتعلمه على مشايخه من الإنشاء . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وستين للهجرة تفرس فيه رؤساء الكتبة النجابة فأعطيت له الرتبة الرابعة ، ونقل إلى باب (سر عسكر) فكان مأمور الكتابة في شورى الأمور العسكرية ، ثم رقي إلى الرتبة الثالثة وجعل معاوناً للكاتب الأول في الشورى المذكورة ، ثم رقي الى الرتبة الثانية في ديوان رئيس الجيوش (السر عسكرية) . وفي سنة الف ومائتين وخمس وسبعين رقي إلى رئاسة كتاب شورى العسكرية ، وبعد قليل جعل عضواً في الشورى المذكورة فضلاً عن رئاسة الكتاب المنوه عنها ثم أنعم عليه المغفور له السلطان عبد المجيد بالرتبة المتمايزة ، ثم الرتبة الأولى من الصنف الثاني ، ثم

الأولى من الصنف الأول ، وأدار أعمال هذا المنصب سبع سنين ، وأحسن اليه بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثة . ولما كانت سنة الف ومائتين وأربع وثمانين للهجرة فوضت اليه رئاسة وكالة دائرة الحقوق من ديوان الاحكام العدلية نحوا من شهرين ، ثم صار من الوزراء وكلاء السلطنة بتوجيه نظارة الاوقاف عموماً اليه ، وبعد ثمانية أشهر عين مستشاراً للسر عسكرية الجليلة مع ضم المخصصات لعهدته ، وعلى أثر ذلك أحرز الوسام العثماني من الطبقة الثانية ، وفي ربيع الآخر سنة الف ومائتين وثمان وثمانين رقي إلى درجة الوزارة السامية وعين ناظراً للمالية ، وبعد ذلك بمائة يوم أحيلت اليه ولاية آيدين على أثر التبديلات العظيمة التي طرأت على الوكلاء بعد وفاة المرحوم عالي باشا الوزير الاعظم ، وفي أثناء ولايته هذه وقع بين روم ازمير وامرائيلها نزاع ازعج العالم المتمدن وخيف من تغير السياسة العامة فتوفق بدرايته وعلو همته إلى تسكين جاش القوم ، وقطع دابر المفسدين فلم يدع لتغييرها سبيلاً ، فأحسن اليه السلطان عبد العزيز مكافأة بالوسام المجيدي من الرتبة الاولى ، ونال من الدول الاجنبية وساما من الرتبة الاولى . وسنة الف ومائتين وتسع وثمانين وجهت اليه ولاية الطونة ، فلبث بها احد عشر شهراً يسدد احكامها ويوطد دعائم العدل والامن ، ونال حينئذ من الدولة الروسية وسام القديسة حنة من الطبقة الاولى ، وفي صفر سنة الف ومائتين وتسعين تبوأ ثانية منصب نظارة ألمانيا ، وأحسن اليه بالوسام العثماني الأول ، وأحرز وسام مشير خرشيد الايراني من الرتبة نفسها ، وفي محرم سنة الف ومائتين وإحدى وتسعين انيطت به مرة ثانية ولاية آيدين فأدارها نحوا من أحد عشر شهراً ، بسياسة جمعت بين الرضا العالي والمنفعة العامة ، ثم وجهت اليه ولاية سورية في إحدى وعشرين ذي الحجة سنة الف ومائتين وإحدى وتسعين ، فقام بما يستغني عن بيانه ، ولكن انحراف صحته جعله يستقيل

وذهب بقلوب الناس إلى قاعدة السلطنة ، وصار فيها رئيسا للجنة القوائم ، وبعد أقل من عشرين يوما صار رئيسا للدائرة الملكية في شورى الدولة ، وكان ذلك في ثلاثة وعشرين من شهر رجب سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين ، ثم بعد ثلاثة عشر يوما عين ناظراً للخزينة الخاصة ، وبعد ستة عشر شهراً صار ناظراً للداخلية ، وفي خمسة من المحرم سنة الف ومائتين وخمس وتسعين رقي إلى الصدارة العظمى ، فبلغ مابلغه جده المشار اليه ، وفي ثاني صفر من السنة المذكورة عين مرة ثالثة والياً على آيدين ، وبعد سنة أي في محرم سنة الف ومائتين وست وتسعين وجهت اليه ولاية بغداد ، ولكن بعد ثلاثة أيام صدرت إرادة سنية ببقائه في مركزه اجابة لالتماس الاهلين أجمع في ولاية آيدين ، فأقام فيها ثلاثين شهراً ونال الوسام الالماني المعروف بالتاج من الصنف الاول ، وفي شهر رمضان سنة الف ومائتين وسبع وتسعين انيطت به ثانية ولاية سورية ، ومكافأة لخدمته المبرورة وآثاره المشكورة في هذه الولاية نال من عواطف الحضرة الشاهانية الوسام العثماني مرصعاً ، بعد أن أهداه امبراطور النمسا نيشان ليوبولد الاول ، بما يثبت ماله من استقامة المسلك وحسن التدبير وصدق الخدمة .

والحاصل أنه منذ انتظامه في سلك كتبة الباب العالي حتى الآن أي منذ اثنتين وأربعين سنة لم يبق بلا منصب سوى ثلاثين يوماً على أثر استقالته المرة الاولى من ولاية سورية ، وتسنى له مع اختلاف الأطوار ، وتضارب الأوطار ، وتقلب الاحوال وتغاير السياسات ، أن يكتسب في جميع المناصب الخطيرة رضى الدولة وثقتها ، وثنا الأمة ومحبتها ، في عصر تعدد فيه السلاطين العظام ، الذين كانوا بجملتهم يرمقونه بعين العناية والالتفاف جزاء لمآثره المشهورة وصداقته ، وهو مع سكونه بعيد الهمة نبيل القصد عفيف معتدل الرأي خالي الغرض ، يتغلب على المصاعب بالثبات والصبر

والحلم ، والاجتهاد في الإصلاح بالحمية والغيرة لنفع الوطن وتشييد عماده ، وثناء أهل الدين عليه دليل أعماله الخطيرة ، ومساعيه المشكورة ، في سبيل عمران تلك الولاية وإنماء ثروتها وتوطيد راحتها ، واستئصال اللصوص من انحائها وضواحيها .

ولما كانت ولايته الحـالية مشمولة بعناية خصوصية من لدن حضرة صاحب الشوكة والاقتدار مولانا السلطـان عبد الحميد خان المعظم وكان حضرة المترجم المشار اليه منصبًا على تنفيذ نواياه الخيرية ، لاسعاد التبعة والرعية ، جاء بآثار جليلة ، وأعمـال جميلة ، أكثرت في الولاية السورية أسباب العمران والنجاح ، وفي الولاية السورية عدد ليس بقليل مابرح سائبا في فيافي البدوية مغلولا بأصفاد اليبوسة لسلب الراحة مكدراً لصفاء الامن بالاعتداء على أبناء السبيل متعوداً التمرد مكابراً للاصلاح ، وطالما كان هذا الفريق موضوعاً لاهتمام أسلاف أبيّهته من الولاة العظام ، دون أن يترتب على ذلك الاثر المطلوب لأن بعضهم كان يأخذه بالعنف ويقابل خشونته بالقسوة والجفـا فيعاقبه تارة بالضرب وطوراً بالتنكيل ، وآونة بالحرب والتدمير ، فكان يزداد تمادياً في البغي وتطاولاً في العتو ، لأن ذلك كان عبارة عن مقابلة الخشونة بما يشاكلهـا ، فكان أولئك القوم كالنقطة السوداء في صفحة محيا سورية البيضاء ، وأما المترجم المومى اليه فأخذ يلين قسوتهم بالحلم والرفق والحكمة ، داخلا البيوت من أبوابهـا ، فتسنى له المطلوب دون أن يريق قطرة من الدم أو يسلب لأحد مقدار ذرة ، فإن السواد الأعظم منهم دخل ربقة الطـاعة ، وذاق حلاوة السكون والتمتع ببركات الوطن تحت ظلال الأمن والراحة ، وأوشك أن يعرف فضل العلم فتمسك بأسبابه ، وتعلق بأهدابه ، فترى المدارس تنشأ في أعـالي الجبال وأعماق الأودية لتثقيف العقول وتهذيب الاخلاق ، والاراضي المهملة تصلح

وتفلح بأيد لم تتعود إلا هز السيوف وتشريع العوامل ، وطرقات تمهد وتسلك بعد أن كانت وعورا لايكاد يسمع منها سوى عويل المسلوبين وأنين الجرحى من أبناء السبيل ، ومعاقل تبنى وتشاد لقيام قوات من الجند يتكفل وجودها بارهاب العتاة واخافتهم ، وغل أيديهم عن السلب والنهب .

ومن تأمل في حالة النصيرية ودروز حوران وأهلها وعرب البادية واللجاه من قبل ، ورآها الآن ، يرى الفرق بينهما ، وأعظم التدابير التي تمت بهذه النتيجة الحسنة انشاء المنازل العسكرية في جبل الدروز ، ثلاثة حصون متينة أولها في قرية عرى ، والثاني في المزرعة ، والثالث على مقربة من بصر الحريري ، ثم أنشأ حصناً آخر في حاصبيا ، ومثله في قرية ضمير ، وهي تبعد ست ساعات شرقاً عن دمشق ، حيثما يأتي اليها أهل البادية للاستقاء منها وهذا خير رادع للبغاة أعداء الامن ، لانه مامن عات متمرد إلا ويضطر إلى المرور بتلك البقعة ، فاذا أتاها أوقعت عليه حامية الحصن مايكفه عن طغيانه ، وردته عن عدوانه ، وبنى معقلاً عظيماً في منتصف جبال النصيرية ، قرب قرية تعرف بدير شميل ، لاتبعد عن مصياف نقطة قوة النصيرية ومنتدى جمهورهم أكثر من نصف فرسخ ، فكان مجموع هذه المعاقل ستة ، واحد منها كاف لثلاث فرق (طوابير) ، وثلاثة يكفي كل منها لفرقة ، واثنان لنصف فرقة ، ومن الابنية التي شادها دون أن يثقل على الخزينة السلطانية دائرة حكومة في حاصبيا ، وموقف حراس كبير في ضمير ، وموقفان للحراسة في بيروت ، ومحل لطابور العساكر ، ودائرة في جبال النصيرية ، ودائرة حكومة في مرج عيون ، وأخرى في جنين ، وغيرها في بانياس وفي النبطية وفي طرابلس وفي بيروت ، ومدرستان للصبيان في حوران ، ودائرة للعدلية في الشام . ومن آثاره النافعة إصلاح طريق عجلات من طرابلس إلى حماه ، وتأليف شركة وطنية لإدارتها ، ثم إكمال

الطريق الواقعة بين الشتورا وبعلبك ، وجعل العجلات تسير عليها دفعتين في الاسبوع ، والسعي بتمهيد طريق حوران وقد مهد نصفها ويتم النصف الآخر بعد برهة وجيزة ان شاء الله ، والحصول على امتياز لإنشاء طريق حديدية من عكا إلى جسر المجامع ، واتخاذ التدابير لإيصالها بدمشق مـارة بحوران ، ومن المقرر أن هذا المشروع عبارة عن فتح باب لإخصاب أراضي سورية وإغزارها محصولاً . هذا المذكور بقطع النظر عن طرق كثيرة مهدت بمساعي دولته ، دون أن تحمل الخزينة نفقاتها ، ومنهـا مد الاسلاك البرقية إلى جميع الاقضية التي لم يكن فيها سلك برقي ، كراشيا والقنيطرة والناصرة وطبرية وصفد وغيرها ، وإنشاء كثير من المكاتب الابتدائية للذكور والإناث في دمشق وبيروت وطرابلس واللاذقية وحماه وحوران والبلقـا وسائر أنحاء سورية وفلسطين ، وإيجاد أموال مستقلة تضارع نفقاتها ، وتشييد المدرسة الداخلية في بيروت على نسق المدارس العالية المنتظمة في السلطنة ، وتجديد دائرة للحكومة في بيروت ، وأخرى في طرابلس كافية لمأموري الحكومة والمحاكم العدلية ، وقد بنيت على الاصول الهندسية المختارة حديثاً في الممالك المتمدنة ، هذا فضلاً عن عدة دوائر للحكومة ، ومراكز للتلغراف أنشأها في كثير من الاقضية والنواحي ، وعـدد ليس بقليل من الجسور والمعابر أقامها على الانهار الكبيرة خارج دمشق ، وذلك دون أن تحمل الخزينة شيئاً ، ولا يزال يبذل قصارى الجهد لاستحصال امتيازات بإنشاء المرافىء لدفع نوائب النو في بيروت وغيرها من الثغور ، مثل عكا واللاذقية وطرابلس ، وهو سائر على تأليف القلوب ، وبث العدل واجتهاده ماستطاع بازالة شائبتي الظـلم والاستبداد ، وتخويله كل فرد من أفراد الأمة حقه المشروع ، إلى غير ذلك مما يضيق المقام دون تبيينه ، وتم له ذلك أجمع في مدة لاتزيد عن ثلاث سنين ، ولا زال يتوالى إحسانه ، ويتواصل إمتنانه ،

الذي من جملته فرش البلاط من السنانية إلى باب الله في دمشق المحمية، إلى أن جرعته المنية كأس الحمام، وفجعت به على الخصوص قطر الشام سنة الف وثلاثمائة وثلاث في مدينة بيروت، ودفن بها في حي الباشورة، وقد أمرت الذات الشاهانية جلالة السلطان عبد الحميد خان، بتعمير زاوية لمدفنه يصرف عليها من مال السلطان المرقوم أربعة وستون الفا صاغا (١)

الشيخ أحمد بن حسن بن علي رحمه الله تعالى المعروف بالعرشي

العلامة الأديب النحوي، الأصولي الفقيه المناظر المعروف بالعرشي، قال صاحب التاج: نشأ في موطنه وقرأ وروى وحدّث وبرع في الفنون كلها جملة وتفصيلاً، وكان يتوقد ذكاء وفطنة وشجاعة وسيادة وفخامة، طاف البلاد ولقي العلماء، وصحب المشايخ وأخذ عنهم العلوم، وألف في رد التقليد رسائل ومسائل باللسان العربي المبين، وأتى فيها بالعجب العجاب، وأفحم المقلدين وأدخل عليهم العجز من كل باب. جاهد في الله جهادا، وارتحل في آخر عمره إلى الحرمين الشريفين فتوفي رحمه الله في الطريق في بلدة برودة من اضلاع كجرات، وقبره هناك، قال تعالى (٢) «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» وقال النبي ﷺ (موت الغربة شهادة) وكانت وفاته سنة الف ومائتين وسبع وسبعين. له اليد الطولى في الشعر العربي والفارسي، وكان ينظم في ساعة قصيدة طويلة نحو مائة بيت فصيحة المبنى، بليغة المعنى، قل من يقدر على إنشاء مثلها في اسبوع بل في شهر كامل، كتب الى علماء عصره، وأدباء مصره كتبا ورسائل لم يجمعها.

---

(١) الصدقة الجارية، ليست بتعمير الزاوية، وهذا المبلغ المرقوم، يكفي لتعليم عشرات من الطلاب، كثيراً من العلوم والفنون والآداب.

(٢) سورة النساء الآية ٩٩.

ولقد كان والله عديم النظير ، وفقيد المثيل في أقرانه وأمثاله ، بارعاً متقناً في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، بل كان تاجا على رأس الزمن ، وكاسمه ، أحمد وحسن ، لم يلتفت إلى كتب الفروع والرأي وأهلها قط ، ولم يعمل في خاصة نفسه إلا بالدليل من الكتاب والسنة ، وكان له همة سامية في ذلك ، وحمية نامية فيما هنالك ، رحمه الله رحمة واسعة .

اقول ان الاجتهاد ليس له زمن ينقضي بانقضائه بل الزمن كله زمن له على خلاف في ذلك ، وان هذه المسألة محلهـا كتب الأصول والفروع فلا حاجة لذكرها هنا ، غير أن الاجتهاد له شروط لا يجوز بدونها فمن وصل إليها اجتهد ، والله يعلم الصادق وغيره والله أعلم .

شيخ الاسلام أحمد عارف حكمت بك بن السيد إبراهيم عصمت بك بن اسماعيل واثف باشا الحسيني الحنفي .

بدر أشرقت به سماء عروج العلماء ، وأضاءت به أفلاك بروج الفضلاء ، رضع ثدي المعالي منذ كان طفلاً ، وبرع في تحصيل الأمالي فكان في المكان الأرقى الأعلى ، واشتهر بين أهل الفضل بأنه آية الاعجاز ، وبهر في جمع العلوم فكان المشار اليه ببنان الحقيقة والمجاز ، فهو الفرد الذي لايبارى ، ولا يلحق في ميدان التقدم ولا يجارى .

ولد في ليلة الأحد الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام عام الف ومائتين وواحـد ، وكانت يد الاسعاد تحوطه من كل ماكر وحاسد ، وغب تمييزه قرأ القرآن واشتغل في الطلب على العلماء ذوي الاتقان ، وفي سنة الف ومائتين وإحدى عشرة دخل التدريس ، وفي غرة رمضان سنة الف ومائتين وإحدى وثلاثين دخل في سلك موالي قضاء القدس ، وفي سنة الف ومائتين وست وثلاثين أحرز مولوية مصر القاهرة ، وفي الف ومائتين وتسع وثلاثين نال مولوية طيبة الطاهرة ، وفي اثنتين وأربعـين حاز باية

استانبول ، وفي خمس وأربعين تعين من جانب السلطنة السنية مأموراً لتحرير النفوس (الروملي) ، وبعد رجوعه من المأمورية المذكورة أي في سنة ست وأربعين تشرف بمنصب نقابة السادة الكرام ، ومن حين وفاة والده الماجد الى مضي نحو خمس وعشرين سنة كانت إقامته في البيت المنتقل اليه من جده الأمجد مع كمال الاعتدال والراحة ، وكان محله هذا مورداً لأصحاب الفضل ، ومقصداً لذوي المروءة والعدل ، وبعده انتقل لبيته الكائن بأسكدار الواقع بجدار حمام العتيق ، فجعله محل انقطاعه وخلوته ، فما لبث أن صار لقضاء حاجات الواردين على بحر حضرته ، ومورداً لذوي الرشد والهدى ، ومقصداً لطلاب الجود والندى ، وفي رأس الف ومائتين وتسع وأربعين أحرز رتبة (باية الأناطولي) ، وفي خلال الف ومائتين وخمسين استعفى من مسند النقابة الآنفة الذكر ، وفي سنة اثنتين وخمسين وجهت لعهدته باية الروملي الجليلة ، وفي سنة خمس وخمسين يعني أوائل عصر السلطان عبد المجيد خان أرسل لجانب الروملي بكمال الاعزاز والاكرام لأجل تفتيش أحوال البلاد والعباد مع مأمورية رئاسة مجلس أحكام العدلية ، وبعد العود جعل عضواً لدائرة الشورى العسكرية ، وقد أبرز من المساعي المشكورة ما يخلد له الذكر الجميل ، والثناء الجليل ، واشتغل بفصل المواد المهمة الجسيمة المتعلقة بالسلطنة السنية ، فاجتهد بما قدمه على سواه ، وقضى برفعته وارتقاه ، إلى أن نال مسند مشيخة الإسلام العالي في يوم السبت الواقع في اثنين من شهر ذي الحجة عام الف ومائتين واثنين وستين ، وبعد أن استمر في هذا المسند لحل مشكلات المسائل سبع سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً جرى انفصاله يوم الثلاثاء الواقع في حادي وعشرين جمادى الآخرة سنة الف ومائتين وسبعين ، وبعدها سكن في بيت الشرف الذي تملكه من إحسان الذات الشاهانية بوقت مشيخته الكائن بحصار الروملي ، واشتغل بالعبادات

والطاعات ، وتتبع الكتب والمجـلات ، في دائم الأوقات ، وخصص الأوقاف الجسيمة من المسقفات والمستغلات ، وبعدها انشأ مكان مكتبة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ، ورتب لها حفظة وخدمة ووقف بها سائر كتبه المتجاوزة خمسة آلاف كتاب من الكتب النفيسة (١) ، وارسلها الى ذلك المكان ، وبعد اكمال ذلك عزم هو أيضاً على أن يهاجر الى خير البقاع ، وفي نيته ان يختم بقية عمره بتلك البقعة المباركة نظراً لشدة محبته لخير الأنام ، ورسول الملك السلام ، عليـه أفضل الصلاة وأتم السلام ، ولكن المرء يسعى والمنية تضحك حيث ان أنفاس الحياة المعدودة وصلت الى النهاية فتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد لستٍ عشرة خلت من شهر شعبان المعظم سنة الف ومائتين وخمس وسبعين ودفن في قبره المخصوص الكائن في اسكدار عند محل بئر نوح .

هذا وان المترجم الكبير ، والناقد البصير ، قد حضر مجالس العلم ، بالاستحقاق والفهم ، على سادات عظام ، وجهـابذة قادة أعـلام ، من اجلهم الفرد الكامل ، والعالم العامل ، والقطب الشهير السيد محمد الأمير الكبير ، وقد كانت له الشهرة الكافية ، والمعارف الوافية .

وفي سنة ثلاث وستين حينما توجه والدي للـدار العثمانية ، والدعوة السامية السلطانية ، في أيام أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد ، لختان ولديه السلطان مراد والسلطان عبد الحميد ، قـد كثر بين والدي وبين المترجم الوداد ، ولم يكن لواحد منهما في غير مذاكرة الآخر مراد ، وقد استجاز كل منهما صاحبه ، وعامله لمعرفة قدره بالمعاملة الواجبة (٢) ،

---

(١) زرت هذه المكتبة بعد انقضاء الحرب بين الأتراك والأشراف ، وكذا مكتبة الطائف ، فرأينا الأيدي قد تناهبت كثيراً من كتبها ، ولا قوة إلا بالله .

(٢) تجد تفصيلاً أوسع وأمتع ، في ترجمة الأستاذ المؤلف لوالده الشيخ حسن ومقابلاته لشيخ الإسلام ، على الجميع من الله تعالى الرحمة والرضوان .

وبالجملة والتفصيل ، ان هذا المترجم كاد ان يقال ليس له مثيل ، له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، وفكر لحل المشكلات أروق من الزلال وأصفى ، يبصر الخفيات بفهمه ، ويقصر فكها على خاطره ووهمه ، فجاء بالنادر الذي أعجز ، مع تبديل التطويل بالمختصر الموجز ، ونظم عقود اللآلي في لبة القريض ، ونثر درر المعالي على هام مادحيه فكانوا يفدون عليه وفود البحر الطويل العريض ، وكان بعاصمة الروم صرا للاحسان وحاكيا جود زياد وشعر حسان ، وقد نظم ونثر ، ما يزدرى رقة بنسيم السحر ، فمن ذلك قوله رحمه الله وجعل الجنة مأواه ومثواه .

إلهي قد فرضت صيام شهر ... علينا محسنا اوفى الجزاء
فنلنا فرحة في وقت فطر ... ونرجو مثلها عند اللقاء

وقال

إن الزمان يعادي من له شرف ... قواه عند اولي الانظار برهان
فللشموس زوال حينما ارتفعت ... وللبدور اذا يكملن نقصان

وقال

ألا ان أهنا العيش باكورة الصبا ... وإن الفتى في روضه يانع الغصن
وأصعبه ما جاور الشيب حينما ... حكى البدنُ المنفوشَ من ناعم العهن

ومن جملة توسلاته :

يامن اليه الملتجا ... فيما يخاف ويرتجى
أنت المجيب لكل من ... يدعوك في غسق الدجى
ولكم كشفت غياهبا ... من بعد ما انقطع الرجا
أنت المغيث لكل ملـ ... ـهوف حشاه تأججا
قد أقلق المهج الضعا ... ف أذى الزمان وازعجا
يتلجلج النطق الفصيح ... لدى الرجاء تلجلجا

ولقد أضاق علي من كل الجهات المخرجا
بين الجوانح والحشا حر الهموم تأججا
بحياة خيرتك الذي للخير أوضح منهجا
أزكى الصلاة مع السلا م عليه ماداع نجا

ومنهـــا :

إصبر إذا بابَ المنى سدت عليك يدُ الحرج
تُمنح فتوح مهيمن فالصبر مفتاح الفرج(١)

ومن جملة تقريظاته ماكتبه على الأحكام المرعية :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وضع الأرض للانام ، فيهـــا فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحـان ، فسبحانه من متفضل جزيل الاحسان ، والصلاة والسلام على من طـابت ببركته الثمار ، واخضرت من بقية وضوئه الاشجـار ، وعلى آله وصحبه الذين أحيوا اموات قلوبنا بهواطل الروايات ، فنلنا من مزارع فضائلهم حصائد الخيرات والبركات ــ وبعد فان خليفتنا الأعظم وسلطـاننا الأفخم ، ولي نعمة العالم ، المتحمل أعبـــاء الخلافة من نوع بني آدم ، خـاقان البرين والبحرين ، خـادم الحرمين الشريفين ، ظل الله سبحـانه في أرضه ، مالك الربع المعمور في طوله وعرضه ، المتخلق بخلق (الراحمون يرحمهم الرحمن) ، المنتثل لقوله سبحانه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » السلطـان ابن السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد المجيد خان بن السلطان الغازي محمود خان

---

(١) قال في الأعلام : له نظم باللغات العربية والفارسية والتركية ، وكتاب بالعربية سماه « الاحكام المرعية في الأراضي الأميرية » و « مجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر » لعلها بالعربية . اقتبس منها صاحب « هدية العارفين » وللشهاب محمود الألوسي كتاب في ترجمته سماه « شهي النغم في ترجمة عارف الحكم » ــ خ

ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان ، خلد الله ملكه ، وجعل الدنيا بأمرها ملكه ، ولا زالت أيام دولته كالشمس وضحاها ، ولا برحت ليالي سلطنته كالقمر اذا تلاها ، وعساكره منصورة في غدوها ومسراها ، ومواهبه شاملة للبرية أقصاها وادناها ، ما تبرج ظهر الأرض رافلا بالخلع الخضراء من وشي الربيع ، وتبسمت ثغور الروض من محاسن الصنع البديع ، لما اقتعد غارب سرير الخلافة ، بسط بساط الانصاف فائقاً أسلافه الكرام وأخلافه ، وتيقظ في ازالة ظلم الظالم حتى ان انام الأنام في أمان ، وبهرت ايامه كالشامة في غرة وجه الزمان ، وبالغ في الأمر وأمره مطاع ، بقلع شقة الجور والاعتساف من البلاد والضياع ، ومد على البرايا جناح الرأفة والشفقة ، وعمهم بجزيل الإحسان والصدقة ، فمن بدائع عواطفه البهية ، وصنائع عوارفه السنية ، صدور امره الشريف بتوسيع الحقوق في الأراضي ، وكان ذلك قاصراً في القانون الماضي ، كما يطلع عليه من يطالع الصور المكلة المكملة ، في بطون هذه المجلة المجلة المجملة ، رحمة للضعفاء وفقراء رعيته ، ورغبة للثواب الجزيل ومضاعفته ، فأيد اللهم هذا السلطان الرحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم السليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنصر على الأعداء والمشركين ، بجاه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . كتبه الفقير ، المستمنح آلاء ربه القدير ، أحمد عارف حكمت بن ابراهيم عصمت الحسيني عوملا بعفو مولاهما الغني آمين .

الشيخ أحمد مسلم بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الشافعي الدمشقي

من أهل بيت قد عمر بالعلم ربوعه ، وزين بالفضل أصوله وفروعه ، ورفعت العبادة مقامه ، ونشرت على هام السيادة أعلامه ، ولقد زاد

هذا البيت كمالاً وقدراً ، وعلا منقبة وذكراً ، ولا ريب أن هذا المترجم كان على طريقة آبائه الكرام ، واصوله السادة العلماء الاعلام ، ولد سنة الف ومايتين وست وثلاثين ، وحضر دروس والده وغيره من العلماء الافاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار مدة في الحديث وغيره من الوسائل ، واستجازه به وببقية العلوم فأجازه إجازة عامة ، وكان له من والدي المحبة والرعاية التامة ، حيث انه تلميذه وابن استاذه ، ونجل شيخه وعمدته وملاذه ، وكان للمترجم عز وجاه ، وصولة قد رفعت بين الناس رتبته وعلاه ، الى ان صار مقصوداً في الحوائج ، معدوداً للمهمات من أعظم المناهج ، قد أحبه الولاة والحكام ، ورفعوا قدره على كاهل الاحترام ، وأقبل الناس من كل جانب عليه ، حتى كادوا لا يجنحون إلا اليه ، ولذلك كان جاهه لعلمه ساتوا ، ولتقدمه على اضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه ، ودائرة قاصديه وأنصاره قد زادت على دائرة فهمه ، وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة خمس وستين ومائتين والف جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر ، واستمرت فيه هذه العادة الى الآن في شهر رجب وشعبان ورمضان . ذكر المحبي [1] في خلال ترجمة الامام المحاسني أحد مدرسي هذه البقعة ان هذا الدرس وظيفة حادثة بعد الخمسين والف رتبها بهرام آغا كتخدا [2] والدة السلطان ابراهيم ؛ وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها ، وعين للمدرس ستين قرشاً وللمعيد ثلاثين ، ولقارىء العشر عشرة قروش اه . اقول لعل هذا الخان هو الخان المسمى بالمرادانية ، الذي خرقه الوزير مدحت باشا من جانبيه الشرقي

(١) خلاصة الأثر (ج ٣ ص ٤٠٨)
(٢) كلمة فارسية : أي وكيل نفقتها

والغربي وخرق أيضاً بجانبه حماماً يقال له حمام المرادنية ، ووصلها بالسوق الجديد الذي بناه امام جامع السباهيه ، وأحكمه بان يكون على خريطة متناسبة من باب الجابية الى مأذنة الشحم ، وهكذا الى حارة النصارى ، وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين والف . والآن تغيرت معالم الخان والحمام وانمحت آثارهما أصلا لأنهما صارا دكاكين ، ولم يبق من الخان إلا بابه ، حتى ان الحادث الذي لايعرفها لايظهر له إلاّ أنه سوق لاغير ، والله أعلم .

ولا يتوهم أن ابتداء الدرس في هذا المحل من حين الوظيفة لأن الشمس الميداني الآتي ذكره درس قبل ترتيب الكنخدا بنيف وأربعين سنة كما سنذكره مفصلاً ان شاء الله تعالى . وقد اشتهر بين الخاص والعام أن وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام .

ذكر أول من جلس للتحديث تحت قبة النسر بعد العصر في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان (١)

---

(١) نشرت في مجلة المجمع العلمي بدمشق ذيلاً ضافياً لهذا الموضوع تحت عنوان : المدرسون تحت قبة النسر (ج ١ ص ٦٩ – ٧٢) و (ج ٢ /٢٢٢ – ٢٣٣ م ٢٤) ذكرت فيه خلاصة لتاريخ المسجد الأموي ، ومحدثي دار الحديث الأشرفية ، وقبة النسر ، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء – علاوة على ماذكره الأستاذ الجد عنهم – من تاريخ المحبي المتوفى سنة [١١١١] الف ومائة وإحدى عشرة ، والمرادي م [١٢٢٢] الف ومائتين واثنتين وعشرين . ونثبت في هذا التاريخ مانشرناه في مجلة المجمع مع حذف المقدمة : —

ـ (خلاصة تاريخ المسجد الأموي)

ذكر مؤرخ الشام الحافظ الكبير علي بن الحسن بن عساكر المتوفى سنة ٤٩٩ في باب ماذكر في بناء المسجد واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع ، ناقلاً عن عبد الرحمن بن ابراهيم أن الوليد بنى كل مـا كان داخل حيطان المسجد ، وزاد في سمك الحيطان ، وبنى قبة المسجد ، فلما استقلت وتمت ، وقعت فشق ذلك عليه ، إلى آخر ماجـاء في قصة بناء المسجد وقبة النسر (انظر ج ١ ص ٢٠٣ من تاريخـه طبع دمشق سنة ١٣٢٩ هـ) .

وقال النعيمي [المتوفى سنة ٩٢٧] : ويشتمل هذا الجامع في وقتنا على تسعة ائمة ، وثلاثة وسبعين متصـدراً لإقراء القرآن ، وعشرين سبعاً ، وإحدى عشرة حلقة للاشتغال بالعلم ، والصرف عليها من مال المصالح ، وثلاث حلق للاشتغال بالحديث . وذكر النعيمي أيضاً في تحفة الطـالب وإرشاد الدارس خلاصة تاريخ الجامع الأموي ، وما عرض له من الحرائق والتجديد حتى عصره .

وأما الأستاذ بدران [المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ] فقد بسط الكلام على الجامع الأموي في كتابه « منادمة الأطلال ومسامرة الخيال » وقد طبع سنة ١٣٧٩ هـ ونقل عمن تقدمه من المؤرخين خلاصات في وصفه وتاريخه ، وخرابه وتجديده ، وقال : ثم في أيامنا [سنة ١٣١١] احترق الجامع ، ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة ، وأعيد بناؤه على الحالة الحاضرة اليوم ، جعله الله عامراً مدى الأيام ا هـ .

وأقول : إن العالم السيد علي الألوسي كان نظم قصيدة اثر حـادثة ـــ

ـ الحريق سنة ١٣١١ هـ قبل تعميره وإعادته ، وكتب إليّ كتاباً من بغداد [مؤرخاً في ١٠ رجب سنة ١٣٣٣] بعد عودته من دمشق صحبة علامة العراق ابن عمه السيد محمود شكري [رحمهما الله تعالى] يقول في ختامه: فرأيت أن أقدم اليكم صورتها [أي القصيدة] إذ يكون لها مساس لمن يشتغل بالتاريخ ومن أبياتها :

الله من نوب الزمان فكم لها ... من فاجعات أعظمت وقعاتها
بالجامع الاموي قف متفكراً ... في حادث عم الورى بجهاتها
نار تطاير بالقلوب شرارها ... وتصاعد الزفرات من زفراتها
ياجامعاً جمع المحاسن إذ غدا ... للشام شامتها وعين حياتها
قد كنت مجتمع الفضائل والتقى ... في المسلمين لدرسها وصلاتها
ولطالما قصدت اليك أولو النهى ... تبغي الأسانيد العلا برواتها

ثم ختمها بهذا البيت الواعظ :

وكذا الزمانُ مسرّة ومساءة ... هذي الحياة وهذه حالاتها

(محدثو دار الحديث الأشرفية وقبة النسر)

عرفت الشام من الصدر الأول بأنها بلد السنة ، فمسند الشاميين ـ أي الصحابة الذين نزلوا الشام ـ هو جزء كبير من مسند الإمام احمد المطبوع بمصر ومعه منتخب كنز العمال سنة ١٣١٣ هـ . ويجده المطالع في الجزء الرابع منه ، وبالأسانيد المتصلة بهؤلاء الشاميين وغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار ، اخرج الأئمة الحفاظ احاديثهم كالبخاري (المتوفى سنة

— ٢٥٦) و مسلم (٢٦١) واصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، وعنهم أخذ أئمة الرواية والدراية مدرسو دار الحديث الأشرفية بدمشق كابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣) وابن شامة (٦٦٥) والنواوي (٦٧٦) وابن الوكيل (٧١٦) وابن الزملكاني (٧٢٧) والحافظ المزي (٧٤٢) وعلم الدين البرزالي (٧٣٩) والحافظ الذهبي (٧٤٨) والتقي السبكي (٧٥٦) والحافظ ابن كثير (٧٧٤) وابن جماعة (٧٣٣) اولئك الذين كانوا من مفاخر الدنيا في عصورهم .

وروى بالسند عن هؤلاء الأئمة الحفاظ طائفة من محدثي قبة النسر الأعلام، ومن أكبر الأمر التي تسلسل فيها العلم في ديار الشام. وقد كان من شروط قبة النسر ان يقوم على درس الحديث فيها ، أعلم علماء دمشق ، فآل امرها بالاستحقاق والكفاءة إلى وارث علوم اولئك الأئمة خليفتهم وخاتمتهم شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤هـ ولم يأت بعده من يخلفه في علمه وعمله على ما سيأتي في ترجمته ، رحم الله اولئك الأبرار ، وعوض الأمة عنهم خيراً .

(الدخول في الموضوع)

بعد هذه المقدمات الموجزة نأثر عن العلامة البيطار ما أورده في تاريخه للقرن (الثالث عشر) من سلسلة المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر ، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء – علاوة على ما ذكره الأستاذ الجد عنهم من تاريخ المحبي المتوفى سنة ١١١١ والمرادي المتوفى سنة ١٢٢٢ ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن تاريخ الجد نفسه ايضاً جاعلاً في أعلى الصفحات ما قاله في حلية البشر ، مذيلاً بما لخصته من تراجمهم ،

أولهم هو العالم العلامة ، والحبر الفهامة الشمس محمد الميداني[١] أناله الله في جنته الأماني ، قال المحبي في أثناء ترجمته : لما مات الشمس الداودي [٢]

---

(١) هو محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الملقب شمس الدين ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد ، الميـداني ، الشافعي ، عالم الشام ومحدثها ، وصدر علمائها ، الحافظ المتقن . قال المحبي : وبلغ به سطوع الشأن الى مرتبة قل من يضاهيه فيها ، حتى ان الحكام كانوا لا يستطيعون الظلم خوفاً منه ، ويحترمونه أقوى احترام ، مع عدم تردده اليهم ، وقلة اكتراثه بهم وحطه عليهم ، وأكثر الناس من الأخذ عنه والقراءة عليه (ثم قال) وأكثر الناس فيـه من المراثي والتواريخ ، فمن ذلك تاريخ الاديب ابراهيم الاكرمي الصالحي ، وهو قوله :

شيخُ دمشق وشمسُ دينٍ (م) الإله فيهـا قضى وماتا
فقلت واحسرتاه أرخ أشافعي الزمان ماتا ؟

وقال فيه أبو بكر العمري شيخ الأدب :

مغاني العلم قد درست وقد أقوت معالمها
فقل إن شئت أو أرخ دمشق مات عالمها

(٢) محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي ، الشافعي المحدث الفقيه ، علم العلماء الاعلام ، والمفتي المدرس الهمام ،... وكان يعظ يوم الاحد من كل جمعة في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان عن ظهر قلب ، وكان الوعاظ غيره يعظون الناس من الكراريس .

أي سنة ست وألف فقد الناس مجلسه للحديث فقامت الطلبة على الشمس الميداني بعقد مجلس في الحديث بعد موته بسنتين أو أكثر ، فأقرأ في صحيح البخاري بعد صلاة العصر ، واختار أن يكون جلوسه تحت قبة النسر ، وكان الداودي يجلس تجاه المحراب الذي للشافعية بعد وفاة البدر الغزي واستمر الميداني إلى أن توفي بالقولنج في وقت الضحى يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين والف وصلي عليه قبل صلاة العصر ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبر والده ، ولما انزل في قبره عمل المؤذنون بيدعته التي ابتدعها مدة سنوات بدمشق من افادته إياهم ان الأذان عند دفن الميت سنّة وهو قول ضعيف ذهب إليه بعض المتأخرين ورده ابن حجر في العباب وغيره فأذنوا على قبره اهـ . ومدة تدريسه على ما ذكر اما اربع أو خمس وعشرون سنة لا سبع وعشرون كما وهم .

ثم تولاه بعده العلامة الامام ، والحبر الهمام الشيخ نجم الدين محمد الغزي[١]

واستمر إلى أن توفي يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين والف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام ، ودفن بمقبرة

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، محـــدث الشام ومسندها ، الشيخ الامام نجم الدين أبو المكارم وأبو السعود ، ابن بدر الدين رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي ، شيخ الاسلام ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، المتفرد بعلوا لاسناد .

ترجم نفسه في كتابه بلغة الواجد ، في ترجمة والده البدر ، فقال : مولدي كما رأيته بخط شيخ الاسلام : يوم الاربعاء حادي عشر شعبان المكرم سنة ٩٧٧ (اهـ) وعدّله الامين المحبي نحو ثلاثين كتاباً من تآليفه ، أعظمها ـــ

الشيخ رسلان رضي الله عنه ، ومن غريب ما اتفق له في درسه تحت القبة ان الشمس الداودي كان وصل في قراءة البخاري إلى باب كان ﷺ إذا صلى لا يكف شعراً ولا ثوباً ، ودرس بعده الشمس الميداني من ذلك الباب إلى باب مناقب عمار بن ياسر وتوفي ، ودرس من بعده النجم الغزي إلى أن أكمله في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته إلى أن وصل البكاء على الميت ، وكانت مدة تدريسه سبعاً وعشرين سنة اهـ . والظاهر ان الكتخدا المقدم ذكره رتبه في مدة النجم كما يعلم مما سلف والله أعلم .

ثم تولاه بعده ولده الفاضل الكامل الشيخ سعودي الغزي (١)

وابتدأ من محل انتهى اليه درس والده في صحيح البخاري ، واستمر إلى

ــ (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) ثم قال : وجلس مكان الميداني تحت القبة في الجامع الاموي ، لإقراء صحيح البخاري في الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، ورأس الرئاسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية أحد ، وهرعت اليه الناس والطلبة ، وعظم قدره وبعد صيته ، وكان جلوسه تحت قبة النسر سبعاً وعشرين سنة ، وهو قدر مدة الميداني ، وهو من غرائب الاتفاق اهـ ، (ص ٢٠٠ ج ٤ من خلاصة الأثر) .

(١) سعود بن محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري ، الدمشقي الشافعي ، مفتي الشافعية بدمشق ، وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها ، رؤساء العلم بالشام وكبراؤه ، وشهرة بيتهم لا تحتاج الى بيان ، وكان سعودي هذا فاضلاً وجيهاً رقيق الطبع ، اخذ الفقه والحديث عن جده لأمه الشهاب احمد العيثاوي ، وعن والده النجم ، وسافر في خدمته الى الحج في سنة ١٠١٤ والى الروم سنة ٢٣ ولما حج والده في سنة ٤٧ اقامه مُقامه في خدمة فتوى الشافعية فباشرها ، وظهرت كفايته ، وحمدت سيرته ، ثم مات ابوه في سنة ٦٠ ، فاستقل بها ، وأعطي عنه المدرسة الشامية البرانية ودرس الحديث تحت قبة النسر من جامع بني امية ، واستمر مدة يفتي ويدرس وكانت ولادته سنة ٩٩٨ — ١٠٧١ .

أن توفي في أوسط ذي القعدة سنة إحدي وسبعين وألف ودفن بمقبرة آبائه تربة الشيخ رسلان قدس الله سره العزيز ، وكانت مدة قراءته عشر سنوات ثم طلب التدريس العالم الجليل الشيخ محمد الاسطواني (١) من قاضي القضاة واجتمع هو والشيخ محمد تاج الدين المحاسني في مجلس القاضي وكان الآخر طالباً لها ، فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل انهما تشاتما بألفاظ قبيحة .

---

(١) محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالاسطواني الدمشقي الحنفي ، الفقيه الواعظ الاخباري ، كان احد اعاجيب الدنيا في حلاوة المنطق ، وحسن التأدية ، ومعرفة أساليب الكلام ، لا يمل حديثه بحال ، وكلما طال طاب ، كان في الاصل على مذهب اسلافه حنبلياً ، ثم انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم تحنف وصار اماماً بجامع السلطان احمد ، ثم واعظاً بجامع السلطان ابي الفتح محمد خان (في دار الخلافة العثمانية) واشتهر بحسن الوعظ ولطافة التعبير ، ثم امر بالمسير الى دمشق فوردها في سنة ١٠٦٧ واقام بها ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الاموي بين العشاءين وبعد الظهر ، ونشر علم القراءات والمواعظ ، وأقرأ شرح الهمزية ، ورغب الناس في حضور دروسه من علماء وعوام لحسن تقريره ، وعذوبة تفهيمه ، ولطافة مناسباته ، قال المحبي في ترجمته (ج ٤ ص ٣٨٧ :) وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول : إن درسه كان يرحل اليه من بلد الى بلد ، وانه قرر أشياء لم يسمعها من اهالي دمشق احد ، وفيه يقول الامير المنجكي :

إن سمع العقول يصغي لقول الاسطواني والقلوب لديه
جمع الفضل والمكارم حتى كل حسنى تعزى وتنمى اليه
رجل جاء في الزمان أخيراً يحسد الأول الاخير عليه

وكان بدمشق بعض مناكر ، فتقيد بإزالتها او تخفيفها ، ومن جملتها لبس السواد خلف الميت ، ورفع الصوت بالولولة .

ثم وجهت البقعة للمحاسني [١]

ومرض الاسطواني من يومه وبعد اسبوعين توفي قبل الظهر من يوم الاربعاء سادس وعشرين المحرم عام اثنين وسبعين وألف ودفن بمقبرة باب الفراديس ، قال المحبي : ولم تطل مدة المحاسني أي لأنه درس شهراً واحداً ثم مات في غرة شعبان عشية الاربعاء عام اثنين وسبعين وألف ودفن بمقبرة باب الفراديس بالقرب من جده الامير الحسن البوريني .

---

(١) هو محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنفي الخطيب بجامع دمشق ، كان فاضلاً أديباً جامعاً لمحاسن الاخلاق ، حسن الصوت ، نشأ في نعمة وافرة ، وكان ابوه ذا ثروة عظيمة ، فكان يصله بكل ما يحتاج اليه من مال ومتاع (قال المحبي) ولما توفي الشيخ سُعودي الغزي ، وُجِّه إليه درس الحديث تحت قبة النسر من جامع دمشق كما أسلفته في ترجمة محمد بن احمد الاسطواني قريباً ، وانتفع به خلق من علماء دمشق ، وله شعر حسن مطبوع ، فمنه قوله من قصيدة :

يا سقاها مرابعاً للتلاقي ... كلُّ سارٍ من الحيا غيداق

ومنها : يا حداة المطيّ رفقاً بقلبي ... إن طعم الفراق مر المذاق

ليت شعري متى تعيد الليالي ... ما أتاحت من صفو عيش التلاقي

ومن جيد شعره قوله :

وتنفسي الصعداء ليس شكاية ... مما قضته سوابق الاقدار

لكنْ بقلبي جملة تفصيلها ... صعب لدى العقلاء والاحرار

فجعلت موضع كل ذلك أنة ... ضمنت مرادي من عطاء الباري

ومن شعر المترجم قوله :

أودعكم وأودعكم جناني ... وأنثر أدمعي مثل الجمان

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الزمان

ثم وجهت البقعة للاستاذ الكبير محمد بن يحيى الخباز البصير المعروف بالبطنيني[١]

ودرس الى ان توفي في سنة خمس وسبعين والف ، وكان مدة تدريسه ثلاث ثنين .

ثم وجهت البقعة للامام الجليل الحنفي الشيخ علاء الدين الحصكفي[٢]

ودرس مدة ، ثم سعى بعض حساده في عزله ، وأرسلوا في ذلك كتباً الى جانب الدولة ، فاستقر ذلك في عقول أصحاب الحل والعقد فعزل .

---

(١) محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الخباز المعروف بالبطنيني ، الدمشقي الشافعي ، المحدث الفقيه الورع الصالح الناسك ، كان غاية في الورع ذا صلابة في دينه ، ينكر المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان متواضعاً خلوقاً ، عليه سكينة ووقار ، وكان في بداية أمره خبازاً في دمشق ، فارتحل الى مصر ، وجاور بجامع الأزهر سنين ، وفتح الله تعالى عليه بعد رجوعه ، وكان يدرس في فنون ، ويملي من حفظه ما يطالعه بحسن تقرير ، ثم عرض له عمى فزاد حفظه واشتهر ، وانتفع به جماعة من الفضلاء ، وله تآليف منها كتابه : « فتح رب البرية بالجواب عن اسئلة الزيدية » ثم درس تحت قبة النسر البخاري بعد موت الشيخ محمد المحاسني الخطيب ، وانتهت اليه الرئاسة عند الشافعية والتحديث . وكانت وفاته في سنة ١٠٧٥ . والبطنيني نسبة الى قرية من قرى دمشق .

(٢) محمد بن علي بن محمد الملقب علاء الدين ، الحصني الأصل الدمشقي المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره ، منها شرح تنوير الأبصار المسمى بالدر المختار ، وله شرح ملتقى الأبحر ، وشرح المنار في الأصول وغيرها . وكان عالماً محدثاً فقيهاً —

ثم وجهت البقعة للشمس محمد بن محمد العيثاوي[١]

قال المحبي : وبقي العلاء على هـذا نحو سنة ثم سافر الى الروم

ـ نحوياً ، كثير الحفظ والمرويات ، طلق اللسان ، فصيح العبارة ، جيد التقرير والتحرير . قال المحبي : إلا أن علمه أكثر من عقله (ج ٤ ص ٦٣) ولد بدمشق وقرأ على والده ، وعلي الإمام محمد المحاسني ، خطيب دمشق المقدم ذكره ، ولازمه وانتفع به ، وبلغت محبته له الى أن صيره معيد درسه في البخاري (ثم قال المحبي) : ولما توفي الشيخ محمد بن يحيى الخباز الشهير بالبطنيني ، انحلت عنه بقعة التحديث بجامع دمشق فوجهت اليه ، ودرس بها ، وعلا صيته ، واشتهر أمره ، وبقي يفيد ويدرس الى ان مات سنة ١٠٨٨

(١) محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي ، كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاة السميساطية وطعامها ، فتشاغل الباشا عنه بأوراق ، فمسك الباشا من طوقه وجذبه ، وقال له : انظر في أمر هولاء الفقراء ، واقض مصالحهم . فالتفت اليه وقضى له ما جاء فيه . ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي ، وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفتراً وأراد قطع شيء منها ، فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله ، فجذبه أيضاً من طوقه وقال له : لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم ـ وكان حاضراً في المجلس ـ وانظر الى عباد الله بنور الله ، فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي . وله من هذا القبيل أشياء أخر ، وله تحريرات على التفسير وغيره ، لكنهـا لم تجمع وذهبت . وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ، ودرّس ، وكان يقرر تقريراً جيداً ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ .

واجتمع بشيخ الإسلام يحيى المنقاري [١] وشكا إليه حاله فأعاد عليه بقعة التحديث ، وبقي إلى أن توفي يوم الاثنين عاشر شوال سنة ثمان وثمانين وألف عن ثلاث وستين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وأما العيثاوي فإنه توفي ليلة الخميس رابع يوم شهر ربيع الأول سنة ثمانين وألف بداء الاستسقاء ودفن بتربة باب الصغير اه وانظر هل أعيدت للحصكفي بعد وفاة العيثاوي أو قبله ؟ والظاهر الأول ، لأن المحبي لما ترجم العيثاوي قال وولي آخر أمره تدريس البخارى في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ثم ذكر وفاته ولم يذكر انه عزل عن الدرس والله أعلم .

ثم وجهت البقعة عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي إلى العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ يونس المصري [٢]

سنة تسع وثمانين فدرس بها إلى حين وفاته ، وسافر في هذه المدة مرتين

---

(١) يحيى بن عمر المنقاري الرومي شيخ الإسلام ، صاحب التقرير والتحرير ، أخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها ، ودرس بمدارس قسطنطينية ، وولي المناصب العلية ، منها قضاء مصر ، وليها في سنة ١٠٦٤ ، وأعيد إليها مرة ثانية ، وعقد بها درساً بمجلس الحكم في تفسير البيضاوي ، وحضره أكابر علمائها ، وأذعنوا له بالتحقيق الذي ليس له فيه مساوٍ . وألف تآليف عديدة في فنون شتى (قال المحبي) : وانتهت إليه الرئاسة في عصره بالعلوم ، وحظي حظوة لم يحظها أحد مثله عند ملك الروم ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٨ ودفن باسكدار في مكان عينه في وصيته ، وأوصى أن يعمر عنده مدرسة ، فنفذ ابنه وصيته بعد موته رحمه الله تعالى .

(٢) ابن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي ، نزيل دمشق ومدرس الحديث بها ، (قال المرادي) : ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمى لطائف المنة ، فقال : ولد كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة ١٠٢٩ بالمحلة الكبرى من اقليم مصر ، ونشأ بها ، وأخذ علم ـ

إلى الديار الرومية ، وكان ينوب عنه في غيبته في التدريس المرقوم الشمس محمد بن علي الكاملي (١) وكانت وفاة الشيخ يونس في ذي الحجة سنة عشرين ومائة وألف ، وكانت مدة تدريسه ثلاثاً وثلاثين سنة ما عدا سنتين درس بها الكاملي ، وأما الكاملي فإنه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف كما في تاريخ المرادي .

ثم وجهت البقعة للعلامة الشهير الشيخ اسماعيل العجلوني (٢)

قال المرادي : وذلك أنه ارتحل إلى الروم سنة تسع عشرة ومائة

— التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده ، ثم ارتحل المترجم إلى مصر ، وأقبل على الاشتغال بالعلوم ، وحضور دروس علماء الجامع الأزهر ، ثم ارتحل إلى دمشق سنة ١٠٧٠ وأخذ عن جماعة من علمائها .

وولي بدمشق تدريس بقعـــة الحديث ، بالجامع الشريف الأموي [تحت قبته] عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، سنة ٨٩ فدرس بها إلى حين موته . وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ١١٢٠ .

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي ، كان فقيها واعظاً بركة الشام ، علامة رحالة محققاً ، وسيما منوّراً ، عليه أبهة العلم ورونقه ، وكان خَلقه سوياً وخُلقه رضيا وشكله بهيا ، ودروسه من محاسن الدروس ، أخذ عنه الكثير من الأطراف والبلاد . ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ وحضر دروس المحدث النجم الغزي ولازمه ، وكانت وفاته سنة ١١٣١ رحمه الله تعالى .

(٢) اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي ، العجلوني المولد ، الدمشقي المنشأ والوفاة ، الشيخ الإمام ، الحجة الرحالة ، العمدة الورع . ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ تقريباً ، وحفظ القرآن في بلده ، ثم ارتحل الى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠ هـ واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية ، قال المرادي : ومشايخه كثيرون ، —

والف ، فلما كان بها انحل تدريس البقعة عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته فأخذه هو ، وجاء به إلى دمشق ، وكان والي دمشق إذ ذاك الوزير يوسف باشا القبطان عارضاً به إلى شيخه الشيخ محمد الكاملي شيخ الشيخ اسماعيل المذكور ، وألزم القاضي بعرض على موجب عرضه ، وانه يعطي ماصرفه شيخه الشيخ أحمد الغزي مفتي الشافعية بن الشيخ عبد الكريم بن الشيخ سعودي المقدم ذكره للقاضي ، وكان مُرادُ الغزي أولاً التدريس ، فحين وصول العرض إلى دار الخلافة (قسطنطينية) للدولة العلية ، ما وجهوا التدريس لشيخه الكاملي ، بل وجهوه للشيخ اسماعيل العجلوني ، واستقام بهذا التدريس إلى أن مات ، ومدة إقامته من سنة ابتداء إحدى وعشرين إلى أن مات إحدى وأربعون سنة ، وكانت وفاته بدمشق في

ـ والكتب التي قرأها لا تعد لكثرتها ، وقد ألف ثبتاً سماه « حلية أهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكمل الرجال » وترجم مشايخه به ، وعد المؤرخ المرادي من أجلائهم قريباً من ثلاثين (ثم قال) : وارتحل إلى الروم في سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس قبة النسر بالجامع الأموي ، عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه صاحب الترجمة ، وجاء به إلى دمشق ، إلى آخر ما جاء في (حلية البشر) أخذاً عن (سلك الدرر) . « وفي السلك » : وألف المؤلفات الباهرة المفيدة ، منها (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) (وهو مطبوع بمصر) وعدَّ له عشرة تآليف كاملة وسبعة لم تكمل ، وجلها في التفسير والحديث والتاريخ (ثم قال) : وكان صاحب الترجمة حليما سليم الصدر ، سالماً من الغش والمقت ، صابراً على الفاقة والفقر ، وملازماً للعبادات والتهجد ، والاشتغال بالدروس العامة والخاصة ، كافاً لسانه عما لايعنيه ، مع وجاهة نيرة .(المرادي) : ترجمه بقوله : والجراحي : نسبة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة .

محرم الحرام افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة والف ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه . وغلط من قال ان مدة درسه ثلاث وأربعون سنة ، وأما الشيخ أحمد الغزي فكانت وفاته في يوم الجمعة ثاني شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة والف .

ثم وجه تدريس البقعة للعلامة الشيخ صالح الجينيني الحنفي (١)

فدرس إلى أن مات ، وذلك يوم الأحد بعد العصر سادس عشر شهر ذي القعدة سنة سبعين ومائة والف ، ودفن في باب الصغير وكان مدة تدريسه تسع سنين

ثم وجه تدريس البقعة للامام الكبير والجهبذ الشهير الشهاب أحمد المنيني (٢)

واستمر إلى أن توفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، وكانت مدة تدريسه سنة واحدة

---

(١) ابن ابراهيم بن سليمان بن عبد العزيز الحنفي ، الجينيني الأصل ، الدمشقي المولد ، النعمان الثاني ، وشيخ الحديث ، العمدة الرحلة ، ولد بدمشق سنة ١٠٩٤ ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة كثيرين ، وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأموي وغيره ، وتزاحمت عليه الطلاب وكثر نفعه . ولما توفي الشيخ اسماعيل العجلوني مدرس الحديث تحت (قبة النسر) في الجامع الأموي ، وجه التدريس المذكور عليه ، واستقام به إلى أن مات .

(٢) أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن إدريس ابن اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحوياً ، أديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً متطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التميز قرأ القرآن . ثم قدم إلى دمشق فقرأ على سادات أجلاه ذكرهم في ثبته . —

ثم وجه التدريس للعلامة والحبر الفهامة علي افندي الداغستاني(١) فدرس إلى ان اصابه داء الفالـج في صفر سنة ست وتسعين ، فأناب

ـــ ودرس بالجامع الأموي بأمر من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام إلى أن توفي الشيخ أبو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، إلى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بها ، وأقام على الإفادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين في بعض العلوم ؛ وانتفع منه خلق كثير ، وللمترجم :

على السر لاتطلع صديقاً ودعه في ضميرك عن كل الأنام مصونا

فإنّ ضمير الفرد مستتر وإنْ تثنى تبدّى للعيـان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح . قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة إلى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، وأصله من بورفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في بورفـائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه إحدى عشرة سنة إلى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيـخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه عـلى مذهب الإمام الشافعي ، ثم ارتحل إلى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المذكورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صـادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ ، وقرأ على جملة من علماء ـــ

الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات ، إلى ان توفي الداغستاني ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائة والف ودفن بسفح قاسيون

ثم وجه التدريس إلى السيد محمد العطار [1]

ولم يدرس بل اناب الشيخ الشمس الكزبري فبقي مدرساً إلى ان توفي السيد محمد العطار سنة تسع بعد المائتين والف

ثم تولاه العالم العلامة ، والمحدث الفهامة ، الشمس محمد الكزبري [2]

من غير تعرض له واستمر إلى ان توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين

— بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ، ولما توفي الشهاب أحمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه إلى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهمات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً إلى أن توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(١) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله ، ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، إلى ان برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في احكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها إليه ، فغب وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

(٢) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر في جامع بني أمية في دمشق المحمية ، ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي ابن احمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بإفادة —

والف ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن في باب الصغير ، وكانت مدة تدريسه إحدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل ، والقدوة الكامل ،
ذو الوجه الأنوري الشيخ عبد الرحمن الكزبري [١]

— الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت إلى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع ... لم تزل في كل عام تسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع ... لحديث المصطفى أو يُسنِدُ
ياله من خير درس جامع ... ولأهل العلم فيه مشهد
فكأن الوجه منه حينما ... ينثر الدر على الملتمس
قمرٌ عن جانبيه العلما ... كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٢١ هـ .

(١) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس إلى أن أتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجدّ في (حلية البشر) أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد أخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . وبعد موت والده وجّه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي سنة ١٢٦٢ توجه المترجم إلى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي إلى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا .

فدرس إلى ان توفي في البلد الحرام ختام عام اثنين وستين ومائتين والف وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل ، والنحرير الكامل ،

الشيخ عبد الله الكزبري (١)

فدرس إلى أن توفي ، سادس وعشرين شهر ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه سنتين .

ثم تولاه بعده أخوه العالم الجليل والفاضل النبيل الشيخ أحمد (٢) المترجم المذكور ، ذو المقام المشهور ، فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني أمية المصون ، وابتدأ من محل ماوصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ذي الشأن ، وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين والف وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة خمس وثمانين فصلت عنه ووجهت إلى أحمد أفندي بن

---

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من أفراد العلماء الأعلام . وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الإمام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك إلى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه . وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، إلى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلى عليه في الجامع الأموي أكثر أهل الشام رحمه الله تعالى .

المرحوم أمين أفندي منجك الصالح الهمام ، وفي السنة المذكورة وجهت عليه مشيخة الصمادية القادرية الكائنة في محلة الشاغور ، في قرب دار المترجم المذكور ، ولم يزل مواظباً على الدروس والأذكار ، مع تردد الناس اليه آناء الليل وأطراف النهار ، إلى أن جذبته يد المنية ، إلى الدار الباقية العلية ، ليلة الحادي والعشرين من المحرم الحرام ، سنة الف ومائتين وتسع وتسعين وصلى عليه أكثر أهل دمشق الشام ، في جامع بني أمية ، ثم دفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن محمد أبو الفتح بن محمد العجلوني الازهري
ابن خليل بن عبد الغني العجلوني الجعفري الشاذلي

العالم الشهير ، والشهم اللوذعي الخطير ، المولى المفضال ، المتسربل برداء السيادة والكمال ، صاحب الفضائل والأدب ، والسامي بمعارفه ذروة الرتب ، فلله دره من إمام ، حاز كل مرتبة ومقام ، تليت آيات أحاديثه في طروس ذوي الفضائل والإمداد ، فسما في سماء السيادة والإرشاد . وقد أخذ عن الشيخ أحمد بن عبيد العطار ، وعن الشيخ علي السليمي وعن الشيخ خليل الكاملي ، وله تأليفات شهيرة ، وكتابات كثيرة ، تدل على فضله وعلمه ، وغزير ذكائه وفهمه . وأخذ الطريقة الشاذلية عن والده ، ولقد أقرأ وأفاد ، وعظم قدره وساد ، وكان حسن الشمائل ، بديع الفضائل ، بريء الذمة ، عالي الهمة ، جميل السيرة ، صافي السريرة ، ولد بدمشق سنة سبعين ومائة والف ولم يزل مواظباً على الإفادة والاستفادة في العلوم ، مع إتقان المنطوق منها والمفهوم ، والعمل بالتقوى ، في السر والنجوى ، إلى أن جاءه الطلب ، إلى الفوز بالأرب ، فمات سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير ، رحمة الله عليه .

الشيخ أحمد أفندي بن سعيد بن حمزة بن علي الدمشقي الحنفي الحسيني الشهير بابن عجلان

نقيب السادة الأشراف في دمشق الشام وابن نقيبها ، وأديب القادة ذوي الانصاف وابن أديبها ، فهو أحد صدور الشام ، وقمر سماء أولي المجد والاحترام ، وشمس أفق الكمال ، وبدر فلك الجمال ، إكليل الأدب الزاهر ، وزهرة غصن الفضل الناضر ، من سما في سماء المعارف والأدب ، ورقي بمحاسن كمالاته أسنى الرتب ، ولما توفي والده أحيلت نقابة الاشراف اليه ، وألقت الرئاسة زمامها لديه ، وكان له في الكرم كف ، لاتعرف القبض والكف ، ولا زال يتقلب على فرش الهنا ، محفوظاً من كل كرب وعنا ، إلى أن وقعت حادثة النصاري نهار الاثنين سادس عشر ذي الحجة الحرام سنة ست وسبعين ومـــائتين والف ، فاختل أمر البلد ، وأحسّ ذوو العقل بالشرور والنكد ، فما مضى برهة أيام ، إلا وقد حضر الوزير المعظم حضرة فؤاد باشا إلى الشام ، مرخصاً بما يريد بما عز وهان ، من غير مراجعة ولا استئذان ، فبعد أيام جمع الأعيـــان والصدور ، وقر قراره بنفي المترجم المذكور ، ومعه الشيخ عبد الله الحلبي ، وطاهر افندي مفتي دمشق الشام ، وعمر افندي الغزي مفتي السادة الشافعية بدمشق ، وأحمد افندي الحسيبي ، وعبد الله بك بن العظم وولده علي بك ، وعبد الله بك بن نصوح باشا ، ومحمد بك العظمة ، وهؤلاء هم أهل مجلس دمشق الشام وأعضاؤه ، فنفاهم جميعاً إلى قبرص ، ووضعوا جميعاً في قلعة الماغوصة ، وكانت وفاة المترجم المذكور في شهر رمضان المبارك سنة سبع وسبعين ومائتين والف ودفن هناك في تكة الأستاذ مراد ومات عقيما ، غريباً مظلوما ، وان آل البيت أكثر الناس ابتلاء رضي الله عنه وأرضاه .

أحمد بن يوسف الشنواني المصري الشافعي المكني بأبي العز

العالم المحسوب من أفراد علماء ذلك الزمان ، والمنسوب لمن دامت مآثر

ذكرهم وان غابوا عن العيان ، فلا ريب أن شمائله في جبهة الليالي غرة ، وفضائله في جيد الأيام درة ، مع ما له من حسن الخط وجودة الإنشاء ، وجميل السيرة بين الأفاضل والعلماء ، أخذ عن الشهابين الملوي والجوهري ، وعن الشمس الحفني ، والشيخ حسن المدابغي ، ومحمد بن النعمان الطائي ، وحضر على السيد مرتضى صحيح الإمام البخاري بطرفيه(١) وصحيح الإمام مسلم بطرفيه (١) وسنن أبي داود إلى نحو ثلثيه ، وغالب الشمائل للترمذي ، وثلاثيات البخاري ، وثلاثيات الدارمي ، والحلية لأبي نعيم من أوله إلى مناقب العشرة ، وأجزاء كثيرة بحدودها في ضمن إجازته بأسانيدها . قال الشيخ الجبرتي : كان نعم الرجل صحبة وديانة وحفظاً للنوادر من الأشعار والحكايات ، فمن ذلك ما سمعته من لفظه ، قال أنشدني رجل من المغاربة بمكة وقد نسيت اسمه ، للتقي السبكي يمدح الإمام الغزالي وكتابه الإحياء :

لمحمد بن محمد بن محمد ... فضل على العلماء بالتمكين

أحيا علوم الدين بعد مماتها ... بكتابه إحيا علوم الدين

وأنشدني أيضاً للامام الغزالي يمدح الإمام الشافعي رضي الله عنهما :

ان المذاهب خيرها وأجلها ... ما قاله الحبر الإمام الشافعي

فاخترت مذهبه وقلت بقوله ... ورجوته يوم القيامة شافعي

وأصيب المترجم في آخر عمره بكريمتيه عوضه الله عنهما الجنة ونعيمها. توفي سابع وعشرين من جمادى الأولى سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ احمد بن محمد بن جاد الله بن محمد الختاني المالكي البرهاني

الإمام العلامة ، والوجيه الفهامة ، يعرف بأبي شوشة ، قال العلامة الجبرتي : وله مقام يزار بأم ختان بالجيزة ، نشأ في طلب العلم ، وحضر

---

(١) أي رواية ودراية .

أشياخ الوقت ، ولازم السيد البليدي ، وصار معيداً لدروسه بالأزهر والأشرفية ، وانتفع بملازمته له انتفاعاً كلياً ، وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه ، ونوه بشأنه ، فلما توفي شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني ، واجتمع عليه الناس وحضر من كان ملازماً لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم ، واعتقدوا صلاحه ، وتحبب إليهم وواسوه بالصلات والزكوات والنذور ، وواظب الإقراء بالأزهر أيضاً ، وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ، ويقوم دائماً من الثلث الأخير من الليل ويذهب إلى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة ، وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وامساكها ، وبآخره اشترى داراً عظيمة بحارة كتامة ، المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر ، وانتقل إليها وسكنها . وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس ، فقصدته العرب قطاع الطريق ، فأراد الهروب وكان جسيماً فسقط من على بغلته فانكسر زره وحمل إلى داره وعالج نفسه شهوراً ، حتى عوفي قليلاً ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله تعالى سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ احمد بن سالم النفراوى المالكي المصرى

الإمام المفضل ، والهمام المبجل ، نشأ في حجر والده في رفاهية ، ونعمة وافية ، ورياسة وكمال ، ورفعة وجمال ، حافظاً أوقاته بالاجتهاد في الطلب ، متمسكاً للوصول إلى المعالي بأقوى سبب ، إلى أن جاءته الأماني ملقية إليه مقاليدها ، ومنيلة له طريفها وتليدها ، ولما مات والده المرقوم تعصب له الشيخ عبد الله الشبراوي حتى وجه عليه سائر وظائف والده وتعلقاته ، وأجلسه للدرس في مكان أبيه وأمر جماعة أبيه بالحضور عليه ، وكان الشيخ علي الصعيدي من أكبر طلبة أبيه فتطلع للجلوس في محله ، وكان

أهلاً لذلك فعارضه الشيخ الشبراوي وأقصاه ، وصدر المترجم المذكور مع قلة بضاعته بالنسبة للشيخ علي المرقوم ولثغة في لسانـه ، فحقد الشيخ الصعيدي في نفسه عليه سنين ، وكان المترجم ذا دهاء ومكر فتصدى للقضايا والدعاوى واتخذ له أعوانا ، واشتهر ذكره ، وعلا قدره ، وعد من الكبار وترددت عليه الأمراء والأعيان . ولم يزل الصعيدي ينتهز فرصة لتأخير حاله ، والقائه في أوحاله ، الى أن أمكنته الفرصة من ذلك ، فألقاه في أودية المهالك ، ولا زال قرين الذل والهوان ، وزمانه يعاكسه فيما جل وهان ، إلى أن توفي سنة سبع ومائتين وألف ، نسأله تعالى الحفظ واللطف ، إنه رؤوف رحيم ، وقد ذكر الإمام الجبرتي بعض ذلك .

الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي المصرى الأزهرى

علامة العلوم والمعارف ، وروضة الآداب الوريقة وظلها الوارف ، جامع المزايا والمناقب ، شهاب الفضل الثاقب ، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوي الصحيح بالمشهد الحسيني ، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي الصحيح والبيضاوي والجلالين ، وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية ، وعلى الشمس الحفني الصحيح مع شرحه للقسطلاني ، ومختصر ابن أبي جمرة ، والشمائل ، وابن حجر على الأربعين ، والجامع الصغير ، وتفقه على كل من الشبراوي والعزيزي والحفني والشيخ علي قايتباي الأطفيحي والشيخ حسن المدابغي والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوي والشيخ عطية الأجهوري ، وتلقى بقية الفنون عن الشيخ علي الصعيدي لازمه السنين العديدة ، وكان معيداً لدروسه ، وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق ، وسمع من الشيخ أبي طالب الشمائل لما ورد مصر متوجهاً إلى الروم ، وحضر دروس الشيخ يوسف الحفني والشيخ ابراهيم الحلبي وابراهيم بن محمد الدلجي ،

ولازم الشيخ حسن الجبرتي وأخذ عنه وقرأ عليه في الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقايق للسبط وقولي زاده على المجيب وكفاية القنوع والهداية وقاضي زاده وغير ذلك ، وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكري ولازمه كثيراً ، واجتمع بعد ذلك على ولي عصره الشيخ أحمد العريان ، فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر ، فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفى شيخنا الشيخ أحمد الدمنهوري ، واختلفوا في تعيين الشيخ فوقعت الاشارة عليه ، واجتمعوا بمقام الامام الشافعي رضي الله عنه واختاروه لهذه الخطة العظيمة فكان كذلك ، واستمر شيخ الجامع على الاطلاق ، ورئيسهم بالاتفاق ، يدرس ويعيد ، ويملي ويفيد ، وقال الجبرتي : وكان يرعى حق الصحبة القديمة والمحبة الأكيدة ، وسمعت من فوائده كثيراً ، ولازمت دروسه في المغني لابن هشام بتمامه ، وشرح جمع الجوامع للجلال المحلي والمطول وعصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك ، وكان رقيق الطباع ، مليح الأوضاع ، لطيفا مهذبا إذا تحدث نفث الدر ، وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر ، وقد مدحه شعراء عصره بقصائد طنانة .

ومن كلامه ما كتبه مقرظا على رياض الصفا لشيخنا السيد العيدروس هذان البيتان :

أخي طالعن في رياض الصفا ⁂ وكن وارداً في مياه الوفا
وقل يا إلهي سلم لنا ⁂ وجيها حباه كمال اصطفا

وكتب على تنميق السفر له مضمنا ما نصه :

كتاب على السحر البيان قد انطوى ⁂ وحكمة شعر منه تبدو فضائله
وتنميق أسفار لحضرة سيد ⁂ هو البحر علما وافر العقل كامله

إذا رمت أسرار البلاغة فهو في … قصائده الحسنى التي لا تماثله
عرائس أفراح وعقد جمانها … بمختصر المدح المطول قائله
« وإني وإن كنت الأخير زمانه … لآت بما لم تستطعه أوائله »

وكتب على النفحة مانصه :

نفحة المولى الوجيه العيدروس … نشرها يحيا به موت النفوس
عطرها باهي وذاك عرفه … ذكر الأرواح عهداً قد تنوسي
جمعت من غرر العرفان ما … فاق أبهى درر العقد النفيس

وله أيضاً وقد كتب على تنميق الأسفار له :

ألاح ضوء المنى عن برق أسفار … أم أشرق الكون من تنميق أسفار
أم اليواقيت قد جاءت منظمة … في عقد در بدا في بعض أسفار ؟
اني لأقسم بالرحمن مدحي عبـده الذي سره بين الورى ساري
العيدروسي ذو الفضل الجليل وذو المجد العلي وسر الخالق الباري
إن الذي صاغه إمن نور تكرمة … من جوهر عز ّلا من نظم أشعار

وله أيضاً عليه :

أسر لائح ســاري … سرى في نوره الساري
ونور باهــر باه … به زند الهوى واري
وبــدر سرّه زاه … بدا في حسن أسفــار
وعقد الجوهر المكنو … ن أم تنميق أسفـار
كتاب بل عباب فيــه فلك للهوى جــارى

ومن كلامه يمدح الأستاذ عبد الخالق بن وفا :

شموس لها أفق السعادة مطلع … أبت في سوى برج السعادة تطلع
معارج فضل ليس يرقى سنامها … سوى مفرد في عزه ليس يشفع
سما أفقها السامي أولو المجد والوفا … وصد سواهم عن سناها وصدعوا

كواكب هدي قد أضاء بنورهم ... سبيل لمن يبغي الرشاد ومهيع
هم السادة الأمجاد والقادة الألى ... بكل كمال جلببوا وتدرعوا
هم الشاربو راح التقرب والصفا ... وكأسهم الأصفى مدى الدهر مترع

وهي طويلة ، ولم تزل كؤوس فضله على الطلبة مجلوة ، حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه ، وأيّ صفاء لايكدره الدهر ، ولم يرشقه بسهام فصم العمر ، فدعاه الله تعالى إلى الجنان ، وتلقاه جيش الرحمة والرضوان ، وذلك في حادي وعشرين من شعبان سنة ثمان ومائتين والف ودفن بمدفن عمه الشيخ العريان ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان . ومن تآليفه شرح على نظم التنوير ، في إسقاط التدبير للشيخ الملوي ، وحاشية علي الملوي على السمرقندية وغير ذلك . ورثاه الشيخ اسماعيل الخشاب بقوله :

تغير وجه الدهر وازورّ جانبه ... وجاءت باشراط المعاد عجائبه
وكدر صفو العيش وقع خطوبه ... وقد كان ورداً صافيات مشاربه
فما لي لا أذري المدامع حسرة ... وافق سماء المجد تهوي كواكبه
وما لي لاأبكي على فقد ذاهب ... موصلة لله كانت مذاهبه
اما.م هدى للهدى كان انتدابه ... فلا كان يوم فيه قامت نوادبه
أغرُّ سنى شمس الضحى دون وجهه ... وفوق مناط الفرقدين مراتبه
حليف ندى كالسيل سيب يمينه ... وكالبحر تجري للعفاة مواهبه
أخو ثقة بالله فى كل موطن ... على أنه ما انفك خوفاً يراقبه
له عفو ذي حلم ورأي أخي نهى ... يضيء لدى محلولك الخطب ثاقبه
على نهج أهل الرشد عاش وقد مضى ... مطهـــرة أردانه وجلابيه
فمن ذا الذي ندعو لكل ملمة ... ونرجو إذا ما الأمر خيف عواقبه
ومن ذا لإيضاح المسائل بعده ... وحل عرى ماقبل أعيت مطالبه
لقد هد ركن الدين حادث فقده ... وشابت له من كل طفل ذوائبه

وصدع أركان العلا وتقوضت ... لذاك عروش الغير ثم جوانبه
وغادر ضوء الصبح أسود حالكا ... كأن الدجى ليست تزول غياهبه
ألم تر أن الأرض مادت بأهلها ... وإن الفرات العذب قد غص شاربه
سطت نوب الأيام بالعلم الذي ... تزال به عن كل شخص نوائبه
عجبت لهم أنى اقلوا سريره ... وقد ضم طوداً أي طود يقاربه
وكيف ثوى البحر الخضم بحفرة ... وضاق بجدواه الفضا وسباسبه
خليلي قوما فابكيا لمصابه ... بمنهل دمع ليس ترقا سواكبه
لقد آد إذ أودى وأعقب مذ مضى ... اسى يجعل الاحشا جذاذا تعاقبه
وأي شهاب ليس يخبو ضياؤه ... وأي حسام لاتفل مضاربه
وأي فتى أبدي المنية أفلتت ... وأي فتى وافته يوما مآربه
وماذا عسى تبغي من الدهر بعدما ... اصمت وأصمت كل قلب مصائبه
يعز علينا أن نراه ببرزخ ... تمازج ترب الأرض فيه ترائبه
سقى قبره الغيث الملث وأمطرت ... عليه من الرضوان سحاً سحائبه
وحل بفردوس الجنان منعّماً ... ولاقته فيه حوره وكواعبه

الشيخ أحمد شهاب الدين بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي المحلي الشافعي

الإمام العلامة ، والرحلة الفهامة ، بقية المحققين ، وعمدة المدققين ، من بيت أهل العلم والصلاح ، والرشد والفلاح ، وأصلهم من سمنود . ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر ، وحضر على الشمس السجينى والـزيزي والملوي والشبراوي وتكمل في الفنون العربية ، وتلقى عن السيد علي الضرير والشيخ محمد الغلاني الكشناوي مشاركا للشيخ حسن الجبرتي وللشيخ ابراهيم الحلبي ، وعاد إلى المحلة فدرس في الجامع الكبير مدة ثم أتى إلى مصر بأهله وعياله ومكث بها وأقرأ بالجامع الأزهر درساً وتردد إلى الأكابر والأمراء وأجلّوه ، وقرأ في المحمـــدية بعد موت الشنويهي

في المنهج ، وانضم إلى الشيخ أبي الأنوار السادات ، ويأتي اليه في كل يوم ، وكان انسانا حسنا بهي الشكل لطيف الطباع ، عليه رونق وجـلالة ، جميل المحادثة حسن الهيئة ، توفي بعد أن تمرض دون شهر عن مـائة وست عشرة سنة » مع كونه كامل الحواس ، اذا نهض نهض نهوض الشباب ، وكانت وفاته سنة تسع ومائتين وألف ودفن ببستان المجاورين . وكان يتكتم مدة عمره كما نقل ذلك الجبرتي .

الشيخ أحمد بن يونس الخليفي الشافعي الأزهري المصري

الإمام العلامة ، واللوذعي الفهامة ، رئيس المحققين ، وعمدة المدققين ، النحوي المنطقي الجدلي الاصولي ، قال العلامة الجبرتي : ولد المترجم سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف كما سمع من لفظه ، وقرأ القرآن وحفظ المتون وحضر على كل من الشبراوي والحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ محمد الدفري والدمنهوري وسالم النفراوي والطحلاوي والصعيدي ، وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري ، ودرس وأفـاد بالجامع الأزهر ، وتقلد وظيفة الإفتاء بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك عـلى الشيخ حسن الكفراوي ، فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أميناً على فتاويه لجودة استحضاره في الفروع الفقهية ، وله مؤلفات ، منها حاشية على شرح شيخ الاسلام على متن السمرقندية في آداب البحث ، وأخرى على شرح الملوي في الاستعارات ، وأخرى على شرح المذكور على السلم في المنطق ، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث ، وأخرى عـلى شرح الشمسية في المنطق ، وأخرى على متن الياسمينية في الجبر والمقابلة ، وشرح على أسماء التراجم ، ورسالة في قولهم واحد لا من قلة ، وموجود لا من علة ، ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التي ردها الشيخ الدمنهوري ، ولازم الشيخ حسن الجبرتي مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغريبة ، وكملهـا بعد وفاته على تلميذه محمود أفندي النيشي ، وكان جيد التقرير ويميل بطبعه

لذوي الوسامة والوجوه الحسان من الأولاد والشبان ، فإذا رجع من درسه خلع زي العلماء ولبس زي العامة وجلس بالأسواق ، وخالط الرفاق ، ويمشي كثيراً بين المغرب والعشاء بالتخفيفة . مات في أوائل رجب سنة تسع ومائتين والف .

الشيخ أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي الأحمدي
المدرس بالمقام الاحمدي بطندتا

الفقيه العلامة الصالح الصوفي ، قال الشيخ الجبرتي : ولد ببلدة سماليج بالمنوفية ، وحفظ القرآن ، ثم جاء إلى مصر وحضر على الشيخ عطيـة الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الحشني والشيخ أحمد الدردير ، ورجع إلى طندتا فاتخذها سكنا وأقام بها يقرىء دروساً ويفيد الطلبة ويفتي على مذهبه ، ويقضي بين المتنازعين من البلاد ، فراج أمره واشتهر ذكره بتلك النواحي ، ووثقوا بفتياه . وقوله ، وأتوه أفواجاً بمكانـه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبيت الخليفـة ، وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد له منها ولد سماه أحمد كأنما أفرغ في قالب الجمال ، وأودع بعينيه السحر الحلال ، فلما ترعرع حفظ القرآن ، والمتون ، وحضر على أبيه في الفقه والفنون ، وكان نجيباً جيد الحافظة يحفظ كل شيء سمعه من مرة واحدة ، ونظم الشعر من غير قراءة شيء في علم العروض .

أول ما رأيته في سنة تسع وثمانين ومائة والف في أيام زيارة سيدي أحمد البدوي فحضر إلي وسلم علي وآنسني بحفظ ألفاظه ، وجذبني بسحر الحاظه ، وطلب مني تميمة فوعدته بارسالها وأبطأت عليه فكتب إلي أبياتاً في ضمن مكتوب وهي :

يا أيها المولى الهـمـا   م ومن رقى رتب العلا

يامفرداً في عصره ومفضلا بين الملا
يايوسف العصر الذي عنه فوآدي ماسلا
ياعبد رحمن الورى ياذا المحاسن والحلا
يا ابن الجبرتي الذي اعطيت ذكرا اجملا
مني اليك تحية ماحن مشتاق الى
جمالك الفرد الذي به المعنى اشتغلا
او لاح نجم في الدجى او سار ركب في الفلا
هذا وقد واعدتني بتميمة تسمو على
حرز الأماني التي ما مثلها حرز حلا
فاسمح وجد ياسيدي وانعم بها وتفضلا
ولا تطع في صبك المغى الشجي العذلا
وامنن بود جوا به فالجسم منه انتحلا
والطرف امسى ساهراً والصبر عنه ارتحلا
والبعد قد أورثه سقما فلا حول ولا

ولما بلغ، زوجه والده بزوجتين في سنة واحدة، ولم يزل يجتهد ويشتغل حتى مهر وانجب ودرس لجماعة من الطلبة، وحضر الى مصر مع والده مرارا. وفي ايام شبابه نشبت به اظفار المنية، وحالت بينه وبين الأمنية، وذلك في سنة ثلاث ومائتين والف، وخلف ولدا صغيرا استأنس به جده المترجم، وصبر على فقد ابنه وترحم، وتوفي هو أيضاً سنة تسع ومائتين والف رحمهم الله تعالى امين.

الشيخ احمد بن موسى بن احمد بن محمد البيلي العدوي المالكي الازهري

الإمام العمدة الفقيه، والهمام الصفوة النبيه، المتقن العلامة، المتفنن الفهامة، عين أعيان الفضلاء، ونخبة افراد العلماء، ولد ببني عدي كما ذكره الإمام الجبرتي سنة احدى واربعين ومائة والف وبها نشأ فقرأ القرآن، وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ على الصعيدي ملازمة كلية حتى مهر في العلوم، وبهر فضله في

الخصوص والعموم ، وكان له قريحة جيدة ، وحافظة غريبة ، يملي في تقريره خلاصة ماذكر أرباب الحواشي ، مع حسن سبك ، والطلبة يكتبون ذلك بين يديه . وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرؤها حتى صارت مجلدات ، وانتفع بها الطلبة انتفاعا عاماً ؛ ودرس في حياة شيخه سنين عديدة ، واشتهر بالفتوح ، وكان الشيخ علي الصعيدي يأمر الطلبة بحضوره وملازمته ، وكان فيه انصاف زائد وتؤدة ومروءة ، وتوجه الى الحق ، ولديه أسرار ومعارف وفوائد وتمائم وعلم بتنزيل الأوفاق والوفق المثني العددى وطرائق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك ، ولما توفي الشيخ احمد الدردير ولي مشيخة رواق الصعايدة وله مؤلفات منها مسائل كل صلاة بطلت على الامام ، وغير ذلك .

ولم يزل على حالته وافادته وملازمة دروسه ومحافظته على الجماعة حتى توفي سنة اربع عشرة ومائتين والف ودفن في تربة المجاورين رحمه الله .

الشيخ احمدبن ابراهيم الشرقاوى الشافعي الازهري

العلامة الفاضل ، والشيخ العمدة الكامل ، قرأ على والده وتفقه وانجب ،ولم يزل ملازما لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محله واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ، ولازم مكانه بالازهر طول النهار يملي ويفيد ويفتي على مذهبه ويأتي اليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وانكحتهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوي في الدعاوي التي يحتاجون فيها الى المرافعة عند القاضي ، وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ، ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه ، وربما اتوه بهدايا ودراهم؛ واشتهر ذكره . وكان جسيما عظيم اللحية فصيح اللسان ولم يزل على حالته حتى اتهم في فتنة الفرنسيس المتقدمة في ترجمة ابي بكر باشا الطرابلسي ، ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ، ولم يعلم له قبر ، وكان ذلك سنة اربع عشرة ومائتين والف رحمه الله .

الشيخ احمد بن رمضان بن مسعود الطرابلسي المقرىء الأزهرى المعروف بالشيخ شامل

العمدة الفاضل ، والنبيه الكامل ، والوجيه العالم العامل ، حضر من بلده طرابلس الغرب الى مصر في سنة احدى وتسعين وجاور في الأزهر وكان فيه استعداد ، وحضر دروس الشيخ احمد الدردير والبيلي والشيخ ابي الحسن القلقي وسمع على شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضاً ، وأخذ منه الاجازة في سنة اثنتين وتسعين ، ولما مات الخواجا حسن البناني من تجار المغاربة ، فتوصل الى ان تزوج بزوجته بنت الغرباني وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين ، وتجمل بالملابس وتودد للناس بحسن المعاشرة ومكارم الاخلاق ، وكان ممدوح النفس جداً دمث الطباع والاخلاق جميل العشرة ، ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسي الضرير من مشيخة رواقهم كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره ، فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ، ونوه بذكره وزادت شهرته . وكان وجيها طويل القامة بهي الطلعة بشوشاً ، ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه الشيخ حسن العطار بقصيدة اشار في مطلعها اشارة خفية لحالته مع المترجم المتولي والسيد عبد الرحمن المعزول ، لصداقة بينه وبين المتولي بخلاف المعزول ، واول القصيدة :

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الورق على ايكها	تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر اضحى في الربا باسماً	لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر في الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأبرا السقام
كأنما الورد على غصنه	تيجان ابريز على حسن هام
كأنما الغدران خلجان	اغصان النقا والنهر مثل الجسام

كأن منظوم الزراجين يا قوت غدا من نظمه في انسجام
كأنما الآس عـذار على وجنته وقد علاها ضرام
كأنما الورقاء لما شدت تتلو علينا فضل هذا الامام

ثم استمر في مدحه وهي طويلة مسطرة في ديوان الناظم المذكور يقول في آخرها .

بشراك مولانا على منصب كان له فيك مزيد الهيام
وافاك اقبال به دائما وعشت مسعودا بطول الدوام
فقد رأينا فيك مانرتجي لا زلت فينا سالما والسلام

ولما حصلت واقعة الفرنسيس خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب الى بيت المقدس وتوفي هناك سنة اربع عشرة ومائتين والف .

السيد احمد بن احمد الشهير بالمحروقي الحريري

كان من صدور مصر واعيانها وامرائها وكانت له يد طولى وكلمة نافذة وشهرة وافية ، وسطوة كافية ، وكان رجلا صالحاً نير الطلعة معروفا بصدق اللهجة ، وافر الامانة ، حسن الديانة ، وكان والده ملازما للدعاء له في صلاته ، وسائر حركاته وسكناته ، فاستجاب الله دعاءه فيه فتقدم على اقرانه ، وانفرد في عصره واوانه ، فكان الحكام لايشيرون الا اليه ، ولم يزل يعلو مكانه ويسمو مقامه الى ان تعلقت به اظفار المنية سنة تسع عشرة ومائتين والف .

السيد احمد بن السيد زيني دحلان المكي مفتي الشافعية بمكة المحمية

فريد العصر والأوان ، عليّ الهمة عظيم الشان ، علم العلماء الاعلام ، وملجأ السادة الكرام ، عمدة الافاضل ، ونخبة ذوي الشمائل ، من طار ذكره في الاقطار ، واشتهر فضله وقدره في النواحي والأمصار ، واعترف له ذوو الإجلال ، بانه قد استوى على ذروة الكمال ، ولي إفتاء الشافعية ،

بمكة عاصمة البلاد الحجازية ، فازداد حبه لدى الخاص والعام ، وعظمته قلوب الأهالي والحكام ، وكان لطيف المعاشرة ، حسن المسايرة ، سارفي منهج العلم والأدب من صغره ، واعتاد قطف ثمرات الرفعة من ابتداء عمره ، وحضر دروس الافاضل ، الى أن جلس معهم على مائدة الفضائل ثم لا زال يترقى مقامه ، ويخضع له مطلوبه ومرامه ، الى أن انفرد في جلالته ، وانجبلت القلوب على مهابته ، وله كتابات حسنة ، وتأليفات مستحسنة ، من جملتها الفتوحات الإسلامية ، بعد مضي الفتوحات النبوية ، وهو كتاب مفيد ، لكل طالب ومستفيد ، ولما تم بدر اشراق جمعه وعم الانام حسن طبعه ، ارخه الهمام المحفوظ من حاسد وشاني ، عبد الحميد ابن محمد فردوس المكي الأفغاني ، فقال :

قف بي على تلك الربا ثم سل	عن ربع سعدى والجناب الرحيب
وانشر حديث الوجد في حيهم	كي يرحموا الصب المعنى الكئيب
واذكر لهم عهداً مضى بالهنا	في غفلة الواشي وقرب الحبيب
واشرح لهم حال معنىً بهم	ما مال عنهم طرفة للرقيب
احبابنا ان واصلوا أونأوا	لاحول لي عنهم ولا لي مجيب
حتى م هذا العذل ياعاذلي	كم ذا يقاسي القلب عذل المريب
رفقا بمن اضناه سقم الجوى	والدمع فوق الخد يبدو صبيب
اضحى مقيما بين أهل وصحب	لم يداروه وغاب الطبيب
والنفع لم يحصل له سوى	فيض كتاب نافع للاديب
حاوي المغازي والفتوحات قد	فاق التواريخ بوضع عجيب
تأليف مولانا امام الهدى	الكامل الفرد الحسيب النسيب
اعني رئيس العلم في مكة	مفتي الانام اللوذعي الاريب
يارب فاحفظه لنا دائما	مرتقيا في رغد عيش خصيب
فالطبع لما تم تاريخه	نصر من الله وفتح قريب

وكان رئيس علماء الحجاز ، ومقدمهم في الحقيقة والمجـــاز ، وكانت الامارة الحجازية تنظر اليه بعين الرعاية ، وتضمه اليها ضم العناية ، ولم يزل مقامه يعلو ، وقدره يسمو ، الى ان اختارته الآخرة ، للمراتب الفاخرة ، توفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة اربع وثلاثمائة والف ودفن في البلد الحرام ، في مقبرة المعلى ذات المقام أعلى الله مقامه ، وبلغه مرامه .

الشيخ احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد الاعزازي الحنفي المكتبي وكنيته ابو العباس

الفقيه البركة الصالح الفالح الناجح . مولده بعزاز قصبة قرب كليس سنة خمس واربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوده وتفقه على ابي محمد عبد الغني المفتي وعلى ابى عبد الله محمد المؤذن واخذ عنهم ، وقرأ على غيرهم واستقام بحلب مدة عمره ، وكان يقرىء الاطفال القرآن العظيم مستقيماً على وظائف العبادة والطاعات قائماً بها ، كثير الديانة والتقوى ، واعتقده الناس واحبوه ، واشتهر صلاحه وورعه بين العموم ، واخذ عنه محمد خليل افندي المرادي واستجازه . وما زال على تقواه واستقامته الى ان توفي عام الف ومائتين وخمسة عشر تقريباً .

الشيخ احمد بن عبد الله بن منصور الحلبي البابلي الشافعي الاشعري

الفقيه الصوفي العالم العامل ؛ الورع الزاهد العابد الفاضل الكامل ، ولد سنة احدى وثلاثين ومائة والف ونشأ في طلب العلم ، وكان جيد القريحة سريع الفهم ، اخذ الفضائل عن جملة من الافاضل ، منهم ابو محمد عبد القادر المخلي ومحمد بن حسين الزمـــار والبدر حسن السرميني والنور على الآلتونجي وصالح بن رجب المواهبي وولده محمد وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني وقاسم بن محمد البكرجي وأبو اليمن محمد

العقاد وعلي بن ابراهيم العطار وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني وابن الطيب المغربي المالكي وقاسم بن محمد النجار وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ومصطفى بن عبد القادر الملقي ولازمه إحدى عشرة سنة وانتفع به . وسمع على الجميع وحضر مجالس التحديث والاستماع ، ولازم دروسهم ووعظهم وأذكارهم وأحسن في معاملتهم وتباعد عن مخالفتهم إلى أن ألفته الطباع ، وانعقد على فضله الإجماع ، وكان حسن الأخلاق ، متحملاً في أمور الناس من تلطيفهم وحسن معاشرتهم مالا يطاق ، مرضي الأفعال ، كثير التودد مع البشر والكمال ، وقد انتقل إلى قريته بابلي ، فيزورونه مع قيامه بإكرامهم وتقديم مايحتاجونه من واجب المعروف اليهم .

وما زال على حاله ، مع ازدياد في كماله وجماله ، ينتفع الناس بعلومه ودعائه ، ويقصدونه لمشاورته في الحوادث وأخذ آرائه ، إلى أن دعته المنية إلى الدار الأخروية فلبى وأجاب ، متزوداً لآخرته من كل مالذ وطاب ، وذلك سنة الف ومائتين ودون العشرين .

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي الحنفي الدمشقي

أحمد العلماء الاعلام ، وأوحد الجهابذة الفخام ، الفاضل التقي ، والكامل النقي ، مولده في دمشق سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين . نشأ في حجر والده المرقوم وقرأ القرآن وأتقنه ، واجتهد في الطلب على والده ، وكان يحضر معنا في غالب دروس شيخنا العلامة الشيخ محمد الطنطاوي ، وطلب على أخيه الشيخ محمد أفندي فحضر الصحيحين وبعض كتب التصوف ، وأخذ عن والده الطريق النقشي واشتغل به كثيراً حتى حصل له روحانية عظيمة ، مع تواضع وحسن خلق ورقة طبع ومعاشرة لطيفة وجود وكرم . وكان شافعي المذهب ، إلا أنه لما تولى القضاء في بعض الأمكنة للضرورة

الداعية لذلك ألزمته ظروف الأحوال للانتقال لمذهب سيدنا الإمـام أبي حنيفة النعمان قدس الله تعالى سره ، وبقي مدة في النيابة تارة في بعض المحاكم الشرعية الدمشقية ، وتارة في بعض البلاد وخـارج الشام مع عفة وصيانة وديانه ، وحكم بالحق ، مع التروي والوقوف على حدود الشرع ، مستنداً إلى النقل والتثبت في الأحكام ، ثم ترك القضاء تعففاً وجنح إلى التكسب بالفلاحة والزراعة ، ومالت نفسه إلى العزلة والتباعد عن الاختلاط إلا فيما فيه أمر شرعي كزيارة صديق وعيادة مريض وتشييـع جنازة وإصلاح بين خصمين وحضور مجلس علم وأمثال ذلك ، وله حسن هيئة ومحبة في قلوب الناس وهيبة وجاه وقبول كلام لإخلاصه وعدم غايته في شيء ، غير أن الدنيا لم يكن بينها وبينه امتزاج فكانت تعاكسه كما هو عادتها مع كل من لا يصونها عن الصرف ، فانها تألف من يضن بها حتى على نفسه وهو على خلاف ذلك ، فإنه يهوى الجود والكرم وإطعام الطعام ، وبذل الموجود والاكرام ، مع إظهار أن المنة لغيره عليه ، ولذلك عاد إلى تولي النيابات عن إحتياج ، وداء الاحتياج ليس له من علاج ، فهو الداعي إلى تعاطي مالا يراد ، وليس للعبد خروج فيما قضى الله وأراد ، وبالجملة فهو فرد نادر ، ويحق له أن يذكر بأنواع المفاخر ، أحسن الله الينـا واليه ، ومن بالإحسان علينا وعليه آمين .

توفي رحمه الله تعالى غب داء أعيا الأطباء يوم الأحد صباحاً في الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسبع عشرة ودفن في مقبرة شيخ الحضرة في جبل قاسيون رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الازهري الخلوتي الشهير بالدردير

العالم العلامة أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية ، شيـخ أهل

الإسلام ، وبركة الأنام ، له كلمات حسنة العبارة ، وبديعة الحقيقة والاستعارة ، كأنما هي بواكير الأثمار ، أو يانع الأزهار ، تدل على أنه قطب الفضائل ، وفرد الأفاضل ، وهو من رجال تاريخ الإمام المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المسمى عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فقال في ترجمته ، أسبغ الله علينا وعليهما سجال رحمته ، ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة سبع وعشرين ومائة والف ؛ وحفظ القرآن وجوده وحبب اليه طلب العلم فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء وسمع دروس الشيخ محمد الدفري ، والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني وبه تخرج في طريق القوم ، وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جل دروسه حتى انجب ، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني وصار من أكبر خلفائه كما تقدم ، وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة ، والزهد والعفة والديانة ، وحضر بعض دروس الشيخين الملوي والجوهري وغيرهما ولكن جل اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي ، وكان سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق ، وذكر لنا عن لقبه أن قبيلة من العرب نزلت ببلده وكبيرهم يدعى بهذا اللقب فولد جده عند ذلك فلقب بلقبه تفاؤلاً لشهرته ، وله مؤلفات ، منها شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ماذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال ، ومتن في فقه المذهب ، سماه أقرب المسالك لمذهب مالك ، ورسالة في متشابهات القرآن ، ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها ، وتحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف ، وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي ، وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكري ، ورسالة في المعاني والبيان ، ورسالة أفرد فيها طريقة حفص ، ورسالة في المولد الشريف ، ورسالة في شرح قول الوفائية يامولاي ياواحد يامولاي يادائم ،

يا علي يا حكم ، وشرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام والأصل للشيخ البيلي ، وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش ، ورسالة في الاستعارات الثلاث ، وشرح على آداب البحث ، ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي ، وشرح على الشمائل لم يكمل ، ورسالة في صلوات شريفة اسمها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق ، والتوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى ، ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ ، ورسالة جعلها شرحاً على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي المعروف بططر زاده في قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك » الآية . وله غير ذلك ، ومما سمعت من إنشاده :

من عاشر الأنام فليلتزم سماحة النفس وذكر (١) اللجاج

وليحفظ المعوج من خلقهم أي طريق ليس فيها اعوجاج

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تعين المترجم شيخاً على المالكية ، ومفتياً وناظراً على وقف الصعايده ، وشيخاً على طائفة الرواق ، بل شيخاً على أهل مصر بأمرها في وقته حساً ومعنى ، فإنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وله في السعي على الخير يد بيضاء .

تعلّل أياماً ولزم الفراش مدة ، حتى توفي في سادس شهر ربيع الأول من سنة إحدى ومائتين وألف وصلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل ، ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدي يحيى بن عقب ، وعندما أسسها أرسل إليّ وطلب مني أن أحرر له حائط المحراب على القبلة ، فكان كذلك ، وسبب إنشائه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب كان له صلات يرسلها لعلماء الأزهر ، وخدمة الأضرحة ، وأهل الحرمين في بعض السنين ، وتكرر منه ذلك ، فأرسل على عادته في سنة

---

(١) لعل الصحيح : وترك .

ثمان وتسعين مبلغاً ، وللشيخ المترجم قدراً معيناً له صورة ، وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد الحج وأقام بمصر مدة ، حتى نفد ماعنده من النفقة ، فلما وصلت تلك الصلة أراد أخذها ممن هي في يده ، فامتنع عليه وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات ، وذهبوا إلى الشيخ بحصته فسأل عن قضية ابن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده وانه لم يتمكن من ذلك ، فقال والله هذا لايجوز وكيف أننا نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب ، وولده يتلظى من العدم ؟ هو أولى مني وأحق ، أعطوه قسمي فأعطاه ذلك ، ولما رجع رسول أبيه أخبر السلطان والده بما فعل الشيخ الدردير فشكره على فعله وأثنى عليه واعتقد صلاحه ، وأرسل له في ثاني عام عشرة أمثال الصلة المتقدمة مجازاة للحسنة ، فقبلها الأستاذ وحج منها ، ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية مما بقي ودفن بها رحمه الله ولم يخلف بعده مثله .

الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السحيمي الحنفي القلعاوي المصري

الإمام العلامة ، والفاضل الفهامة ، صفوة النبلاء ، ونتيجة الفضلاء ، وكعبة الفقهاء ، ونخبة الكرماء ، من طلعت محاسنه طلوع النجوم الزواهر ، وسعدت الأيام والليالي بآداب علومه المعجبة البواهر ، فهو الوحيد في إلقاء رغائبه ، والفريد بكثرة عجائبه وغرائبه ، تستوعب محفوظاته المقروء والمسموع ، وتجمع معلوماته ماهو في الحقيقة منتهى الجموع ، لقد برع في جميع العلوم خصوصاً في التوحيد ، فكان له فيه اليد الطولى والفهم السديد ، وهو من رجال عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فترجمه بقوله ، منبهاً على بعض فضله : تفقه على والده وعلى الشيخ أحمد الحماقي وحضر على الشيخ مصطفى الطائي الهداية والمجمع ، ودرس في فقه المذهب ، وحضر عليه أيضاً المعقول وعلى غيره إلى أن صار عمدة في الفروع والأصول ، وسما قدره ، ونما ذكره ، كل ذلك مع الحشمة والديانة ، ومكارم الأخلاق والصيانة ، توفي سادس عشر شوال سنة الف ومائتين وستة ، ودفن عند والده بباب الوزير .

الشيخ أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي الحجازي

عالم الحجاز ، على الحقيقة لا المجاز ، سارت الركبان بمحاسن ذكره ، وطابت الأقطار بعبير نشره ، لم يزل مجتهداً في نيل المعالي ، وكم سهر في طلبها الليالي ، حتى فاز من ذلك بالقدح المعلى ، وتجمل بملابس الفنون وتكمل بالعمل المصون وتحلى ، ولد قريباً من الألف ومائة وثلاثين وأخذ العلوم عن آبائه الكرام ، وعن غيرهم من السادات العظام ، ومن أجل مشايخه الشيخ عبد الخالق المزجاجي وقد أجازه بالاجازة العامة والبسه خرقة الطريق ، وأخذ أيضاً عن السيد ابراهيم بن محمد الأمير والسيد سليمان بن يحيى ، وله مؤلفات كثيرة ، هي بالقبول حقيقة وجديرة ، خصوصاً في التصوف والتوحيد والقصائد الإلهية ، والمعارف المتعلقة بالذات المحمدية ولقد شاع طيب شعره وذاع ، واطرب وشنف الاسماع ، ومن قصائده القصيدة المشهورة المسماة بعقد الجواهر اللآل ، في مدح الآل ، وقد شرحها شرحاً عظيماً وقرظ عليه عدة من العلماء منهم السيد الجليل علي ابن محمد المكي شيخ الشيوخ في مكة المشرفة وذلك سنة الف ومائتين وثلاث ولم يزل مثابراً على الترقي في العلوم ، والتوقي عن كل مذموم ، الى أن اختار الآخرة ونعمتها الباقية ، على الدنيا ولذتها الفانية ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة الف ومائتين وواحدة .

الشيخ أحمد بن حسن الموقوي الهندي

الشيخ الولي الكبير ، والعالم المدقق النحرير ، كان من العلماء العاملين والفضلاء السالكين ، الى طريق رب العالمين ، لايراه أحد متكلماً بمباح الا لضرورة أو حاجة ، وكان يغلب عليه الحال مع اللطف وعدم السماجة :

توجـه للإله بـلا التفات وأبقى الغير في شغل الخيال

وكان اليف المسجد حليف المنزل ، وعن جميع الأنام بمعزل ، ومن نظمه الشريف رحمه الله تعالى قوله :

هل لي اليك وسيلة ألقى بها كشف الغطا
مالي اليك وسيلة إلا نوالك والعطا
لما نظرت حقيقتي فإذا أنا عين الخطا

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

الشيخ أحمد بن ناصر الكبسي

كان من أئمة العلم والعمل ، بعيداً عن التقصير والقصور والكسل ، عالما بما ينفعه متبعاً له ، متباعداً عما يضره كاسياً ثوب الوله ، ولد سنة الف ومائتين وتسع ، كان من اكبر تلامذة البدر العلامة الشوكاني . قال صاحب الديباج الخسرواني : قد اطلت في ترجمته في حدائق الزهر وتوفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين واحدى وسبعين وفي هذه السنة كانت وفاة السيد العلامة عبد الله بن عبد الباري الأهدل في قرية مراوعة ، وكان فيه انصاف في المراجعة لايتعصب ولا يكابر ، وفيها وفاة القاضي عبد الرحمن بن محمد بمدينة زبيد ومولده سنة الف ومائة واثنتي عشرة ببلد صمدا رحمهم الله تعالى .

الشيخ أحمد اللحام اليونسي المعروف بالعريشي الحنفي

الفقيه العلامة ، والنحرير الفهامة ، وهو من رجال عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فقال في ترجمته ، منوها بفضله ورفعته : حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان وسبعين ومائة والف وحضر اشياخ الوقت واكب على حضور الدروس وأخذ المعقول على مثل الشيخ أحمد البيلي والشيخ محمد الجناجي والصبان والفرماوي وغيرهم ، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشي ولازمه وبه تخرج وحضر على الشيخ الوالد في الدر المختار من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة بقراءته وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة والف ، ولم يزل ملازماً للشيخ عبد الرحمن العريشي ملازمة

كلية ، وسافر صحبته الى اسلامبول في سنة تسعين لبعض المقتضيات ، وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة المترجم عليه ، وعاد صحبته الى مصر ولم يزل ملازماً له حتى حصل للعريشي ماحصل ودنت وفاته ، فأوصى اليه بجميع كتبه ، واستقر عوضه في مشيخة رواق الشوام ، وقرأ الدروس في محله ، وكان فصيحاً مستحضراً متضلعاً من المعقولات والمنقولات ، وقصدته الناس في الإفتاء واعتمدوا اجوبته ، وتداخل في القضايا والدعاوي واشتهر ذكره ، واشترى داراً واسعة بسوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشعرية ، وتجمل بالملابس وركب البغال وصار له أتباع وخدم ، وهرعت الناس والعامة والخاصة في دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم اليه ، وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر أشهراً .

ولما حضرت الفرنساوية الى مصر وهرب القاضي الرومي بصحبة كتخدا الباشا كما تقدم تعين المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة ، والبسه كلهبر ساري عسكر الفرنساوية خلعة مثمنة وركب بصحبته قائمقام في موكب الى المحكمة وفوضوا اليه امر النواب بالأقاليم ، ولما قتل كلهبر انحرف عليه الفرنساوية لكون القاتل ظهر من رواق الشوام وعزلوه ثم تبينت براءته من ذلك ، الى أن رتبوا الديوان في آخر مدتهم ، ورسم عبد الله جاك منو بأن يتخيروا عدة أشخاص كلهم لائقون للقضاء ومنهم المترجم ثم يعملوا قرعة ، فعملوها كما أمرهم فلم تتم الا على المترجم فتولاه أيضاً وخلعوا عليه وركب مثل الأول الى المحكمة ، واستمر بها الى أن حضرت العثمانيون وقاضيهم فانفصل عن ذلك ولازم بيته مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والافتاء ، ثم قصد الحج في هذه السنة سنة الف ومائتين وثماني عشرة فخرج مع الركب وتمرض في حال رجوعه وتوفي ودفن بنبط رحمه الله .

الشيخ أحمد افندي بن عمر بن أحمد الدمشقي الحنفي الشهير بالاسلامبولي

ولد بدمشق ونشأ بها ، وكان من أعظم نبهائها وطلابها ، وقرأ على فضلائها ، الى أن صار معدوداً من علمائها ، فكان عالماً فاضلاً ، صالحاً عابداً عاملاً ، غير أنه كان فيه حِدّة وقساوة في الأمور وشدة ، اذا قال قولاً يصعب رجوعه عنه ، واذا فهم أمراً يعسر الانتصاف منه ، وله مؤلفات منها شرح الهداية ، (١) ومن جملة خيرياته التى تعاطاها بنفسه انه لما توفي السلطان عبد المجيد خان سنة سبع وسبعين ومائتين والف وتولى الخلافة بعده أخوه السلطان عبد العزيز ذهب المترجم الى الاستانة دار الخلافة واستحصل على نيف وسبعين براءة لخطابة بقية الجوامع في دمشق التي لم يكن لها براءات وفرقها على الخطباء بدون أن يتكلف أحد لشيء من الدراهم . مات رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف وسبعين .

الشيخ أحمد بن محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف بالطباخ

الشيخ الصالح الزاهد العابد الصوفي الخلوتي المتأصل في الطريقة عن آبائه وأجداده الكرام ، والسادة العظام ، وكان شيخ الطريقة الخلوتية بعد والده . مات رحمه الله في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين والف ودفن عند قبر والده في مرج الدحداح .

الشيخ أحمد الحلاقي الدمشقي الفرضي

أحد أقاربنا العظام ، وأسلافنا السادة الكرام ، لقد برع وفاق ،

---

(١) وشرح الدرر في الفقه الحنفي ، وله أيضاً مناسك مختصرة ومطولة طبع أحدها في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ وله غير ذلك ، وكان للمترجم مكتبة ثمينة بيعت في تركته ، أخذ عند جماعة وانتفعوا به ، منهم الشيخ راغب السادات وراغب افندي الاسطواني ، والجد الشيخ عبد السلام الشطي ، والشيخ سليم المسوتي ، والشيخ صالح العش وغيرهم اهـ ملخصاً من روض البشر لصديقنا الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله ، وذكر ان وفاة المترجم كانت سنة ١٢٨١ هـ .

وملأت شهرته في العلوم الآفاق ، وشهدت له السادة الأفاضل ، وذوو الكمال والفضائل ، بأنه الألمعي الوحيد بقوة ادراكه ، والفريد المخصوص ببعض العلوم مع اشتراكه ، بلسان أقطع من السيف إذا تجرد من القراب ، وفكر إذا حكاه البحر في غوره وقع في الاضطراب ، ولد بدمشق في جمادى الأولى سنة ست وسبعين ومائة والف ، وكان شيخ أهل زمانه ، وإمام عصره وأوانه ، قرأ على المشايخ إلى أن برع ، وطلع بدره في أفق المعارف ولمع ، وسار على صراط التقوى والعبادة ، وتزود من الطاعة فوق العادة ، وكان مع مشاركته في العلوم ، وتحقيقه في طرفي المنطوق والمفهوم ، قد انفرد في علمي الفرائض والحساب ، وصار عمدة السادة الأنجاب ، مات رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ أحمد البقاعي الدمشقي الشافعي

أخذ عن سيدي الوالد وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعن الشيخ حامد العطار ، واشتهر صيته وطار ، وملأ النواحي والأقطار ، وكان كثير الورع زاهداً في الدنيا مقبلاً على الآخرة ، معتزلاً عن الناس راضياً بالقليل ، ليس له كلام إلا بما يتعلق بالوعظ والترغيب في التقوى والعبادة ، وكان كلامه خفيفاً على النفوس مقبولا . توفي بدمشق سنة ثمان وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ الإمام العالم الأديب أحمد بن علي اليافي

فاضل لايباري ، وعالم في ميدان الفضائل لايجارى ، قد عكف من صغره على العلم والعمل ، وحاز منهما على البغية والأمل ، وله من النثر والنظام ، ماتستعذب الاسماع تلاوته على مرور الليالي والأيام ، ومن ذلك ماقدمه للتهنئة لخليل أفندي المرادي حين ولي إفتاء دمشق الشام فقال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . هذه مقامة يافوية ، لمن حفه الله بكل فضل

ومزية ، حكى عبد الله بن مسلم فقال مازلت مذنيط على الإزار ، وبلغت خمسة أشبار ، مقبلاً على الأعلام والعلوم ، وراغباً في تحصيلها بالحدود والرسوم ، راغباً عن الأعلام والرسوم ، فسايرت العلماء ، وسامرت الأدباء ، حتى صار لي ذلك شنشنه ، وذكرت به في جميع الألسنة ، فبينما أنا راتع في تلك الرياض ، ووارد عذب تلك الحياض ، أجتني من تلك الأثمار ، وأقطف من هاتيك الأزهار ، إذ هتف بي هاتف ، وأنا في خلال أشجارها طائف ، فراعني كمال الارتياع ، وقرع مني صماخ الاسماع ، وقال لي أين أنت عما نقل من الإجماع ، قلت ياذا وعلى ماذا الإجماع ، قال على وجوب معرفة الله ، عز وتعالى عن الاشباه ، وعلى معرفة صفات الإكرام والجمال ، ومعرفة صفات التنزيه والجلال ، فتأملت الهاتف بحقيقة النظر ، فإذا هو علامة البشر ، والعقل الحادي عشر ، فقلت أرشدني إلى من يفهمني ذلك ، ويخرجني من ربقة المهالك ، فقال اقصد علامة الأنام ، ومفتي الخاص والعام ، القاطن بمحمية دمشق الشام ، فلعمر الله إنه فاضل مجيد ، يرشدك إلى معرفة التوحيد ، ففوضت عنان السفر ، ورحلت لأنظر حقيقة الأمر ، فما زلت كأني تائه ، أجوب الربا والمهامه ، وأجد السير والسرى ، وأتصفح وجوه البلاد والقرى ، أسمعُ الثغام [١] والبغام [٢] ، وأقد [٣] ظهران النعام ، حتى توسمت ربى مدينته ، ولاحت لي أنوار طلعته ، بعثت رائدي وسفيري ، كما هو دأبي في مسيري ليتحقق لي الخبر ، وأميط عني وعثاء السفر ، فمكثت هنيهة ، وأنا على أحسن هيئة ، فحضر وقال أنا لك البشير ، فقد استشرفت على العالم النحرير ، هذا سيبويه النحو والرضى ، وابن هاني في شعره وبيانه المضي ، إلى أن قال : فلما رأيته تبسم ، وكان قد تلثم ، تأمله ناظري ، وتوسمه خاطري ، فإذا هو البحر الغطمطم الزخار ، والحبر الذي لايشق له غبار ، سلالة الأطهار ، ونتيجة الأخيار ، غصن الدوحة النبوية ، وفرع العترة الهاشمية ، منجا كل صادي ، وملجأ كل حاضر وبادي ، العلامة الفهامة ، سيّدي وأستاذي ، وقدوتي

(١، ٢) صوت الشاة والظبية .

(٣) قد المسافر المسافة : قطعها ، والظهران (بضم الظاء) جمع ظهر ، والنعام : جمع نعامة ، وهي الحيوان المعروف .

وملاذي ، محمد خليل المرادي ، فقلت له يامولى الخلق على العموم ، عهدي بك في بلاد الروم ، ولقد بلغنا المنى والمرام ، لما رجعت لمحمية الشـــام . جزاك الله عن المسلمين جزيل المرام . وبلغك والمؤمنين حسن الختام . ثم ذكر هذه القصيدة :

بدا بدر شام بالمحيا أبي البشر ... لإعلاء أمر الله ذي الطي بالنشر

وكاد حنيف الدين يجنح للخفا ... بغيبة هذا البدر بالعجب والكبر

فأشرق من أفق المرادي مؤيداً ... بتقرير أحكام من النقل والفكر

فهاك من الشطرين خدمة قاصر ... اليك بتاريخين من بعد ذا السطر

فأحيا حياء الأكرمين خليلنا ... بمنصب افتاء وقد حاز للنصر

فلا زال والمجد المؤثل مجده ... لإعلاء دين الله بالنهى والأمر

ليهنك قد وافى المرادي دمشقنا ... بيوم منى إذ كان في جمعة النحر

فخير قدوم سر قلب أولى التقى ... وعمهم إذ طاب باليمن والشكر

أيا ابن الذين استأثروا صهوة العلا ... ودانت لهم أهل الفضائل بالقسر

سلالة آل البيت من نسل ماجد ... فمن ذا يباهي قدركم من ذوي القدر

لك العذر يامن لج في كنه وصفه ... ويامن تسامى الشام فيك على مصر

وشرق وغرب والجنوب وشمال ... لعمرك فضل الكل فيك بلا فخر

فبالشمس والليل البهيم وبالضحى ... وبالبلد المأمون أقسم والفجر

وياسين والأحزاب فاطر مع سبا ... وبالكهف والإسرا والنحل والحجر

وبالنجم والأنعام رحمن واقعه ... وأولى حديد ثم خاتمة الحشر

بأنك هادينا إلى الله بالتقى ... وتنفيذ حكم الله رغم أولى النكر

وأنت الذي نرجوك فينا مجددا ... لأحكام دين الله في غابر الدهر

أياديك بيض في الندى موسوية ... ولكنها تسعى على قدم الخضر

فلا زلت للوراد كعبة قصدهم ... تطوف وتسعى فيك بالبيض والصفر

بجاه النبي المختار والآل ذي التقى   عليهم صلاة الله ماغرد القمري
وما أحمد اليافي يجني مؤرخا   بدا بدر شام بالمحيا ابي البشر

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين ومائتين والف .

الشيخ أحمد بن محمد بن سلامه الشافعي الأزهري المعروف بأبي سلامة

الإمام العلامة ، الثقة الهمام الفهـامة ، المحقق النحرير ، الذي ليس له في فضله نظير ، قال صاحب عجـائب الآثار في التراجم والأخبـار : اشتغل بالعلم وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية وتفقه على كثير من علمـاء الطبقة الأولى كالشيخ علي قايتباي والحفني والبراوي والملوي وغيرهم ، وتبحر في الأصول والفروع وكان مستحضراً للفروع الفقهية والمسائل الغامضة في المذاهب الأربعة ، ويغوص بذهنه وقياسه في الأصول الغريبة ، ومطالعة كتب الأصول القديمة التي أهملها المتأخرون .

وكان الفضلاء يرجعون في ذلك اليه ، ويعتمدون قوله ، ويعولون في الدقائق عليه ، إلا أن الدهر لم يصافه على عادته وعاش في خمول وضيق عيش وخشونة ملبس وفقد رفـاهية بحيث أن من يراه لايعرفه لرثاثة ثيابه كأنما الدهر يناديه على لسان شانيه ومعاديه :

ذو العلم يشقى في النعيم بعلمه   وأخو الجهالة في الشقاء منعم
لو كنت أجهل ماعلمت لسرني   جهلي كما قـد ساءني ما أعلم
كالصعو [1] يرتع في الرياض وإنما   حبس الهزار لأنـه يتكلم

وكان مهذبا حسن المعاشرة ، جميل الخلق والنادرة ، مطبوعـاً فيه الصلاح والتواضع . ونزل مؤقتاً في مسجد عبد الرحمن كتخدا الذي أنشأه تجاه باب الفتوح بمعلوم قدره ثمانية أنصاف يتعيش بها مع مايرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون اليه في مراجعة المسائل والفتاوى ، فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيس وجهـات أوقافه انقطع عليه ذلك المعلوم ، وكان ذا عائلة ، ومع ذلك لايسأل شيئاً ولا يظهر فـاقة . توفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ومائتين والف عن خمس وسبعين سنة تقريباً رحمه الله تعالى .

---

(١) عصفور صغير ، جمعه : صِعاء وصِعوات .

الشيخ أحمد الطظقلي الحنفي النقشبندي الخالدي نزيل حمص البهية

شيخ الطريقة ، ومعدن السلوك والحقيقة ، مرشد السـالكين ، ومربي المريدين ، ذو الكمال والعرفان ، والذوق والوجدان ، من حاز على القبول التام ، وشاع حسن حاله بين الخاص والعام ، واشتهر بصدق الانكباب على العبادة والتقوى ، والتمسك بالطريق الأقوى في السر والنجوى ، أخذ الطريقة النقشبندية عن خاتمة الأفاضل ، وصفوة ذوي الفضائل ، الشيخ خالد شيـخ الحضرة العثماني ، أنالنا الله وإياه الآمال والأماني ، وصحبه برحلته إلى بيت المقدس ، وكان رحمه الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير الصلاة والصيام والذكر في خلواته وجلواته ، عالماً عاملاً زاهداً عابداً ، وقد أذن له فى إعطاء الطريق والإرشاد شيخه الشيخ محمد الحـافظ الأورفلى أحـد خلفاء الشيخ خالد المذكور أعلاه . ولد المترجم سنة خمس وتسعين بعـد المائة والألف وتوفي سنة الأربع والثمانين بعـد المائتين والألف رحمه الله تعالى ونفعنا جميعاً في الدنيا والآخرة آمين .

الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوي الشافعي الذهبي الأزهري

الشيخ العلامة ، والفاضل الفهامة ، بقية العلماء ، ونخبة الفضلاء ، وزبـدة الصالحين ، وصفوة الأفراد الناجحين ، محرر المذهب ، ومقرر مايؤلف ويرغب ، ذو التصانيف المحبوبة ، والتـآليف المرغوبة ، والآثار الحسنة ، والشمائل المستحسنة ، ولد ببلدة برما بالمنوفية سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، ونشـأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصري ، ثم انتقل إلى مصر فجاور في المدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج في الحـديث على الشيخ أحمد البرماوي وحضر دروس مشايخ الأزهر كالشيخ محمد فارس والشيـخ علي قايتباي والشيخ الدفري والشيخ سليمان الزيات والشيـخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ الغنيمي والشيخ محمد الحفني وأخيه الشيخ يوسف والشيخ عبد الكريم

الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنواني والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان البسومي والشيخ على الصعيدي وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة ولازم الاقراء .

وكان منجمعاً عن الناس قانعاً راضياً بما قسم له ، لايزاحم على الدنيا ولا يتداخل في أمورها ، وأخبر ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى أن والده المترجم ولد بصيراً فأصابه الجدري فطمس بصره في صغره فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبي ودعا له فقال في دعائه : اللهم كما أعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه . وكان قوي الإدراك ويمشي وحده من غير قائد ؛ ويركب من غير خادم ، ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ، ويأتي إلى الأزهر ولا يخطىء الطريق ، ويتنحى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه أو شيء معترض في طريقه ، أقوى من ذي بصر ، فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل :

ماعمى العيون مثل عمى القلب فهــذا هو العمى والبلاء

فعماء العيون تغميض عين وعماء القلوب فهو الشقــاء

ولم يزل ملازماً على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل ، فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن . إلى أن توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف وصلي عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعلوم بالسيدة سكينة رضي الله عنها بجانب الشيخ البرماوي .

أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سالم ابن إدريس الشاوي المالــكي

المتقن البارع ، والمقبل على الله والمسارع ، وحيد دهره ، وفريد عصره ، ولد بعد الستين والمائة والألف ببلدة سنادأكبر بلاد الفنج [1] والتكرور ، وقرأ بها مقدمات العربية والفقه على جماعة من أهلها كأبي عبد الله محمد

---

(١) (الفنج بالفاء لا بالغين) كذا في الأصل .

نوري صبر والشهاب أحمد بن عيسى الأنصاري وعبد الكريم الفلاني وأبي الحسن على بقادى ، ثم رحل إلى سواكن واستقام بها مدة ، ثم انتقل منها إلى صنعاء اليمن واجتمع بالشيخ العلامة أبي محمد عبد الله الجوهري وقرأ عليه شرح السلم في المنطق والأربعين النووية وسمع منه وأجاز له بخطه ، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ بها على أبي مروان عبد الملك بن عبد المنعم بن محمد تاج الدين القلعي مفتي الحنفية وأبي محمد عبد الغني بن سنبل مفتي الشافعية ومحب الله الهندي الحنفي وأبي محمد عبد اللطيف بن عبد الغفور المكي وأبي محمد عبد الرحمن الفاسي المغربي المعروف بالسمان المالكي وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التلمساني وغيرهم ، واستقام بها ست سنوات ، وسمع الكثير من الأحاديث والمسلسلات وأجازه مشايخه المذكورون بخطوطهم . ثم عزم على زيارة النبي الأكرم ، والبقيع المعظم ، بطيبة الطيبة ، فدخلها ولازم الاشتغال بها والتحصيل ، وقرأ على زين العابد بن مصطفى بن محمد بن رحمة الله الدمشقي الحنفي الأيوبي الأنصاري وفخر الدين عثمان بن محمد المصري الشهير بالشامي وأبي إسحق إبراهيم بن عبد الله السندي وأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الفامي نزيل المدينة المنورة ، واستقام بها سنتين ، وسمع أيضاً الكثير من الأشياخ وتوجه منها إلى مصر ولازم أبا عبد الله محمد بن الشهاب أحمد بن الحسن الجوهري وأبا الصلاح الشهاب أحمد بن موسى العروسي وأبا عبد الله محمد الأمير والنور علي الخياط ومحب الدين محمد المرتضى بن محمد الزبيدي وأجازوه وأباحوا له مروياتهم ، ودخل قسطنطينية واجتمع بأكثر علمائها وقرأ على البعض منهم واستقام بها مدة وتكرر دخوله اليها ، ودخل حلب في أوائل ذي القعدة سنة خمس ومائتين والف وقرأ رسالة أبي حامد محمد بن محمد البديري الدمياطي المسماة بالجواهر الغوالي ، في الأسانيد العوالي ، على أبي جعفر منصور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي وأجازه بها وبما تجوز له روايته بروايته لها ، وقرأ بها على شيخه ومرشده أبي المكارم محمد

نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي الشافعي المصري بسماعه لها وروايتها عن أبي حامد البديري ، وحضر مجلس السيد محمد خليل أفندي المرادي بحلب ، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعه من لفظه بشرطه وأجازه به وبما تجوز له روايته عن شيوخه ، وذلك سنة خمس ومائتين والف ولم أقف على تاريخ موته رحمه الله .

الشيخ أحمد بن أسعد بن عبد القادر الحلبي الحنفي الشهير بالضحاك

العالم الفقيه ، والإمام النبيه ، الدَّيِّن التقي والصالح النقي ، مولده أواخر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف . قرأ القرآن العظيم وحفظه وقرأ القراءات وحفظ الشاطبية وانتفع بشيخ القراء أبي عبد اللطيف محمد ابن مصطفى البصيري التلحاصدى الحلبي ولازمه مدة أربعين سنة وجل أخذه عنه ، وقرأ بعض العلوم على البدر حسن بن شعبان السرميني ولازمه وحضر دروسه وسمع عليه ، وقرأ على أبي عبد الفتاح محمد بن الحسين الزخار وسمع عليه صحيح الإمام البخاري بطرفيه [1] وأجاز له مروياته وكتب له بخطه على مشيخته بعد أن قرأها عليه ، وسمع على أبي عبد الله محمد بن أحمد عقيلة المكي مع والده وحضره في مجالس تسميعه والقائه الحديث لما قدم حلب عام أربعة وأربعين ومائة والف ، وأخذ الفقه عن أبي العدل قاسم بن محمد النجار وسمع عليه صحيح البخاري بطرفيه ، ولما قدم حلب أبو عبد الله محمد بن محمد الطيب الفاسي المغربي المالكي سمع عليه البخاري وغيره من الكتب الصحاح والآثار ، ورافقه لما حج تلك السنة سنة سبع وستين ومائة والف من حلب إلى مكة ، ودخل دمشق واجتمع بعلمائها ، وبالشيخ أبي سليمان صالح بن ابراهيم بن سليمان الجينيني الحنفي ، والشيخ أبي إسحق إبراهيم بن عباس شيخ القراء ، وبالشيخ أبي البركات

---

(١) أي رواية ودراية (لفظاً ومعنى)

ديب بن خليل بن المعلا المقري ، وأبي العباس أحمد بن ابراهيم الحلبي المقري نزيل دمشق وآخرين . وأخذ عن البعض ، ولما قدم حلب سنة أربع وثمانين ومائة والف غرس الدين خليل بن عبد القادر الكدك المدني نزل داره وعقد بها مجلس التحديث والسماع ، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية جماعة من العلماء ، وأقرأ صحيح الإمام البخاري بطرفيه ، وحضروه من الابتداء إلى الانتهاء وأجاز لهم روايته ، ورواية ماتجوز له روايته ، وأحال أسانيده وذكر شيوخه وكان من جملتهم صاحب الدار المترجم السراج أحمد الضحاك فإنه شابكه وصافحه وأسمعه حديث المصافحة والمشابكة ومسلسل سورة الصف والمسلسل بسورة الفاتحة وغيرهما من المسلسلات وأجاز له الباقي ، وكتب له إجازة بخطه حافلة أطنب عليه بها وأسهب ، وذكر البعض من أسانيده بها منها سماعه للأولية وأنه سمعه من جمع وهم من أبي سالم عبد الله بن سالم البصري المكي ، ومنها روايته للقراءات وغيرها عن أبي عبد الله شمس الدين المصري نزيل المدينة المنورة عن أبي السماح أحمد البقري وأبي عبد الله محمد بن قاسم البقري الكبير وعن أبي عبد الله محمد القلعي عن أحمد البنا الدمياطي وأحمد الإسقاطي والأول معلوم ، والثاني عن أبي النور الدمياطي عن سيف الدين الدمياطي عن سلطان بن أحمد المزاحي المصري . وأكب المترجم على قراءة القرآن العظيم والإقراء والإفادة والاستفادة ، وكان صالحاً ديناً تقياً نقياً متعبداً قليل الاختلاط بالناس . وقد أخذ عنه وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية خليل أفندي المرادي مفتي دمشق كما رأيته بخطه سنة خمس ومائتين والف ومات في حدود الألف ومائتين وعشرة .

السيد الشيخ أحمد الحياتي الحنفي الماتريدي قاضي بغداد دار السلام

العالم الذي تولى القضاء فأحسنه ، وتطابقت على محبته القلوب وعلى الثناء عليه الألسنة ، والفاضل الذي يفزع في حل المشكلات اليه ، ويعتمد

في التحسين والتصحيح عليه ، والفاطمي الذى فطم النفس ، والعلوي الذي هو في عصره الشمس ، عمدة التدريس ، وتحفة الأنيس ، قال الشيخ عثمان سند لما أتى المترجم إلى بغداد قاضياً من اسلانبول : أحيا فيها علم المعقول والمنقول ، ودرس الحديث في جامع العادلية ، وأبان من التقارير اللائق بطلعته السنية ، وحضر درسه أجلة من العلماء ، وجملة من الفضلاء ، وذلك في أواخر سنة الف ومائتين وسبع وعشرين . وعند دخول الثامنة عزل فزاد منه الحنين وعاد إلى دار السلطنة إسلانبول ، ليبلغ بالوصول اليها نهاية المسئول ، وكتب له الشيخ عثمان المرقوم رسالة معربة عن فضله فقال :

فاسألوا عنه غامضات المعاني ... هل لها غير ذهنه من كناس[١]

واسألوا عنه كل فن غريب ... هل لايضاح فكره من دماس

كاتب ضمّن السطور شطورا ... من قوافيه زينت بالجناس

ووجوه في حلقة الدرس أبدى ... مسفرات الصباح والنبراس

وبفن التدريس وشى كتابا ... لحياة العلوم مثل الأساس

ذا بحوث قد أسفرت فأرتنا ... أوجه الحق دون مرط التباس

ياحياتي أنت لي كحياتي ... لست أسلوك أو تزول الرواسي

ماترى في تنائف[٢] أبعدتنى ... وحظوظ قضين لي بانعكاسي

أتراني أسلوك ابن أناس ... صوروا في عيون الدهر الأناسي

هاشميين أنجبتهم ظهور ... من بطون عودن طيب الغراس

يوردون الرقاق ترعش حتى ... يُصْدِرُوهُنّ قانئات اللباس

ورماح قد أوردوها نجيعا ... من كلى كل بهنس[٣] عباس

وقد مدحه بقصائد متعددة وأرسلها من السليمانية اليه فلم تصله حيث انه بعد عزله بقليل توجه إلى إسلانبول ولم يطل الأمر حتى جاء خبر موته وذلك سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ، وقد رثاه الشيخ عثمان المرقوم بقصيدة أولها :

---

(١) أي من محل .

(٢) مفردها : تنفة وتنوفية ، وهي البرية ، لا ماء فيها ولا أنيس .

(٣) من تبهنس ، إذا تبختر .

القلب والطرف خفاق ومنهمر   لمّا هوى للثرى من برجه القمر

إلى أن قال :

مولاي أحمد ذو الفضل الذي ابتسمت   به الليالي وصفى هرقه مضر

قاضي القضاة طويل الباع في حكم   في ذهن أقرانه عن فهمها قصر

لما قضى قدموه للرضى والى   حور كواعب عرب زانها الخفر

سقى ثراه من الرضوان سارية   مالاح للمرء في أيامه عِبَرُ

السيد أحمد الراوي بن السيد رجب بن السيد حسن بن السيد حسان بن السيد يحيى بن السيد حسون بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد نجم الدين بن السيد علي أبي الفتح بن السيد قطب الدين محمد بن السيد محي الدين إبراهيم بن السيد نجم الدين أحمد رضي الله عنه سبط الحضرة الجليلة الرفاعية

ترجمه السيد أبو الهدى أفندي في كتابه تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار فقال : نشأ السيد أحمد المترجم براوة بلدة من أعمال بغداد ، واشتهر وظهر وتربى بتربية والده ولبس عنه الخرقة ، ووالده لبس الخرقة الرفاعية من السيد مهدي الرفاعي نقيب البصرة ، ثم بعد وفاة والده التحق بخدمة الشيخ العارف الكبير القطب الأعظم السيد نور الدين حبيب الله الحديثي الرفاعي وسلك على يديه وانتفع بصحبته ، وهو أحد أصحاب الإمام السيد حسين برهان الدين الصيادي آل خزام وقد أظهر الله شأن السيد أحمد ، وأعلى قدره ، وجرت على يديه الخوارق التي لاتعد ولا تحد ، وانتشرت به الطريقة الرفاعية ، مر ببلدة الكبيسة بالشرقية فشكا اليه أهلها قلة الماء العذب وان ماء أرضهم كله مالح وانهم في ضنك ، فخرج بهم خارج البلدة وأمرهم أن يحفروا بمحل هناك ، ونام وقال لا توقظوني حتى يظهر الماء ويجري إن شاء الله تعالى ، فلما باشروا الحفر ما كان

غير يسير حتى ظهر لهم الماء كالسيل أعذب مايكون من الماء ، ففرحوا به وما صبروا فأيقظوا السيد أحمد وذكروا له الحال ، فقال بارك الله بكم لو صبرتم لجرى على وجه الأرض كما قلت لكم ولكن هذا قسم في الأزل ، وهذا البئر المذكور باق إلى الآن في الكبيسة ولا نظير له بين مياه تلك الديار ، ولو صرفنا عنان القلم لتعداد خوارق صاحب الترجمة لطال المجال ، إذا مر منها مفخر جاء مفخر ، بيته معمور ، وذكره منشور ، وشأنه مشهور ، والولاية تتسلسل بذريته إلى آننا هذا انتهى .

توفي صاحب الترجمة سنة خمس وعشرين ومائتين والف ، ودفن بزاويته بعانة ، وقبته مزار الخواص والعوام وذريته المباركة براوة وعانة وكلهم أعلام أفاضل وكراماتهم شهيرة وسيرتهم الحسنة في بلادهم وغيرها معروفة قدس الله اسرارهم أجمعين .

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الجواد بن الشيخ عبد الاطيف بن الشيخ حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي يتصل نسبه بسيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

دوحة فضل ثمرها يانع ، وسماء مجد كوكب عنقها لامـع ، وحديقة جمال قد احتفت بالجداول ، وحقيقة كمال قام لإثباتها واضحات الدلائل ، من بمدحه تحلى أجياد الطروس العاطلة ، وبنتائج فضله تدحض الحجج الباطلة ، كيف لا وهو من صدور الأعيان الأعاظم ، الحائزين قصب السبق بشهادة كل ناثر وناظم ، ولد في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة سبـع وخمسين بعد المائتين والألف ونشأ في حجر والده إلى أن حفظ القرآن وبعض المتون ، ثم أرسله والده إلى الأزهر للطلب وإتقان الفنون ، وأوصى به تلميذ أبيه الشيخ خليفة السفطي فأنزله منزلة الولد وكان له في سائر أموره سنداً وأي سند ، إلى أن علا ذكره وفاق ، وانعقد على تقدمه

الاتفاق ، ولما توفي الشيخ خليفة السفطي وضع في مكانه شيخ رواق السادة الفشنية لما ناله من الكمال ، وبلغ به مبلغ القادة من الرجال ، وذلك في شهر محرم الحرام سنة ثلاث وتسمين بعد المائتين والألف ، وذلك بعد أن أجازه شيخ الإسلام الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر ، وأجازه بقية العلماء بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم ذوي المقام الابهر ، وقد نظم رسالة اليونسي في البيان ، وَشَرَحَ منظومة الحميدي ، وله منظومة في النحو على نسق منظومة الشبراوي وله رسائل كثيرة ، وتقريرات شهيرة ، ولما حصلت الوقعة العرابيه ، مع الدولة الانكليزيه ، واستولى الانكليز على مصر ، ووقع بأعيانها وعلمائها كل ضيق وعسر ، كان من جملة من انتفى منها المترجم واخوه الشيخ محمد الى بيروت ومدة نفيها اربع سنوات ، وفي سنة ثلاث وثلاثمائة والف حضرا الى الشام وزارهما الشاعر الاديب الشيخ محمد الهلالي فخاطبه المترجم في الحال ، على طريق الارتجال بقوله :

في آخر الشهر جئنا دمشق ذات الجمال
فكان امر عجيب وذاك رؤيا الهلال

وفي هذه السنة بعينها اجتمعت بهما في مدينة بيروت وانعقدت بيننا محبة عظيمة ، ومودة جسيمة ، وكان درسهما في الصباح يشهد لهما بعلو المقام ، وسمو المعرفة ، الا أن الأخ الكبير الشيخ محمد كان يغلب عليه حال الطريق مع كماله في العلم ، وأما المترجم فانه يغلب عليه العلم وان كان متمكناً في الطريق ، وبالجملة فانهما فرع شجرة زكيه ، وصفوة لسادة أهل رتبة علية ، ما منهم إلا كامل وأكمل ، وفاضل وأفضل ، وللناس بهم اعتقاد كامل ، فيجعلونهم لحل مشكلاتهم من أعظم الوسائل ، توفي رحمه الله وأعلى في دار الرضوان مرتقاه ، في شهر جمادى سنة ألف وثلاثمائة وثمانية ودفن في بلد ابيه وجده في القايات ؟

الشيخ احمد بن بكري البغال الشافعي الدمشقي

العالم الصالح ، والعامل الناجح ، والورع الزاهد ، والناسك العابد ، ولد بدمشق سنة الف ومائتين وتسعين ونشأ بها وأخذ عن علمائها منهم المحدث الكبير الشيخ عبدالرحمن الكزبري ومنهم الشيخ صالح الفلاني والشيخ عبدالله الكردي وعن كثير من السادات الكرام والا كابر العظام ، وقد اذن له شيخه الشيخ عبد الرحمن المذكور بالتدريس في جامع سنان باشا واخذ فيه يفيد الخواص والعوام ، الى ان شرب كاس الحمام ، في شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائتين وألف ودُفن في مقبرة باب الصغير قرب مقام الصحابي الجليل سيدنا بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه .

السيد الشيخ الامام احمد بن ادريس المغربي الحسني نسباً الادريسي

من ذرية الإمام ادريس بن عبد الله ، قال العلامة السيد حسن بن احمد البهكلي في الديباج الخسرواني : هو شيخنا امام المفسرين ، ومقدام المحدثين ، جعل الكتاب والسنة اماميه ، وجعلها الدليل الذي لا يعتمد في عبادته الا عليه ، فليس له مذهب يقلده ، أو منهج يقويه ويشيده ، سوى السنة والكتاب ، فيعمل بهما بلا شك ولا ارتياب ، وكان يكافح أهل التقليد ، بالملام والانكار الشديد ، ويعلن لهم بان قصر الحق على هذه المذاهب المعروفة من البدع ، وان الجزم بتعذر الحكم من دليله لا مستند له ، وانه من باب تضييق الواسع لأن فضل الله غير مقصور على شخص دون شخص ، والفهم الذي هو شرط التكليف قد منحه الله تعالى كل احد ولو كان مختصا به احد دون أحد أو زمان دون زمان ، لما قامت الحجة على العباد بكتاب الله العزيز والسنة البيضاء ، وهذا لا يرتضيه احد ، وهذا الصنيع من كفران النعمة ، وقد تكلم في هذه المسألة جماعة من أهل العلم وافردها الشيخ صالح الفلاني بمؤلف ، وأجاد في الكلام على هذه المسألة الامام الحافظ

محمد بن ابراهيم الوزير في عواصمه ، نعم انحرف عنه علماء مكة لهذا السبب ولله در القائل :

الا قل لمن بات لي حاسدا　　اتدري على من اسأت الأدب
اسأت على الله في فعله　　لأنك لم ترض لي ما وهب

ومع هذا فهم اذا اشكلت عليهم مسألة دسوا اليه من يسأله فيجليها لهم ؛ وقد نشر الله تعالى له من الصيت وحسن الذكر ما ملأ الآفاق ، وما ضره حسدهم ولا تمالؤهم على غمط فضائله والاتفاق ، على انه طاهر السريرة صافي القلب من داء الحسد ، والحقد وكان عند ملوك مكة هو العين الناظرة ، منزولا عندهم في ارفع المنازل ، ملحوظا بعين الاجلال في جميع المحافل ، وفي آخر مدته خرج من مكة الى اليمن وكان وصوله الى زبيد سنة الف ومأتين وثلاث واربعين ، وتلقاه شيخنا الحافظ السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وجعل نفسه له مقام التلميذ واجله غاية الإجلال ، ثم ترجح له المسير نحو الشام وأنشد لسان حالهم قول بعض الأنام :

ايها السائر عنا عجلا　　انما مرت فما عنك خلف
انما انت سحاب هاطل　　حيثما صرفه الله انصرف
ليت شعري أي قوم اجدبوا　　فأغيثوا بك من بعد التلف

وكانت ولادة المترجم سنة عشر ومأتين وألف .

وقد ذكر صاحب النفس اليماني لصاحب الترجمة ، ترجمة حافلة قد ذكرت حاصلها وهو : شيخنا السيد العلامة الامام ذو المعارف الربانية ، والمواهب الرحمانية ، صفي الإسلام احمد المغربي الحسيني ، وفد الى مدينة زبيد سنة الف ومائتين واربع واربعين ناشرا فيها ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة ، وكاشفا عن اشاراتها الباهرة ، ولطائفها الزاهرة ، بعبارته الجلية المشرق عليها نور الاذن الرباني ، واللائح عليها أثر القبول الرحماني ، كما قال ابن عطا : من اذن له في التعبير ، فهمت في مسامع الخلق عبارته ،

وجليت اليهم اشارته ، ولقد املى من تلك الدقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة ، وتداوت من جراحات غفلاتها افئدة أليمة ، وازدحم الخاص والعام على الاستفادة من تلك العلوم ، والاقتباس من نور مشكاة تلك الفهوم .

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه افهام الرجال

وتلقى كل احد من تلك المعاني واللطائف على قدر الاستعداد ، وعلى ما قدره الله من مسوق فيض الامداد .

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ولست على قدر السلاف تصاب

قال ابن قيم الجوزيه رحمه الله تعالى في شرح منازل السائرين : القوم يسمون اخبارهم عن المعارف والمطلوب اشارة ، لأن المعروف والمطلوب اجل من ان يفصح عنه بعبارة تطابقه وشأنه فوق ذلك ، فالكامل اشارته الى الغاية ، ولا يكون ذلك الا لمن فني عن اسمه وهواه وحظه ، وبقي بربه ، وكل احد فاشارته بحسب معرفته وهمته ، ومعارف القوم وهممهم تؤخذ باشاراتهم انتهى وهذا السيد الجليل طريقته السالك بها والداعي اليها الاقبال بالكلية على تدبر معاني كتاب الله ، وإطالة التفكر في استجلاب أسرار معانيه ، ولقد ذكر لي أنه مكث عدة سنين لاشغل له الا تلاوة كتاب الله والتعرض لنفحات اسرار علومه ، ولطائف رقائقه وفهومه ، حتى منح الله بما منح وفتح بما فتح ، وهذه الطريقه هي التي أشار اليها الإمام بن القيم في شرح منازل السائرين حيث قال مانصه : والطريقة المختصرة القريبة السهلة الموصلة الى الرفيق الأعلى التي لايلحق سالكها خوف ولا عطب ، ولا فيها آفة من آفات سائر الطرق البتة ، وعليه من الله حارس وحافظ يحرسه ويحفظه ويحميه ، ويدفع عنه كل أذى ، هي أن تنقل قلبك من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة ، ثم وأنت بهذا الموطن لاتجعل له التفاتاً إلا إلى معاني القرآن واستجلائها وتدبرها

وفهم مايراد به وما نزل لأجله ، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزيلها على ادواء قلبك ، ولا يعرف قدر هذه الطريقـة الا من عرف طرق الناس وغوائلها وقطاعها والله المستعان انتهى كلامه قال ونزل السيد المذكور على العبد الحقير ، وكان نزوله كنزول العافية على السقيم والشفاء للجرح الأليم ، والحمد لله على ذلك ، ونسأله التوفيق لدوام الشكـر على ماهنالك . ثم بدا له التوجه الى جهة بندر المخا ثم جهة موزع ، فلما وصل الى تلك الجهات ازدحم عليه الخاص والعام وانتفعوا به في أمـر دينهم انتفاعاً عظيما ، لأن السيد هديه في عباداته وعاداته الهدي النبوي لاسيا الصلاة فانه نفع الله به يقيمها ويحسنها على الوجه التام ، الذي وردت به الأحاديث الصحاح والحسان ، عن معلم الشريعة ﷺ ، لايلتزم في اقامتها ولا إقامة غيرها مذهباً من المذاهب ، بل مذهبه ماصح به الحديث كما هي طريقة خلائق من العلماء الأعلام .

ومذهبي كل ماصح الحديث به ... ولا أبالي بلاح فيه أوزاري

وله كلام منظوم رائق عذب . ثم عاد بعد اقامته في تلك الجهات الى زبيد ، والعود كما يقال (في المثل السائر) احمد ، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة رياضها بلطائف علومه ، ورقائق فهومه ، معمورة أوقاتها بعباداته ، والاقلام تكتب من املاء السيد من الفوائد العوائد ، النوادر والشـوارد ، ماملئت منه الدفاتر [١] وفي هذه المدة وقعت اجازات منه لكل من طلب ذلك ، بل اجاز أهل زبيد خصوصاً وأهل اليمن عموماً ، كما وقع نظير ذلك للحافظ ابن حجر العسقلاني عند قدومه زبيد فإني رأيت بخط الفقيه

(١) قال في الأعلام ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات وغيرها : « له العقد النفيس ـ ط » في التصوف ، و « مجموعة الأحزاب والأوراد ـ ط » و « السلوك ـ ط » و « روح السنة » و « كيمياء اليقين » و « شرح حديث صلى صلاة مودع » .

الولي الكبير العلامة المحدث عبد النور بن عبد الواحد الهائي مانصه : رأيت بخط غير خط الإمام شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: اجزت لأهل زبيد خصوصاً ولأهل اليمن كافة عموماً ان يرووا عني هذه الكتب صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكتاب السنن لأبي داوود ، وكتاب السنن للحافظ النسائي وهو المختار من السنن الكبرى ، وكتاب الجامع للامام أبي عيسى الترمذي وكتاب العلل له أيضاً ، وكتاب الموطأ للامام مالك بن انس الاصبحي ، وكتاب التجريد للقاضي عبد الرحمن البارزي باسانيدي التي ذكرتها اجازة معين لمعين ، وكذلك مايصح عندهم من مر ويأتي من الأجزاء الحديثية والكتب المسندة ، ومالي من قول ونظم ونثر على اختلاف جميع ذلك وتباين أنواعه وأجناسه ، اجازة تامة بشرطه المعتبر عند أهل الأثر ، قاله وكتبه احمد ابن علي بن محمد العسقلاني الشهير بابن حجر انتهى قال : وهو باق الى هذا العام سنة الف ومائتين وثمان وأربعين يذكر الله ويذكر بآلائه ، ويملي من علوم السنة والكتاب مايفيد ذوي العقول والالباب انتهى أقول : وقد توفي المترجم المرقوم نفعنا الله ببركاته وأعاد علينا وعلى المسلمين من صالح دعواته سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين هجرية .

الشريف السيد أحمد أسعد المدني الحسيني ابن السيد محمد اسعد ابن السيد أحمد الحنفي الماتريدي مفتي المدينة المنورة النبوية المحمدية

بدر كمال بدا من أفق النبوة والرسالة ، وروض جمال غدا مثمرا يانع الفتوة والبسالة ، وتاج فضل قد ارتفع علاه على هام النسب ، ومنهاج سؤل قد ارتضع من لبان المجد والحسب ، وكوكب علم قد ارتقى مداره على أوج العلو ، ومطلب حلم قد انتقى ذروة الرفعة والسمو ، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وحصن نجاة ما طاف به طائف

إلا وقد علا وسما ، قد انتسب لأشرف ذات وألطف انسان ، واقترب ممن انتُخِب َلأعلى مِلـّة وأولى لسان :

فهو من دوحة العلا فرع عز   ليس يحتـاج مجتنيه لمز

قد تسامى انتسـابه لنبي   حار فيه الأنام حيرة عجز

فأما نسبه الشريف الأجل الأعلى ، الذي هو من أعلى الأنساب المذكورة في الانام وأولى ، فهو السيد أحمد أسعد بن السيد محمـد أسعد بن السيد أحمد أسعد بن السيد محمد أسعد بن السيد عبد الله أسعد بن السيد أسعد مفتي السادة الحنفية ، في مـدينة الذات النبوية ، وهو أول من جلس في هذه العائلة على مهاد الافتاء ، وكان من أعلم العلماء وأفضل الفضلاء ، وهو ابن السيد أبي بكر ، ابن السيد عبد الرحمن ، ابن السيد أحمد ، ابن السيد أيوب ، ابن السيد زين العابدين القيسراني ، ابن السيد أحمد بن السيد محمد ، ابن السيد عبد الرحمن ، ابن السيد عبـد الكبير ، ابن السيد محمود ، ابن السيد صدر الدين علي ، ابن السيد هاشم الأحمدي ، ابن السيد أبي السعود سعد ، ابن السيد سلامة ، ابن السيد أحمد عبيد ، ابن السيد عبد الله المدني الإشبيلي ، ابن السيد حازم الإشبيلي ، ابن السيد أحمد ، ابن السيد علي ، ابن السيد الكبير رفاعة الحسن المكي ثم الإشبيلي ، ابن السيد المهدي ، ابن السيد أبي القاسم محمد ، ابن السيد الحسن ، ابن السيد الحسين ، ابن السيد أحمد الأكبر ، ابن السيد موسى الثاني ، ابن الامير ابراهيم المرتضى ، ابن الإمام موسى الـكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام زين العابدين علي ، ابن الإمـام الشهيد السعيد السبط سيدنا الحسين ، ابن الإمام أمير المؤمنين صهر النبي الأمين ، أسد الله الغالب ، سيدنا علي بن أبي طالب من زوجته السيدة فاطمة البتول الطاهرة الزهراء ، كريمة أشرف المرسلين وسيد الانبياء ، صلى الله تعالى وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه ومن ينتمي اليه .

هذا وإن بحر الشعر قد صفا من أكداره وغينه ، أكي يحمل هذا النسب الشريف على أجفانه وعينه ، فنظمه نظم العقد الثمين ، وتلاه علينا تلاوة الامين الذي لا يمين .

فقال متوسلاً بهذه السلسلة الشريفة وقد أجاد ، ووفى بالمرام والمراد :

من عودكم باللطف كان تعودي ان استغيث بكم[1] أنجح المقصد
وتعوذي بملاذ كعبة[1] عزكم أجلو به خطب الزمان المعتدي
ياجيرة العلمين تهيامي بكم روحي وريحاني وجنة موردي
وحياتكم ما زال رق هواكم رقي وان رغمت أنوف الحسد
لي في الفؤاد تشوف وتشوق نيرانه بسوى اللقا لم تبرد
وإذا ذكرتكم أميس ترنما من ذكركم مثل الغصون الميد
قلبي المحير أمه ركب النوى بحصاره يال الحسين المنجد
فصبا بنجد والحجاز وبات من وجد مع العشاق صب ترصد
يا من بأوج العزقر قرارهم هل من جواب العطف للمستنجد
يا سادتي منوا بجبر متيم خلع السوى وفنى بذاك المشهد
يروي العقيق حيا عقيق جفونه حتى يرى منه لباس زمرد
ماذا على من هام في آل العبا او من صبى شغفاً بآل محمد
لله نجب ما اعدت ثناءهم إلا ولذ لمهجتي ان ابتدى
يا آل طه من يزغ عن حبكم لاذاق من طيب الهناء الارغد
يا سادتي وسعادتي دنيا وفي دار المقر وعدتي في الموعد[2]
انتم كما صح الحديث اماننا وبفضلكم كم من صحيح مسند
قدستم بطهارة ونزاهة عن كل رجس بالكمال الاحمدي
فودادكم فرض على كل الملا وبذا اتى القرآن للمسترشد
ما ان رجا راج عواطف مركم الا نجا وعن الحمى لم يردد

---

(١) انظر تعليقنا على لفظ (الغوث) ص ٧٤ .

(٢) انظر تعليقنا على مثل هذا في ص ٨٧ و ٨٨ .

انهلتم هـذا الوجود بجودكم ... فبمدحكم حمدا يروح ويغتدي
اكرم بباب مدينة العلم الذي ... هو منبع العرفان صنو محمد
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى ... إلا عليّ قـاهر المتمرد
صهر النبي خزينة النسب الذي ... في صلبه عقد الكمال المفرد
لله أصل هاشمي ازهرت ... منه فروع اثمرت بالسيد
عين الحياة ومجمع البحرين اذ ... من صدره بحر وبحر من يد
فرع الكرام الطاهرين اولي الرضى ... السيد المدعو باحمد اسعد
وهو ابن مولانا محمد اسعد ... نجل الهني المفضال احمد اسعد
وهو ابن مولانا محمـد اسعد ... وهو ابن عبد الله اسعد من هدي
وهو ابن مولانا المكرم اسعد ... هامي اليدين فديته من اسعد
وهو ابن مولانا ابي بكر الذي ... للعبد للرحمن ابهى مولد
وهو ابن احمد نجل ايوب الذي ... هو نجل زين العابدين السجد
القيسراني السليل لأحمـد ... حياه نجلا للهمام محمد
وهو ابن مولانا البهي عبد الى الر ... حمان مصباح البيان المهتدي
وهو ابن مولانا الاجل المجتبى ... عبد الكبير الألمعي الأزهد
وهو ابن محمود لحسن شمائل ... نجل لصدر الدين قدوة مقتد
هذا علي وهو بضعة هاشم ... السيد الشهم النبيل الاحمدي
وهو ابن سعد من كني بأبي السعو ... د ابن النضير سلامة المتعبـد
وهو ابن احمد ذا عبيد زاهر ... نجل لعبد الله ابهى امجـد
لا غرو بالمدني والاشبيلي انتمى ... وهو ابن الاشبيلي الامام الاوحد
ذا حازم وهو ابن احمد من غدا ... بسوى عبادة ربه لم يجهد
وهو ابن مولانا علي نجل من ... دان الاله بطاعة وتهجـد
نجل الكبير السيد الحسن الذي ... برفاعة يدعى لرفعة محتد

مكي اصل ثم اشبيلي غـدا   نجلا الى المهدي جميل تودد

وهو ابن مولانا أُبَيِّ القاسم   البحر الخضم اللوذعي محمد

نجل الى الحسن الذي هو نجل من   يدعى الحسين وذا سلالة احمد

الأكبر المولود للثاني الذي   يدعى بموسى ذي المقام الاجود

نجل الامير المرتضى المدعو بأبـ   راهيم احظى من حظى بتأيد

وهو ابن موسى الكاظم الغيظ الذي   قد ضم شمل الفضل بعد تبدد

وهو ابن جعفر صادق بوعوده   ذي العلم والعرفان والجود الندي

نجل الامام الباقر الغوث الهمي   السيد الأسد الكمي محمد

هـذا ابن زين العابدين عليهم   نجل الحسين السبط روح الأكبد

وهو ابن سيدنا الذي لكماله   قد فاز بالزهراء بضعة احمد

هو والد الحسنين صهر المصطفى   اعلى عَليٍ ساد اعظم سؤدد

اكرم به نسباً تألق عقـده   بالمصطفى لا بالحلى والعسجد

نظم البهـاء فروعه بأصوله   نظما يريك حلاوة بتردد

كل من الأنساب مقطوع سوى   نسب النبي فوصله لم ينفد

فالدهر منـه متوج بمفاخر   تزهو بحسن سنائها المتوقد

يا خاتم الرسل الكرام ومن سما   بعروجه اسمى سماء الفرقد

يا عين أعيان الوجود ومن هو ا   لأصل المد لكل فرد موجد

هذا الفقير بباب جودك سائل   يرجوك سائل جودك المتجدد

فانظر له نظر القبول تكرما   واعطف وجد واشمل وصل بتعهد

صلى عليك الله يا كنز الحيا   اوفى صَلاة مع صِلات تسرمد

وحباك يا روح الكيان تحية   من حضرة الاطلاق دون تقيد

والآل والأصحاب والأتباع ما   فاحت بمسك ختامها للمنشِد

وامر من تاريخ نسبة احـمد   أنس يروح أريجه الندي الندي

٥١٢ ٥٣ ١١١ ٢٢٤ ٢١٩ ٩٥ ٩٥

ولد في المدينة المشرفة المنورة ، والبلدة التي هي بسور العناية مسورة ، سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين من هجرة جده سيد المرسلين ، وفي ثاني سنة من ولادته رحل والده المرحوم لدار آخرته ، ثم قام بتربيته أخوه الأوحد ، وشقيقه الماهر الأمجـد الشريف السيد أسعد ، فأفرغ جهده في تأديبه ، وحسن تربيته وتدريبه ، فقرأ القرآن وأتقنه ، ثم حفظه وجوده حتى أتم تجويده وأحسنه ، فعندها أخذ في طلب العلم على السادة الأفاضل حتى صار معدودا من ذوي الفضائل ، منهم الشيخ يوسف الصاوي والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ احمد الطنطاوي والشيخ حبيب المغربي وغيرهم ممن رقى في العلم مقامه ، وخفقت راياته وأعلامه ، ولم يزل يترقى على معراج السمو ، ويتدرج في الفضل على مدارج العلو ، الى أن تحلى من كل جميل بما هو أجمل ، وتولى على خزانة الكمال والأكمل ، وهو من آل بيت في المدينة أهل فضل وتقوى ، وعلم وعبادة وفتوى ، وقد دام فيهم افتاء المدينة المنورة تسعين سنة ، وهم على أكمل الصفات العالية والنعوت المستحسنة ، وفي سنة أربع وثمانين تشرف بخدمة وكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد العزيز خان أسكن الله روحه فراديس الجنان ، وغب انتقاله الى الآخرة ، والدار الباقية الفاخرة ، تشرف بوكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، أدام الله حياته على مدى الأزمان ، وفي سنة تسع وتسعين وجه عليه باية استنبول ، وبعد أيام قليلة أحسن اليه ببابة اناطول ، مع النيشان البرنجي المجيدي وبعده بالوسام البرنجي العثماني ، ثم بنيشان الصداقة ، ثم ببابة قاضي عسكر روميلي التي هي نهاية المراتب ، ولم يزل يسمو مقامه فوق الواجب ، وقدره يتعالى ، ونعيمه يتجدد ويتوالى ، الى أن حصل له في آخر أمره جذبة إلاهية ، أذهلته عن ادراك أموره العادية ، وفي سابع رمضان عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر اخترمته المنية في الاستانة العلية رحمة الله عليه .

الشيخ أحمد افندي بن المرحوم الشيخ عقيل افندي الزويتيني

مفتي حلب الشهباء وعالمها ، وحامل لواء الشريعة بها وخادمها ، قد صرف نقد عمره من صغره في العلم والعمل ، وعكف على مايرفع شريف قدره إلى أوج برج الحمل ، ولم يزل يرضع لبان المعارف ، ويتحلى بحلية العوارف ، لدى كل عالم وعارف ، إلى أن أضحى ببراعته برد البلاغة موشى ، وبفصاحته ثوب النباغة مطرزاً ومغشى ، فلا ريب أنه جنة ثمرات الفنون ، ولا عيب فيه سوى انه عن نسبة العيب اليه مصون ، فيا له من جهبذ قد لبس سوار الفضائل في معصم الكمال ، واقتبس من مشكاة الدلائل نور الوقوف على أصح الاقوال وأرجح الافعال . ولد تقريباً سنة الف ومائتين وأربعين ، ومن حين تمييزه جلس من حدائق الطلب على مهاد التمكن والتمكين ، ولم يزل يفيد ويستفيد ، ويزيد في الاجتهاد لكي يزداد مما يريد ، إلى أن خطبه الإفتاء الشريف لهامته تاجاً ، ولترقيه إلى سماء الفضائل معراجا ، ولم ينقل عنه ميل عن جادة الصواب ، ولا فعل يوجب له نسبة شك في كماله او ارتياب ، بل حالته الخوف من الله والتقوى ، والاستقامة في السر والنجوى ، إلى أن فارق دنياه ، وأجاب دعوة من اليه دعاه ، ليلة السبت من أواخر شعبان المكرم سنة الف وثلاثمائة وست عشرة واحتفل بتشييعه الكبير والصغير ، والغني والفقير ، ودفنوه في مقبرة الصالحين اسكن الله روحه في عليين .

الشيخ أحمد افندي بن الشيخ عبد الكريم افندي الترمنيني الحلبي

عالم حلب وإمامها ، وقدوتها في كل فضيلة وهمامها ، بدر الهداية لكل رشاد وصلاح ، وفجر العناية الموصلة لكل رفعة وفلاح ، صاحب المكارم التي أشرق بدرها في سماء الإسعاد ، والعزائم التي أبرق نورها فأرشد إلى نوال كل مراد ، فلا ريب أنه البحر الذي لم يعرف الواردون ساحله ،

والحبر الذي جعل الكتاب والسنة وسائطه إلى الله ووسائله ، دأب على تحصيل العلوم منذ كان طفلاً ، واعتصم بحبل التقوى والعبادة قولا وفعلا ، وزهد في الدنيا فكانت تأباه ويأباها ، وأقبل بجده واجتهاده على أعمال الآخرة إلى أن صارت تهواه ويهواها ، واعتزل عن الناس وألف الانفراد ، وواصل السهاد وطلق الرقاد ، واعتكف في حجرته ليله ونهاره ، وقصر على العمل والعلم أطواره وأوطاره ، وكان إذا جلس في حجرته قفل بابه ، وإذا أراد أحد منه مسألة وقف أمام شباك حجرته فإذا سأله أجابه ، ثم رجع إلى ما كان عليه في الحال ، واشتغل بما ينفعه من غير إمهال ، وللناس به اعتقاد قد بلغ ذروة الكمال ، واعتماد يتأملون به الوصول من المرغوب إلى نقطة الاعتدال ، وقد رحل في أيام طلبه إلى مصر القاهرة ، وجاور في أزهرها ذي المنقبة الفاخرة ، وحضر دروس السادة الأفاضل ، إلى أن صار معدوداً من الأوائل ، ثم رجع إلى بلده بعد بلوغ آماله ، ونجاح مقاصده وأعماله ، ولم يزل مستقيما على حالته ، مستزيداً من طاعته وعبادته ، إلى أن دعاه داعي الآخرة ، إلى الجنة العالية الفاخرة ، وذلك سنة ألف ومائتين ونيف وثمانين .

الشيخ أحمد أبو العباس شهاب الدين البربير الشامي البيروتي

سهم الأغراض والأماني ، وكنانة البيان والمعاني ، ذو الأدب الباهي الباهر ، والأرب الزاهي الزاهر ، والنفس الزكية والأخلاق المرضية ، من تستعذب النفوس نثره ، وتستطيب نظمه وشعره ، فلا ريب أنه العمدة الإمام ، والنخبة القطب الهمام ، الذي ما رأى أحد مثله في مصر وشام ، وكان مولده رحمه الله في ثغر دمياط سنة ستين ومائة وألف حيث كان والده بها يتعاطى التجارة ، ولما بلغ رشده ، وملك أشده ، قرأ على أفاضل عصره العلوم النقلية ، والعقلية ، غب أن حفظ القرآن المجيد وجملة من

الأحاديث النبوية ، ونظم الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وحضر إلى بيروت وطنه الأصلي في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، ثم عاد إلى بيروت ، فأكرهه الأمير يوسف الشهابي على تولية القضاء بها ، فقام بأعبائه ، ثم استعفى منه لورعه وتقواه ، ثم عاد إلى دمشق سنة خمس وتسعين ومائة والف وسكن في الصالحية ، وأقبل على الترقي بهمة قوية ، إلى أن صار فرداً يشار اليه ، وعمدة في المشكلات يعتمد عليه ، وشهد له مشايخه بالفضل ، وإنه لما يثنى عليه [به] مستحق وأهل ، وقد أخذ عن العلامة الشيخ مصطفى الصلاحي ، وشرح له شيخه المرقوم بديعيته المشهورة ، وله كتب في كل فن ورسائل ، هي لوصول مطالعها إلى المقصود طرق ووسائل ، منها الشرح الجلي على بيتي الموصلي ،(١) ومنها كتاب في اقتباس آي القرآن ، ومنها مؤلف باسم سليمان ، وشرح قصيدة سيدي الشيخ محي الدين العربي ، وله مقامة تشهد بعلاه ، وتقضي لمطالعها بأن يعترف لمنشئها بأنه قد جمع ما تفرق من الفضل وحواه ، وقد أحببت أن أثبتها في هذا المكان ، لتكون للواقف على تلاوتها جالبة للسرور ومذهبة للأحزان ، وليعلم الإنسان فضل منشئها وفضل ممدوحه عبد الرحمن أفندي العمادي المرادي العلامة الإمام ، والفهامة الهمام ، فأقول ذاكراً لها بتمامها ، بنثرها ونظامها .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خلق العناصر ، وجعل لكل منها فضلاً تعقد عليه الخناصر ، وصلاة وسلاماً على الجوهر الفرد الذي منه عرض العالم ، ومن هو في

---

(١) هما قوله من قصيدة :

إنْ مَرَّ والمرآة يوماً في يدي ... مِن خلفِهِ ذو اللطف أسمى من سما

دارت تماثيل الزجاج ولم تزل ... تقفوه عدواً حيث سار وبما

والقصيدة مطبوعة مع شرح الأستاذ البربير عليها .

الدارين سيد بني آدم . وعلى آله وصحبه . ومن تعلق بحبه . ما اكتحلت عيون الطروس بمراود الأقلام . وقلدت نحور الدروس بعقود ألفاظ العلماء الأعلام . وبعد فإن الفكر والخيال . دخلا بي إلى رياض ضاع زهرها نم عليه النسيم ودار عليه الماء الزلال . أكلها دائم وظلها . كأنما قابلت مرآتها جنة النعيم فانطبع فيها مثالها وشكلها . فتلقتنا عوديات طيورها بالصدح . ومجامر كمائم ورودها بالنفح . وزهرها بثغر باسم ونهرها بقلب صافي . وأدواحها ببسط بساط البسط من ظلها الضافي . وقامت لنا الأشجار على سوقها . وسفرت لنا عرائس الورود على لثام غبوقها . وأدارت علينا سلاف طلها كؤوس الزهور . قبل أن ترشفه شمس البكور . وحيتنا راحة الراحة والسرور . بأصابع المنثور . وغنت لنا مطوقات شواديها على العيدان . وأعربت وهي عجماء بفنون تمايلت لها قدود الأفنان . حتى لو سمعها ركب العشاق . على النوى لنسي الحجاز والعراق . وتمنى الدخول لذلك البستان . ورقصت بين أيدينا جواري الماء . وظهرت مع وجود شمولنا وبدورنا نجوم النبات حتى ظنناها نجوم السماء . ولاح لنا عارض الغيث وشارب الآس فاذكر العيش السالف . وطاف النسيم بكعبة صفانا طواف القدوم فما كان ألطف ذلك الطائف . غير أننا كنا نسمع محاورة . ضمنها منافرة ومحاضرة . فسألنا الرياض عن جلية الأثر . فقالت سلوا النسيم فقد أصبح عند النسيم الخبر . فوجهنا وجه السؤال الوسيم . إلى قبلة النسيم . فتدلى وتدلل . وما ألطف النسيم إذا تعلل ، ثم مر بنا مقبلا ومقبلا ، وكلما مر حلا ، وقال يا أهل الفراسة والسياسة ، والفتوة والمروءة والحماسة ، انها منافسة بين الماء والهواء أوجبها حب انفراد كل منهما عن صاحبه بالرياسة ، فهل تنعمون بحضورهما لديكم ، ومثولهما بين يديكم ، ليعرض كل ماله من حسن الأوصاف ، وتحكموا بينهما بالعدل والإنصاف ، فقلنا لا نكره ذلك ولا نأباه ، فهلم بهما الينا

لترفع ما بينهما من الاشتباه ، فشمس الحق لا يحجبها حجاب الباطل ، وهيهات تكتم في الظلام مشاعل ، فلم يزل الحق ابلج ، والباطل لجلج ، وحسبك قول خالق الخلائق ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »[١] ، فعند ذلك سرى النسيم اليهما مسرى النوم في الأجفان ، والروح في الأبدان ، والراح في الندمان ، فأتى بها وهو يتبسم ويتنسم ويتسنم ، فحيا [٢] كل منهما وبيّا [٣] وسلم ، فقلنا : وانتما حييتما ما عطس الفجر ودب الظلام ، فانكما أعظم دعائم الجماد والنبات والحيوان والانسان ، وأنتما الشقيقان اللذان لم يوجد لهما ثالث في عالم الامكان ، فهل ولج بينكما ذو نفاق ، حتى صدر منكما هذا الشقاق ، أو ذلك من دسائس النفس الأمارة ، ووساوس تلك العدوة الغدارة الغرارة ، التي لا تأمر الا بالشر ولا تصبو إلاّ الى الضر ، كيف لا وهي عروس ابليس ، ومصدر أفعال التدليس والتلبيس ، اعدي العدى ، وسبب الردى ، قال لها الحق اقبلي فأدبرت ، واعرضت عن جانبه واستكبرت ، حتى ألقاها في الجوع ، والجأها به الى الذل والخضوع ، فالشر في إعمالها ، والخير في إعمالهـا وإذلالها ، فمن أطاعها ندم ، ومن عصاها سلم ، ومن قهرها بالجهاد فهو بطل ، ومن ملكها من مدينة جسمه خَرِب نظام انسانيته وبطل ، فالرأي للعاقل أن يحذر مكرها ، ويخالف أمرها ، لا سيا ان أمرته بقطع رحم القرابة والأرب ، أو رحم الصحبة أو الحرفة التي كل منهـا لحمة كلحمة النسب . والمرء قليل بنفسه كثير بالإخوان ، والرحم مشتقة من الرحمن ، ولهذا يصل من وصلها ، ويفصل من فصلها ، وخير الناس من جنح إلى الصلح ، ولم يداو جرحاً بجرح ، كما قال الشاعر :

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٨ .

(٢) يقال : حياه الله ، أي أطال عمره وأبقاه .

(٣) وبياه بمعنى بوأه ، أي ملكه ، أو رفع مقامه .

داوى جوى[١] بجوى وليس بحازم　　من يستكف النار بالحلفاء[٢]

وقال آخر :

من يشف من داء بآخر مثله　　اشرت[٣] جوانحه من الأدواء

وقال الآخر :

وما كنت إلا مثل قاطع كفه　　بكف له أخرى فأصبح أجذما

والجزم فيما قاله الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم أخي　　فإذا رميت أصابني سهمي

على أن الدنيا دار زوال ، ومنزلة ارتحال ، ولا يليق بالعاقل أن ينافس فيما يزول ، ويوجه وجه آماله ما للفناء يؤول ، كما قيل :

منافسة الفتى فيما يزول　　على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه　　وكل فوائد الدنيا قليل

ولا يغتر الفتى بقول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه　　لعمر أبيك إلا الفرقدان

بل يتأمل قول الآخر :

قلت للفرقدين والليل ملق　　سود أكنافه على الآفاق
ابقيا ما استطعتما فسيرمى　　بين شخصيكما بسهم فراق

ولقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من جار السوء في دار المقامة ، إشارة إلى أن جار الدنيا يتحول عنك أو تتحول عنه ، وإنه لايليق الضجر منه ولا السآمة ، ومن المعلوم أن الدنيا ان بقيت لها لم تبق لك ، فطوبى لمن جعلها قنطرة لآخرته فمر بها على هذا القصد وسلك ، وويل لمن اغتر بسكونها وهي تمر مع السكون كالظل مر السحاب ، وظنها

(١) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق ، وداء في الصدر .
(٢) الحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها سعف النخل .
(٣) أشر : إذا مضى في غلوائه .

شراباً ولو اختبرها لم يجدها غير آل وسراب ، ويا سعـــادة من أقصر ، عندما أبصر ، واعتبر لما اختبر ، فالدهر افصح مؤذن بالزوال ، وأنصح مؤذن بالارتحال ، فلما سمع الماء ماقلناه من الكلام ، وتأمل مافيـه من منثور النثر وقلائد النظام ، تموج وتأود ، ورغا وأزبد ، وجرى واضطرب، وعبس بعد القهقهة وقطب ، وقال يا معشر الأكابر ، أما بلغكم قول الشاعر :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا   فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وقول الآخر :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة   بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

وقول الآخر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهند

وقول السفاح وهو أول من وطد الخلافة العباسية
حين قتل بنو عمه بني أمية

نُفلق هاما من رجال أعزة   علينا وإن كانوا أعق وأظلما

أما عرفتم ان الأخ المعاند ، كالعضو الزائد ، يشين الذات ، ويمنع اللذات ، فقطعه من الرشد ، وإن آلم الجسد ، هذا ولا يَغُرَّ الهواء صفائي فكم تكدرت ، ولا يثق بسلاستي فكم انعقدت واستحجرت ، والذي جمعت في صفاتي الأضداد ، كما قال الشاعر وأجاد :

أنا كالورد فيـه راحة قوم   ثم فيــه لآخرين زكام

وحسبك ماقاله الشاعر : « كالماء فيه الحياة والغرقُ » ، فإن زعم الهواء ان له عليّ فضيلة ، فليعرضها على اسماعكم غير متعلل بعـلة ولا متحيل بحيلة ، فقلنـا نعوذ بالله من اجتماع النفس والهوا ، فمن رام منكما ان يتكلم فليجعل منبر الفخر له مستوى ، فعند ذلك ثار الهواء وله غبار ، وصعد منبر الفخار ، وقال الحمد لله الذي رفع فلك الهواء ، على عنصر التراب والماء ، ونفخ في آدم من روحه وعلمه جميع الأسماء ، أما بعـد

فمن عرفني فقد اكتفى ، ومن جهلني فسأبدو له بعد الخفا ، أنا الهواء الذي أؤلف بين السحاب ، وأنقل ريح الأحباب ، وأهب تارة بالرحمة وأخرى بالعذاب ، نصر الله بي محمداً وصحبه الأمجاد ، وأهلك الله بي قوم عاد ، وأنا الذي تم بي ملك سليمان ، وأجرى الماء في خدمتي بكل مكان ، وسير بي الفلك في البحر كما تسير العيس في البطاح ، وأطار بي في الجو كل ذات جناح ، وأنا الذي العب بالطرر فوق الغرر ، كما العب بلحى الجبابرة من البشر ، وأنا الذي يضطرب مني الماء اضطراب الأنابيب في القناة والثعبان في الشعبان [1] ، وأنا الذي اميل قامات الاغصان ، وأدني عارض الغيث وعذار الآس من خد الشقيق وشارب الريحان ، إذا صفوت صفا العالم وكان له نضرة وزهو ، وإذا تكدرت انكدرت النجوم وتكدر الجو ، لا اتلون مثل الماء ، المتلون بلون الاناء ، لولاي لما عاش كل ذي نفس ، ولولاي لما طلب الجو من بخار الارض الخارج منها بعد ما احتبس ، ولولاي لما تكلم آدمي ولا صوّت حيوان ، ولا غرد طائر على غصن بان ، ولولاي ماسمع قرآن ولا حديث ، ولا عرف طيب المسموع والمشموم من الخبيث ، فكيف يفاخر بي الماء الذي يشبه الله به الدنيا البغيضة ، التي لاتعدل عنده جناح بعوضة ، وانا الذي اطير بلا جناح إلى جميع الجهات ، وهو الذي يخر على وجهه ويمشي على بطنه كالحيات ، وحسبي وحسبه هذا التفاوت العظيم « افمن يمشي مكباً على وجهه اهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم » [2] ، وحسب الماء ذمّاً خلوه من الحرارة المشتقة منها الحرية ، وكون الرطوبة فيه طبيعية غريزية ، وانا الذي سلم قلبي من القلب وان كان من أحرف العلة ، وهو الذي قلب الله قلبه ، لتحركه وانفتاح ماقبله ، وانا الذي جعلني الله نشراً بين يدي رحمته ، وجعل مني طوفاناً استأصل به ماتركه

---

(١) موضعه .

(٢) الملك / ٢٢

آدم من ذريته ، هذا وما خصني الله به من المزايا يعجز عنه فم الدواة ولسان القلم وصدر الرقيم ، وفوق كل ذي علم عليم ، وأما أنت فحسبك عيباً قول بعض الأدباء ، فلان كالقابض على الماء ، وبالله قل لي أي فخر لمن يعز مفقودا ، ويهون موجودا ، ومن إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، ومن نبع من الصخور ، ومر مذاقه في البحور ، وشرق به شاربه ، وغرق فيه مجاوره ومصاحبه ، وعلت فوقه الجيف ، وانحطت عنده اللآلىء في الصدف ، وقد بان الصحيح من السقيم ، والمنتج من العقيم ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم . ثم انحدر من منبره ، ووعينا ما سرده من مفخره ، وقال للماء ، هات يا أبا الدأماء ، فعلا الماء بموجه ، حتى صعد إلى ما انحط عنه الهـواء من أوجه ، ولولا الأرض تملكه لسال ، لكنه تجلد وأقبل علينا وقال ، الحمد لله الذي خلق كل شيء ، وجعل من الماء كل شيء حي ، اما بعد فقد سمعت جعجعة [1] ووعوعة [2] ظننتها صرير باب ، أو طنين ذباب ، باطل في صورة حق ، وسراب إذا تأملته زال وانمحق ، فاسمع أيها الهواء ما أتلوه من آيات فخري الشامل ، وما أجلوه عليك من عقد فضلي الذي أنت منه عاطل ، « وقل جاء الحق وزهق الباطل » [3] ، اعلم اولاً ان الدعوى قبيحـة ، وإن كانت صحيحة ، كما قيل :

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ... ولو قام في تصديقها ألف شاهد

فكيف إذا كانت بالزخارف مموهه ، فهي أقبح من الخلقة المشوهه ، ولعمري لا يروج الدرهم المغشوش ، وإن احكموا فيه انواع النقوش ، لاسيما إذا كان الناقد بصير [4] ، ولا ينبؤك مثل خبير ، هذا وقد سردت

---

(١) الجعجعة : صوت الرحى : أسمع جعجعة ولا أرى طحناً .

(٢) وعوع القوم وعوعة : ضجوا .

(٣) الإسراء / ٨١ .

(٤) كذا وردت في الأصل .

مازعمته فيك من الخصوصيات على سبيل المفاخرة والمباهاة ، وانا أقول ما منّ الله به عليّ على سبيل التحدث بنعمة الله ، فأقول انا مخلوق ولا فخر ، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشفاف ، المشبه بالسيف إذا سل من الغلاف ، وقد خلق الله مني جميع الجواهر حتى اللآليء في الأصداف ، أحيي الارض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها ، واكسو عرائس الرياض انواع الحلل ، وانثر عليها لآلىء الوبل والطل ، حتى يضرب بها في الحسن المثل ، كما قيل :

ان السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

وانا الذي اقتل العجوز ، وأذهب حرارة آب وتموز ، وقد أفتاني الأفاضل ، ان من دخل علي من باب المفاخرة انه لايجوز ، فكيف ينكر فضلي من دب او درج ، وانا البحر فرعي وفي المثل حدث ولا حرج ، وأما انت ايها الهواء فكم ذهبت فيك نصائح النصاح ، كما قال ابن هرمة : وبعض القول يذهب في الرياح

ولعمري انه لايفي قبولك بدبورك ، ولا تقوم جنتك بسعيرك ، ولطالما أهلكت امماً بسمومك وزمهريرك ، فكم تواتر عنك حديث تشمئز منه النفس وتمجه الاذن ، وحسبك من العناد أنك تجري بما لا تشتهي السفن ، وانت المولع برقص الجواري كفعل الفساق ، وانت الذي تهيج التراب وتغري النار بالإحراق ، كما قال فيك ابن الرومي :

لاتطفئن جوى بيوم انــه كالريح يغري النار بالإحراق

ومن عيوبك انك لا تسكن ولا يقر لك قرار ، ولم تفهم الإشارة في قوله تعالى « وله ما سكن في الليل والنهار »[1] ، وقد ضربت العرب بعدم استقامتك الأمثال ، كما نقله عنهم اصحاب القصص فمن ذلك قولهم :

ان ابن آوي لشديد المقتنص وهو إذا ماصيد ريح في قفص

---

(١) الأنعام / ١٣ .

وأما قولك لولاي لما عاش انسان ، ولا بقي على ارض حيوان ، فجوابه لو شاء الله لعاش العالم بلا هواء ، كما عاش عالم الماء في الماء ، ولم لا قلت ان غالب هلاك كل ذي روح من الوباء ، وانه لولا الرطوبة التي اكتسبتها انت مني بالمجاورة ، لاحترقت انت فضلا عن العالم لمجاورتك لطبيعة النار الحارة ، فعلم بهذا ان حرارتك عرضية ، لا انها فيك طبيعية ، ولو شئت لافتخرت عليك بالحرارة التي تعرض لي من النار والارتماض[1] ، ولكن لا يليق بالعاقل ان يفتخر بالاعراض ، لان العرض لا يبقى زمانين ، كما برهن على أنه لا ينتقل الى مكانين ، وما الافتخار بشيء سريع الزوال ، او بعرض ليس لطبيعة الشخص عليه انجبال ، قال الشاعر :

واحق مـــن نكسته بالذل من درجاتـــه
من مجـده من غيره وسفاله مـــن ذاتـــه

ولذلك قيل :

لسنا وان احسابنا كرمت يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل مافعلوا

واما قولك ان طبيعتي الرطوبة فذلك اعظم فخري ، لأن الرطوبة مادة الحياة التي في الاجسام تسري ، اذ الحرارة بمنزلة النار في الأبدان ، والرطوبة لها بمنزلة الأدهان ، فإذا خلص الدهن انطفأ السراج ، وزال مافيه من النور الوهاج ، واما تعييرك لي بأني متلون ، فالتلون صفة عارف الزمان ، المتخلق بقوله تعالى « كل يوم هو في شان »[2] ، واما قولك قلبي قد انقلب ، فالحمد لله الذي قلبه لأعلى الرتب ، لأنه كان آخر الحروف فصار اولها ، وكان مفضولها فصار أفضلها ، إذ الألف تدل على الذات الأحدية ، والباء تشير للحقيقة المحمدية ، فكل الأحرف من الباء ،

---

(١) ارقض من الحزن : احترق .

(٢) الرحمن / ٢٩ .

والباء إذا فنيت صورتها ، وتعينها ونقطتهـــا ، كانت عين الألف بلا مراء ، وأما قولـك ان في حرف علة ، وإنني منسوب بوجوده فيّ الى الذلة ، فلا يليق ان تعيبني في شيء اوجد الله فيك مثله ، وهب انك خلوت منه فهل تخلو من قول الاطبـاء فيك انك أساس كل علة . وأما قولك ان الله شبه بي الدنيا فقد شبه فيك أفئدة الكفار ، وجعل زمهريرك سعيراً في النار ، فأنت المذموم مقصوراً وممدوداً ، ان مددت كنت جباراً عنيداً ، وإن قصرت كنت إلهًا معبوداً ، وأنا الذي لا أتغير بالمد ولا بالجزر ، وكيف يتغير من هو مادة البحر ، وأما افتخارك برفعة المنازل ، وعدك ذلك من أعظم الفضائل ، فلا فضيلة للشخص بالمكان ولا بالزمان كما قال الشاعر الملسان :

ولو كان المكان له علو لطار الجيش وانحط القتام [١]

وقال الطغرائي :

وإن علاني من دوني فلا عجب لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

هذا وأنشدك الله ايننا كان عليه عرش الرحمن قبل خلق العالمين ، وأيننا الذي جعل منه كل شيء حي وذكره بذلك في كتابه المبين ، وأيننا الذي بعث فيه ابن عباس إلى ملك الروم في قارورة كان أرسلها اليه مع بعض الجنود ، وطلب منه أن يضع له فيها كل شيء والشيء عندنا هو الموجود ، أما كفاك شهادة الله لي بالطهورية في قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ، لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاماً وأناسي كثيرا» [٢] ، اما بلغك شهادة الله ببركتي وحسبي بهـا فخراً في طول البلاد والعرض ، حيث قال في كتابه العزيز : وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأسكنـاه في

---

(١) القتام : غبار الحرب .

(٢) الفرقان / ٤٨ .

الأرض [١]، اما رأيت ماحباني الله به من عظيم المنة ،حيث جعلني الله نهراً من أنهار الجنة ، أما علمت أن مني حوض من كان إذا مشى في الشمس تظله الغمامة ، اما تيقنت انني نبعت من بين أصابعه فكنت له معجزة كما أكون لوارثي مقامه الرفيع كرامة ،أما عرفت أني ارفع الأحداث ، وأطهر الأخباث ، وأجلو النظر ، وأكون للمؤمنين في الآخرة نوراً في محل التحجيل والغرر ، اما رأيت الناس إذا غبت عنهم يتضرعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ، ويسألونه تعالى إرسالي من قبل السماء ، واعلم أنني مانلت هذا المقام الذي ارتفعت به على أبناء جنسي ، إلا بانحطاطي الذي عيرتني به وتواضعي وهضم نفسي ، وأنا لا أحب المعالي ، وأنا سلم للمحل المنخفض ، وحرب للمحل العالي ، لا اتجاوز حد العبيد ، ولا أنازع فيما أختص به من الصفات التي لاتغني ولا تبيد ، بل أخشى دائماً بطشه ، واستحضر قوله تعالى : « إن بطش ربك لشديد » [٢] ، فلذلك باعدني الله من النار ، وجعلك حجابا بيني وبينها اتقي بك ماتطاير منها من الشرار ، وقد علم كل عالم أن فضائلي تجل عن الحصر ، وأني سيد العناصر ولافخر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله من لغو الكلام ، وأسأله لي ولأحبابي حسن الختام . ثم نزل والتمس منا أن نحكم له بالفضل على الفور ، وأن نجانب في حكمنا الميل والجور ، فقلنا له بأن كلا منكما أدلى إلى الفضل بحجة ، وسلك من الدلائل العقلية والنقلية اوضح محجة ، غير ان تكافؤ الأدلة ، غادر منا الأفكار مضمحلة ، وقد عجزت عن ترجيح فضلكما الأفكار ، كما عجز القاضي الأفعى [٣] عن الحكم لأبناء نزار ، وليس لهذه المعضلة ، والحادثة

---

(١) نصّ الآية الكريمة : « وأنزلنا من السماء ماءً بقدَر ، فأسكناه في الأرض » المؤمنون / ١٨ والآية الثانية : « ونزلنا من السماء ماءً مباركا ، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » سورة ق / ٩

(٢) البروج / ١٢

(٣) الأفعى الجرهمي : حكيم جاهلي قديم ، كان منزله بنجران ، تقصده العرب في قضاياهم فيحكم ولا يرد حكمه ، وقصته مع أبناء نزار في ابن الأثير ٢ / ١١ .

العظيمة المشكلة ، إلا الكبار لا الهمج الرعاع ، كما قيل : إن الكبار اطب للأوجاع ، قال بعضهم :

إن العظيم يحمل العظـيما   كما الجسيم يحمل الجسـيما

ولعمري ليس لها غير إمام عصرنا ، وعزة شامنا ومصرنا ، المجتهد الذي قلد ببره أعناقنا تقليدا ، وأخجل لطفه غض الزهر فتستتر بأكامه حتى رأينا في خدوده توريدا ، اعظم الموالي قدرا ، وأعلاهم نجرا ، وأرحبهم صدرا ، وأكثرهم برا ، وأنفذهم نهياً وأمرا ، وأعدلهم نحيزة ، وألينهم شنشنة وغريزة ، ذو اليدين ، الذي كأنه ذو الخلال او ذو النورين ، من لو رآه ذو الجناحين لطار لفضله ، او ذو البطين لمال لبذله ، او ذو الأذنين لروى أحاديث شمائله الملاح ، او ذو الهلالين لقال انه الشمس وغرة الصباح ، صاحب الطالـع السعيد ، الجاري سيب كفه على الصعيد جري السعيد ، الجواد المذهب غلة الجواد ، من برز في ميدان الفضل وأبرز ، وحوى قصبات الرهان وأحرز ، وزركش تاج المجد وطرز ، المحسود ، المحشود ، رشيد الموالي وعين امينها ، وأبو عذرة المروءة وابن مدينها ، والمتقلد من فرائد المحامد بثمينها ، خلاصة العبّاد من العباد ، وثمرة دوحة روض الحقائق من آل مراد ، من فضله الجوهر الفرد عند كل منصف وعندي ، جناب مولانا وسيدنا عين اعيان الموالي الكرام السيد عبد الرحمن افندي ، لا زال وهو البر بحر الجود ، ونجم الهدى والسعود ، موطىء العقب والاكناف ، حامي الذمار والاطراف ، منيفاً على آل عبد منـاف ، ملحوظاً بعين العناية والألطاف ، فإنه عذيق الشام المرجّب [1] ، وروضها المشذب المهذب ، ومعشوقها المحبب ، وروحها الذي بها قوامها ، وسلكها الذي لايتم إلا به نظامها ، فكل من لم يثن إلى قصده العنـان كان اشد ندماً من الكُسَعي [2] ، وأخسر صفقة من

---

(١) رجبه : هابه وعظمه . رجب النخلة : وضع حولها الشوك لكيلا يصل إليها أحد ، ومنه : « أنا عذيقها المرجب » أي المهيب المعظم .

(٢) تراجع قصته في « فرائد اللآل ، في مجمـع الأمثال » للأحدب ج ٢/٣١١ طبعة بيروت سنة ١٣١٢ هـ

أبي غبشان [١] ، لأنه لا يصرف الهمة ، لدني المهمة ، ولا تبصر منه إلا رؤيا [٢] كالنجم في الدآدىء [٣] المدلهمة عنده الحُجنة [٤] ، اعظم هجنة ، وخلف الوعد ، خلق الوغد ، وعدم الجود بالموجود ، من سوء الظن بالمعبود ، له توكل الطير ، وعنده لامرف في الخير ، يحب المحاسنة ، ويكره المخاشنة ، ويحاشي مجلسه من الحاشنة [٥] ، فياله من جواد واسع المَجَسَّة [٦] ، لا يرتاع من الحسة ، ونجيب لايقعقع له بالشنان [٧] ولا ينبه بطرق الحصى [٨] وهل ينبه اليقظان ، وإن تأملت عزمه ولحظه ، تحققت انه اسد بيشة [٩] ولحظه فمن باراه فقد ماقس [١٠] حوتا وصارع ضرغاماً ، وقاوم بالهراوة عضباً حساماً ، ونضح بقرنه المقطم ، ورام ان يحكي بسرابه البحر القطمطم [١١] ، ولم يعلم ان بيت القدس ، غير بيت الغدس [١٢] ، وان بقيع الغرقد [١٣] ، غير رقيع الفرقد [١٤] ، وان شجر المرخ [١٥] ، غير شجر الورخ [١٦] ، وان الزنبور

---

(١) انظر (ج ١٨١/١) من « الفرائد » .

(٢) الرؤية : ماتسدبه الثلمة .

(٣) الدآدىء من الليالي : الشديدة المظلمة .

(٤) الحجنة : الاعوجاج ، أو ماخصصت به نفسك .

(٥) حاشنه : شاقه وسابه .

(٦) أي رحب الصدر ، ويقال فلان ضيق المجس والمجسة ، أي غير رحب الصدر .

(٧) أي لايتصنع لحوادث الدهر ، ولا يروعه مالا حقيقة له .

(٨) طرق الحصى : عمل من أعمال الكهانة في السحر .

(٩) في معجم ما استعجم للبكري : بيشة : وادٍ من أودية تهامة ، وبيشة أخرى وهي بيشة السماوة ، وهي مأسدة . ج ٢٩٣/١ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(١٠) ماقسه مماقسة : غامسه وغالبه في الغوص ، ويقال : « هو يماقس حوتاً » إذا خاصم أقوى منه .

(١١) القطمطم : البحر العظيم .

(١٢) العنكبوت

(١٣) بقيع الغرقد : مقبرة المدينة على ساكنها الصلاة والسلام .

(١٤) الفرقد من الأرض : المستوى الصلب .

(١٥) المرخ : شجر رقيق ، سريع الوري ، يقتدح به .

(١٦) ورخ يورخ ورخاً : العجين ، كثر ماؤه والمسترخي . ومكان ورخ : ملتف العشب .

غير البازي وان شاركه في الخفق والطيران ، وان ورد السلم[1] غير ورد البستان ، ولله در من قال :

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ان السماء شبيه البحر في الزرق

ومن قال :

وقد يتقارب الوصفان جدا وموصوفاهما متباعدان

فإن يفق الأنام وذاك منهم فإن المسك بعض دم الغزال

كما قلت فيه :

لا غــرو لابن المرادي وذاك شمس المواكب

إن فــاق كل الموالي فالشمس بعض الكواكب

فهلم للوفود عليه ، والمثول بين يديه ، فهو الذي يستنبط المسائل ويرضى بفضله وبذله كل مسائل ، وإن لم يكن غير مكارمه اليه وسائل . فلما سمع الماء والهواء بمعروف ذلك الحبيب السري ، والإمام الهمام العبقري[2] ، تعشقاه على السماع ، وطلبا منا المبادرة إلى جنابه ليبلغا منه حظ الاجتماع ، فسرنا بهما إلى جنابه ، حتى بلغنا فسيح رحابه ، وكحلنا الجفون بإثمد اعتابه ، فصادف دخولنا خروج كعبة ذاته من حرم الحرم فكأنما خرج الورد من الأكمام والليث من الأجم ، فنهضنا له عـلى الأقدام ، وحيانا بألطف سلام ، وتسلم سلم قصره الفريد ، وأشار الينا أن نتبعه في الصعود الى ذلك القصر المشيد ، فرأينا قصراً ينسب الخورنق[3] للقصور ، ويغمد غمدان[4] كما تغمد في أجفانها الذكور[5] ، وما بالك

(١) السلم : شجر من العضاه يدبغ به ، ومنه سمي ذو سلم ، والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، واحدته : عضاهة وعضة .

(٢) العبقري : كل مايتعجب من كماله وقوته وحذقه .

(٣) قصر في العراق عمره نعمان اللخمي لبني ساسان ، ثم وسعه العباسيون .

(٤) قصر في صنعاء اليمن ، كان يعتبر من عجائب الدنيا .

(٥) أي كما تغمد في أغمادها السيوف .

بقصر شهدت فضلاء الأكياس ، بأنه جمع محاسن الدنيا كما جمع صاحبه محاسن الناس ، فكنا كما قال القاضي الفاضل :

فمتعت آمالي بمولى هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ثم أمر لنا بالجلوس ، هذا وعطف كل منا من الطرب ينوس[1] ، فأقبلت علينا ذات الدولة وبنت الوجاق ، التي كلما مرت حلت ، وكلما ثقلت خفت ، على كل من رشف منها وذاق ، السمراء المعشوقة ، المقبولة مشروبة ومرئية ومنشوقة ، بنت اليمَن واليمْنِ ، ذات الجمال والحسن ،

كسواد العيون تظهر للنا س سواداً وفي الحقيقة نور

التي أرخصت الغالية[2] وكانت ندها ، وملكت عنبر الطيب فأصبح يقول لاتدعني إلا بياعبدها ، وغارت بكر السلاف حتى اصفرت من غيرتها ، وأصبحت عجوزاً شمطاء ما رآها راء الا وقد طاب وجهه من قباحة صفرتها ، وأين بنت الحرام من بنت الحلال ، وأين جونة[3] المسك من قوارير الأبوال ، فأخذنا تلك البنية بالنية الصافية ، وشربناها فقامت بها دعائم العافية ، ولم نزل نرشف منها ذوب المسك ومحلول السَّبَج[4] ، حتى جاءتنا قصبات السبق للسرور تنادي ما على من أحرز قصبات السبق وتاه من حرج ، فيالها قصبات تدهش الأبصار ، كأنها أغصان بان في طرف كل غصن زهرة من جلنار[5] ، وقد اشتمل مجلسنا على كل نديم له صورة الدمية[6] ونفحة الريحانة ، ونشوة السلافة ولطافة الدرة اليتيمة والجمانة[7] ،

---

(١) يتحرك .

(٢) أخلاط من الطيب ، جمعه : غوال .

(٣) الجونة : الخابية المطلية .

(٤) السبج : الخرز الأسود .

(٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) الدمية : الصورة المزينة ، فيها حمرة الدم .

(٧) الجمانة : اللؤلؤة .

أديب المعي ، كأنه الأصمعي (١) تراه الكامل في الأدب ، والعمدة في كل مطلب ، يأتيك من البديع بما يخجل ربيع الزهر وزهر الربيع ، يشمر المسامرة ويحضر المحاضرة ، ويتقن المحاورة ، ويحسن المجاورة ، يبادهك بما رق وراق ، ويجلب لك الغصن من أزهار الافكار وثمرات الأوراق ، يجود على السمع بما يطلب القلب من الاقتراح ، ويجلو عليك من راح ملحه مايوجب لك الراحة والارتياح ، كما قيل في أمثالهم :

لنا جلساء لايمل حديثهم ألبّاء مأمونون غيباً ومشهداً

إذا ما خلونا كان حسن حديثهم معيناً على نفي الهموم ومسعداً

يفيدوننا من علمهم علم من مضي وعقلاً وتهذيباً ورأيا مسدداً

ولا غيبة نخشى ولا سوء عشرة ولا نتقي منهم لسانا ولا يداً

وما زلنا نقتطف منهم زهور الآداب ، ونخترف (٢) ثمار الألباب ، وهم يمزجون جدهم بالفاكهة والمداعبة والمباسطة ، ويزهو كالعقد وصاحب المنزل لهم كالواسطة ، ومجلسه يحتفل بالوافدين ، ويغص بالواردين ، وهو يخاطب كلا على حسب قدره وعقله ، ويتحف كل من له وطر بقضاء وطره ، ولا يتعلل كغيره بشغله ، حتى أقبل ملك الليل بسواده الأعظم ، ونثر على الافلاك جواهر النجوم التي كأنها العقد المنظم . هذا ونحن في فلك السعود ، كواكبنا وسماؤنا دخان العنبر والعود ، وقد أشرق بدر تلك المنازل بالنور والكمال ، وأشرف علينا بجبين لطيف رأينا عليه الهلال ، وشنف بدر منطقه منا الأسماع ، حتى خيل لكل منا أنه جليس القعقاع (٣) ، وما زلنا في ليلنا نجمع عقود السرور كأنها فذلك (٤) ، ونتمتع بنعيم لو

---

(١) عبد الملك ، من مشاهير لغويي العرب ، حفظ لغة البدو ولهجاتها ، وعهد اليه هارون الرشيد بتعليم الأمين (مات سنة ٢١٦هـ) .

(٢) قوله : نخترف أي نجتني

(٣) شاعر مجاهد ، فتح دمشق تحت قيادة خالد بن الوليد ، رضي الله عنهما .

(٤) فذلك الحساب : فرغ منه ، والفذلكة : مجمل أو خلاصة ما فصل أولاً

مثلنا عن أنفس أعمارنا فذلك ، حتى نبذ الله الكرى في هامة منا وراس ، فأسكرتنا سنة النوم والنعاس ، وهجم علينا ملك الكرى ، وقد كاد أن يشيب عارض الليل بما سال من دمع الشمع وجرى ، وعند ذلك طوينا من المنادمة بساطها ، وتفرقنا تطلب كل نفس منا راحتها وانبساطها ، ثم اضطجعنا على الوساد للرقاد ، وأعطينا الجفون حقها من الإغفاء بعد السهاد ، ولم نزل في ضيافة المنام ، تقربنـــا أياديه السرور في الأحلام ، حتى لفظ الشرق من لهواته ياقوتة سهيل ، ودب مشيب الفجر في عـــارض الليل ، فنهضنا للصلاة ، وجلس كل منا بعدما في مصلاه ، حتى طلعت شمس صاحبنا الفائق ، على الصاحب ابن عبّاد[1] ، فنفذ شعاعها من ظواهرنا إلى كل قلب منا وفؤاد ، ثم دخلنا عليه وسلمنا ودعونا له بطول البقاء ، فأجاب وأجاد وأجاز وتلقانا أحسن اللقاء ، ثم جاءت القهوة التي طابت منظرا ، ومخبراً وذوقاً وشما ، ثم جيء بقصبات التبغ فارتضعنا منها كل ثدي يلذ َدرّه ريحاً ولونا وطعما ، فلما استوفينا أوفر حظ ، وخلا مجلسنـــا من كل بارد ثقيل فظ ، وشرب ذلك البحر المحيط بالفضل غليونه ، وأراد أن يلقي عليّ لكوني من الساحل بعض درره الثمينة ، بادرته بالدعاء ، وعرضت عليه مفاخرة الماء والهواء ، وسألته فصل الخطاب ، والإنعام بالجواب ، فالتفت عند ذلك للماء وأخيه ، وقال : إن كلا منكما محق فيما يدعيه ، فما أشبهكما بالسماء بالفرقدين ، وفي الارض بالعينين ، ففضلكما معجز ، لايكاد يميز أحدكما عن أخيه مميز . وقد نفع الله بكما العالم على تباين أنواعه وأشكاله . وقد ورد ان الخلق عيال الله وان أحبهم اليه انفعهم لعياله ، فلا تشتغلا بالمفاخرة عن شكر هذه النعمة ، واعلما ان حب الفخار اهبط ابليس الى حضيض اللعنة من أوج شرف الرحمة ، فلا تجعلاه لكما اماماً ، فمن يفعل ذلك يلق اثاماً ، واعلما ان الفخر في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالاعمـال ، وأحسن

---

(١) وزير غلب عليه الأدب (م سنة ٣٨٥)

الافتخار الافتقار ، وظهور الذل والانكسار ، فقد قال من سال بين أصابعه الماء المنهمر ، الفقر فخري وبه أفتخر ، فمن كان عبداً لله كان له به الافتخار ، لا من كان النفس أو الهوى أو الدرهم أو الدينار ، فمن مناجاة علي كرم الله وجهه وزاده منه قربا : سيدي كفانا شرفاً أن نكون لك عبيداً ، وكفانا عزاً أن تكون لنا ربا ، وللقاضي عياض [1]

وممـا زادني شرفاً وتيهاً   وكدت بأخمصي اطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي   وأن صيرت أحمد لي نبياً

على أن مرآة الحق أرتني فضيلة تفضل بها أيها الماء أخاك الهواء ، وحققت لي انكما لستما في الفضل سواء ، وهي ان الله خلق آدم من المـاء وخلق منك إبليس ، فاعترف لأخيك بالفضل عليك ، ودع عنك زخارف التلبيس ، فأكبر من الحق من قبله ، وأصغر من الباطل من عمله ، والتذلل للحق اقرب من التعزز بالباطل ، وأعظم الزلات زلة العاقل ، فعند ذلك عدل الهواء عن هوجه واعوجاجه ، ومخاصمته وعلاجه ، واقبل يقبل ذيل الماء ويعتذر اليه ، من استطالته عليه ، وأقبل كل منهما على صاحب المنزل يؤدي بالدعاء له حقوقه ، حيث سلك بكل منهما مجاز الطريقة والحقيقة ، وسألاني أن أمدح جنابه عنهما بطريق النيابة ففتح الله لي من النظم بابه ، فأنشأت أقول :

عارضت قوماً عن ودادك اعرضوا   وتركتهم ان صرحوا اوأعرضوا

من كل ذي ملق له ان جئته   نفس مذبذبة ورأس منغفض (٢)

يلقاك منه عند أول رؤية   جسم صحيح فيه قلب يمرض

يحكي ثعالة وهو في روغانه   والحية الرقطاء حين تنضنض

---

(١) عالم المغرب ، محدث وفقيه وأديب ، (م سنة ٥٤٤ هـ)

(٢) قال في الأصل : أي محرك رأسه تعجبا ومنه قوله تعالى : « فسينغضون اليك رؤوسهم » .

قد طنب الأندال في ساحاته ... بل اطنبوا وبنو المكارم قوضوا

ويقيم منه على ودادك حجة ... ويظن جهلا انها لاتنقض

يا أيها الراجي لحلب بوقه ... خذ بالأصول ودع عوارض تعرض

فلقد رجوت من التيوس حلوبة ... ومخضت ماء مثله لا يمخض

تالله لو أني فرغت لثلبهم ... بالفكر واستنهضت مايستنهض

لسللت سيف الهجر حتى انني ... لم يبق في كفي إلا المقبض

لكن أبى طبعي الطهور لأنه ... يوماً بوجس صفاتهم يتمضمض

وشغلت من هجوي بمدحة سيد ... لمديحه يلغى المهم ويرفض

من بات للرحمن عبداً كله ... وسواه عبد في العبيد مبغض

نجم ادارته السعود على ذرى ... قطب تراه عن العلا لايقرض

شيخ الحقائق بل مراد الهنا ... من خلقه الناهض المستنهض

فلأمدحن جنابه بجوارحي ... وجوانحي[1] سخط الحواسد أورضوا

وبظاهري وبباطني وبكل مَنْـ ... ـبَتِ شعرة وبكل عرق ينبض

فالمدح يكره للفتى في كل ذي ... بخل وأما في علاه فيفرض

فهو المحبب للقلوب وغيره ... أبداً وان راق العيون مبغض

شهم إذا أبطأت عنه جاءني ... من فيض راحته نوال مفوض

من لم يرش بالجود منه جناحه ... كرماً فذاك إلى العلا لاينهض

ما ساءني دهري بوجه أسود ... إلا بدا لي منه وجه أبيض

بَرٌ يريك خضم بحر زاخر ... فالحلم منه كالندى يتفضفض

ان ليم زاد على الملام كأنما ... هو بالملام على النوال يحرض

عجباً لقوم ابصروه شمسهم ... فتطاولوا لمناله وتعرضوا

ورأوه ملء صدورهم وعيونهم ... كالليث في صدر المجالس يربض

فتحوا لأقوال الوشاة عيونهم ... جهلًا وعن بادي المزايا غمضوا

---

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر .

فليكفهم ذلاً وخزياً انه بحر وإن هم في نداه خوضوا
ندب فأمـا عرضه فموفر أبداً وأما ماله فمعوض
لله فوض أمر دنيـاه وهل يلقى العنا عبد اليه مفوض
ياوابلا كل الأنام رياضه فمذهب هذا وذاك مفضض
أصبحت نفعاً للأنام وبعضهم لأذى البرية والبري مقيض
فلغير ذاتك لاتـتم فضيلة ولغير مدحك لايشد المغرض
لازلت في العز الذي لاينقضي ومشيد المجد الذي لاينقض
ما أحمد البربير عاش بمدحكم طربا ومات به العدو المبغض

ثم رجعت بعد انشادي من عالم الخيال إلى عالم الإحساس ، فلم أر أحدا بمن رأيته من تلك الأنواع والأجناس ، فعلمت أن الدنيا كلهـا خيال ، وبرق خلب وآل ، والناس كلهم نيام ، وما يرونه في الدنيا اضغاث أحلام [1] ، فسألت الله أن ينبهني وأحبابي من نوم الغفلة قبل هجوم الحمام ، وأن يمتعنا بوجهه الكريم في دار النعيم والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله على التمام .

وله تأليفات كثيرة ، عديدة شهيرة ، وله ديوان شعر ، رفيـع القدر ، توفي بدمشق عقيا ليلة الخميس لثماني عشرة ليلة من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائتين والف ودفن بسفح قاسيون في مدفن بني الزكي في جوار الشيخ الأكبر .

ومن قوله أيضاً :

سلبت فؤادي بالبها حبشية أبهى من الدينار عند الرائي
انغبت من وجدي أقول اصاحبي غلبت علي حرارة الصفراء

---

(١) أي أحلام مختلطة ملتبسة ، لا يصح تأويلها لاختلاطها .

وقال :

لنا طبيب جـاهل تحكي القرود سحنته
إذا رأى قارورة الـمريض هز لحيتـه

وقال :

زرقة النيل في يدي من سباني بقوام يفوق سمر الرمـاح
مثل فيروزج السماء تبدى بسنا الفجر في عمود الصباح

وقال وقد أجاد :

مـالاح ريحان العذا ر وآسه من فوق ورده
بل ذاك مخضر السما ء يلوح في مرآة خـده

الشيخ أحمد بن اسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني بن علي ابن عمر بن صالح بن احمد بن محمد بن سليان ابن ادريس بن اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الطوابلسي الحنفي الدمشقي الشهير بالمنيني .

اللوذعي الإمام ، والألمعي الهمام ، المحقق الفاضل ، والمدقق العالم العامل ، ولد في النصف الثاني من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائة والف ، واشتغل في طلب العلوم ، على فضلاء دمشق ، حتى برع في منطوقها والمفهوم ، ومن جملة من قرأ عليه ، وحصل له مطلوبه لديه ، الشيـخ نجيب القلعي المعروف بأبي حنيفة الصغير ، والشيخ محمد بن عمر المنيني ، وغيرهم من السادات العظام ، والفضلاء الكرام ، وكان ذا همة عليه ، وسخاوة حاتمية ، فصيح المقال ، مستقيم الأحوال ، قد تبسم في دمشق ثغر اقباله ، وانقشـع ديجور الإدبار عن مشرق سعده وإجلاله ، وخطبته المناصب ، وأجلسته على منصة المراتب ، ولما توفي ابن عمه الشيخ محمد المنيني وانحلت عنه وظيفة التدريس تحت

قبة النسر في جامع بني أمية في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة ، وجهت على صاحب الترجمة الأهلية لتلك الوظيفة ، فباشرها بنفسه مرة واحدة ، ثم وكل عنه علامة الزمان الشيخ سعيد الحلبي لعدم اقتداره على القيام بها من مرض أصابه في معدته منعه من ذلك . ولما مات الشيخ سعيـد الحلبي جلس في مكانه الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الحلبي المذكور ، ولا زال قائماً بها إلى أن نفي الشيخ عبد الله المذكور إلى المغوصة سنة الف ومائتين وثمان وسبعين ، بسبب حـادثة النصاري في الشام ، فرجعت الوظيفة إلى ولد المترجم الشيخ محمد افندي بن أحمد افندي المنيني مفتي دمشق الشام ، فقام بها في نفسه . مات صاحب الترجمة في الحادي والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ست وخمسين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف مشهور .

الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر بن أحمد الحمصي الأصل الدمشقي المولد الشافعي الشهير بالعطار

الإمام الصالح العابد ، والهمام المجتهد الزاهد ، بقية السلف ، ونخبة الخلف ، بركة أهل الشام ، وعمدة العلماء الأعلام ، محدث العصر وفقيهه ، وفطن الدهر ونبيه ، الذي شاع صيته في القرى والأمصار ، واشتهر قدره كالشمس في رابعة النهار ، إمام الشافعية في جامع بني أمية . ولد بدمشق سنة الف ومائة وثمان وثلاثين ، وقرأ القرآن ، قراءة إتقان ، وتجويد وإحسان ، على مقري الديار الشامية الشريف السيد ديب بن خليل تلميذ سيدي أبي المواهب الحنبلي . وقرأه أيضاً وتلقاه بالأوجه السبعة إلى أثناء سورة الاحزاب على الشيخ العلامة علي بن أحمد الكزبري ، وتفقه عليه وعلى الإمام السند الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الصناديقي ، والمولى

الإمام الملا عباس الكردي ، والشيـخ محمد الديري ، والعلامة أحمد البعلي الحنبلي ، والشيخ عواد الكردي ، والشيخ محمد التدمري ، والشيخ محمد سعيد الجعفري ، والشيخ محمد بن سليمان الكردي ، والعلامة التافلاني مفتي القدس ، والعلامة جعفر البرزنجي المدني ، والعلامة عبد الرحمن الطائفي المكي ، والشيخ الجوهري والملوي والحفنى ، والشيـخ عطية الاجهوري ، والسيد مرتضى الزبيدي ، والشيخ صالح الجينيني الحنفي ، والعلامة الشهاب أحمد بن علي المنيني وغيرهم كالشيخ موسى المحاسني ، وجعفر البرزنجي ، والشيخ عبد الرحمن الكردي ، وأبي المعالي الغزي ، وعبد الله البصروي . فأدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسـع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من حاضرته . فاق في كل فن علـى أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه : كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويرتوون من بحر علمه العذب النمير ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، وقرأ بين العشاءين في الجامع الأموي كتباً عديدة ، منها الجامع الصغير للأسيوطي والجامع الصحيح للامام البخاري [1] وإحياء العلوم للغزالي مرتين ، وشرع في الثالثة ، وقرأ الدر المنثور للسيوطي بعد

---

(١) تفرد في الحديث والتفسير ، وانتفع به خلق كثير ، وهو مؤسس المجد لهذه الأسرة المباركة . وقد مدحه الجندي بقوله :

يا أيها الحبر الذي هو لم يزل ... في الكون بحر فوائد وعوائد

ورثاه العلاّمة ابن عابدين صاحب الحاشية ، بمرثية طويلة قال فيها :

وذاك خاتمة القوم الكرام ومَن ... تزهو دمشق به كالكوكب السحر

مَن فاق أقرانه طرّاً بأربعـة ... العلم والحلم والتوفيق والظفـر

الظهر في محراب الشافعية ، وغير ذلك ، ووجهت عليه وظيفة تدريس السليمانية ، وقرأ فيها في صحيح البخاري ، وكان مثابراً على أنواع الطاعات والعبادات ، وأفعال البر والخيرات ، وحج أربع مرات ، وارتحل إلى بلاد الروم ومصر ، وكان غالب جلوسه في الجامع الأموي ، وقل ما رئي إلا وهو يدرس أو يقرأ القرآن أو يصلي أو يسبح ، وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر ، صواماً قواماً قضاء لحوائج الناس ، ولما تغلب الفرنج على مصر ومشوا على الساحل ووصلوا إلى صفد وبلاد نابلس عامَ الف ومائتين وأربعة عشر شمر عن ساق الاجتهاد ، ودعا الناس الى الجهاد ، وحرضهم عليه وخرج مع عسكر من دمشق مجاهداً بنفسه وماله وأولاده حتى التقى الجمعان ، وكان هو في الصفوف مقابلاً للعدو وهو يحرض الناس على القتال ويبين مالهم من الثواب والأجر ، ولم يزل على طاعته ، وحسن عبادته ، إلى أن توفي في اليوم التاسع من ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ومائتين والف وعاش ثمانين سنة ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين ابن عبد الكريم الدمشقي

الشافعي الشهير بالكزبري ، الإمام الشهير ، والهمام النحرير ، ولد سنة الف ومائة وثمانٍ وتسعين ، ونشأ بها يتيما ، وكفله عمه شقيق والده العلامة الشيخ محمد الكزبري ، وأخذ عنه وعن الشهاب أحمد العطار ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

أحمد افندي بن علي الدمشقي الحنفي المعروف بالحسيبي

أحد أعيان الشام ، وأوحد الأماجد الأشراف العظام ، نبعة المفاخر ، وعمدة الاكابر ، ونخبة ذوي المآثر ، وحاوي المجد والتقدم كابراً عن

كابر ، ولد بدمشق سنة ألف ومائتين وست ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، ثم ترقى في المناصب ، ورقي درج المراتب ، إلى أن صار عضواً في مجلس شوري الشام ، وكان مهاباً ، مطاعاً مجاباً ، وفي ثمان وسبعين ومائتين وألف قد نفي بسبب حادثة النصارى الى قلعة الماغوصة مع من نفي من علماء الشام وأعيانها ، وفي يوم ذهابهم اشتد كرب الناس ، وقوي الهم والباس ، ونادى لسان الحال بفصيح المقال :

خطب كما شاء الإله جليل ... ذهلت لديه بصائر وعقول
ومصيبة كسفت لها شمس الضحى ... وهفا ببدر المكرمات أفول
وكبا زناد المجد وانفصمت عرى الـ ... ـعلياء واغتال الفضائل غول
وتنكرت سبل المعارف واغتدت ... غفلًا وأقفل ربعها المأهول
ومضت بشاشة كل شيء وانقضت ... فالوقت قبض والزمان عليل
وعلا ملاحات الوجوه سماجة ... وخفيف تلك الكائنات ثقيل
والروض غبر والمياه أواجن ... ومعاطف الأغصان ليس تميل
والشمع والألحان لا نور ولا ... طرب وليس على الشمول قبول
خطب ألم بكل قطر نعيه ... كادت له شم الجبال تزول
فعلى المعالي والعلوم كآبة ... وعلى الحقائق ذلة وخمول
والسالكون سطت عليهم حيرة ... وغوى لهم نهج وضل سبيل
والعارفون تنكرت أحوالهم ... فحجاب عين قلوبهم مسدول
ودنان خمر الحب قد ختمت وبا ... ب الحان مهجور الفنا مملول
ما كنت أعلم والحوادث جمة ... والناس فيهم عالم وجهول
ان الدجى لبس الحداد توقعاً ... لمصابه قدماً وذاك قليل
أو ان صوب المزن حين هما على ... عفر الثرى دمع عليه يسيل
أو ان صوت الرعد حنة فاقد ... فقد العلا فله عليه عويل
أو ان قلب الرعد يخفق روعة ... لسماع ناع دمعه مسبول

ثم إنه بعد مدة رجع المترجم إلى الشام ، وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف توجه الى الحجاز ، فتوفي في الذهاب حين وصوله الى المدائن في السنة المذكورة ، ودفن عند القلعة وقبره ظاهر مشهور ، وقد كتب على قبره ما نظمه له أمين افندي الجندي مفتي دمشق الشام :

حل في ذا الضريح عبد تقي　　وحسيب من آل بيت محمد
عاش دهراً ومات قاصد حج　　فعلى الله أجره قد تأكد
هاتف الغيب قال بالبشر أرخ　　قدست روح ساكن الرمس أحمد

وكتب على الوجه الآخر من بلاطة القبر ما نظمه عبد المجيد افندي الخاني :

أيا ركب الحجاز إذا نزلتم　　على ماء المدائن للورود
قفوا عند الطلول بنا قليلاً　　نحيي أهل هاتيك العهود
هنالك أحمد الشهم الحسيبي　　سليل المصطفى فخر الوجود
أهل ملبياً بالحج لكن　　أتته دعوة الرب الودود
فقال له البشير اليوم أرخ　　لعمرك قد كتبت مع الوفود

أحمد افندي بن سليمان بن يوسف بن محمد بن شمس الدين محمد ابن يحيى بن أحمد الدمشقي الحنفي المشهور كأسلافه بالمالكي

المغربي الأصل ، الدمشقي المولد صدر الشام ، وعين أعيانها الفخام ، ولد بدمشق سنة عشر ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده ، واشتغل في طلب العلم مدة ثم دخل في جملة الكتاب في محكمة الباب ، ثم ولي بعض النيابات في بقية المحاكم الدمشقية ، ثم ترقى وتولى نظارة أوقاف الشام ، ونظارة النفوس وغير ذلك ، ثم عين عضواً في مجلس شورى الشام الكبير ، وتصدر به على غيره . وكان له عند الولاة القبول الزائد ، ومهر في أمور المجلس وبرع ، وكلما مرت عليه الأيام ، يزداد في القدر والاحترام ، وكثر ماله وازدادت أملاكه ، ثم سنة حضور الوزير إبراهيم باشا المصري إلى

الشام واستيلائه عليها صار مقبول الكلمة لديه ، يعتمد في مهماته عليه ، وقربه وأولاه ، ومنحه التفاته وأعلى علاه ، وكان المترجم صاحب مروءة يحب قضاء حوائج الناس وكان مرعي الحرمة مقبول الرجاء ، يعرف كيف سلك سبيل مراده ، توفي في اليوم الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائتين والف ودفن في الذهبية من مرج الدحداح .

شهاب الدين أحمد بن محمد نجيب الأيوبي
الأنصاري الحنفي الدمشقي

هو الدهر حسنة تكفر ماجنى ، والزهر خميلة فيهـــا طل وجنى ، توقد في العلوم ذهنه ، وتوحد في الآداب وانفرد بين الأنام حسنه ، وعلا مقامه وارتفع ، وأخذ عنه العام والخاص وبه انتفع ، إلى أن طلع في سماء السيادة بدرا ، وعرف الناس له جلالة وقدرا ، ولد في سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف ، وأخذ عن الشيخ اسماعيل العجلوني ، والأستاذ الشيـــخ اسماعيل النابلسي ، والشيخ محمد الغزي ، والشيخ عبد الله البصروي ، والفاضل محمد افندي قولاقز ، والعلامة الشهاب أحمد المنيني ، والشيخ محمد الديري ، والشيخ الداودي ، والشيخ أسعد المجلد ، والشيخ أبي المواهب الحنبلي ، والشيـــخ عبد القادر التغلبي المجلد ، والشيخ محمد التافلاتي مفتي القدس الشريف ، والشيخ عبد الرحمن الكفرسومي ، والشيخ علي الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبلي ، والشيخ أحمد الحنبلي ، والشيخ أحمد البقاعي ، والشيخ موسى المحاسني خطيب جامـع بني أمية ، وعن حامد افندي العمادي مفتي دمشق الشام ، وعن الملا علي التركماني أمين الفتوى ، والشيـــخ محمد التدمري ، والشيخ صالح الجينيني ، وأعاد له الدرس ، وغيرهم من السادات العظام والمشايخ الكرام . مات رحمه الله سنة أربع عشرة ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير .

أحمد بن محمد هلال بن أسعد الشيباني الدمشقي
إمام الحنابلة في دمشق

فرد السادة الحنابلة في دمشق الشام ، وأوحد العلماء العظام ، الإمام المحقق ، والهمام المدقق ، اعجوبة الرفاق ، ونادرة الوقت والأوان المتضلع في العلوم ، والمترفع عن كل قبيح ومذموم ، صاحب الاستحضار العجيب ، والذكاء الغريب ، والفضل الذي لايملك عنانه ، والذهن الذي لايشق ميدانه ، وهو أحد فضلاء دمشق وإمام الحديث بها وبدر سمائها المشرق على أفق مشارقها ومغاربها ، ولد بدمشق سنة أربع وستين ومائة والف ، وأخذ الفقه الحنبلي عن العلامة الفاضل الشيخ مصطفى الاسيوطي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ومتولي جامع بني أمية . ولد سنة خمس وستين ومائة والف ، وتوفي ليلة الجمعة مع طلوع الفجر ثالث ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ، وهو عن الشيخ أحمد البعلي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ثمان ومائة وألف وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة والف عن علامة الوجود أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ولد سنة أربع وأربعين والف وتوفي سنة ست وعشرين ومائة والف ، عن والده إمام العلماء الشيخ عبد الباقي الحنبلي مفتى الحنابلة بدمشق . ولد سنة خمس والف وتوفي سنة اثنتين وسبعين والف ، عن الشهاب أحمد بن علي الوفائي الحنبلي ، ولد سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وسبعين والف ، عن القاضي برهان الدين بن مفلح الحنبلي ، ولد سنة ثلاث وتسعمائة ، وتوفي سنة تسع وستين وتسعمائة ، عن والده نجم الدين بن مفلح ، ولد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ، وتوفي سنة تسع عشرة وتسعمائة ، عن جده القاضي برهان الدين صاحب الفروع ، ولد سنة ست عشرة وسبعمائة ، وتوفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة عن ابن تيمية الحنبلي ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن في مقبرة الصوفية في البرامكة .

عن الفخر علي بن البخاري ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة تسعين وستمائة ، عن حنبل بن عبد الله الرصافي ، ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وعاش تسعين سنة وتوفي سنة أربع وستمائة ، عن أبي علي الحسن بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، عن أحمد بن جعفر ابن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة ، عن عبد الله بن الإمام أحمد ، ولد سنة ثلاث ومائتين وتوفي سنة تسعين ومائتين ، عن الإمام الجليل أحمد بن حنبل ، ولد سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودفن في بغداد دار السلام ، عن سفيان ابن عيينة ، ولد سنة سبع ومائة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة ، عن عمرو بن دينار ، ولد سنة ثلاث وأربعين وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة ، عن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ست وثمانين ، عن رسول الله ﷺ . وتوفي المترجم المرقوم في ربيع الأول سنة أربع عشرة ومائتين وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الحلبي ثم الدمشقي الحنفي

عالم صالح زاهد ، وإمام فالح عابد ، ولد سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف ، وتربى في حجر والده وتفقه عليه وتفنن ، وقرأ على غيره حتى برع وفاق وتمكن ، ومن مشايخه الشيخ محمد الطنطاوي ، والشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ محمد السكري ، ووالدي المرحوم الشيخ حسن البيطار ، وغيرهم من العلماء الأعلام ، وكان جلوسه في حجرة والده في الرواق الشمالي من جامع بني أمية ، يقرىء دروس العلم للطالبين من فنون متعددة ،

وكان محبوباً بين الناس مقصوداً في فصل الخصومات ، عالي الهمة ، حسن العبارة والمعاملة ، شريف النفس . وقد ولي بعد فصل اسماعيل افندي الغزي نظارة جامع بني أمية فانتفع به الجامع غاية النفع ، وفي زمنه غيّر بلاط الجامع والبسيط الذي في منارة العروس بحساب ورسم شيخنا الشيخ محمد الطنطاوي على نسق بسيطة ابن الشاطر التي كانت في موضع البسيطة الآن ، وكان تبديلها لاختلالها بمرور الزمان عليها ، ولم يزل المترجم يسمو قدره ويحسن ذكره ، ويتزايد نفع الجامع به ، إلى أن قصد البيت الحرام للنسك في شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وثلاثمائة وألف ، من طريق البحر ، فعقب إتمام حجه ونزوله إلى مكة تمرض وتوفي في مكة سابع عشر ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة ، ودفن في تربة المعلى بجوار قبر الشيخ عبد الرحمن الكزبري بعد أن صلى عليه في الحرم ألوف من الناس رحمه الله تعالى .

الحافظ أحمد افندي مدرس السليمانية

عالم فاضل ، وهمام كامل ، قد ارتقى في العلوم ، وفاق من فاق من ذوي المنطوق والمفهوم ، وأخذ عن الأفاضل ، إلى أن صار من ذوي الفضائل والفواضل ، وكان عابداً ناسكا ، وزاهداً في الدنيا وحطامها تاركا ، مواظباً على التقوى في السر والنجوى ، قد أخذ عنه أهل عصره ، وأقر له بالفضل علماء مصره ، ومن جملة من أخذ عنه داود باشا والي بغداد . ولم يزل على حاله ، مرتدياً برداء كماله إلى أن خطبته المنيـة سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ أحمد الاكربوزي النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل العامل، والمرشد الناصح الكامل، ذو الأنفاس القدسية، والمعاني الأنسية، والبوارق اللامعة، واللوامع البارقة، طلب العلم من صباه، ولم يزل مواظباً عليه إلى أن بلغ أوج مرتقاه، ثم لازم خدمة حضرة مولانا خالد النقشبندي، فسلكه وأحسن تربيته، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد، وأقام في بغداد مدة طويلة، ثم رحل إلى بلاد الروم، وأقام في إزمير، وأحسن الإرشاد، وكانت له الهمة العلية، والأنفاس الانسية، وله مقـــام التمكين، والوصول إلى عين اليقين، وكان من المقربين في خدمة حضرة الأستاذ، والعمدة الملاذ، ومن الفائزين بحسن أنظاره، وله كثير من المريدين والخلفاء. توفي سنة الف ومائتين ونيف وخمسين.

السيد أحمد السركلوي البرزنجي النقشبندي الخالدي

الفاضل العابد، والمرشد الشريف الزاهد، الولي النبوي، كان من الأولياء الكاملين. نشأ من صغره في التقوى والعبادة، والعلم والزهادة، والاستفادة والافادة، والاقبال عـلى الله فوق العادة، ثم أخذ عن المرشد الكامل، والمسلك الفاضل حضرة مولانا خالد، فاجتهد في خدمته وبذل نفسه في طاعته، وتوجه بكليته لقبول تربيته، ثم لما حصلت الإشارة الربانية بتخليفه، خلفه خلافة مطلقة، وأذن له بالارشاد، وكان من أكابر الخلفاء المقدمين المقربين. وله أحوال عجيبة. وكان حضرة الأستاذ مولانا خالد يعبر عنه بأخينا أحمد لما له عنده من الفضل والقدر والجلالة، وانتفع على يده جماعة كثيرون من الناس، وأقبل عليه المريدون من كل جانب، وكان يحصل لهم منه التأثيرات العجيبة، والمشاهدات الغريبة، والأحوال العـــالية، والأطوار السامية. توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وزيادة على الخمسين رحمه الله تعالى.

الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي النقشبندي الخالدي

عالم قد علا قدره ، وإمام قد سما ذكره ، خطيب قدر في منبر الكمال ، بعد أن تحلى بأثواب الجمال ، قد نفع الناس بعلومه ، وأفادهم من تحرير منطوقه ومفهومه ، ثم أخذ الطريقة النقشبندية ، عن صاحب الرتبة العلية ، مولانا خالد شيخ الحضرة ، ثم بعد كماله جعله خليفة ، فأرشد وأفاد ، وتعدى نفعه إلى البلاد ، وخدم الطريق بالصدق والجد والاجتهاد ، وكان سلوكه سلوك الصواب والسداد . ولم يزل يسعى في أشرف مسعى إلى أن تم الأجل ، وإلى مولاه ارتحل ، سنة الف ومائتين وزائد على الخمسين .

الشيخ أحمد الكاملي المغربي المراكشي المالكي البصير

أبو العلا زمانه ، وابن جلا عصره وأوانه ، هو في ميدان البيان أوحد في بيانه ، وكأنما حشر عالم الفصاحة بين فكره ولسانه ، فلا ريب أنه انسان طرف الأدب ومقلة مآقيه ، وفارع هضبة الأرب وراقي مراقيه ، زرت على المعارف أطواقه ، وما اهتاجت إلا للعوارف أشواقه ، وهو من لطف الطبع أرق من الصهباء في رونق الصبا ، ماذاق انسان طعم مفاكهته إلا مال اليه وصبا ، ذو مذاكرة يتسلى بها المهموم ، ومحادثة يجعلها النديم عوض المشروب والمشموم ، وشعر يشعر بأنه ابن النظم والنثر ، ونثر يزدري بنثر اللآلي والدر ، غير أنه مكفوف البصر ، دميم الخلقة لايحسن اليه النظر ، أنقر الوجه كثير السّمن ، قصير القامة تارك للفريضة والسنن . حضر إلى الشام في سنة تسعين ، ورؤيته تحكم بأنه لم يتجاوز من العمر الخمسة والثلاثين ، فقصده للزيارة الصدور والأعيان ، وكان لايدخل عليه أحد قبل الاستئذان ، وكان مظهراً للعظمة والاجلال ، والانفراد بالأدب والعلم والمال ، فكثرت في الناس شهرته ، ودارت بين الأهلين سيرته ، ونظر اليه العموم بعين الاجلال ، واختلفت فيه آراء أولي الكمال ، وتمنعت عنهم معرفة حقيقته ، لعدم تمكنهم من الاجتماع به إلا بعد إرادته :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة　　وان خالها تخفى على الناس تعلم

فكان يكلم كل إنسان ، بما كلمه به بأفصح بيان ، فكل من ذاكره بفن من الفنون ، يظن أنه فرد ذلك الفن المصون ، وكان يحفظ من القصص والحديث ، ما يوهم أنه لم يترك شيئاً من قديم وحديث ، وكان كثيراً ما يتكلم بلسان العرفان ، ويتمايل عند كلامه تمايل النشوان ، ويذكر بديع عباراتهم ، ورفيع إشاراتهم ، فيخاله من له بهذا الفن بعض إلمام ، انه الشيخ الأكبر [(١)] أو شيخ بسطام [(٢)] ، وكنت أنا وبعض أحباب لي من الأدباء نجتمع به في غالب الأيام ، ولم نقصده مرة إلا وقيل لنا ادخلوا بسلام ، فيحدثنا ببديع الغرائب ، وأعجب العجائب ، ومما اتفق له في رحلته ، من حين خروجه من بلدته ، مما يدهش العقول ، ولم يوقف له على تأييد منقول ، فيقول بأنه رحل الى الهند والصين ، وبلاد الترك والعجم والممالك الأوروبية ، ومكث مدة سنين حتى تعلم ألسنة الجميع ، ونظم في كل لسان ونثر من كل نثر بديع ، وكان يسرد لنا من قصائده بكل لسان لا نفهمه ، ولا ندريه ولا نعلمه ، ويحكي لنا ما اتفق له في هذه الممالك من غريب الخبر ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . غير أن لوائح المين عليه لائحة ، ونوافح الوضع عليه نافحة ، ثم انه من أعجب العجاب ، انه له قوة وفصاحة تدعو السامع إلى الإصغاء له كالاصغاء الى الصواب ، وكانما يقول عند الخروج انه ليس له عن الباطل خروج .

لي حيلة فيمن ينمّ　　م وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق مايقو　　ل فحيلتي فيه قليلة

لكنه بين العموم مستور ، وحقيق أمره عند غيرنا ليس بمشهور ، وكان يصرف من المال صرف الأعيان ، وكل منا في معرفة ذلك مدهوش

---

(١) محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر ، ولد في مرسية بالأندلس واستقر أخيراً في دمشق (م ٦٣٨ هـ) .

(٢) بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) والبسطامي : طيفور بن عيسى أبو يزيد ، زاهد مشهور (م ٢٦١ هـ) .

وحيوان ، ثم بعد أن ارتفع بيننا الحجاب ، وصارت حالتنا معه حالة الإخوان والأحباب ، جعل في بعض الأحيان يتحدث بالغلمان والشراب ، ويتواجد لهم تواجداً موقعاً في الارتياب ، فدلنا صريح مقاله ، على حقيقة حاله ، ولم نقدر على ترك مجالسته ، لما عنده من ذكائه وحفظه وفصاحته ، ثم انه استخدم غلاماً يزري بالقمر ، في ليلة أربعة عشر ، فأكثر الناس عليه القيل والقال ، وأخرجوه عن دائرة الاعتدال ، وعرفوا ما أكنه وأسرّه ، وسلبوه مـــا كان عنده من الفرح والمسرّة ، وأسمعوه ما كدر صفوه ، وأخرجوه من دائرة المروءة والنخوة ، وعلموا حاله ، واستقذروا أوحاله ، فلما عرف ذلك أخذ غلامه وسافر إلى سنوس ، وهو من تزكية النـــاس له مأيوس ، فغاب مدة طويلة ثم حضر ، فلم يجد من الإقبال الذي كان له من أثر ، فمكث مدة ثم ذهب بغلامه إلى الاسكندرية ، فلم تمض مدة طويلة إلا وقد بلغنا عنه أخبار دنية ، وهو أنه كان من أهالي الاسكندرية رجل يقال له الأحمدين ، وقد اشتهر في التجارة والغنى اشتهار الفرقدين ، فاجتمع بالمترجم المذكور ، وسمـــع من كلامه المزدري بعقود النحور ، من وعظ ورغائب ، ودعوى وصول إلى أعلى المراتب ، وكان الرجل من أهل الصلاح ، والطاعة والنجاح ، فتعلق به تعلق الأرواح بالأشباح ، ولازمه ملازمة النور للمصباح ، ولم يزل يسحره ببديـــع كلامه ، ويعده بالوصول إلى مرغوبه ومرامه ، وانه سيرى سيد الأنام ، في اليقظة لا في المنام ، فيسأل له المطلوب ، ويوصله لكل مرغوب ، فصدق الرجل قوله ، وأضاف إليه قوته وحوله ، وانقاد إليه أشد الانقياد ، وقدمه على الأهل والمال والأولاد ، فلما عرف المترجم منه زيادة حبه ، وانه استولى على عرش لبه وقلبه ، صار يقول له ان رسول الله صلى الله عليه يريد أن يريك ذاته الشريفة غير بعيد ، ولكن يأمرك أن تعطيني من المال كذا وكذا لأعطيه لمن أريد ، ولا زال يأخذ منه من المال ، ويعده ببلوغ الآمال ، إلى أن قال له ان تصدي

أن أزور الشام وآتيك بعد مدة من الأيام ، فكتب الرجل لبعض أحبابه أن يتلقوه بالاكرام ويبذلوا الهمة في إكرام جنابه ، فكان يصرف من مال الأحمدين ، والناس يستغربون ولا يعلمون هذا المال من أين ، إلى أن ذهب هذه المرة إلى الاسكندرية ، وصارت أكاذيبه على الأحمدين غير خفية ، تعلق به تعلق الدائن بالمدين ، وقال له لقد أخذت مالي بالأكاذيب والمجون ، واشتكى عليه لحاكم البلد ، فأحضره وسأله فانكسر ذلك وجحد ، فأثبت ذلك عليه ، وحجز على ثيابه ومتاعه ، فلم يجد شيئاً من المال لديه ، فلما عرف الحاكم بذلك . أضمر له الايقاع في المهالك ، فأعلم بذلك أمير مصر القاهرة ، وأرسل اليه تفصيل هذه القضية الباهرة ، فأمر بنفيه إلى فاس ، ونفي غلامه إلى طنجة ، بعد ذاك البهاء والبهجة ، وبعد ذلك لم نقع لهما على خبر ، ولم نقف لهم على نقل أثر ، ومن كلامه وبديع نظامه :

قدس الله عالماً جئت منه ... وسقته سحائب الأنوار
طالما جبت فيه بين أملا ... ك كرام ضحاضح الأسرار
ثم أهبطك المليك كما أهـ ... ـبطني لمنازل الأغيار
ليتم مراده فله الحـ ... ـكم علينا سبحانه من باري
فاصبري وتجلدي واحمدي اللـ ... ـه ولا تجزعي من الأكدار
واعلمي أن كلنا قاسا ماسو ... ف تقاسين من خطوب ضواري
في وعاء من التراب كثيف ... ذي ظلام مضيق من هار
كل مانحن فيه يسهل لو لا ... أن نار الحجاب ذات استعار
غيرت بهجتي فانطبخت الطـ ... ـين فصار الجميع كالأحجار
وإلى الله أشتكي من حجاب ... عاقني عن مناهل الأبرار

ومن كلامه :

ياكريم لقد فعلت كما تعـــلم كل صغيرة وكبيرة
عالماً انهـا ذنوب واني مستحق من العذاب سعيره
غير أن الكريم بشر قلبي بنعيم فلا عدمت بشيره

توفي حدود الألف والثلاثمائة .

الشيخ السيد احمد بن السيد على بن السـيد محمد الشهير بالحلواني

هو الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ، معتقد الخاص والعـام ، وشيخ القراء في دمشق الشام ، ورأيت في ترجمته لبعض تلامذته ناقلاً عنه بانه يتصل نسبه بالسيد سليمان السبسبي المنسوب لسيدنا العارف بالله السيد احمد الرفاعي . ولد المترجم في دمشق سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ونشأ في حجر والده ، وغب تمييزه حفظ القرآن الشريف عن ظهـر قلب من طريق حفص على الشيخ راضي ، ثم أقبل على طلب العلم فأخذ في دمشق الشام ، عن أفاضلها الكرام ، وأكابرها السادة الأعلام ، كالشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد الكزبري ، فانه حضره في البخاري مراراً ، وكذا في صحيح مسلم وسمع منه الأربعين العجلونية وكتب له بهـا اجازة بخطه وختمه ، ومنهم الشيخ حامد العطار ، فقد حضره أيضاً في الحديث وغيره ومنهم الشيخ سعيد الحلبي ، فقد حضره في كتب النحو الى أن قرأ المغني ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الطيبي فقد حضره في عدة كتب من فقه سيدنا الإمام الشافعي ، ومنهم الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت فقد حضر عليه جملة من الصرف والبيان ، ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف ذهب إلى مكة المشرفة ، فأخذ عن شيخ القراء بها الشيخ احمد المصري المرزوقي

البصير المكي الدار والوفاة ، فقرأ عليه ختمة مجودة من طريق حفص ، ثم حفظ عليه الشاطبية ، وقرأ القراءات السبع من طريقها ، ثم حفظ الدرة ، وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، ثم حفظ الطيبة لشيخ هذا الفن الشيخ محمد بن الجزري ، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة ، ثم أجازه الشيخ بالقراءات العشر وما تجوز له روايته ، وأقام هناك أربع سنوات ، ثم رجع إلى وطنه دمشق الشام سنة سبع وخمسين ، فأقبل الناس عليه بالقراءة جمعاً وغيره ، واشتهر أمره ، وارتفع ذكره ، وعم نفعه الخاص والعام ، وانفرد بهذا العلم في جميع الشام ، ثم هاجر إلى مكة سنة خمس وستين بعد المائتين والألف ، وأقام بها ثلاث عشرة سنة ، مشتغلاً بالإفادة والتعليم ، وانتفع به هناك خلق كثير ثم رجع إلى وطنه سنة سبع وسبعين بعد المائتين والألف ، ولم يزل على ما كان عليه من إفادة الناس وتعليمهم ، مع حسن المفاكهة وجميل المحاضرة وتأنيس الجليس بكل أمر نفيس ، ويغلب عليه الخضوع والسكينة والخشوع وتلاوة القرآن ، في غالب الأحيان ، وله رسالة في التجويد سماها « المنحة السنية » ، ثم شرحها شرحاً لطيفاً جمع فيه غالب أحكام التجويد سماه « اللطائف البهية » ، وله نظم في بعض قواعد من فن القراءات . وبالجملة فهو فريد دهره ، ووحيد عصره ، أنجب تلامذة فضلاء ، لهم في فن التجويد والقراءات اليد البيضاء ، بعد أن كاد هذا الفن يعدم من الشام ، فكثر القارئون في زمنه على أتم مرام ، غير أنه كان يغلب عليه في بعض الأيام السوداء فلا يحب الاجتماع بالناس ، وأما في وقت سروره فانه خدنٌ جليسٌ كأنه خلق من ايناس ، وقد حفظت عليه ولله الحمد شريف القرآن ، ثم أخذت تجويده عنه بتمام الإتقان ، توفي رحمه الله سنة الف وثلاثمائة وسبع

وتأسف عليه الخاص والعام ، جمعنا الله وإياه في الفردوس بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

احمد عزت باشا الفاروقي بن محمود افندى بن سليمان افندى
ابن احمد افندى بن علي افندى المفتي الملقب بابي الفضائل

ابن مراد افندى بن الشيخ عثمان الخطيب بن الحاج علي بن الحاج قاسم وهو الذي ورد من الشام إلى الموصل في حدود سنة التسعمائة وسبعين وعمر بها الجامع الوجود اليوم المشهور بجامع العمرية وقبره وقبر ولده في قبة مخصوصة بها ، (وكان تاريخ الجامع لفظه خاشع) ، ابن علي بن الحسن بن الحسين بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عثمان بن حسين بن نبي ابن عبد القادر بن عبد الوهاب بن عبد الله بن منصور بن شمس الدين بن يحيى ابن يعقوب بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمود بن دياب بن يوسف بن سعيد بن ناصر الدين بن عبد الهادي بن عاصم بن عبد الله بن عاصم بن حضرة أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وذلك حسبما هو مضبوط ومقيد في شجرة الأنساب الفاروقية . وأما والدته فينتهي نسبها الشريف إلى السادة الأعوجية الفخرية إلى حضرة قطب الأقطاب السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله تعالى عنه .

أقول : إن هذا الأديب الفاضل ، المتحلي بأنواع العلوم والفضائل ، قد ذكر هذا النسب الشريف في كتابه المسمى بالعقود الجوهرية ، في مدائح الحضرة الرفاعية ، وتمم ترجمته فقال : وأمـا ولادتي فكانت في الموصل أواخر سنة الأربع والأربعين بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية ، ولما بلغت من العمر أربع سنين باشرت بقراءة القرآن الكريم ، وسنة سبع من عمري ختمته ، وحفظت طرفا منه ، ورويت

قراءة حفص على أستاذي بالنحو المرحوم ملا عبد الرزاق افندي الجبوري وفي سنة أربع وخمسين طلبني المرحوم عمي المشهور بالفضل العميم عبد الباقي افندي الفاروقي ، وكان إذ ذاك ساكناً في بغداد ، وبقيت في خدمته مقدار ستة أشهر ، بعد أن أكملت قراءة الأسيوطي على المرحوم ملا أسعد افندي الموصلي مدرس جامع الآصفية ، ثم عدت إلى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفاً من علم الوضع على العالم الفاضل المرحوم عبد الرحمن افندي الكلاك ، وجمعت جمع الصغير وجمع الكبير في القراءات السبع على مخدومه عبد اللطيف افندي ، وقرأت الايساغوجي على العالم الزاهد والفاضل العابد المرحوم ملا محمد أمين افندي بن ملا عبيده ، وقرأت علم البديع وطرفاً من المعاني والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع المرحوم عبد الله افندي الفاروقي ، ثم في أوائل سنة إحدى وستين طلبني من أبي ثانياً عمي المرحوم لأجل البقاء بخدمته ، فتوجهت إلى بغداد ، وكانت إذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والأدباء ، فتخرجت عليه في فنون الشعر وعلم الأدب ، وطرت بجناح فضله ، واستسقيت من هطال وبله ، وفي غضون ذلك قرأت على سبيل التبرك شرح الشمسية ، وابن عقيل على خاتمة المفسرين وعلامة العلماء المحققين المرحوم أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي الألوسي مفتي الزوراء ، ومرجع الفضلاء ، وقرأت أيضاً كتاب تشريح الأفلاك على المرحوم الفاضل الشيخ أحمد افندي السنه لي ، وأتقنت اللغة الفارسية على مخدومه العالم الاكمل الشيخ طه افندي ، وبقيت في خدمة المرحوم العم ببغداد إلى السنة التاسعة والستين فانسلكت بخدمة الدولة العلية العثمانية متقلباً في البلاد وأولها شهر زور ، ولا زلت من أفضال تلك الدولة أتنقل في أنواع مأمورياتها من داخلية وخارجية ورسومية ومالية ، وارتقى إلى درجات رتبها بالتدريج ، حتى

أصعدني من حسن أنظاره أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين [١] حضرة السلطان عبد الحميد خان أدامه الرحمن ، إلى رتبة المير ميران ، وها أنذا اليوم بالأستانة ضيف حضرته ، ونزيل سدته ، داعياً لحضرته بمزيد الدوام على مدى الأيام ، انتهى كلامه . ومن نظمه الحسن وكلامه المستحسن قولـــه :

عنبر الليل وكافور الصباح أشغلاني باغتباق واصطباح

يانديمي قم فقد هب النسيم

وبدا من عرفه مسك الشميم

وانبرت في الكاس نيران الكليم

فامزج الخمرة بالماء القراح واسقنيهـــا بغدو ورواح

عاطنيهـــا قبل نور الفلق

بغنـاء الورق بين الورق

كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها بارتياح أدرع الدر ومفتر الأقاح

وغزال ســـامني بالملق

وبرى جسمي وأذكى حرقي

أهيف مذ سل سيف الحدق

قصرت عنه أنابيب الرماح بابلي اللحظ مهضوم الوشاح

---

(١) ليته لم يسجل هذه الجملة على نفسه ، فقد ورد في القرآن الكريم لفظ الخليفة ، والخلائف والخلفاء ، ومنها ماوصف به بعض الأنبياء ، ولكنه تعالى جعلهم خلفاء في الأرض ، ولم يقل عن أحـد منهم إنه خليفـــة الله في الأرض ولا في السماء ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا » سورة مريم / ٩٤ .

ذاب بالوجـد فؤادي كلفا
حيث شاب الوصل منه بالجفا
كلما قلت جوى الحب انطفى
أمرض القلب بأجفان صحاح وسبى العقل بجد ومزاح
يا خليـلي أنت نور المقـل
جد بوصل منـك لي يا أملي
كم أغنيـك إذا ما لحت لي
مرحبا بالشمس من غير صباح زرتني والليـل ممدود الجناح
هذه الخمرة مـن عصر قديم
تبعث الروح إلى العظم الرميم
تتهـادى بين راحـات النديم
لمريد عنـده الصفو مباح فهي روح وهي ريحان وراح
خمرة الارشاد من عهد الأزل
تنقذ الشارب من كل العلل
فهي مثل النوم ما بين المقل
تسري في الأفكار من غير جماح وتذود الهم من دون كفاح
زوجوا الماء على بنت الدنان
واستطابوا شربها قبل الأوان
فشذا تذكارها في كل حان
مثل نشر المسك في الارجاء فاح حملتـه للورى كف الرياح
إنما الأقطـاب في هذى الدنا
نقطة فيهـا نزيل المنحنى
والرفاعي بينهم بادي السنـا
فهو بدر التم ليلا حين لاح فيـه للظلماء والغى افتضاح

هو غوث الورى غيث الندى
معدن العرفان بل قطب الهدى
لست تلقى من سواه رشداً
لائق عرفـانه بالامتـداح   زنده بالكون واري الاقتداح
خصـه الله بعلم وعمل
فغدا يزهو به روض الأمل
وكساه بالسنا أسنى الحلل
وحباه فوق اثواب الصلاح   رفعة المسند من دون اقتراح
حبه قـد حل مني بالفؤاد
أينما كنت مقيما في البلاد
فهو في حلم وعلم وسداد
ملأ الاقطار ذكرا والبطاح   وعلى اعـدائه شاكي السلاح
إنمـا اشباله بين الورى
معدن الفضل وآساد الشرى
فيهم غصن الهدى قد أثمرا
كل فرد منهمو بادي الفلاح   كفه يقرع أبواب النجاح
هو باز في الورى قد حلقا
وعـلا فوق المعالي وارتقى
فهو للقدح المعلى مذرقى
نال أغنى الكل عن ضرب القداح   مـا علينا في ولاه من جناح
مدحه شرف حزب الشعرا
فزهـا المدح به بل نورا
وسمـاء النظم لما أقمرا
قد مدحناه بالفاظ فصاح   ونعمنا باختتام وافتتـاح

توفي رحمه الله سنة الف وثلاثمائة ونيف .

احمد باشا الشمعة بن سليم بن علي بن عثمان بن محمد

طلعته البدر إلا أنه مشرق ، ونفحته الروض إلا أنه مورق ، وهو بمكان من النباهة مكين ، مانهج من الكلام منهجا إلا وطلع له من جيش البلاغة كمين . ولد في دمشق الشام سنة الف ومائتين وستين تقريبا من هجرة سيد الانام ، وتربى في حجر والده وما دخل في سن التمييز إلا وقد شمر لتحصيل المعالي عن ساعده ، وقرأ من الفنون وأقبل على كتب الادب ، وعلا على معارج الوصول إلى كمال الرتب ، واكتسى حلة اللطافة وارتدى كل جمال وظرافه ، إلى أن صار يشار اليه بالانفراد ، ويعتمد عليه في كل مراد ، ويستشار في المهمات ، ويستنهض لدفع الملمات ، ووصل في الترقيات الشاهانية إلى رتبة بكلربكي[١] التي هي من أقرب المراتب إلى الوزارة ، ثم إلى رتبة بالا ، وحصل له كمال القبول لدى الولاة والمشيرين وذوي الامارة ، هذا ومع وقاره الذي به يعرف وقدره المستوي على المقام الاشرف أطال الله بقاه[٢] .

احمد باشا والي ومشير دمشق الشام

الوزير الكبير ، والوالي المشير ، من بهر بحسن تدبيره واهتمامه ، وظهر في الناس ظهور البدر ليلة تمامه ، ونهج أوج منـاهج التقوى والعبادة ، وكان على مرور أيامه من الكمال على زيادة ، مع أدب باهر ، ومذهب مستقيم طاهر ، ونفس زكية ، وفكرة علية ، دخل دمشق سنة خمس وسبعين ومائتين والف ، وكان والياً على القطعة السورية ، ومشيراً على الفرقة العسكرية ، فكانت له السيرة الحسنة والأوصاف المستحسنة ، وأخذ الطريقة الخلوتية ، عن الشيخ المهدي المغربي القاطن في الخضيرية ، فسلك سلوك أهل الوصول ، وتمسك من السنة بالفروع والأصول ، وذلك بعد

---

(١) رتبة عثمانية بمعنى : « بك البكوات » وتليها في الترقية رتبة « بالا » ثم رتبة « الوزير » وهي رتبة وليست منصباً .

(٢) توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٣٣ هـ وهو والد شهيد العروبة رشدي بك الشمعة الذي ولد وتعلم بدمشق ، وانتخب نائباً عنها في المجلس العثماني ، وأعدم مع رفاقه في ساحة الشهداء بدمشق سنة ١٣٣٤هـ ١٩١٦ م رحمهم الله تعالى .

أن كان لايصرف عمره إلا بين ريحان وراح ، وأخدان تسعى له بجلب المسرات والأفراح ، وقد ركب في فعاله وأقواله هواه ، وأعطى نفسه ماتحبه وتهواه ، فأضرب عن جميع ما كان عليه صفحا ، ومحا بحسناته سيآته وازداد فلاحا وربحاً ، فصار لايصرف نقد عمره في غير أنفس الأعمال ، ولا يحرك لسانه إلا بذكر أو صلاة على سيد ذوي الكمال ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر بأحسن خطاب ، أو حكم بحق على مرتكب خلاف الحق والصواب ، ولم يزل يترقى أمره ، ويعظم ويسمو قدره ، إلى أن سلبته حلاوة الطاعة الإقبال على دنياه ، وأفاضت عليه معرفة أن الإنسان هو الذي يعمل لما ينفعه في أخراه ، فأهمل النظر في أمور السياسة ، وتنبهت عيون ذوي الشقاوة والخساسة ، ولم يزل يتفاقم هذا الحال ، ويعظم أمر الجهال ، إلى أن وقعت فتنة بين الدروز والنصارى في جبل لبنان [1] واشتد بسببها الضرب والطعان ، وعاثت طائفة الدروز وفسقوا ، وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ، ومنعوا جفون أهل الذمة السنات ، وأخذوا البنين والبنات من حجور الأمهات ، وخربوا القرايا والبلدان ، وسفكوا الدماء وحرّقوا العمران ، ونهبوا الاموال ومالوا عليهم كل الميل ، وبادرت لمساعدتهم والغنيمة معهم دروز الجبل الشرقي تجري على خيولها جري السيل ، ولم يروا في ذلك معارضاً ولا منازعاً ،ولا مدافعاً ولا ممانعاً ،والنصارى بين أيديهم كغنم الذبح ،هم وأموالهم وأولادهم وبلادهم غنيمة وربح ، ودام هذا الأمر واستقام ، إلى ابتداء ذي الحجة الحرام ، سنة ست وسبعين بعد الالف والمائتين ، وقد هرب كثير من النصارى إلى الشام ، ظانين أن الحكومة تحميهم من الدروز

---

(١) جاء في خطط الشام للأستاذ كرد علي مايلي : لم تكد تخلي الجنود المصرية بلاد الشام ، حتى رجعت الى حالتها قبل المصريين ، وثارت العداوات القديمة في الصدور ، وزادت الدسائس الأجنبية ، وأخذت فرنسا تساعد الموارنة وبريطانيا تعاون الدروز ، فتعدى هؤلاء على الموارنة في سنة ١٢٥٧ ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه الفظائع المنكرة ، وزحف الدروز سنة ١٢٥٧ بثمانية آلاف ، وانتشب القتال بينهم وبين أهل زحلة ، ومعهم أهل بعلبك الخ (ج ٧٦/٣) .

اللئام[1] ، فصارت الدروز تدخل إلى الشام بانواع السلاح ، ويخاطبون الاشقياء بقولهم كنا نظن بكم الفلاح ، لقد اخلينا البر من النصارى ، وأنتم عنهم كأنكم سكارى ، فاذبحوهم ذبح الاغنام ، وأذيقوهم كأس الحمام ، واغنموا ما عندهم من الاموال والامتعة الكلية ، وان الحكومة بذلك راضية مرضية ، ولو لم يكن لها مراد بذلك ، ما مكنتنا من إذاقتهم كؤوس المهالك ، والوالي ساكت عن هذا الأمر كأنه لم يكن عنده خبر ، حتى ظن اكثر القاصرين أن هذا الواقع عن أمرشاهاني صدر :

يمضي على المرء في ايام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وما زالت الاشقياء تتطاول أعناقها ، وتتزايد لهذه الافعال أشواقها ، والدروز في كل وقت يجددون لهم همة ، ويتواردون عليهم أمة بعد أمة ، [2] وقد قامت لديهم الأفراح ، وزالت عنهم برفع القيد الهموم والاتراح :

أمور تضحك السفهاء منها   ويخشى من عواقبها اللبيب

وصاروا يتكلمون بكلام ، لا يليق إلا بالاشقياء اللئام ، كقولهم حنا يقول لنخلة ، اسماعيل الأطرش حرق زحلة ، وامثال ذلك خصوصا مما يدل على التخويف والتهديد ، وصارت الاولاد تقوله على طريقة الاناشيد ، فذهب بعض النصارى الى والي البلد ، لينقذهم من هذا الهم والنكد ، وكان ذلك يوم الاثنين من ذي الحجة الحرام ، سنة ألف ومائتين وست وسبعين من هجرة سيد الأنام ، فأمر الوالي بالقبض على

---

(١) في الخطط : « ولم يكن من مصلحة الدولة أن تسود الألفة بين الطوائف ، وأن يتعامل أهل الوطن الواحد بالحسنى ، فكان أكثر رجالها يوقدون جذوة التعصب الديني ، ويساعدون الدروز على المسيحيين في لبنان ، حتى يتيسّر للدولة أن تنزع الحكم من أرباب الإقطاعات ، وتقيم له والياً كما لطرابلس وصيدا والقدس وحلب ودمشق ، ولذلك كثرت الفتن والمناوشات ، بل الإحن والمحن بين المسيحيين والدروز » .

(٢) وفي سنة ١٢٦١ قام الدروز ثانية في لبنان ، وقتلوا المسيحيين ، واستمرت الفتن إلى سنة ١٢٧٧ ﻫ .

بعض الأولاد ، فمسكوا منهم جملة وقيدوهم بالحديد وأمروهم بالكنس والرش تأديبا لهم عن هذا الفساد ، فقامت عصبة جاهلية في باب البريد من الجهال الطغام ، ونادوا بأعلى صوتهم يا غيرة الله ويا دين الإسلام ، وكان الوقت قبيل العصر من ذلك اليوم المرقوم ، وتلاحقت الاشقياء الى حارة النصارى كأنه لم يكن عليهم بعد ذلك عتب ولا أحد منهم على فعله مذموم [١] ، وأقبلت عليهم الدروز أفواجا أفواجا ، واشتغلوا بالحرق والقتل والسلب والنهب أفراداً وأزواجا ، فأنشأت في الحال خطبة وخطبتها في جامع كريم الدين في الميدان بجرمة هذه الأفعال ، وانها موقعـــة لأربابها في أودية النـكال ، وانهم محترمون لا يجوز لهم التعرض بحال ، وان لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومن تعرض لهم بسوء فقد باء بالخزي والنـكال ، فانكف أهل الميدان عن سفك الدماء ، واجتلبوا ما قدروا على اجتلابه من الرجال والنساء ، لحمايتهم من الاشقياء .

لنصرة الحق قد قاموا بأمرهم	وربهم باليد العليا لهم نصرا
صانوا الحريم مع الاطفال واحتسبوا	على الغريم برب للورى فطرا
لما استقلوا بميدان الوغى كملا	من كل قرم [٢] يفوق الليث لو زأرا
فالله بالمدد العلوي أيدهم	من كل سوء ومن عاداهم خسرا
هم الكرام لهم في كل حادثة	غوث الصريخ وبذل وافر وقرى
جزاهم الله خيرا عن جميع بني	دمشق والأجر عند الله لن يترا

والوالي مازال على اهماله ، وسكوته وعدم سؤاله ، غير أنه عين للمحافظة

---

(١) وفي نكبات الشام أن الحروب الأهلية التي حدثت في دير القمر وزحلة وغيرهما من أنحاء البلاد (سنة ١٢٦٥) انتهت بقتل ثلاثة آلاف رجل من النصارى قتلوا في لبنان والبقاع وبعضهم في المدن ؛ ونحو اربعمائة رجل من الدروز . ولولا محاربة الدروز المسيحيين بالخيانة ، ومساعدة الحكومة لهم في كل مكان على نزع السلاح ، لكثر عدد القتلى وزاد على هذا القدر . وأما الخسائر المالية فلم تقدر في ذلك الحين » .

(٢) سيد عظيم .

أربعة من الأعيان ، اثنين من المدينة واثنين من الميدان ، فقام من كان من الميدان حق الحماية ، وقصر من عداهما في البداية والنهاية ، غير أن سعادة الأمير المعظم ، والكبير المفخم ، حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري قد بذل كامل همته في ذلك ، وبذل أمواله ورجاله في خلاص من قدر عليه من المهالك ، واستقامت النار تضطرم في حارة النصارى سبعة أيام ، والناس فوضى كأنه لم يكن لهم امام ، فلما احضروا من أحضروه من النصارى إلى الميدان ، وقد امتلأت البيوت أخـــذنا نطوف عليهم نهنيهم بالسلامة ونطيب قلوبهم بالأمن والأمـــان ، وكنا مانرى منهم غير دمع سائل ، وبصر جائل ، وقلب واجف ، ورجاء قليل وبال كاسف ، وهذه تقول أين ولدي ؟ وهذه تقول قد انفلق كبدي، وهذه تقول مالي ، وهذه تقول كيف احتيالي ؟ والرجال منهم حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، وقد ذهب عنهم البهاء والجمال، وأوقعهم المقدور في الضيق والنكال ، فلم نستطع الصبر عن البكاء والنحيب ،وكدنا بما رأينا أن نذهل عن نفوسنا ونغيب ، فيالها من مصيبة ما أعظمها، ونكبة ما أجسمها ، قد أبكت ذوي الرحمة بدل الدمع دما ، وكادت ان تثبت لهم بعد الإبصار العمى ، ثم ذهبنا جملة كبرى من الميدان لعلنا نجد حياً نخلصه ونقيه ، وننقذه من أيدي من يريد قتله ولا يبقيه ، فلم نجد غير من أمضى عليه حد الحسام حكمه ، وأنفذ فيه جور الأيام ظلمه ، فمنهم من استوفى القضاء المحتوم ، ومنهم من قد بلغت الروح الحلقوم ، وماترى في محلتهم من مغيث سوى كلب عقور أو شقي خبيث ، والأرض رويت من دمائهم ، وتعطلت الأماكن من أسمائهم ، وعاد صبح جمالهم عاتماً ، وأقامت محلاتهم عليهم مآتما ، فخروا على الوجوه والأفواه ، وصعقوا على الصدور والجباه ، وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال والجنوب ، بعد أن وقعوا في أسنة المكاره والخطوب ، صرعى على وجه الأرض ، معفرين

كأنه يوم النشور والعرض ، قد افترشوا التراب بدلاً من الأرائك الحسان ، وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك والزعفران ، وغدامصرعهم من نجيعهم مشوبا بالحمرة والسواد ، ولبست نساؤهم لأجلهم ثياب الحزن والحداد ، وصارت لحومهم للوحوش ولائم ، والطيور عليها ما بين هابط وحائم ، والنار تلعب ألسنتها في تلك القصور ، وقد جعلتها رمادا بعد زينتها بالولدان والحور :

النار في ضرم والدمع منهمل لعظم خطب له الاحزان تتصل
لا الدمع يطفىء نار الحزن من كبد ولا لحر لظاها ينشف البلل
مصيبة عظمت حتى لقد صدعت قلب اللبيب فأضحى وهو منذهل

ولما علم دروز الجبل الشرقي أن أهل الميدان ، قد ادخلوا النصارى في حصن الأمان ، ووضعوهم في أماكنهم مع عيالهم ، واجتلبوا لهم سرورهم بقدر الامكان وراحة بالهم ، تجمعوا وتحزبوا وتوجهوا الى الشام ، الى أن وصلوا إلى أرض القدم بالكبرياء والعظمة والاحترام ، ثم ارسلوا خبراً إلى الميدان إما أن تسلمونا النصارى لنذيقهم كؤوس المنية ، ونبيدهم بالكلية ، واما ان ننشر بيننا راية القتال ، ونطوي بساط السلم واستقامة الحال ، فبرز أهل الميدان إليهم بروز الأسد ، وقالوا لهم بلسان واحد ليس لكم على قتالنا من جلد ، أظننتم أنكم تصلون إليهم ، وتحكمون بما تريدون عليهم ، إن ذلك أمر محال ، اياكم أن تتوهموه بحال ، اننا وحق من أحيا الأشباح بالأرواح ، لا نسمح لكم منهم بقلامة ظفر وليس لكم في مطلوبكم من نجاح ، وكثر القيل والقال ، وكانت البيداء قد أمتلأت من الفرسان والأبطال ، وتجمع الصفان ، وتقابل الصنفان ، وارتفع العجيج وعلا العجاج ، وكثر الضجيج من كل الفجاج ، وأشهر كل سلاحه ، واعتقد أن في قتل عدوه فلاحه ، وأنّ شرر الموت ينقدح من ألحاظه ، ويفصح

بصريح ألفاظه ، فلما رأى الدروز ما كان ، من المشاة والركبان من أهل الميدان ، علاهم الوجل ، وقد خاب منهم الأمل ، وضاق بهم من الأرض فضاؤها ، وتضعضعت من أركانهم أعضاؤها ، فتنازلوا عن العناد الى الوداد ، وقالوا نحن العين وأنتم لها بمنزلة السواد ، وليس لنا عنكم غنى ، وأنتم لنا غاية المنى ، ونزيلكم عندنا مصون ، ومن كل ما يضره مأمون ، والذي وقع منا كان هفوة مغفورة ، وسقطة هي بعفوكم مستورة ، فقابلوها بالسماحة والغفران ، ونحن وإياكم أحباب واخوان ، ثم تفرقوا بعد الوداع ، وانقاد كل منهما للسلم وأطاع ، وتفضل الله وأنعم ، وحسم مادة الشر وتكرم [١] .

---

(١) في الخطط : قال اللورد دوفرين « لم يبق أدنى ريب يحول دون نسبة المذابح الأخيرة وجميع الحروب والاضطرابات والمنازعات التي انتابت لبنان في مدى الخمس عشرة سنة الأخيرة إلى استياء الحكومة العثمانية من الاستقلال النوعي الممنوح للجبل ، فجعلت مرمى سياستها أن تبرهن على أنه يتعذر العمل بطريقة الحكم التي منحتها الدول لبنان في سنة ١٨٤٥ ، ولهذا كان الأتراك يغتنمون الفرصة لإثارة دفائن الأحقاد القديمة بين الدروز والموارنة . ولما ازداد تعجرف المسيحيين وتعصبهم بقوة المساعدات الأجنبية التي فازوا بها ثقل على الأتراك احتمال وطأة استقلالهم فعقدوا العزم على اتخاذ الدروز آلة ليوقعوا بهم ، ويضربوهم ضربة اشد إيلاماً مما تقدمها ، بيد أن ما حصل في حاصبيا وراشيا ودير القمر ، قد جاء مجاوزاً الحد المنوي ، لعدم توفر شروط اللباقة في خورشيد باشا وأعوانه لإنفاذ سياسة دماء كهذه ، فأفرطوا فيها بحيث افتضح سر سياستهم ، وكان له دوي هائل في الأندية الأوربيه » .
إلى أن يقول : فمن العبث وصف المسيحيين بأنهم شهداء قديسون ، فهم يضاهون جيرانهم الدروز في حروبهم همجية وظماءً إلى الدماء ، فكثيرا ما كانوا يقتتلون بعضهم مع بعض ، ولا يعفون عن النساء . يؤيد ذلك ارتكابهم الفظائع مع المشايخ الخازنيين منذ سنين ، ومثل هذه المعايب كثيرة في تاريخهم ، بيد أن الدروز هم من هذا القبيل أكثر شفقة من غيرهم فلا يقتتلون بعضهم مع بعض ، ويحترمون النساء » . وقال الاستاذ كرد علي وما كان يخطر بالبال أن هذه الشرارة تسري إلى دمشق ، مدينة التسامح واللطف ، ويقوم رعاع المسلمين بمعاونة الدروز ، يؤذون من أمروا بالإحسان اليهم ، بعد أن عاشوا وإياهم ثلاثة عشر قرنا في صفاء وهناء » .

ولا زال أهل الميدان في الليل والنهار ، يحرسون النصارى من الأشقياء والأشرار ، الى السادس والعشرين من محرم الحرام ، دخل الشام محمد معمر باشا ومعه أربعة آلاف جندي من عسكر النظام ، وفي غرة محرم سنة سبع وسبعين ، دخل خالد باشا المصري للنظر في أمر هذه الخيانه ، وكان قبل دخوله بيوم قد سافر احمد باشا المذكور أولاً إلى بيروت متوجهاً الى الاستانه ، وفي حادى عشر المحرم الحرام ، دخل ناظر الخارجية فؤاد باشا الى الشام ، مرخصاً من قبل الدولة وباقي الدول ، مهما شاء اجرى ومهما أراد فعل ، ومعه عوضاً عن احمد باشا المترجم المذكور عبد الحليم باشا المشير المشهور ، واجتمع بالشام من العساكر السابقة واللاحقة نحو ثلاثين ألفاً ، ثم بعد ثلاثة أيام ، أمر بعقد مجلس عام ، وطلب فيه مأخوذات النصارى ومسلوباتهم ، ومغصوباتهم ومنهوباتهم ، وذلك يوم الخميس خامس عشر المحرم ، وشدد غاية التشديد ، واكد أعظم تأكيد ، ولما أصبح صباح الجمعة سادس عشر المحرم ، وجد الناس أثمان الشام قد امتلأت من العساكر ، وقد أغلقوا أبواب البلد ولم يعرف أحد ما الأمر اليه صائر ، فدخل على الناس من الهم والكدر ، ما هو عبرة لمن اعتبر ، وهذا اول الامتحان على ما سلف من القباحة والعصيان ، حمانا الله من شر الفساد والطغيان ، ووقانا من حيف الزمان ، ثم ان الحكومة أرسلت لكل ثمن مأموراً لتحصيل المسلوبات ، وجمع المنهوبات ، وقد حصل التنبيه بان من عنده شيء فليأت به ولا يخفيه ، فبادر الناس بالاحضار ، وصار من عنده شيء كأنه قد اشتعلت به النار ، ودخل على الناس من الوجل ما يستصغر عنده حضور الاجل ، وصار بعض الناس يلقون ما عندهم في الطريق ليلاً للتستر والكتم ، وذهب شعورهم لما اعتراهم من الخوف والوهم ، وصاروا يقبضون على بعض الناس ويحبسونهم في التكية ، ولا يعلمون ما يجري عليهم من البلية ، واستدام جمع

المسلوبات الى ثاني وعشرين محرم ، ثم صارت النصارى تتشكى للحكومة على بعض الناس ، وتفاقم الأمر واشتد الالتباس ، فهذا يقول هذا قتل ولدي ، ويقول الآخر قتل والدي ، ويقول الآخر أخذ مالي ، ويقول الآخر تعرض لأطفالي ، وزال الائتلاف وزاد الاختلاف ، والعساكر تقبض على من يتهم سواء كان من الأصناف أو من الأشراف ، حتى اجتمع في التكيه نحو ثلاثة آلاف ، ثم انه في غرة صفر أعيد احمد باشا السرعسكر من الاستانة إلى الشام ، معزولا من منصبه ومفوضا أمره إلى فؤاد باشا يحكم عليه بما رام ، فصار إلى الحبس صاغرا ، وقد تحول إلى الذل بعد أن كان ناهيا آمرا ، عضته أنياب الاعتقال ، ورضته تلك النوب الثقال ، وعوض بخشونة العيش من اللين ، وكابد قسوة خطب لا تلين ، تذكره عهد عيشه الرقيق ، ومراحه بين النعمان والشقيق ، وحن إلى سعد زرت عليه جيوبه ، واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه ، وتأمى بمن باتت له النوائب بمرصاد ، ورمته بسهام ذات اقصاد ، وضيم ليس له خلاص ، وقد اعلمه الحال بأنه حان حينه ولات حين مناص ، وعظمت عليه القضية ، واترعت له كؤوس ، المنية ، واسودت بعد البياض أيامه ، وقوضت من عراص الحياة خيامه ، فوضع في الحبس كغيره ، ولم يدر عاقبة أمره أينتهي إلى شره أم إلى خيره ، وفي ثاني صفر يوم الاحد عمل فؤاد باشا مجلسا خصوصيا خفيا لم تمسه يد الاعلان ، وقد اجتمع فيه العلماء والصدور والأعيان ، لم يطلع احد على ما حصل من المذاكرة فيه ، ولا علموا بظواهره ولا خوافيه ، غير أنهم علموا بأن فؤاد باشا قد قسم ذوي الجنايات إلى ثلاثة أقسام سالب ومهيج وقاتل مرتكب للاعدام ، ولم يعلموا غير ذلك ، والله أعلم بما هنالك ، فلما اصبح الناس يوم الاثنين ثالث صفر وجدوا سبعين رجلا قد صلبوا مفرقين في البلد ، من اهل الشام الذين كان اكثرهم عليه في الوجاهة يعتمد ، وفي خامس صفر تعاظم

الشر ، وتفاقم الضر وطمّ الغم ، وانتشر وعم ، حيث حبس عالم الشام وفاضل الأنام الشيخ عبد الله الحلبي في دار البلطجية ، وعمر افندي الغزي في التكية ، ومفتي دمشق طاهر افندي ، واحمد افندي الحسيبي ، وعبد الله بك العظم ، وسعيد بك بن شمدين آغا ، وعبد الهادي افندي العمري واحمد افندي العجلاني نقيب الاشراف ، وصالح آغا المهايني وغيرهم من الصدور ، كل واحد بمحل بمفرده لا يدخل عليه احد غير خدمة ولاة الأمور ، وكانوا يستنطقونهم في كل يوم ، لينظروا ماذا يترتب عليهم من اللوم ، وفي سابع صفر أمر فؤاد باشا بتفريغ بعض البيوت لسكنى النصارى المصابين ، ففرغوا من بيوت القيمرية والقنوات وباب توما والسماكة والشاغور ، وبعض بيوت باب المصلى بمقدار ما يكفيهم أجمعين . وفي تاسع صفر عادت العساكر إلى الأثمان طالبين من الناس أربع نفر ، لادخالها في العسكرية الشاهانية ذات القدر والخطر ، فجمعوا من الناس عدة وافية ، وفي خامس عشر صفر كتبوا على مشايخ الحارات سندات بتقديم الأنفار الباقية ، وفي حادي وعشرين من صفر فرق على بعض الناس أوراق رسمية ، إمّـا بتقديم أولادهم للعسكرية أو بدفع بدل مائتي ليرة عثمانية ، وشددوا عليهم في الطلب ، وما نجا إلا القليل من العاجزين عن الدفع واستجاروا بالهرب ، وفي ثاني وعشرين من شهر صفر حكم فؤاد باشا على أحمد باشا بالإعدام ، وعلى جملة من امراء عساكر النظام ، فأخذوهم إلى القشلة القريبة من المولوية ، وأعلموهم بمـا حصل من الأمر عليهم بالقتل فاستسلم أحمد باشا لهذه القضية ، وكان صائماً وفي يده دلائل الخيرات فصلى ركعتين ثم سلم نفسه للمهات ، فعرضوا عليه الماء قبل ازهاق نفسه المطمئنة ، فقال لا أفعل لا أفطر إلا في الجنة ، فصفوهم وجعلوهم هدفاً للرصاص ، وكانو متأملين ان حسن اعتذارهم ينتج لهم الخلاص ، فـلا حول ولا قوة إلا بالله ، لا راد لمـا حكم به وقضاه ، وفي ثالث وعشرين من صفر فرّ فؤاد باشا

إلى بيروت لمراد ، وصحبته جملة من المحبوسين ، فمنهم من نفاه ومنهم من أدخله للخدمة العسكرية ذات الاسعاد ، وفي رابع ربيع الأول صلبوا اثنى عشر رجلاً من دروز واسلام ، وفي سادس ربيع الأول قبضوا على ابي يوسف الكحال الدرزي من الحقلة ونفوه بعد أن حبسوه مدة أيام ، وفي عاشر ربيع الأول قبضوا على سعيد بك جنبلاط في بيروت وصحبته بعض دروز الجبل الغربي ، وفي ثاني وعشرين من ربيع الأول فرضوا على أهالي الشام خمسة آلاف فراش وخمسة آلاف لحاف وخمسة آلاف وسادة ، وفي رابع وعشرين من ربيع الأول رجع فؤاد باشا إلى الشام ، وفي سادس وعشرين منه أمر على ترجمانه ابراهيم بك كرامة بالحبس ثم نفاه بعد أن أذله الاذلال التام ، وحينما انتقل النصارى إلى البيوت التي فرغها لهم ذلك الوزير الكبير ، عين لكل فرد منهم خرجاً يكفيه من كبير وصغير ، وسافر كثير من النصارى إلى بيروت واسكندرية ، ليتسلوا عن مصيبتهم القوية ، وفي غرة ربيع الثاني أنزلوا ورقة بدل العسكرية من مائتي عثمانية إلى مائة عثمانية ، وفي رابع ربيع الثاني أحضروا علي بك العظم ومحمد صالح افندي بن الشيخ عبد الله الحلبي ووضعوهما في الدائرة الحبسية ، وفي خامس ربيع الثـــاني نهار السبت عند طلوع الشمس نفوا الذوات المرقومين جميعاً إلى الماغوصة[1] ذات الغم الشديد ، وفي ثاني يوم سافر فؤاد باشا وصحبته جميع العسكر الجديد ، وفي يوم الثلاثاء من ربيع الثاني وضعوا في كل ثمن مجلساً مخصوصاً لجمع السلاح من أهل الشام ، وبعد تمام جمعه نقلوه إلى القلعة ووضعوه تحت الحرس بكل اهتمام ، وفي يوم الأحد ثالث عشر ربيع الثاني أخذوا محمد سعيد بك بن شمدين آغا الكردي وكيخية السرعسكر وهو أحمد باشا الشهيد وتفكجي باشي والشيخ عبد الرزاق القوادري وديوان افندي وشيخ قرية دوما وغيرهم إلى بيروت تحت الحفظ ، وفي سابع عشر ربيع الثاني انفصل معمر باشا والي الشام ،

---

(١) مدينة على ساحل قبرص الشرقي ، كانت سابقاً عاصمة الجزيرة .

وولى مكانه رشدي افندي الشرواني مفتي مجلس فؤاد باشا قائمقام لا بالأصالة ، وبهذا التاريخ حضر فرمان سامي من الدولة مضمونه ان فؤاد باشا مفوض الرأي في عرب ستان لا يحتاج إلى مخابرة الدولة ، وفي حادي وعشرين من ربيع الثاني طرحت الحكومة المال القديم المكسور وقسطوه على ثلاث دفعات ، في كل مدة ثلاثة أشهر قسط ، وكل قسط بمقدار كامل الترابية ، وفي خامس وعشرين من ربيع الثاني يوم الجمعة وجهت رتبة إفتاء دمشق الشام على محمد أمين افندي الجندي ، عوضاً عن طاهر افندي المنفى إلى الماغوصة ، وفي يوم السبت الحادي عشر من ربيع الثاني سافر والى الشام الأسبق معمر باشا إلى الاستانة لفصله من منصبه ، وفي يوم سادس وعشرين من ربيع الثاني أغلق فؤاد باشا المحاكمة والتفتيش على التهمة ، بحيث لو اشتكى واحد من النصارى بأن فلاناً قتل ولدي أو والدي أو أخذ مالي لا يقبل منه ، لأن القضية من وقتئذ انتقلت إلى البدل بالمال ، وقد ألقى الباشا المرقوم خطابه على العموم بقوله (قد عرف الناس اجمعون أن الحادثة المؤلمة التي حصلت في مدينة دمشق كانت جناية عظيمة مخالفة للشرع الشريف ، وللقانون المنيف ، وقد أورثت تأثراً عميقاً وكدراً بليغاً في قلوب أهل الإسلام قاطبة . ولما كان منوطاً بذمة همة السلطنة السنية ايفاء مقتضيات عدالة الشريعة ، فقد اجريت مجازاة الذين تحققت مشاركتهم في الجناية المذكورة على درجات مختلفة ، وكما أن تلك الواقعة كانت من أخص الأشياء المستهجنة والمكروهة جداً لدى ذوي العرض من أهل دمشق وضواحيها ، كذلك الذين افلتوا من محال المجازاة الدنيوية سيعيشون بالخوف والرعدة تحت طائلة ترهيب الجزاء الذي جوزي به رفقاؤهم منتظرين المجازاة العادلة ، من لدن الله العزيز ذي العدل والانتقام وإن في ذلك لعبرة مؤثرة للجميع ، لأننا نرى واضحاً لوائح الأسف والندم ظاهرة عليهم . ولما كان أهالي المحلات الذين كانوا سبباً لهذه الواقعة قد نالوا جزاءهم بتحملهم اضرا

الأهالي المصابين بواسطة الضريبة التي قر القرار الآن على تحصيلها منهم ، وكان استحصال الأسباب التي من شأنها إيجاد الائتلاف المطلوب دوامه واستقراره بين عموم صنوف التبعة السلطانية من أهم الأمور وأقصى المرغوبات ، فقد أغلق من الآن فصاعداً بالكلية باب المحاكمة والتفتيش على التهمة نظراً إلى الواقعة السابقة ، بشرط أن تدوم باقية الأحكام الجزائية التي جرت حتى الآن ، وبما أن هذا القرار هو أثر المرحمة السنية ، والشفقة الملوكية ، وبما أن التبعة السلطانية المصابين وان كانوا مجروحي الأفئدة والقلوب ، مابرحوا يظهرون خلوّ أفكارهم من التفتيش على الانتقام الشخصي ، بناء على أن اولئك الذين أوصلوا لهم المضرة بايدي التعـدي قد استتروا ، مستظلين فيما بين أهل العرض اخوتهم في الوطن ، فيجب والحالة هذه على كل انسان أن يثابر على وظائف ذمة التبعية والانسانية بتمامهـا ، مجتنباً ومتوقياً كل التوقي الحركات المخالفة للرضا العالي ، وليعلم الجميع أنه من الآن فصاعداً كل من وقع منه أدنى معاملة رديئة وسوء قصد بحق غيره بأية صورة كانت جليلة أو حقيرة ، فبحسب المنحة السنية المعطاة لنا من طرف الحضرة السلطانية ، لايحصل أدنى تأخر عن مجـازاته القانونية ، وبناء عليه أصدرنا هذا الاعلان لإصلاح أحوال سورية ، ليحيط الناس به علماً انتهى .

وفي يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى حضر الى الشام معتمدون من طرف الدول الأجانب الأروباوية ، لينظروا بما حصل على النصارى وبما حصل من المجازاة على الأشقياء ذوي التعدي ، ثم إنه في هـذا التاريخ أرسل فؤاد باشا اعلانات لسائر الأثمان ليقرأ على العموم ، بحيث لايجهله أحد ، ونصها حرفياً : هو معلوم لدى الجميع أن الواقعة المؤلمة التي حصلت في دمشق لم يسبق لها مثال ، ولا ذكر لها نظير في التواريخ القديمة ولا الحديثة ، وهي مادة فاضحة منافية لأحكام الشريعـة المحمدية

العادلة ، ومخالفة للانسانية والمدنية ، وبما أن الله سبحانه قد كلف عباده العدل والإحسان ، وأمرهم أن يتجنبوا الجور والغدر ، وبما أنه فرض على ذمة ولي الأمر انفاذ الأوامر الإلهية على الدوام ، فقد تعلقت الارادة السنية بان تجري على الفور المعاملات التي يقتضيها الحال في هذا الباب ، فأصحاب الجنايات قد لقوا تأديبهم وتربيتهم جزاء لقبائحهم وذنوبهم التي ثبتت لدى التحقيق بالبراهين الكافية ، والذين أفلتوا من المجازاة الدنيوية فانهم ينتظرون بالندم عقاب الآخرة على ارتكاباتهم ، ثم لايخفى أنه من آثار تلك الواقعة ، هو أن المظلومين المصابين هم محرومون أموالهم وبيوتهم وأشياءهم ، وأن كثيراً من التبعة السلطانية لامحل لهم ولا مأوى يتعيشون من الإعانة المعطاة لهم من طرف الدولة العلية ، ولما كان استحصال الأسباب لإصلاح أحوال هؤلاء المصابين ورفع اضطرابهم من أخص مرغوبات الدولة العلية كان يجب على أهالي دمشق وأهالي الايالة قاطبة صرف الهمة والجهد في هذا الباب ، لأجل تطهير وطنهم من هذه النقيصة التي عرضت له ، وبناء عليه ينبغي أن يعطى هؤلاء المصابون المسيحيون مبلغاً كافياً من الدراهم لأجل تعمير بيوتهم وترميمها ، ولأجل سد احتياجاتهم الضرورية ، وتيسير لوازمهم ، ومع أن أمر تحقيق متلفاتهم هو مباشر فيه الآن ، ومعلوم أن ايفاء جميع تضميناتهم دفعة واحدة من الأهالي هو خارج عن دائرة الامكان ، وان أمر تسوية ذلك من طرف الخزينة هو مما لايساعد عليه الوقت ولا الحال ، ومن ثم قد حصل القرار على طرح ضريبة فوق العادة على أهالي مدينة دمشق نفسها ، وأهالي النواحي الأربع التي في جوارها ، والقضاوات التابعة لها ، وعلى طلب اعانة من بعض المحلات ، وقد أعلنت صورة طرح ذلك وطريقة استيفائه في قرار مخصوص ، فالدراهم المطلوبة الآن ضريبة فوق العادة ، ربما

ظهرت في أول الأمر كثيرة ، إلا أنها تظهر لامحالة قليلة ، إذا قيست بالجناية الواقعة ، وحسبت القسامة الشرعية عن المقتولين الذين لايعرف قاتلوهم ، لأنه في دمشق لم يتلف المال فقط ، بل أريق دماء كثيرين أيضاً كما لايخفى ، وبما أن أمر التعمير وتضمين الضرر الذي لحق بمسيحيي دمشق هو من مقتضيات معدلة الشرع والقانون ، تكون الدراهم التي تعطى لذلك ايفاء وظيفة وخدمة عائدة إلى المعدلة ، وتكون المساعي التي تصرف وجوبا لاصلاح أحوال المصابين واسطة لتطهير ذلك القطر من وصمة الدم المظلوم الذي التطخ به ، ووسيلة لزوال عارض الكساد الذي اعترى صنائعه وتجارته ، وبما أن باب الدعاوى والمحاكمات من جهة الوقوعات السابقة قد أضحى من الآن فصاعداً مغلقاً كما تبين في اعلان آخر ، فمهما بذل طمعاً في استحصال كذا نتيجة لايكون شيئا كثيراً ، وإذا كان ماطرح على كل انسان مطابقاً لقاعدتي العدل والحقانية ، لاينبغي لأحد أن يستصعب اداء مايلحقه من ذلك ، بل يليق بكل انسان أن يسمح بخسارة شيء من فخره وراحته بواسطة الحصة التي يؤديها حباً بدفع هكذا بلية ، فانه لايخل برفعة واعتبار من كانت عادته ركوب جواد مسوّم مثلا إذا ركب برذونا ، ولا باعتبار من اعتاد تناول الأطعمة النفيسة المتفننة أن يقتات بالطعام البسيط ، والإنسان العاقل يجب عليه أن ينظر إلى المصيبة التي أصيب بها جاره ، ولا يلتفت منعكفاً على خسارته المالية ، وليعلم أن تأدية ماتوزع من هذه التضمينات في المدة المعينة هو فرض لابد منه ، وعلى موجبه يكون اجراء العمل ، ومن أظهر أدنى رخاوة أو تهاون في ذلك لايمضي أدنى وقت عن اجراء تربيته وتأديبه ، ولكي يكون ذلك معلوما لدى الجميع قد نشر هذا الإعلان ، لإصلاح أحوال سوريا فاعلموه واعتمدوه كل الاعتماد . انتهى ، ثم ان فؤاد باشا

تاسع جمادى الاولى عين في كل ثمن من أثمان دمشق مجلسا مؤلفا من أعضاء ورئيس ، لكي يطلبوا أنفاراً ودواب لتعزيل حارة النصارى من التراب ، لتيسير عمارتها وإعادتها ، ونظير ذلك في القرى المجاورة لدمشق من مسافة عشرة أميال إلى سور البلد من النواحي الأربع ، وأرسلوا كذلك مأموراً بأن يقطع الاخشاب اللائقة للعمارة ، ويحضرها إلى محلة النصارى ، وفي غرة جمادى الثانية حصل الأمر بعد" الأنفس ، وقد تمت دفاتره في غاية رمضان ، فانتهى في مدة أربعة أشهر ، وفي سابع عشر من جمادى الثانية أرسلوا جملة من العساكر إلى أربع قرايا حول الشام سكانها من الدروز ، وهي صحنايا والأشرفية وجرمانة والدرخبية ، فقبضوا منهم على نحو مائة شخص ، وحرقوا جرمانه ، ووضعوا الاشخاص في الحبس ، وفي يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الثانية دخل الشام واليها أمين باشا ، وفي يوم الاربعاء ثاني رمضان توفي عمر افندي الغزي في قلعة الماغوصة ، وفي عشرين من رمضان وجهت النقابة إلى الشيخ أحمد الكزبري ، وفي ختام رمضان توفي جناب أحمد افندي النقيب في رودس ، وفي عاشر شوال فرض على الشام الفان وثمانمائة كفية منضا بولاد للعساكر الشاهانية ، وفي سادس وعشرين من شوال جمع فؤاد باشا جملة من اهل البلد وتلا عليهم ما قر قراره عليه من فرض أموال لعمارة حارة النصارى ، وأنه سينشر لها قانوناً مخصوصا مفصلاً ، وفي غاية شوال سافر فؤاد باشا ومعه حرمه الى بيروت ، وفي عشرين من ذي القعدة الحرام أرسل فؤاد باشا القانون الموعود بذكره وسماه قرار الضريبة ، وإعانة فوق العادة المطروحة الآن على أهالي ولاية الشام ، فأرسلوه إلى مجالس الأثمان ورؤساء النواحي ليعملوا بمقتضاه مع التشديد ببذل الهمة ، وهذا القانون مؤلف من احدى وعشرين مادة مفصلة ، وأنا أذكرها لك بجملة ، لطول تفصيلها المخرج لنا عن نهج الاختصار المطلوب . ونص مقدمته : « بما أن أناسا كثيرين من التبعة السلطانية المسيحيين قد

نهبت أموالهم واحترقت بيوتهم في خلال المصيبة التي ألمت بهم ، في الوقعة
المؤلمة المعلومة التي نشبت في دمشق ، فكان من مقتضى المعدلة السنيـــة
النظر في تضمين أضرارهم ، واصلاح أحوالهم ، فلهذا حصلت المبـــادرة
لتخمين كمية هذه التضمينات وتعيينها ، على وجه الحقانية ، وسيظهر مقدارها ،
وكيفما كان لابد أن يتبين أن ذلك مبالغ جسيمة ، وكما أن هذه الوقعة
نشأت في البلدة المذكورة بالمشاركة مع القرى الواقعة بأطرافها ، فكذلك
أهالي بعض القضاوات كانوا مشتركين في الوقعة المرقومة ، وفي الوقوعات
التي حدثت في سائر جهات الولاية ، ولهذا أضحى يلزمهم أيضاً أن يتحملوا
جميع هذه التضمينات ، التي لو أخذت بتمامها من دمشق ونواحيها والقضاوات
التابعة لها لما كان شيئاً مغايراً للعدل ، نظراً للجناية الواقعة ، لكن بما
أن هذا موجب لخراب الأهالي بالكلية الذي لايمكن تجويزه ، فالسلطنة
السنيّة مع ماهي فيه من أنواع المصارف والمشكلات صارت مضطرة أن
تعطي خزينتها الجليلة ، من اصل هذه الدراهم ، المقدار الخارج عن درجة
تحمل الاهالي ، وهكذا من كون تحصيل المبلغ المقتضى أخذه من الاهالي
في دفعة واحدة موجبة لزيادة التضييق عليهم ، رئي ان يتحصل منهـم
جانب في دفعة واحدة ، والباقي يعطى من خزينة الدولة على شرط ان
يتحصل فيما بعد من الاهالي بالتدريج ، في الاوقات المناسبة المعتـــدلة ،
على أن تلك الدراهم التي ينبغي اخذها منهم دفعة واحدة تتحصل في أقرب
وقت ، لكي يعطى لكل من مصابي المسيحيين المتعيشين من الاعانـــة
مقدار على الحساب من أصل تضميناتهم ، ويحصل التشبث حالاً في مقدمة
أسباب إصلاح أحوالهم واعادتها ، ويغلق مع هذا باب كبير دعـــاوي
الجناية ، ويستحصل أمر حسن الائتلاف المهم المطلوب دوامه بين الأهالي ،
وكما أن أهالي تلك المحلات المشتركين في هذه الوقوعـات ، والمتداخلين
بها يجب عليهم أن يؤدوا اتاوة فوق العادة لأجل التضمينات ، والسلطنة

السنية قد اختارت من الفداية أنواعاً كثيرة في سبيل اصلاح هذه المصيبة ومحو آثارها ، فهكذا يجب على سائر أهالي المملكة بحسب حميتهم المجبولين عليها أن يعطوا على غير معنى المجازاة ، اعانة على مقدار درجة تحملهم لأجل دفع هذه البلية التي عرضت على وطنهم العمومي ، وبما أن الملكية التي يقتضي اعطاؤها من طرف خزينة الدولة لأجل عموم التضمينات ، والحصة التي يجب على الأهالي ايفاؤها مع المبالغ المقتضي أخذها بالتدريج ، سوف تعرف مقاديرها في ختام تخمين التضمينات ، فقد نفذ الحكم الفصل من لدن مأمورية فوق العادة ، المخصوصة لإصلاح أحوال سورية ، محتوياً على تبيين مقدار ضريبة فوق العادة التي تخصصت الآن على أهالي المحلات المتداخلين في الوقوعات ، مع المقدار الذي ينبغي أن يفرض على أهالي المحلات الغير المتداخلين بذلك ، أن يعطوه على سبيل الإعانة دفعة واحدة .

(المادة الأولى) إن المبلغ الذي تعين أخذه دفعة واحدة من ايالة الشام ، على حساب عموم تضمينات الوقوعات السابقة ، بشرط أن يستثنى من ذلك الأهالي المسيحيون ، وأولئك الأشخاص المعلومون الذين شوهدت منهم الخدمة في الوقوعات المذكورة ، بلغ لدى الحساب تسعين ألف كيس ، فمن ذلك مبلغ خمسة وثمانون ألفاً وسبعمائة وسبعة وستون كيساً ينبغي طرحها على المحلات المتداخلة في الوقوعات المعلومة ، التي هي (أولاً) نفس مدينة دمشق ، ثانياً قرى النواحي الأربع ، ثالثاً قضاوات بعلبك والبقاع وحوران وجيدور وجبل الدروز الشرقي وحاصبيا وراشيا ، ويكون تحصيلها منهم جزاءً نقدياً وضريبة فوق العادة ، وأربعة آلاف ومائتين وثلاثة وثلاثون كيساً تتمة المبلغ ، ينبغي تحصيلها على صورة الإعانة من قضاوات حمص وحماة وحصن الأكراد ومعرة النعمان وعجلون والقنيطرة وايكي قبولى .

(المادة الثانية) محصلها تسهيل تأدية مبلغ التسعين ألف كيس بأن يحسب منها ثمن الأخشاب واجرة ازالة التراب من حارة النصارى ، وكيفية جمع الأموال ، وهكذا بقية المواد إلى آخرها كلها متعلقة بالبيان والتفصيل والتخصيص بمقادير مخصوصة على المحلات القريبة والبعيدة مما لا حاجة إلى ذكره ، بعد معرفة اجمال المقصود وبيانه مما ذكرته . فلما علم الناس هذا الحال ضاق أمرهم لذلك ، وصاروا يبيعون متاعهم وأثاث بيوتهم في هذه المصيبة التي كانت سماً قاتلاً على النصارى والمسلمين ، فكأنه انتقام على أمر عظيم أصاب الناس جميعاً صالحهم وطالحهم ، نسأل الله العافية وأن يلهم الجميع صبراً ، وأن يعوضهم خيراً وأجراً . ثم بعد تمام هذه الأحوال ، وترتيبها على هذا المنوال ، وجهت الصدارة العظمى لفؤاد باشا وطلب إلى دار السلطنة المحمية فخاطب أهل سورية عموماً وخصوصاً بهذا الاعلان ، وهو قوله :

يا أهل سورية انني سأفارقكم نظراً لتوجيه خدمة الصدارة عليّ من احسان حضرة ولي نعمتنا مولانا السلطان المعظم ، وبما أن الوقائع المؤلمة التي نشبت اظفارها في العام الماضي بهذه الجهات ، وكانت موجبة لنفور أهل العرض قد زالت ولله الحمد آثارها الرديئة ، بظل ظليل التوفيقات السلطانية ، واستقرت راحة المملكة وامنيتها ، وحصل التشبث باستحصال الأسباب الموجبة اصلاح أحوال الاهالي المصابين ، تروني الآن راجعاً الى دار السعادة مصحوبا بالتسلية الوحيدة ، وهي انني اشاهدكم ان شاء الله تعالى في وقت قريب بحالة سعيدة ، تنسيكم الحالة التعيسة التي أصابتكم قبلاً ، وبما أن المأمورية المحولة لعهدتي ، هي بدون استثناء خدمة لحصول آثار النية السلطانية الشفوقة تماما نحو كافة التبعة الملوكية ، وحال اجتهادي بذلك ساعتني بالأخص في أشغال هذه الجهات ، لكوني من بعد الآن اعتبر ذاتي سوريا قلبيا ، وعلى وفاق الأمر الواجب الاذعان الملوكاني ،

قد احيلت محافظة صيانة المملكة واستودع إصلاح تأمين أحوال الرعية لعهدة مشير المعسكر السوري السلطاني ، حضرة صاحب الدولة عبد الحليم باشا ، وصفات المشار اليه وغيرته واستقامته الثابتة ، تمنح الكفالة اللازمة للجميع ، وكافة المأمورين الكرام أيضاً هم ومن بدوائرهم من كونهم سيصرفون الاقدام التام بهذه الخصوصات ، لا ريب بان الجميع يكونون مستريحي البال في ظليل الاقتدار السلطاني ، اذ لا يحصل أدنى نقصان في اثار المراحم الملوكية التي صرفت حتى الآن نحو الأهالي المصابين ، فيجب في مقابلة ذلك ان جميع الأهالي تكون حركاتها موافقة لآثار أفكار الحضرة السلطانية الخيرية ، ويكون كل صنف من التبعة متمسكا بقاعدة الاتحاد وحب الوطن وخدمته ، والقيام بايفاء أوامر الدولة والوظائف السلطانية بالتمام ، كما هو المأمول بحميتهم ، وبما أن حضرة المشير المشار اليه مأذون باجراء التأديبات السريعة الشديدة بحق الذين يتجاسرون سواء كان شخصاً أو جمعية على وقوع أدنى حركة مغايرة للرضى العالي ، اقتضى اشهار هذا الاعلان من مقام الصدارة العظمى ، ليحيط الجميع علماً بما فيه ويتجنبوا مخالفته انتهى .

ثم انه بعد ذلك استقامت الأحوال ، وأخذ الكرب الشديد يميل نحو الاضمحلال ، وابتدأت المحبة تعود بين عموم أهل الوطن ، وزالت عن الجميع تواترات المحن ، وتألفت القلوب ، وتنحت الكروب ، وكاد أن يعود الوداد الى أصله ، واضربت الظواهر صفحا عما كان ذلك الكرب والغم من أجله ، إلى أن أعاد الله المحبة القديمة ، والراحة العميمة ، وحقت كلمة العذاب على أهل الشقاء ، ودارت عليهم والعياذ بالله دوائر البلاء . فالحمد لله على راحة العباد ، وعود المحبة بين العموم والوداد ، وقد تم

الكلام على هذه الحادثة بالاختصار الغير المخل ، ولو أردت ذكرها بتفاصيلها وتفاريعها لأدى ذلك الى الاسهاب الممل [١] . والله أعلم .

الأمير احمد افندي الروزنامجي المعروف بالصفاتي الشافعي المصري

الجناب العالي ، واللوذعي الغالي ، قال الجبرتي في ترجمته : ذو الرياستين والمزيتين والفضيلتين ، تقلد وظيفة الروزنامة بديوان مصر عندما كف بصر اسماعيل افندي فكان لها أهلا ، وسار فيها سيراً حسنا ، بشهامة وصرامة ورباسة ، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، وحضر في الفقه والمعقول على أشياخ الوقت قبل ذلك ، وكان يحفظ متن الألفية لابن مالك ، ويعرف معانيها ويحفظ كثيراً من المتون ، ويباحث ويناضل من غير ادعاء للمعرفة والعالمية ، فتراه اميرا مع الأمراء ، ورئيسا مع الرؤساء ، وعالما مع العلماء ، وكاتباً مع الكتاب ، توفي المترجم في عشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين ومائتين وألف .

الشيخ احمد الشهير ببرغوث المالكي الازهري

الورع العالم ، والكامل الذي كاد أن يقال إنه من كل عيب سالم ، ذو المناقب العديدة ، والمآثر الحميدة ، والفضائل الباهرة ، والنفس الرشيدة الطاهرة ، ولد بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة وتفقه على أشياخ العصر ، ومهر في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم ، وشهد الكل بفضله ، وكان على حالة حسنة معتزلاً عن الناس ، راضيا بما قسمه له مولاه ، منكسر النفس متواضعا ولم يتزيّ

---

(١) تجد تفصيلاً واسعاً لهذه الحوادث المؤسفة ، مع ذكر بواعثها ونتائجها ، في (ج ٣/٧٥ — ١٠٠) من خطط الشام للأستاذ كرد علي رحمه الله ، وقد نقلنا نبذاً منها .

بزي الفقهاء ، ولم يظهر بمظاهر العلماء ، يمشي في حوائجه لنفسه ، وتمرض بالزمانة مدة سنين يتعكز بعصاه ، ولم يقطع درسه ولا اجتهاده ، الى أن توفي يوم الأربعاء خامس شهر صفر سنة اربع وعشرين ومائتين وألف ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى آمين .

السيد احمد بن محمد بن اسماعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطي الطهطاوي الحنفي

العالم المشهور ، والفاضل الذي هو بكل فضيلة مذكور ، كان والده روميا ، فحضر إلى أرض مصر متقلداً القضاء بطهطا ، بلدة بالقرب من اسيوط بالصعيد الأدنى ، فتزوج بأمرأة شريفة ، فولد له منها المترجم وأخوه السيد اسماعيل ، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات عن المذكورين وأخت لهما ، فحضر المترجم الى مصر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف ، وكان قد بدا نبات لحيته بعـد ما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئا من النحو ، فدخل الأزهر ، ولازم الحضور في الفقه على الشيخ احمد الحمامي والمقدمي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي حضر عليه من أول كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع ، وتمم حضوره على الشيخ حسن الجبرتي مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن المذكور لدار السلطنة لبعض المقتضيات سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الشيخ حسن المذكور ، فأجابهم لذلك والمترجم معهم ، وفي أثنـاء ذلك قرأ المترجم مع ولد الشيخ حسن على الشيخ عبد الرحمن نور الايضاح ، بعد انصراف الجماعة عن الدرس ، وذلك لعلو السند ، فان الشيخ المذكور تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الشيخ حسن عن المؤلف ، ولم يزل المترجم يدأب في الاشتغال والطلب مع

جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه ، وتلقى الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الحليم الفيومي ، ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي عن الشيخ محمد عقيله بسنده المشهور ، ولما مات الشيخ ابراهيم الحريري تعين المترجم لمشيخة الحنفيــة ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستمر الى ان اخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا في شأنه إلى الدولة ونسبوا إليه ما لم يحصل منه ، وطلبوا الشهادة من المترجم ، فامتنع فعزلوه من المشيخة ، وقلدوها الشيخ حسينا المنصوري ، فلما مات اعيدت إلى المترجم ، وذلك في غرة صفر سنة الف ومائتين وثلاثين ، وفي هذه السنة بنى لنفسه مقبرة يدفن فيها بعد موته بجوار الشيخ ابي جعفر الطحاوي ، بالقرافة ، بجانب مقام الاستاذ المرقوم ، وغب ذلك تمرض وتوفي ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف ، وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في أربع مجلدات ، جمع فيها المواد التي على الكتاب وضم اليها غيرها رحمه الله تعالى .

الخطيب احمد البساطي المدني

هو من رجال اللآلىء ، الثمينة ، في أعيــان شعراء المدينة ، قال مؤلفها في ترجمته : جليل قدر نبتت في عراص مجده نبعات المحامد ، وفسيح مفاخر لها الوصف الكريم حامد ، ولطيف شمـائل تزري بلطف الشمول ، وظريف خصال تهب كنسيم القبول ، ظهر في الأدب باعه ، وحسن فيه انطباعه ، وبدت له فيه مزايا ، كمنت في زوايا خبايا ، كم له من قصائد باللطائف معمورة ، وازاهر كلام بقطر البداعة ممطورة ، تملأ المسامع سروراً وجذلاً ، وتهدي إلى القلوب طرباً متصلاً ، فمنه قوله مادحاً لي :

أهدي السلام لعزيز القدر   من ساد بالفضل أهالي العصر

أعني ابن عبد السلام من سما بالعلم اسمى رتبة في الفخر
سراجنا الفاضل ذا شمس الهنا باهى المحيــا مخجلاً للبدر
مترجم الأعيــان أهل طيبة في تحفة الدهر ونفح الزهر
شهماً أديباً راقياً أوج العلا ونظمه فــاق عقود الدهر[1]
ونثره اللؤلؤ ضــاء نوره إذا بدا كلامه في السطر
يظهر سره ومعنــاه لمن ينظر في ألفاظه بالفكر
إذا تأملت ترى في نظمه قولاً بديعاً وكذا في النثر
له معان واستعارات كذا علم بيان باهر كالسحر

وقد أجابه صاحب اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، وهو الفاضل العلامة عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني بقوله :

بدر الدجى بان لنا في الخمر أم وجه من رضا به كالخمر
وهذه لآلىء قــد نظمت أم أنهــا أسنان ذاك الثغر
وما أرى هل هو ورد ناضر أم حسن خد بالحيا محمرّ
وهل فتور في الجفون قد بدا أو الخمار أو دبيب السحر

وهي قصيدة طويلة ومن لطائف المترجم أيضاً قوله :

القلب من ألم الفراق مفرط والروح مني اليوم كادت تظهر
والجسم ملتهب بنيران اللظى والدمع من عيني دماً يتقطر
أبكي على ما حل بي من فقدكم والقلب مني عنكم لا يصبر
تعس الفراق وفعله يا سادتي قد أحرم الأعيان فيكم تنظر
لو تبصروا حالي وما قاسيته أو تسمعوا من بالحقيقة مخبر
لبكيتم حزناً على ما حل بي هذا المقدر في الجبين مسطر
يا هل ترى الرحمن يجمع شملنا بعد الفراق وكسر قلبي يجبر

ومن نظمه أيضاً قوله :

ناديت خلي كي يشرف موضعي فأجابني فوراً بغير تمنــع

---

(١) كذا وردت ولعلها : الدرّ

وافى بقد أهيف ولي انثنى ... شبه القنا من تحت ذاك المقنع
لما أتاني زائراً قبلتـه ... في ثغره الحالي فزاد تولعي
وله شرعت أقول أهلا يارشا[١] ... آنست صبك ياغزال الأجرع[٢]
قد كان يوماً أزهراً بوصاله ... فهو الحبيب
يسمو على الحور الحسان بطلعة ... كالشمس تطلع في سماء البرقع
فلقده يزري الغصون إذا مشى ... بتمايل ورشاقة وتصنـع
أودعته للواحد الأحد الذي ... أنشاه كالبدر المنير الأسطع
طعن القلوب بسهم قوس لحاظه ... طعناً قوياً نافذاً من اضلعي
ما شاهدت عيني مليحاً مثله ... رشقاً خفيف الروح ريماً أتلعي
هام الفؤاد به ومزق مهجتي ... هم الغرام صبابة بتوجعي
لما توجه رائحاً من منزلي ... ومضى لمنزله كظبي مسرع
أصبحت محزوناً لفقد جماله ... حيران في أمري أكفكف أدمعي
صرياح ولي للذي سكن الحشا ... أخبره أني منكو بتلملـع[٣]
رح قل له ارحم يا معنى مغرماً ، ... مضنى سقيماً لا يضيق ولا يعي
أعد الزيارة سيدي فلعلـه ... يشفى بقربك من أليم المضجع
فعساه يسمح لي بوصل عاجل ... يحيي به قلب الحزين المولع

انتهى باختصار توفي المترجم في القرن الثالث عشر .

السيد احمد باعلوي جمل الليل المدني

السيد المفضال ، المتحلى بملابس الحسن والجمال ، فلا ريب أنه غيث رياض الجود ، وغوث الملتجىء المنجود ، والحبر المسكي الارج ، فحدث عن البحر ولا حرج ، قرأ في المدينة المنورة وأخذ عن علمائها ، وحضر دروس أعيانها وفضلائها ، ومن أجلّتهم عملا وعلما ، وأكملهم جاها وقدراً

(١) ولد الظبية .
(٢) رملة مستوية .
(٣) تلَمْلع : ضَعُف من تعب أو مرض .

ومعرفـة وفهما ، الكبير الفاضل ، والخطير الـكامل ، محمد بن عبد الله المغربي السجلماسي الفاسي ، والعلامة الشيخ عبد الله الجوهري ، والشهاب احمد الدردير ، وتصدر في المدينة المنورة لافادة العلوم الشرعية ، والفنون العقلية والنقلية ، وهو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، لعمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني ، وقد ترجمه فقال : سيد شريف ذو قدر منيف ، ومجد ظله وريف ، وفخر غيثه وكيف ، وفضل كالبدر سناء ، والثريا علاء ، ونبل وبديهة ، وفكرة عن الخلل نزيهة ، فمثله من يمدح ذكاؤه ، ويُرقش [١] ثناؤه ، فانه الجامع أنواع المعالي ، والقاطف أزهار أغصان العوالي ، والمشتغل من ابتـــداء الشباب ، بالاستفادة والاكتساب ، حتى ملك من مسائل الفقه صعابها ، وكشف له الجد عن عرائس مخبآته نقابها ، فأصبح بسبب تحصيله ، في سائر الفنون فريد جيله ، ولـكم ابدى من النثار عقائل [٢] أفكار ، وفرائد بدائع ما لهن ثواني ، أحسن من المثالث والمثاني ، ومن سماع شوادي الغواني ، برقيق الأغاني ، كأنها الروض المريع ، والزهر البديع ، وله من النظم لمع أبهى من لوامع النجوم ، وأزهى من الدر المنظـــوم ، واسلس من الرحيق المختوم ، منهـــا قوله :

هذا العقيق وذي ربا أزهـــاره ... فانشق عبير خزامه [٣] وعراره [٤]

وانخ مطيك في حمـــاه فانه ... حمد السُّرى يهنيك طيب قراره

---

(١) أي يُنقش .

(٢) جمع عقيلة ، والعقيلة : من كل شيء أكرمه .

(٣) نبت زهره من أطيب الأزهار .

(٤) العَرار : بَهار البَر ، وهو نبت طيب الريح .

فاخلع ردا الترحال صاح وحل من ... عزم السفـار وثيق شد ازاره
وانزل بساحة ذا الكريم ومن يزف[١] ... بنزيله فيـداره في داره
غوث الوجود وغيثـه وملاذه ... ان تبدمن غاب الخطوب ضواره[٢]
مولى الأنام الهاشمي المصطفى ... والمعقل الأحمى لحومة جاره
والعوذ من ظمأ الزحام اذا همى ... هول الجحيم وكرّ كرب اواره
فاسكب دموعك في ثرى أعتابه ... وامسح خدودك في ثرى آثاره
واقصده في كل المقاصد راجيا ... وحذار أن ترجو سواه حذاره[٣]
واذا خشيت من الحوادث ريبها ... أو خفت بث صروفـه وضراره
فاجنح لناديه الرحيب وناده ... واخلص دعاك وقل تجاه مزاره
يا من له الجاه العظيم وربه ... لاشك يسعد منتمٍ لجواره
يا من إله العرش جل جـلاله ... خلق الوجود ليؤذنن بفخاره[٤]
إن الكرام ومنك كل نوالهم ... يرتاح فيضهم الى استدراره
كم جيد سؤل قد أتاك معطلا ... حلاه جودك من عقود بحـاره
نرجو بجاهك مـن إلهك نظرة ... في موقف العقبى وزفرة ناره
ورضا يعم الكل سيب سحابه ... والبرء من مرضى الفؤاد وعاره

انتهى مات رحمه الله ثالث ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين والف .

---

(١) وزَفَ يزِف : أسرع .

(٢) قدّمنا (ص ٧٤) أن لفظ الغوث في الكتاب والسنة وكلام العرب ، ـ كالاستغاثة ـ إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، بمعنى المدرك عباده بالشدائد إذا دعوه (الى آخر ما ذكرناه فارجع اليه) .

(٣) هذه غفلة عن قوله تعالى : « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ » وقوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » .

(٤) قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون » .

الشيخ أحمد الجامي المدني

هو من رجال اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، قال منشئها في ترجمته رحمه الله وأحسن مثواه :

الشهاب الثاقب ، المبدي من قطر قريحته للكلام أطايب ، فاضل ذو فكاهة أنست ابن هاني [1] ، ونكات ثمرها الجني للمقتطف داني ، وفصاحة ألانت له عصيّ الكلام ، وبلاغة طوعت له أبِيّ النظام ، فهو من العلم والأدب في الذروة العليا ، ومن طلاقة اللسان في الرتبة الأولى ، حلى من كلامه أجياد الادب بتمائم ، وطوقها من إحسانه بأطواق أبهى من أطواق الحمائم ، فمن نظمه الذي هو كالتبر المسبوك ، والزبرجد المحكوك ، قوله من ابتداء قصيدة أرسلها من الروم :

ما لذ لي بعدكم يا عرب ذي سلم	ربع ومن بُعدكم جفني القريح دمي
وما جرى ذكر ذياك العقيق وما	والاه إلا جرى مني عقيق دمي
ولا جرت نسمات من دياركم	إلا أهاجت بقلبي لاعج الالم
استودع الله أحباباً ألفت بهم	حيّا الحيا وسقا سفحا بسلعهم
ابناء فضل وآداب وليس سوى	رضيع ثدي العلا والحلم والحكم
لاعيب فيهم سوى أن النزيل بهم	بالروح يفدونه والمال والحشم
يا ليت شعري هل الأقدار تسعفني	يوماً وأحظى برؤياهم ووصلهم
لادر در الصفا لاذرّ شارقه	ولا همى بربواه سافح الديم

(١) الحسن بن هانىء أبو نواس : شاعر العراق في عصره ، قال الجاحظ : مارأيت رجلا اعلم باللغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس ، وقال الإمام الشافعي : لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم (م : سنة ١٩٨ هـ)

ان لم يكن معهم والشمل منتظم　　بقاع تلك البقاع الفيح والاكم

يا حادي العيس قم عني بواجبهم　　إذا نزلت بواديهم وربعهم

وقل لهم بعد ابلاغ التحية من　　مملوككم وَفِدًا أعتاب نعلهم

قربان قربانكم والمنحنى وقبا　　وجرفكم والنقا والبان والعلم

لهفي على نسمة من جزع عالية　　وظل ذاك الظليل البارد الشبم

لهفي على عَلّة أطفي بها لهبي　　من عين زرقائكم في الدورق الحرمي

مع ماحوته النخيل الباسقات وما　　من النعيم بذاك الجمع والنعم

لهفي على الروضة الفيحا ومنبرها　　ووقفة بمصلى سيد الأمم

لهفي على تلكم الآثار قاطبة　　وما حوته من الأوصاف والشيم

لهفي عليكم وناديكم وتربكمو　　وحادي الظعن والألحان والنغم

ما آن أن تنشلوا هذا الغريق أما　　آن التواصل ياجيران ذي سلم

ما آن ياسادتي أن تشفقوا كرما　　على الغريب الذي عنه الزمان عمي

الله في مهجة من فقدكم تلفت　　تداركوا رمقي ياساكني أضم

فإنني مذتوارت شمس طلعتكم　　في الحجب أمسيت ذا لحم على وضم[1]

وله وكتب بها على سفينة اشعار لصاحب اللآلىء الثمينة :

لما نظرت إلى سفينتك النفيـ... سة ياسراج وذقت حلو جناها

ورأيت فيها كل معنى يشتهي　　والفكر في بلهاتها قد تاها

حوّطت خردها الحسان بما أتى　　بتبارك الفرقان ثم بطه

لاسيما لما طلبت بفاقة　　ماء العذيب ولاح لي بلماها

---

(١) الوَضَم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ، ويقال : « تركهم لحماً على وضم » أي أوقع بهم ، فذلّلهم وأوجعهم .

وجبرن خاطري الكسير وقان لي　　لنولينك قبلة ترضاهــا
ثم انثنيت وقلت سبحان الذي　　في نيل مصر الحسن قد أجراها
لازلت ياسحبان وائل عصرنا　　بك بين أبنــاء العلا نتباهى

وله مخمساً بيتي مجير الدين الخياط

قل الذي فتكت أسنة هدبه　　في قلب عـاشقه ومهجة صبه
كم ذا تروّع آمناً في سربه　　يامحرقاً بالنار خد محبه
مهلاً فإن مدامعي تطفيه

فبمن حباك سهـام لحظ جارح　　لاتوقدن النار بين جوانحي
فإذا أبيت وكنت غير مسامحي　　أحرق بها جسدي وكل جوارحي
واحذر على قلبي لإنك فيه

توفي المترجم بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني

إمام فضل قد استوى على كرة الفضائل ، وهمام قول وفعل قد احتوى على نخبة الشمائل ، وفريد علم قد تحلى بالمجد والمكارم ، وحبر فهم قد اعترف له السادة الأكارم ، طلع في أفق الكمال بدره ، وسما في سماء الجمال قدره ، له نباهة تود النجوم الثوابت نيل علاها ، وطلعة محيا يتمنى البدر الوصول إلى سناها ، وأوصاف قد ترقت إلى أوج الشرف ، وكلمات كاللآلىء متجردة عن الصدف ، نثره كأنه الزهر اليانع ، ونظمه كأنه أقراط المسامع ، فمن قوله مكاتبا الشيـخ الاديب العلامة عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي رحمهما الله تعالى :

أعندك ماعندي من الشوق والوجد　　وهل أنت باق في المحبة والعهد
كابد أشجانا توقد نارهــا　　بقلبي المعنّى من بعادك والصد

وصدك عن مضناك داء دواؤه تدنيك من بعد القطيعة والبعد
فحتام تجفو من إليك اشتياقه تضاعف يا نجم المحاسن والسعد
وحقك لولا أن مأواك في الحشا لاحرقه الشوق المبرح بالوقد
وإني وان أخفيت مابي من الأسى عن الناس لايخفاك يا منتهى القصد
أيخفى غرامي وارتماضي بذا الهوى عليك وأشعاري تبين ماعندي
فعطفاً لمن لا يستلذ بعيشه لبعدك وارحم من تضعضع للود
وها أنا ذاك اللوذعي ومن له مكارم أخلاق تفوق عن الحد
وعمدة أرباب البلاغة والحجا وواحد هذا العصر أكرم بذا الفرد
وقدوة أعيان الحديدة من زها به اليمن الميمون فخرُ بني المجد
فإني هجرت الذ عرفت مكانه الرفيع وعنه ملت يا عاذل العد
دع الصد واسلك في المودة والوفا سلوك ابن ذي النورين ذي الفضل والرشد
هو الشهم عبد الله نخبة قادة بهم عرف المعروف حجتنا المهدي
خلاصة أهل الجود لله دره فمن مثله في العلم والحلم والرفد
كريم اذا استمطرت يوماً أكفه همت باللهى(١) من دون برق ولا رعد
عليه رضى الرحمن ما قال شيق أعندك ماعندي من الشوق والوجد

وقال مكاتبا السيد الفاضل والعالم العامل يوسف بن ابراهيم الأمير الكوكباني :

تذكرت من حالت عن الود والعهد ففاضت دموع العين شوقاً على خدي
خليلي مرا بالتي من بعادها أقضي الليالي بالتفكر والسهد
وقولا لها طال اجتنابك عن فتى غدا بك صبا لا يعيد ولا يبدي
فجودي بما يشفيه من ألم الهوى وينجو به من قادح الشوق والوجد

(١) جمع لهية : العطية ، أو أفضل العطايا وأجزلها .

عسى ترحمي الصب المعنى بزورة ... يفوز بها بعد القطيعة والبعد
رعى الله أياماً تقضت بقربها ... وليلات أفراح مضت في ربا نجد
بها كنت في روض الرفاهة مارحا ... فولت وآلت لا تعود إلى عهدي
نعم هكذا الأيام تمضي وعودها ... محال فمالي لا أميل الى الزهد
وحسبك يا قلبي حبيب موافق ... أمين وفي" لايخونك في الود
كمثل أخي المجد المؤثل يوسف ... أمير المعالي كوكب الفضل والرشد
شريف عفيف كامل ومهذب ... مناقبه جلت عن الحصر والحد
به أشرقت شمس المعارف والهدى ... على فلك العلياء مذ كان في المهد
جدير بأن يسمو على كل فاضل ... حري" بذا المدح المنظم كالعقد
فلا زلت بالعلم المكرم هاديا ... لأهل التقى والفضل ياخير من يهدي
بحرمة خير الخلق طـه وآله ... وأصحابه أهل المكارم والمجد

وقال مجاوبا عبد الله بن عثمان بن جامع أيضاً بقوله :

أيا من قد حوى كرمَ الطباع ... ومن هو للطائف خير واعي
وكنز جواهر الآداب حقـا ... وجامعها المفيد بلا نزاع
أتاني منـك مرقوم عزيز ... بديـع النظم يقصر عنه باعي
يذكرني به مامنه أضحى ... فؤادي في اشتعال والتياع
أتحسب يابن ذي النورين أني ... هممت بفرقة بعد اجتماع
فلا وعظيم جاهك لم يكن لي ... مرام في نوى أو في انقطاع
ولكني ابتليت بمعضلات ... غدا في حلهـا يجري يراعي
ومنها كنت مضطرباً لأني ... رأيت بها الفؤاد على ارتياع
فذلل لي المهين كل صعب ... بها والله راحم كل داعي
ولولاها اجل بني المعـاني ... وأحمدهم لما كان اندفاعي
ومثلك لايمل وأنت مغني اللبيب م ... ومؤنسي في ذي البقاع
فظن بذي الوداد المحض خيرا ... ودم واسلم بعز وارتفاع

وقال رحمه الله مادحاً العلامة المولوي إله داد الساكن في كلكته :

ذكر الحمى ومرابع الأخدان   اجرى دموع مكابد الأحزان
وغدا به قلقاً شميط الدار لا   ينفك من شوق إلى الأوطان
طوراً يئن وتارة يبكي على   زمن الصبا الماضي على نعمان
يهتز من طرب إذا ما غردت   قمرية سحراً على الأغصان
وينوح شوقاً للذين فراقهم   جلب الهموم لقلبه الولهان
ما واصلت في البعد عيناه الكرى   إلا السهاد وأدمع الأشجان
روحي فداكم فاسمحوا ياسادتي   بوصالكم للهائم الحيران
حتام هذا الهجر منكم والجفا   وإلى متى أبكي بدمع قان
وحياتكم لولاكم ماشفني   وجد ولا حل الهوى بجناني
بلغ نسيم الصبح ان جئت الحمى   عني سلاماً عصبة الإيمان
واشرح لهم حال الكئيب وقل لهم   منوا عليه بنظرة وتدان
أين المسيح لكي يعالج قلبه   ذاك الكليم بصارم الهجران
ووصالكم هو في الحقيقة مرهم   لفؤاده ومسرة للعاني
فعسى تلين قلوبهم لمتيم   صرفته قسوتها عن الخلان
ويفوز بعد البعد من ألطافهم   بدنوهم في أجمل الأحيان
مالي سواكم ياكرام وانتم   من كل خوف معقلي وأماني
أولاكم الرحمن عزاً مثلما   أولى العلا للعالم الرباني
اللوذعي إله دادا المقتدى   نجل الكرام ونخبة الأعيان
لقمان هذا الدهر افلاطونه   في كل علم فائق الأقران
بحر الفضائل والندى من فخره   ضاهى السها قدراً عظيم الشان
ريحانة الآداب هذا طيبه   يغنيك عن روح [1] وعن ريحان

---

(١) الراحة ، ونسيم الريح ، والفرح والرحمة .

قد حزت يا كنز العلوم جواهر المعـــقول والمنقول والقرآن
طوبى لشخص يقتني منك الهنا فليفخرنْ على ذوي العرفان
لولاك ماعرف البديع ولا بدت شمس المعاني في سماء بيان
جل الذي أولاك فضلاً شانه؟ في هذه الأصقاع والبلدان
فاسلم وعش ماهز مضنى هائم؟ ذكر الحمى ومرابع الأخدان

وقال رحمه الله :

أخا اللوم لايقضى بلومك لي أمر فدع لائمي ما عنه في مسمعي وقر
ودعني وما ألقى من الحب فالهوى أرى فيه عسراً يرتجى بعده اليسر
وإني وإن شحت سعاد بوصلها صبور ولي فيما أكابده أجر
فما الصب إلا من يعاني شدايد المحبـــة لا من قال أسقمني الهجر
وما الحر إلا من يرى الكرب راحة إذا ما رمي بالذل أو خانه الدهر
تغربت عن قوم إذا ماذكرتهم أسلت دموعاً لايماثلها القطر
ولكنني أخفي الصبابة والأسى وأبدي ابتساماً حيث يجري لهم ذكر
وهم سادتي لافرق الله جمعهم ومن نحوهم تعزى المكارم والفخر
متى تنطفي نار بقلبي من الجوى[1] وترجع أيام بها يشرح الصدر
ألا لا أرى في البعد للعيش لذة وكيف يلذ العيش من شفه[2] الفكر
رضيتم بهجري وارتماضي بحبكم وسركم ما منه مسنيَ الضر
سلام عليكم مارضيتم به هو الـــمرام ومثلي لايخون به الصبر
وإني لصبار على كل شدة رضاكم بها والصبر يتبعه النصر
وعهدكم عندي مصون وشيمتي الوفـــاء وحبي لايخالطه العذر
على كل حال أنتم القصد والمنى وأنتم ملاذ العبد والغوث والذخر

---

(١) شدة الوجد ، وداء في الصدر .
(٢) أنفد ما عنده .

وله رحمه الله :

أراك صددت عن الصب ظلماً   أيا عادل القدّ رفقا ورحما

تركت فؤادي يذوب اشتياقاً   وصيرتني أسهر الليل هما

أما منك لي رحمة والتفات   فقد عيل صبري لما بي ألمّا

ولولاك ماسلسل الشوق دمعي   ولا قلت في الحب نثراً ونظما

أيا عاذلي أقصر اللوم اني   أراك ارتكبت بذا اللوم جرما

فما نال من لام في الحب مضنى   كمثلي من رحمة الله قسما

وماذا دليلك في اللوم قل لي   فإن الهوى مذهب لن يذما

أراك تبالغ في لوم صب   أحاط بفن الهوى المحض علما

عدمتك اني راض بما قد   براني فدعني إمّا وإمّا

خليلي مالي وللدهر أضحى   يروم انخفاضا لقدري وهضما

ألم يدر أني شهاب المعالي   لعمري منكر ذا القول أعمى

خليلي هل بسعد الدهر يوما   على مابه يهلك الضد غمّا

وإني لذاك الهِزَبْرُ الجسور   الهمام الذي قد سما الشمس عظما

فما للأعادي يرومون ذل   العزيز المبجل جاهاً واسما

أغرّهم مني الحلم تبّا   لآرائهم لم يكن ذاك حلما

ولكنه يا خليليّ مني   دهاء به رمت كشف المعمّى

أنا ابن الكمال ورب الفخار   فلا غرو ان فقت عربا وعجما

مقامي جليل ومجدي أثيل   وفرعي إلى محتِد [1] الجود ينمى

وله عفي عنه :

أيحسن منك هجر الصب ظلما   وإعراض يزيد القلب سقما

وفيك نثرت من دمعي جمانا   بقرطاس الخدود فصار نظما

---

(١) المحتد : الأصل ، يقال : فلان كريم المحتد

أمحبوبي دع الهجران اني ... أكابد فيه آلاماً وهمـا

وجد بالوصل بعد الفصل يامن ... سلوت بحبه دعداً وسلمى

بطلعتك المضيئة خل هجري ... جعلت فداك موج الشوق طما

وفي قلبي من الأشواق نار ... فكيف خمود نار الشوق مهما

أعيذك بالمهيمن من عذابي ... ومن مقت بها قد حرت وهما

ترفق بي مليك الحسن وانظر ... بعين اللطف نحو العبد رحمـا

فقد زاد الغرام الذ براني ... وقل الصبر مما بي ألمـا

أراك وأنت ذو خلق كريم ... جفوت فتى إلى الأنصار ينمى

أنا ابن محمد من فاق فخراً ... على الأقران بل عربا وعجما

وها أنا ذا كسبت الفخر منه ... وفقت نظائري وأيا وفهما

وإني اليوم أشعر من زهير[1] ... وفي الآداب أكثر منه علمـا

فدع ماقيل في اليمني جهلا ... أينظر لمعة المصباح أعمى

وفي كلكتة[2] جهلوا مقامي ... مجاهيل فهل حقرت إسما

أضاعوني ولكن لا أبالي ... بذي جهل ولا قد خفت مما

تنـح عن العذول ضياء عيني ... فقربك منه يوجب فيك ذمـا

---

(١) ابن أبي سلمى ، أحد أصحاب المعلقات في الجاهلية ، ومن أشعر شعراء عصره ، قال ابن الأعرابي : كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين . وأخته الخنساء شاعرة . كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها ويهذبها في سنة ، فكانت قصائده تسمى (الحوليات)

(٢) مدينة مشهورة في الهند ، وهي عاصمة البنغال .

وعجل بالوصال فإن وجدي تضاعف والجوى يزداد حدما
معاني ماتضمنه بياني لها شرح لطيف فاحتفظ ما
ودم في نعمة ونعيم عيش ومنزلة تضاهي الشمس عظما

وله غفر الله ذنوبه :

جفا من لست أذكره براني وهيج لي غراماً في جناني
وحال عن الوداد ولم أحل عن مودته وظلماً قد جفاني
أيحسن منك يامولاي هجري بلا ذنب وتعلم ماأعاني
دع الإعراض وارحم حال صب لبانته الزيارة والتداني
ورشف رضاب ثغرك واعتناق أنال به المسرة والأماني
وحسبك مابليت به فإني وعزك ذي المحاسن في هواني
أراك نسيتني وسلوت ودي وأوجبت التجافي عن مكاني
فأين العهد والود المصفى وذاك الوصل في ذاك الزمان
أعد نظراً إلي فإن قلبي لعمرك إن أطلت الهجر فاني
سألتك بالهوى العذري أن لا تضن بما يسر به جناني
فها وجدي تضاعف منه كربي وصيرني حديثاً في المغاني
جعلت فداك فاسمح بالتلاقي ولا تجعل جوابي لن تراني
وعش في نعمة وعلو جاه بطه الطهر والسبع المثاني

وله لطف الله به :

النفس كادت أن تذوب من الجوى فإلى متى هذا التفرق والنوى
يامتلفي بالبعد عنه وقاتلي بالصد رفقاً بي فقد آن التوى
عجل بوصل موصل لي صحة أشفي بها سقم الفؤاد من الهوى
وارحم فما للصب صبر ممرضي من بعد هذا اليوم يانعم الدوا

وله عفي عنه :

قلم الولاء جرى بنور سوادي ... لذوي الفخار السادة الأمجاد
فبدت به كلمات مقول شاعر ... يسمو بها شعراء كل بلاد
أهل الكسا ما رمت غير جنابكم ... ووادكم فارعوا عظيم ودادي
أهل الكسا ماحلت عن منها جكم ... وبكم أنال الفوز يوم معادي
أهل الكسا اني أسير هواكم ... وبه وجاهكم حصول مرادي
أهل الكسا أنا لا أميل وحقكم ... عنكم بلوم ذوي قلى وفساد
أهل الكسا من لامني في حبكم ... يصلى غداً ناراً مع ابن زياد
هو ذاك من آذى النبي بسوء ما ... أبداه بغضاً في أبي السجاد
ومع الذين لهم فضائح جمة ... وقلوبهم ملئت من الأحقاد
أهل الكسا إني ابتليت بعصبة ... كرهت سماع حديثكم في نادي
وإذا ذكرت مناقباً ظهرت لكم ... في محفل أعزى إلى الإلحاد
أهل الكسا طوبى لمن والاكم ... ياسادتي تعساً لكل معادي
أهل الكسا زعم الروافض أنني ... منهم واني تابع الأوغاد
كذبوا فما أنا سالك بطريقهم ... ومحبة الأصحاب عين رشادي
ومحبة الأصحاب لاتنفي الولا ... لكم ورافضها حليف عناد
أهل الكسا جحد النواصب فضلكم ... والفضل كالشمس المنيرة بادي
ومرامهم اني أوافقهم على ... لمز لهم جلت عن التعداد
إني أحول عن الصلاح وأبتغي ... طرق الفساد ومسلك الاضداد
والله لست براغب عما به ... يرضى الإله وسيد الأمجاد

وله لطف الله به :

إن أردت الفوز بالأمل ... لذ بطه سيد الرسل
وبقوم صاح ودهم ... جاء فيه النص وهو جلي

أهل فضل خاب منكرهم … دع ولاة الجهل والخطل
والتزم بالصحب من نصروا … دين أصفى الأصفيا فسل
هم نجوم للهدى ولهم … خير مدح في الكتاب ملي
أفضل الأصحاب أولهم … خدنه في الغار خير ولي
بعده الفاروق صاحبه … من سما بالعلم والعمل
ثم ذو النورين ثالثهم … جامع القرآن ثم على
فارس الهيجا ابو حسن … نجل عم المصطفى البطل
حبهم فرض وبغضهم … موجب الإيقاع في الزلل
ضل من بالرفض ملتزما … داحضاً للحق بالجدل
كيف من ذم الصحاب يرى … انه في أقوم السبل
ذر حبيبي عصبة رفضت … سنة المختار لا تمل
هم طغاة لاخلاق لهم … قبحوا في سائر الملل
رب فارحم من نجا وحمى … من شرور الغي والخبل
بالبشير الطهر سيدنا … خير هادٍ خاتم الرسل

وله رحمه الله تعالى :

أثار هواك ناراً في فؤادي … وحرك لي غراماً غير بادي
فها انا ياصبيح الوجه مضنى … وجفني قد جفا طيب الرقاد
وبي مالا أطيق له اصطبارا … من الشوق العظيم ومن ودادي
فجد بالله للصب المعنى … بوصل منك فضلاً يامرادي
وعجل بالجواب لمستهام … ودم في لطف رزاق العباد

ذكر المترجم المرقوم في كتابه نفحة اليمن أنه كان سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين في الهند في كلكته ولم أقف على سنة وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد سعيد بن الشاه أبي سعيد بن الشيخ صفي القدر ابن الشيخ عزيز القدر بن الشيخ محمد عيسى بن الشيخ معصوم بن الإمام الرباني مجدد الالف الثاني الشيخ احمد الفاروقي السهرندي

درة إكليل الأولياء ، وغرة جبين الأصفياء ، وجامع فرقان المحامد ، ومرشد المسامع إلى قبول المقاصد ، فهو القائم بكل مطلوب ، والرائم لكل مرغوب ، والناهج نهج أصله ، والمقتدى به بقوله وفعله ، من تشرف العصر بوجوده ، وابتسم ثغر الدهر لمطالع سعوده ، فكان من أكمل اهل الدلالة إلى مقاصد السعادة ، ومن أرشد ذوي الارتقا إلى مراتب السيادة ، فهو القطب المفرد ، والعلم الأوحد .

ولد هذا الهمام الاكمل ، في غرة ربيع الاول سنة سبع عشرة ومائتين والف ، وكان مرموقاً بعين العناية واللطف ، وكانت ولادته في بلدة ريبور ، ذات الأمر المشهور ، وتربى من أول يوم في مهد والده المعلوم ، وارتضع منه ثدي المعارف والعلوم ، وتخرج على يد العلامة الأوحد ، والفهامة الأمجد ، فهامة زمانه ، وعلامة أوانه ، المولوي فضل الإمام عليه رحمة الملك السلام ، والعلامة الشيخ سراج الدين المفتي إمام المعقول والمنقول ، وعمدة ذوي المعارف في القواعد والأصول ، وعلى يد غيرهما من السادة الأفاضل ، والقادة ذوي الفضائل ، وتلقى فن الحديث الشريف ، ذي القدر المصون المنيف ، بفروعه وأصوله ، ومعقوله ومنقوله ، مع سماع الكتب الستة وغيرها ، عن عمدة علماء تلك البلاد وذوي قدرها ، من أجلهم مشايخ والده بروايتهم لها عن والدهم الشيخ ولي الله عن الشيخ العلامة ، والبحر الفهامة ، الشيخ أبي طاهر محمد المدني ، عن والده عين الافاضل ، وكنز الفضائل ، الشيخ إبراهيم الكردي ، عن الشيخ علم الاعلام ، ونخبة السادة العظام ،

احمد القشاشي ، عن الشيخ المشهور ، من هو بكل فضيلة مذكور ، احمد الشناوي ، عن شمس الدين وشيخ الإسلام والمسلمين ، السيد الكبير ، والشافعي الصغير ، العلامة الإمام الهمام الرملي ، بسنده المذكور في ثبته المشهور ، ثم أخذ علم التصوف عن قطب الإرشاد ، ومنهج الصواب والسداد ، من ساد به عصره ، وافتخر به على سائر الأمصار مصره ، السيد الاستاذ والعمدة النخبة الملاذ ، الشيخ عبد الله الدهلوى ، قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه . وتلقن عن والده ذي الشمائل العلية ، والفضائل السنية ، الطريقة النقشبندية ، وذلك في حضور المرشد الكامل الشيخ عبد الله الدهلوي المذكور ، فالتفت اليه والقى أكبر نظره العالي عليه ، وجعل يقربه ويجلسه في حلقة الذكر منذ كان سنه عشر سنين ، ويقول هو بمنزلة ولدي ، ولم يزل يلحظه بانفاسه الرحمانية ، ويحفظه بهمته المحمدية ، حتى بلغ مبلغ الكمال ونال درجة الفحول من الرجال ، فاذن له بالارشاد ، وخلفه خلافة عامة وأثنى عليه وادرجه في زمرة كبار أصحابه الأمجاد ، فقال قدس الله سره في حقه : احمد بن سعيد قد قارب والده بحفظ القرآن المجيد وتحصيل العلوم العقلية والنقلية وتحصيل النسبة المجددية العلية . وقال في شأنه : أبو سعيد أسعده الله ، وأحمد سعيد جعله الله محموداً ، ورؤوف احمد رأف الله به ، وبشارة الله بشره الله بقبوله سلم الله هؤلاء الأربعة الاكابر ، المرتبطين بالمودة التي هي أحسن من ارتباط القرابة وبارك فيهم وجعلهم سبباً لترويج الطريقة وكثر أمثالهم . ثم لما ان دعا حضرة الشيخ عبد الله المذكور والد المترجم الى دهلى[1] أمر المترجم ان يخلفه مكانه في رامبور فلما توفى والده قدس الله سره قام مقام الحضرتين وارشد الله به عدداً لا يحصى من الفريقين ، لا سيما في اضلاع الهند وغزنين ، وكل منهم حصل من حضرته بقدر استعداده ، وله خلفاء كثيرة

---

(١) من مدن الهند العظيمة ، وقد زرتها بعد مؤتمر العالم الإسلامي الذي دعانا إليه رئيس جامعة بنجاب ، وعقد في مدينة لاهور من باكستان ، ودام أياماً (أولها الاثنين في ٣٠ ج ١ سنة ١٣٧٧ و ٢٣ ك ١ سنة ١٩٥٧ م) .

نفع الله بهم العباد ، وأحيا ببركتهم أكثر البلاد ، ولما ظهر في بلاد الهند ما ظهر من الفساد ، خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ومعه أخوه الشيخ عبد الغني والشيخ عبد المغني واستوطنوا المدينة المنورة ، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين وألف واشتغل بالطريقة العلية كل الاشتغال ، ونال أعلى مقامات القبول والاقبال ، ثم توفي في تلك الاماكن الطيبة ثاني ربيع الأول عام سبعة وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في البقيع عند ضريح امير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله عنه في مشهد عظيم كاد أنه لم يتخلف عنه احد ، وقد قيل في تاريخه «عاش سعيداً مات شهيداً»

وممن أرخ وفاته العالم الجليل الإفادة الشيخ عبد الجليل برادة : فقال :

قضى قطب الاقطاب الشهير بأحمد سعيد امام العلم والحلم والهدى
منار الطريق النقشبندية التي لها جده في الألف اضحى مجددا
ومذ حلّ في ذا القبر ناديت أرخوا سعيداً شهيداً في جنان مخلدا

سنة ١٢٧٧

وقال غيره :

هو البدر فاغبر وجه الوجود وأينع بالزهر روض اللحود
وقطب الهدى مذقضى أرخوا لأحمد تهدى جنان الخلود

سنة ١٢٧٧

أحمد أبو العباس بن محمد التجاني المغربي شيخ الطريقة التجانية

لقد ترجمه سيدي محمد العربي العمري في كتابه المسمى ببغية المستفيد لشرح منية المريد فقال : وان ممن احله الله تعالى من المقامات أعالي ذراها ، وحلاه من هذه الكرامات بواضح سناها ، شيخنا واستاذنا العارف الرباني والوارث المحقق الفرداني ، والقطب الجامع الصمداني ، أبا العباس مولانا أحمد بن مولانا محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا وسائر الأحبة برضاه ، فلقد صار رضي الله عنه في ذلك كله العلم المفرد بين الأكابر

واستحق النداء بالرفع في سائر الحضرات والمظاهر ، وانتهت اليه دون العصابة رياسة هذا الشان ، وخفقت عليه أمام الجماعة ألوية النصر في هذا الميدان ، وأظهر من كنوز الشريعة المطهرة ابريزهـا الخالص ، وابرز من بحار الحقيقة خصائص الفرائد وفرائد الخصائص ، وجاء في اساليب الدلالة على الله تعالى بعالم يسبق إليه ، وأتى في مسالك التربية والترقية بعالم يعرج أحد عليه ، لبلوغه رضي الله عنه اقصى درجات الكمال في الجمع بين العلم والحـال والهمة والمقال ، فأسست طريقته على تقوى من الله ورضوان ، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقوم القواعد واقوى الأركان ، وايدت من أنوار الهمة وأسرار العناية بأوضح دليل وبرهان ، فعم النفع بها في سائر الأقطار وشاسع الاصقاع والبلدان ، واختص وروده المحمدي اللفظ والترتيب ، الأحمدي السر والتركيب ، بتحقيق السير في مقامات الدين الثلاثة وسائر منازلها على الأسلوب الغريب والمنهج العجيب ، كما يتبينه المنصف الذي كحلت عينه باثمد الأنوار الإيمانية ، بالوقوف عليه مبسوطاً في كتاب ميزاب الرحمة الربانية ، ويتحققه السالك المحافظ على هذا العهد في السر والعلانية ، من طريق الذوق التـام بالمشاهدة العيانية ، فلا جرم ان الله تعالى أحيا به مراسم السنة بعد اندثارها ، واوضح معالم الطريقه بعد خفاء آثارها ، وأطلع به شمس الحقيقة بعد أفولها ، واستتارها ، ولله در العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات المبرز على أهل زمانه في تحقيق الكليات منها والجزئيات ، أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطي المتوفى بفاس العليا في شوال سنة اربع وعشرين ومائتين وألف حيث قال فيا نسجه في مدح سيدنا رضي الله عنه على ابدع منوال واعجب مثال :

أحيا طريقة أهل الله فهي به — مؤلف شملها والكسر مجبور
شيخ المشايخ من في طي بردته — جيب على النور والاسرار مزرور

من داره جنة الفردوس وهو بها　　رضوان خازنها اذكارها الحور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها　　فاشرب مفجرها فأنت مأجور
أوراده عن رسول الله قد رويت　　كذاك أفعاله والسر مأثور (١)
فانقل فديتك في آثاره قدما　　فان فعلت فذاك النقل مدخور
واحرص بأن تنتمي يوماً لجانبه　　فحظ من ينتمي اليه موفور

اقول (ولفظ التجاني بكسر المثناة مشددة وبالجيم المشددة ايضاً وقد تخفف كذا ضبطه بعضهم) ولد المترجم رضي الله عنه عام خمسين ومائة والف ومات رضي الله عنه عام ثلاثين ومائتين وألف فيكون قد عاش ثمانين سنة . وكانت وفاته صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال بعد ان ادى فريضة الصبح على حالة الكمال ثم اضطجع على جنبه الأيمن رضي الله عنه ، ودعا بماء فشرب منه ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته فطلعت روحه الكريمة من ساعته وصعدت إلى مقرها الأقدس ، ولحقت بسربها من محضرها الأنفس ، وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وامرائها ، وصلى عليه إماماً علامتها الأوحد ومفتيها الماهر الخريت الأمجد ، الفقيه النحرير المشهود له بالتحقيق والتحرير ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم الدكالي نسبة إلى الإمام التونسي الشهير وازدحم الناس على حمل نعشه المبارك الميمون ، وكسروه بإثر دفنه اعواداً صغاراً ادخروها للتبرك بها

(١) « فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ، سَخرت فرنسا المستعمرة منهم ، وسخرتهم لمصالحها ، فأرسلتهم لقتال إخوانهم في الدين والعروبة ، ووسوست لهم أن قراءة ورد الفاتح مرة تعدل من تلاوة القرآن عشرات المرات ، فساءت حالهم وأعمالهم ، ولكن الله تعالى انتقم من المستعمرين ، فوقعت الحرب الضروس بينهم وبين الشعب الجزائري الثائر الباسل ، فانتصر الحق على الباطل ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

حمل فيه من السر المصون ! ودفن بزاويته التي بفاس وعلى قبره الشريف هيبة وجلالة وجمال وايناس [١] . رحمه الله تعالى

الشيخ أحمد أبو العباس الطواش المغربي المالكي نزيل تازه

الولي الصالح والمرشد الناجح ، عمدة الكمال ونخبة ذوي النوال ، من خصه الله بالقبول ، ونهج به مناهج أهل الوصول ، وتسلك عليه الجم الغفير ومنهم الهمام الشيخ أحمد التجاني الشهير ، فحصل به النفع العام ، واشتهر اشتهار البدر بين الأنام ، وقصده الناس من كل جانب ، ولهج الناس بذكره في المشارق والمغارب ، وكان ذا علم وعمل ، لا يعرف في عبادته السآمة ولا الملل ، بل في كل يوم يزداد سمواً ورفعة في المقامات وعلوا ، وكانت وفاة هذا السيد بتازه ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة اربع ومائتين وألف ، وقبره هناك ظاهر مشهور عليه هيبة وجلالة ونور .

السيد أحمد بن السيد محي الدين بن السيد مصطفى ابن السيد محمد المغربي الجزائري

همام تردد من شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف ، وإمام تروّى من أيام تربيته بلطائف الطرائف وطرائف اللطائف ، وكلف بالعلوم من صغره حتى صارت منهج لسانه ، واعترف له المنطوق والمفهوم بأنه روضة بيانه ، من اسرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ذات حسب ونسب وفضل وارتقاء ، مع لسن وفصاحة وكرم نفس وسماحة ، ونظم يزري بالدر النظيم ، ونثر تسمو رقته على رقة النسيم ، وانشاءات أحلى من المن وأعذب ،

---

(١) من واجب الأمة التي تقدّر علماءها وزهّادها حق قدرهم ، أن تهتم بايجاد خلفاء كرام لهم ، ليعيدوا عهدهم علماً وعملاً وزهداً في حطام الدنيا ، لا أن ييأسوا من رحمة الله .

ومحاضرات أولى من صباح الصّباح وأطرب ، ولد في شعبان سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين في اقليم الجزائر ، ثم حفظ القرآن العظيم وجوده على أحد القراء الأكابر ، ثم حفظ المتون من عدة علوم وفنون ، ثم حضر دروس الأفاضل ذوي المعارف والفضائل ، فقرأ ما كفاه من توحيد وفقه وحديث وتفسير ، ثم اشتغل بعد ذلك في الإفادة مع التدقيق والتحرير وكانت لاترضى نفسه المطمئنة ان يعرّج في عباداته على غير الكتاب والسنة فهما امامه في أحكامه ، ورأس ماله في مجاوبته وكلامه ، وله رسالة على قول الإمام علي (العلم نقطة كثّرها الجاهلون) ورسالة في السماع سماها الجنى المستطاب ، وهي في الرد على من ادعى ان سماع المعازف يحرك القلب لرب الأرباب ، وله شرح على الأبيات التي أولها :

فاثبت في مستنقع الماء رجله

وله تاريخ جميل أرخ فيه إمارة أخيه الأمير عبد القادر على اقليم الجزائر ، وله كتابات من نظم ونثر يصعب وضعها في قالب الحصر ، توفي رحمه الله سنة ألف وثلاثمائة وعشرين في بيته في باب السريجة في دمشق الشام .

الشيخ أحمد الدمهوجي الازهري الشافعي الاشعري

الفاضل الجهبذ الهمام ، والعاقل العالم الإمام ، من استوى على عرش العلوم ، وثوى على مهاد المنطوق منها والمفهوم ، فهو الفرد الكامل المستجمع لفرائد الفضائل ، قد حضر دروس علماء عصره ، وفاق حتى انفرد في مصره ، وشهد له العموم بأنه بكمال الفضل موسوم ، واذن له شيوخه ذوو المقام المنيف بالتدريس والافتاء والتأليف ، وانتشر في الأقطار ذكره وسما في الأمصار قدره ، ولم تزل سيرته حسنى إلى أن دعي إلى المحل الاسنى ، وذلك في رمضان سنة ألف ومائتين وست وأربعين .

الشيخ أحمد السباعي الازهري المالكي الدردير

العلامة الوحيد والفهامة الفريد ، عمدة الأكابر ونخبة الأفاضل كابرا عن كابر ، قد حضر في الأزهر الشريف مجالس الاعاظم ، وفاق في الأدب كل ناثر وناظم ، واعترف له كل عارف بأنه مورد المعارف والعوارف ، ولا ريب أنه جمع بين المعقول والمنقول ، وبرع في تحقيق الفروع والأصول ، وتمسك لدينه بالسبب الاقوى ، وأحسن بالله ظنه في السر والنجوى ، وأقبل الناس عليه افواجاً ، واتخذوه لوصولهم سبيلا ومنهاجاً ، واعترف الجل بل الكل له بكمال فضله ، وسمو حسبه واصله ، ولما دعاه مولاه اليه لبى دعوته وأقبل عليه ، وذلك في حدودسنة ألف ومائتين واربعين .

أحمد بن محسن المكين الزبيدي

همام فضله مشهور ، وإمام تجرد مقامه عن القصور ، قد اشتهر بالفضل والعلم ، وعرف بدقة الادراك والفهم ، وكان له يد في الأدب تسمو به اعلى الرتب ، قال أحمد بن محمد الشهير بالشرواني في كتابه نفحة اليمن : دخلت زبيد عام اربع وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية ، فحللت بدار الصاحب الأريب عبدالكريم بن الحسين العتمي ، واقمت عنده يوماً في منزله ثم خرجت بعد صلاة المغرب متوجهاً إلى الحديدة ، فورد اليّ كتاب بعد وصولي اليها بيومين من السيد المترجم أحمد بن محسن المكين الزبيدي ، يتضمن عتابا لعدولي عن الحلول بمنزله إلى منزل الشيخ عبد الكريم العتمي ، فمن جملة ماذكر في كتابه هذه الابيات وهي مرقومة في ديوانه :

كيف لم ترضني لودك أهلا   ولغيري رضيت أهلا ونزلا
أجرى من أسير ودك ذنب   موجب للعدول عني مهلا

أم توخيت أن غيري أولى لقديم الوداد حاشا وكلا
كنت أرضى بأن تشرف قدري بعبور بقدر أهلا وسهلا
فقليل منكم كثير ولكن فات مافات وانقضى وتولى
فمن الفضل أن تعود وان تجبر ماكان يا اعز الاخلا

ومن لطائفه رحمه الله ماكتبه الى القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رحمه الله تعالى

مَضَى الدهر والشوق المبرح لم يزل يحث ولم ابلغ مناي ولا قصدي
ومرت دهور في امل وفي عسى ولم تنتج الاقدار من ذاك ما يجدي
فهل حيلة للوصل يا غاية المنى تبلغ ما أهوى وتنجز لي وعدي
فإن تعلموا من ذاك شيئاً فأرشدوا فاني مستفت لعلمك مستهدي
عليكم سلام من أخي لوعة له الى وجهك الوضاح شوق بلاحد
ودم في نعيم لايشاب بنقمة وصارلك الدهر المعاند كالعبد

اسحاق بن يوسف اليماني

سيد إمام عصره وفريد قطره ومصره ، لم يكن له في وقته مماثل ولا في فضائله معادل ، فهو بغية المستفيد ورب الكمال الباهر والرأي السديد ، قد شهد له الفضل بأنه خير أربابه ، وأقر البلغاء بقصورهم عن درجة علمه وآدابه ، نثره عزيز ونظمه اعز من الذهب الإبريز ، فمن لطائفه وجميل طرائفه قوله :

جسدي واه ودمعي مرسل كاللآلي راوياً عن شنبك
أنت نصب العين مني دائماً لم تزل في لحظة عن منصبك
طمعي عيشي هيامي كلفي فيك في وصلك من أجلك بك
لو رأى ياليل بدري لاختفى بدرك الباهي السنا في حجبك

أو رأته الشمس في مطلعها	لتوارت حسداً في مغربك
أو رأت انجمك الزهر حلى	جيده لاستترت في غيهبك
ياعذولي في الهوى لي مذهب	فانفصل عني وخذ في مذهبك

وله رحمه الله تعالى

وقد نلت أنواع الشدائد كلها	ومارست أهوال الخطوب الكوارب
وذقت حلاوات الزمان ومره	وعلمني حكماً دوام التجارب
واشرعت الأيام نحوي رماحها	كأني عدو للزمان المحارب
وجربت كل النائبات فلم أجد	أشد وأنكى من جفاء الأقارب
وإن كنت في سن الشباب فانني	أعلم أعلام الشيوخ الأشايب
فلم أر في أبناء آدم من له	صفاء وداد خالصاً عن شوائب
وأبعد من ترجو المودة عنده	قريبك فارج الود عند الأجانب

توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف وعشرين

الشيخ أسعد بن عبيد الله بن صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر الحيدوى الماوراني

العالم الذي ورث آباءه وأجداده ، والفاضل الذي جدد الفضل وأعاده ، والكامل الذي ملأ من الكمال قلبه وفؤادهَ ، والمحقق الذي أعطى من كل بحث زمامه ، والمدقق الذي لم يبق بحراً من التدقيق إلا وعامه ، ولم يذر معضلاً إلا" شفى بعقاقير فكره سقامه ؛ علامة المنقول والمعقول ، والحافظ الذي بعض محفوظاته المحصول ، والمقرر الذي في تقريره نهاية السول ، والأصولي الذي ابرز لباب الأبحاث ، وجاد روضها بانظاره وأغاث ، والكشاف الذي ازاح عن وجوه المعاني النقاب ، والفقيه الذي هو الامداد والعباب ، والمحدث الذي احاديثه بالصحة تعاب ، والمناظر

الذي سند مقدماته السنة والكتاب ، والبيـاني الذي هو دلائل الإعجاز والبديعي الذي أسكت البديع بالايجاز . عني بالعلم احياء لمآثر اسلافه ، فاستخرج درره من شغاف أصدافه ، روى عن والده وبه تخرج ، واقتفى آثاره ولديها عرج ، وكمل طلبه على ابيه واستحق التصدير والتنويه ، وانتهت إليه الرياسة في العلوم وانفرد في علمي المنطوق والمفهوم ، دعي في دار السلام الصدر ، وسما إلى سؤدد وعلو قدر ، وجاء إلى الشام ولقي أجلاءها الاعلام ، ولم يزل في الشام إلى أن آن للحاج ارتحاله ، ودعه من ذلك القطر اترابه وامثاله ، وسألوه اتحاف دعواته والاسعاف بفيض نفحاته ، فسار والألطاف به حافة وطيور الأماني عليه رافة ، وله اجازات من جم غفير ذوي علوم واتقان وتحرير ، من اجلهم شـارح القاموس السيد مرتضى الزبيدي . وكانت وفاته رحمه الله تعالى بعد الألف والمائتين وثلاث وثلاثين كما ذكره عثمان افندى سند .

الشيخ أسعد بن سعيد بن محمد المحاسني الحنفي الدمشقي مفتي دمشق الشام وخطيب جامعها المشهور بجامع الاموي المنسوب لبني أمية

المولى العـالم المفضال ، والأولى بنسبة السيادة والكمال ، والمتردي برداء السيادة ، والمتصدي لإفادة ذوي الاستفادة ، والمتحلي بفضائل الأدب ، والسامي بمعارفه الى ذروة الرتب ، حتى صار يشار بكل فضل إليه ، ويعول بحل صعاب المشكلات عليه ، ولد بدمشق الشام ، ونشأبها منشأ العلماء الأعلام ، وتولى منصب الإفتاء بها مدة وفي جامعها خطيباً ، وكان إماماً فاضلاً شهماً نجيباً ، ثم تعلقت به أظفار المنيـة ، فاوردته الدار الأخروية ، سنة ألف ومائتين وثماني عشرة وكانت وفاته بعكة ، لأن الحكومة نفته إلى عكة فمات بها رحمه الله تعالى .

السيد أسعد صدر الدين البغدادي الحيدري مفتي الحنفية بدار السلام

حبر الأئمة الأفاضل ، وبحر اغتراف الفضائل ، امداد الفتاح لكل طالب ، ونور الإيضاح لكل راغب ، ورد المحتار على الدر المختار ، ولسان الحكام وعمدة الأخيار ، وسلالة الحسب والنسب ، وكنز أولي العرفان والأدب ، أقبل بعد تمييزه على الكمال ، إلى أن بلغ رشده من بغية الآمال ، وأخذ عن سادات الأعيان وأعيان السادة ، ونصب نفسه لمساعدة العباد والقيام بالعبادة ، واجازه شيوخه بما تجوز لهم روايته ، وتنسب اليهم درايته ، ثم خطبه افتاء بغداد ، فسلك فيه مسلك الحق والسداد ، ونهج فيه منهج الانصاف ، لا منهج الغلط والاعتساف ، ولم يوجد في زمنه من يساويه في علمه ، ولا من يباريه في ذكائه وفهمه ، مع زهد وعبادة ، واقبال على الارشاد والافادة ، وكان في الفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، عمدة العلماء ، ومرجع السادة الفضلاء ، وكان يُقصَد لحل المشكلات ، وفك المسائل المعضلات ، ولا زال على استقامته وتقواه ، إلى أن دعته المنية إلى مرجعه ومثواه ، وذلك سنة ألف ومائتين و . . .

السيد أسعد افندي بن نسيب افندي حمزة الدمشقي رحمه الله

ذو جاه ومقام ، ورفعة بين الخاص والعام ، نشأ على الترفه والترفع وكان يهوى مجالس النزاهة والخلاعة من غير تمنع ، وحضر دروس الشيوخ مع الطلاب ، وكان له في العلوم نصيب غير أنه برع في الفرائض وعلم الحساب ، وكان رفيع المقام ، نافذ الكلمة لدى الولاة والحكام ، وكان ينتقل في مجالس الحكومة من مجلس إلى آخر عضوا من الأعضاء ، وإن الناس

تقصده لجلب نفعهم ودفع البلاء ، ويقدمون له جانباً من الدراهم والدنانير. ليساعدهم فيقبلها على طريق الهدية من غير تأخير ، ويساعد الانسان مساعدة موصلة إلى مطلوبه وافية بمرامه ومرغوبه ، وكان له مخالطة كثيرة مع الأهالي ، مع عدم الترفع عما لا يليق بمقامه العالي ، من حضوره محلات الاجتماع ، للنزهة والسماع ، فكان الناس يعيب عليه ذلك لشرفه وسيادته وهو لا يلتفت إلى تأنيب ولا إلى ملام تقديماً لجانب سروره على جلالته. ولما توفي أخوه محمود أفندي مفتي الشام ، تحزب له الأعيان والوجوه في وضعه مكانه للافتاء العام . ولم يقدر الله ذلك له بل كان لمحمد افندي المنيني العالم الهمام ، وحصل بينهما منافرة ، ومقاطعة ومدابرة ، بعد الاتصال التام ودامت المنافرة باطناً بينهما إلى أن مرض المترجم مدة جزئية وتوفي في شهر ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسبع ودفن في مرج الدحداح رحمه الله .

الشيخ أسعد بن عبد الرحيم بن اسعد بن اسحاق بن محمد بن علي الشافعي الدمشقي الشهير بالمنير

العالم الأوحد ، والكامل المفرد ، والهمام الفاضل ، والامام ذو الفضائل ، ولد بدمشق سنة ست وسبعين ومائة والف في ربيع الأول[1] وكان أوحد أهل عصره ، ومطمح نظر أهل مصره ، في الفنون العقلية ، والعلوم النقلية ، مع مهابة وزهادة ، وتقوى وعبادة ، وتمسك بالسنة النبوية ، والملة المحمدية ، مات في الثاني عشر من رجب سنة ثلاث واربعين ومائتين وألف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

---

(١) ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، من أجلهم العلامة الشمس محمد الكزبري المتوفى سنة ١٢٢١ هـ

اسماعيل افندي بن خليل بن علي بن عبد الله الشهير بالطهوري المصري الحنفي

النبيه الأريب ، والفاضل النجيب ، الناظم الناثر ، والاديب اللبيب البارع الشاعر ، قال العلامة الجبرتي كان انسانا حسنا قانعا بحاله ، يتكسب بالكتابة وحسن الخط ، وقد كان جوده واتقنه على أحمد افندي الشكري وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والسبع المنجيات ودلائل الخيرات والمصاحف ، وكان له حاصل يبيع به بن القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلي ، وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود ، وينظم الشعر وله مدائح وقصائد وموشحات ، فمن ذلك قوله تهنئة للأمير حسن بك رضوان بقدومه إلى مصر من نَفيِهِ بالمحلة الكبرى قوله :

تهنا بعود الملك والجاه والنصر	وبالفوز والعلياء والعز والفخر
ومِس مَنْبَس تيه في ملابس عزة	بعودك للأوطان منشرح الصدر
لئن ساء فعل الدهر قدماً فطالما	امر بأخرى من قبول ومن جبر
وأعطى بلا مَنّ وأخلف ما مضى	وأسعف بالحسنى وأذهب للضر
لقد ضحكت مصر إذا ماحللتها	واضحت بها الأرجاء باسمة الثغر
وغنت بها الأطيار من فرح بها	وقهقه قمريها على ساحة النهر
وغضت عيون النرجس الغض من حيا	وضرج فيها الورد خدا من التبر
وجر نسيم الروض ذيلا مبللاً	نفاح عبير من شذاه الذي يسري
لك الله مولى لا نظير لمثـله	تعلمني أوصافه النظم كالدر
أمير على كل الأنام بأمرهم	همام كريم مفرد الدهر والعصر
له عزمات في السماكين قدرها	تسير بها الركبان في المهمه القفر
وشدة عزم ذللت كل شامخ	وأدنت له مايشتهي صحة الفكر
وأصبحت الأيام من جود كفه	مرنحة الاعطاف في الحلل الخضر

لقد كنت أبكي قبل هذا فراقه ... كما بكت الخنساء يوماً على صخر
فلما اتى بين الانام بشيره ... وأذهب من بشراه لي غلة الصدر
جعلت مرامي نعته ومديحه ... وكررته في النظم عندي وفي النثر
اليك عروساً بالبديع تتوجت ... وجاءتك تسعى في ملابسها الزهر
ممنعة إلا اليك فإنها ... اتت دون كل الناس بالحمد والشكر
فدم حسناً في منزل العز راقيا ... مدى العمر ماغنى على العود من قمري
فقد جاء تاريخا بمدحك كاملا ... هنيئاً باقبال السرور من الدهر

وكان بعض أدباء مصر ألّف مجموعاً في الألغاز فطلب من المترجم أن يقرظ عليه فكتب على حواشيه ، ليصون طلعته من عاذله وواشيه :

لله درك من بليغ ماهر ... جمع المعاني في بديع كتابه
سحر العقول بلفظه وبلطفه ... وأبان في معناه عن انسابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
اعددت للبلغاء تأليفا غدا ... في فنه يسمو على أترابه
وأراك نلت من الحجا حظاً غدا ... لايستطاع وصوله من بابه
أوفت بك الهمم العلية منزلا ... مستصعبا صعباً على خطابه
والله يرعى شرح كل فضيلة ... حتى يروجه على اربابه
البست عصرك من بيانك حلة ... فمشى اختيالا في بها أثوابه
يامن له قلم جرى من ثغره الشـ ... ـهد الشهي سوى سواء لعابه
تربي على تلك المعاني انها ... اشفت فؤاداً ذاب من أوصابه
عرفت بلاغتك العميدة عندما اسـ ... ـتذللت صعب القول من أهضابه
وظلمت لغزك إذ أبحت[1] رياضه ... رجلا تعطل من حلى آدابه
فلذا أجاب مقصراً عن شأوه ... إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

---

(١) في الهامش : ن : إذ حبوت .

فأجاب ذلك الشاعر بقصيدة وأطال فيها ومطلعها

لله ثغر شفني برضابه ... كيما أفوز بنشق عرف رضابه

فكتب اليه المترجم ثانياً معرضا له بقصيدته قوله :

هذا الأديب اللوذعي ترى به ... جمل الفضائل وهي من أترابه
وله المقال المستجاد بأسره ... وسواه نحثو وجهه بترابه
ولقد رشفت زلال معنى لفظه ... والغير يقنعه لموع سرابه
فاعجب له من شاعر متقادر ... سل المنام بلطفه وسرى به
انسى البدائع من بديع نكاته ... فسمت بلاغته على أعرابه
وأتى بكل غريبة في نظمه ... منسوبة المعنى إلى اعرابه
لله أبيات أتت من نحوه ... اشفت فؤاداً ذاب من أوصابه
قد كان افناه النوى وأباده ... بما يلاقي من مرارة صابه
واتى بتجنيس يرق لطافة ... وروى المعالي وهي من ألقابه
فاعجب لسحر كلامه كيف اغتدى ... مستعذبا عندي لما القى به
يامن إذا عد الورى قلنا لهم ... لانرتضي انا نرى ألفاً به
كيف الفداء وقد طربت عشية ... من قربه لما بدا الفى به
يافاضلا بعدت مرامي عزمه ... وغدا تغزله ببدء خطابه
وبدأته بالماهر الندب الذكي ... وأجابني ثغر شفى برضابه
إني اعيذك ان تعود لمثلها ... إذ ذاك خلق لست من أصحابه
وإذا اتتك من القريظ مقالة ... وابيت عنها فلتكن من بابه
ولك الاله يديم حظاً شامخاً ... ماحن مشتاق إلى أحبابه

وله موشحة على وزن موشحة الأديب العلامة ابن خطيب داريا الاندلسي وهي :

ليت شعري ياالخلاء الهوى ... هل أرى بدري بجاني مؤنسي
أم أقامي من زمان قد قسا ... ورمى احشاي سهما عن قسي

دور

ياسقى الله زمانا قد مضى | في مغاني مصر في عيش خصيب
حيث بدري قد قضى لي ماقضى | بالتداني اذ غفت عين الرقيب
شب من تذكارها نار الغضا | في فؤادي وتلاها في النحيب
واعترتني دهشة حين جرى | من دموعي سابلا في الغلس
وغـدا قلبي كليا مذ سرى | بارق في نحو ذاك المكنس

دور

يارياضاً حسنها زاه يشيق | جاد في مثواك منهل السحاب
كم مضى لي فيك من معنى أنيق | حين كان اللهو مزهي الجناب
هل ترى عيني محياك الشريق | لابساً برد التهاني والشباب
وأرى بدري يناجيني على | ذلك البسط الشهي السندس
وأحلي صبر دهري بالمنى | من معان زاهيات الملبس

دور

قد شربنا الصد كأساً مترعاً | حين صد الظبي عنا ونفر
غصن بان غصنه قد اينعا | مثمر بالدل حينا والخفر
وجهه الفتان امسى مبدعـاً | كل معنى رائق يسبي الفكر
ينثني ماإن تبدى معجبا | بالعيون الفاتـكات النعس
ينهب الارواح منا لاهيــاً | لم يراقب في ضعاف الأنفس

دور

كيف لي صبر إذا اللاحي لحا | في حبيب حسنه فاق الهلال
بدر تم مخجل شمس الضحى | جؤذري اللحظ معشوق الدلال
ماسقى الصب هواه فصحا | من غرام قد عراه وخبال

يوسفي العصر معسول اللمى　　كاحل الطرف شهي اللعس
ترك الصب كلما عندما　　جال في النفس بجال النفس

وقال سامحه الله :

هل العيش الا في اكتساب مآثم　　أو العمر إلا في اقتناء محارم
أو الغنم الا في ارتكاب كبيرة　　أو السكر إلا في ارتشاف مباسم
سقى الله أيام البطالة ادمعاً　　من العين تجري كالغيوث السواجم
زمان به كان السرور بخنصري　　ختاماً وكان الظبي فيه منادمي
إذ العيش طلق والرياض بواسم　　عن النور لكن من شفاه الكمائم
وسيري إلى تلك الدساكر سحرة　　وغنمي بها من طيبات مواسمي
وجر ذيول التيهِ في عرصاتها　　جهاراً وضمي للقدود النواعم
خليلي لو وافيتموا حق صحبتي　　لكنتم رفاقي بين تلك المعالم
فحيا الحيا دار الاحبة ماشدا　　على الدوح مطراب الاصائل هائم
لقد طال مانازعت فيه زجاجة　　تضمنت الافراح من عهد آدم
معتقة صاغ المزاج لرأسها　　اكاليل من در كدور دراهم
إذا ماجلاهامخطف الخصر في الدجى　　وغنى عليها مثل شدو الحمائم
ابحت طريفي في هواه وتالدي　　وصيرته مولى علي وحاكمي (١)

وله مشطرا بيتي الشيخ محمد الكراني الشاعر وهما مع التشطير :

خبراني عن قهقهات القناني　　وابتهاج الربى بصوب الغمام
واهتزاز الغصون في الروض لينا　　انا منها في غاية الايهام
اترى ضحكها لبسط الندامى　　أم سروراً لجمع شمل الكرام
أم خطابا لبلبل الدوح غنى　　أم بكاء على فراق المدام

---

(١) يرجى أن تكون هذه الأبيات مصداق قول القائل : الشعر اعذبه اكذبه ، لا أن تكون مصداق قول القائل :

(بيت يقال إذا ما قلته صدقا)

وحينئذ يستحق أشدّ الملام ، في نظر العروبة والإسلام .

وله مشطراً بيتين لبعض القدماء وهما مع التشطير :

بالله ياقبر هل زالت محاسنه	أم كيف رونقه والحسن والحور
وحسن طرته ماشأن حالتها	وهل تغير ذاك المنظر النضر
ياقبر لا أنت لا روض ولا فلك	يشوقنا منك مانرجو وننتظر
ولست في الحسن معشوقاً إلى أحد	حتى تجمع فيك الغصن والقمر

وله غير ذلك كثير لاتحسن الإطالة به هنا للخروج عن المقصود ، توفي المترجم سنة إحدى عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ اسماعيل بن احمد البراوي الشافعي الأزهري

الأجل الأعظم ، والعمدة الأفخم ، ذو القدر الأعلى ، والفضل الأجلى ، وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي الشهير الذكر . قرأ على والده وأخذ عنه وعن غيره من المشايخ المشهورين وكان جسوراً كثير الحركة له تردد على مجالس الكبراء والعظماء ولم يزل كذلك إلى أن توفي والده المرقوم الشيخ أحمد البراوي ، فتصدر بعده في مكانه وساعده الحظ على نوال مراده وإعلاء شأنه ، وكان قليل البضاعة ، لاشتغاله أيام الطلب بأسباب الإضاعة ، إلا أنه كانت تغلب عليه النباهة والذكاء والحذق واللسانة ، والسلاطة والتداخل ، والتفاخم والتعاظم ، ولم يزل يتعالى في أموره ، ويصعد على سلم ظهوره ، ويحافظ على قدره واعتباره ، وتعاظمه وافتخاره ، وكأنه لم يلتفت الى قول من قال ، وأحسن في المقال :

من أخمل النفس أحياها وروحها	ولم يبت طاويا منها على ضجر
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها	فليس ترمي سوى العالي من الشجر

فلما دخل الفرنسيس مصر أدخلوه في عداد ذوي الفتنة فقتلوه مع من قتلوه من الشهداء سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ولم يعلم له قبر نظير غيره من المقتولين ، رحمهم الله أجمعين .

اسماعيل بن يحيى بن حسن الصديق الصعدي ثم الذماري

قال في التاج : ولد سنة الف ومائة وثلاثين وكان صدراً من الصدور عظيم الهمة شريف النفس كبير القدر نافذ الكلمة ، له دنيا واسعة وأملاك جليلة ، وكان محدثا من المحدثين ، ومجتهداً من المجتهدين ، يعمل بالأدلة القرآنية ، والأحاديث النبوية ، مات رحمه الله تاسع صفر سنة الف ومائتين وتسع .

السيد اسماعيل بن السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم

الشهير بابن حمزة ، العالم الحسيب ، والكامل النسيب ، فخر العلماء ، وصدر الفضلاء ، أحد السادة الأعيان ، ذوي الفضل والشان ، من لاحت من بروج فضله شموس سعادته المشرقة ، وصحت سماء عرفانه من سحاب الغيوم المطبقة ، فلا غرو إن طلع مجده بدراً في غرة الصلاح ، ونادى مؤذن إقباله حي على الفلاح ، ولد بدمشق سنة ثلاث وثمانين ومائة والف واشتغل في طلب الفنون ، على علماء عصره ذوي القدر المصون ، ثم وجهت اليه أمانة الفتوى أيام حسين افندي المرادي ، وكان عارفاً بتخريج المسائل ، مقبلًا بكليته على السائل ، خوف الغلط في الجواب ، والذهول عن موافقة الصواب ، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، ودفن عند أسلافه في مرج الدحداح رحمه الله .

الشيخ اسماعيل بن احمد بن علي المنيني الدمشقي الحنفي مفتي دمشق الشام

الشيخ الإمام ، مفتي الأنام ، عمدة الحكام ، وقطب مدار الأحكام ، نادرة العصر ، ويتيمة الدهر ، ولد بدمشق الشام ونشأ بها سنة تسع وثلاثين ومائة والف ، وأخذ عن الأفاضل منهم الشهاب المنيني وعلى افندي الداغستاني

(١) ولي القضاء العام بصنعاء ، وتوفي فيها ، وله شرح المسائل المرتضاة ، فيما يعتمده القضاة .

والعلامة حسن البوزنجي والشيخ صالح الجينيني والشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي ، وفي سنة ثمان وثمانين ومائة والف ولي وظيفة افتاء دمشق الشام وكان قد ولي خطابة الجامع الأموي ، مات سنة خمس عشرة ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

السيد اسماعيل بن اسعد الشهير بالخشاب الأزهري

البليغ النجيب ، والنبيه الفصيح الأديب ، نادرة الزمان ، وفرد الأوان ، نشأ في حجر والده بيد أنه لم يمل قلبه إلى صنعته لأنه كان نجاراً ، بل تولع في العلوم والمعارف فحفظ القرآن ثم جد بطلب العلم ولازم حضور السيد علي المقدسي وغيره من أفاضل الوقت ، وأنجب في فقه الشافعية والمعقول وبقية العلوم ، ثم تنزل في حرفة الشهادة في المحكمة الكبرى لضرورة المعاش ، وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية والتصوف والتاريخ ، وتولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الاشعار والمراسلات وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ، حتى صار نادرة عصره في المحاورات والمحاضرات واستحضار المناسبات ، ونظم الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ولطف السجايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيراً من أرباب المظاهر ، والرؤساء والأمراء والتجار ، وتنافسوا في صحبته ؛ وتفاخروا بمجالسته ، وارتاحوا لمنادمته ، وتنقلوا على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته ، ورقيق اشاراته ، وكان الوقت إذ ذاك غاصاً بالأكابر ، وذوي الفضائل والمفاخر ، والناس في أرغد عيش ، وأمن من المخاوف والطيش ، وللمترجم قوة استحضار مؤنس ، بحسب مايقتضيه حال المجلس ، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ، ويجذب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ، ولما وردت الفرنساوية إلى مصر تعلق بغلام من رؤساء كتابهم وكان

بارع الجمال ، حسن التيه والدلال ، عالماً ببعض العلوم العربية ، مائلاً إلى اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان ، مليح البيان ، يحفظ كثيراً من الأشعار التي بها يتفاخر ، فلهذا مال كل منهما للآخر ، فعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ، فمما قاله فيه ، من بديع نظمه وقوافيه ، قوله رحمه الله تعالى :

ملكته الروح طوعاً ثم قلت له … متى ازديارك لي أفديك من ملك

فقال لي وحميا الراح قد عقلت … لسانه وهو يثني الجيد من ضحك

إذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت … منه عساكر ذاك الأسود الحلك

فجاءني وجبين الصبح مشرقة … عليه من شغف آثار معترك

في حلة من أديم الليل رصعها … بمثل أنجمه في قبة الفلك

فخلت بدراً به ضاءت نجوم دجى … في أسود من ظلام الليل محتبك

وافى وولى بعقل غير مختبل … من الشراب وستر غير منهتك

وله في آخر يسمى ربج :

أدرها على زهر الكواكب والزهر … وإشراق ضوء البدر في صفحة النهر

وهات على نغم المثاني فعاطني … على خدك المحمر حمراء كالجمر

وموه لجين الكأس من ذهب الطلا … وخضب بناني من سنى الراح بالتبر

وهاك عقوداً من لآلى حبابها … فم الكأس عنها قد تبسم بالبشر

ومزق رداء الليل وامح بنورها … دجاه وطف بالشمس فينا إلى الفجر

وأصل بنار الخد قلبي وأطفه … ببرد ثناياك الشهية والثغر

أريج ذكي المسك أنفاسك التي … أريج شذاها قد تبسم عن عطر

معنبرة يسرى النسيم بطيبها … فتغدو رياض الزهر طيبة النشر

وبي ذابل الأجفان كالبيض طرفه … مكحلة أجفانه السود بالسحر

رشا فاتك الألحاظ عيناه غادرت … فؤادي في دمعي دما سائلاً يجري

طويل نجاد السيف ألمى محجب … شقيق المها زاهي البها ناحل الخصر

رقيق حواشي الطبع يغني حديثه　　عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
يعير الرماح اللين عادل قده　　ويزري الدراري ضوء مبسمه الدر
وتحكيه أغصان الربا في تمايل　　فيرفل في أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياهب　　من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية　　وأمسى بروحي يوم جد النوى يسري
تباكى لتوديع فأبدى شقائقا　　مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر

ولما نظم الشيخ حسن العطار موشحته التي يقول فيها شعرا :

أما فؤادي فعنك ما انتقلا　　فلم تخيرت في الهوى بدلا

فاعجب

يامعرضاً عن محبة الدنف　　ومغرماً بالجمال والصلف
ومن به زاد في الهوى شغفي　　أما كفى ياظلوم ماحصلا

حتى جعلت الصدود والمللا　　مذهب

فتش فؤادي فليس فيه سوى　　شخصك أيها المليح ثوى
قد ضل قلبي لسكنه وغوى　　وهكذا من يحب معتدلا

لم يلق إلا تأسفاً وقلى　　مشرب

وهي طويلة مذكورة في ديوانه عارضه المترجم المذكور بقوله في معشوقه الذي ذكرناه :

يهتز كالغصن مال معتدلا　　أطلع بدراً عليه قد سدلا

غيهب

يزري بسمر الرماح إن خطرا　　ساحر جفن لمهجتي سحرا
علم عيني البكاء والسهرا　　فكيف أبغي بحبه بدلا

وليس لي عنه جار أو عدلا　　مهرب

وضاح نور الجبين أبلجه　　أغيد عذب الرضاب أفلجه

وجـــه غرامي عليه متجه فلست أصغي لعاذل عـذلا
كلا وعنه فلا أحول ولا ارغب

وبقيتها في ديوانه ، وقال فيه أيضاً وهو مما يعتنى به :

أدرها على زهر الكواكب والزهر وإشراق نور البدر في صفحة النهر

إلى آخرها ولم يزل المترجم على حالته ، ورقته ولطافته ، مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والتولع بعالي الأمور ، والتكسب وكثرة الانفاق والحزم في الأمور ، إلى أن ابتلي بحصر البول مع الحرقة والتألم واستدام بها مدة طويلة حتى لزم الفراش أيامـــا . وتوفي في يوم السبت ثاني شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم ودفن في الحسينية . وما أحسن ماقال القائل :

فلا مرور سوى نفع بعافية وحسن ختم وما يأتي من الشغب
وأمن نكر نكير القبر ثمة ما يكون بعد من الأهوال والتعب

حافظ اسماعيل بن محمد بن محمد القسطنطيني
الحنفي الشهير بكاتب زاده

العالم الذي هو في سلك الأفراد منظوم ، والفاضل الذي دار عليه فلك المنطوق والمفهوم ، الإمـــام المحقق ، والهمام المدقق ، الألمعي الفقيه ، واللوذعي النبيه ، ولد سنة الف ومائة وثلاثين في مدينة أماسية ، فاجتهد بعد بلوغه في تحصيل العلوم الشرعية والعقلية ، ثم انتقل إلى اسلامبول ، وقد أخذ عن كثير من العلماء ، والسادة الفضلاء ، من أجلهم الشيخ محمد ابن حسن بن همات الحنفي الشامي مولداً الاسلامبولي موطناً والشيخ عمر بن أحمد باعلوي السقاف . ولي قضاء دمشق عام الف ومائة وثمانية وتسعين ، وكانت تغلب عليه الديانة ، والزهادة والصيانة ، ولم ير له نظير في قضـــاة زمانه ، وعصره وأوانه ، وأخذ عنه الكثير من أهل الشام الأمجاد ، ومن

أجلهم السيد شاكر العمري الشهير بالعقاد ، ثم بعد الشام ولي قضاء المدينة المنورة ، سنة الف ومائتين وسنة ، فارتحل اليها بالراحة والسرور ، والفرح والحبور ، إلى أن وصلها ولم يطل أمره حتى مرض وتوفي هناك سنة الف ومائتين وسنة ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في البقيع رحمة الله تعالى علينا وعليه .

الشيخ اسماعيل ابو المواهب بن محمد بن صالح بن رجب بن يوسف الحلبي الحنفي الشهير بالمواهي

العالم الفقيه الفاضل ، المحدث الواعظ الأديب الكامل ، حجة العلماء ، وكعبة الفضلاء ، وبقية السلف ، ونخبة الخلف ، ولد ثالث عشر ذي الحجة الحرام سنة ستين ومائة والف ونشأ بكنف والده وقرأ عليه العلوم وانتفع به ولازمه ، وسمع منه الأحاديث الكثيرة وتأدب بآدابه وأجاز له غير مرة ، وقرأ بقية الفنون وأخذها ببحث وإتقان عن أبي محمد عبدالكريم ابن احمد الشراباتي الحلبي الشافعي ، وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الطبرمي الحنفي وغيرهم ، وانتفع بهم ولازمهم وأخذ عنهم وسمع عليهم واستجازهم فأجازوه إجازة عامة . ولما قدم حلب المحدث الكبير ، والعالم الشهير ، ابو عبد الله محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي نزيل المدينة المنورة ، عقد مجلس حديث في الجامع الأموي بحلب ، وسمع منه المترجم ولازمه وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية مع والده ، وأجازه غير مرة ، وسمع الحديث المذكور من أبي محمد عبد القادر بن خليل الكدك المدني لما قدم حلب وأجازه برواياته بعد أن قرأ عليه أوائل الكتب وبعض المسانيد ، وسمع حديث الأولية أيضاً من أبي عبدالله الحسين بن علي بن عبد الله الشكور الطائفي المكي وأجازه بخطه ، وكذلك الشهاب احمد بن الحسن الخالدي الجوهري ، وأحمد بن عبد الفتاح

الدي وغيرهم ، ومهر ونبل وتفوق ، وأخذ عن والده الطريقة القادرية ، وجلس بعد موته على سجادة المشيخة وأقام الأذكار وأجاد في الإرشاد ، وانتفع به الحاضر والباد ، وكان يختلي في الصالحية كل سنة أربعين يوماً ومعه جماعة كثيرون . وكان كثير الإفادة والوعظ والتدريس في الجامع الأموي بحلب ، مكان والده وجده على الكرسي الموضوع تجاه مقام سيدنا زكريا ، وسمع منه الجم الغفير وحضره كثير من الناس ، وأفاد واشتغل عليه الناس بالأخذ في داره ، وأخذ عنه الطريق كثير من الناس من حلب وأطرافها وانتفعوا ، وعلا قدره عند الحكام والأعيان ، وأظهروا له الانقياد والإذعان ، ونفذت كلمته ، وقبلت شفاعته ، وفاق فضله على أبيه وجده ، وكان لطيفاً مهاباً لين العشرة حسن المذاكرة ، قوي الحافظة في الآثار والسنن ، وافر العبادة والتنفل والذكر ، ومن جملة من أخذ عنه محمد خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام ، وأجازه إجازة عامة في حلب سنة الف ومائتين وخمس ، وفي سنتها خرج المترجم إلى الحجاز ورجع إلى بلده ، ولم يزل على ما كان عليه من الدأب على العلم والعبادة والذكر والمذاكرة والإرشاد ، إلى أن توفي خامس شهر رمضان سنة ثماني عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن محمد الأريحاوي الشافعي الشهير بالعاري

ابو الفدا صلاح الدين الكاتب الصالح الديّن ، البركة الفقيه النبيه . ولد بأريحا ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة أربع وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على والده وجده البرهان المشهور المفتي وانتفع بهما ، وأخذ الخط عن جده ، وقرأ على عواد بن حسين العبسي السرجاوي وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وبقية مسلسلات ابن عقيلة المكي

بروايته لهم عنه ، وأجازوه الإجازة العـامة ، وأخذ الطريقة الرفاعية عن الشهاب احمد بن اسماعيل القصيري الرفاعي ، ودخل حلب وحضر بها دروس أبي الفتوح علي بن مصطفى الدباغ الميقاتي ، وأبي عبد الفتاح محمد بن حسين وغيرهم وسمع عليهم ، وأكثر من كتابة الكتب وكتب الكثير من المصاحف الشريفة والتفاسير وكتب الحديث والفقه وبقية الفنون ، وكان مريع الكتابة حسن الضبط والخط أديباً صالحاً تقيـاً عابداً زاهداً من أحاسن الناس وخيارهم وصلحائهم ، والملازمين على وتيرة السلف ، والقائمين باعباء العبادة من تهجد وذكر وصلاة وصيام ، واجتناب مايجب اجتنـابه وفعل مايجب فعله . راضياً بما يحصل له من غلال بعض أراضيه وثمرات أشجاره وزيتونه وأجرة كتابته التي يكتبها ، وأفاد واستفاد واشتهر ذكره بالعلم والإرشاد ، توفي سنة الف ومائتين ودون العشرة .

الشيخ اسماعيل بن عبد الجواد بن احمد الكيالي
السرميني الأصل الحلبي الشافعي

العالم الفاضل الصوفي المتقن ، الولي البركة الصالح التقي النقي المتفنن . ولد سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم ونشأ بكنف والده وتخرج به وعليه ، واشتغل بالأخذ والتحصيل فقرأ على أبي اليمن محمد تاج الدين بن طه بن احمد العقاد ، وأبي العدل قاسم بن عـلي التونسي المالـكي المغربي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الأريحاوي وغيرهم . وحصل ونبل وفاق في مدة يسيرة على الكثير من العلماء حتى شهد له بالتقديم شيوخه ، وأقر له بذلك الجم الغفير ، وكان والده يثني عليه ويحبه ويقدمه على إخوته ، وأخذ عنه وأجازه بمروياته . وبعد وفاته درس وشرع بالإفادة والتسليك وقام مقامه ، حتى قدر الله تعـالى أنه في سنة المائتين والألف حصل له جذبة فخلع ثيابه وصار يدور في الأسواق على هذه الحالة ، ويتكلم بما

لايعني من الكلام ،[1] ومال إلى الخمول والذهول وتغيرت أحواله ، ومع هذه الحالة شوهدت له كرامات كلية ، وخوارق وأحوال وأخبارات غيبية ، وكانت الناس تحترمه وتهابه وتخشى من بطشه ، ويرجون دعواته ، وينظرون اليه بعين المهابة والتعظيم ، ويذكرون الله عند رؤيته كما هو علامة أهل الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله عند رؤيتهم [2]. ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين ظنا .

الشيخ اسماعيل الشيرواني الخالدي النقشبندي

قال في المجد التالد : الولي النحرير العلامة ، والبحر الفهامة ، صاحب الأنفاس القدسية ، والنفحات الأنسية ، العارف بالله ، والغارف من بحر نداه ، أكب على العلم والعمل من صغره ، ودأب على الإفادة في كبره ، ثم لما عاد حضرة مولانا خالد إلى السليمانية من الهند ، فإنه لازم خدمته ، والتزم طاعته ، وسلك على يديه طريق السداد ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، ونشر العلوم ، فانتفع به الناس طريقة وعلما ، وله خوارق عجيبة وهو من أجل الأفاضل ، وأفضل ذوي الفضائل ، توفي سنة الف ومائتين ونيف وخمسين .

الشيخ السيد اسماعيل البرزنجي الخالدي النقشبندي

العالم الفاضل ، النسيب الشريف الفقيه العامل ، الحافظ التقي الأديب ، الحسيب اللبيب الأريب ، نشأ في العلم والصلاح ، ونهج منهاج الطاعة والنجاح ، وكان من أخص جماعة حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة ، وكان يخدمه ويقرأ عليه ، ويكتب له الكتب ، لما كان له من جودة الخط ، وكان حضرة الشيخ يحبه محبة عظيمة ولا يعبر عنه إلا بأخينا الشيخ اسماعيل .

---

(١) إذا أخذ ماوهب ، أسقط ماوجب .

(٢) تراجع ترجمته بتاريخ حلب الشهباء (ص ١٩٥ ـ ٢٠٠ ج ٧) ففيها غرائب كثيرة ، ومنها : أنه يميل إلى الأصوات الحسان .. وتارة يشارك المغنين والندمان .. ويميل إلى القهوة والتتن الفاخر .

وكان هذا المترجم من العلوم الفقهية والعربية والأدبية على حظ عظيم ، وكان مع حفظه للقرآن وبعض الكتب التوحيدية والفقهية حافظا لمقامات الحريري ، وله شعر ونثر رائق في العربية والفارسية ، قرأ على مولانا خالد قدس سره منذ نشأ ولم يقرأ على غيره ، وخلفه خلافة مطلقة ، إلا أنه لم يسمع أنه أرشد أحداً ، وكان كثير الأسفار لحج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإلى الشام لزيارة قبر حضرة شيخه مولانا خالد ، وتوفي في بغداد وهو على زيادة ترقيه وتوقيه ، سنة الف ومائتين ونيف وخمسين تقريبا .

الشيخ اسماعيل البصري النقشبندي الخالدي

خلاصة الأفاضل ، وصفوة ذوي الشمائل ، العالم العامل ، والإمام المهذب الكامل ، ذو السيادة والعبادة ، والخضوع والزهادة ، رحمة المريدين ، وتحفة السالكين والمترددين ، أخذ في العلم والعمل ، ولم ينله ملل ولا كسل ، وكان في الزهد والتقوى ، في السر والنجوى ، والتذلل والخضوع ، والتواضع والخشوع ، والجود والكرم ، وتحريك الهمم ، إلى الإقبال على باريء أمشاج الأمم ، في درجة عالية ، ورتبة سامية ، ثم تحلى بأخذ الطريق ، عن سيد ذوي التدقيق ، شيخ الحضرة مولانا خالد ، ثم خلفه وأتحفه بالالتفات الزائد ، فاشتهر في البلاد ، وانتفع به العباد ، وورد عليه الواردون من كل ناد ، ولاحظته عين الاسعاد ، ولم يزل ينمو أمره في الرفعة ويزداد ، إلى أن تم أجله ، وانقطع أمله ، وذلك سنة الف ومائتين وفوق الأربعين .

الشيخ اسماعيل بن الشيخ عبد الغني بن طالب بن حماده ابن ابراهيم بن سليمان الميداني

حليف أدب وأرب ، وأليف لطف وطرب ، قد طالت في الفضل باعه ، وشربت حب المعارف طباعه ، فذهب في مجال التقدم عرضاً وطولا ،

وأصبح في معالي الترقي وله اليد الطولى ، وقد كانت ولادته في النصف الثاني من ذي الحجة الحرام الذي هو في سنة الألف والمائتين والأربع والخمسين ، ونشأ في حجر والده نخبة المتقين ، وبعد أن بلغ سن التمييز قرأ القرآن العزيز ، ثم حضر على والده الفقه النعماني ، إلى أن بلغ منه جل الأماني ، وأخذ جملة من علوم الآلات عن شيخنا العلامة الفاضل ، والفهامة الكامل ، نادرة الزمان ، وأوحد العصر والأوان ، الشيخ محمد افندي الطنطاوي ، أعلى الله في درجات القرب مقامه ، وأعطاه في حديقة الرضوان مرغوبه ومرامه ، وحضر مجالس كثيرين من أهل الفضل ، ممن يعتمد عليهم في القول والنقل ، منهم بل أعلاهم وأعلمهم علم الأعلام ، وعمدة الحكام ، أخي وشقيقي الهمام ، الشيخ محمد افندي امين فتوى الشام ، وكثيراً ما كان يضمني وإياه مجلس المطالعة في كل علم رفيع ، من تفسير وحديث وتوحيد وغير ذلك من معان وبديع ، وكان ينقاد إلي ، ويعتمد في حل المشكلات علي ، وله جمال وصفا ، ووداد ووفا ، توفي في رمضان سنة ١٣٣٢ ، أعلى الله في مدارج السيادة مرتقاه ، وجعل الجنة مثواه ومأواه .

اسماعيل بن محمد بن مصطفى بن امين سفر المدني

نجيب نشأ في بيت النجابة ، ونبت في مغرس اللبابة ، ومن كان أباه البحر الزاخر ، فلا غروَ انه صدف در المفاخر ، فإنه كامل عليه أنوار الكمال زاهرة ، ودلائل الفضل منه ظاهرة ، ليس إلا بالتحصيل اشتغاله ، وإلى الاستفادة حركاته وانتقاله ، فحسبه رفيع ، وأدبه كالزهر المريع ، وله ذهن تحمد آثاره ، وفكر تمدح أشعاره ، فمن محاسن كلماته ، وغرر نظمه وأبياته ، قوله باعثاً بهذه القصيدة لأهله من مصر المحروسة :

يصل الكتاب اليكم ياسادتي ... فتعطفوا بجوابه وتأهبوا
للعبد اسماعيل نجل محمد ... عبد ذليل عاجز متغرب

قد صار يجري الدمع من أجفانه   من حبكم إذ حبكم لا يذهب
من قلبه المضنى السقيم لبعدكم   والبعد هـاد للأنام يهذب
أعني الرسول الهاشمي المصطفى   من ربنـا أدناه فهو محبب
وكذا ارتضاه لخلة ولغيرهـا   فهو الحبيب الهاشمي الطيب
فقفوا جميعاً تحت باب أكرم   وسلوه في كل الأمور وجربوا
واقروا التحية والسلام عليه ما   هب الجنوب لنا كذاك الأريب
وكذاك سيدنا أبو بكر العلى   وسراجنا مَن لِلتَّعين يجرب
ثم ابن عفان الحيي وحيدر   من للوغى أضحى هناك يجرب
ولبضعة المختار سيدة النسـا   وبناته الأطهار
وكذاك حمزة عمه البطل الذي   أضحى لكل الكافرين يؤدب
ولعمه العباس ثم صحـابه   في غر قد أضحى بهم يتطيب
أيضاً وزوجات النبي المصطفى   والتابعين ومن اليهم ينسب
فسلوا جنابهم العليَّ مقـامه   يدعو الإله لعبدهم بل يطلبوا
عوداً له في حسن أحسن حالة   ووفاء دين صار منه يعذب
وفصـاحة وبلاغة في قوله   حتى يكون إذا تكلم يعجب
ودخوله في دار فردوس علت   ورضاء رب حَبٌّ هذا المطلب
وسلامة من حر نار جهنم   نار العدا من حرها تتلهب
وسعادة الدارين ثم حيـاته   في حالة يرضى بهـا ويقرب
ثم الصلاة مع السلام على الذي   بضريحه مسك سحيق طيب
وكذاك كل الآل والاصحاب ما   قد لاذ بالاعتاب عبد مذنب

الشيخ امين بن محمد الجندي الحمصي الشافعي
ابن خالد بن عبد الرزاق

الشاعر اللبيب ، والماهر الأديب ، والكامل الأريب ، والفاضل النجيب ،

من اشتهر برقة المعاني كلامه الفائق ، ورقى فوق ذروة الفصاحة حسن انسجامه الرائق ، قد حضر دروس العلماء الدمشقيين ، وشهدوا له بالفضل والقدر المكين ، وابتهج به ذوو المعارف ، وأقروا له بالفضائل والعوارف، وكان حسن النظم والنثر ، قد فاق أهل زمانه بما ألقاه من بديـع الشعر ، وله المقطعات العجيبة المباني ، التي لم يسبق لها مثيل في جزالة الالفــاظ ولطافة المعاني ، استعمل فيها الكلمات المألوفة في هذا الزمان ، التي تطرب اسماعها القلوب والآذان ، ولا بدع فناظمها هو العالم النحرير ، والشــاعر الشهير ، لبيب عصره ، وأديب قطره فضلاً عن مصره ، منور الأفكار ببلاغته ، ومزين الألفاظ ببراعته ، قد خلع عليه الصفي صفاه ، وتبعه المتنبي ورجع عن مدعاه ، ولد بمدينة حمص الشهيرة ، ونشأ بها في طلب العلوم ، وتحقيق المنطوق والمفهوم ، ثم صار يتردد إلى دمشق الشام ، ويقرأ على علمائهـــا الأعلام ، وأخذ وتلقى وقرأ على قطب زمانه ، ومرشد أقرانه ، السيد الشيخ عمر اليافي ، قدس الله سره الوافي ، فحل عليه نظره التام ، حتى قال له اذهب فأنت أشعر أهل الغرام ، فصار الشعر فيه سجيه ، والبلاغة له عطية، ينظم القصائد المفيدة ، والقدود الفريدة ، والموشحات النضيدة ، والمقاطيـع السديدة ، والمواليات العديدة ، فسارت الركبان بكلامه ، وتزينت المجالس بنظامه ، فياله من ماهر ألبس الدهر أحسن أثوابه ، وأنفق الدر الثمين على أقرانه وأحبابه ، فصار مفرداً في نظامه ، معدولاً إلى بديع كلامه .

وفي سنة ست وأربعين ومائتين والف أتى إلى حمص عامل من قبل السلطان محمود خان ، وما لبث أن وشى اليه بصاحب الترجمة بعض أعوانه أنه هجاه ، وقال عليه مالا يرضاه ، فأمر بنفيه وإخراجه من حمص بحـال الذل والقهر ، وبلغ الشيخ أمين خبر هذا الأمر ، ففر هاربا إلى مدينة حماه، وظن أنها تكون مكان حفظه وحماه ، وعلم العامل بفراره ، فأرسل في طلبه جماعة من أنصاره ، فقبضوا عليه في الطريق ، وأرسلوا الخبر إلى العامل ،

فأمر بأن يضيق عليه أشد التضييق ، وأن يحبس في اسطبل الدواب ، ويسد عليه الباب ، وأن يعطى له في اليوم والليلة قرص شعير ، وشربة ماء مع غاية التكدير ، ففعلوا به ذلك ، وأوردوه موارد المهالك ، فاشتغل بنظم قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في خلاصه . ففي اليوم الرابع من حبسه دخل سليم بن باكير الدنادشة حمص قهراً ، ومعه مايتا فارس فقتلوا العامل المرقوم شر قتلة ، وخرج المترجم من الحبس وفرج الله عنه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وهي هذه القصيدة :

توسلت بالمختار أرجى الوسائل … نبي لمثلي خير كاف وكافل
هو الرحمة العظمى هو النعمة التي … غدا شكرها فرضاً على كل عاقل
هو المصطفى المقصود بالذات ظاهرا … من الخلق فانظر هل ترى من مماثل
نجيُّ اله العرش بل وحبيبه … وخيرته من خير أزكى القبائل
شمائله تنبيك عن حسن خلقه … فقل ماتشا في وصف تلك الشمائل
وأخلاقه فاه الكتاب بمدحها … ولا سيما الاعراض عن كل جاهل
نبيٌّ هدى سن التواضع عن علا … فحل من العليا بأعلى المنازل
تقي تردّى الجود والحلم حلة … تجسم فيها المجد بعد التكامل
وفي الحرب والمحراب نور جبينه … يريك شعاع الشمس من غير حائل
له النسب الوضاح والسؤدد الذي … تسامى على هام السهى بالتطاول
يقولون لي هلا ابتهجت بمدحه … فإنك ذو فهم كفهم الأوائل
فقلت لهم هل بعد مدحة ربنا … وخدمة جبريل مجال لقائل
وأين الثنا ممن رأى الله يقظة … وقام يناجي ربه غير ذاهل
ولكنه بحر البحور تواصلت … لأفضاله بالمدح كل الأفاضل
دعوتك يا الله مستشفعاً به … فكن منجدي يا منتهى كل آمل
سألتك كشف الضر عني بجاهه … وحاشاك أن لاتستجيب لسائل
إلهي قد اشتدت كروبي وليس لي … سواك مغيث في الخطوب الغوائل

إلهي تدارك ضعف حالي برحمة ... ولطف خفي عاجل غير آجل
وفي علتي حار الطبيب فكدت أن ... أجاوز حد اليأس من ذي العواضل
وبالسقم أعضائي اضمحلت جميعها ... فلم يبق مني مفصل غير ناحل
ومن فرط مابي من نحول ولوعة ... بكت رحمة لي حسدي وعواذلي
فمن لاسير الذنب من ورطة البلا ... بفك قيود أو بقد سلاسل
كأني غريب بين قومي ومالهم ... شعور بأشعاري ولا في رسائلي
أنادي فلا ألقى مجيباً سوى الصدى ... فأحسب أن الحي ليس بآهل
وإني إذا مارمت خلا موافيا ... فقد رمت شيئاً عز عن كل نائل
وهل مشفق ألقاه أرحم من لظى ... حشائي ومن قاني دموعي الهوامل
ألا ليت شعري هل تفردت في الورى ... بكسب الخطايا وارتكاب الرذائل
ومن دون كل الخلق عولجت بالأسى ... قصاصاً وحسبي زلتي ونصائلي
فإن كان هذا بالذنوب وليس لي ... شفاء وجسمي داؤه غير ناصلي
فإني بطه مستغيث[1] وراغب ... إلى الله فهو الغوث في كل هائل
وإخوانه الرسل الكرام جميعهم ... وباقي النبيين البدور الكوامل
وبالخلفـــاء الراشدين وآله ... وأصحابه الغر الثقات الأماثل
خصوصاً رفيق الغار ذي الرأي والحجى ... أبي بكر الصديق صدر المحافل
إمام فدى خير الانام بنفسه ... وفي ماله ما كان قط بباخل
وفي دره تلك الفتنة اختص وحده ... ولولاه لارتدت جميع القبائل
كذاك أمير المؤمنين وعزّهم ... أبو حفص الفاروق مُحْيِي النوافل
فتى أيد الإسلام فيه وأقمعت ... به البدعة السوداء رغماً لنا كل
بعثمان ذي النورين من جمعت به ... بجمع كتاب الله كل الفضائل
ومن لزم المحراب طول حياته ... ومات شهيداً صابراً غير صائل
بقالع باب الخيبري الذي اغتدى ... لراية نصر الجيش أعظم حامل
علي أبي السبطين في صدرة الوغى ... مبيد العدى ليث الحروب المداخل

(١) لو قال : فإني بربي مستغيث لتمّ له ما أراد وزناً ومعنى ، فهو تعالى غياث المستغيثين .

بطلحتهم ثم الزبير وسعدهم ... كذاك سعيد من سما بالفضائل
بصدق ابي عوف بذي الهمة التي ... يدك لها في البأس صم الجنادل
بفاتح قطر الشام سيدنا ابي ... عبيدة كشاف الحروب العواضل
بحمزة بالعباس عمي نبينا ... بسبطيه بالزهراء عين الأماثل
بمن شهدوا بدراً وقد أثخنوا العدى ... ببيض حداد أو بسمر ذوابل[1]
بسطوة سيف الله ذي البأس خالد ... فتى الحزم ماضي العزم زاكي الخصائل
أمير بني مخزوم الشهم من غدا ... بير يمين المصطفى خير حافل
ومن ثم يوم الفتح سبعون سيدا ... سقاها كؤوس الحتف بين الجحافل
وعاد كأكباد البخاتي[2] دم العدا ... على درعه لاسي فوق الكواهل
وما كان هذا منه إلا برؤية ... بأمر إلهي بعيد التناول
بسائر حفاظ الحديث بمن غدا ... بتفسيره للحبر أو لمقاتل
بأحمد بالنعمان ثم بمالك ... وبالشافعي بحر الندى والمسائل
وبالعلماء العاملين ذوي الهدى ... واتباعه من كل حبر وفاضل
وبالأولياء العارفين وبازهم ... أبي صالح من قال ما في المناهل
بمن لزموا بر الشريعة فانجلى ... لهم بحر قدس الذات من غير ساحل
أجرني وأنقذني من الهم والعنا ... فغيرك مالي ملجأ في النوازل
وهذا ختام الصوم تصطنع الجدى ... به الأسخيا مع كل سام وسافل
وفي العيد عادات الكرام لقد جرت ... ببر اليتامى وافتقاد الأرامل
وها أنا محتاج فلا تك قاطعاً ... حبال رجائي منك ياخير واصل
فإنك أولى بالمكارم منهم ... وأجدر بالإحسان من كل باذل
فحاشا ظنوني أن ترد بخيبة ... وفي بابك المأمول حطت رواحلي
فإن كان في العمر انفساح فشافني ... من السقم وارحم يارحيم تناحلي
وإن تك قد حانت وفاتي فآوني ... لدار نعيم عزها غير زائل

(١) يقال : الرماح الذوابل : أي الدقيقة .
(٢) البخت الإبل الخراسانية ج بخاتيّ وبخاتَى وبخات .

وثبت على التوحيد قلبي ومنّ لي ... بخاتمة الإيمان من غير فاضل
وكن لي رحيما في البلاء وفي البلا ... بدنيا وأخرى يارجا كل سائل
ودم راضياً عني كذاك ومرضيا ... خصومي ويوم العرض لا تك خاذلي
فإني أرى الدنيا سرابا واهلها ... أحاديث يرويها الزمان لناقل
وما الكون إلا كالهباء لناظر ... أو الحظ في مستبحر ذي جداول
وإني لراض بالقضا وبما تشا ... وعندي يقين أن لطفك شاملي
ولكنني أشكو البلاك لا القضا ... لأنك أنت الحق أعدل عادل
وللغيرلا أشكو وإن سامني الردى ... ونصل فصال المنايا مفاصلي
وعن رتبة التسليم في كل حالة ... فؤادي وإن ناجاك ليس بنازل
وحبة قلبي في معانيك أنبتت ... بقدس سواد الليل سبع سنابل
تعرفت لي من قد ألستُ(١) بزرعها ... فلم أسقها غير الدموع الهواطل
وبالكتم من بعد الحصاد درستها ... بلب خلا عن فكرة وتخايل
ولا برحت قوتي مع الفقر والغنى ... وقوت عيالي في الضحى والأصائل
ألا ما ألذ القرب بعد النوى وما ... أمر الجفا والهجر بعد التواصل
تبرأت من حولي اليك وقوتي ... ومن عملي والعلم ثم التفاضل
لتقطعني بالقرب عن كل قاطع ... وتشغلني في الحب عن كل شاغل
أشاع الورى عني عداتي واظهروا ... الشماتة فيما بينهم بالتداول
وبالموت لم يشمت بمثلي تشفيا ... من الناس إلا كل باغ وباسل
أليس الوجود الحق ذاتي بلا مرا ... وهذي البرايا كلها محض باطل
فلا يحسب المغرور أني مضيع ... زماني سدًى مابين هاز وهازل
فدع عصبة البهتان تفعل ماتشا ... فما الله عما يفعلون بغافل
فمن أين للخفاش أن يبصر الضيا ... وهل يألف الجعلان(٢) ورد الخمائل
ومنّ على روحي الصلاة مسلماً ... وأصحابه والآل مع كل كامل

(١) من قوله تعالى : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى .. » الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٢) الجعلان : ضرب من الخنافس ، مفرده جُعَل .

مدى الدهر ما الجندي أنشد قائلًا توسلت بالمختار أرجى الوسائل

وله أيضاً مخمساً

أرى قلبي بليلى زاد ميلًا وما جرّت بربعي قط ذيلا
فقلت لبعلها إذ زار ليلًا بحقك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها

فعني ان تسل فأنا فتاها تملك حبها قلبي فتاها
فقل لي هل دنت لك وجنتاها وهل رفت عليك ذوابتاها
رفيف الأقحوانة (١) في نداها

وقال أيضاً مخمسا

أفدي التي لو رآها الغصن مال لها شوقاً وإن قتلت صبا لحل لها
حورية لو رآها عابد للها مرت بحارس بستان فقال لها
سرقت رمانتي نهديك من شجري

قالت وقد بهتت من قوله خجلًا فتش قميصي لكي أن تذهب الوجلا
فهم أن يقبض النهدين مامهلا فصاح من وجنتيها الجلنار على
قضيب قامتها لا بل هما ثمري

وقال أيضاً مخمسا

أهيم إذا أثنى الأنام بشكركم وأكتم أمري لا أبوح بسركم
أحبتنا من طيب نشأة خمركم إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم
أنوح كما ناح الحمام المطوق

عسى ولعل الدهر يأتي بهم عسى أشاهدهم عند الصباح وفي المسا
وقلبي من فقد الأحبة قد قسا وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتي بحار بالجوى تتدفق

إذا ترب غيد فاح منها عبيرها وفيهن خود ليس يلفى نظيرها

---

(١) نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة

بأحشاء صب زاد فيها سعيرها سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها

تفك الأسارى دونه وهو موثق

أسير سبته أعين وملاحة لمدمعه فوق الخدود سباحة

جريح له في كل عضو جراحة فلا هو مقتول ففي القتل راحة

ولا هو ممنون عليه فيطلق

وقال مشطرا

مازال يرشف من كأس الطلا قمر يبدو لنا من سحاب الشعر في غسق

أمِنْهُ في الثغر شمس الراح قد غربت حتى بدت شفتاه اللعس كالشفق

وقام يخطر والأرداف تقعده نشوان لم يبق فيه السكر من رمق

فقلت ذا ملك للشهب يحمل أم غزال انس يحاكي البدر في الأفق

ضممته لعناق فانثنى خجلا وفاح من خاله مسك لمنتشق

وعندما بالحيا صينت محاسنه وكللت وجنتاه الحمر بالعرق

أشار لي برموز من لواحظه منها عن القدح استغنيت بالحدق

وقال إنسانها لي وهو مبتسم ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال أيضاً مشطرا

ياناقل المصباح لاتمرر على ربع به صبح المحاسن أسفرا

واحذر بأن تغشى أشعة نوره وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى

أخشى خيال الهدب يجرح خده فيبث مسك الخال منه العنبرا

أو ان يدب لفيه نمل عذاره فيقوم من سنة الكرى متذعرا

وقال

يادر ثغر حبيبي دم بالعذيب مقيما

ويا جمال الثنايا كن بالعقيق رحيما

ولا تشق عليه فتركنه هشيما

وكن له خير جار ألم يجدك يتيما

وقال مشطرا

سألت أحبتي ما كان ذنبي وهل لي عندهم حدثت عيوب
وكررت السؤال لهم إلى ان اجابوني وأحشائي تذوب
إذا كان المحب قليل حظ ونجم السعد يعلوه الغروب
ومن يرمي الزمان لقوم سوء فما حسناته إلا ذنوب

وقال

يقول لي العذول وقد رآني كئيب الجسم منتحبا عليلا
أتسلو يامعنى قلت اسلو عن الدنيا ولكن عن علي لا

وقال

وحمام رأيت به غزالا كبدر التم في غصن قويم
فقلت تعجبوا من صنع ربي رأيت الحور في وسط الجحيم

وقال في قصاب

ياواضع السكين بعد ذبيحه في فيه يسقيها رحيق لهاته
عدها على المذبوح ثاني مرة وأنا الضمين له برد حياته

وقال

مهفهف لو اماط السجف لاختجلت شمس الضحى وبضوء السحب تحتجب
كأنما أوجد الرحمن صورته من مغنطيس لها الأبصار تنجذب

وقال مخمسا

جبينك كالهلال اضا لدينا وجيدك كالصباح كذي لجينا
وخدك روضة منها رأينا نجرم الورد قد وردت علينا
ونحن من المدام على ورود
أرى الندمان تسفر عن بدور وتبرز كالعرائس من خدور
ونجم الكاس يطلع في سرور وشمس الراح تغرب في ثغور
وتشرق بعد ذلك بالخدود

وساقينا رشا باهي المحيـا إذا ماعاد ميتاً عاد حيـا
فما أحلاه إذ بالكأس حيـا فقد عقد الحباب على المحيا

فهل لك أن تكون من الشهود

وقال أيضاً مخمسا

ما للهموم اخا الصفاء وحزنهـا إلا ثلاث ويح من لم يجنهـا
صهباء تجلى كالعروس بدنهـا وبديعة تسبي العقول بحسنهـا

ومهفهف يزري الغصون بقده

خود خبَت شمس النهار ببردها واستطلعت نجم السهى من نهدها
ومذ استفز الحب كامل وجدها غنت فأطربت الغلام بنشدها

ولنشدها لعب الغلام ببنده

أفدي التي لما استهام حبيبهـا في قبلة كالمسك يعبق طيبهـا
قالت له ادنو عساك تصيبهـا فدنا يقبلها فمر رقيبهـا

خافت عليه فأسرعت في رده

وغدت تقول له بحسن كناية لا صادفت عيناك عين عناية
من خوفها سوء اتهام زناية لطمت عوارضه بغير جناية

منها فأثر نقشها في خده

حتى إذا عطفت عليه بعطفهـا وأضاء وجه من مهند طرفها
مسحت مدامعه براحة لطفها فاخضر آس عذاره من كفها

واحمر باطن كفها من خده

وله قصائد كثيرة ، وموشحات وقدود شهيرة ، قد رقمت في عـدة دفاتر ، واشتهرت اشتهار البدر السافر (١) وقد توفي في حمص سنة ست

---

(١) وقد عُني بعضهم بجمع أكثر مانظمه من القصائد والمقاطيع والموشحات والمدائح والتغزل ، فكان منه ديوانه المشهور الذي طبـع في بيروت .

وخمسين ومائتين والف ودفن في خارج المدينة قريباً من جامع سيف الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقد ارخ وفاته الأديب الفاضل السيد عمر المعري بأبيات وبيت التاريخ :

دعيت لساحة الإحسان ارخ أمين الحب في عدن تقرر

الشيخ أمين مفتي الحلة الشافعي العراقي

خاتمة المحققين في عصره ، ونادرة المدققين في مصره ، طلب العلوم وهو شاب ، والتف هو والكمال في برد والقذال ما شاب ، بحث وحقق وناظر ودقق ، وتولى افتاء الحلة سنيناً ، وسل من الحق على من حال عنه سيفاً سنيناً ، ورق طبعاً وصلب ديناً ، حسنت سيرته في افتائه طمعاً في ثواب الله وارضائه ، وتولى تدريس المدرسة العلوية ، فاقر عيون العلوم النقلية والعقلية ، ولقي الاجلاء من علماء العراقين ، وألف في النحو وغيره ما هو قرة عين ، وتناهت اليه رياسة التدريس في بلده ، مع زكاء عرقه واصالة محتده ، ولقد قال فيه الشيخ عثمان بن سند :

يا فاضلاً عشق النسيم طباعه والفضل لف عليه منه اهابه
كنت امرأً الف العلوم وما نُعي بمشيبه البيض منـــه شبابه
صنت الشباب عن اقتراف جريمة كالسيف صين عن الفلول غرابه

وبالجملة فهو من الذين نزلوا من الاتقان مكاناً علياً ، ومن الاتقياء الذين عاد بهم الفضل صبياً ، والاسخياء الذين سقوا رياض الآمال بالمكارم والحامين حوزة الدين بسيوف من السنة صوارم ، والائمة الذين صيروا الصمت حلية ، ونزهوا المسامع عن غيبة وفرية ، توفى رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين بعد المائتين والالف ولقد رثاه الشيخ عثمان سند بقوله :

سقى قبره للرحمة السُحُب الوطف فما هو الا الكهف خرَّ بهِ كهفُ
فيا قلب لا تبرح من الرزء قد قضى هزبر هو الاكليل للمجد والطرف

قضى غير اني ما قضيت من الاسى | وأودى فأودى السؤددوالمودوالعرف
كريم الايادي لا يغيب عطاؤه | سقام المعادي لا يطاق له عسف
به أنشبت قوس المنايا سهامها | وما هو الا الشمس غيبها الكسف
وكيف وأنوار الامين محمد | وما هو عن توصيفها يقصر الوصف
علوماً له ابقى تلوح كأنها | هي التاج للأيام والقلب والشنف
غدت تحف الرضوان تقدم روحه | لينشق ريحان الجنان له الانف
فيا قبره واريت افضل وارد | اليك باعمال هي الخالص الصرف
نعوه فكان العلم أعظم نادب | معارف منه زانها البحث والكشف
فان غيبوه في الثرى لم تغب له | فضائل تزهو من تلألئها الصحف
فيا دافنيه قد دفنتم مُرَزءاً | له ترزأ الاموال في الكربة الكف
ويا نعشه أمسيت للبدر داره | ولو أن نور الشمس من فوقك السجف
ويا حاملي نعش به القطب طالع | لروح وريحان وحور به زفوا
فتى كان يحيي بالتلاوة ليله | اذا جن ليل قال للطرف لا تقف
نعوه إلى التدريس فاحتقب الاسى | وقال انقضى لما قضى معه الظرف
تسامى الى التدريس والشيب ما بكى | شباباً له التقوى عن الدائم الزغف[1]
إذا سابق النظار يوماً لغاية | من العلم لم يسبقه في حلبة طرف
ولو لا تعزينا بمن مات قبله | لما كف عن نثر الدموع لنا طرف
وان الليالي مودعات قسيها | سهاما لها الرامي النوائب والحتف
على ان في ابنائه الغر إذ قضى | غناء اذا ما البحث عز له كشف
سقى قبره مزن الرضى أنه مضى | وما كف عن بذل الجميل له كف

امين افندي بن حسين بن عمر المنجكي العجلاني الشافعي شيخ المشايخ في دمشق

كان رجلاً صالحاً شهماً تقياً نقياً حافظاً لكتاب الله كثير التلاوة ، وله

---

(١) الزغف : السحاب الذي أراق ماءه وهو مجلل للسماء .

من الخشوع والتدبر والخضوع ما يشهد له بكمال الصلاح والفلاحة والنجاح ، وكان قليل الاختلاط مع النـاس ، دائم الجلوس غالباً في جامع بني امية ليس له بغير الطاعة والعبادة استئناس ، وقد انتقلت اليه بعد موت والده مشيخة الحرف والصنائع وأهل الطرق . وكان شهماً مهاباً جميل الصورة لين الجانب حسن المعاشرة سامي القدر مقبولاً عند الناس . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ودفن[1] في مدفنهم المعلوم .

الشيخ امين بن الشيخ عبد الستار بن الشيخ ابراهيم الاتاسي الحمصي

عين الزمان ويمينه ، لو حلف الدهر ليـأتين بمثله حنثت يمينه ، فهو شخص كله كرم وجود ، وما من فضل إلا لديه ثابت موجود ، موارد معارفه سائغة ، وملابس عوارفه سابغة ، مع شيمة لو انها في المـاء للطافتها ما تغير ، وهمة لو تمسكت بها يد النجم ما تغور ، وايادٍ روائح غوادي ، كنسيم الروض غب الغوادي ، ولد رحمه الله سنة السبع والعشرين بعد المـائتين والألف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ عليه في المعقول والمنقول ، إلى أن صار من خـلاصة الفحول ؛ وكان ذا شفقة ومروءة وهمة ، وإسعاف للفقراء والمساكين ، كثير البشاشة والاقبال على القاصدين والواردين . وبعد وفاة والده حضر الى دمشق الشام ، واخذ عن السادة الاعلام ، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، والسيد محمد عابدين ، والشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت . ثم ذهب الى وطنه الشهير ، وتولى وظيفة التدريس بعد والده في الجامع النوري الكبير ، في كل يوم جمعة بعد الصلاة ، وفي شهر رمضان من ابتدائه الى قرب منتهاه . ولم يزل على حالته السنية ، الى ان وافته المنية ، غرة ذي القعدة الحرام سنة ثمان وثمانين بعد المائتين والالف من هجرته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) بياض في الأصل .

الشيخ امين افندي بن المرحوم العلامة محمد سعيد افندي الاسطواني الدمشقي

نخبة السادة الأكابر ، وعمدة القادة ذوي المفاخر ، من ورث المجد كابراً عن كابر ، وتسلسل في العلم واغترف من تيــاره الى ان قيل كم ترك الاول للآخر ، فلا ريب انه العالم الاوحد ، والفاضل الهمام الأمجد ، توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وخمسين ومــائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح بالقرب من ضريح ابي شامة .

الشيخ امين بن عبد الغني بن محمد بن ابراهيم البيطار الحنفي الدمشقي امام جامع السنانية في دمشق المحمية

العالم الزاهد ، والفاضل الورع العابد ، ذو الاخلاق العالية ، والشمائل السامية ، ولد سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف في جمادى الثانية ونشأ في حجر الكمال ناهجاً منهج السادة من الرجال ، وقد حضر مجالس الشيوخ الأفاضل ، وأخذ عنهم من العلوم ما اثبت له التحلي بالفضائل ، منهم الهمام الذي هو بكل قدر حرى ، الامام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ومنهم علامة الأمصار ، والدي الشيخ حسن البيطار ، ومنهم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، وولده الشيخ عبد الله الحلبي ، والعلامة الشيخ حامد العطار ، والشيخ هاشم التاجي ، والسيد مصطفى قزهــا ، والشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت ، والشيخ محمد سكر ، والشيخ محمد تلو ، والشيخ عبد اللطيف افندي مفتي بيروت وحضر دروس مشايخ آخرين ، واخذ الطريقة النقشبية على الشيخ محمد بن عبد الله الخاني مقدم هذه الطريقة في جامع السويقة ، واخذ الطريقة الرشيدية في مكة المكرمة على المرحوم الشيخ ابراهيم الرشيد واخذ بالاجازة العامة عن كثير من المصريين حينما

رجع من الحجاز الى مصر من طريق مصر ، ومن حين كماله وهو مشتغل بالعلوم الشرعية والالية ، في داره وفي جامع السنانية ، مع خضوع وكمال ولطف وجمال ، وفي كل ليلة على الدوام يقرأ في كتب فقه أبي حنيفة الشهم الإمام ، بين العشائين في جامع السنانية ، ويحضره الجم الغفير من الناس ويعترفون له بكمال اللطف والايناس ، ولم يزل يترقى مقامه ، ويسمو احترامه ، الى أن توفى سنة الف وثلاثمائة وست وعشرين رحمه الله تعالى .

امين افندي بن محمد بن عبد الوهاب بن اسحق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الجندي المعري مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى

إمام أديب ، وهمام أريب ، وعالم فاضل ، وملازم للقيام بالفضائل من بيت له تقوى وعبادة ، وتقدم ورفعة وسيادة ، وأصل ونسب ، ووصل بأشرف حسب ، وله همة قد استوت على محور العلو ، ومروءة قد احتوت على مظهر السمو ، وذكاء قد تعالى على ذكاء (١) ، ورأي لم يرَ أحسن منه راء ، ومعاشرة أجمل من وضاة المحيا ، وملاطفة الذ من نشوة الحميا ، وله نسبة شريفة للسيد العباس ، عم السيد الاعظم سيد الناس ، وقد نظم المترجم نسبه ، وأوضح به أصله وحسبه ، فقال :

الحمد لله القديم الأحد ... من غير والد له أو ولد
أوجَدَ آدماً من التراب ... لحكمة تدرك بالألباب
ومنه حوا زوجه قد خلقا ... وبث منها أناسا فِرقا
وارسل الرسل اليهم منهم ... فأفضل الناس حقيقة هم
وخير كل الانبياء يا فتى ... والرسل من في ختمهم لقد اتى
محمد المختار أشرف الملا ... من كان خلقه عليهم اولا

---

(١) هو اسم علم للشمس غير منصرف .

فهو رسول الانبياء والرسل وبدره بين الانام قد كمل

وشرعه قد نسخ الشرائعا وعم بعثـة به المشارعـا

امته قد جاء خير امـة وقومه في الناس خير عترة

من آل اسماعيل أهل النسب طِراز كل فدفـد [١] وسبسب [٢]

القرشي الهاشمي المكي محـا بسيفه ظـلام الشرك

فهو خلاصة الأنام طرا وسيد الآفـاق براً بحراً

صلى عليه ربنا تعالى وعم صحـبه بهـا والآلا

وبعد فالبحث عن الانساب قال به جمع من الانجـاب

مستأنساً بقول طه الهادي في خير موقف وخير نادى

أنا النبي الهاشمي لاكذب أنا محـمد بن عبد المطلب

وبعضهم قـال بمنعه وذا من محكم التنزيل أيضـا اخذا

وكلهم جاء بما قد أوسعا وليس للانسان الا ما سعى

وحاصل الامر بأن الرجلا يلزمه في ذاته ان يكملا

من غير ان يعتبر الانسابا ومن رأى أفعاله أعـابا

إذ الانام كلهم من طين والشرف الاعظم حفظ الدين

وبعـده فالعلم والآداب من غير أن يدخلهـا اعجاب

وان يكن ذا نسب عريق فهـو أجل ذلك الفريق

وقد يغطى الشخص بالمعارف نسبـه في أكثر المواقف

والعلم حقـا فضله يزيد فذاك سلمـان وذا يزيد

والغبن كل الغبن للانسان خسـارة العلوم والإيمـان

فنسأل الله تمـام النعمة ومننـا تشملنـا ورحمـة

---

(١) مكان مرتفع .

(٢) الأرض البعيدة المستوية .

وقد أردت أن أعدّ نسبي   للحفظ لا للفخر ياذا الأدب
واني أحقر من أن أذكرا   أو أن أكون في الورى موقرا
لكن بقدر طاقتي أقول   والعفو من ذي همة مأمول
ونبتدي الآن بما قصدنا   وما بذا الارجاز قد أردنا
فأشرف الانساب ما كان الى   خير النبيين الكرام أوصلا
واني بحمده تعالى   بلقبي واسمي وجدت فالا
محمد اسمي الأمين لقبي   كذا أتى محمد اسم ابي
ومولدي ارخ غلام مفلح   في وقته حكاه حبر صالح
مسكننا معرة النعمان (١)   ومعدن السخاء والإيمان
ووالدي المذكور مفتيها ومن   غدا على شرع النبي مؤتمن
كم نشر العلم بها وعلما   وقام بالإصلاح لما سلما
اليه في محفلها يشار   وهو بها للكل مستشار
ينصح للدين وللولاة   وللرعايا سائر الأوقات
وكان بالصلاح غير متهم   وفي جميع القطر بدراً وعلم
مدرس في الدولة العلية   خليفة للسادة الصوفية
يخدم سبعة من الطرائق   في رتبة الإرشاد والحقائق
عليه جزؤ من فراشة الحرم   وروضة المختار أشرف الأمم
والده كان إماماً صالحا   خطيب قومه وفيهم فاصحا
يعرف بالعابد للوهاب   ابوه اسحق بلا ارتياب
كذا ابوه عابد الرحمن   وحسن ابوه بالإعلان
والده محمد الجندي   وذكرنا الآن بذا محكي

---

(١) بلد أبي العلاء المعرّي التنوخي مولداً وإقامة ووفاة (سنة ٤٤٩ هـ) وهي على طريق المسافر بين حماة وحلب .

وهو ابن احمد بن ابراهيما ... ابوه ياسين غدا كريما
قطب لقد شرف بكفالونا ... إذ كان في أرجائها مدفونا
بقرب ادلب وفيها قوم ... مافي انتسابهم اليه لوم
شهرتهم بالجوهري تعرف ... وهم بأثواب الصلاح شرفوا
هم بنو أعمامنا بلا خفا ... وكلنا غدا بذا معترفا
ثم ابو ياسين ابراهيم ... وهو ابن عبد الله يافهيم
والده عبد الكريم الزيني ... ابوه احمد شهاب الدين
يعرف بالمكي والسواح ... وهو الذي جاء لذي النواحي
ابن الأمير وهو عبد الله ... ابن الأمير يوسف ذي الجاه
والده عبد العزيز السامي ... وهو ابن منصور الأمير النامى
وهو ابو جعفر الخليفة ... منتصر بالله دون خيفة
ابن محمد الأمير الظاهر ... وهو ابن احمد الأمير الناصر
ابن الامير حسن الخليفة ... ابي محمد جمال الكوفة
ابن الامير يوسف المستنجد ... بالله وهو ابن الفتى محمد
خليفة يقفو لأمر الله ... ابن الامير احمد المباهي
وهو ابن عبد الله والمقتدر ... لقبه وفضله لايحصر
خليفة ابوه بالذخيرة ... محمد يعرف بين الخيرة
وهو ابن عبد الله أعني القائما ... لله بالامر وكان راحما
ابن الامير احمد الخليفة ... شهرته بقادر معروفة
وهو ابن جعفر بن جعفر وذا ... ابوه احمد وعنه أخذا
ابن الامير طلحة بن جعفر ... ابن محمد سراج الاعصر
يعرف بالمعتصم الكرار ... والاسد الغضنفر المغوار
وهوابن هارون الرشيد من غدا ... بنوره في الخافقين يهتدى
خليفة قام لهذا الدين ... بالنصر والتأييد والتمكين

وهو ابن من لقب بالمهدي　　　محمد ذي المشهد السني

وهو ابن عبد الله والمنصور　　　لقبه وهو به مشهور

عمر بغداد كما قد أرخا　　　أيامه كانت على الناس رخا

ابن محمد وذا بالكامل　　　ملقب في سائر القبائل

ابن علي وهو ذو الثفنات　　　لقبه السجاد أيضاً آتى

وهو ابن عبد الله بحر الامة　　　سراجها في كل مدلهمة

وهو ابن عم مصطفى العباس　　　من كان شمساً في خلال الناس

وكان يستسقى به الغمام　　　ولحماه يلجأ الأنام

ومدحه قد جاء في القرآن　　　وكم حديث صح في ذا الشان

وهو من اصحاب العباء مره　　　وكم تحامى المصطفى وسره

مسكه بيده الشريفه　　　في ملأ صفاته منيفه

وقال هذا دون شك عمّي　　　صنو ابي وهو دمي ولحمي

فمن يواليه فقد والانى　　　ومن يعاديه فقد عاداني

وحفظ حرمتي بحفظ حرمته　　　واشهد الله على مقالته

ولو اردت ذكر ما قد وردا　　　في مدحه لطال ذلك المدى

لكنني اختصرت واختصاري　　　لا شك فيه بلغة للقاري

ولنرجع الآن إلى ذكر النسب　　　وعد هاتيك الجدود والعرب

وان يكن ذلك امر مشتهر　　　لكن على السالك أن يقفو الأثر

فاسمع هديت سبل الرشاد　　　ومن هنا أشرع بالمراد

فوالد العباس عبد المطلب　　　وهو ابن هاشم اليه قد نسب

والده عبد مناف بن قصي　　　ابن كلاب مرة له ابي

وهو ابن كعب بن لؤي يافتى　　　ابوه غالب بن فهر ثبتا

وقيل إن ذا قريش وعلى　　　أصح الاقوال بنوه الأُصلا

وهو ابن مالك ابوه النضر　　　ابن كنانة كرام طهر

ابن خزيمة الذي ابوه مدركة كذاك حرروه
والده الياس جده مضر ابن نزار بن معد الغرر
وهو ابن عدنان وهذا آخر ما صح في الأنساب وهوظاهر
وبعده فاترك مقالا زورا وكن على ما قلته مقصورا
وفي الحديث كذب النساب ما فوق عدنان وما أصابوا
لكنني اذكره استطرادا ليستفيد منه من ارادا
وليس مقطوعا به لما سبق وإنما عليه جمع اتفق
وجاء في أكثره اختلاف وسرده في مثل ذا انصاف
وإنني أذكر باختصـار كيلا يطول فيمل القاري
أقول عدنان أبوه أدُّ وأدد يتلوه إذ يعد
وأدد بن اليسع المحترم ابن الهميسع الكريم العلم
ابن سلامان بن بنت بن حمل وهو ابن قيذار بلا بسط جمل
وهو ابن اسماعيل نخبة العرب وقطب محراب المعالي والرتب
ابن الخليل وهو ابراهيم صلى عليه ربنا الرحيم
ابوه ناراح وقيل آزر كلاهما شخص ولا تغاير
وهو ابن ناحو رين ساروغ كما رأيته بخط بعض العلما
فرغوٌ بن قالـغ بن شالـح ألحق به أرْفخَشَذ في الراجح
وهو ابن سام بن نوح النبي وهو بن لامح كما في الكتب
ولامك ولمك اسماء ذا فإن تجد أحدها لاتنبذا
واسم أبيه متوشلـح إلى أنوش أعني نجل شيث وصلا
وشيث ابن آدم ابي البشر وزوجه حوا كما قد اشتهر
وان ذا اقرب ما رأيته وعن ذوي التاريخ قد رويته
فاحفظه غير جازم بصحته واقصر اذا سئلت عن تلاوته
وانني استغفر الله فلا يبعد ان في مقالي زللا

ثم الصلاة والسلام الابدي   على النبي الهاشمي محمد
افضل أهل الأرض والسماء   واشرف الجدود والآباء
وآله وصحبه الكرام   والحمد في المبدأ والختام

فقد علم من النظم أن المترجم قد ولد في مدينة معرة النعمان سنة الف ومائتين وتسع وعشرين وتربى في حجر والده ، ثم انه في سنة مائتين واربعين سافر مع والده الى حمص ، وأقام معه بها إلى سنة ثمان واربعين ، وكان قد حفظ تلك المدة في الاقبال على الطلب في فنون متعددة على والده وغيره ، ثم عاد مع ابيه الى الوطن ، ولم يزل على طلبه وترقيه الى عام ثلاثة وخمسين ، فتقلد القضاء في المدينة المرقومة ، وكان يظن ان ذلك يكون له منحة عظيمة ، فكان له محنة وبلية جسيمة ، فتعارك مع الاقران ، وتخاصم مع نواب ذلك الزمان ، وتعاقبت عليه الغوائل ، فألقته في بحر عميق بلا ساحل ، فلم يكن له ملجأ سوى صاحب الرسالة ، وحاشاه ان يهمل أقاربه وآله ، فخلصه الله من كروبه ، وأوصله من خذلانهم الى مطلوبه ، ولذلك كان كثير التوسل بجنابه ، دائم الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه . وقد اجتمع بكثير من الأدباء ، وعَدَدٍ غزير من العلماء ، من اكابر سادة عصره ، الكائنين في مصره وفي غير مصره ، كالعالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، السيد الشيخ وفا افندي الحلبي المتوفى في اواخر شهر ربيع الأول سنة الف ومائتين واربع وستين ، وكالعالم الأديب الأريب الشيخ امين افندي الجندي الشاعر الماهر المشهور ، وغيرهما ممن طاب في الأنام ذكره ، وطلع في أوج الرفعة بدره ، وفي يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام ، سنة احدى وستين حضر الى الشام ، مطلوبا من واليها هو وأبوه لأمر سياسي اقتضى ذلك ، وفي نصف صفر

الحير سنة اثنتين وستين حضر فرمان (مرسوم) سلطاني باقامتهما في الشام، وداما في هذه الغربة الى غاية شهر المحرم الحرام، سنة ثلاث وستين ومائتين والف فحضر الفرمان العالي باطلاقهما بهمة محمد نامق باشا مشير الأوردى الهمايوني الخامس، فخرج مع أبيه من دمشق يوم الاثنين رابع وعشري صفر من السنة المرقومة، ودخلا الى المعرة يوم الاثنين غرة شهر ربيع الاول، وتوجه على ابيه منصب الفتوى وعليه منصب القضاء، بعد عزلهما من هذين المنصبين من حين طلبهما الى الشام، وفي سنة الف ومائتين واربع وستين رابع عشر شهر شوال يوم الاثنين توفي والده، واسترحم عموم الاهالي بوضع المترجم مكانه مفتياً، وكان إذ ذاك شيخ الإسلام احمد حكمت عارف بك فتوجه عليه الافتاء من غير مهلة، ولم يزل مفتياً الى اوائل المحرم سنة ست وستين، وفي هذا التاريخ حضر له رسالة من صاحب الدولة محمد امين باشا مشير الأوردي الهمايوني الخامس (الجيش السلطاني) يأمر المترجم بحضوره الى الشام، ليكون كاتب عربي الأوردي المرقوم، فبعد الاستعفاء المقابل بعدم القبول، حضر الى الشام في غرة جمادى الأولى من السنة المرقومة، وحصل له جاه وقبول عند المشير الموما اليه لما حاز عليه من الأوصاف المرغوبة، والألطاف المطلوبة، والمعارف الكاملة، والعوارف الشاملة، ولم يزل عنده معظما منظما، الى ان توفي المشير الموما اليه رحمه الله وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر ذي القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة الف ومائتين وسبع وستين، ودفن في تربة الشيخ الاكبر في صالحية دمشق الشام ونظم المترجم له ابياتاً كتبت على بلاطة قبره وهي :

بشرى دواماً للمشير امين نال المنى بجوار ذي التمكين
بحر العلوم العارف الغوث[1] الذي هو قطب مركز عالم التكوين

(١) بينا في مواضع من هذا الكتاب ما في هذا الغلو من خطر على عقيدة التوحيد، فان طلب الغوث من أهل القبور أنفسهم، وجعلهم قطب مركز عالم التكوين في طلب الحوائج وزوال الشدة، وتفريج الكرب، كل هذا لا يدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال، بل هو توسل الغلاة والجهال، فلا تطلب هذه المطالب إلا من ذي العزة والجلال.

شمس أضاء الكون نور سنائها ويتيمة ما اثنيت بقرين
ختم الولاية للبداية وارث كنز على الأسرار غير ضنين
قد كان يعشقه المشير بطبعه عشقاً تخلص من ريا تلوين
والفضل يعرفه ذووه بلا مرا وكفى بهذا القدر من تحسين
والمرء يحشر مع محبيه أتى في سنة الهادي البشير امين
ولذا أشرت إلى الضريح مؤرخاً هذا حبيب الشهم محيي الدين

وبقي في مصلحته وكتابته لدى كل مشير بعد موت المشير المرقوم الى أن حضر عبد الكريم باشا في سنة ثلاث وسبعين ومكث مدة قليلة ثم عزل عن الأوردى الخامس وتوجه لعهدته ارد والاناطولي فاستصحبه معه بوظيفتي الكتخداية (وكالة الشؤون الخاصة) وكتابة ديوانه الى مركز الاردو الهمايوني (الجيش السلطاني) وهو بلدة الارزنجان ، فأقام هناك دون أربعة أشهر ثم توجه بالاذن الى طرابزون ومنها في البحر الأسود الى دار السلطنة العظمى وكان دخوله يوم عاشر المحرم سنة أربع وسبعين فأقام خمسة أشهر ، ثم حضر الى الشام الى مصلحته الأولى وهي كتابة العربي في اردو وعرب ستان ، ثم في سنة ست وسبعين في نصف شهر جمادى الأولى عاد لدار السعادة حيث ان الصدارة العظمى احيلت لعهدة قبريسلي زاده محمد باشا لوعد كان وعده به ، وبعد وصوله بأيام قلائل عزل الباشا المشار إليه ، فأقام المترجم أربعة أشهر وعاد لمأموريته بدمشق ، وكان المشير اذ ذاك في الشام أحمد باشا الشهيد . وفي أثناء تلك السنة حصلت وقعة النصارى في جبل لبنان ثم في الشام ، فعينت الدولة لاصلاح سوريا حضرة ناظر الخارجية فؤاد باشا مأموراً مستقلا فوق العادة ، وعند حضوره إلى دمشق استخدم المترجم بمعيته ثم بأعضائية مجلس فوق العادة ، وبعد ذلك انتخبه الى فتوى الشام ، وورد له المنشور العالي في نصف شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائتين والف ، ثم

لما تولى ولاية الشام محمد راشد باشا وقع بينه وبين المترجم اغبرار ، فأنهى الوالي المذكور بعزل المترجم من الافتـــاء واحالته لعهدة محمود افندي الحمزاوي ، فحضر له المنشور في نصف شهر رمضان المبارك سنة أربـع وثمانين ومائتين والف ، وأقام المترجم المذكور في بيته الى أن صدرت الارادة السنية بتشكيل مجلس كبير في دار السعادة يكون مرجعاً لـكافة المجالس الداخلية والخارجية ، وسمي بشورى الدولة ورئيسه صاحب الدولة مدحت باشا ، وقسم هذا المجلس الى خمس دوائر العدلية والملكية والمالية والنافعة والمعارف ، ولكل دائرة رئيس يسمى معاوناً الرئيس الأول وهو مدحت باشا المشار إليه ، فوظفت الدولة العلية المترجم المذكور فى شورى الدولة ، فخرج من الشام في يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وثمانين ومائتين والف وكانت عضويته في دائرة الملكية ، ثم توجهت عليه باية مولوية مكة المكرمة مع النيشان (الوسام) المجيدي من الرتبة الثالثة ، وذلك في السابع والعشرين من شوال المكرم سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، وفي غرة ذي القعدة من السنة المذكورة توفي ولده محمد زكي افندي ، فأخذ المترجم رخصة انه يتوجه إلى الشام ، ويبقى نحو اربعـــة أشهر لتنظيم أمر بيته ، وكان ذلك في أوائل ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وبعد مضي المدة المذكورة توجه الى الاستانه بجميع عياله ، وفي رمضان سنة سبع وثمانين عصي على الدولة أمير جبل عسير المجاور لليمن المسمى محمد باشا بن عائض ، وجمع كثيراً من قبـــائل العربان ، وحاصر بلدة الحديدة التي هي مركز المتصرفية ، وصدرت الارادة السلطـانية بسوق فرقة من العساكر النظامية من دار السعادة تحت رياسة رديف باشا الفريق ، وتوجيه المترجم قوميسيراً (مفوضاً) وقاضياً مع الفرقة المرقومة ، وقد حصل للمترجم تأخر بسبب مرض اصابه ، ثم جاءت اخبار بظفر العساكر بالأمير المرقوم واعدامه وتشتيت أعوانه وجنوده ، وبسوء حال علي باشا شريف متصرف

اليمن ، فأمرت الدولة العلية بارسال مأمور لتحقيق أحوال الباشا المشار اليه وغيره ، فانتخب مجلس الوكلاء المترجم لذلك ، وصـــدرت الارادة السلطانية بتوجيهه ، وعين له خرج طريق خمسة وسبعون الف قرش ماعدا المعاش ، ثم ضم الى ذلك مأمورية رياسة مجلس تشكيل ولاية اليمن ، بمعاش عشرة الاف قرش ، فذهب الى هناك في ذي القعـدة سنة الف ومائتين وسبع وثمانين ، وبقي هناك مدة موفقاً محترماً ، ثم انه استعفى بعد مدة لعدم موافقة المحل لمزاجه وصحته ، وحضر الى الشام معـدودا من أفاضلها وذوي فضائلها ، الى أن دعته المنية ، للمراتب العلية . وذلك في أواخر محرم الحرام الذي هو من شهور سنة الف ومائتـــين وخمس وثمانين ، ودفن في جبانة مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

ومن قصائده التي هي في كعبة الحسن معلقة ، وأشعاره التي تفوق على السلافة المعتقة ، قوله مادحاً خليفة رسول الله ﷺ وهو سيدنا الامام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه :

إذا ما رماك الدهر بالبؤس والضر ... فكن مستجيراً (١) بالإمام أبي بكر
خلاصة أصحاب النبي بـلا مرا ... وأولاهم من بعده صاح بالأمر
وأفضل أهل الأرض بعد محمد ... وبعد النبيين الكرام بلا نكر
صديق صدوق في المحبة كيف لا ... وما انفك عنه في الحياة وفي القبر
ولم يتلعثم بالاجابة عنــد ما ... دعاه الى الاسلام خير الورى الطهر
واخبره عمـــا رأى في منامه ... قديماً وما قصته كاهنة العصر

(١) يقول تعالى في كتابه العزيز : « قل مَن بيده ملكوتُ كل شيء ، وهو يجير ولا يجـــار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (المؤمنون ٨٨ و ٨٩) فالآيات صريحة في أنه سبحانه مالك الملك ، وبيده الأمر كله ، فهو الذي يجير المستجير وحـــده فأنى يصرفون عنه إلى غيره ما داموا مقرين بذلك ؟

فقال نعم والله انك صادق ... وانك انت المصطفى من بني فهر
وانت رسول الله للناس كلهم ... وخاتم كل الأنبياء إلى الحشر
وفي ليلة الاسرا بتصديقه به ... غدا امة والناس في غفلة الكفر
وبالنفس والأموال جاد ولم يزل ... مطيعاً لمـــا يقضيه كالولد البر
وفي الغار ثاني اثنين والله ثالث ... بنص كلام الله في محكم الذكر
بصحبته رب البرية شاهــد ... وذلك عند الله من اعظم القدر
وفي يوم بدر في العريش رفيقه ... وحاجبه حرصاً عليه من الغدر
مساعيه في الإسلام جلت فلم تكن ... تقدر أو تحصى بعدّ ولا حصر
هزبر له في همة الدين نصرة ... وعزم شديد يجعل السر كالجهر
وفي مدحه كم من حديث مصحح ... رواه لنا حبر يحدث عن حبر
فمنها أبو بكر اياديه لم تزل ... عليّ وما كافأته آخر العمر
ولو كان بعدي مرسل لم يكن سوى ... ابي بكر الصديق في غاية الفخر
ويوم وفاة المصطفى حين اخطأت ... من الناس آراء لدى كل ذي فكر
فمن قائل لا تخبروا بوفاته ... مخافة ان يرتد قوم على الاثر
فما هو إلا أن دعا الناس مسرعاً ... وقام خطيباً بالمحامد والشكر
وقال ألا من كان يعبد احمدا ... فقد مات إعلاما لمن كان لا يدري
ومن كان منكم يعبد الله مخلصا ... له الدين بالإيمان من عالم الذر
يحقق أن الله حي منزه ... عن الموت قيوم على كل ذي أمر
وقد قال في التنزيل ان محمداً ... رسول خلت من قبله الرسل في الدهر
ولما اتم الآية استرجع الورى ... كأنهم لم يسمعوها من الذكر
وقوى قلوب المؤمنين بوعظه ... وأذهب عنهم غصة الخوف والقهر
فبايعه أهل التكلم بعــد ذا ... وخابت ظنون المشركين من المكر
وقام بتجهيز الرســول ودفنه ... فكم طفقت عين على فقده تجري
وأمضى غزاة باشر المصطفى بها ... فكانت بحمد الله فـاتحة النصر

وجاهد أهل البغي بالسيف عندما تعدوا الى نقض الشريعة بالكبر
وأجرى له الباري عوائد فضله وأيده بالنصر والفتك والأسر
خلافته كانت على الناس رحمة واحكامه أحلى من الشهد والقطر
وباغضه لاشك يقتل كافـراً وان صام أو صلى الى البيت والحجر
فنسأله سبحـانه ان يعيذنا من الشك والاشراك والبغض والاصر
ويحشرنا في زمرة المصطفى غدا ويجعلنا من قومه السادة الغر
عليه صلاة الله ثم سلامـه وسحب الرضا تنهل بالعز والبشر
على الآل والاصحاب ما أهدت الصبا الينا أحاديث الأحبة إذ تسرى
وما غربت شمس وما ذر شارق وما دامت الدنيا الى آخر الدهر

وقال رحمه الله يمدح السلطان عبد المجيد خان بن المرحوم السلطان محمود خان العثماني ويذكر فيه اجلاء المصريين الذين هم تحت رياسة ابراهيم باشا بن محمد علي باشا من البلاد الشامية والساحلية وكان ذلك في شهر رمضان المبارك عام ستة وخمسين ومائتين والف فقال [١]

هجم السرور على الأنام مبسملا والنصر جـاء مكبراً ومهللا
ضحكت ثغور المسلمين وطالما بكت العيون دماعبيطاً [٢] مشكلا
غـارت ينابيع الفجور وفجرت انهار عدل ورد مشربهـا حلا
وذيول ارجـاء الممالك طهرت من لوث بغى الخارجين عن الولا
والله أيد دينه بخليفـة نشر المراحم في البسيط على الملا
ملك به افتخر السرير وأنجدت بجلوسه فتن بهـا الكون امتلا

---

(١) هذه القصيدة طويلة جداً ، حذفنا منها مالا اتصال له بأصل الموضوع ، ورأينا عدم الخروج عنه الى غيره . (المجمع)

(٢) خالص طري .

من آل عثمان الا كارم من بنوا — في المجد بيتاً لايزال مؤثلا [١]
قوم بهم قامت دعــائم ديننا — ولجيشهم فتح البلاد مسهــلا
والأرض ميراث لهم من ربهــا — نص عليهم في الكتاب تأولا [٢]
خلفوا بني العباس في اخلاصهم — فعلا بهم قدر الشريعة بل علا
قاموا باعبــاء الخلافة حسبما — يرضى المهيمن مجملا ومفصــلا
لاغرو اذ هم من سلالة هاشم — نسبا وافعالا فدع من سَوَّلا
فولاؤهم حفظ لأهل الارض من — خلف كما جاء الحديث مسلسلا
فالحمد لله الذي قد خصنــا — بخليفة منهم به الكــرب انجلى
وهو الامام الماجد الشهم الذي — فاق الملوك مهــابة وتفضــلا
بحر اذا سعت العفــاة لبابه — وغضنفر تخشاه آســاد الفلا
وسع الانام مراحماً وبعدله — أضحى الزمــان مجملا ومجللا
مولى رفيع القدر قد نسخت به — آي الخلاف واثبتت آي الولا
سبحان من جعل التقى جلبابه — والحلم والبأس الشديد له حلى
ذو همة بالحق عــالية الذرا — لو قابلت أعلى الجبال تزلزلا
نعم الإله به علينا جمــة — عن شكرها قصرت عبارات الملا
وصف الخلافة مذ تشرف باسمه — عنا جلا خطبا جسيما معضلا
عبد المجيد بمجده شهدت لنا — أفعــاله لازال بدراً أكملا
لا شك يامولاي أنت مؤيد — والنصر فأل قد أتاك مهرولا
انا قد خدمتك بالمديح مقدما — في مدة يخشى بها أن يقولا

---

(١) مُعَظَّما .
(٢) « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » الاية الكريمة في سورة النور نص فيمن اتصفوا بالايمان الخالص والعمل الصالح .

وابحت نفسي في سبيلك حسبة ... لله لا أبغي بذلك معدلا

والآن قد آن المديح وانني ... سأجيد مدحاً فيك لن يتمثلا

فاقبل لعبدك مدحة جاءت على ... عجل ولا تقطع رجا من املا

والحمـد لله العظيم وشكره ... فرض علينا حيث أحيانا الى

يا رب بالذات العلية ثم بالمختـــار أفضل من دعا وتوسلا

وبآله والصحب طرا سيما ... من قام منهم بالخلافة أولا

وبتاليه وبالوصي وزوجـه ... وابنيه ثم بني بنيه على الولا

بالتابعين وبالأئمـة كلهم ... وبكل حبر في العلوم تغولا

بالقطب عبد القادر الاسد الذي ... عنت الرقاب له وحل المشكلا

وبكل قطب نال منك كرامة ... وكسوته بالقرب ثوباً مسدلا

بالأولياء جميعهم وبمن غـدا ... وجه الزمان بنورهم متهللا

وبكل عبد قد اجبت دعاءه ... وبمن تجيب اذا دعيت به الملا

ايد أمير المؤمنين وحزبه ... وأدم له منك السعادة والعلا

وانصره نصراً يا قدير مؤزرا ... واجعل له فتح البلاد مسهلا

وأطل بقاه مدى الزمان وعمره ... لنرى منار الدين مرتفعاً على

ألهمه في حق العباد مراحما ... واسلك به سبل التقى كي يعدلا

واقمع بسيف القهر كل معاند ... واهدم بناء المشركين وعجلا

واجبر بانظار الخليفة كسرنا ... والطف بنا لطفاً عميماً مسبلاً

ثم الصلاة مع السلام على الذي ... بمديحه جاء الكتاب مرتلا

والآل والأصحاب والاتباع ما ... وقف الحجيج معرفا وتحللا

او ما الأمين غدا يؤرخ مرجعا ... هجم السرور على الانام مبسملا

وقال رحمه الله متغزلاً في واقعة حال ولكنه زاد ما لم يقع تونيقاً على عادة الشعراء ، وهذه القصيدة ألطف ما قاله :

بدا وجهها في ظلمة الليل كالبدر ... ونم عليها عابق الطيب والعطر
وبشرنا بالوصل عند ابتسامها ... بريق ثناياها الشبيهة بالدر
نهضت اليها فانثنت بلطافة ... تقبلني والدمع من شوقها يجري
وقالت عسى عصر الصدود قد انقضى ... فقلت وقلبي بالغرام على جمر
فديتك ما للعتب يدخل بيننا ... فقد كان ما قد كان في سالف الدهر
فإن أويقات الوصال قصيرة ... فلا تشغليها بالتذكر والفكر
وإن كان قطع الود منك فانني ... عفوت ومني إن يكن فاقبلي عذري
فما لذ للعشاق وصل ممحض ... من الصد والتعنيف والبعد والهجر
ألم تدر ان الدر عز لأنه ... على خطر من يبتغيه من البحر
وما ضرنا ما قد لقينا واننا ... بلغنا ذرى الآمال في آخر الأمر
فهيا بنا نقضي من البسط حظنا ... ودع ماجرى في الكون من بعدها يجري
وعانقتها فانضم ثغري لجيدها ... وألصقت النهدين منها الى صدري
وعاد لها طوقا ذراعي وتارة ... وشاحاً وآنا كالنطاق على الخصر
وظلنا نديرالراح اشرب سؤرها ... وتشرب سؤري ثم تجلس في حجري
ونقلي لماها والمثاني حديثها ... ومصباحنا عقد يضيء على النحر
نميل نشاوى كالقضيب يهزه ... نسيم ونصحو ثم نغرق بالسكر
أوسدها يمناي ثم تضمها ... يساري كما انضم الكمام على الزهر
الى ان أراد الصبح أن يستفزنا ... وقامت جيوش الليل من غيظها تسري
أفاقت وقالت حان وقت افتراقنا ... ونم علينا الرقيب سنا الفجر
فقم نتزود للوداع فما عسى ... يعود لنا هذا التواصل في العمر
فما راعني إلا بكاها وقولها ... فراقك في قلبي أمر من الصبر

فودعتها والدمع مني مسلسل ... على صفحات الخد كالوبل والقطر
وقلت بحقي يامليكة مهجتي ... وبالغنج من عينيك والكحل والسحر
وبالخال والثغر المنضد واللمى ... وعقد حباب فيه أبهى من الدر
بحق الدجا من شعرك الفاحم الذي ... به ضل رأيي واستقام به شعري
بفرقك ذي الإشراق والنور والبها ... وما قد تلا من آية الفتح والنصر
بألماس جيد ثم لين معاطف ... وميّاس قدّ فاق عسّالة السمر
بساعة أنس منك نلت بها المنى ... ودارت علينا أكؤس الراح والخمر
بعزك يا أخت الشموس وذلتي ... لديك غراماً ثم بالشفع والوتر
دعي الهجر بعد الآن واستعملي الوفا ... وعودي بوصل واغنمي وافر الاجرِ
فقالت مناني قر عيناً فإنني ... بحبك في قيد المهانة والأسر
ولا برحت خدي لنعلك موطئاً ... إلى أن يليني رائد الموت للقبر
فودعتها بالضم ثم لثمتها ... ثلاثاً وسبعاً ثم عشراً على الاثر
وجرت رداها ثم سارت وأودعت ... فؤادي غراماً لا يقدر بالحصر
فيا ليلة ما مر في العمر مثلها ... ترى هل تعودي عن قريب ولا أدري
سلامي على ربع الأحبة كلما ... ترنم شاد حين هيجه قمري

وكتب مراسلاً بعض أحبابه

ولما بان من أهواه عني ... فقدت تصبري وعدمت رشدي
وواصلت السهاد لفرط شوقي ... وأجريت الدموع لعظم وجدي
وعلت الفؤاد فقال دعني ... فما التعليل والتسويف مجدي
ومالي من دواء غير قربي ... لمن أهواه في فرح وسعد
وإن طال المطال عدمت روحي ... وعز عليك يامولاي فقدي
وإن وافيتني من غير مطل ... غنمت الأجر واستبقيت ودي

ومن نثره في خطبة ديوانه رحمه الله تعالى قوله :

لما كان لكل إنسان عين من الشعر ان حركها فارت ، وان تركها غارت ، وكنت قد حركت عين شعري ، فبضت بقطرات قليلة ، رجوت أن تكون لتذكاري فيما يأتي وسيلة ، وإن كان الشعر ليس بمزية يحق بها الافتخار ، فليس هو في حد ذاته منقصة توجب الاحتقار ، حيث جاء بنص الكتاب مدح بعض الشعراء وذم البعض ، وقد تدور عليه الأحكام الأربعة بحسب الإبرام والنقض ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه مدح فأجاز ، وأمر بهجو قوم هجوه بضرب من الارجاز ، فقال امج باحسان ، نصرك الله باحسان ، وقد ورد في مدح الشعر والشعراء ، من الأحاديث والأخبار مايفوت درجة الاستقصاء ، وقد قال بعضهم الشعر ديوان العرب وبه عرفت الانساب .
وقال سيدي عمر بن الوردي المعري رحمه الله تعالى :

انظم الشعر ولازم مـــذهبي فاطراح الرفد في الدنيـا أقل

وكان في هذا الزمان قد كسد سوقه ، ويبست عروقه ، ونضب ماؤه ، وسكن هواؤه ، وانفقدت دواعيه ، وخسر بائعه وشاريه ، حتى حق لأهله أن يتمثلوا بقول ابن المعتز رحمه الله :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليـــح يعشق
ومن العجائب أنه لايشترى ومع الكساد يخان فيه ويسرق

هذا وإن الشعر لايخلو من تشحيذ الأذهان ، وترقيق الطباع وتسلية الأخدان ، ولم يزل صاحبه منتصفاً من الزمان ، مستعيناً عـــلى طوارق الحدثان ، وكنت منذ ميزت ، وجدت والدي حفظه الله تعالى أوحد هذا العصر ، في صنعة القريض والشعر ، لكنه غير مكثـــار منه لشغله بالفتوى

والتعليم ، إذ هو فيهما مرجع أهل الإقليم ، فصرت في حالة التعلم أخبط في ذلك ، وأقتحم تلك المفاوز والمسالك ، إلى أن نظمت مايقرأ في سن اثني عشر ، وقفوت في ذلك من أهل هذه الصناعة الأثر ، وإن كان شعري لايحق له أن يكتب ولا أن يقرأ ، لكني أردت أن يكون لي جمعه في هذه الوريقات فيما يأتي ذكرا ، والمرجو من الناظر اليه من الإخوان والسادات ، أن يغض طرفاً عما يجده فيه من الهفوات ، وأن يصلح منه ماهو قابل للاصلاح ، فالحر لايزال صفاح ، وإلا فمن أين للانسان أن يستكمل جميع الاوصاف ، وقد يتلافى المرء قصوره بالاعتراف ، ورتبت ديواني هذا على مقدمة وأربعة أبواب ، إلى آخر ماقال وهو ديوان لطيف ، يشهد لمنشئه بالمقام العالي المنيف .

ومن كلامه هذا الموشح الذي مدح به السيد الأعظم ﷺ

شادن تاه عـلى بدر السما   وتحـلى برداء سندس
وببيض اللحظ والسمر حمـى   خمر ريق في ثغـير ألعس

دور

يالقومي من بجيري من رشـا   مستطيل الحكم في أهل الغرام
لم يدع فيهم صحيحاً مذ نشا   غـير مطعون بخيزور القوام
وله الالباب حقاً والحشـا   عشقا من قبل أن يخلق سام
ووجودي فيه أضحى عدمـا   مذ بأنواع الكمالات كسي
وغدا الخد شقيقاً عَندمـا   عندمـا سل سيوف النرجس

دور

لذ لي خلع عذاري (١) في هوى   من سبا الالباب في سود الحدق
مسدلاً ليلاً طويلاً قد هوى   وله الفرق تراءى كالفلق

---

(١) خلع عذاره : أي اتبع هواه بلا مبالاة .

وعلى وجنته خــالا حوى أمن المسك له الباري خلق
بهرمان[١] الحد حاذى عنما[٢] طاب هذا محتداً في مغرس
مالعمري ذاك من طين ومـــا هو نور جـاءنا في ملبس

دور

إن قلبي لحبيبي قد صبـــا وعـلى مائدة الحب طفل
لم أزل مستنشقاً ريح الصبـــا حيث من دار اللوالي قد وصل
أنا إن مت بحبي وصبـــا لم أحل عن عشقه مهما حصل
كيف أسلو من إلى العرش سما وتدلى للجنــاب الاقدس
في حديث صححته العلمـا ورواه مـالك عن أنس

دور

عين أعيان البرايا والملا سيد الرسل ومصباح الهدى
من أقام الدين حتى أن علا وسقى السم من السيف العدى
وأتى بالحق مذ عنـــا جلا ظلمة الشك وأوثاق الردى
من عليه الضب حقاً سلمـــا وله الظبي شـكا فعل المسي
كم وكم ابرأ عيناً من عمى فاجتنب أفعال أهل المجس

دور

أيها العاصي الذي قد غرقـــا في بحار الذنب أسرع مقبلا
وتيمم كعبة لن ترتقى وهزبراً أسـداً لن يبسلا
خير من صام وصلى واتقى ورقى الذروة من عهد بلى
لم يفه قط بلا ، لا ، أو بما لفقير جـاءه او مفلس
من يوافيه يلاقي حرَمـاً فيه املاك السما كالحرس

دور

---

(١) البهرمة : زهر النَّور ، وتبهرمَ : احمر من البهرمة .
(٢) العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، والواحدة العنمة .

يارسولاً للبرايا بعثا رحمة انعم بها من رحمة
كل مجد وكمال ورثا حسن الخلق عظيم الخلقة
طاب لي فيه مديحي والرثا تارة خنسا وكالنابغة
فتراني في هواه كلما قصر الركب حداهم جرسي
وإذا أنشدت بيتاً قيل ما وضع الرخ مكان الفرس

دور

لي ذنوب وخطايا حملها انحل الجسم وأعيا البدنا
وفؤاد ليس من أهل النهى قط عن فعل المعاصي مادنا
فإذا أبصر أوقات الهنا من وراء الشام يأتي عدنا
وعن التقوى تراه نائماً مثل ميت في قرار الجدس
ان يقل لم ذا يقل كن كيفما شئت إلا الشرك لاتأت تسى

دور

وتمسك بجناب المصطفى أحمد الهادي رسول الواحد
سيد الكونين حقاً لا خفا ماجد من ماجد من ماجد
حسبي المختار جدي وكفى فهو باب الله كهف الشارد
شافع الامة في يوم الظما حين يجثو آدم مع يونس
وتراه ضاحكا مبتسما مابه من خيفة أو وجس

دور

وعليه الله صلى سرمدا مع سلام متناه أكمل
ماسرى الركب مجداً وحدا نحو سلع موجزاً بالرمل

أو محب من غرام عربدا   كنديم بـــدام ثمل
وعلى آل وأصحاب نمـــا   فضلهم مثل شهـــاب القبس
في غدٍ يسقون كأساً ختما   بختام المسك طيب الأنفس

وقال وقد اقترح عليه بعض الأعيان بحماة مـــدح خال ملاصق لشفة المحبوب :

من الزنج خال في رياض خدوده   اقام زمانا في النعيم المكمل
رأى وردة فاقت فرام اغتيالها   فصادفه وشي العذار المسلسل
فقيده في جانب الثغر حارساً   فوا عجبا لص على الدر قد ولي

وفضله شهير ومن أراد معرفة بيانه فليبادر إلى مطالعة ديوانه [1]

انيس افندي قصاب حسن الدمشقي

عمدة النبلاء ، ونخبة النجباء ، ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين والف ونشأ في حجر والده بالنعمة والرفاهية ، والراحة والنزهة السامية ، وهو من بيت ذي ثروة وغنى ، وشهرة موصلة لإدراك المنى ، غير أن المترجم المرقوم ، قد عاكسه الحظ المشؤوم ، فحاربه أوانه وما صفا له زمانه ،

(١) وله آثار لطيفة ، منها علم الحال للمدارس ، وترجمة رسالة في فضائل الشام ، وشرح رسالة الشيخ رسلان الدمشقي في التصوف ، ونظم أسماء أهل بدر ، ونظم نسبه العباسي ونظم قصة المولد .
عرفت هذه الأسرة بالجندي نسبة إلى جده محمد الملقب بالجندي المدفون قريب ادلب مع جده الأعلى . وأول مَن سكن المعرة من أجداده حسن بن محمد الجندي ، وهو جد هذا البيت ، وأصلُ هذه الشجرة الممتدة فروعها في حلب وحماة وحمص ودمشق وغيرها من البلاد ، وكانت وفاته سنة ١٢٩٥ هـ ودفن بالذهبية في مقبرة الدحداح . منتخبات التواريخ لدمشق (ج ٢/٦٤٤) .

بل حالفه على العناد ، وخالفه في كل مراد ، فكان يخدم الحكومة السنية ، في الأمور الجزئية ، ومن قوله متوسلاً :

غافر الذنب وعلام الغيوب　　قابل التوب وستار العيوب
راحم الخلق وغوث المذنبين　　ارتجي من عفوه غفر الذنوب

ومن قوله مخمسا :

خذ نشأة الأفراح قبل ندامة　　والزم اويقات الصفا بسلامة
ودع العذول يطيل شرح ملامة　　جمرات همك فاطفها بمدامة
وادي العقيق بلونها موصوف

شمس محياها الهلال بلاخفا　　راح ثرياها مكللة الشفا
البدر ساقٍ والصباح على الوفا　　والكأس زمزم والمقام لنا صفا
والحب يسعى والحباب تطوف

وقال أيضاً

بخد قد حكى ورداً ودرا　　وفا خال بروضته تدرا
أقاد لأمره مهما تجرا　　ولو أمسى على تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني

وصل شغفي بهجرك بالتأني　　وللعذال فاحذر أن تؤني
ولا تسمع ندا ندبي وأني　　ولا تسمح بوصلك لي فاني
أغار عليك منك فكيف مني

وقال

ظبي أنس تم وصفا　　قام يجلو الراح لطفا
من بقايا اللثم رشفا　　صبها بالكأس صرفا
غلبت ضوء السراج

من سناها الحي نارا　　والشجي منها استنارا

منذ رآها الحب حارا ظنها بالكأس نارا
فطفاها بالمزاج

وقال

قلوب العالمين صبت اليه وقلبي في الهوى رهن لديه
واني من ألستُ به ولوع فيا عشاقه صلوا عليه

وقال

ياكثير الصد والهجران جد لقتيل في هواك اليوم جد
بدر تم سلب العقل وقد أمر القلب وللقلب وقد
ملك الروح عيانا وادعى بالذي أبقاه سقمي بالجسد
فتش القلب سوى حبي له في سويداه حبيبي ماوجد
إن تبدى ركع البدر له وإذا ماس له الغصن سجد
وحد الخال على وجنته ولنار الخد رغماً قد عبد
سبحت أملاك جفنيه رضا وهلال الفرق لله حمد
ثغره دراً وطيباً قد حوى واللمى ماء الحيا فيه ورد
جل من قد صور الحسن به وأذاب الجسم في مطل الوعد
بعده قد حرم الجفن الكرى وادعى لي آية الليل رصد

وله ديوان طويل عريض قد نظم فيه أنواع القريض . توفي رحمه الله وأحسن مثواه سنة الف وثلاثمائة وثمان تقريبا .

الشيخ أنيس الحمصي الواعظ رئيس المؤذنين في جامع بني أمية

ولد بدمشق الشام ، وقرأ على السادة الأجلاء الأعلام ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي وغيرهم وكان تقياً نقياً صالحا ، زاهداً عابداً ناجحا ، كثير البكاء ، والخشوع والتضرع في الدعاء ، وكان كثيراً مايقرأ من كتب الوعظ في جامع بني أمية في التركية والعربية . غير أنه كان يغلب عليه الخفة والطيش فلذلك لم يكن

له ثبات على حالة واحدة ، فلو مدح إنسانا في وقت بغاية المدح لم يكن وقت مذمته بعيداً ، وربما يرتكب هذه الحـــالة في دروسه العامة فيمضي درسه بين مدح وذم ولم يزل على ذلك ، إلى أن أوردته المنية مورد المهالك ، توفي يوم ثالث وعشرين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله (١)



(١) كان يعظ النساء كلّ يوم في مشهد الحسين ، ويعلمهن دينهن وإطاعتهن لأزواجهن ، وله فكاهات أثناء وعظه غريبة ، وحكايات يتناقلونها في المجالس ، وقـد بقي اسم جماعة المؤذنين بنوبة الحمصي إلى اليوم اهـ (من المنتخبات) .

حرف الباء

الشيخ بلبل افندي بن هاشم افندي
الواعظ في جامع بني أمية في دمشق المحمية

عالم عامل ، وزاهد فاضل ، كثير البكاء والخشوع ، كأنه على العبادة والتقوى مجبول ومطبوع ، وكان له في الوعظ اسلوب حسن ، والقاء مستحسن ، تتأثر منه القلوب ، تكاد من تأثرها أن تذوب . توفي رحمه الله سنة إحدى وستين ومائتين والف في اليوم الخامس عشر من المحرم الحرام .

الشيخ بهرام بن احمد العارفي القسطنطيني
الأصل الحلبي المولد والمنشأ مقدم الحنفي

أحد الأعيان الكتاب في الدولة العثمانية ، مولده خامس عشر ربيع الثاني سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، وكان والده من وزراء الدولة والفضلاء المشهورين ، وبعد أن قتل تقلبت بالمترجم الأحوال حتى استقر بدار السلطنة القسطنطينية ، وتولى بعض المناصب التي تتعلق بأعيان الكتاب ، وكان من نبلاء الكتاب وأدبائهم ، وله حسن ترسل وإنشاء ، ويحب العزلة والانزواء ، ولا يختلط بالناس إلا قليلا ، ولا يتردد الى احد من أعيان الدولة ولا من رؤسائها . توفي بعد الألف والمائتين .

بُنَيّة بن قرينس الجوبا الطائي من بني طي قوم حاتم الطائي

الجواد المشهور ، والكريم الذي هو بأنواع الكرم مذكور ، الذي يضرب به المثل ، وكان لقاصده فوق مايتعلق به الأمل ، نقل الشيخ عثمان بن سند البصري بأن بنية (بضم الموحدة وفتح النون وتشديد الياء التحتية وهاء التأنيث) وهو من رجال العرب وكرمائها ، وله كمه فارس عند الوزير علي باشا أبهة عظيمة ، وصدارة وتقديم . وأما شجاعته فكان يحاكي بها فارس النعامة [١] ، وأما كرمه فكان يحاكي به البحر الخِضم ، وأما منع الجار وحمايته من كل مكروه ، ومساعدته على كل مطلوب ، ورعاية جانبه بكل مرام ، فهو في الذروة العليا منه والناس يحذون حذوه ، كأنه قال فيه الشاعر ، يصفه ببعض مافيه من المفاخر :

لقد علمت نسوان همدان أنني ... لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني ... له في سوى الهيجاء غير بذول

وأما غض الطرف عن جاراته فكأنه فيه البنت العذراء من الحياء ، وكان لسان حاله لدى كل داهية دهماء ، أو واقعة عظيمة ، ينشد قول السموأل [٢] بن عادياء :

---

(١) هو الحارث بن عُباد البكري أبو منذر ، شاعر حكيم ، في أيامه كانت حرب « البَسوس » فاعتزل القتال ، ثم إن المهلهل قتل ولداً له ، فثار الحارث ونادى بالحرب ، وارتجل قصيدته المشهورة ، التي كرر فيها قوله :

« قرّبا مربط النّعامة مني »

والنعامة : فرسه المشهورة . توفي نحو ٥٠ قبل الهجرة .

(٢) شاعر جاهلي أو يهودي من سكان خيبر ؛ وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء في جنوب الشام ، وقد اشتهر بهذه القصيدة اللامية . توفي : نحو ٦٥ عاماً قبل الهجرة .

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل[1]
تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لايزال طويل
وإنا أناس لانرى القتل سبة إذا مارأته عامر[2] وسلول[3]
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ضل[4] منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن مافي نصابنا كهام[5] ولا فينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول
وما خمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

---

(١) نسب هذين البيتين في « الشعر والشعراء » لدُكين بن رجاء الفُقَيمي (من تميم م : سنة ١٠٥ ﻫ .
(٢) عامر بن صعصعة ، بطن من هوازن من قيس بن عيلان العدنانية ، كانوا بنجد ثم نزلت طائفة منهم الطائف .
(٣) سَلول بن مُرة بن صعصعة : قبيلة فخذ من هوازن ، في شمالي الجزيرة العربية .
(٤) الرواية المعروفة : ولا طُلّ : أي لم يؤخذ له بثأر .
(٥) المزن : المطر ، والنصاب الأصل ، والكهام : الكليل الحد ، أي نحن كالغيث ينفع الناس ، وكلّ منا نافذ ماضٍ ، ولا فينا بخيل .

وأيامنا مشهورة في عدونا ... لها غرر مشهورة [١] وحجول [٢]
وأسيافنا في كل شرق ومغرب ... بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لاتسل نصالها ... فتغمد حتى يستباح قتيل [٣]
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم ... فليس سواء عالم وجهول
فإنا بني الريان [٤] قطب لقومهم ... تدور رحاهم حولهم وتجول

وَنَسَبُ هذا المترجم من أشراف قبيلة طي [٥] قبيلة حاتم بن عبد الله الطائي ، وليعلم أن المترجم عبر من الجزيرة لغرب الفرات عندما تولى وزارة بغداد سعيد باشا ، لما بين عمه فارس وآل عبيد الحميريين [٦] من الضغائن ، لاسيما أميرهم قاسم بن محمد بن عبد الله بن شاوي الحميري ، وكان سعيد باشا ولى زمام أموره اليه ، فلأجل مابين فارس وقاسم المذكورين من الضغائن

---

(١) الرواية في كتب الأدب : (معروفة) وفيها التفادي عن التكرار .
(٢) أي إن وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي كالأفراس الغرّ المحجّلة بين الخيل .
(٣) في الأمالي ، وفي شرح ديوان الحماسة : (قبيل) والقبيل : الجماعة من آباء شتّى ، وجمعه : قبل .
(٤) الرواية المعروفة الديّان (بالدال) والديّان : هو يزيد بن قطن الحارثي ، أبو قُطين ، وكان شريف قومه . (تاج العروس في مادة دين) .
(٥) طي : من قبائل الجزيرة : إحدى محافظات الجمهورية السورية ، تعدّ القبيلة الثانية في هذه المحافظة من حيث المكانة والنفوذ وبعد الصيت وعراقة النسب . وطي الحاضرة هي في الغالب متحدرة من قبيلة طي القحطانية القديمة اهـ مختصراً من معجم قبائل العرب القديمة والحديثة للاستاذ عمر رضا كحالة .
(٦) حِمْيَر : بطن عظيم من القحطانية ، قال الهمداني : حمير في قحطان ثلاثة : الأكبر والأصغر والأدنى (من التاج) .
والحمير : بطن من الفداغة ، من سنجارة ، من شمر الطائية (من عشائر العراق للعزاوي) .

لم يستقر المترجم في الجزيرة ، فنزل بعشيرته على خزاعة [١] في تلك السنة ليكتال ، وكان بين الدريعي العنزي [٢] الرويلي [٣] وبينه ضغائن ، فاقتفى الدريعي أثر بُنَيَّة ونزل قريباً منه ، وأرسل الى حمود بن ثامر ، فاستنفره لأنه صديق الدريعي ، فنفر بفرسان عشيرته لمساعدة الدريعي ، وخرج عسكر الوزير سعيد باشا وكبيرهم قاسم بن شاوي ، ومعه عفاريت عقيل النجديون ، وهم من عسكر الوزير إذ ذاك ، لمساعدة من يحارب بنية ، فقامت الحرب على ساق ، وبنية يكر على الفرسان كأنه الأسد ، فبينما هو يطرد بفرسه إذ جاءته رصاصة كانت فيهـا منيته فحز رأسه وأتي به الى وزير بغداد سعيد باشا بن سليمان باشا ، وذلك سنة احدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ بكوي بن الشيخ حامد
ابن الشيخ احمد بن عبيد العطار الدمشقي

العالم العامل الذي اشرق ضوء شهابه ، والفاضل الذي تقتطف البلاغة من ايجازه وأطنابه ، والجهبذ الذي أوتي الحكمة وهو شاب ، واختار له

---

(١) خزاعة : قبيلة من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَيّ بن حارثة بن عمرو ، قال أبو عُبيد : وعمرو هذا أبو خزاعة كلها (من معجم كحالة) .

(٢) نسبة الى عنزة بن أسد : أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر ، تنتسب الى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز ، فوادي السرحان ، فالحماد ، فبادية الشام ، حتى حمص ، وحماة ، وحلب .

(٣) والروالة : قبيلة عظيمة تنتسب الى مسلم من عنزة ، اكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر . (من المعجم وغيره) .

عرفانه سلوك منهج الصواب ، فلا ريب انه مظهر شموس التحبير في التقرير ، وخزانة آداب التدقيق والتحرير ، ومنهاج من أراد الوصول الى المعالي ، ومعراج من رام الحصول على فرائد اللآلي ، حلال المشكلات بثاقب فكره ، ومعطر دروس العلوم بنفثات صدره ، كيف لا وهو الذي أفاد من بدائع الفوائد ، ماهو على رسوخ قدمه في بديع البيان شاهد ، فلقد تفجرت ينابيع حكمه في كل واد ، وأزهرت رياض تقريراته في كل فؤاد ، لم يدع من الفنون فناً إلا دخل حصونه ، وقرأ شروحه وحفظ متونه ، وأما ديانته وعبادته فقد شهد له بها محرابه ، وصيانته أقرّ له بها أترابه وأضرابه ، فهو الفريد الآن في عوالي الشمائل ، والوحيد لمن رام وقوعه على أنفع الوسائل . ولد سنة الف ومائتين وخمسين تقريباً ، ومن سن تمييزه امتاز على امثاله ، بحفظه وإدراكه وأقواله وأحواله ، حفظ القرآن الشريف وهو غلام ، وأقبل على طلب العلم بكل اهتمام ، فقرأ على علماء عصره الأكابر ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته عن شيوخهم كابراً عن كابر ومن اجلهم سيدي الوالد ، فقد قرأ عليه المترجم جزءاً في الحديث واستجازه ، فأجابه لما طلبه منه وأجازه ،[1] ولزمه الطلبة للأخذ والاستفادة ،

(١) قال تلميذه الشيخ سعيد الباني الذي ترجم له في حاشية كتابه : « أحكام الذهب والفضة والحرير » في ترجمة مطولة ماملخصه : أقبل شيخنا بعد وفاة أبيه على طلب العلم وحفظ المتون ، فلزم علماء الوقت ، واكثرهم من تلامذة أبيه ، فأخذ مبادىء العلوم والتفسير والحديث عن ابن أخيه الشيخ سليم العطار (وكان اكبر منه سنا) ، وأخذ النحو والصرف عن الشيخ عبد الرحمن بايزيد ، والمنطق والحكمة والكلام عن منلا أبي بكر الكردي ، وتفقه على الشيخ احمد المنير ، وأخذ علوماً شتى عن علماء أعلام كالشيخ حسن الشطي ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ محي الدين العاني والشيخ محمد الجوخدار . وروى مسلسلات ابن عقيلة عن مفتي الشافعية عمر افندي الغزي ، وروى الحديث أيضاً عن الشيخ داود البغدادي ، وأجازه بجميع مروياته ، وروى أيضاً عن غيرهم .

ولم يكن له سوى الإفادة والعبادة ، شغل ولا عادة ، مع جمال سيرة ، وحسن سريرة ، ووفور قدر وسلامة صدر ، وسماحة و كرم ، وهمة في قضاء مصالح الخلق فاقت الهمم ، وبشاشة وإظهار سرور ، واقبال على الناس بغاية الحبور ، وفي يوم الاثنين سادس جمادى الثانية سنة سبع وثلاثمائة والف ، توفي ابن اخيه الشيخ سليم بن الشيخ ياسين بن الشيخ حامد العطار ، وقد انحلت وظيفة تدريس التكية السليمانية التي وظفها السلطان سليمان خان ، وهذه التكية هي المعروفة في المرجة ، فلقد أمر هذا السلطان الموما اليه ان يقرأ قارئٌ درسَ وعظٍ في كل جمعة مرة واحدة ، وله على كل درس ثلاثون بارة ، وان التكية التي بجانب السليمية ويقال لها السليمانية ، قد شرط المرحوم السلطان سليمان أن واعظاً يعظ بها في كل جمعة ثلاثة أيام ، وله عن كل يوم عشرة دراهم فضة ، عبارة عن كل سنة أربعة آلاف قرش تقريباً ، وقد دام هذا الحال إلى أن ُوجّه هذا الدرس على العالم المفضال جناب المرحوم الشيخ حامد العطار ، فجعل الدرسين درساً واحداً ، والمعاشين معاشاً واحداً ، وجعل قراءة الدرس في السليمية ، وقصره على سبعة دروس في رجب وشعبان في كل يوم خميس منهما ، ونقله من الوعظ الى صحيح البخاري الشريف ، فحينما توفي الشيخ حامد الموما اليه ، كان ولده المترجم صغيراً فتولاها ابن اخيه الشيخ سليم ، ولم يزل قائماً بها الى

— ولما قصد الديار الحجازية ، لقي في مصر كثيراً من علمائها ، ومنهم فقيه المالكية الشيخ محمد عليش . وكان كثير من علماء الأقطار الاسلامية حينا يفدون على دمشق في ذهابهم الى الحجاز أو إيابهم منه ، يزورونه فيروون عنه ويروي عنهم . كما روى عنه واستجاز منه خلائق كثيرون ، فعم فضله ، وشمل نفعه . وقد تضلع بالعلوم ، وتوغل في الفنون . ثم وصف اشتغاله وتدريسه للنحو والتفسير والحديث والتوحيد والفقه الشافعي ، ثم ذكر زهده وكرمه ، وحليته وأخلاقه ، رحمه الله تعالى .

حين وفاته ، وكان قبل موته قد فرغها على اولاده ، فادعاهـا بعد وفاته المترجم الموما اليه ، وادعاها أولاد الشيخ سليم ولكن لدعوى عدم كمال أهليتهم في العلم وجهت الى ابن الشيخ سليم الشيخ احمد الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ووضعوا المترجم نائباً عنه الى حين استعداده وقابليته للقراءة ، وحيث انهم فعلوا الآن كذلك ، كان قيـــاس الأمر أن يفعلوا حين توفي الشيخ حامد رحمه الله كذلك ، بأن يوجهوها على المترجم المرقوم ويضعوا عنه نائباً الى حين استعداده ، ولكن الله يفعل مايريد ، هو المولى وما عداه عبيد ، وفي رابع شوال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة والف مرض المترجم المرقوم صباحاً ولم يزل يزداد مرضه في ذلك النهار ، الى أن توفي مساء .

وكان تشييع جنازته خامس شوال قبيل الظهر ، ودفن في تربة الدحداح ، وكانت جنازته غاصة بأهلها وتأسف عليه العموم لأنه لم يخلف نظيره رحمه الله تعالى .

الشيخ بدر الدين بن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المالكي المغربي أصلاً الدمشقي مولداً

عالم إلا أنه عامل ، وفـــاضل غير أنه كامل ، قد اعتصم بحبل السنة والكتاب ، وانتظم في سلك المتمسكين بأقوال الصحاب ، واختـار مذهب السلف الأعلى ، ورأى سلوكه أروح لنفسه وأولى ، لاتفاق الكل عليه بأنه أسلم ، وحيث كان كذلك فهو أولى من غيره وأقوم ، لايخالف صحيح النص وإن خالفته نصوص المتون ، وكيف يتبع الرأي ويترك قول الصادق المأمون ، فلله دره من عالم عابد ، ناسك منصف لا معاند ، قد جمع الفصاحة في برود كلماته ، والنباهة في مطاوي مبدعاته ، إذا أخذ في القاء الأخبار

وجدته بحراً عجّاجا ، وإن تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجاً ، كأنما الأحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصورة وفي لسانه منظومة ، وله حافظة تحصي له كل مايسمع ، وإدراك هو أخف من مر النسيم وأسرع .

يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني أمية ، ويزدحم الناس على درسه ازدحام الطالبين على العطية ، غير أنه يسرد ماعلقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب ، ومن رام إبداء اشكال فلا يجد لدخول حله من باب .

وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون ، لاتكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون ، وهو لاينفك في يومه عن صيامه ، ولا في ليله عن قيامه ، كثير الذكر قليل الكلام ، دائم الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . وقد عينت له الدولة في كل شهر ألفاً ومائتي قرش صاغاً (١)

---

(١) كان عِلمُ محدث الشام رحمه الله تعالى ورضي عنه ، علمَ حفظ ورواية ، وكتب ودراسة . أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، من بعد فريضة كل جمعة الى أذان العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن .

وأما دار الحديث الأشرفية فلم يكن يقرأ للطلاب فيها من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلاّ مطولاتها وصعابها ، وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم وتقوي الملكات في الفهم ، وتعين على دفع الاشكالات والشبهات ، وقد تشرفت بالحضور عليه في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن أمير الحاج على تحرير شيخه الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في أصول الفقه ، فكاد يأتي على مسائلها حفظا ، وكان يحققها معنى ولفظا ، ولكنه كان يتحامى النطق بالفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها تنزها وورعا ، وهذا دأبه في حياته كلها . —

الشيخ بكري بن عبد الغني بن احمد البغال الدمشقي الشافعي

نشأ على الصلاح والتقوى ، وتمسك من العبـادة بالسبب الأقوى ، وحفظ القرآن العظيم وجوّده ، ثم هداه الله لطلب العلم وأرشده . ولد في الشام سنة الف ومائتين وخمسين تقريبا . وحضر غب كماله ، وصلاح أمره وحاله ، على شيوخ عصره ، في بلدته ومصره ، فحضر دروس الفاضل الشيخ قاسم الشهير بالحلاق ، والشيخ محمـد بن عبد الله الخاني ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية على المرشد الكامل الشيخ المهدي ، واشتغل بالطريق مدة طويلة واعتزل الناس وقل كلامه ، وبعد وفاة الشيخ المهدي صحب خليفته الشيخ المبارك ، وأكثر من الصيام والقيام والخلوة في مدرسة التعديل ،

— وكنا نجلس في دار الحديث أيضا ، ونقرأ صباح كل جمعة وثلاثاء ، كتاب منتخب كنز العمال — (من كتب الحديث الجامعة) — روايةً ودراية ، فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا : أنعدُّ نحن الآن من المعتصمين بهما ؟ قال نعم إذا قصدتم العمل ، فسأله بعض الفضلاء متعجباً : أو يقرآن للعمل بهما في هذا العصر ؟ قال : نعم ، فقال : جزاك الله عنا أفضل الجزاء ، فوالله إنا كنا نتلقى عن شيوخنا أنهما يقرآن للتبرك لا العمل ، كما نتلقى كلمة التوحيد . أقول : وقد أوجد رحمـه الله ميلا قويا في طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستهـا . والاهتداء بهديها .

ودخلت عليه مرة صحبة السيد الإمام محمد رشيد رضا صاحب المنار وتفسيره (١٣٣٨ هـ) فرحب به أجمل ترحيب ، ثم أخذ السيد يقص عليه من أنباء العالم وأحوال المسلمين في أقطار المعمور ، وشيخنا مصغ مستزيد ، وكان إذا سمع من أحوالهم ما يسر حمد الله ، وإلاّ حوقل واسترجع .

هذه شذرة من محاضرة كنت ألقيتها بحفلة التأبين التي أقيمت له في ردهـة الجامعة السورية بدمشق (في ١٣ ج ١ سنة ١٣٥٤ هـ) وقد طلبها مني صاحب المنار ، ولكنه توفي هو أيضاً في ذلك العام (سنة ١٣٥٤ هـ) قبل أن يتمكن من نشرها ، تغمدهما المولى برحمته ورضوانه .

ثم بعد موت المبارك لازم دروس الشيخ الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي ، فما قرأنا على حضرة الشيخ كتابا ولا فنا الا وحضره معنا ، ثم إنه مامضى عليه مدة إلا وانتقل من حالته الجلالية ، إلى حالته الجمالية ، فصار فيه دعابة ومجون ، وحالة لاتدخل تحت دائرة الظنون ، مع لطافة تذهب الكدر والبؤس ، وتضحك الجامد العبوس ، والفه الاكابر من الناس ، وعده الكثير من الأكياس ، لاينقيد بجلالة ولا تعظيم ، ولا يلوم من لايعامله بالتوقير والتكريم ، وكان موظفا بامامة جامع عز الدين وتدريسه وخطابته . وفي سنة الف وثلاثمائة وعشر ذهب الى الحجاز ، وحضر الى الشام مريضاً ، ولم يزل تزداد آلامه ، ويختل نظـامه ، الى أن توفي سنة الف وثلاثمائة واحدى عشرة ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ بدر الدين محمود المرعشي الحنفي

أشرق بدره في العلوم واستنار ، واشتهر صيته في العالم وطار ، مع تقوى تثبت له حسن الطوبة ، وعبادة لايقدر عليهـا الا ذو همة في الدين قوية ، وحضر مجالس السادة ، ولازمهم الى أن بلغ من العلم مراده . وكان له شهرة بمحامد الخصال ، وفرائد الشمائل العوال ، وكانت ولادته في الشام سنة الف ومائة وخمس وسبعين ، وظهرت عليه مخايل السعادة من صغره ، ولم يزل ناهجا منهج السيادة الى كبره ، وكان قدومه الى الآخرة ، والدار الفاخرة ، سنة أربعين ومائتين والف رحمه الله .

بهجت افندي بن عبد الله افندي الحلبي القاضي بدمشق الشام

أحد العلماء الأعلام ، وأوحد القضاة المشهورين في الأحكام ، ولد في حلب سنة الف ومائتين وست وأربعين وسار به والده الى الاستانة سنة

سبع وأربعين ، وكان والده أحد قضاة العساكر ، فلما بلغ المترجم سن التمييز ، قرأ القرآن الشريف وجوده وأتقنه ، وأقبل على طلب العلم بهمة قوية . ثم في سنة ستين توجه بمعية والده الى خربوط ، فقرأ بها النحو والصرف والفقه ، وأحسن اللغة الفارسية . وفي سنة ثلاث وسبعين توفي والده بمصر وهو متوجه الى الحجاز ، ودفن في جوار السيدة زينب ، وذهب المترجم الى حلب وتولى نقابة أشرافها. وفي سنة ثمانين رجع الى الاستانة. وفي سنة احدى وثمانين تعين قاضيا في كرسول ، وفي اثنين وثمانين تعين قاضيا في طربزون ، وفي ثلاث وثمانين تعين قاضيا في كوزلي حصار ، وفي أربع وثمانين تعين قاضيا في مدينة بيروت . وبقي بها أربع سنين ونصف ، وفي تسع وثمانين تعين قاضيا الى طرابلس الغرب ، وبقي بها سنتين ونصفا ، وفي سنة احدى وتسعين تعين قاضيا الى مدينة ازمير ، وحيث لم يوافقه الهواء طلب نقله الى محل آخر ، فعين رئيس ديوان التمييز بولاية قسطموني ، وبعد عشرة أشهر نقل الى رئاسة ديوان التمييز في مدينة حلب ، وفي سنة أربع وتسعين تعين قاضيا في ولاية حلب ، وفي سنة ست وتسعين رجع الى الآستانة ، وفي رجب منها تعين مفتش عدلية بغداد ، ثم بعد سنتين ونصف عزل ، فرجع الى الآستانة ، ثم تعين مفتش عدلية طربزون ، وبقي بها سنتين ، ثم منها الى مفتشية عدلية ازمير ، وبقي بها نحواً من سنتين ثم الغيت تلك الوظيفة فرجع الى الآستانة ، وبقي بها أربعة أشهر ، ثم تولى قضاء جزائر بحر سفيد . وفي سنة ثلاثمائة وسبع تعين بقضاء الشام وبعد سنتين رحل الى الآستانة ولم يمض قليلاً حتى اخترمته المنية ومات بها في حدود الف وثلاثمائة وعشرة رحمه الله تعالى .

الشيخ بهاء الدين بن أخي الشيخ عبد الغني ابن حسن بن ابراهيم البيطار الشافعي الصوفي

ألمعي مشهود له بقوة ادراكه ، لوذعي سرى في مناهج العلوم مسير القمر في أفلاكه ، له نثر كالروض تفتقت ازهاره ، وشعر كالصبح تألقت انواره ، لقد ابدع من المعاني الغرائب ، والألفـاظ المزرية بدرر النحور والترائب ، ورضـع من در العلوم منذ كان وليداً ، وحوى من أنواع الفنون طارفاً وتليداً .

ولد في خامس عشر ربيع الثاني سنة الف ومائتين وخمس وستين . حفظ القرآن على والده وجوده ، ثم قرأ على والده الشاطبية وشرحها لابن القاصح ، وجملة من كتب النحو والصرف والمعـاني والبيان والعروض والقوافي وغير ذلك من بقية الفنون . ثم قرأ في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث ما أثبت له الفضل والكمال ، وقرأ على الشيخ الفاضل الشيـخ محمد الطنطاوي علم الجبر والمقابلة والحساب والميقات والفلك حتى برع ، وقرأ على عمه الشيخ محمد البيطار جملة من كتب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وقرأ عليَّ بعض رسائل الربع المجيب والمقنطر ، وله مطالعة وفهم جيد في علم الرمل ، ثم أخذ طريق الشاذلية عن الإمام المرشد الشيخ محمد الفامي ، فاشتغل في الطريق ومطالعة كتب السادة الصوفية كالفتوحات للشيـخ الأكبر وغيرها حتى صار له ملكة عظيمة [١] وكان اذا أشكل عليه شيء

---

(١) التصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا ، وعرضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم باحسان . ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم أُحدث له هذا الاسم ؟ ومن بعد أن كان مسماه نسكا وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراء فلسفية —

يراجع فيه حضرة المرشد الكامل والأستاذ الملاذ الفاضل ، الأمير السيد

— تنقل فيها أهلها الى القول بالحلول والاتحاد . ثم انقلب الى شعبذة وشعوذة وتغرير بالبسطاء وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

أما تصوف الأستاذ الوالد ، فقد كان من بعد اتقانه العلوم العربية والشرعية والرياضية على أجلاء العلماء كما تراه في هذه الترجمة بقلم عمه المؤلف ، (وهو والد زوجته أيضاً ، فهو عمه نسباً وصهراً) .

وقد كان للسيد الوالد قبل تصوفه أملاك كثيرة ، وأموال موفورة ، ورثها من والدته التي لم يكن لها ولد غيره ، فباعها ، وأنفقها ، ولم يخلف عقاراً ، ولم يدخر درهماً ولا دينارا ، وكان يسمى أبا الفقراء .

وهذه أسماء مؤلفاته المحفوظة عندنا : (١) كتاب النفحات الأقدسية ، في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية » طبع في مصر سنة ١٣١٤ هـ وهو مجلد ضخم في أكثر من (٤٢٠) صفحة (٢) فتح الرحمن الرحيم (بالجمع والتوفيق في المسائل الثلاث بين القطبين الشيخ الأكبر والسيد عبد الكريم الجيلي ، وهي (١) العلم والمعلوم، وأيهما تبع للآخر) و (٢) في الإرادة والاختيار ، و (٣) في الأسماء الالهية وأحكامها. وهذا الكتاب بخط المؤلف ويبلغ أكثر من خمسمائة صفحة ، وعليه حواش كثيرة، بخط المؤلف أيضا (٣) كتاب الواردات الإلهية ، في ثلاثة مجلدات ، الأول (٤٠٠) صفحة ، والثاني أربعمائة أيضا ، والثالث (٣٧٠) صفحة . وهذه الأجزاء كلها بخط ابن المؤلف كاتب هذه السطور . ثم ان هذه المؤلفات تنحو نحو كتب الشيخين ابن عربي والجيلي ، لا سيا الفتوحات المكية ، والإنسان الكامل ، ففيها كثير من الشرح والإيضاح لهما ، وله رحمه الله رسائل كثيرة في التصوف أيضا ، كرسالته (فيض الواحد الأحد ، في معنى خلود الأبد) بخط المؤلف ، ورسالة : (قرة العين ، في حل البيتين) وأولهما :

ياقبلتي خاطبني في سجودي لقد الخ وهما للشيخ محي الدين وهذه بخطي . وله منظومة عينية ، تحاكي عينية الجيلي في الوجود والشهود ، والحق والخلق ، والجمع والفرق ، وهي تدعو في الجملة الى الكتاب والسنة، وتبلغ أكثر من تسعمائة بيت من الشعر الجزل .

وأما رسائله الأدبية من شعر ونثر فكثيرة ، منها ماحفظ ، ومنها مالم يحفظ ، والسبب أنه لم يكن يكتب مرتين ، حتى إن شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية قد طبع في مصر عن نسخة المؤلف الخطية وهو من نفثة القلم الأولى ، وسترى — في ختام هذه المفاخرة بين الشمس والقمر — كلمة عمه المؤلف في إتمام ترجمته له ، وإنما رأينا أن نذيلها هنا بذكر مؤلفاته ، كما سبق لنا في غيره وبالله المستعان .

عبد القادر الجزائري . وله من النظم والنثر ، مايزري بعقود اللؤلؤ والدر ، ومن كلماته الرقيقة ، التي هي الخمر الحلال على الحقيقة ، مقامته التي أنشأها في المفاخرة بين الشمس والقمر ، ولله درها من مقامة هي أرق من نسيم الصبا في السحر ونصها : حدثنا يسار بن حازم ، عن فتح الله أبي المكارم ، قال : رويت عن الورقاء بسندها عن العنقاء ، قالت نشرت جناح الهمة ، وطرت في فضاء الحكمة ، ثم عرجت على الرفارف ، الى عالم اللطائف ، فلم أزل أخترق حجابا بعد حجاب ، وأستفتح باباً بعد باب ، إلى أن وصلت مواطىء الأنوار ، وحصلت بمواطن الأسرار ، فلما مرحت في مغانيهـا ، وانشرحت بمعانيها ، جلت بأعلى مجالي ، في وجوه تلك المجالي ، فرأيت في مرايا العجائب ، ومزايا الغرائب ، مجلساً من مجالس السمر ، جمع الشمس والقمر ، وهما متقابلان في النظر ، في ليلة أربعة عشر ، فألفت منهما الحديث والنظرة ، ودلفت لتلك الحضرة ، ثم بادرت بالتسليم ، وحييت بالتعظيم ، فقالا مرحبا واهلا فلقد صادف الغريب اهلا ، ثم اجلساني على موائد الفوائد ، وآنساني بفرائد العوائد ، ثم شرعا يتناجيان ، وقد برعا بسحر البيان ، فعاينت ما اخذ بمجامع قلبي ، واستولى على عقلي ولبي ، من طرائف الفاظ ، اسحر من الألحاظ ، وظرائف معاني ، هي نزهة كل معـاني ، فما احلى ثمر تلك الفكاهة ، وما اجلى ذاك السحر والنباهة ، وما ارشق هاتيك الفقر ، المزرية باللآلىء والدرر ، وما آنق تلك الاسجاع ، الممتزجة بالطباع والاسماع ، لقد رقت وراقت ، ودقت وفاقت :

كأن سامعها مذ مال من طرب   بين الرياض وبين الكأس والوتر

ثم انهما لم يزالا في منافثة [١] اطيب من العناق للمشتاق ، ومحادثة اطرب من الصبا والباقي للعشاق ، الى أن جرت بهما سوابح المحاورة ، وجرتهما سوانح المحاضرة ، فالقتهما من مسالك تلك المسامرة ، في مهاوي المهالك ومساوىء المفاخرة ، فصعد القمر على المنبر الازهر ، وقال الحمد لله والله

---

(١) نافثه منافثة : خاطبه وساره .

اكبر ، هذا جمالي قد زهر ، وجلالي قد بهر ، لمن شاهد ونظر ، وحقق واعتبر ، انا السر الاكبر ، والكبريت الاحمر ، ذو السناء الزاهي ، والضياء الباهي ، جُليت في احسن الصور ، وانشققت لسيد البشر ، وكان يناغيني في الصغر ، ويناجيني كما في الخبر ، فأنا سلطان الكواكب ، وزينة المواكب ، ازور غبا ، لأزداد في القلوب حبا ، فسبحان من حلاني بحلل النضار ، وولاني ملك المجد والفخار ، وهدى بي في ظلمات البر والبحر ، فأنا سيد النيّرات ولافخر ، ثم انشأ وارتجل ، وانشد بغير وجل :

انا قمر المحاسن والسناء	ولي بين الملا أبهى لواء
فوجهي مشرق في الارض يبدي	من الاضوا صباحا في المساء
اروق بطلعتي الابصار أنسا	وأبهج بالمسرة كل راء
يرى شبه الحبيب بي المعنى	ويشكو ما عراه من العناء
وينتظر الملا مجلى طلوعي	هلالا بالمسرة والهناء
فان لم يلمحوا مرأى هلالي	تراهم شاخصين الى السماء
ففي صوم الانام بكل قطر	كذاك العيد يبدو من لقائي

فالحمد لله الذي قدرني منازل ، وصدرني في ميدان السباق وقدمني على كل منازل ، وصورني بأكمل صورة واجمل انشاء ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ثم ختم إنشاء كلامه ، بصلاته على النبي وسلامه . فلما سمعت الشمس نثره ونظامه ، ووعت قوله وكلامه ، زفرت زفرة القيظ ، وكادت تتميز[1] من الغيظ ، فارتقت عرش البراعة والجمال ، وانتقت فرش البراعة والكمال ، ثم قالت بعد أن تجلت ببرود السناء ، وتحلت بعقود الحمد والثناء : انا العروس الناضرة ، والعين الناظرة ، بي تحلو ثمار لواعب الادواح[2] ، وتبدو محاسن الكواعب

(١) تتقطع .

(٢) الشجرات العظيمة المتسعة ، وهي جمع الجمع لدوحة .

الملاح ، ويأمن لعمري الخائف ، طارق الليل الحائف ، وتنسخ بي آية الليل الحالك ، وتستنير المسالك لكل سالك ، ويمتاز اليقين من الحدس ، واليوم من الامس ، ولولاي لم تتحرر مواقيت الصلاة ، ولم يتيسر نيل بواقيت الصلات ، فتبارك الذي جعل في السماء بروجا ، واجراني لمستقري بها نزولا وعروجا ، وجعلني فيها سراجاً وهاجاً ، واوضح لي منها مسلكا ومنهاجا ، وجل من رفعني مكانا عليا ، وحباني من فضله نورا جليا ، واسكنني اوسط الافلاك ، والوسط خير الامور ، ونظمني في سلك العالين من الاملاك ، فسائر الانوار علي تدور ، واحل بفلكي نبي الله ادريس [1] ، قطب الوجود في كل زمان ، وغيره في هذا المقام النفيس ، نائب عنه في هذا الشان ، واقسم بي وبضحاي ، وفضلني واكرم مثواي ، فلي القطبيّة العظمى بين الانوار ، وبطلوعي وغروبي مناط الليل والنهار ، ومن مشكاتي اشرق كل نور في العالمين « فتبارك الله احسن الخالقين [2] » ثم رنت القمر بعين محمرة ، ووجنة مصفرة ، وقالت عجبت للمملوك يجاري في مسراه الملوك ، وللدرهم الصكوك ، يباري الذهب المسبوك ، ايها القمر القاضي بحدسه ، المتغاضي عن معرفة نفسه ، كأنك تقول لي بلسان الاشارة « اياك اعني فاسمعي ياجاره » [3] :

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار

اما علمت ايها المتغالي في الحد ، والمتعالي بما ليس في اليد ، أن دعواك في النور محض مين وزور ، حيث كنت ليلة الميلاد ، مرتدياً برداء السواد ، فلم ازل أربيك بسنائي وليدا ، والبسك من ضيائي ثوبا جديدا ، الى ان اشتد ظهورك وامتد في الآفاق نورك ، فاذا كان ليلة الرابعة عشرة من الشهر ،

---

(١) قال تعالى : « ورفعناه مكانا عليّا » الاية ٥٧ من سورة مريم .

(٢) الاية ١٤ من سورة « المؤمنون » .

(٣) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ، ويريد به غيره مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٠) .

اقابلك بكمالي فتكون كامل القـدر ، فعند ماتم لك مني السنا ، جهلتني ولم تدر من انا ، اما علمت ان نورك مني وإلي ، وحكمك في الاضاءة عائد علي ، فكيف تفتخر علينا بنا ، وتسوي في المقام بينك وبيننا ، وأما زهوك بالانشقاق للسيد الحبيب ، فليس بأعجب من ردي له بعد المغيب (١) .

ثم انشدت بلسان صادع ، وارشدت ببيان بارع :

لي رتبة في العلا تسمو بها الرتب	وأوج مجدله العليـاء تنتسب
وآية الحسن بالإشراق تشهد لي	بأن مني جميـع النور يكتسب
إذا بزغت فلي ملك الضياء وإن	أغب فعني ينوب البدر والشهب
لولاي لم يستقم للناس عيشهم	ولا بدت لهم الايام والحِقَب (٢)
ولا حلا ثمر ولا نمـا شجر	ولا بدا قمر ولا همت سحب
عيني أنارت وجود الكون أجمعه	ومن هداي اهتدى الاعجام والعرب
ومن ظلالي مواقيت الصلاة ومن	غروبي الفطر للصوام يرتقب
فلي الكمال الذي حزت الفخار به	« وإن علاني من دوني فلا عجب »

فلما سمع القمر ماهاله ، قال لادارت لي هالة (٣) ، ان لم أبرز لك في ميدان السبق ، وأبدي شرفي عليك لسائر الخلق ، أما سمعت أيتها الشمس ، قول باريء الجن والإنس ، « وللرجال عليهن درجة » (٤) فأنت بي في الفضل مندرجة ، على أنك وسمت بالعين ، وقد شاهدت بالعينين « وللذكر مثل حظ الانثيين » (٥) وأعدل شاهد بسبقي لمن اعتبر ، « لا الشمس ينبغي لها

---

(١) تراجع معجزاته هذه ﷺ في كتب السيرة النبوية .

(٢) جمع حِقبة ، وهي المدة من الوقت .

(٣) الهالة : دارة القمر ، كالطاوة لدارة الشمس جمعها : هالات .

(٤) الآية : ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٥) الآية ١٠ من سورة النساء .

ان تدرك القمر » [1] وأما ماتعاليت به علي ، قائلة ان نورك مني والي فالفرع قد يشرف أباه ، أحب ذلك أو أباه :

انما الورد من الشوك وما يخرج النرجس الا من بصل

فلا غرو اني القمر المنير ، ذو الشأن الخطير ، بسنا في تطيب القلوب ،وعلى ضيائي يجتمع المحب والمحبوب ،فالأفراح لايتم سرورها الا بحضرتي ، والراح لايكمل حبورها الا لدى طلعتي ، وكم من ذي جفن ساهر ، وذهن حائر ، وطرف جائل ، ودمع سائل ، وقلب ذائب ، وكرب دائب ، يبث لي شكواه ، وينُثُّ [2] لي بلواه ،وكم من كلف يحن الي ، لما يرى من شبهي بالحبيب ، ودنف يئن لدي كأني لدائه طبيب ، فأنا الشقيق لأهل الحسن والجمال ، والشفيق على من صبا عشقا ومال ، ان انكر المحبوب وجد الحبيب ، اجابه سل اخاك فانه عليّ رقيب ، وما أعذب ماقاله ابن سهل الهمام ، في هذا المقام :

سل في الظلام أخاك البدر عن سهري تدري النجوم كما تدري الورى خبري

مع اني شريك ذوي السُّها دليلا ، والهائم معهم بجمال سعدى وليلى ، فأنا رئيس ديوان الصبابة ، وانيس من فوّق له الهوى سهم الحب فأصابه .

فما شرب العشاق الا بقيتي ولا وردوا في الحب الا على وردي

خلا اني أقرب الكواكب الى عالم الإنسان ، وأعذبهم في تمام الحسن وكمال الإحسان ، فلذا جمالي باد ، لكل حاضر وباد ، تقر الأعين برؤيتي ، وتشتهي الأنفس شهود طلعتي ، فغرتي طالع السعد والبشر ، وسمائي موطن آدم أبي البشر ، فلتكف الشمس عن مضاهاتي ، ولتمسك عن مساجلتي ومباهاتي ، ولتحاول غير هذه الشطة ، قبل وقوعها معي في أعظم ورطة ،

---

(١) الاية ٤٠ من سورة يٰس .

(٢) نَثّ الخبر : أفشاه .

ولتعترف بفضلي اعتراف من تنبه غب ما سها ، وان عادت العقرب عدنا لها، ثم شمر عن ساعده الأشد ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وأنشد :

لي منهج في العلا قد عز مسلكه ولي الكمال الذي بالنضل أملكه
تمنت الشمس أن تدنو لمرتبتي «ما كل ما يتمنى المرء يدركه»

فعند ذلك التهبت الشمس غضباً ، وقضت مما سمعته وشاهدته عجبا ، وقالت تعاليت عليّ بالافك ، وتعاميت عن حطتك مذ كنت هلال الشك ، وبغيت بغي من ضل وتزندق ، وتفرزنت وما أنت الا بيدق ، أوما خجلت من هذا الصلف ، مع ما في وجهك من الكلف ، وهل أنت مني في القدر ، الا كقلامة الظفر ، ومع ما فيك من المحو والنقصان ، كمالك لا يفي بتمام الايضاح والبيان ، فانت تال وأنا متلوة (١) وآيتي مبصرة وآيتك ممحوة (٢) وكفاك أيها الخادع الغرار ، ان اسمك مشتق من القمار ، وانك عون السارق ، وهون العاشق الطارق ، تحل اجرة المنزل واجل الدين ، فتذل بذلك فاقد الورق (٣) والعين (٤) ، ويبلي نورك ثياب الكتان ، ويؤول كمالك الى النقصان ، وليت شعري هل لك بظهوري ظهور ، وهل محور الدرج والدقائق إلا علي يدور فالزم الخضوع والاستكانة ، ولا تطاول من سماك مكانا ومكانة ، فما هلك امرؤ عرف قدره ، ولا سلك صوابا من روج مكره وغدره ، ولقد بانت حجتك ، واستبانت محجتك ، فلا تَعْدُ بعدُ

---

(١) « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها » الآيتان (١ و ٢) من سورة الشمس .

(٢) « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة » الاية ١٢ من سورة الإسراء .

(٣) الدراهم المضروبة .

(٤) الذهب المضروب .

الى الحيف ، فتكون كمن ضيع اللبن بالصيف [1] والزم الأدب مع أهل الكمال ، ولاتك بمن عرف الحق ومال ، ثم انهـا تاهت تيه نشوان ، وفاهت بشبيه الجمان :

أنا قد لبست ببهجتي	خلع الملاحة والطرف[2]
وظهرت في أوج العـلا	ببديع حسني والظرف
حسب الهلال تكلفا	مافيه من شين الكلف
وبأنه لو لم يقـا	بلني لغشّاه السدف [3]
واذا تجلت طلعتي	في ذاته منها انكشف
واذا انحرفت لوجهتي	في السير أظلم وانكسف
فكأنني وكأنه	في شأو[4] سبق ذي شرف
كالدرة البيضـاء اذ	باحالها قشر الصدف

فلما أمعن القمر في معانيها ، وجال طرف فكره في مغانيها ، وثب وثبة الأسد ، ونعب نعبة الحرد والغضب ، وقال أيتها اللافحة بنار الهاجرة ، لأنتِ التاركة للانصاف والهاجرة ، تزدرينني بسواد الكلف [5] ، أو ما دريت أنه من دواعي الحب والكلف ، فهل هو إلا كخال توج به الخد المورد ، أو كنقطة عنبر صيغت على در منضد ، أو عذار يقيم لعاشقيه الأعذار . أو انسان عين يشير لناظريه بالإنذار ، وكأنك لم تسمعي قول من قال ، وأحسن فيما قال :

---

(١) هو مثل لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه (انظر مجمع الأمثال ج ٢/٥٤) .

(٢) جمع طُرفة ، وهي الحديث الجديد المستحسن .

(٣) السَّدَف : الظلمة والضوء : من ألفاظ الأضداد .

(٤) الشأْو : الأمد والغاية .

(٥) السواد في الصفرة .

أهلًا بفطر قد أنار هـلاله ... ألآن فاغد على المدام وبكر

فكأنما هو زورق من فضـة ... قـد أثقلته حمولة من عنبر

وأرق من هذا في التشبيه ، وأدق وألطف في التنبيه ، قول من أجاد :

يا ريم[١] قومي الان ويحك فانظري ... وجه الهلال وقد بدا في المشرق

كخليلة نظرت الى خل لهـا ... فتنقبت خجلًا بـكم أزرق

ومن هذا القبيل ما قيل :

قالوا التحى ، فمحا محا ... سن وجهه نبت الشعر

الآن طاب وانمـا ... ذاك النهار على السحر

لولا سواد في القمر ... والله ما حسن القمر

وأعدل شاهد لي بكمال القدر ، تلألؤ وجهه ﷺ تلألؤ القمر ليلة البدر ، وكان إذا رآني يقابلني بجميل محياه ، ويقول هلال خير ورشد إن شاء الله ، فبركاتي مشهورة ، والدعوات لدى ظهوري مـأثورة ، وحزبي هم السادة الأفراد ، وصحبي هم القادة الأمجاد ، يناجون معي في الأسحار ، ويرجون سنيَّ النفحات بالذلة والانكسار ، « تتجافى جنوبهم عن المضاجـع[٢] » وتنهل من عيونهم عيون المدامع ، فلا ريب أنهم فازوا بالمشاهدة والوصال ، وحازوا أحسن الشيم والخصال ، ولي إليهم أياد وأي أياد ، حينما يرصدونني للصوم والاعياد . هـذا وإن شعاعك أيتها الشمس ، يذهب بالسرور والانس ، ينشي الصداع ، ويغشى الاسمـاع ، وينفر الطباع ، ويثير الداءات والاوجاع ، فلا يبدو به انشراح ، ولا تشدو به بلابل الافراح ، ومن الذي بشعاعك ترنم ، وشدة الحر من فيح جهنم ، وكيف لا وسيد الانام ، ظلله من حرك الغمام ، وقد صح عن سيد ولد عدنان ، طلوعك

---

(١) الرّيم : الظبيُ الخالص البياض .

(٢) الاية ١٦ من سورة السجدة .

بين قرني شيطان ، ففضلي عليك متعين واجب ، والعين لا تعلو على الحاجب . فلما وعت الغزالة ما أبداه ، ورعت منتهى كلامه ومبتداه ، آلت برب المشارق والمغارب ، لتُجرّعنّه من كؤوس نقمتها أمرّ المشارب ، ثم قالت الى متى تتطاول في مذمتي ، وحتى متى وأنت غرس نعمتي ، فلأجعلنك أيها القمر عبرة لمن اعتبر ، الم أعُدك وأنت في ضنا المحو والمحاق ، وأعِدّك للوجود بعد الفنا والاحتراق ، واكسك بعد التجرد حلة البهاء ، واقلدك قلائد التورد والازدهاء ، فنبذت شكري وراءك ظهرياً ، وتركت بري نسياً منسياً ، وجنحت الى الغرّة ، واستكبرت استكبار أبي مرة (١) ، وقابلتني بكفران النعم ، وجازيتني بالعدوان والنقم ، فما أراني بعد احساني الغامر ، إلا كمجير أم عامر (٢) . ثم أعرضت عنه ابتذالا ، وتمثلت وعينها تتقد اشتعالا

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ثم نظرت اليه شزراً ، وقالت لقد جئت شيئاً نكراً ، أتظن أن احداً بهجائي يعول عليك ، أو ينظر دوني بالاقبال اليك ، وهو يعلم أن ما فيك من النور ليس من صفاتك ، وإنما هو من اشراق سنائي بمرآة ذاتك ، وان ما بدا منك فمعار مني اليك ، وكل ناظر بعين الحقيقة فالّيَّ لا إليك ، فو الذي ابتني بالبقا ، ومحاك بالفنا ، ما ظهر فيك أيها المغرور الا انا ، فما رأى أحد منك سواي ، ولا بدا فيك إلا معناي ، ولله در العفيف ، إذ أشار لهذا المعنى اللطيف ، فقال :

---

(١) كنية إبليس .
(٢) الضبع .

نظرت اليها والمليح يظنني　　نظرت إليه لا ومبسمها الألمى
ولكن أعارته التي الحسن وصفها　　صفات جمال فادعي ملكها ظلما

وأما إعابتك عليّ بطلوعي بين قرني شيطان ، فهو في الحقيقة عائد لعبادي من ذوي الطغيان ، وتظليل الغمام من حري سيد الخلق ، فهو لما اودعته من نور جلال الحق ، أو ما علمت ان لله سبعين حجاباً من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه [1] كل أمة ، فلي شرب من اشراق تجلي القهار ، بشاهد قوله جل من قائل « لا تدركه الأبصار »[2] فانظر لما ألقيته عليك بعين الفهم « ولا تقف ما ليس لك به علم »[3] واطو من بيننا شقة الكلام ، فانها جالبة للطعن والكِلام ، وأبق للصلح موضعا ومحلاً ، وكف عني لسانك والاّ ، فقد لاح الحق لذي عينين ، وراح الباغي بخفي حنين ، وان عدت لزخارف عدوانك ومينك ، فهذا فراق بيني وبينك.

قالت العنقاء : فلما رأيت احتداد الحجاج وامتداد اللجاج ، وقد كاد كل منهما من الجدال ، أن يتلو سورة القتال ، قلت غب أن احسنت لفظي ، وأكثرت نصحي ووعظي ، هل لكما في حكم ، يفصل بينكما بآداب وحكم ؟ فقالا : ومن هو الذي يلقى اليه القياد ، في كشف هذا العنا والعناد ، فأنبئينا أيتها الناصحة عنه ، لنلتقط درر المعارف والبيان منه . فقلت : اللهم بلى ، وهل يخفى ابن جلا ، إنه لفارس السباق في كل ميدان ، وغارس حدائق الآداب لكل قاص ودان ، رسائله وسائل المنى لكل عارف ، وفضائله جداول الهنا لكل غارف ، وملحه قد عذبت حلاوة وانسجاماً ، ومنحه ادارت من راحها قدحا وجاما ، كم ركعت

(١) أنواره .
(٢) الاية : ١٠٣ من سورة الأنعام .
(٣) الاية ٣٦ من سورة الاسراء .

البلغاء لجمال أبكاره الحسان ، وسجدت الادباء لكعبة افكاره الباهرة كل انسان ، فإن أقر على الرق أنامله ، أقر بالرق أدباء الانام له ، تضحك ثغور الاوراق طربا من بكاء يراعه ، وتسجع بلابل الاوراق عجباً من طيب لفظه وسماعه ، فلو انتشق ريحانة لفظه ابن نباته ، لاستطـاب في ربا البديع نباته ، فأين النسيج الحريري من رفيع مقاماته ، والغزل الجريري من ترصيع أبياته [١] ، فرياض عباراته حياض الشفا لغليل كل عليل ، وغياض اشاراته مفاض الصفا وانس الجليل ، فلو امتزج النسيم بنفحة أنفاسه القدسية ، لأغنى أهل الرموس عن نفخة النشور ، ولو انبلج لأهل الجحيم نور طلعته الانسية ، لعرفت في وجوههم نضرة النعيم والسرور ، هذا وراحته بفيض نداها السائل ، راحة لكل راج وسـائل ، فلعمري لقد دارت شموس الكمالات عليه ، وسارت بدور السعادات اليه ،

أفديه عبداً الى الرزاق ذا شيم	تألقت من سناها غرة الزمن
وسيداً من بني البيطار والده	بدر الهدى حسن ناهيك من حسن

فأقبلا على بهيج بابه ، وقبلا أريج أعتابه ، ثم قدما لمقامه السعيد ، مقامة التهنئة بالصوم والعيد ، وغب ذلك تسـاجلا [٢] لديه ، وتناضلا بين يديه ، فهو حكم الحكم ، ومنتهى الهمم ، فعرجا في الحال ، واندرجا بجاه العال .

فحينا رآهما حيا وبيا ، وتهلل بالبشر منه باهي المحيا ، وقال مرحبـاً وأهلاً بالنيرين ، ومن هما لجسد الكون كالعينين . قالت العنقاء : فقلت ها أنتما بالمشهد المأنوس ، ولا عطر بعد عروس ، فلينضح كل منكما إناءه بما فيه ، ولينصح نفسه بصدقها في ظاهر أمره وخافيه . فلما مردَا لديه المقـامة ، ووداً أن يقيم كلا منهما مقامه ، قال : والذي ألبسكما من الجمال ابهـاه ،

---

(١) رصع الشيء : قدره ونسجه .

(٢) المساجلة : المباراة والمفاخرة .

ومن الكمال انهاه، ومن الحسن أولاه، انكما لآيتان من آيات الله، ولانتما للزمان روحه وجسده، ولعالم الانسان عضده وسنده، وهل أنت أيها البدر من يُوح[1]، إلا كشقيق روح أو ابن بُوح[2]، فلم تختلفان وعليكما دار الملوان بحسبان، وما منكما الا له مقام معلوم، وفضل في الانام موسوم، فلا تعودا الى المشاحنة فإنها تشين النفاسة، ولا يخفى عليكما ماينشأ عن حب الرئاسة.

قالت راوية الاثر: فلقد خلب القلوب ببلاغته وأمر، وأرضى كلاً منهما بما أمضى وأمر، فتهلل وجه كل منهما بالصلح، وتلا سورة النصر والفتح، وتمثل كل وقوفاً بين يديه، واستأذن بشكره والثناء عليه، فقال بسم الله ولا حرج، حيث تم المنى ووافى الفرج، فعند ذلك ابتدرت الشمس، وأنشدت مايقر العين والنفس:

حياك من فرد وحيد	ياطلعة الحسن الفريد
ياسالبا قلبي العليل	وسالبا لبي الشريد
لولا قوامك مائس	ماشاقني غصن يميد
كلا ولولا راح ثغرك	لم أهم في حسن غيد
لم ابد منك لطائفاً	إلا حلالي ان اعيد
وهواك أقرب للحشا	والروح من حبل الوريد
يامن لأوج صدوده	قد أعجم الوصل الحميد
قلبي الحسين شهادة	واللحظ منك غدا يزيد
أصبو بنجد والعرا	ق الى بياتك لو تريد
وأنوح نوح الاصفها	ني كي توق فلا يفيد
وحصار ركب نواك ير	صدني جهاراً بالوعيد

(١) يُوح: اسم للشمس.

(٢) ابن بُوحك: ابن نفسك، والبُوح: النفس.

حجز القرار [١] ولم تجب ... عد باللقا فالوعد عيد
ضربت بي الامثال في العشـــاق من شوقي المزيد
وفني جميل تصـبري ... لكن شوقي لايبيد
حملتني بهواك مـا ... بأقله شـاب الوليد
قل لي فديتك هل حشا ... ك الصخر أم صلد الحديد
أو ما ترى من مقلتي ... دمعاً جرى البحر المديد
وتنهـدي وتسهـدي ... وتشتتي في كل بيـد
ولقد لقيت مـن العوا ... ذل كل شيطان مريد
كفروا جمالك إذ أبوا ... إلاّ ضلالهم البعيـد
فهم لفي لبس [٢] بأنّ ... هواك من خلق جديد
تبـا لهم أو ليس منـــهم في الهوى رجل رشيد
ياليت نار الصد تصــلي كل جبـار عنيد
أواه لو لي بالعــوا ... ذل قوة الندب الجليد
لكفيتهم لكـنني ... آوي الى ركن شديد
مولاي أعني العبد للر ... زاق ذا الحسب المجيد
لي منه زاهر نسبة [٣] ... لكنني أدنى العبيـد
لله مـولى لذّ لي ... في وصفه عذب النشيد

---

(١) جرت عادة الأستاذ الوالد عمل (التورية) بأسماء الأعلام في معظم القصائد .
(٢) الإشكال والاختلاط .
(٣) هو عمه شقيق أبيه الشيخ عبد الغني وهو الثاني في مرتبة السنين ، والشقيق الأكبر هو الشيخ محمد الذي كان أمين الفتوى في عهد المفتي محمود افندي حمزة ؛ وأصغرهم سناً شقيقهم الشيخ سليم الفرضي الشهير ، وهم أبناء الشيخ حسن البيطار ، رحم الله الجميع .

كل الوجود عــلى كما | ل صفاته الحسنى شهيد
والدهر طوق من سجا | ياه الفرائد عقد جيد
ياساميــا أوج العلا | بالحذق والرأي السديد
عيد الصيــام ببشره | وافى حماك فلا محيد
فاهنأ ودم في كل عيد | في صفا العيش الرغيد
وإليك في حلل البــها | مزفوفة بكر القصيد
حلت سمواً من رفيـــع علاك في قصر مشيد
لم ترتجــي إلا قبو | لك ياملاذ المستفيــد
قد ارخت سد بالمــنى | يهنيك بالعيد النضيد سنة ١٣٠٤

فلما فرغت الشمس من أبياتها ، وسحرت بباهر آياتها ، رفـع القمر عقيرته ، وأنشد قصيدته :

ما للمصاب من الجوى من راقي | الا التي زانت بحسن راقي
هيفا كجسمي خصرها ، وبردفها | شبه العذول هما جناس طباق
جمعت بفاتر لحظها ورضـابها | ضدين من سمٍّ ومن ترياقِ
سبحان من أبدى بروضة خدها | ورداً يفوح بعنـبر عباق
وأدار من كأس العقيق بثغرها | راحاً جرت في اللؤلؤ البراق
عذبت حلاوة حسنها لكنها | صدّاً أذاقتنى أمر مــذاق
هل لي مجير من سهام لحاظها | هيهات مالقتيلهــا من واق
ما كنت أحسب قبل وقعة عشقها | ان المنايا الحمر في الاحداق
كيف النجاة من الهوى وشراكه | والقلب مأسور رهين وثاق
باآل ودي هل لكم في مغرم | ضربت به الامثال في الاشواق
يرثي له الصخر الاصم اذا بكى | بمدامـع الخنساء في الآفاق
ياغادة تشدو جهاراً بالنوى | مِن أوْجِهِ لحيرُ العشــاق
قلبي الحسيني الشهيد صبـابة | حجز البيات وقد صبا لوفاق

رَصَدَ اللقاءفظل من ركب الجوى … وحصاره يرثي بنجد عراق
عز القرار فهل جواب بالمنى … ان الوفا من طاعة الخلاق
ياوجهها انت الرشيد هداية … فارحم فديتك جعفر الآماق
لازلت مسروراً بملك ملاحة … يحيى بحسنك ناظر المشتاق
ماحق قلبي وهو بيت هواك أن … يُلفَى لديك مقطعاً بفراق
آليت دهري لا التفت عن الهوى … الا لمدحي كامل الأخلاق
حبر إذا أبكى عيون مداده … ضحكت ثغور الكتب والأوراق
ذو غرة لو يستجير البدر في … أنوارها لم يخش جور محاق
وشمائل اضحت لجيد زماننا … عقد الكمال وحلية الأطواق
ما دار من راح العلوم وصفوها … كأس الهدى الا وكان الساقي
كلا ولا في شأو فضل قد جرى … في فكره الا سما بسباق
طوفان نوح لو حكى احسانه … لم ينج انسان من الإغراق
عمت مكارمه البسيطة وارتقت … اوصافه مجداً لسبع طباق
لو رام امساكا وحاشا جوده … لم تستطع يده سوى الإنفاق
لو لم يكن عبداً لرزاق الورى … لدعوته بقسم الأرزاق
سجدت لكعبة عزه هام العلا … والسعد بين يديه في الإطراق
ياسيداً زان الزمان بشيمة … ساد الأنام بها على الإطلاق
هذا هلال العيد امك بالمنى … ولأنت فينا عيد انس باق
فاهنأ ودم شمس الهداية طالعا … بسما الكمال بلا مغيب تلاق
واستجل من فكري عروساً مهرها … منك القبول فذا اجل صداق
قد زفها نظم البهاء مقلداً … من در وصفك حلية الأعناق
وافى بها عيد السرور مؤرخاً … بالبشر عيد دام والإشراق سنة ١٣٠٤

قالت العنقاء: فهاج بي نسيم الغرام، وماج بي بحر الوجد والهيام، ان أنحو نحو هذا الأثر، وان أتشبه بالشمس والقمر، لأن التشبه بالكرام

فلاح ، والتنبه للاقتداء بهم نجاح ، فمزتها بثالثة ، وفية بالعهد لا ناكثة :

سلاه عن فؤادي هـل سلاه ... وكيف وما جنى ذنباً سلاه
غزال زانه جيد وفـاه ... شرود عجبه يأبى وفـاه
أقمت على ثناه وليت شعري ... عن الخل الوفي ماذا ثنـاه
بثغر لماه ظل رباط قلبي ... لذا من لحظه الغازي رمـاه
عذابي في هواه يراه عـذبا ... وسلبي في هواه غدا منـاه
فيا تلك الشعور الا شعور ... بمن في ليلكن نما ضنـاه
ويا ورد الخدود ألا ورود ... فأنت لذي الضنا أحلى جنـاه
ويا تلك الشفاه ألا شفـاء ... لمن بسلافكن غدا شفـاه
لقد طـال البعاد ولا سلو ... ولا تغني الشجيّ الصب آه
ألا ياللهوى من لي عـذير ... بمن في حسنه العشاق تاهوا
عراقي الطباع يبيـح ظلماً ... دم الصب الحسيني في هواه
صبوت به جهاراً مذ بـدالي ... بأوج جماله وأضا سنـاه
وركب صدوده يبدي حصاراً ... فيحجرني ويرصد لي عنـاه
أنوح محيراً وأبوح وجـداً ... بنوح الاصفهـاني من نواه
وقد عز القرار فلا جواب ... سوى جفني تجاوبني دمـاه
فمن لي يا أهيل الود فيه ... بأن أفنى ويُحييني بقـاه
رضيت بحبه وصلاً وهجراً ... وطاب لي البيات على رضـاه
كتمت غرامه حتى كأني ... من الكتمان لم أدريه ماهو
وأنكرت الهوى صونا لأني ... أغـار عليه يهواه سواه
يشخصه الهيام بكل ذاتي ... فلا أدري أراهـا أم أراه
فلو يدعى اسمه ألفى مجيبـاً ... لمن يدعوه من ولهي أناهو
له ملك الفؤاد وكل عشق ... له منـا دراه من دراه
تناهى في الجمال كما تنـاهى ... لبهجة عصرنا عز وجـاه

ملاذ عبد رزاق البرايا رعاه الله ما أبهى لــقاه
رياض أكفه تزهو سمــاحاً بمنثور الندى الحالي جنــاه
تخال نزيله من حسن بر وتكريم اخــاه او اباه
يرق لدمعة الباكي انعطافــاً ويرحم لوعة الشاكي جواه
وإن أنشا من الافكار عقداً شهدتَ الحور زفت من حلاه
ألا يا كامل الاوصاف عذراً فقدرك عزّ أن أحصي ثنــاه
فلا زالت بك الايام تسمو ووجهك مشرق بسنا ضيــاه
وذا عيد المنى فاهنأ وأرخ نضير العيد زاهي من حباه سنة ١٣٠٤

فلما تليت على الاسماع عرائس القصائد الشكرية ، وحليت بنفائس الاسجاع أوانس الفوائد الفكرية ، تهلل وجهه سرورا ، وتعلل بهـا طربا وحبوراً ، ثم قال : ما أطيب هذا النفس الأنفس ، وما أطرب هذا السماع الأقدس ، فلعمري ما المثالث والمثاني ، بأعذب من هذه المعاني ، ولا وصل الحبيب بلا رقيب ، بأعجب من هذا التشبيب [1] بذا النسيب ، فليت شعري أهذا رقيق كلام ، أم عتيق مدام ، ام در ألفاظ ، ام سحر ألحاظ ، ام نثر بديع ، ام نشر ربيع ، ام بيان بنان ، ام نظم جمان ، فلا زالت الافلاك بجمالكم ناضرة ، ولا برحت ألحـاظ الاحلاك بعيونـكم ناظرة ، ما افتر ثغر الدهر بسناكم باسما ، واحمر خد الزهر لنداكم راسما ، وما حمد شارع على التمام ، وسعد بارع بحسن الختام .

أقول : هذا ماجئت به من بضاعتي المزجاة ، لسيدي عزيز القدر والجاه ، الوالد العطوف الروحاني ، والعم الرؤوف الذي عمني بنداه ونحاني ، وأرجوه غض الطرف عن هفوتي ، ونظر اللطف لاصلاح كبوتي ، ولولا وثوقي بهذا الامتنان ، لم أحم حول هذا الشان ، ومـــع هذا فليتني لزمت حدي من

---

(١) شبب قصائده ذكر فيها أيام الشباب واللهو والغزل . والنسيب : رقيق الشعر .

الضعف والقصور ، ولم أتشوف بجدي لارتقاء هاتيك التصور ، لجمود عن الفطنة القريحة ، وخمود نار الروية والقريحة ، على أن المطالب تغشي الأذهان ، والجواذب تُعشي مقلة السليم مما أهان ، لاسيما ومقام سيدي أشهر من ان يذكر ، والثناء عليه أزهر من ان ينشر ، وليس قصدي الا ترديد ذكراه طربا ، وتعديد مزاياه عجبا ، وإلا فرفيع مَقَامه غني عن المقامة ، وربيع مقامه محط رحال ذوي الثناء والمقالة ،

من كان فوق محل الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يضع

وبالجملة فشريف شمس نسبتي ، أطمعني ان اكون بدري المقام ، ولطيف عنقاء محبتي ، دعاني لإنشائها مع التحية والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى تابعيه السادة الكرام ، ماناح الحمام ، وفاح شذا مسك الختام .

أقول : ان هذه المقامة لاريب أنها من بحر معارفه خليج ، ومن رياض الطافه شذرة ذات مقام بهيج ، وان له غيرها من النثر والنظم ، مايحسن التهليل والتكبير عند شروقه ، ويشربه السمع فتدب نشوة الحميا في عروقه ، فنثره لعمري عقود الجوهر ، ونظمه نثر اللالىء والدرر ، وهو ممن لم يزل يصل في اجتهاده الليالي بالأيام ، ويعتاض في ازدياده السهر من المنام ، حتى بلغ مبلغاً يقصر عنه امل المتطلع ، وحل محلا تنقطع دونه رغبة المتطمع ، ونزل من القلوب بمنزلة الامتزاج بين الماء والراح ، وأورد العيون الرياض والقرائح القراح ، فللنواظر فيه مرتع ، وللخواطر منه مستمتع .

وله الأيادي البيض ، في بحر كل كمال طويل او عريض ، فكأن الله براه نوراً مصوراً ، وأطلع غصن كماله غضاً منوراً :

رفيع كمال كلما زاد خاطري به أملا زادت محاسنه حسنا

وكيف لا وهو فارس المجال ، ورب الروية والارتجال ، تؤخذ الفصاحة

عن لفظه ، وتروى فنون البلاغة عن حفظه ، أبلغه الله المنى وأفرغ عليه حلة السرور والهنا (١)

السيد بهاء الدين مهدي الرواس بن السيد علي بن السيد نور الدين بن السيد احمد بن السيد محمد بن السيد بدر الدين بن السيد علي الوديني بن السيد الكبير العارف بالله ولي الله الشيخ محمود الصوفي الصيادي الرفاعي قدس الله تعالى سره

العارف الذي تطابقت القلوب على محبته ، واتفقت السرائر والضمائر على عرفانه وولايته ، والعالم الذي يفزع في مهم المشكلات اليه ، ويعتمد في الحصول الى القرب والوصول عليه ، قدوة الأنام ، وصفوة السادة القادة الكرام : ذو الكرامات التي لاتعد ، والخوارق التي لاتحصى ولا تحد ، وقد ترجمه تلميذه العالم الذي انفرد في زمانه ، والفاضل الذي ارشد اهل عصره وأوانه ، قطب السادة الأحمدية ، ونقطة مدار القادة الرفاعية ، من اشتهر فضله بكل نادي ، السيد أبو الهدى افندي الرفاعي الصيادي ، أطال الله بقاه ، وأعلى في مدارج السيادة مرتقاه ، في كتابه قلادة الجواهر ، في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر ، فقال مانصه : ولد هذا الهمام ، والاوحد الإمام ، سنة عشرين ومائتين والف ، وتوفي في سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، وقد بلغ رضي الله تعالى عنه من العمر سبعاً وستين سنة . وكانت ولادته في سوق الشيوخ (بليدة صغيرة من اعمال البصرة) سكنها والده رحمه الله ، وأعلى علاه ، بعد الطاعون الذي وقع في البصرة ، وتوفي والده وبقي قدس سره يتيما ، ثم توفيت أمه وقد بلغ خمس عشرة سنة . وكان

---

(١) توفي سيدي الوالد سنة ١٣٢٨ هـ أي قبل عمه المؤلف سيدي الجد بسبع سنوات (سنة ١٣٣٥ هـ) تغمدهما المولى برضوانه .

قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال له ملا أحمد، وكان من الصالحين .

في خمس وثلاثين ومائتين والف جذبه القدر الى السياحة، فخرج طالباً بيت الله الحرام، وجاور بمكة سنة، ثم تشرف بزيارة جده عليه الصلاة والسلام، وجاور بالمدينة المنورة سنتين، وفيها اشتغل بطلب العلم على رجال الحرم النبوي، ثم ذهب الى مصر ونزل في الجامع الازهر، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الازهر وفضلائه، حتى برع في كل فن وعلم، وهو على قدم التجرد والفقر والانكسار، ثم عاد سائحاً الى العراق، فاجتمع بالشيخ العارف بالله ولي الله السيد عبد الله الراوي الرفاعي ، فأخذ عنه الطريقة، ولزم خدمته والسلوك على يديه مدة، وأجازه قدس الله سره وأقامه خليفة عنه .

ثم طاف البلاد وذهب الى الهند وخراسان والعجم والتركستان والكردستان، وجاب العراق والشام والقسطنطينية والاناضول والروملي، وعاد الى الحجاز، وذهب الى اليمن ونجد والبحرين وطاف البادية والحاضرة؟ واجتمع على أهل الاحوال الباطنة والظاهرة، وأكرمه الله بالولاية العظيمة، والمناقب الكريمة، والاخلاق الحميدة، والطباع الفريدة، والقطبية الكبرى، والمرتبة الزهرا، وقد تجرد بطبعه عن التصرف والظهور، والتزم الطريق المستور، وعد نفسه من أهل القبور، وكان كثيراً مايعاود في سياحته الى بغداد، وكان يتجر لدفع الضرورة والتخلص من الاحتياج، ببيع رؤوس الغنم المطبوخة، فإذا وجد منها مايدفع الضرورة البشرية، ترك البيع الى ان تنفد دراهمه، فيعود الى البيع، وكان لايمكث في بلدة سبعة أشهر قط، وأكثر إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهر، وكان يلبس ثوبا أبيض وفوقه دراعة زرقاء وعبا قصيرة من دون أكمام، وحزامه من الصوف الأسود عملاً بالأثر الرفاعي، والسنة المحمدية، واختفاء عن ظاهر الشيخ . وكان

قدس سره إمام الوقت وشيخ العصر علماً وعملاً وزهداً وأدباً ، براهينه باهرة ، وسريرته طاهرة ، وقدمه متين ، وعزمه مكين ، وكشفه عجيب ، وحاله غريب . مَنَّ الله عليَّ بالاجتماع عليه ، والانتساب اليه ، في بغداد دار السلام ، في حضرة الباز الأشهب ، والطراز المذهب ، مولانا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره ورضي الله عنه ، وتبركت بخدمته ، وتشرفت ببيعته ، وتنورت بمشاهدته ، وتعطرت بمشافهته ، وأخذت عنه الطريقة ، ولبست منه الخرقة ، وتلقيت عنه بعض علوم الشريعة والحقيقة ، فهو شيخي ومعيني ، وأستاذي ، وقرة عيني وملاذي ، وعياذي ومحل اعتقادي ، وواسطة استنادي ، بلى والله ، وهو الشيخ الجليل العارف بالله ، المتردي برداء الخفاء المشغول بالله عن غيره ، السائح العابد الزاهد صاحب المعارف والعوارف ، والبركات واللطائف ، والعلم الغزير ، والقلب المنير ، والسر الصادق ، والمدد البارق ، والحال العجيب ، والشأن الغريب ، والعلوم العظيمة ، والهمم الكريمة ، والآداب المقبولة ، والكلمات المنقولة ، ولنذكر من شعره العالي هذه القصيدة ، وهي مما يدلك على مقامه الجليل ، ومكانة مكانه النبيل ، وها هي :

طف بوادي القدس من نادي تهامة ... وافرش الخدين في أطلال رامة

وانزل الفيحاء فيحا المنحنى ... حيثما أعلى الندى الطامي خيامه

ولك الله إذا وافيتها ... وأنخت الركب فيها بالسلامة

خذ سلاما لأصيحاب الحمى ... من كئيب حرك الركب غرامه

واذكر السقم الذي أودى به ... علهم أن يرحموا يوما سقامه

غلبته يوم بانوا شدة ... أوقعت فيه فما شد حزامه

وهو لا زال كما هم علموا ... ثابت الأقدام زين الاستقامة

هجرت أخلاقه حال امرىء ... جمل يوما وفي الثاني نعامة

باعهم نفساً نأت عن غيرهم ... وعليهم حملت عِبءَ الملامة

وإذا قالوا لها موتي جوى ... أنشدت للموت حباً وكرامة

يا أخا الركبان بالله التفت ... ان تعي من موثق الوجد كلامه
مسّ عني ترب ذياك الحمى ... وأجِل في بابه وجها وهامة
باب رحب نزل الروح به ... وبه القرآن قد سل حسامه
موطن الإيمان والعلم الذي ... لمعت منه على الكون العلامة
حضرة الرحمة مضمار الهدى ... مهبط الوحي وميزاب الكرامة
مشهد كم شوهدت من ركنه ... دولة الغيب وأعلام الإمامة
كيف لا والمصطفى من هاشم ... فيه ثاو شرف الله مقامه
خير من مس بنعليه الثرى ... وأجلّ الخلق قدراً وشهامة
والنبيّ العربي المجتبى ... والذي ظهرا أظلته الغمامة
سل تراب الغار عما نسجت ... عنكبوت الغار ليلًا مذ أقامه
وسل الباب الذي شرفه ... كيف حامت حول ركنيه الحمامة
وسل الماء الذي من كفه ... فاض والجيش به نال مرامه
لا تسل عن معجزات ظهرت ... منه جلت وهي تبدو للقيامة
كان في الدين ربيعا عمره ... صامه لله بالله وقامه
وهو نور أزلي طرزه ... صار في وجه وجود الكون شامة
جحفل الرسل الذي قدما أتى ... زين الله بمجلاه ختامه
بابه للأنبيا باب الرجا ... وترى كل الورى يبغي استلامه
وهو ركن المجد مرفوع الذرا ... حصن علم الغيب مكنون الدعامة
طُوي العالم في جبته ... وعلى العرش علت منه العمامة
لو دعا البحر لوافى سائغا ... أو دعا المنقض من ميت اقامه
شرفت جبريل منه خدمة ... حولت فيه عن الدين لثامه
وبه الرحمن أعلى صولة الحق جهرا وبه شاد نظامه
مضمر من حضرة القرب بدا ... ما استطاع الطمس في الغيب اكتتامه
علة الخلق ومن هذا نرى ... أوجب الله على الخلق احترامه

وعلى يافوخ أنسان العلى ... شيد الجبار بالعز مقامه
وله في مقعد الصدق ابتنى ... منزلا صيره دار الإقامة
ذلك اللوح الإلهي الذي ... كتبت أيدي العمى فيه الرقامة
وهو قلب غرس الذكر به ... ما رأى حراسه آن منامه
سجد الأقمار عزا لاسمه ... عل" أن تحسب منه في القلامة
أينها من ذلك النور الذي ... عدل المولى من الوجه قوامه
فعليـــه الله صلى سرمدا ... وعلى آل حسوا منه مدامه
وعلى الأصحاب ما حـاد حدا ... طف بوادي القدس من نادى تهامه

وله قدس الله سره متوسلاً بجده المصطفى ﷺ :

يا من وطينة آدم في مائها ... مخـورة لك بالنبوة مظهر
أستر عظيم كبير ذني رحمة ... فنداك أعظم والعناية أكبر

وله في الفناء المحمدي :

أصبحت عينا في مقـــام نيابتي ... عمن فنيت به وغبت بمشهدي
ودعيت في الأكوان فرداً واحداً ... والحق أعدل شاهد بتفردي

وله في حضرة الحضور

لما حضرت على بساط شهودي ... أدركت ذوقا كيف غاب وجودي
وفهمت من طور الحضور تحققي ... في مشهدي بعبادة المعبود
فهجرت ذرات الوجود لأنها ... تفنى وطبت بحضرة الموجود

وله في مقام الكرم والتحدث بالنعم

لما رفعت على برج الضحى علمي ... علت إلى منتهى قاب العلا هممي
وقام بي رونق العرفان واشتملت ... على رقائق أحكام النهى شيمي
فصح لي مشهدي في طور مرصده ... علما وما زال بي في مذهبي قدمي
وصرت ضمن الخفا قطب الظهور ولي ... سهم التحدث بين القوم بالنعم
من لاذ بي بات مأمون الجناب على ... بساط تكرمة في حضرة الكرم

وقال قدس الله روحه وقد ورد عليه وارد الكرم

ظهر السبع من بطين الغاب وبدا صائلاً بغير نقـاب
وتجلى الهلال في بهرجان الميـل يبدي ضيـاه للأحباب
هـذه آية سماوية السـر علت نشأة بطي الحجاب
فلك الغيب دار منها فلما تمم الدور مال للانحجاب
مظهر بارع بمعنى خفي ومقـام يجل بالثواب
فصبت لي بسدتيه الكرامي وكؤومي تنوزت بالشراب
ومقام افتخار دولة عزي ساد معنى ففاق فخر جنابي
دهشة أحمدية ذات مهيـا ومحيا بدا لذي الالباب
فانا القطب في دكيكين طبخي وأنا الغوث في رسيس ثيابي
وأنا الشيخ والرجال تلاميـــذي وعلمي فشا إلى الطلاب
وأنا الفرد في الزمان بشاني وأنا المرشد الشريف انتسابي
وانا السيد المعلى جلالي سار جيش الشيوخ حول ركابي
وقفول العراق تمشي بظلي واستظل الزمان تحت قبابي
فلمي آمر وحكمي جاري أذعن الدهر طائعاً لكتابي
دولتي في الجنوب والغرب دارت وبأقصى الشرقين طول رحابي
وبمنهى السدين صولة بأسي وبعلى الدورين سمر حرابي
دارت الطالبون حولي لأني كعبة للرجال والاقطاب
حرم طيّب به يأمن الدا خل جهراً من شوبة الاتعاب
وطريقي باب الوصول إلى الله وفيضي يجري إلى الانجاب
دولة لا تزال تنفث سرا بعد موتي والسر تحت ترابي
وخفائي لا شك عين ظهوري وبعيـد التستير يفتح بابي
سترى لي في دورة الشام والشهبــاء نوراً يعلو بنور شهابي
وترى لي مظاهراً تتسامى وتسامى الشيوخ في كل باب

وترى نوبتي تضج واسمي يتباهى بذكره نوابي
وترى الحال في زوبة ذكري وترى المرتجين في أعتابي [١]
ان ترم نفحتي عليك بسلكي فسلوكي المفتاح للأبواب
وطريقي نور التجلي وسيري عقدة الوصل من يد الوهاب
طف ببابي ولا تمل عن مداري وانح نحوي واسمع لذيذ خطابي
لا تمل نحو جاهل أشغلته عن علانا دنياه بالاكتساب
ذمك الجاهلون جهلًا فخاضوا فرأيناهم بسوء المآب
سلبوا الدين بعد ذاك وراحوا ومآل الرواح بالاعطاب
كم يقولون ما لهذا ضمير انما فخره بلين الثياب
فسمعنا منهم وعنك أجبنا لا يضر السحاب نبح الكلاب
ان تكن عامراً مع الله خل شخص دنياك تحت طي الخراب

وقال لي قدس الله سره وقد كان يتفضل علي ببعض اشارات معنوية ، وقد طرق خاطري هم عظيم لبعض أمور خطرت في سري فقطع حديثه الأول ، ورمقني بعينه المباركة مبتسما وقال فتح عليّ ببيتين خطاباً لك ثم أنشد :

انّ باديك الذي اكننته هو باد ظاهر في خاطرك
اجل قلبا في حمانا اننا نحن قمنا بالذي في خاطرك

ولو أردنا بسط ما رأيناه من كراماته ، وحفظناه من غرائب كلماته ، لطال المطال ، واتسع المجال ، وانا نرى بالذي ذكرناه لأرباب البصائر كفاية ، نفعنا الله به وبإخوانه أهل العناية آمين .

---

(١) هذا الوقوف بالأعتاب وعلى الأبواب ، كم أذلّ كثيراً من الناس ، وأضاع عليهم أفكارهم وأعمارهم وأموالهم ، ولو سلكوا مسلك أولئك الرجال لبلغوا مبلغهم « وما يَذكّر إلا أولو الألباب » . آل عمران الآية ٧

وقد تقدم أنه رضي الله عنه توفي ببغداد في الجانب الشرقي منها بمسجد دكاكين حبوب ، وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين وألف رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين آمين .

الشيخ بدر الدين أبو النور عثمان بن سند النجدي الوائلي [1] ثم البصري المالكي

هو السيد السند ، والعلامة البطل الاوحد ، خاتمة البلغاء ، ونادرة النبغاء ، من له في العلوم على اختلافها القدم الراسخ ، ولا غرو فهو طود أعلامها الشامخ ، كرع من غير حياضها حتى ارتوى ، وعرج إلى سماء المعالي وعلى عرش كمالها استوى :

مولى به كل الفضائل قد زهت وغدت تقاد إليه كالخدام

وفضله وعلو كماله لا يحتاج إلى تعريف ، بل تنبىء ألسنة مؤلفاته الفائقة بحسن الترصيف والتوصيف . [2] أخذ العلم ورواه عن مشايخ أجلاء ، وجهابذة حكوا في السمو كواكب الجوزاء ، منهم علامة العراق على الإطلاق ، وفهامتها الموسوم بحسن الشمائل والأخلاق ، الرحلة المرشد لكل فضيلة وهادي ، الشيخ علي بن محمد السويدي البغدادي ، ومنهم العلامة الأوحد ، والجهبذ المفخم المفرد ، الملا محمد أسعد بن عبيد الله بن صبغة الله الحيدري الماوراني ، مفتي الحنفية والشافعية ، بدار السلام المحمية ، ومنهم العلامة المفضال ، زين أرباب المعارف والكمال ، السيد زين العابدين جمل الليل المدني ، فانه لازمه حين ورد إلى بغـداد والبصرة في دروس الحديث وغيرها ، وأجازه بمروياته كلها ، وحرر له إجازة لطيفة فيها بيت من نظمه وهو قوله :

---

(١) نسبة إلى قبيلة من عنزة ، وهي وائل بن قاسط . من أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

(٢) أي بحسن الترتيب والتبويب .

أنا الدخيل اذا عُدّت أصول علًا فكيف أذكر اسناداً لدى ابن سند

وأخذ الطريقة الخالدية ، وألف في ترجمة حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدس سره المعيد المبدي ، الكتاب الشهير الذي أمسى في البلاغة والفصاحة عديم المثل والنظير ، وهو أصفى الموارد ، من سلسال أحوال مولانا خالد . وأخذ عن غيرهم من علماء الحجاز والعراق ، وغيرهما من الآفاق ، وفي عام الف و.اثنين وسبعة عشر ولي مدرسة المُفاسية ، في البصرة المحمية ، فصار بها شيخ المدرسين ، ومرجع أهل الفضل والتمكين . وقد كان رحمه الله تعالى آية باهرة في النثر الفائق البديع ، الذي يخجل الحريريّ والبديع ، والنظم الرائق المريع ، الذي يزري بعقود الجمان ، في نحور الحسان ، ولا بدع فهو حسّان الزمان السائد على الجميع . وبالجملة فقد خصه الله تعالى من تراث العلم بأوفى قسم ، وضرب له من المعارف والمعالي بأوفر قسم . وقد ألف عدة مؤلفات مفيدة هي في جبهة الدهر غرر ، وفي سمط الفصاحة والبلاغة درر ، فممّا اطلعت عليه منها : كتاب هداية الحيران ، وهو نظم عوامل الجرجاني ، قال في أثناء خطبته :

هذا وإن النحو لمّا جلاّ مقـامه بين الورى محلاّ
جعلت من قبل اعتمام العمة أعمل فيـه يعملات الهمّة
أسوم ذود الفكر في شعـابه وأورد الأنظار في عبـابه
وإذ قضى الله الكريم أنّني أهصر من غصونه وأجـني
نظمت ماينمى الى الجرجـاني عوامـلا منثورة الجمان

وهي منظومة على هذا النسق العجب ، وموشحة بأمثلة غزلية تكتب بماء الذهب ، ومنها « جيد العروض في القوافي والعَروض » قال فيه :

وسمّيته جيد العروض لكي أرى به جيد من رام العَروض مجمّلا

ومنها كتاب « الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الصحاب »

وهو ديوان جليل رد فيه على دعبل بن علي الخزاعي الرافضي [١] في عدة قصائد بديعة ، ختمها بقصيدة ميمية ضمنها أنواع البديع ، مدح بها النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ، ومنهـا « مطالع السعود ، بطيب أخبار الوالي داود » وهو تاريخ جمع كثيراً من أخبار العراق وتراجم رجاله ووزرائه ، خصوصاً وقد اشتمل على تفصيل أحوال عالم الوزراء ووزير العلماء ، الوزير الشهير داود باشا والي بغداد سابقاً طاب ثراه ، وقد بيض المترجم هذا التاريخ الجميل ، بأمر هذا الوزير الجليل ، سنة ألف ومائتين وأربعين ، لما استدعاه إلى بغداد ، فأكرمه وأجله ، ورفع مقامه ومحله ، وأمره بما تقدم ، ليكون ذكر عدله وعلمه مخلداً بين الأمم ، وقـد اختصره الفاضل الهمام الشيخ أمين المدني وطبع مختصره في مدينة بومباي ، ولو طبع الأصل لكان أكثر فائدة ، وأجدر عائدة ، غير أنه أراد الاقتصار على ذكر الوقائع التاريخية فقط والله تعالى أعلم . وفي سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين أرسل المترجم بخطه كتاباً إلى العلامة المرحوم الشيخ غنام النجدي الزبيري ، نزيل دمشق الشام ، المتوفى بها سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين ، ذكر فيه بعض ما له من التآليف والآثار ، فذكر أن له شرحاً على نظمه للعوامل ، وعلى منظومته التي نظمهـا في العروض ، وانه نظم الشافية في التصريف ، ونظم مغني اللبيب على ترتيب عجيب ، ينوف على خمسة آلاف بيت ، ووشحه بأمثلة هي من بنات فكره ، ونظم الورقات لإمام الحرمين ، وشرحه ، ونظم النخبة في المصطلح ، ونظم في الحساب كتاباً وشرحه ، ونظم القواعد وهو مشتمل على غزل الغزل المقل ، وله نظم في الاستعارات ، ومنظومة في مدح إمام أهل

---

(١) شاعر هجاء ، وفي ابن خلـكان : كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو ، هجا الخلفاء العباسيين : الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق ، فمن دونهم (م : سنة ٢٤٦)

السنة سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، وذكر أيضاً أن له تاريخاً على نحو سلافة العصر سماه « الغرر في وجوه القرن الثالث عشر » وطلب منه إرسال ما تيسر له ترجمته من أجلاء دمشق ، وله غير ذلك كثير ، لأنه عاش بعد تاريخ ذلك الكتاب الذي أرسله للشيخ غنام المرقوم ما ينوف على عشرين سنة . ومن كلامه برد الله مضجعه :

لولاك يا ظبية الوعساء لم أرقِ دمعا ولم اكحل العينين بالأرق
ولم امر اكحل الظلما بيعملة كالميل جال بمسود من الحدق
أرمى بهـا كل فج لو تجشمه مع الرياح لما هبت من الفرق

إلى أن قال :

حتى إذا سال ريق الفجر من فمه على البسيطة واحمرت لى الشفق
اشرت للركب ان صَلّوا فقد جعلت أيدي ذكا تسلخ الظلما عن الأفق

وهي طويلة الغزل مشتملة على وصف الليل والنجم ووصف الركاب وأنواع جمة .

وقد ذكر المترجم وأثنى عليه جم غفير من الأفاضل ، منهم العلامة الشهير السيد محمد أمين عابدين ، حيث قال في كتابه « سل الحسام الهندي » ما نصه : ومن أراد الزيادة على ذلك من أوصاف هذا الإمام ، فليرجع إلى الكتاب الذي ألفه فيه الهمام ، خاتمة البلغاء ، ونادرة النبغاء ، الأوحد السند ، الشيخ عثمان بن سند ، الذي سماه « أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد » فانه كتاب لم يُحكْ ببنان البيان على منواله ، ولم تنظر عين إلى مثاله ، بما اشتمل عليه من الفقرات العجيبة ، والقصائد الرائقة الغريبة ، عارض فيه المقامات الحريرية ، والأشعار الحسانية والجريرية . وذكره أيضاً وأثنى عليه خاتمة المفسرين العلامة شهاب الدين محمود افندي الألوسي ، في « الفيض الوارد » والعلامة السيد ابراهيم فصيح الحيدري

في « المجد التالد » وكان حضرة مولانا خالد يصفه بجريري الزمان، وناهيك بهذه الشهادة من مثل هذا العارف الجليل الشان ، وقد ترجمه أيضاً حضرة الفاضل المفرد ، والمؤرخ الأوحد ، احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الأنصاري اليمني الشرواني ، في « حديقته » فقال : القول فيه أنه طرفة الراغب ، وبغية المستفيد الطالب ، وجامع سور البيان ، ومفسر آياتها بألطف تبيان ، أفضل من أعرب عن فنون لسان العرب ، وهو إذا نثر أعجب ، وإذا نظم أطرب ، فوالعصر ، انه لامام هذا العصر ، أخبرني بديع الزمان ، شيخنا الشيخ عبد الله بن عثمان ، أن هذا الفاضل الأديب ، أبدع في نظمه « مغني اللبيب » وأبرز أسرار البدائع بتصانيفه المشتملة على اللطائف والروائع ، متع الله بحياته ذوي الكمال ، وجمعني به على اجمل حال ، فمن شعره هذه الابيات ، وقد وجدتها بخطه في ظهر كتاب تضمن حاشية الشيخ العلامة ياسين علي مختصر المطول ، قال أنجحت آماله : وقلت على لسان محبوب طلب وصاله :

أيها الصب الأديب　　لاترى وصل الحبيب
فالثريا　لاترى　　قبل تغييب الرقيب

وله

قد زارني والليل يحكي فرعه　　ظبي الشذا[١] انا في النحول كخصره
فجنيت من وجناته ما اشتهي　　ورشفت من صبب بجمرة ثغره
فسكرت حتى مست مثل قوامه　　طرباً ولم أشعر عواقب وزره

ويطربني قوله

قلت لما قال لي خشف[٢] الفلا　　صف عذاري وقوامي واعجلا
ياعديم المثل قد كلفتني　　غير ما اقدر حتى قلت لا

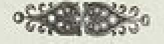
---

(١) ريح المسك وقوة ذكائه .

(٢) الخشف (بتثليث الخاء) ولد الظبي أول ما يولد .

أي لا أقدر من الاكتفا (ولا) هي جوابه فاللام عذاره والالف قوامه .
هذا ماوجدت من نظمه المباهي بانواره البدور ، والميسور لايسقط بالمعسور.
انتهى كلام الشرواني في ترجمة هذا الامام .

والحاصل ان هذا الفرد الهمام قد اشتمل شعره على ماتستلذ به الاسماع ، ونثره على ماتميل اليه الطباع ، وتأليفاته على درر غالية الاثمان ، وتصنيفاته على عقود لآليها مزرية بقلائد العقيان[1] ، قد انتخبها واختبأها لمن هو أهل ، لالمن غلب عليه دعوى العلم على جهل . فلا ريب أنه خزانة الفضائل ، وتاج هامة الافاخم الافاضل ، قد قضى له الفضـــل بأنه أحق به ممن سواه ، واختاره فن البيان سنداً له فقدمه وأحسن مثواه . ولم يزل يترقى على درج العلم والعمل ، ويحرر مايخلد له الذكر الجميل بين الأمم ، ويقبل على المتعلمين اقبال الوالد الشفوق بالولد البار ، ويبث لهم ماينفعهم في دنياهم وفي دار القرار ، الى أن دعاه الداعي الى الديار الآخرة ، والمنزلة الفائقة الفاخرة ، فلبى الداعي من غير امهال ، معتمداً على فضل ذي العظمة والنوال . وذلك في سنة الف ومائتين وخمسين من هجرة السيد الامين .



(١) الذهب الخالص .

حرف التاء

الشيخ تقي الدين الدمشقي الشافعي من ذرية تقي الدين الحصني

ابن حسن بن مصطفى بن اسماعيل بن محب الدين بن شمس الدين بن زين الدين بن ضياء الدين بن زين الدين عميرة البوصلي البلقاوي ، الشهير بتقي الدين الحصني ، ابن زين الدين عمر ، بن السيد نور الدين معلّى ، بن السيد نجاد الدين نجدة ، بن السيد الشيخ الصالح زين الدين عبد المؤمن ، ابن السيد حريز الدين ، بن السيد الشيخ الصالح نور الدين معلّى ، بن السيد مؤتمن الدين مؤمن ، بن السيد حريز الدين ، حريز بن السيد سعد الدين سعيد ، ابن السيد فخر الدين داود ، بن السيد شرف الدين قاسم ، بن السيد علاء الدين ، بن السيد نور الدين علوي ، بن السيد منسى فخر الدين نامي ، بن السيد جوهر الدين جوهر ، بن السيد علاء الدين علي ، بن السيد ابي القاسم ابن السيد سالم ، بن السيد عبد الله ، بن السيد زين الدين عمر ، بن السيد شرف الدين موسى ، بن السيد محيي الدين يحيى ، بن السيد علاء الدين الاصغر ، بن السيد محمد التقي الجواد ، بن السيد الحسن العسكري ، بن علي الرضى ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين الشهيد بكربلا ، بن علي بن أبي طالب ، بعل البضعة الشريفة السيدة فاطمة الزهراء ، بنت سيد العالمين ، وختام الانبياء والمرسلين ﷺ وعليهم اجمعين .

ولد المترجم بدمشق الشام ، واخذ عن السادة العلماء الأعلام ، منهم العلامة السيد نجيب القلعي الدمشقي ، والشيخ محمد الكزبري ، وغيرهما من الشيوخ الدمشقيين ، وكان صالحاً عابداً ، محترماً تقياً زاهداً ، نير الوجه حسن الأخلاق ، بين اسمه ومعناه حسن الطباق ، مات سنة عشرين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير رحمه الله .

توفيق باشا بن اسماعيل باشا بن محمد علي باشا الخديوي

غب أن عزلت الدولة العثمانية اسماعيل باشا(١) ولت مكانه ولده المرقوم محمد توفيق باشا ، فسافر اسماعيل باشا بحريمه وابنائه إلى مملكة ايطاليا ونزل في نابلي بقصر لحكومة ايطاليا ، وتصرف المترجم في سياسة مصر وحكومتها ، وذلك سنة الف ومائتين وست وتسعين ، فغير وبدل ، ونصب وعزل ، فجعل رئيس الوزارة رياض باشا ، وجعل من كل من فرانسا وانكلتيرة مراقباً مالياً ، يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يكون ولا ينفذ إلا ما وافق عليه المراقبان ، وقسمت مداخيل الحكومة على قسمين ، احدهما لفائض الديون ، وقدر تلك الديون نحو الفي مليون فرنك ، ومقدار ما عين لفائضها واستهلاك اصلها نحو مائة وستين مليون فرنكاً سنوياً ، والباقي من مداخيل الحكومة يدفع منه خراج الدولة العثمانية وبقية مصاريف الحكومة ، وجرى التصرف للوزارة بدون مجلس نواب ، مع وعد الخديوي عند ولايته بفتحه ، واجراء

---

(١) هو أول من لقب بالخديوي من رجال اسرته ، وفي عهده أنشئ المتحف المصري ودار الكتب المصرية ، كان مسرفاً في الإنفاق على ملاذه وعلى مشروعاته توفي سنة ١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م في الأستانة ، ونقلت جثته إلى القاهرة . ومن أولاده : الخديوي توفيق ، والسلطان حسين ، والملك فؤاد .

مقتضاه ، الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانوناً في ترتيب ترقي العسكر ، كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة رئيس الألف المسمى عند الناس بالبين باشى ، والذي لا يعرف ذلك لا يستولى إلاّ رتبة عشرة أنفس ، وهو المعروف بالاونباشي ، وبقية المصالح العظيمة ، والرتب الجسيمة ، يتولاها الدخيلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الإمضاء على القانون في وزارة الحرب عدة من امراء الألايات (١) ، متعللين بأن ذلك خلاف الانصاف ، فسجنهم وزير الحرب ، فثارت العساكر واخرجوهم من السجن ، وأحاطوا بقصر الخديوي طالبين عزل وزير الحرب ، فعزل وحصلت حينئذ طنطنة لاتحاد العساكر وانضمامهم وحياة المصريين ، ونشأ فيهم حزب يسمى الحزب الوطني زعيمه في الكلام رجل يسمى عبد الله نديم ، فصيح اللسان ، عارف بطرق الكلام ، وكثرت منه الخطب في المجامع والمواكب ، ومن غيره أيضاً في الحث على الاتحاد ، واخذ الاشغال لأبناء الوطن ، وكذلك الوظائف والخروج من وطأة الاجانب الذين اشتد احتقارهم للأهالي واستبدادهم عليهم بالمرتبات الباهظة ، حتى صار يسمع دوي غليان الاهالي من كثرة توظيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو الف ومائتي متوظف ، يأخذون سنوياً نحو احد عشر مليون (فرنكاً) ، مع اقتدار الاهالي على الوفاء بتلك الوظائف ، ونقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ، ثم بدا للوزارة لزوم التنقيص من عدد العساكر ، فثار الجند واحدقوا بقصر الخديوي متسلحين حتى بالمدافع ، بعد أن ارسلوا إلى نواب الدول بالأمن عليهم وعلى رعاياهم ، والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر في رتبة (أميرالاي (٢)) ، فصيح اللسان ، ثبت الجنان ، اسمه عرابي باشا فطلب هو ورؤساء الجيش الاجتماع بالخديوي ، فلما تيقن الخديوي جد طلبهم بواسطة خطاب قنصل الانكليز معهم تلقاهم فأعلموه بأن مطلبهم هو عزل الوزارة وولاية

(١) قواد الفيالق ، أي الجيوش العظيمة .

(٢) ألاي : كلمة تركية ، ومعناها جيش عظيم .

رئاستها اشريف باشا وجمع مجلس النواب واجراء قراره حقيقة ، وأن تكون له الحرية اللازمة لمثله ، وأنه لا يمس حقوق الاجانب ، وتعهدات الحكومة معهم ، فلم يسع الحال إلا لقبول جميع المطالب واجرائها فعلاً ، وازداد عرابي نفوذاً ، وانطلقت الالسن بالحرية ، فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذي تبتنى عليه أحكامه ، وكان من جملته أنه له الحق في الاطلاع على حساب الحكومة في الحال ، وله الرأي فيه ، مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرنساوية والانكليزية ، فامتنعت وزارة شريف باشا من قبول ذلك ، لما تعلم من تداخل الدولتين في الامتناع حتى يفضي الى التداخل في السياسة ، فأصر المجلس على طلبه ، وأظهرت العساكر التعصب للمجلس ، فاستعفى شريف باشا ووزراؤه ومن هنا خرجت الاعمال عن القصد الجميل لما يوقعها في الزوال ، لان العاقل ينظر لجميع مقتضيات الحال ، ونسبة قوة الدول ، فيتباعد عن موجبات الفساد ، ولا تطلب النهايات في البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، لكن سبق القدر فلم يتدبروا واستعجلوا فأصروا على طلبهم ، ففوض الخديوي انتخاب الوزارة الى المجلس مع أنه من حقوقه ، تطييبا لخاطر الاهالي ، فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي ، واستولى وزارة الحرب عرابي باشا ، وابتدأ من هنا أيضا الاعتراض عليه من العقلاء في قبول الوزارة ، لان مقامه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يأبى قبوله الوزارة ، لان قبوله يوقعه في التهمة من انه له غرض خاص في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وهو ارتقاؤه الى المناصب العالية ، سيما بعد أن رقى من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء وقبل هو من الخديوي بعد الالحاح عليه فوافقت الوزارة رأي المجلس ، وكانت اذ ذاك ألسن الاهالي بذية مطلقة بالقدح في الاروباويين ، والتبجح بما هم عليه بما أسف عليه عقلاء المسلمين .

يمضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فهاجت صحف أوربا ضداً عليهم ، وأشدهم الفرنساويون والانكليزيون ، حتى ابرقت وارعدت دولتاهم متهددين بالحرب ، طالبين نفي عرابي وبعضا من رؤساء العسكر الذين رقوا الى رتبة اللواء ، وارجاع وزارة شريف باشا ودحض مطلب مجلس النواب في التداخل في أمر المراقبة ، فوقع اضطراب وهيجان ظهرت فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة ، بأنهم قصدوا قتل عرابي باغراءات سرية منسوبة الى طلعة باشا احد علائق اسماعيل باشا ، فنفيت أولئك الجراكسة الى الاستانة ، وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في أحد البناءات السلطانية ، الى ان رجعوا بعد الحرب الآتي ذكره ، فلما اصرت الدولتان على ذلك ، أعلن الخديوي بعزل الوزارة ، فثارت الاهالي والعساكر والزموا الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته ، وحضر اذ ذاك مرخص عثماني ، وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لإقرار الراحة في مصر بالوجه السيامي ، لأن الاهالي أيضاً أكثروا من التنويه بانتمائهم للدولة العثمانية ، ووردت منها أفراد على الوجه الخصوصي من قبل لاراحة الاهالي ، وكان الخلاف بين عرابي والخديوي عند قدوم درويش باشا مشتداً ، حتى ظهر الخبر بأن الاهالي قدموا عرض محضر بطلب عزل الخديوي عند قدوم درويش باشا بل تفاقم الطمع إلى إخراج الخديوية عن عائلة محمد علي أصلاً ، وطلب أن تكون مصر مثل البلغار في امتيازاتها التي منها اختيار الوالي ، وأن لا تتداخل فيهم الدولة العثمانية بشيء في إدارتهم ، بل تحرشت صحفهم بأنها لو ترسل عساكر ضدهم فانهم يقاتلونهم كما يقاتلون سائر الدول ، وحينئذ أعلنت كل من فرانسا وانكلتيره بابقاء الخديوي ونفوذه ، وقطع دابر مضاده بالقوة الجبرية ، غير أن فرانسا تطلب أن تكون قوتها وقوة الانكليز هي الفعالة ، ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك ، وانكلتيره على

ضدها ، فتطلب مبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك ، فرأت الدولة العثمانية أن فصل النازلة يتم بدون احتياج إلى قوة ، وأرسلت درويش باشا ومن معه لذلك ، وحصل من قدومه ما أغاظ كثيراً من الأروباويين لانقياد العساكر المصرية والأهالي للسلطان ، وامتثال أمره وابتداء السكون والتوافق بالرضى بالحصول شيئاً فشيئاً ، لكنه حدث في اسكندرية التي كانت إذ ذاك مرساها غاصة بأساطيل الدول الأروباوية ، حادثة شنيعة وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية ، فطبل الأروباويون وزمروا حتى توجه الخديوي ودرويش باشا وعرابي إلى الإسكندرية لإقرار الراحة ، وأقر الدول جميعاً أن الواقعة عادية لا دخل لها في السياسة ، غير أن أصل المسألة من إصرار الدولتين على مطلبهم ، وامتناع أهالي مصر لا زال على ما كان ، وفرانسا أشد إقداماً وتهديداً بإعلان الحرب ، وطلبت انكلتيره عقد مؤتمر في الاستانة لما يجب من العمل ، فامتنعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر ، فرأت أن ذلك من باب تداخل الدول في داخليتها ، لكنهم عقدوه ودخلت فيه الدولة العثمانية أخيراً ، وبينما هو في التفاوض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون الاسكندرية حيث انها خربة ولا استعداد فيها ، لأن الدولة العثمانية كانت حجرت على اسماعيل باشا تحصينها عندما احكم حصن ابو قير جوار الاسكندرية ، وحصون دمياط وغيرها لما سبقت الاشارة اليه في اخبار اسماعيل باشا ، ولما رأت أساطيل الدولتين ذلك التحصين ادعوا أنه تهديد لهم ، وطلبوا الاقلاع عنه ، فأمرت الدولة العثمانية بالكف عن التحصين ، وادعى المصريون الامتثال ، وادعى رئيس اسطول الانكليز عدمه ، وطلب دخول عساكره الى الحصون ، فتفاقم الخلاف واطلقت النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية فخربتها في نحو عشر ساعات ،

وتضررت بعض مدرعاته ، وانحازت العساكر المصرية الى مكان يسمى كفرالدوار ، وجيشوا هناك ، واستولت العساكر الانكليزية على الاسكندرية وبقي الخديوي فيها ، وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوي ، وكان معه درويش باشا المذكور ، فرجع الى الآستانة وبقي مع الخديوي الكاتب الثاني للسلطان ، واشتد إلحاح الانكليز على الدولة في ارسال العسكر ، ولم ترسل الدولة الى أن وقعت عدة محاربات برية ، كان النصر فيها للمصريين ، واستولت انكلتيره على بوت سعيد وسائر خليج السويس ، وكان اكبر المعسكرات المصرية في التل الكبير بين القاهرة والاسماعيلية ، وتضايق الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم ، لأن فرانسا لما فتح مجلس نوابها لاستشارته في حرب مصر انكر ذلك أشد الانكار ، فسحبت أسطولها وبقيت على الحياد ، والدولة العثمانية وان وافقت أخيراً على ارسال عسكرها لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم ، وان لايتصرف الا على نحو اشارتهم ، وان يخرج متى ما أمروه بالخروج ألزم تأخر ارساله ، وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراز من الأفعال البربرية ، سوى ماصدر من أفراد من العربان والفلاحين في جهات قليلة ، وبينما الأمر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نشرت اعلانا حسب طلب انكلتيرة ، بأن عرابي وكل من انحاز الى حزبه عصاة ، فلم يمض على ذلك بضعة أيام الا وقد انحلت عرى التعصب المصري ، ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة بدون أدنى حرب ولا معارضة ، مع أن الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزين المائة الف والخمسين الف محارب بأتم قوات الاستعداد ، فتفرقوا جميعاً أيدي سبا في بضع ساعات ، وسلم عرابي نفسه أسيراً الى الانكليز ، فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية ، وآل الأمر

حسب ارادة (انكلاتيره) ان حكم بعقاب عرابي ، لكن الخديوي عفا عنه لأنه لم يفعل شيئاً الا عن وفاق من يتبع ، وأبقى له مرتبا للقيام بنفسه، ونفي هو وكبراء الرؤساء الى جزيرة سيلان في الهند ، وذاك هو التعليل الباطني ، مع ان حزبا عظيما من الانكليز يرون أن جناية اولئك العساكر سياسة توجب القتل ، فلذلك حكم عليهم المجلس الحربي بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم ، وأبدل القتل بالنفي ، ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر ورجالهم السياسيون هم مرجع الأمر والنهي والوزارة تحت رئاسة شريف باشا ، وناظر الداخلية الذي له كمال النفوذ رياض باشا وانكلاتيرة بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخلية وخارجية لمصر ، مع اعلانها بأن مصر تحت سيادة الدولة العثمانيه على امتيازاتها المقررة بالفرامانات السلطانية ، وان التراتيب التي هي بصددها لاتمس شيئاً من حقوق الدولة ، ولا معاهدات الدول الاجنبية ، وتقلص نفوذ فرانسا في مصر ولم تزل غير مسلمة رسمياً لانكلاتيرة بمرادها ، وللروسية ميل الى معاضدة فرانسا ، هذا ماوقع الى الآن وهو المحرم سنة الف وثلاثمائة .

(تذييل)

اعلم أن مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة بينتها الفرمان الصادر في ولاية الخديوي المترجم المرقوم وهو محمد توفيق باشا [1] وهذا نصه : الدستور الاكرم المعظم ، الخديوي الأفخم المحترم ، نظام العالم ، وناظم مناظم الأمم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام بالرأي الصائب ، ممهد بنيان الدولة والاقبال ، مشيد أركان

(١) تجد المنشور السلطاني (الفرمان) لجميع الامتيازات الخديوية المصرية في (ص ٣٠٤ — ٣٠٨) من « تاريخ الدولة العلية العثمانية » تأليف محمد فريد بك ، المطبوع بمصر سنة ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م وقد صدر هذا المنشور في عهد السلطان عبد العزيز .

السعادة والاجلال ، مرتب مراتب الخلافــة الكبرى ، مكمل ناموس السلطنة العظمى ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى ، خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً ، والحامل لنيشاننا الهمايوني المرصع العثماني ، ولنيشاننا المرصع المجيدي ، وزيري سمير المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله ، وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله ، انه لدى وصول توقيعنـــا الهمايوني الرفيع ، يكون معلوماً لكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر ، في اليوم السادس من شهر رجب سنة الف ومائتين وست وتسعين ، وحسن خدمتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ، ولمنافع دولتنا العلية ، ولما هو معلوم لدينا بأن لكم وقوفاً ومعلومات تامة في خصوص الأحوال المصرية ، وانكم كفء لتسوية بعض الأحوال الغــير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة ، ولاصلاحها ، وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة ، مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر ، توفيقاً للقاعدة المتحدة بالفرمان العالي الصادر في ثلاثة عشر محرم سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين ، المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى أكبر الأولاد ، وحيث انكم أكبر أولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ، ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة أهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا ، وقد ظهر أن بعض أحكام الفرمان العالي الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيـه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قديما ، نشأ منه الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة صار تثبيت المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها ، وصار تبديل المواد المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحهـا فما تقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية ، وهي ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهاني ، وحيث أن أهــالي مصر أيضاً من

تبعة دولتنا العلية ، والخديوية المصرية ملزمة بإدارة أمور المملكة الملكية والمالية والعدلية ، بشرط أن لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الأوقات ، فخديوي مصر يكون مأذوناً بوضع النظامات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة ، وأيضاً يكون مأذوناً بعقد وتجديد المشارطات مع مأموري الدول الأجنبية في خصوص الكمرك [١] والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية ، لأجل ترقي الحرف والصنائع والتجارة وتوابعها ، ولأجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والأجانب ، أو الأهالي والأجانب ، مع أمور ضابطة الأجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات دولتنا العلية السياسية ، وفي حقوق متبوعية مصر إليها ، وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي تعقد مع الأجانب بهذه الصورة يصير تقديمها إلى بابنا العالي ، وأيضاً يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه ، وإنما يكون مأذوناً بعقد استقراض بالاتفاق مع المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسمياً ، وهذا الاستقراض يكون منحصراً في تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصاً بها ، وحيث أن الامتيازات التي أعطيت إلى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت لديها ، لا يجوز لأي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية إلى الغير مطلقاً ، ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية الذي هو الويركو [٢] المقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ، ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفاً ، لأن هذا القدر كاف لمحافظة أمنية إيالة مصر [٣] الداخلية في وقت الصلح ، وإنما حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز أن يزاد مقدار عساكر

---

(١) المكس ج : مكوس .

(٢) ضريبة العقار .

(٣) أمن ولاية مصر .

بالصورة التي تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البحرية والبرية والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم (١) ، ويباح لخديوي مصر أن يعطي الضباط البرية والبحرية رتباً إلى غاية رتبة أميرالاي ، والملكية إلى الرتبة الثانية ، ولا يرخص لخديوي مصر أن ينشيء سفناً مدرعة إلا بعد الإذن وحصول رخصة صريحة قطعية إليه من دولتنا العلية ، ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها ، وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها فقد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني ، وهو مرسل صحبة افتخار الاعالي والأعاظم ، ومختار الاكابر والافاخم ، على فؤاد بك باشكاتب المابين الهمايوني(٢) ، ومن أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والمجيدية ذات الشأن والشرف . حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة الف ومائتين وست وتسعين انتهت عبارة الفرمان .

السيد تقي الدين بن عبد الله بن علي الحنبلي
الدمشقي الشهير بأبي شعر وشعير

قطب المعارف والكمال ، وشمس الحقائق والاجلال ، الشيخ الناهج منهج الفضائل ، والحائز معالي الشمائل ، التقي الصالح ، والمرشد الناصح ، والحبر الزاهد ، والورع العابد ، شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية في دمشق المحمية وكان له مكاشفات ظاهرة ، وأخبار غيبية باهرة ، وله تأليفات في كلام السادة الصوفية ، وصلوات على الذات المحمدية ، ومن جملة كلامه في التصوّف رسالته في التوحيد على لسان القوم التي سماها « عقيدة الغيب » وكان بعد تأليفها اذا أراد أن يذكر شيئاً عن نفسه يقول كما قاله صاحب عقيدة الغيب ، وله كتاب في الصلاة على النبي ﷺ

(١) أوسمتهم .
(٢) رئيس الديوان الملكي .

نحو أربع مجلدات بلسان غير مألوف ، وفيه اخبار عن أمور كثيرة مما سيقع ، ومن ذلك تفصيل قضية حادثة العيسوية التي وقعت سنـــة سبع وسبعين ، وفي آخر أمره حصل له جذب عظيم .

وبالجملة فإنه كان أعجوبة الزمان ، ونادرة الوقت والأوان ، ذا كرامات عظيمة ، وخوارق عادات جسيمة ، وكان رضي الله عنه يقول : مـــن توقف في شيء من الفتوحات فليأت يوم السبت قبل طلوع الشمس الى قبري وليقرأ كل إشكاله يكشف له عن معناه . توفي هـذا الجهبذ الهمام سنة سبع ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير ، وقبره ظاهر مشهور .

تركي بن عبد الله بن سعود أمير نجد وناصر عقيدتها

كان رجلاً شهماً شجاعاً مقداماً صداماً ، مشهوراً بمواقـع الحروب ، وكان له صولة وصيت وسمعة ، وأيام مشهورة في العرب ، ولما قويت شوكة نجد وتقدمت صولتها وجهت الدولة العلية ابراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري لقتالهم وكسر شوكتهم ، فقاتلهم قتالاً تشيب له الأطفال ، وتغيب له عقول النساء والرجال ، فأسر إبراهيم باشا عبد الله بن سعود وجميع أولاده ، ونقلهم وعائلاتهم إلى مصر ، وذلك سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين ، غير أن المترجم قد انفلت من يد ابراهيم باشا وغاب عنـــه ولم يقع له بعد التفتيش على خبر ، فتركه وتوجه بابن سعود وأولاده وعائلته الى مصر ، ولم يزل المترجم متنكراً يتنقل من قبيلة إلى قبيلة ومن قرية إلى قرية بحالة لا يعرفه بها إلا قليل من الناس ، وعساكر المصريين تتطلبه من كل جانب ، وتدور عليه لتوقعه في أشد المعاطب ، الى سنـة الف ومائتين وتسع وثلاثين ، وكان قد فتر أمر التفتيش عليه ، فاغتنم الفرصة وشد أزره وظهر للناس وعرفهم بنفسه وحرضهم على مساعدته ، وتظاهر يتطلب إمارة آبائه وأجداده ، وما برح يتقوى شيئاً فشيئاً والنـــاس

تساعده على مرامه ، الى أن صار عنده جم غفير ، وعدد من الشجعان كثير ، فملك نجداً وما حولها وجلس على مهاد الامارة النجدية ، ولم يبق له معارض ولا منازع ، وطرد عساكر المصريين ، واستقر على عرش الراحة والتمكين ، إن أمر فما لأمره من عاص ، وإن نهى فما لمخالفه من خلاص ، وبقي على مهاد هذه الإمارة عشر سنوات . وفي أثناء هذه المدة تخلص بعمل الحيلة ابنه فيصل ، وفر من مصر هارباً ، ولم يزل يقطع البراري والقفار ، ويقاسي الشدائد الكبار ، إلى أن وصل إلى أبيه المترجم ، وأحسن الله له بالخلاص من الأسر وأنعم ، ثم ان ابن أخت المترجم مشاري ثار على خاله المترجم ، وأراد نزع الإمارة من يده ، فعمل الوسائل ، وقام قيام الأسد الصائل . وفي أثناء هذه المدة توجه ابن المترجم فيصل غازياً البحرين ، فوجد مشاري أنه قد خلا له الجو ، ولم يبق للمترجم من مانع يمنعه ، فاغتنم الفرصة وقتله واستولى على الإمارة مكانه ، وذلك سنة الف ومائتين وتسع وأربعين ، ولما بلغ فيصل بأن مشارياً قتل أباه حضر اليه من غير مهلة وقتله ، وكانت امارة قاتل المترجم أربعين يوماً وتأمر فيصل مكانه .

توفيق افندي بن محمد افندي ابي السعود بن سعدي افندي الايوبي نسبة الى سيدنا الصحابي الجليل ابي ايوب خالد الانصاري النجاري رضي الله تعالى عنه وعن ذريته (١)

ذو التحقيقات الواضحة ، والتدقيقات الراجحة ، والادراكات السامية ، والاستنباطات النامية ، والكمالات المعروفة ، والآداب الموصوفة ، ولد

(١) تخرج في المدارس الحكومية بدمشق ، فحذق اللغة العربية والتركية ، وكان له إلمام بالفارسية . ومن مشايخه : الشيخ عمر العطار ، والشيخ محمد الطيب الجزائري . كان أديباً فصيح اللسان ، حسن الالقاء ، جميل الخط ، ينظم الشعر ، له ميل —

كآبائه في دمشق الشام ، وتربى بين علمائها الأعلام ، ونهج أولى المناهج ، وعرج للترقي أعلى المعارج ، الى أن بلغ مبلغ الكمال ، ونبغ في محاسن الاقوال والأفعال ، وتحلى بحلية من سلف ، واستبدل الدر الثمين بالصدف ، واعتصم بحبل الكتاب والسنة ، ورأى ان توفيقه لذلك أعظم منّة . وله نظم كالدر المنظوم ، ونثر يفوق نثر النجوم ، ومن نظمه المستطاب ، في مدح السيد أحمد الرفاعي قطب الاقطاب ، قوله :

غيري مناه ظبية وغزال ... وهواه معسول اللمى مختال
ومناي كأس مدامة ماشابها ... مزج وشابت دونها الآمال
عينابها شرب الأولى وطئوا السها(١) ... شرفا ونالوا رفعة مانالوا
عينا بها انفجرت ينابع حكمة ... وغدا شفاء ماؤها السلسال
عينا بها سر تنزه عزة ... عن أن تحيط بعشره الأقوال
بيد مباركة مقدسة لها ... مدت يد منها الكمال ينال
يد احمد أعني الرفاعي الذي ... هو في البرية زينة وجمال
مدت لها يد احمد خير الورى ... هذا هو التعظيم والاجلال
وبطي ذاك بشارة نبوية ... ماحازها الاقطاب والابدال
ان الذين يبايعونك انما ... قد بايعوه وحفّهم اقبال

— الى التصوف وتذوقه ، مشاركا في العلوم ، شغوفاً بمناظرة علماء النصارى واليهود ، له اطلاع على كتبهم . وكان قوي الجدل .

وقد درّس بعض العلوم الدينية في معهد الحقوق بدمشق . وكان مديراً للمدرسة السميساطية ومدرساً في الجامع الأموي ، وله شرح قواعد مجلة الأحكام . وتولى تدريس علم الخلاف مرة في دار الخلافة ، وكان عوناً لأبي الهدى في تأليف ما يعزى اليه من المؤلفات .

توفي بدمشق حوالي سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م هذه الترجمة مأخوذة عن تلميذ المترجم الأستاذ عمر الكحالة .

(١) كوكب خفي من بنات نعش الصغرى ، ومنه قولهم : أريها السها وتريني القمر ، مثل يضرب للذي يُسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيدا .

واشارة لكمو بارث مقامه ... وبأن عثرة ، لانذيك تقال
هو آخذ بيمينكم ويمينكم ... بيد المريد أبعدَ ذاك ضلال
ودعتموا فاجابكم وعليكمو ... رد السلام وحسبكم إجمال(١)
وسلامه أمن لكم ولمن بوا ... ثق حبلكم علقت له آمال
ولذا دعاكم حين ناديتم وذا ... مجد أثيل مـاله أمثال
صح انتسابكمو لحضرة قدسه ... بالمعنيين وانتفى الإشكال
يا صاحب العلمين ياقمر الدجى ... يا طاهر النسبين يا مفضال
يا سيـداً للفرقتين وحـائزا ... للخلعتين عُلاك كيف يطال
وبجدد الدين الحنيفي بعد ما ... درست معـالمه وكاد يزال
بالانكسار سموت اسنى منزل ... خضعت لعزة مجده الأقيال (٢)
وعنت وجوه اولى الوجاهة خشعا ... لما علاهم من سناك جلال
توجت تاج كرامة ورفلت في ... حلل الصفا وثيابك الأسمال
ووقفت في باب المليك فأوقفت ... في بابك الأقطـاب والابدال
وبلغت من فلك الكمال سنامه ... فلك النجوم الشامخـات نعال
وحللت ذروة هام أشرف رتبة ... وخلال مجـدك مالهن مثال
يا نجل صيد (٣) طاهرين أماجد ... بهم عن الاكوان زال وبال
آباء صـدق لايرام علاهمو ... وهمو لفخر الانبيا أنجـال
نص الكتاب أتى يخبر عنهمو ... بخصائل لم تحكهن خصـال
فتحوا قلوباً سكرت ونواظرا ... عميت واسماعا لهـا أفعال
عنهم روينا المكرمات ومنهمو ... وعليهمو كل الانام عيـال

---

(١) كفاية .

(٢) جمع قيل ، وهو الرئيس ، والملك من مُلوكِ حمير .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي لا يلتفت من زهو . والأسد .

والهمو الارواح حنت حيث لو ... لاهم لما كانت لها أوصـال
لا غرو يا ابن الاوصياء اذا غدت ... عن وصف ذاتك تقصر الاقوال
اوتيت فيها في الكتاب وحكمة ... ومكانة بالسعي ليس تنـال
ونطقت في مهـد الطفولة منبئا ... بعلاك قولا مـا به : أيُقالُ ؟
وعليك مـائدة المواهب أنزلت ... فغدت تفصّل ما به اجمـال
فحكيت روح الله ياروح العلا ... وسناك نسخته وأنت مثال
والنار قد خمدت لذكرك واغتدى ... بكمو سلاماً حرّها القتال
والشائل [1] العجفاء درت عندما ... فازت بلثم يد نداها خـال
ولنخلة الجرعا أشرت فاذعنت ... وسعت اليك يسوقها ارقال [2]
وكذاك أسماكٌ ببصرة أبصرت ... ذاك البهـاء فاقبلت تنثال [3]
من مثل هذا الوارث النبوي من ... صبت عليه من العلوم سجال [4]
أخلاق حضرة جـده أخلاقه ... وكذا له أحواله الاحوال
وشعـاره آدابه ودثاره ... آثاره وفعـاله الأفعـال
وطريقه أن تخلع الكونين مع ... ادب يزين بهـاءه الإذلال
وطريقه صـدق وفقر دائم ... وخلائق تزهو بها الاعمـال
وطريقه جد بلا كسل فلا ... قيل لديه بنافع أو قـال
أنّى أحيط بوصف ذات قدست ... اذ ليس تقدر قدرها الاقوال
أعيت مناقبهـا الفصيح وأخرس ... المنطيق عنها واستحى القوّال
لكن أردت بان أفوز بخدمة ... لكمو ليخدمني بهـا الاقبال

---

(١) الناقة التي لا لبن لها أصلاً .
(٢) سرعة .
(٣) تنصب عليه .
(٤) جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة فيها ماء قليل أو كثير .

ولقد لجأت لكم بخير وسيلة بخؤولة ما شانها اشكال
مجلو مكروها بكم وقد انتهت للأكرمين ومن هم الاقيال
تنمى لأشرفهم بني النجار خلان النبي وهم له أخوال
وصلت بأحكمهم أبي أيوب من نزل النبي ببيته والآل
ان ابن اخت القوم ان يك منهم فكذاك في حكم القياس الخال
وأنا ابن أخت مثل ما اني لكم خال فلي بقرابتي ادلال
وعبيدكم حقاً ومولى القوم منهم جاءنا بصريح ذا الأنفال

حضرة صاحب السماحة والسيادة السيد توفيق افندي البكري نقيب السادة الأشراف بمحروسة مصر

إمام اغترفت من بحر علمه علماء الأمصار ، وهمام اعترفت بفضائله ذوو البصائر من الأفاضل والأبصار ، اثمرت أغصان الاقلام بفرائد مآثره ، وكشف له العرفان حجاب الستر عن محيا سرائره ، له في كل فن مقام مشهور ، وفي كل علم علم منشور (١) ، وله شعر منظوم نظم الكواكب

---

(١) نقيب الأشراف بمصر ، وهو معروف باشتغاله بالعلم والأدب ، مولده ووفاته بالقاهرة ، وقد قال في ترجمة نفسه : « وأنا الفقير الى الله تعالى محمد بن علي الملقب بتوفيق البكري ، الصديقي العمري ، سبط آل الحسن » . وكان يجيد الفرنسية والتركية ، ويتكلم الانكليزية . وقد عانى آلاماً نقل بعدها الى مستشفى (العصفورية ببيروت) فلبث فيه ستة عشر عاماً ، كان في خلالها هادئاً ، ثم أعيد إلى بيته ، واستمر في عزلته ، إلى أن توفي (سنة ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢م) رحمه الله تعالى .

له من المؤلفات (أراجيز العرب ـ ط) و(تراجم بعض رجال الصوفية ـ خ) وهي ٧٦ ترجمة ، و (بيت الصديق ـ ط) و (بيت السادة الوفائية ـ ط) و(المستقبل للاسلام ـ ط) و (التعليم والإرشاد ـ ط) و (فحول البلاغة ـ ط) و (صهاريج اللؤلؤ ـ ط) وأشهر شعره قصيدة يخاطب بها السلطان عبد الحميد ، بعد ظفره بحرب اليونان ، مطلعها :
أما ويمين الله حلفة مقسم ... وهذه هي . انظر مشاهير شعراء العصر (م ١) ومجلة المقتبس (م ٢) والأعلام (م ٦) وغيرها .

في السحر ، ونثر منثور نثر اللآلىء والدرر ، فلا ريب انه قلد جيد الدهر بعقود حلاه ، وشيد ربوع المجد بنوامي فضله وعلاه ، فهو الذي استوى على عرش الفنون ، واحتوى على ماتلذ به الاسماع وتقربه العيون .

وفي عام الف وثلاثمائة وخمسة عشر حينما قامت الحرب بين الدولة العلية واليونان ، وكانت طليعة النصر تحت إمرة السلطان عبد الحميد خان ، فهنأه المترجم بهذه القصيدة ، المقدمة لذاته السعيدة :

امـــا وبين الله حلفة مقسم ... لقد قمت بالإسلام عن كل مسلم
فلولاك بعد الله أمست دياره ... بأيدي الأعادي مثل نهب مقسم
لقد مرّ هذا النصر قبراً بطيبة ... وبيتاً ثوى عند الحطيم وزمزم
فحيا أمير المؤمنين وملكه ... ثناء البرايا من فصيح وأعجم
امام له في آل عثمان لحمة ... تبجبح منها في الذرى والمقدم
خليفة صدق يسبق الوعد جوده ... كما انهل قبل البرق ميزاب مرهم
يسوس الرعايا والبلاد بحكمة ... اقامت لدى نهج من الحق اقوم
ويقطع اقران الأمور بفيصل ... من الرأي يحكى منه ضربة مخذم
رمى الروم لما ان عتوا بكتيبة ... تميل بأعطاف الوشيج المقوم
وأعطاهموا سلماً فلمـــا تألبوا ... لشر غدوا مابين أنياب ضيغم
ومد لهم في الحم باعا رحيبة ... فزادوا طماحاً في عتو وملأم
كذاك ثمار النبت ان ماسقيته ... من العذب يزددطعم صاب وعلقم
وزجوا جموعا كالدّبى[1] في عديدها ... فألقاهموا في جوف دهياءصيلم[2]
اسال فجاج الأرض بالجنديلتوي ... كأغدرة الوديان في كل مخرم

---

(١) الدّبى : أصغر الجراد والنمل ، واحده : دَباة .

(٢) داهية شديدة .

يموج به الماذي [١] في رونق الضحى ... كما ماج لج بين أرحاء [٢] عيلم [٣]

فمن كل صنديد ثبيت مشيع ... سبوق الى الغايات أحوس [٤] مجذم [٥]

يرى أن في بذل النفوس صيانة م ... النفوس وان قد يحقن الدم بالدم

ومن كل ذيال [٦] كان هويه ... هويّ شهاب أو عقاب بحوم

ومن كل حصداء [٧] دلاص [٨] كأنها ... على عاتق الأجناد بردة ارقم

وبيض كلون الملح لكن متونها ... كنمل على نهر من الماء عوم

وسَوْد [٩] جنيّ كالإكام [١٠] دوافع ... بجمر كأشباه الصواعق رجم

وجأواء [١١] حرّى كالوطيس [١٢] أقامها ... عليهم فكانت كالفضاء المختم

كأن النصال البيض وسط عجاجها ... شرار تعالى في دخان مخيم

يطير قشاريّ الحديد بأفقها ... بجبل [١٣] وتين [١٤] أو بكف [١٥] ومعصم

فلا شيء فيها غير ضرب مفلق ... لهام ورمي مثل تهطال مرزم [١٦]

---

(١) السلاح كلّه .
(٢) جمع رحى وهي الطاحون .
(٣) بحر ، وبئر كثيرة الماء .
(٤) أحوس : شجاع جريء .
(٥) قاطع الأمور . فيصل .
(٦) طويل الذيل .
(٧) درع حصداء : ضيقة الحَلَق ، محكمة .
(٨) ملساء لينة .
(٩) سفح من الأرض مستو ، كثير الحجارة السود .
(١٠) جمع أكمة وهي التل .
(١١) حمراء تضرب إلى السواد .
(١٢) التنور .
(١٣) داهية .
(١٤) ثابت .
(١٥) لعلها : أو بكف .
(١٦) غيث رزم : لا ينقطع رعده .

وطعن دراك يسبق الحس للردى فليس وان أفنى النفوس بمؤلم
أمال بلا ريسا عروش عداته وأشرق من فرسالة الأرض بالدم
كأن الاكام الأدم لما تصبغت به أنبتت نبتي شقيق وعندم[1]
ويوم ملسطينو اقـام نعيهم بشعواء تنفي حدة المتغشرم[2]
فأصلاهمو ناراً فقوم درأهم[3] كما قوم التثقيف معوج لهذم[4]
فأمسوا حديثا في الأنام وعبرة وبادوا كطسم في البلاد وجرهم
بيمن له قد أدرك النصر قائد رمى منه اكباد العداة بقشعم[5]
وسوف يدين المشرقان لملكه ويتلى اسمه في كل واد ومعلم[6]
ولا زال في علياء ثبت عمودها وأيامه مـا بين عيد وموسم



(١) خشب نبات يصبغ به .
(٢) غشمر الرجل : ركب رأسه في الحق أو الباطل .
(٣) اندفاعهم .
(٤) الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب .
(٥) أسد
(٦) المعلم : ما يستدل به على الطريق .

حرف الثاء

الشيخ ثعيلب بن سالم المصري الشهير بالفشني

إمام توحد في الفضائل ، وهمام تفرد بين الافاضل ، سار بسيرة ذوي العرفان ، واشتهر اشتهار عطارد [١] و كيوان [٢] ، ولد سنة الف ومائة وخمسين، وأخذ عن العلامة العزيزي ، والعلامة العشماوي ، والعلامة الجوهري ، وعن غيرهم من السادة الاعاظم ، والقاده الاكارم ، وانتفع وساد ، ونفع وأجاد، ولم يزل على حال حسن ، الى ان دعي الى نوال المنن . وذلك سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين رحمه الله تعالى .

ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي

تولى مشيخة المنتفق كما تولاها ابوه وجده ، وكان احد اجواد العرب المشهورين ، وكان له في حكومته ايام تُعَدُّ غُرَراً في جبهة الدهر ، منها دبّى كَرَبُتّى الموضع القريب من البصرة ، وذلك ان كعباً غزا اخاه صقراً بجيش عرمرم ، فصدمهم وكسرهم تجاهه ، وكان هو الآمر الناهي في ذلك اليوم ، الى ان ملأ الفضاء بجثث القتلى من قبائل كعب الروافض ، ومن ذلك اليوم وهم في ذل تحت المنتفق . ومن أيام المترجم الشاهدة له بالشجاعة والاقدام يوم ضَجَنْعة ، والعوام تحرفه فتقول جضعة ، وسببه ان عبد المحسن بن سياج لما اشتاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الحسا ، قصد المترجم ليساعده ، وينجده على مرامه فساعده المترجم بما يقدر عليه من الرمح والسيف والمال والجسم والجاه ، وشيخ بني خالد إذ ذاك سعدون

---

(١) نجم من السيارات ، وهو أقربها من الشمس .

(٢) اسم زُحل بالفارسية .

ابن عرعر ، احد المشهورين بمحاسن الشيم ، فلما تحقق مساعدة المترجم ، امر شجعانه ان يشنوا الغارات على عرب المترجم بعد ان انذر المترجم وخوفه من قتاله وشجعانه ، فلما رأى المترجم عازماً على القتال والمساعدة ، وكان قد ذهب الصيف وجاء الشتاء ، جهز كل منهما عساكره والتقيا في ارض بني خالد ، ومضى على ذلك ايام وهم في جلاد وطعان ، من الصباح الى الليل ، الى ان امتطي الخيانة بعض قبائل سعدون ، فهرب سعدون هو وأتباعه ، وتولى المترجم على بيوتهم ومحلاتهم . ولا زال يترقى مقامه ، وتحسن به ايامه ، الى ان نزل في بعض غزواته ماء يسمى الشباك ، فنصبت له هناك خيمة صغيرة وجماعته مشتغلون بصالح نزولهم في ذلك المكان ، فجاءه رجل من اعدائه يقال طعيس العبد ، فطعنه بحربة كان بها انتهاء اجله ، فانتبه جماعته لذلك ، وقبضوا على طعيس وجرعوه كؤوس المنية ، والقوه جيفة للكلاب ، ودفن المترجم في جزيرة العماير ، وذلك عام الف ومائتين واثنى عشر رحمه الله تعالى .

حرف الجيم

الشيخ جمال الدين بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ قاسم المعروف بالحلاق

نبيل عذبت نفسه صفاء ووفاء ، ونبيه ملئت شيمته سخاء واحتفاء ، تفتحت كمائم رويته عن زهر المعاني ، وتوشحت حدائق معـارفه بجرز الاماني ، مع ادب زرت على الكمال جيوبه ، ولطف هبت بعرف الجمال صباه وجنوبه ، ونظم قد انتثرت من فرائده عقود الدرر ، ونثر قد انتظمت من فوائده الغرز ، وقد لبس حلة الحياء فهي دثاره ، وجلس على مرقـاة الارتقاء التي هي شعاره ، فلم تبرح روضة نباهته الزاهية يانعة الازهار ، وغيضة بلاغته الباهية منبت ثمرات الافكار ، وإنه منذ تنسك تمسك بأذيال السنة والكتاب ، وعمل بآداب السنة المطهرة وسنة الآداب ، فمذهبه مذهب السلف الصالح ، ومسلكه مسلك الفريق الراجـح . ولد في ثامن شهر جمادى الاولى سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين ، من هجرة السيد الامين . ثم بعد التمييز قرأ القرآن وجوده ، وحضر دروس العلوم بهمة جيدة ، ولم يزل مجافياً في طلبه اللذة وطيب الرقاد ، الى ان بلـغ المقصود والمراد ، فأجاز له الكثير من الافاضل ، وشهدوا له في خطوطهم بالفواضل والفضائل ، فلعمري انه ليكشف بذهنه الغامض الذي أحاط به الخفا ، ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عفا ، ويبصر الخفيات بباصر فهمه ، ويقصر حلها على إدراكه وعلمه . ومن نظمه قوله :

جزى الله عنا الكتب خيراً فإنها   تنم أحـاديث الحبيب بلفظه

فموقعها أحلى من الماء الذي ... به ظمأ وقت الهجير وقيظه

وقال :

ياقلب صبراً على هجر الحبيب ولا ... تيأس من الوصل إن الله ذو فرج
لك التأسي بمن ذاق الهوى ولوى ... عنه الحبيب وقد أضناه وهو شجي

وقال :

فرق الجميل على برق الجبين علا ... وعنبر الخال عن بر الوصال خلا
مسكي شعر وتركي اللحاظ فكم ... ببارق الجيد منه البرق قد خجلا
ياقوت مبسمه يفتر عن درر ... لاعيب فيه سوى كون اللما عسلا
هيفاء قامته وطفاء (١) مقلته ... حسناء طلعته كالبدر مكتملا
لو أن بدر الدجى وافاه مبتسما ... لظل منكسفاً من حسنه وجلا
أو أن ريم الربى لاقاه ملتفتا ... لسار مندهشاً من خصره ثملا
ذاك الفريد الذي ما مثله رشأ ... قد راش من لحظه سهما به قتلا
مهفهف العطف زاهي الطرف احوره ... كم جاد ظرفاً ولكن بالوفا بخلا
يامنية القلب ما للصب عنك غنى ... فإن عطفت فحظ العبد قد كملا

وقال :

زعم النـــاس بأني ... مذهبي يدعى الجمـــالي
واليـــه حينما أفـــ ... ـتي الورى اعزو مقـــالي
لا وعمر الحـــق اني ... سلفـــي الانتحـــال
مذهبي مافي كتاب الـــ ... ـلـــه ربي المتعـــالي
ثم ماصح من الأخبا ... ر لا قيل وقـــال
اقتفي الحق ولا ... أرضى بآراء الرجال
وأرى التقليد جهلا ... وعمى في كل حال

---

(١) كثيرة شعر الحاجبين .

وقال :

أقول كما قال الأئمة قبلنـا ... صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
أألبس ثوب القيل والقال باليا ... ولا أتحلى بالرّداء المذهب

وقال :

زعموا بأن من اقتفى الآثارا ... اولى الذين تقدموا الانكارا
كلا فأجر الاجتهاد لهم سوى ... متعصب يتأول الأخبـارا

وكتب لي ملغزا :

يامن لحل عويص المشكلات درى ... وبحر آدابه يروي لنـا دررا
ما اسم له احرف تسع بظاهرها ... وتلك عشر اذا حققتها نظرا
اضحى مسماه ذا شأن له شرف ... بأهله فغدا في الارض مزدهرا
فتاجه علم في الارض منتشـر ... والثان تصحيفه بعض البلاد يرى
واثنان أوله فعل وقد أتيـا ... لاسم الحكيم الذي في الحذق قدمهرا
ثلاثة أول منه اتت علمـاً ... للعود واسما لضد الجور قد ظهرا
تصحيف ثالثه مـع تلوه اتيا ... خلاف علم وفنا نفعه اشتهرا
وثالث منه يأتي مثل خامسه ... ورابع منه يحكي سابعاً ذكرا
وبعضه الظبي ان صحفته وإذا ... تركته فهو مما في الشتا كثرا
وختمه هـين في قلبه عمل ... فجد بمعناه ياشهما جلا الفكرا

فأجبته بقولي نظما ثم نثرا :

ياذا الجمال الذي في اللطف قد بهرا ... وزادنا من سنا ايناسه غررا
الغزت فيما علا قدراً ومرتبة ... ورمت مايزدري في حسنه القمرا
ان الذي رمته قد حـاز أوله ... قرآننا يدر هذا من قرا ودرى
ذا اعجميٌ خلت عن مثله لغة الـــذين فاهوا بما اهل النهى سحرا
لكن من رام يدري حسن بهجته ... لابد من نية في ختم ماذكرا

أيها الخل الحبيب ، والخدن الأديب الأريب [1] ، ان ما الغزت فيه ، وأردت إظهاره وبيان خوافيه ، هو اسم لشيء علا ، واشتهر قدره في الملا ، ذي نهي وأمر ، ومقام تهابه النفس في السر والجهر ، وبهجة وزينة ، وقوة متينة ، ومنعة حصينة ، اوله في القرآن في الجزء الأول ، وآخره في السنة التي عليها المعول ، ويطلق أوله وثانيه على رئيس معلوم ، له بين ذويه تقدم في الدين والعلوم . وقد أفرد الإله أوله اسما في آخر كتاب ، وإن كان من الأفعال ذات البناء لا الإعراب ، وثالثه ورابعه يستعمل في صوت معروف ، وإن كان بعضه في المجالس غير مألوف ، وخامسه وسادسه قبيلة ومصدر يدل على الجروع ، النافي للراحة والنوم والهجوع ، وسابعه مع ثامنه بتوسط الاخير ، يدل على النهي والزجر والتنفير ، ومن أراد كشف استعاراته المكنية ، فلا بد له على المعتمد من نية ، فبها يتم المطلوب ، وينكشف المرام والمرغوب . انتهى

وقال مادحاً مختار الصحاح :

لمختار الصحاح على الألبا عوارف حق أن ترعى وتشكر
وان كان الصحاح له أياد فللمختار فضل ليس ينكر

وله أبيات كثيرة ، وتعاليق فوائدها غزيرة ، ورسائل لطيفة ، وتحقيقات شريفة ، أدام الله نفعه ، وأحسن على الدوام صنعه . توفي رحمه الله تعالى مساء السبت الثالث والعشرين من جمادى الاولى عام الف وثلاثمائة واثنين وثلاثين ودفن بباب الصغير [2] .

---

(١) الماهر ، البصير .

(٢) كان علامة الشام القاسمي تغمده المولى برحمته ورضوانه ، آية في المحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل ، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ، ومدونات السنة وشروحها ، ومؤلفات أصول الدين ، وأمهات الفقه وأصوله ، —

السيد جمال الدين بن السيد صفتر الافغاني

قال تلميذه العلامة الشيخ محمد عبده المصري في ترجمة هذا الرجل الفاضل :
الذي حملنا على ذكر شيء من سيرته ما رأيناه من تخالف الناس في أمره ، وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيـلات اللاقفين لخَبَره ، حتى كأنه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه ، أو قوة روحية قامت

— ومطوّلات التاريخ والأدب ، وكتب المقالات والنحـل . كان يمن النظر في هذه العلوم والفنون ، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته ، وقوة قلبه ، ما يشهد له به كل من وقف على مصنفاته ، ورسائله التي كانت تتهاداها المجلات الكبرى في مصر والشام ولبنان ، كالمنار والمقتبس والعرفان ، فـكان ينشرها على صفحاتها إيماناً واحتساباً ، ولم يكن يبتغي منها ولا مما يطبعه مستقلاً إلاّ وجه الله والدار الآخرة . وكنت قلت في مقدمتي لكتابه « قواعد التحديث » الذي أعيد طبعه : إن مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمـه الله تعالى ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر ، ولم يبلـغ الخمسين من عمره ، وندر جداً أن ترى كتاباً مخطوطاً أو مطبوعاً في خزانته الواسعة ، خالياً من التعليقات الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة ؛ ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا ، ومن نفاسة تآليفه فوق ما شاهدنا ، فان الأستاذ كان في تجدد مستمر ، استمده من علوم العصر وحقائقه ، وانكشف له به عن كثير من أسرار الشريعة وغوامضها .
ثم رجوت أن توفق الأمة إلى طبع ما اشتدت إليه الحاجة من مؤلفاته ، لا سيا تفسيره الكبير الجليل ، المسمى « محاسن التأويل » وقد تفضل المولى سبحانه وله الحمد والشكر ، ويسّر طبعه في دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ووقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه ، وخرج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه ، خادم الكتاب والسنة ، العلاّمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الشهير . وخصّ كاتب هـذه السطور بمراجعة المطبوع جزءاً فجزءاً ، وتصويب الأغلاط المطبعية ، وهو ما يراه القارىء آخر كل جزء منه ، وقد بلغ سبعة عشر جزءاً . وكان لي الشرف بالقراءة على المؤلف نحو أربع سنوات في العلوم الشرعية والفنون العربية ، فجزاه المولى عنا وعن الأمة خير الجزاء .

لكل نظر بشكل يشاكلـه ، والوجل في صفـاء جوهره ، وزكاء مخبره ، لم يصبه وهم الواهمين ، ولم يمسَسْه حزر الخراصين . وانا نذكر مجملاً من خبره ، نرويه عن كمال الخبرة ، وطول العشرة .

هو من بيت عظيم في بلاد الأفغان ينمي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ، ويرتقي إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد ، وتقيم في خطة « كنر » من أعمال « كابل » ، تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ، ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين ، يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف ، وكانت لهـا سيادة على جزء من الأراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه ، وانما سلب الامارة من أيديها دوست محمد خان جد الامير الحالي ، وأمر بنقل أبي السيد جمـال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل .

ولد المترجم المذكور السيد جمال الدين في قرية أسعد آباد من قرى كنر سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، وانتقل بانتقال أبيه إلى مدينة كابل ، وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعلم ، وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته ، واشراق في قريحته ، وذكاء في مدركته ، فأخذ من بدايات العلوم ، ولم يقف دون نهاياتها ، تلقى علوماً جمة برع في جميعها [1] فمنهـا العلوم العربية من نحو وصرف

---

(١) جلس السيد الأفغـاني في دروس العلم ، فحذق العلوم والفنون النقلية والعقلية والرياضية في بضع سنين ، وألمّ بالهند لتلقي مبادىء العلوم الأوربية ، فوقف على ما شاء منها في زهاء سنتين ، ثم حج في سنة ١٢٧٣ هـ ، ومكث في سفره زهاء سنة يتقلب في البلاد الإسلامية لاكتناه أخلاقها وعقائدها الدينية ، واختبار أحوالها الاجتماعية والسياسية . جاء هذا السيد مصر فنفخ فيهـا روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطني الأول ، لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية ومبادئها ، ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما أرشد المسلمين إلى الإصلاح الديني ، والجمع بينه وبين العلم العصري .

ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ، ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ، ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية ، وحكمة نظرية طبيعية والهية ، ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ، ومنهـــا نظريات الطب والتشريح ، أخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين ، على الطريقة المعروفة في تلك البلاد ، وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة ، واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ، ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية ، فأقام بها سنة وبضعـة أشهر ، ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة ، وأتى بعد ذلك الى الاقطـــار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة ، وهو يتنقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ، فوقف على كثير من عـادات الأمم التي مر بها في سياحته ، واكتنه أخلاقهم ، وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ، ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ، ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ، ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه ، سار السيد جمال الدين معه في جيشه ، ولازمه مدة الحصار ، الى أن توفي الامير وفتحت المدينة

— وكان من أنبـغ تلاميذه الإمام محمد عبده الذي أنشأ معه جريدة العروة الوثقى في باريس ، وأتقن حكيم الشرق والاسلام الأفغاني عدة لغات شرقية وغربية .
وانك لتجد له ترجمة وافية في الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام بقلمه ، وقلم تلميذه السيد الإمام محمد رشيد رضا . وهذا الجزء هو أكبر الأجزاء الثلاثة في سيرة مفتي الديار المصرية بقلم السيد صاحب المنار ، فقد بلغ أكثر من (١١٠٠) الف ومائة صفحة .
وألفت في ترجمة الحكيم الأفغاني عدة كتب ورسائل . راجـع أعلام الزركلي ، ومعجم كحالة في تراجم المؤلفين .

بعد معاناه الحصر زمناً طويلاً ، وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ثمانين ومائتين وألف ، وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو أكبر سناً منه ويعتقلهم ، فإن لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد ، طلباً للاستبداد بالامارة ، وكان في جيش هراة من أخوة الأمير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين ، وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم ، فلما أحسوا بتدبير الامير ، ومشورة الوزير ، أسرعوا الى الفرار ، وتفرقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل أبيه ليعتصم بمنعته فيها ، وطاشت بهم الفتن ، واشتعلت نيران الحروب الداخلية ، وبعد مجالدات عنيفة عظم أمر محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن الأمير الحالي ، وتغلبا على عاصمة المملكة ، وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة ، وسمياه أميراً على أفغانستان ، ثم أدركه الموت بعد سنة ، وقام على الإمارة بعده شقيقه محمد اعظم خان ، وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده ، فأحله محل الوزير الأول ، وعظمت ثقته به ، فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها ، على خلاف ماتعوده أمراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم ، وكادت تخلص حكومة الأفغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين ، لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهات من الاعمال الى أبنائه الاحداث ، وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة ، فساق الطيش أحدهم وكان حاكما في قندهار على منازلة عمه شير علي في هراة ، ولم يكن له من الملك سواها ، وظن الفتى أنه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر اخوانه ، فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراءة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي ، واخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم ، وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي ، فوجد ذلك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه ، فكر عليه وأخذه أسيراً ،

فتشتت جند قندهار ، وقوي الامل عند شير علي ، فحمل على قندهار واستولى عليها ، وعادت الحرب الى شبابها ، وعضد الانكليز شير علي ، وبذلوا لهـا قناطير من الذهب ، ففرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم ، فبيعت أمانات ونقضت عهود ، وجددت خيانات ، وبعد حروب هـائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم ، وابن اخيه عبد الرحمن ، فذهب عبد الرحمن الى بخارى ، وعاد اليوم الى بلاده وهو أميرها ، وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ، ومات بعد أشهر في مدينة نيسابور ، وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الامير بسوء ، احتراما لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي ، إلا أنه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقـام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ، ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الافغان ، فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن لايمر ببلاد ايران ، كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم ، وكان لم يمت ، فارتحل عـلى طريق الهند سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة أشهر ، ولما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في إجلال ، إلا أنها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها ، ولم تأذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها ، فلم يقم أكثر من شهر ، ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها على نفقتها الى السويس ، فجاء الى مصر وأقام بها نحو أربعين يوما ، تردد فيها على الجامع الازهر ، وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ، ومالوا اليه كل الميل ، وسألوه أن يقرأ لهم شرح الإظهار ، فقرأ لهم بعضا منه في بيته ، ثم تحول عن الحجاز عزمه ، وتعجل بالسفر الى الاستانة ، فبعد ايام من وصولها امكنه ملاقاة الصدر الاعظم عالي باشا ، ونزل منه منزلة الكرامة ، وعرف له الصدر فضله ، وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله ، وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء ، وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء ، وعلا ذكره بينهم ، وتناقلوا الثناء على

علمه ودينه وأدبه ، وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم ، وبعد ستة اشهر سمي عضواً في مجلس المعارف ، فأدى حق الاستقامة في آرائه ، وأشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ، ومن تلك الطرق ما أحفظ عليه قلب شيخ الإسلام لتلك الأوقات حسن فهمي افندي، لأنها كانت تمس شيئاً من رزقه ، فأرصد له العنت ، حتى كان رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطابا للحث على الصناعـــات ، فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية ، فألح عليه تحسين افندي ، فأنشأ خطابا طويلاً كتبه قبل إلقائه وعرضه على وزير المعارف ، وكان صفوت باشا ، وعلي شرواني زاده ، وكان مشير الضابطية ، وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف ، وكان عضواً في مجلس المعارف ، فاستحسنه كل منهم ، وأطنب في مدحه ، فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب ، تسارع الناس الى دار الفنون ، واحتفل له جم غفير من رجال اهل الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب المعارف ، وحضر في الجمع معظم الوزراء ، وصعد الشيخ جمال الدين على منبر الخطابة ، وألقى ما كان أعده ، وأرسل حسن أفندي فهمي أشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به ، وما كان يجدها لو طلب حقا ، ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الإنسانية ببدن حي ، وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن ، تؤدي من المنفعة في المعيشة مايؤديه العضو في البدن ، فشبه الملك مثلاً بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة ، والحدادة بالعضد، والزراعة بالكبد ، والملاحة بالرجلين ، ومضى في سائر الصناعات والأعضاء حتى أتى على جميعها ببيان ضاف واف ، ثم قال هذا مايتألف منه جسم السعادة الإنسانية ، ولا حياة لجسم إلا بروح ، وروح هذا الجسم إما النبوة وإما الحكمة ، ولكن يفرق بينهما بأن النبوة منحة إلهية لاتنالها يد الكاسب ، يختص الله بها من يشاء من عباده ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

أما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات وبأن النبي معصوم من الخطأ ، والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه ، وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الإيمان ، أما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها إلا من باب ماهو الأولى والأفضل ، على شريطة ان لاتخالف الشرع الالهي ، هذا ماذكره متعلقا بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الإسلامية ، الا ان حسن فهمي افندي اقام من الحق باطـلا ليصيب غرضه من الانتقام ، فأشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة ، واحتج لتثبيت الاشاعة بأنه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة ، وهكذا تكون حجج طلاب العنت ، ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفا بالتفنيد والتنديد ، فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته بما رمي به ، ورأى ان ذلك لايكون الابمحاكمة شيخ الإسلام ، وكيف يكون ذلك ، واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها ، واكثرت الجرائد من القول في المسألة ، فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ، ومنها اعوان لشيخ الاسلام ، فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضى على الكريهة ، وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها ، فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة ، فعظم الأمر ، وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ، ثم يعود ان شاء ، ففارق الاستانه مظلوما في حقه مغلوبا لحدته ، وحمله بعض من كان معـه على التحول الى مصر ، فجاء اليها في اول المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ، هذا مجمل أمره في الاستانة ، وما ذكره سليم العنحوري في شرح شعره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لا شائبة للحق فيه . ثم مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ، ولم تكن له عزيمة على

الاقامة بها ، حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستماله مساعيه الى المقام ، واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلا اكرمته به لافي مقابلة عمل ، واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم ، واستوروا زنـــده فأورى ، واستفاضوا بحره ففاض درا ، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية ، وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الإسلامي ، وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخرما اختتم ، ولم يذهب الى الازهر مدرسا ولايوما واحدا ، نعم كان يذهب اليه زائرا ، واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . فعظم أمر الرجل في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا فوائد الاخذ عنه ، واعجبوا بدينه وأدبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عُقَل الأوهام عن قوائم العقول ، فنشطت لذلك ألباب ، واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه ، وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجـــادة في المواضع المختلفة منحصرين في عدد قليل ، وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكرى وخيري باشا ، ومحمد بك سد[1] حمد على ضعف فيه ، ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ، ومن عدا هولاء فإما ساجعون في المراسلات الخاصة ، واما مصنفون في بعض الفنون العربية والفقهية ، وما شاكل ذلك . ومن عشر سنوات نرى كتبة في القطر المصري لايشق غبارهم ، ولايوطأ مضمارهم ، وأغلبهم احداث في السن ، شيوخ في الصناعة ، وما منهم الامن اخذ عنه أو عن احد تلامذته أو قلد المتصلين به ، ومنكر ذلك مكابر ، وللحق مدابر ، هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية ، اخذا بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر

(١) لعله : سيد .

فيها ، على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه ، بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ ، اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الأولين والآخرين ، من موافقين لمذاهبهم أو مخالفين ، فلا يزيدهم ذلك الابصيرة في دينهم ، وقوة في يقينهم . ولنا في أئمة الملة الإسلامية الف حجة تقوم على مانقول ، ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هــذا الرجل ، واذاعوا ذلك بين العامة ، ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة ، كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون مالا يفهمون ، ثم يحرفون في النقل عنه ولايشعرون ، غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ، ولم يزل شأنه في ارتفاع ، والقلوب عليه في اجتماع ، الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها الحالي توفيق باشا ، وكان السيد من المؤيدين لمقاصده ، الناشرين لمحامده ، الا ان بعض المفسدين ومنهم مستر قيفيان (١) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجنــاب الخديوي ، ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه ،فأصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ، ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ست وتسعين ومائتين والف ، وأقام بحيدراباد الدكن ، وفيها كتب رسالته التي الفها في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم ، واثبات ان الدين اساس المدنية ، والكفر فساد العمران . ولما كانت الفتنة الاخيرة دعي من حيدر اباد الى كلكته ، والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها ، حتى انقضى امر مصر وانتهت الحرب الانكليزية ، ثم ابيح له الذهاب الى أي بلد شاء ، فاختار الذهاب الى اوربا ، وأول مدينة صعد اليها مدينة لوندرا ، اقام بها اياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز ، وأقام بها مايزيد على ثلاث سنوات . قال الشيخ محمد عبده : وافيناه في اثناء هذه المدة ، ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشىء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ، أيدها الله ، سألني أن اقوم على

(١) كذا في الأصل .

تحريرها فأجبت ، ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً ، وقـد اخذت من قلوب الشرقيين عموما والمسلمين خصوصاً مالم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه ، وذلك لخلوص النية في تحريرها ، وصحة المقصد في تحبيرها ، ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارهـا حيث قفلت ابواب الهند عنها ، واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ، ثم بقي بعد ذلك مقيا بأوربا اشهراً في باريز واخرى في لندرا ، الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثمـائة والف ، وفيـه رجع الى البلاد الايرانية ، وسيذهب منها الى افغانستان .

اما مذهبه فحنيفي حنفي ، وهو وان لم يكن في عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم ، وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه ، وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ، ولا يأتي من الأعمال الا ما يحل في مذهب إمامه ، فهو أشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه . أمـا حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد ، يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله. أما مقصده السياسي الذي وجه اليه افكاره ، واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته ، وكل ما اصابه من البلاء اصـابه في سبيله ، فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيفي مجده ، ويـدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيـا في الاقطار المشرقية ، وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية ، وله في عداوة الانـكليز شؤون يطول بيانها . وأما منزلته من العلم وغزارة المعارف ، فليس يسهل على القلم حدها الا بنوع من الاشارة اليهـا ، وله سلطة قوية على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق

له . وله قوة في حل المعضلات كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفكك عقدها ، ومهما ألقي اليه من موضوع ، يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه ، فيأتي على اطرافه ، ويحيط بجميع اكنافه ، ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه ، واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ، ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع ، كأن ذهنه عالم الصنع والابداع وله لسن في الجدل ، وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيها احد ، الا ان يكون في الناس من لا نعرفه ، وكفاك شاهدا على ذلك انه ما خاصم احدا الا خصمه ، ولا جادله عالم الا الزمه ، وقد اعترف له الاروبيون بذلك ، بعدما أقر له الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة ، هو من أقصى ما قدر لغير الانبياء والمرسلين لكنت غير مبالغ ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وأما أخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ، وله حلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع ، الى ان يدنو منه أحد ليمس شرفه أو دينه ، فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب ، فبينما هو حليم أواب ، إذا هو أسد وثاب ، وهو كريم يبذل ما بيده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر ، عظيم الأمانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه ، وكثيراً ما كان التعجل عِلّة الحرمان ، وهو قليل الحرص على الدنيا ، بعيد من الغرور بزخارفها ، ولوع بعظائم الأمور عزيف عن صغارها ، شجاع مقدام لايهاب الموت كأنه لايعرفه ، الا انه حديد المزاج وكثيرا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة ، الا انه صار اليوم في رسوخ الاطواد ، وثبات الافناد [1] ، فخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله

(١) جمع : فَند ، وهو الجبل العظيم .

عليه وسلم ، لايعد لنفسه مزية أرفع ولاعزاً امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر ، وبالجملة ففضله كعلمه ، والكمال لله وحده .

وأما خلقه فهو يمثل لناظره عربيا محضاً من اهالي الحرمين ، فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الأولين من سكنة الحجاز (حماه الله) . ربعة في طوله وسط في بنيته ، قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه ، عظيم الرأس في اعتدال ، عريض الجبهة في تناسب ، واسع العينين عظيم الأحداق ، ضخم الوجنات رحب الصدر ، جليل في النظر ، هش بش عند اللقاء ، قد وفاه الله من كمال خلقه ماينطبق على كمال خلقه ، بقي علينا ان نذكر وصفا لو سكتنا عنه سئلنا عن اغفاله ، وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة ، والامـاكن المعدة لراحة المسافرين ، وتفرج المحزونين ، لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار ، وكان مجلسه في تلك المواضع لايخلو من الفوائد العلمية ، فكان بعيداً من اللغو منزها من اللهو ، وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وأرباب المقامـات العالية وأهل العلم ، وهذا الوصف ربما عدّه عليه بعض حاسديه ، لكن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه ، وأي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له .

هذا مجمل من احوال السيد جمال الدين الافغاني أتينا به دفعا لمـا افتراه عليه الجاهلون ، ولو سلكنا في تاريخه مسلك التفصيل ، لأدى بنا الى التطويل ، والله عنده حسن الصواب ، واليه المرجع والمآب . ولم يزل يتقلب على فرش النعم الى أن نشبت به أظفار النقم ، فقاسى من الامراض شدة ، ومضى عليه وهو على حالته مدة ، الى أن استوفى منيته في خامس شوال عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر من هجرة سيد أهل الكمال ، ودفن في الاستانة العلية في المقبرة المعروفة بمقبرة المشايخ ، أسكنه الله الجنة ، وأوسع له في دار الكرامة المنة .

السيد جمال الدين بن المرحوم احمد افندي بن المرحوم يوسف افندي المعروف بيوسف زاده

شيخ الاسلام والمسلمين ، وصفوة العلماء المتقنين ، منحة الدنيا وتحفة الدهر ، ودوحة الفضائل التي لم تدخل تحت حصر ، من طلعت ذاتـــه الشريفة في سماء الكمال بدرا ، وانتشرت صفاته المنيفة فعطرت الارجاء براً وبحراً ، وتشنفت المسامع بصنوف نعوته الدرية ، وتشرفت البدائع والبدائه بانتسابها الى براعته العلية .

هذا الذي قد فاز بالأماني ... وحاز قدراً ماله من ثان
كأنه في ناظر الزمان ... انسان عين الحسن والاحسان

فلا ريب أنه كعبة المعالي ، وحسنة محاسن الأيام والليالي ، قد ولد هذا الفرد الكامل ، والشهم الأوحد الجهبذ الفاضل ، يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة أربع وستين بعد المائتين والألف ، وعين العناية والرعاية تحوطه من امام وخلف ، وفم الدهر ينادي ، بين صاد وغادي :

قرت عيون المجد والكمال ... بمن بدا في ذروة الكمال
طالعه سعد السعود وله ... حظ ثوى في هامة المعالي
بشرى لذا العصر به بشرى له ... يا فوزه ببغية الآمـــال

ولم يزل بحمد الله ينمو ، ويترقى على مدارج السيادة والسعادة ويسمو ، الى ان بلغ في العلوم والآداب مبلغ الأفاضل ، ونبـــغ بين الخصوص والعموم في الشمائل وحسن الفضائل ، وخدمته المناصب الداعية لترقيه الى أعلى الرتب ، فكان لها هذا المترجم نهاية الأمل وغاية الأرب ، وحينما أشرقت بالعاصمة الاسلامية شمس علمه وآدابه ، وزها نورها بباهر مظهر جنابه ، واسفر من خدر الفضل محيا صباحه ، وظهر لنا من غرته بادر فلاحه ونجاحه ، ورشحته المعارف لأعلى المناصب ، ووشحته بوشاح التحلي بأثواب النفائس والرغائب ، اجلسه سيدنا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، على مهاد شيخة الاسلام بكل احـترام وشان ، وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة الف وثلاثمائة وتسع . فلا ريب

أنه اعطى القوس باريها ، وقلد السهام من هو حاميها وراميها ، وسلم الأمر لأهله ، وفوضه لمن اعترف الكل بفضله ، احسن الله اليه وصانه ؛ ورفع قدره في العالمين واعلى شأنه .

الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي العماني

امام في المعارف كامل ، وهمام في اللطائف والفضائل ، قد ترجمه صاحب الحديقة ، فقال في اوصافه الأنيقة : اشهد أنه العلم المفرد ، والاجل ممن ركع وسجد ، وهدى من ضل وأضل بعلومه وارشد ، فهو اليوم زعيم قومه ، وكبيرهم الذي صغرت أقرانه لقصورهم عن المقابلة له في صلاته وصومه ، تصانيفه دلائل الاعجاز ، وتآليفه محشوة بمحاسن الحقيقة والمجاز . فمن لطائفه قوله :

خذ هاك يا ابن الاكرمين كتابا ... يحيي القلوب ويفتح الابوابا
واظب على التعليم درسا بالعشا ... والليل ، وافتح بالنهار كتابا
واذا أتيت الى المدارس لا تكن ... عند المعلم لاهيا لعابا
وكذاك طاعة والديك ففيهما ... بر تنال من الإله ثوابا

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين .

السيد جعفر بن السيد اسماعيل بن السيد زين العابدين بن محمد البرزنجي

هو ممن رأس وعلا ، ووكف جوده وحلا ، واعاد كاسد البدائع نافقا ، ومخالف الكمال بهديه موافقاً ، ورث المجد عن سادة اكابر ، لم يعرفوا إلا بالفضائل والمفاخر ، والنسب الباهي الباهر ، والحسب الزاهي

الزاهر ، احد علماء الحجاز ، العامرين لارجاء الحقيقة والمجاز ، المتسلسلين بالمعارف والفضائل ، والمتجملين باللطائف وأعلى الشمائل . حضر دروس العلماء الاعلام ، الى أن حصل على المراد والمرام . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، خرج والده من المدينة الشريفة فساقته المقادير الى بلاد الكرد من سواد العراق ، فاجتمع بواليها عبد الرحمن باشا وكان من أهل العلم والفضل ، وله محبة في العلماء زائدة ، فاحب السيد اسماعيل المذكور ، واكرمه وابقاه عنده مبجلا ، وزوجه ابنته عائشة ، وهي والدة المترجم ، فاستمر والد المترجم مقيماً بتلك الارض خمساً واربعين سنة ، معظماً محترماً . وفي مدة غيبته كانت فتوى الشافعية بالمدينة المنورة لدى أولاد عمه . وفي سنة تسع وستين ومائتين والف عزم والد المترجم على التوجه الى وطنه ، فتوجه في شهر رجب من السنة المذكورة ، ولما وصل الى مصر من طريق الشام ، ترك المترجم في الجامع الازهر ، فأخذ عن علمائها المشهورين ، وتوجه والده الى دار السلطنة وامتدح المرحوم السلطان عبد المجيد بقصيدة سنية ، فقلده منصب افتاء الشافعية بالمدينة النبوية ، على ساكنها افضل الصلاة والتحية ، ثم رجع الى المدينة ودخلها في اوائل رجب سنة احدى وسبعين ومائتين والف . وقد أرخ رجوعه حضرة الفاضل المحترم الشيخ عبد الجليل افندي برادة بقصيدة غراء مطلعها :

الدهر اقبل بالمسرة يسعد   ولنا بانجاح المطالب ينجد

الى ان قال :

ولطيبة قد عدت قلت مؤرخا   في بيت شعر بالمحاسن يفرد
قد عاد جارا للرسول محمد   نجل نما والعود منه أحمد (١٢٧٧)

ثم بعد مدة نزل عن منصب الافتاء لولده المترجم ، فتقلدها سنة الف ومائتين وثمان وسبعين قبل وفاة والده بنحو ثمانية اشهر ، وجاء

تصديق ذلك من دار السلطنة العلية ، وتردد المترجم الى دار السلطنة مراراً ، وقلد قضاء صنعاء خمس سنين آخرها شوال سنة الف وثلاثمائة واثنتين . ثم جاء الى مكة بأهله ، وبعد اداء المناسك رجع الى المدينة . وله مؤلفات جليلة ، ومناقب جميلة ، تشهد له بسمو مقامه ، ونمو احترامه ، احسن الله الينا واليه [١] اهـ .

المرحوم السيد جعفر البيتي

نابغة الأدب ، الآتي من غرائب المحاسن بكل عجب ، يملأ مسامعه بجذل وطرب ، ويحلي أعطاف افهامه بوشاح در وذهب ، استكان له عصا الأدب وأطاعه ، إذ رأى احسانه له وابداعه ، مقلداً جيد أبكاره المصون ، بمنظوم در بيانه المكنون ، همام ألقت إليه الفصاحة مقاليدها ، وملكته البلاغة طارفها وتليدها ، فتصرف فيها بفكره الرصيف [٢] ، وصرفها على وفق مراده باحسن تصريف ، فعنده من نوادر التحف كل آبدة [٣] ، ومقيدة في صحف أفكاره كل شاردة ، ان تكلم لم يترك كلاماً لغيره ، وان سار في طرق الإفادة فلله حسن سيره ، كيف لا وهو خاتمة أهل الأدب بلا ريب ، والمجمع على نزاهة تحريراته من الخلل والعيب ، وتفننه في فنون العلوم ، أمر ذائع معلوم ، سلمت له في طول يده فيهما كل اقرانه ، وأقرت له بالفضل جهابذة [٤] أهل زمانه ، فكم له من قطع إنشاء كأنها قطع الروض الازهر ، أو قطع الشهب العنبر ، مرقشة بنتف الأمثال ، والتحف التي ليس لها مثال ،

---

(١) توفي المترجم السيد جعفر في المدينة المنورة عام ١٣١٧ هـ .

(٢) المحكم الثابت .

(٣) الشيء العويص والغريب .

(٤) جمع جهبذ ، وهو : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

ومن لمع نظم أرفع من الدر قدراً ، وأضوع من المسك نشراً ، ان تاملتها تجدها للنكت معدناً ، ولخرّد (١) البدائع مسكناً . فمن نظمه الرقيق ، الحاكي للزلال الممزوج بالرحيق ، قوله :

أبادني السقم لا عيني ولا أثري — أظن ما عندكم علمي ولا خبري
ما عندكم قلقي ما عندكم حرقي — ما عندكم أرقي ما عندكم سهري
ولا اطلعتم على صب تقلبه — يد الصبابة بين الشوك والابر
ولا رعيتم مراعاتي لودكم — ولا ذكرتم عهودي مثل مدّكري
أنا المشوق المعنّى المستهام بكم — حسبي جنوني بكم عزاً ومفتخري
والنار لانار إلاماحوت كبدي — ويلاه من حر نيراني ومن شرري
يانازلين حمى نجد ترابكم — أعزه الله من عيني ومن نظري
لولاكم لم يكن في نجد لي أرب — ولم يكن نجد من قصدي ولا وطري

ومن غرر قصائده الباهرة ، المخجلة للأنجم الزاهرة قوله :

حمامك في الحمى ياصاح صاحا — فحي على الصبوح وعم صباحا
عهودي بالطلا طالت واني — سئمت وحقك الماء القراحا
تقدم للشمول ولم شملي — ومن أقداحنا أجلِ القداحا
تأمل في خيوط الفجر لاحت — وأهملْ عاذلي ان كان لاحا
وعاجلنا فياقوت الحميا — اذا طلعت عليه الشمس ساحا
وقد قصت أيادي الحزن ريشي — فأنبت بالمسرة لي جناحا
ارح روحي براحك يانديمي — وراوحني فان الروح راحا
وليل الصحو اظلم فاقتدح لي — لأجل السكر بالقدح اقتداحا
وقل لعويذلي دع لي فسادي — فاني قد وهبت لك الصلاحا (٢)
ادرها من عصير ورود خد — شقيقاً ضمنت ثغرا اقاحا

---

(١) جمع خريدة ، وهي اللؤلؤة لم تثقب .
(٢) ليته أعرض عن هذا واستغفر لذنبه .

يريك حبابها اثنى عشر عينـــا فتعلم مشربالك واصطباحــا
يطوف بها علي اغنّ غان تربع في الضمائر واستراحـا
رشا دلت مآثره عليه وحالى توضح الحال اتضاحـا
جوارش ريقه أفواح قلبي ومنه اعتضت معجونا نجاحـا
بعيشك هل رأيت صنوف زهر على فرد من الأغصان لاحا
يصادر بالنهود عن التشكي فألتزم التمائم والوشاحـا
ويعذل بالعيون وبالتثني فاعتنق الصوارم والرماحـا
اذا طعن الفؤاد برمح قـد رأيت دمي من العبرات ساحا
تنزه منه في بستان حسن ترى في صدره التفاح فاحا
ومزق لي فؤادك يا ابن ودي معي عشقا ووجدا وافتضاحا
على خلع العذار كتبت عهدي وغي قد أبى الاجماحـــا
فلا تعتب اذا ما طاش حلمي فقد أبصرت اردافا رجاحا
وحبي شاهدت عيناي فيه صنوف الحسن اجمع والملاحا
حبيب مذ طرحت سلاح جهدي وصبري دونه حمل السلاحا
وجد لقتلتي بجديد طرف لأول نظرة كانت مزاحا
فيا لك نظرة ملئت نصالا ومهجة عاشق ملأت جراحا
اذا غنى الحمام هوى تغنى ومهما ناح للأحزان ناحا
تساكرنا بـه نوجوه سكرا وذاك الذ بمن قد تصاحى
ولا نوفيه حقا في التصابي ومن ذا في الصبا يوفي الصباحا

وله من قصيدة عارض بها قصيدة فتح بن النحاس

رأى البق من كل الجهات فراعه فلا تنكروا تحكيكه والتياعه
ولا تسألوني كيف بت فانني لقيت عذابا لا اطيق دفاعه
نزلنا بمرسى ينبع البحر مرّة على غير رأي ما علمنا طباعه
نقارع من جند البعوض كتائبا وفرسان نا موس عدمنا قراعه

فلو عاينت عيناك ميدان ركضه ... رأيت جريّ القلب فيه شجاعه
وجندا من الفيران في البيت كمّنا ... متى وجدوا خرقا احبوا اتساعه
ومرية تمل تنبري اثر مرية ... خفافا الى مص الدماء سراعه
ينازعها البرغوث لحما فليته ... رضي بتلافي واكتفينا انتزاعه
فلو يجد الملسوع من عظم ما به ... من الصخر درعاً لاستخار ادراعه
فرب قميص كان شرا من العرى ... اذا ضمه المتاع زاد التياعه
كأني وكيل للبراغيث قائم ... اقيت له ايتامه وجياعه
إذا شبع الملعون مج دما على ... ثيابي فلا أحيا الإله شباعه
فما رشنا بالدم إلا لسانه ... ولم تر عيني مكره وخداعه
سلوا عن دمي سارى البعوض فإنني ... علمت يقينا أنه قد اضاعه
فلله جلد صار بالحك أجربا ... اخاف عليه يافلان انقشاعه
فلا تعذلوا المسكين ان عيل صبره ... وأظهر من جور الزمان انفجاعه
فقد مارس الاهوال في ارض ينبع ... ووطأ فوق النائبات اضطجاعه
زرعت العنا فيه يمينا ويسرة ... وصيرت صبري والتأمي ذراعه
فأعدمني طول المقام تجلدي ... وكشف عن وجه اصطباري قناعه
اذا رنم الناموس حولي اعلني ... وصدع قلبي سجعه وابتداعه
وان مص من لحمي وطار تبعته ... الى فائت منه أرجي ارتجاعه
عدمت غناء مثل انغام سجعه ... فما كان أشنى سجعه وابتداعه
ضعيف قوي لا يقر من الاذى ... وأضعف منه من يرجي اصطناعه
وكم نفذت في دفعه كل حيلة ... ولو كان بالحسنى طلبت اندفاعه
فيا لأصيحابي اقتلوني ومالكا ... فقد مد نحوي مفسد البق باعه [1]

(١) في معجم المؤلفين : جعفر بن محمد باعلوي السقاف الحسيني المدني ، الشافعي ، الشهير بالبيتي : أديب شاعر ، توفي بالمدينة في شعبان سنة ١١٨٢ هـ من آثاره : ديوان شعر ، ومواسم ، وآثار العجم والعرب في ثلاثة أجزاء .
راجع مصادر الترجمة أيضاً .

حجيلان بن عليان من قبيلة من تميم
وهو بضم الحاء وفتح الجيم

رجل شديد جسور ذو دهـــاء ورأي ، وكان صاحب بلدة بريدة واميرهـــا [١] ، ولمـــا ارتحل ابراهيم باشا المصري من عُنَيْزة حينما غزا الوهابيين قصد برَيده [٢] فأظهر اميرها المترجم المرقوم الطاعة ،وكان على خلاف عقيدة الوهابيين[٣] وان كان لدهائه مظهراً انه منهم لأمور سياسية دعته لذلك ، وكان إذا رأى غريباً يقوم بلوازمه ومصالحه وحمايته وجميع ما يحتاج اليه ، وكان ذا دين وصلاح وعبادة واستقامة وحسن سيرة ومريرة ، وأوصاف جميلة يحمد عليها بين ذويه وأمثاله ، توفى رحمه الله سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين في بريدة .

جودت باشا بن الحاج اسماعيل آغا ناظر العدلية العثمانية

الوزير الكبير ، والمشير الخطير ، عمدة الأعيان ، ونخبة الأركان ، وحبر المعارف ، وبحر العوارف ، ونصل الصواب ، بفصل الخطاب ، ولد في قصبة لوفجه من بلغاريا وكان أبوه المومأ اليه ، ممن يعتمد بها عليه ، لأنه

---

(١) كتب المترجم هنا خطأ وحقه أن يكتب في آخر حرف الحاء .

(٢) بُرَيدة وعُنيزة ، همـــا أشهر مدن القصيم ، اللأى بالقرى والمدن الصغيرة ، والواقعة جنوبي جبل شمر ، والتي تعتبر أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجي ، « جغرافية البلاد العربية » .

(٣) وصف هذه العقيدة في « عنوان المجد ، في تاريخ نجد » بأنه استنار بها التوحيد بعد ما خفي ودرس ، وزال الشرك بعد ما رسا في البلاد وغرس ، وأطفئت نيران الظلم والفتن ، ورفعت مواد الفساد والمحن ، ونشرت راية الجهاد ، على أهل الجور والعناد اهـ .
قلت : ثم صار لقب الوهابي علماً على أهل الحق في كل زمان ومكان ، ولما دعا الجد المؤلف الى اتباع الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، لقب بالوهابي أيضاً !!

حدقة انسانها ، وعين أعيانها ، وركن مجلسها ، وعائلته من أكرم العائلات وأرأسها ، وقد بذل المترجم همته ، مذ نيطت عنه التمائم [١] ، بكسب المعالي ونيل المكارم ، الى أن صار للتلقي أهلاً ، وللترقي محلى ، فجاء الى الاستانة العلية ، في أوائل سنة الف ومائتين وخمس وخمسين هجرية ، وكان ذلك في أواخر أيام السلطان محمود خـــان [٢] ، فألف حاشية على الشافية لابن الحاجب وسماها « غاية البيان » فكانت حسب الواجب ، وسلك مسالك العلوم العربية ، وخاض بحار الفنون الأدبية ، وأتقن من كل علم حقيقته ومجازه ، وشهد له بالكمال شيوخه وكل منهم أذن له في التدريس وأجازه ، ثم قرأ الفارسية وأتقنها ، كما أنه حفظ اللغة العربية وأحسنها ، وأما العلوم الرياضية والطبيعية وعلم المعقولات والسياسة ، فلا ريب أن له فيهـــا كمال التقدم والرئاسة ، وفي سنة الف ومائتين وإحدى وستين ، وجهت اليه رتبة مدرس أول بين المدرسين ، وتمم شرح ديوان الصاحب الجليل ، الذي كان قد شرع في شرحـــه فهيم افندي ومات قبل التكميل ، وفي سنة الف ومائتين وست وستين لما فيه من كمال الأهلية ، صار عضواً في مجلس المعارف العمومية ، وفي أيام المرحوم عباس باشا خديوي مصر ، رافق فؤاد باشا في سفره الى القاهرة ذات القدر ، ثم بعد رجوعهـــا وجهت اليه عضوية مجلس المعارف الداخلية ، الذي أنشىء في دار السعادة العلية ، ويوم فتحه قدمت الى الحضرة الشاهانية ، نسخة من القواعد التركية ، التي اشترك هو وفؤاد باشا في تأليفها ، واتقانها وتهذيبها وترصيفها ، ثم ألف الرسالة المسماة بمدخل القواعد ، ثم اختصرها وأجاد بمـــا أراد من الفوائد ، وفي سنة ألف ومائتين وسبعين

---

(١) كناية عن الكبر .

(٢) هو محمود خان الثاني (المولود سنة ١١٩٩ هـ والمتوفى سنة ١٢٥٥) .

صدر قرار مجلس المعارف السنية ، أن يؤلف تاريخاً محتوياً على وقائع الدولة العلية ، فألف تاريخاً قد ارتاحت له النفوس واطمأنت ، وهو عشر مجلدات بالتركية قد تم وطبع واشتهر بتاريخ جودت ، وفي سنة احدى وسبعين وجهت عليه مولوية غلطة فصار من الموالي ، وبعدها بسنة وجهت عليه باية مكة المشرفة ثم عضوية مجلس النظامات العالي ، وفي أثناء ذلك أحيلت اليه رئاسة المجلس المقام لتنظيم القانون المتعلق بالأراضي المشهور ، وهو الذي رتب مجموع قوانين الدولة العلية في ابتداء الأمر المسماة بالدستور ، ثم بعد رجوعه من مأمورية التفتيش مع قبرصلى زاده محمد باشا الصدر الأعظم ، وجهت اليه مأمورية فوق العادة فسار الى اشقودره وأزال ما كان بهـا من كدر ولم ، ثم وجهت اليه رئاسة القومسيون [1] الذي أقامه فؤاد باشا في أيام صدارته ذات المعالي ، لأجل ترويج الاجراءات المبنية على الانهاءات التي كان المفتشون العثمانيون في اناطولى [2] وروم ايلي [3] يرسلونها الى الباب العالي ، ثم صار مفتشاً في بوسنة ووجهت اليه باية صدارة اناطولى ، وبعد أن رجع من بوسنة وعاد ، سار بمأمورية مخصوصة الى جبل قوزان وقبودار وكاور طاغ وجبل الاكراد ،لأجل أمور سياسية ، من تعلقات الدولة العلية ، وفي سنة احدي وثمانين ذهب الى الاسكندرونة للنظر في

---

(١) كلمة افرنجية ، معناها : المجلس . (قاموس اللغة العثمانية للانسي) .

(٢) الأناضول (Anatolie) : في تركيا : منطقة أنجاد وجبال ، يجاورها البحر الأسود وبحر مرمرا ، والبحر الايجي والمتوسط ، وتعرف أيضـاً بـبـلاد آسيا الصغرى .

(٣) الروملي أو بلاد الروم : اسم اطلقه الأتراك على الاقليم الشامل تراقيا ومكدونيا وغيرها من البلاد الواقعة بين البلقان والبحر الأسود ، وبحري مرمرا وايجه ، وسلسلة جبال اليونان اهـ (من المنجد) .

أحوالها ، واصلاح باديتها وجبالها ، وفي ربيع السنة المذكورة وجهت اليه رتبة الوزارة السامية ، وولاية حلب وكانت سيرته بها حسنة نامية ، فأقام سنتين ، ثم وجهت اليه رئاسة ديوان أحكام العدلية ، وبعد سنتين تحولت اليه رئاسة جمعية العلماء لترتيب مجلة الأحكام المرعية ، وبعد انفصاله اعتزل مدة عن الاشغال المهمات ، ثم صار عضواً لشورى الدولة وعضواً في قومسيون (مجلس) الاصلاحات ، ثم صار مأموراً في الولاية التي شكلت لترتيب ألوية بياس[١] ومرعش[٢] وقوزان ، ثم رجع الى رئاسة قومسيون المجلة ذات الشان ، ثم صار ناظر الاوقاف الهمايونية (السلطانية) ، ثم وجهت اليه نظارة المعارف العمومية ، ثم جعل معاون شورى الدولة العالية ، ثم وجهت اليه ولاية يانيه[٣] ثم عاد لنظارة المعارف السامية ، ثم وجهت اليه نظارة العدلية المنيفة ، ثم وجهت اليه ولاية سورية الشريفة ، ثم رجع الاستانة العلية ، وتقلب في نظارات مختلفة سنية ، ثم صار ناظر العدلية الجليلة مع حيازته على معالي الاقتراب ، وفي رمضان عام ألف وثلاثمائة وسبعة انفصلت عنه لأمور خفية الاسباب ، وبقي عضواً في المجلس الخاص ، معدوداً من الاعيان والخواص ، الى أن توفي في الاستانة عام ألف وثلاثمائة واثني عشر ودفن بها رحمه الله .

✳

(١) بياس : بلدة على خليج اسكندرونة .

(٢) مرعش : مدينة في تركيا على حدود سورية الشمالية .

(٣) لعلها : يانينا وهي مدينة في ألبانيا على بحيرة يانينا .

حرف الحاء

الشيخ حامد بن احمد بن عبيد العطار الشافعي الاشعري الدمشقي

فاضل العلماء ، وعالم الفضلاء ، وامام السادة الدمشقية ، وهمام القادة العلمية ، مرجع الخاص والعـــام ، ومجمع الجهابذة الاعلام ، شيخ الجميع في زمانه . ومقتدى العموم في وقته وأوانه ، وصاحب الدرجة العالية ، والمرتبة الرفيعة السامية ، فهو من المتطين مطايا المعالي ، والمتحلين بحلل الهمم العوالي ، ولد بدمشق سنة ست وثمانين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده وليس له غير الاستفادة من إلف ، فكان من دأبه الطاعة والعبادة ، والتقوى والزهادة ، والجد في طلب العلوم ، والاجتهاد في تحقيق المنطوق والمفهوم ، وقد أخذ عن عدة مشايخ ، ما منهم إلا وهو في العلم جبل راسخ ، فمنهم والده الشهاب أحمد العطار ، ومنهم الامام الشيخ أحمد الرحمتي المشهور في الأقطار ، ومنهم عالم الديار الشامية الشيخ محمد الكزبري ، وغيرهم ممن هو بكل فضيلة حقيق وحري ، الى أن صار صدر الشريعة والدين ، ناشراً بتحقيقه طي العلم بالكشف المبين ، جامعاً لصحيح حديث الفضائل ، آتياً بتدقيقه بما لم تستطعه الأوائل ، فلعمري انـه لهو العلامة المحقق المفضال ، والمحدث الناقد البصير المعروف بكل كمال ، والجامع أشتات الفضائل ، والمسارع لأضواء جميع الشمائل ، من انعقد الاجماع على أنه فخر المحققين قديماً وحديثاً ، وصدر المدققين فقهاً وتوحيداً وتفسيراً وحديثاً ، وكان في علم الحقيقة أستاذاً ، وفي ارشاد الطريقة ملاذاً ، ولا شك أنه اشتهر في العلم أي اشتهار ، وكان في عصره كالشمس في رابعة النهار ، وكان يقرأ صحيح الإمام البخاري في تكية السلطان سليمان خان ، كل صباح خميس من رجب وشعبان ، فيجتمع في درسه الأعيان والعلماء ، والأكابر والفضلاء ، وكانت قراءته له بعد والده المرحوم الشيخ أحمد العطار ، المنتقل إليه بعد وفاة علي افندي الداغستاني ، الذي سار صيته في الأقطار وطار ، المنتقل اليه بعد وفاة علي افندي المرادي ذي القدر والشان ، إلا أن علي افندي المرقوم كان يقرأ الهداية في هذا المكان ، في فقه الإمام الأعظم قدس الله سره ، وأولاه

لديه كل بشر ومسرة ، وكان يقرأ بقية دروسه تارة في داره وتارة في جامع بني أمية (١)، ولدروسه طلاوة وحلاوة وشهرة قوية ، وفي سنة اثنتين وستين ومائتين وألف قصد حج بيت الله الحرام ، وزيارة سيدنا محمد سيد الأنام ، ولما وصل الى قلعة القطرانه وهو راجع من البلاد الحجازية ، تم أجله ونشبت به أظفار المنية ، ودفن بها وقبره ظاهر مشهور ، جمعنا الله به في دار المسرة والحبور ، آمين .

حجليلان بن عليان من قبيلة من تيم

وهو بضم الحاء وفتح الجيم

(راجع ترجمته في ص ٤٥٨)

الشيخ حسن بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن ابن ابراهيم بن عبد الله الشهير بالبيطار

الشافعي الأشعري النقشبندي الدمشقي ولادة وقراءة ، الميداني إقامة ومدفناً ، الوالد الأعظم ، والسيد الأفخم والأكرم ، والعالم النحرير ، والمدقق الخبير ، شافعي زمانه ، والمعي أوانه ، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية ، والمقتدي بالكتاب العزيز والسنة المحمدية ، بحر العلوم والمعارف ، الشارب من أطيب مناهل العرفان واللطائف ، الآخذ بعزائم العبادة ، والجاعل التقوى الى الآخرة زاده ، الصوفي النقي الصالح ، والزاهد التقي العابد الناجح ، من أطبق الناس على فضله ، واقتدى العموم بصدق قوله وفعله ، ان نطق رأيت البيان متسرباً من لسانه ، وادركت من بيانه تمام عرفانه ، حوى الكمالات وحازها ، وتحقق حقائق العلوم ومجازها ، فالفضل حشو ابراده ، والنبل تلو اصداره وإيراده ، مع نفس عذبت صفـــاء ، وشيمة ملئت وفاء ، ومذهب صفا صفاء التبر ، وخَلَصَ من شوائب الخيلاء والكبر ، وسعَى لكل نجح ، واستوى على ذروة التحصيل والربح ، وأدبٍ

---

(١) في ترجمته من « روض البشر » للشطي ما نصه : وكان هو والعلامتان الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي طبقة واحدة ، مولداً ووفاة ، ومذهباً وتصدراً في العلم ، رحمهم الله تعالى .

زرت على صدر السنة جيوبه ، وهبّت بعرف النفس المطمئنة صباه وجنوبه .

ولد رضي الله تعالى عنه أثناء سنة ست ومائتين وألف ، وشب في حجر والده ، ويد العناية والرعاية تجذبه الى أسنى مقاصده ، وحينا بلغ سن التمييز وجهه والده لتعليم القرآن العزيز ، عند الفاضل الكامل ، والعالم العامل ، الشيخ فتح الله افندي فقرأ القرآن ، ثم حفظه على تمام الاتقان ، الى أن صار يعتمد عليه فيه ، ويطلب منه ما استتر من مشكلاته وخوافيه ، وكان مواظباً على تلاوة آياته ، في غالب أوقاته ، وتفقه على علامة وقته الشيخ صالح الزجاج ، والشيخ حسن العطار المصري الازهري ، والشيخ عبد الله الكردي ، وغيرهم مما هو مذكور في ثبته ، وقرأ كثيراً من العلوم الآلية والشرعية ، على من تقدم وعلى سادة ذوي مقامات علية ، وشهرة سنية ، منهم علامة العلماء وفهامة القادة الفضلاء ، الشيخ خالد الحضرة النقشبندي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ نجيب القلعي والشيخ عبد الرسول المكي والشيخ عمر المجتهد والشيخ عبد الغني السقطي وغيرهم من العلماء الاعلام ، والفضائل الكرام ، ولا زال يترقى في مدارج العلوم ، حتى استوى على عرش المنطوق منها والمفهوم ، ويشار بحل المشكلات اليه ، ويعتمد في عويصات المسائل عليه ، واعترف له مشايخه بالاجادة ، وألزموه بالتدريس والافادة .

ولما بلغ من العمر ثلاثين ، طلبه أعيان أهل الميدان للقيام بوظائف الامامة والخطبة والتدريس والتعليم في جامع كريم الدين [1] ، فتمنع جهده ، وأظهر أن مطلوبهم ليس عنده ، فاستعانوا عليه بشيوخه ، واجتهدوا في طلبهم له لما يعلمون من تمكنه في العلم ورسوخه ، فأجاب دعوة شيوخه في

(١) هو المعروف الآن بجامع الدقاق ، وقد عمره الصاحب الكبير كريم الدين المتوفى سنة ٧٢٤ هـ وكان حسن الخلق ، عاقلاً سمحاً داهية وقوراً ، مرض نوبة ، فزينت مصر لعافيته ، (انظر الشذرات ج ٦ ص ٦٢) .
وقد دُعي المترجم وهو جدنا الأعلى إلى الإمامة والخطبة والتدريس في هذا الجامع سنة ١٢٣٦ هـ وكاتب هذه السطور هو خطيبه ومدرسه بعد أسلافه ، منذ عام ١٣٣٤ هـ حتى الآن . (وكتب هذا سنة ١٣٨١ هـ) .

الحال ، وقابل الأمر بالامتثال ، وانتقل بعياله ومتاعه الى الميدان ، سنة الف ومائتين وست وثلاثين وكان لهم به من الحظوة والسرور ما كان ، فانقاد له الكبير والصغير ، وأحبه الجليل والحقير ، وقدموه على الملك والمال ، والأهل والعيال ، وكان هو لهم بمنزلة الوالد والشقيق ، والرفيق الرّفيق ، يجل كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويعظهم بما ينفع ، ويذب عنهم الأذى جهده ويدفع .

ومما وقع له من الأمور الغريبة ، والحوادث النادرة العجيبة ، انه في سنة اثنتين وستين ومائتين وألف في رمضان ، كان جالساً في حجرته قبيل الزوال يتدارس القرآن مع أحد أولاده ، إذ جاءه رسول القاضي فقال له : إنّ القاضي يرومك فبادر لمراده ، فقام ممتثلاً ، وللاجابة مستعجلا ، فلما دخل عليه ، نظر القاضي بعين المقت اليه ، وقال له أنت الذي قد استملت الناس اليك ، حتى صاروا لايعتمدون في مصالحهم إلا عليك ، وان السلطان قد وجه حاكماً لمصالح العباد ، وأنت قد حلت بيننا وبينها وهذا عدوان وفساد ، وما زال يقرعه هو وأهل المحكمة ، وينسبون إليه كل مفسدة ومظلمة ، الى أن أمر القاضي بحبسه في حبس الاشقياء الطغام ، وقال له هذا جزاء من يتعرض لمصالح الحكام ، ولم يصغ لقوله ولا لاعتذاره ، بل كلما بالغ في تلطيفه بالغ في انذاره ، فاستدار حوله الاعوان ، وأخذوه الى الحبس واسلموه للسجان ، فدخل السجن وهو راض بالقدر ، ليس في قلبه تغير ولا كدر ، وجلس يتلو القرآن ، وأهله وأولاده وعائلته ليس لهم خبر بهذا الطغيان ، فما أذن العصر ، إلا وقد شاع هذا الامر ، فقام الناس على ساق ، واظهروا حالة الخلاف والشقاق ، ورعدت رعود الفتنة وسال سيلها ، وانسحب على بهجة الامن والركون ذيلها ، وسدت الطرق من ورود الافواج ، حتى لم يبق لسالك من مسلك ولا لناهج من منهاج ، وكل انسان متقلد بانواع السلاح ، لا يصغي لعاذل ولا لاح ، وكل من القاضي وأعوانه تخالَ انه بلغ مطلوبه ، ونال من هذا الفاضل مرامه ومرغوبه ، وانه قد أدب فيه سواه ، وجعله هدفاً لسهام من عداه ، فلما صار الغروب توجه الناس لنصرة الدين افواجا ، جاعلين ذلك لرضى مولاهم منهاجا ، فلما سمع القاضي بذلك ، علم انـــه اوقع نفسه بالمعاطب والمهالك ، فندم حين

لا ينفعه الندم ، وفهم أن ما صنعه زلة قدم ، فبادر للتوقع على السادات الاكابر ، وهم يقولون له انت متعنت مكابر ، قد فتحت علينا للشر بابا اي باب ، وسلكت سبيل الغي واخطأت طريق الصواب ، اظننت انه بسبب فعلك هان ، وانه لا ينتطح له كبشان ، فانظر ما وقع من سوء فعلك ، والله يعلم ما يحصل لك وللناس من اجلك ، فقال لقد اغراني اعواني ، وألقوني في اودية ذلي وهواني ، وقالوا لا تخش من تأديبه لأنه رجل حقير ، لا يسأل عنه كبير ولا صغير ، واني الآن قد اعترفت بذنبي ، وتبت الى مولاي وربي ، فأحضروه لاعتذر اليه ، واقبل رأسه ويديه ، وها انا ذا الآن لامره مطيع ، وعندكم في كف هذا الامر وقيع ، فعند ذلك اجتمع العلماء والاعيان ، وتوجهوا وأمامهم نقيب الاشراف السيد احمد افندي العجلاني لاخراج المترجم من السجن بالعظمة والشان ، فحينما دخلوا عليه ، وقدموا جميل العبارات اليه ، وطلبوا منه ان يعفو عن ظالمه ، وان يقابله بمراحمه ، فقال انا ما جرى لي ذلك إلا بذنب اقترفته ، وان كنت ما تذكرته ولا عرفته ، ونسأل الله ان يعفو عنا ، ويقبل صالح الاعمال منا ، ثم ساروا جميعاً الى دار النقيب ، فحينما رآه القاضي بادره بالترحيب ، وأبدي اعتذاره لديه ، وعانقه وقبل يديه ، ثم رجع إلى مكانه ومعه من الناس ألوف كثيرة ، ولا زالوا يطلقون البارود بين يديه ويلعبون بالسيوف والسنان الى ان وصلوا به الى داره الشهيرة ، ولم يمض بعد ذلك مدة ايام ، إلا وأباد الله ذلك القاضي وأعوانه وأدار عليهم كؤوس الحمام .

ثم انه في آخر شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين والف قد حضر من السلطان الغازي عبد المجيد ، مرسوم سني يأمر فيه بدعوة الوالد المترجم والشيخ عبد الرحمن الطيبي الى الاستانة ويؤكد غاية التأكيد ، فأحضرهما حضرة الوالي صفوتي باشا بالتعظيم وأخبرهما بما كان ، وأعلمها بأن السفر قد تعين ثامن رمضان ، فتوجها على نفقة الملك الجليل ، بكل إكرام وتعظيم وتبجيل ، الى ان دخلا القسطنطينية ، دار المملكة السنية ، فنزل كل منهما في مكان ، ولاحظتها عين الرفعة والإحسان ، وكانت مشيخة الاسلام إذ

ذاك لحضرة من تصرف من حين شبيبته بدراسة المعارف ، وإفاضة العوارف ، وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه ، وروضة أجفانه ، السيد احمد عارف حكمت بك ، فكان لوالدي منه الالتفات الوافر ، والميل المتكاثر ، وكان يكثر بينهم البحث والحديث ، خصوصاً فيما يتعلق بالتفسير والحديث ، فلذلك كان مقدماً عنده على ماسواه ، وملحوظاً بعين عنايته ورضاه ، وكل منهما اخذ عن الآخر وأجازه ، وأسمعه حديث الأولية وذكر معناه وحقيقته ومجازه ، ثم قرأ كل منهما الفاتحة ، ودعوا لهما وللمسلمين بالدعوات الصالحة ، وقد مدح الأستاذُ الأعظم ، شيخُ الاسلام والمسلمين الأكرم والدي بهذه الابيات على الارتجال ، من غير إمهال ، وهي :

ياقلب أبشر بما ترجوه من منن فقد حظيت بشهم كامل فطن
حليف علم امــام سيد ثقة أخلاقه الشم قد جاءت على سنن
فقلت للقلب هذا مـــاتؤمله لقد بلغت المنى والانس من حسن

فأجابه سيدي الوالد حفظه الله ، وأحسن مثواه ، بقوله :

شمس المعارف تغنينا عن السرج ومنهج الفضل لايخفى لمن يلج
وطالع السعد لايعروه كاسفة وعارف الدهر محفوظ من العوج
شيخ الأنام الذي طابت مآثره بحر الكمالات ذوالأمواج واللجج
فرع النبوة وصف الحسن لابسه فنوره ظاهر في وجهه البهــج
شهم همام وللمختار نسبته فيالها نسبة تسمو لمبتهــج
رب المعارف والأبحاثُ شاهدة بكونه عارفاً حقاً بلا حرج
طود من العلم والاحسان جمله حلم به قد سما الأسمى من الدرج
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا من فضله نظرةً تدني من الفرج
يامبتغي العلم لذ ان رمت ري صدى بنهل بفنون العلم مبتهــج
ياسائلي عن دليل الصدق في خبري شواهد الفضل لاتحتاج للحجج
فيمّم الركب وانزل روض ساحته واشمم شذا طيبه الفياح بالأرج
فمنصب المجد فيه حاز غايته وقد سعى نحوه بالصدق واللهــج

وكوكب السعدمسعود بطلعته　　يلوح في ذروة الأفلاك بالبلج
ومن يقف بالحمى نودي بلغت منى　　هذا الغياث ففز بالبشر والفرج
فالله يحفظه من كل نازلة　　ممتعاً بسرور عنه لم يعج
ما نال كل المنى في مدحه حسن　　معطراً من ثناه نفحة الأرُج

ثم انه بعد تمام رمضـان ، قامت دواعي الأفراح من كل زوجين اثنان ، وذلك لختان جلالة السلطان مراد والسلطان عبد الحميد شبلي مولانا المعظم امير المؤمنين السلطان عبد المجيد ، وكان فراغ مواكب الختان ، ذوات العظمة والشأن ، نهار الجمعة حادي وعشرين من شوال ، سنة ثلاث وستين ومائتين والف من هجرة محمد شمس الكمال ، وقد أنشد سيدي الوالد في تهنئة السلطان ، ومؤرخاً ذلك الختان :

ظهر السرور وزالت الضراء　　وصفا الزمان ونجمه العلياء
وترنمت اطيار روضات المنا　　بدوام عز لم يشبه فناء
وتراقصت اغصان هاتيك الربا　　حيث المغارس ارضها الفيحاء
وتدلت الزهرالكواكب فرحة　　وبدا الهناء ولم يصبه عناء
والناس طرا قد تزايد بشرهم　　وعلا الجميع بشارة حسناء
وعلى الرؤوس مشوا بأفخر حلة　　ياحبذا تلك الخطا الحسناء
وترى النجوم من البحور تصاعدت　　فكأنها للناظرين سماء
نغمات أنس بالتهاني اقبلت　　بترنم تسمو به الأرجاء
يابهجة للعالمين بأمرهم　　حيث الاماكن زانها النجباء
بكواكب منها الخيام تزينت　　بشموس افلاك هم الوزراء
وكذا الموالي للرحاب تواردوا　　والبشر فيهم قد علاه هناء
لما أنال الله بغيتنا بدا　　ملك الندى وعليه راق بهاء
فأراح أرواح الانام ببشره　　وتروحت من نشره الارجاء

عبد المجيد ولم يزل متمجدا　　بين البرايا سيفه الامضاء
جمع الجموع ليشرفوا بجنابه　　وحضور سُنّة من هُداه سناء

إلى أن قال :

فأدام عزهما بمجد أبيهما　　وكساهما حللا لهن بهاء
وأدام سعد كاليهم طول المدى　　وأدامهم مادامت الزهراء

ثم بعد الختان تكرر له الاجتماع بحضرة ذي العظمة والشأن ، مولانا السلطان عبد المجيد خان ، وعرضت عليه الدولة العلية اجراء معاش جزيل ، فقال لم يبق في العمر إلا قليل .

ومن النوادر اللطيفة ، والوقائع الظريفة ، اني اجتمعت سنة ثمانين ومائتين والف في مدينة غزة ، بمفتيها حضرة الإمام الفاضل ، والعلامة الكامل ، السيد محيي الدين افندي الحسيني ، فكان من جملة المذاكرة أن حكى لنا أنه بعد انفضاض موكب الختان شرف حضرة تميمي افندي مفتي مصر القاهرة الى بلد الخليل للزيارة ، وكان طريقه على غزة ، فنزل في دار محيي الدين افندي المرقوم ، فسأله عن سفره الى الاستانة واجتماعه بالسلطان وعن موكب الختان ، فحكى له الى ان قال له : ولما دخلنا مجلس السلطان للاجتماع معه وكان المجلس في غاية الاتساع ، فأخذ كل منا مجلسه والسلطان بعد لم يحضر ، والحاضرون كل منهم لايعرف الآخر ، وكل منهم يظن ان الحاضرين على غير لغته ، فضاق صدري لذلك ولم أدر ما أفعل ، الى ان رأيت إنسانا عليه الهيبة والوقار ، قد نظر الى الخادم وقال : أسقني ماء مع انه لم يرد ذلك ، ولكن أراد ان يفتح للحاضرين باب معرفة في بعضهم [مع بعض] فعرفه الحاضرون بأنه عربي ، فقمت اليه وقعدت بجانبه ، وتكلمت معه ، وعرف كل من الحاضرين من يفهم عليه ، وانضم اليه ، واشتغل كل منهم بالمذاكرة مع من يأنس به ويفهم لغته ، وكان أصل ذلك هذا الانسان فاستسميته فقال أنا من الشام واسمي حسن البيطار وهو المترجم

المذكور واستسماني ، ونلنا بعضنا [مع بعض] في هذا المجلس وبعده غاية الانس والتهاني ، ووجدته عالماً فاضلا ، وشهما كاملا ، ومدح وأطنب ، وأطال وأسهب اه ، ولم يزل هذا المترجم في الاستانة معظما مبجلا ، مكرماً مفضلا ، الى ان حصل لهم الاذن الشريف بالعود الى الوطن ، مقلدين قلائد الفضل والمنن ، وكان يوم السفر من الاستانة يوماً مشهوداً ، وموكباً للاجتماع مقصوداً ، اجتمع فيه للوداع السادات والأكابر ، وذوو المراتب والمفاخر ، وكان يوم دخوله إلى الشام يوم اجتماع وسرور ، وهناء وحبور ، كاد أن يقال مابقي في الشام انسان ، إلا وقد خرج لاستقبال هذا الحبر المصان ، وكانت مدة سفره أربعة أشهر ، لأنه بدأ السفر في ثامن رمضان سنة الف ومائتين وثلاث وستين ، وانتهى سفره ثامن محرم الحرام سنة أربع وستين .

وكان رضي الله عنه مواظباً على التهجد وصلاة الفجر في الوقت الأول ، وبعد الصلاة له أوراد لايبرح عنها في سفر ولا حضر ، منهـا أوراد الصباح والمساء الواردة في السنة ، فإنه كان يقرأها صباحاً ومساء ، ومنها أنه يقرأ في كل يوم من القرآن جزءاً ، فيختم في كل ثلاثين يوما القرآن بتمامه ، ومنها قراءة حزب الامام النووي كل يوم ، ومنهـا قراءة الدور الأعلى وصلاة بن مشيش وقراءة سورة الكهف ومريم وطه ويس والدخان والواقعة وتبارك الملك وعم يتساءلون وسبح اسم ربك الأعلى وإنا أنزلناه والاخلاص والمعوذتين والفاتحة ، وله أوراد عقب كل صلاة ، وأوراد يقرأها في بعض الأيام ، ليس له ملازمة عليها (١) ، وكان كثير الزيارة لمشـاهد السادات ، حسن الخلق يغلب عليه الزهد والاعراض عن الدنيا ، وكان اذا تصعب أمر بين الناس من حقوق وغيرها بمجرد حضوره وتكلمه فيه ينقضي أمره على أحسن حال ، وذلك لصفاء نيته وحسن سريرته .

---

(١) ومن باب أولى أنه لايلزم الناس بها ، ولا يحملهم على قراءتها .

وفي سنة سبع وستين ومائتين والف توجهت معه إلى الحجاز ، وكانت هذه المرة له المرة الثالثة ، ورأيت منه في السفر مايدل على سمو درجته ، وكان له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية ، وأبحاث شريفة سنية ، وكانوا يشهدون له بالفضل .

ولو أردت أن أذكر في هذه الكتابة ما حواه من الشمائل وما لديه ، لأفضى الأمر إلى قصر هذا الكتاب عليه ، ولكن مالا يذكر كله ، لايترك كله . وفي ثاني وعشرين من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين والف مرض في داء ذات الجنب ، وفي ليلة رمضان سأل عن إثبات الشهر ، فأخبرناه بإثباته فشرب في السحر ونوى ، وأصبح يعالج سكرات الموت ، فوضع له بعض عياله نقطة ماء في فمه ، ففتح عينيه ومسح فمه ، وأمرهن بالاشارة بعدم العود لمثل ذلك . ومات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف ، وكان آخر كلامه من الدنيا الذكر ، وكان نزوله لرمسه مع قول المؤذن للمغرب الله اكبر ، وقد حضر مشهد جنازته جمع عظيم ، وعدد جسيم ، وما ترى منهم الا من دموعه ساكبة ، وأحزانه متفاقمة دائبة ، وأسفه متزايد ، وزفيره متصاعد ، وذلك كما تقدم في غرة رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين والف ، ودفن رضي الله عنه في تربة باب الله بجانب قبر سيدنا تقي الدين الحصني من جهة الشمال ، وقبره ظاهر مشهور يزار ، ولقد رثاه حفيده ابن أخي الأديب الأريب الشيخ محمد بهاء الدين البيطار :

ماقر قلبي من نواك ولاسكن ... كلا ولا عمري أميل الى سكن
غادرت لي مر الصبابة والاسى ... وسلبتني حلو المسرة والوسن
امري وأبكي في المعاهد شاكيا ... وجدي فترثي لي الحمامة في الفنن
والوعتي ما للحمام بدافع ... حكم الذي علم السرائر والعلن
ياوحشة للشام مذ بان الذي ... فاق الأفاضل بالمعارف والفطن
بحر تفجر من عيون بنانه ... عذب البيان مسلسلا من كل فن

ان لم يكن اهلا لكل فضيلة ولمنتج ان لم يكن غوثا فمن
لله طلعة وجهه اذ طـابقت لاسم له فلذاك يدعى بالحسن
سار المنون به ليسعد رمسه بمطالع الأنوار من شمس الزمن
بالله يانعش الحبيب تمهـلا أو ماعلمت البدر غيب في الكفن
قسما بغر خصـاله لفراقه حن المصلى بعده وشكا وأن
والصحف تندبه لفقد جواهر كانت بها من قبل غالية الثمن
والدهر قمص من برود مصابه ثوبا له حـاكته ناسجة المحن
صبراً لئن ظعن الحبيب فذكره فينا بحسن الوصف دوما قد قطن
لما دعته الحور تخطبه لها كفؤا كريما مال عن دار الحزن
وافاه شهر الصوم ليلة نزعه فنوى وأمسك صائما وفق السنن
وبيومه عند الغروب مغيبه في اللحد يرجو رحمة من ذي المنن
حيّا ضريحا ضمه وسقى ثرا ه العنبريّ النشر وسميُّ المتن (١)
وأصابه الإحسان ماصب صبا لنسيم نجد ذاكرا عهـد الاغن
وحباه صفو الانس ماعام القا تاريخه روض الجنان له الوطن سنة ١٢٧٢

وكثير من الناس من رثاه ، وذكر بعضا من صفاته وحلاه ، ويكفي ما قد ذكرناه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضـاه . ولقد تشبهت بمن رثاه ، ورثيته وان كنت عاجزاً عن معرفة قدره وعلاه ، فقلت ، وعلى الله اعتمدت ، وبحبله المتين اعتصمت .

غاب بدر العلوم تحت التراب وتوارت شمس العلا في الحجاب
ونعاه الناعون من كل فج مات قطب الشآم عالي الجناب

---

(١) أي أصاب جدثه الغيث المتتابع ، كناية عن سعة الرحمة .

قل لمغترٍ بالحياة تنبه لرحيل فالعمر لمع سراب
لو حياة دامت لصاحب قدر لاستدامت لصفوة الاحباب
ان في ذا للعالمين لذكرى يتحلى بها ذوو الالباب
خل خل الملام وارث لحالي قد دهاني مالم يكن في حسابي
مات روحي ووالدي وعياذي وملاذي وسيدي ومهابي
منذ أضحت منه الربوع رسوما كان لي الدمع العندمي شرابي
كان سيفا من الشريعة حداً موقعا أرباب الشقا في تباب
قدّ قلبي اغماده في قراب من تراب فاعجب لذاك القراب
كان ذخراً لكل دان وقاص ومجيرا من أمة من عقاب
ما اعتمادي على الزمان وقداو دى بمولى عليه جل احتسابي
لو يكف البلا بساعد جود كان يفدى بالاهل والاتراب
ليس يدري الانام من فقدوه فقدوا من بكته عين السحاب
حسَنُ الاسم والمسمى أبو المجـ ـد سليل العلوم والآداب
جبل هائل المهابة راسي بحر علم غدا وسيع الرحاب
كفه من هواطل السحب أوفى وحماه ملجا ومنجى المصاب
كعبة الطالبين نيل المعالي عرفات لكل داع مجاب
ذو صلاة مرضية وصيام وقيام بالذل والانتحاب
واعتكاف تقول حين تراه ذا لعمري داود في المحراب
حسن الخلق يوسفي جمال لسن النطق مقصد الأنجاب
قد زكا محتداً وطاب نجارا وعلا قدره على الأتراب
خان دهري وغاب مذغاب صبري وسقاني النوى مرير الشراب
سلبته الأيام قهراً وكانت طوع يمناه في الأمور الصعاب
شق قوم عند الخطوب جيوبا قلت شقوا القلوب عند مصابي

ماظننا أيدي المنون ترقى ... لنوال الرفيع سامي الجناب
طود علم يسير فوق رقاب ... كيف تسعى الجبال فوق رقاب
غاب رشدي بفقد مولى نقي ... مستزيد من التقى أوّاب
ياهماماً حوى عظيم صفات ... وإماماً غدا نواك عذابي
مذخلت من سناك زهر المعاني ... عاد وجه الأيام مثل الغراب
قد جفاني من بعد بعدك صبري ... ووفاني تحسري وانتحابي
ما رأى الناس قبل مثواك غما ... غير يوم أعددته للذهاب
يوم هم ياويحه واكتئاب ... وانتحاب وزفرة واضطراب
من لدرس العلوم بعد اندراس ... من لبث الفهوم للطلاب
شدت ركناً للمسلمين قويا ... أوهنته طوارق الأحقاب
طالما ماخفت من فراقك حتى ... صاح بالبين طائر الاغتراب
لست أخشى مذ كنت حادث دهر ... صرت أخشى مذ غبت وقع الذباب
فتأمل موج البحور تجدها ... تلطم الخد في أكف الروابي
وشديد الرياح تسفي ترابا ... فوق هام ندبا على ذا العباب
قد فقدنا والله حصناً حصينا ... وهماما قطبا من الأقطاب
فعظيم على الفضائل أن تخـ ... ـفى وفي الناس طيب ذكراك راب
لست أسلو وأنت أصل وجودي ... وإلى فضلك الوسيع انتسابي
من يلمني اذا سمحت بروحي ... وعيالي وعصبتي وشبابي
رب صبراً والله إن فؤادي ... في عذاب وشدة والتهاب
حينما سار مسرعا لقدوم ... بازدحام يحكي ازدحام الضباب
نادت الحور يافريد مقام ... لك جئنا بالبشر والترحاب
خلت قبراً حللته مع اذان ... لغروب في شهر عتق الرقاب
ذاك قرب من محسن ذي جمال ... غافر الذنب للورى في الحساب
هذه رقدة باوج جنان ... عند مولى الأرباب والأحباب

أحسن الله عنك صبر المعالي   وعزاء الأتراب والأصحـــاب
وسقى روضة أويت اليهـــا   هاطلاً من مراحم الوهاب
وصلاة مع السلام دوامـــا   لنـــبي بر فسيح الرحاب
وصحاب والآل مـــع تابعيهم   مادهانا بالبين داعي المـــآب

الشيخ حسن المعروف بالموقع الدمشقي الفرضي

الفاضل الذي لايبارى ، والـكامل الذي في ميدان السبق لايجارى ، والإمام الذي اتفق العموم على علمه وتقواه ، والهمام الذي أخلص العبادة في سره ونجواه .

ولد في دمشق الشام ، ثم حضر دروس السادة الأعلام ، وقد انفرد بعلم الفرائض فـكان عليه بها مدار الفتوى ، وأحبه العموم لما جبل عليه من الديانة والصيانة والعلم والتقوى ، ولم يزل مدار رئاستها ، وإكليل هامتها ، إلى أن دعاه داعي الاياب ، إلى الجنة دار الثواب ، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف . ودفن في مقبرة دمشق المعروفة ببرج الدحداح رحمه الله .

الشيخ حسن القوزاني الخطاط الخالدي النقشبندي العراقي رحمه الله

العالم الفائق في العلوم ، والفاضل الـكامل في المنطوق والمفهوم ، مفيد الطالبين ، ومرشد الراغبين ، من أشرق بدر علاه في سماء الإقبال ، ونظر اليه العموم بعين الرفعة والاجلال ، واشتهر في نواحي العراق ، اشتهـــار الشمس لدى الاشراق ، وكان كثير الخشوع ، غزير الدموع ، ملازماً على العبادة ، مع الفقر والزهادة ، وقد تحلى بأخذ الطريق ، عن صفوة التحقيق والتدقيق ، العارف بالله مولانا خالد النقشبندي شيخ الحضرة ، رضي الله عنه

ورفع مقامه وقدره ، ثم بعد أن رآه على كمال الاستعداد ، أقامه خليفة في إعطاء الطريق وأذن له بالارشاد ، وما زال على أحسن حال ، وأتم منوال، إلى أن اختار الدار الباقية ، وترك هذه الدنيا الفانية ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وخمسين .

ملا حسن البزار

نقطة مدار الأدب ، وكعبة طواف الأرب ، والناهل من أعذب مناهل النظام ، والآهل لأبدع النثر وألطف الكلام ، طالما نظم ونثر ، والفصاحة مقبلة عليه بوجهها الأغر ، وقد أخذ من عقودها جواهر ، وحلى بها جيد الأوراق والدفاتر ، فمن تلك العقود البهية ، والجواهر النفيسة السنية ، قوله :

شجتني بذات البان[١] ورق صوادح ... لهن بأعلى الربوتين هدير
تذكرن عيشاً بالحمى راق ظله ... فطابت عشيات بها وبكور
فنحن ومالي غيرهن على الأسى ... معين ولا لي غيرهن سمير
وبت ونار الشوق بين جوانحي ... تشب ودمع المقلتين غزير
خليلي ليس الحب ماتعرفانه ... ولا تحسبا أن الغرام يسير
وما هي إلا النار تسعر بالحشا ... لها كل آن لوعة وزفير
تحاربني الأشواق في معرك النوى ... ومالي عليها يانديم نصير
فنومي وتسهيدي مقيم وراحل ... ودمعي وقلبي مطلق وأسير
نزلنا بسلع والأحبة باللوى ... وما بيننا غير النسيم سفير
تعللني منهم على البعد نفحة ... كما فاح من أردانهن عبير
وتعبث في لبي أحاديث ذكرهم ... كما عبثت بالشاربين خمور
هم أسعروا قلبي وقد سكنوا به ... ففيه لعمري جنة وسعير

---

(١) شجر معتدل القوام ، ليّن ورقه ، واحدته البانة ، ويشبه به القدّ لطوله .

وله أيضا :

ألا لامني الأصحاب يوم سويقة — وهل عرف الأحباب فيمن غراميا
غرامي بسلع ياهذيم وحاجر — وإن كنت عن تلك الأماكن نائيا
وما أنا إلا عاشق ، كل عاشق — فلا بد أن يلقى عذولاً ولاحيا
وما الدهر في أهليه إلا محكّم — يناني قريباً أو يقرب نائيـا
ولما شجاني ليلة الخيف بارق — بكيت فأمسى ضاحكا لبكائيا
وبت وخضراء الجناح بذي الغضا — مجاوبة بالسجـع مني القوافيا
وكم رمت كتمان الهوى فوشي به — لدى البين دمع ليس ينفك جاريا
هل البعد إلا أن علا وجد دارهم — ومنعرج الجرعاء ياسعد داريا
أم الوجد إلا أن أذوب صبابة — وتدمي دموعي مابكيت المآقيا
على أننا كنا وما بيننا سوى — أجارع نعمان وما كنت راضيا
الفت الهوى طفلا فشابت عوارضي — لعشرين من عمري فأين شبابيا
وحاربني من قبل خلع تمائمي — زماني فما للنائبات وما ليـا
ولست أبالي بعد هذا أكان لي — عدواً مبيناً أم خليلا مصافيا

وله أيضا :

هذا الغرام وَهذا من أحب معي — فكيف لو بان عني الحب أو بعدا
وجد تحمل منه قلب عـاشقه — مالم يَدع عنده صبراً ولا جلدا
هذا ولا ذنب للأشواق في كبدي — عيناي قد جلبت لي الوجد والكمدا
لم أنس وقفتنا يوماً بـكاظمة — والقلب يعتاده وجد بمن وجدا
والشوق يجري دموعي في معاهدها — والدمع يذكي من الأشواق ماخمدا
والورق تسعدني يوماً وأسعدها — والقلب يذكر بالجرعاء ماعهدا
والخل يعذلـني فيه فيعذرني — لما يرى أن لوم العاشقين سدى

الشيخ حسن بن عمر بن معروف بن عبد الله بن مصطفى الشطي

الدمشقي الحنبلي البغدادي الأصل الشيخ الإمام ، والعمدة الهمام ، صاحب السيرة الحسنة ، والشمائل المستحسنة ، والأوصاف الكاملة ، والفضائل الشاملة ، نشأ في معابد الطلب والاستفادة ، وأكب بعده على الاحسان والافادة . وكانت ولادته في صفر سنة خمس ومائتين وألف وله في مذهب الامام أحمد بن حنبل التآليف المفيدة النافعة ، وله أيضاً في بقية العلوم الشريفة من توحيد وبيان وحساب ومساحة . وقد شرح الإظهار في النحو ، وله مولد شريف ، ومعراج منيف ، وشرح على حزب الإمام النووي ، ومجلس في ختم البخاري (١) . وقد أخذ عن الشيخ محمد الكزبري وولده الشيخ عبد الرحمن والملا علي السويدي والشيخ مصطفى السيوطي وكثير من العلماء الأعلام ، والجهابذة الفخام . وله من النظم والنثر ، مايشهد له بالفضيلة والقدر ، ومن نظامه قوله مادحا قرية دوما وخطيبها الشيخ محمد :

عرّجا بي على ربوع بدوما ... فسلامي لأهل دار السلام

وأنيخا ركبي بها كل يوم ... نرتعَنْ في رياضها بالمرام

حفها الله بالمنا وحباها ... بأناس ذوي علا وكرام

سيما من غدا خطيب رباها ... صين من خطب هول يوم الزحام

---

(١) ثم ان المترجم تصدر للاقراء والإفادة في داره قرب باب السلام ، وفي محراب الحنابلة من الجامع الأموي ، فكان غالب من نبغوا من علماء دمشق ووجهائها قد أخذوا عنه وانتفعوا به .. رحل اليه الطالبون من الديار النابلسية والبلاد النجدية ودوما والرحيبة وضمير وغيرها ، فأخذوا عنه الفقه رواية ودراية ، وتلقوه خلفاً بعد سلف ، كما انفرد بعلم الفرائض ، دون أن يشتغل بأعمال الفرضيين ... وكان شأنه العلم والعبادة ، وكسبه كأسلافه من التجارة الخالصة . ولم يعهد له مداخلة قط في أمور الحكومة ، وكان عليه نظارة وتدريس المدرسة الباذرائية . (من روض البشر للشطي) .

ومن قوله تخميسا :

أيامن حاز فضلا فز بوصل	ففيه الخير محفوفا بشمل
وألق السمع ميمونا بقول	حبا الله النبي مزيد فضل

على فضل وكان به رؤوفا

فدع أبويه من قول أباه	أولو فضل علا تغنم حباه
فكم خير جنى حقاً لباه	فأحيا أمه وكذا أباه

لايمان به فضلا منيفا

وان تعجب فلا عجب كبير	فقدر المصطفى قدما جدير
وإياك الجمود فذا خطير	فسلم فالقديم بذا قدير

وإن كان الحديث به ضعيفا

وقد صح عند بعض أهل الكشف حديث احياء أبوي النبي ﷺ ولذلك قال بعضهم :

أيقنت أن أبا النبي وأمه	أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بفضل رسالة	صدّق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه	فهو الضعيف عن الحقيقة عاري[1]

وتوفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين وأربع وسبعين من الهجرة ،

---

(١) أضاف إلى هذه الترجمة الشيخ جميل الشطي رحمه الله ورقة بخطه ، فيها مايأتي :

وكتب اليه بعض الأدباء :

أيا حسناً تباعدَ عن محب	وبالأوراق رق له وأملى
عهدنا أن حبل الودّ منكم	مليٌ من حبال الوصل أملى
فهل للهجر عندك من وصال	تجود به على المشتاق أم لا ؟

فأجابه بقوله :

أيا خِلاً حوى لطفاً وفضلاً	وأسدى كل معروف وأولى
لئن تنصف فقد صوبت رأيا	وإن تسمح وتعذر فهو أولى
فني الأيام مايدهي ويلهي	وهل يجديك قولي دعه أولا ؟

ودفن في مقبرة قاسيون في سفح الجبل وقبره ظاهر معروف رحمه الله تعالى ، وكتب على بلاطة قبره ماناظمه له علامة وقته السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق الشام :

هل كوكب العلم استكن تحت الثرى غض الأديم
أم تخذ القبر وطن لما رأى أن لا نديم
يافاضلاً في كل فن من بعده الفضل عقيم
كم ذا له فينا منن مازت لنا الفهم السقيم
قد ملأ الدنيا حزن بندبه هذا الكريم
هو ان يكن شطي السكن لكنه بحر عظيم
حررت لما أن سكن في ظل مولاه الرحيم
تاريخه الشطي حسن يقر في دار النعيم

الشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي الأزهري المصري

الإمام العلامة أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء المتبحرين ، حلال المشكلات، وصاحب التحقيقات ، السمح السهل ، الذي هو لكل ثناء أهل ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، بمحاضرة أشهى من ريق المحبوب ، ومحادثة أصفى من الزلال المطلوب ، وبالجملة فما هو إلا فرد العصر والأوان ، وهو من الدهر بمنزلة العين من الإنسان ، وقد ترجمه الامام الجبرتي فقال ، عليه رحمة الملك المتعال : ولد بالجدية ، في سنة ثمان وعشرين ومائة والف وهي قرية قرب رشيد ، وبها نشأ ، وقدم الجامع الأزهر فتفقه على بلديه الشيخ شمس الدين محمد الجداوي ، وعلى أفقه المالكية في عصره السيد محمد بن محمد السلموني ، وحضر على الشيخ علي خضر العمروسي ، وعلى السيد محمد البليدي ، والشيخ علي الصعيدي ، أخذ عنهم الفنون

بالإتقان ، ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس في حياة شيوخه وأفتى ، وهو شيخ بهي الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة شديد العارضة يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق ، وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر ، وله مؤلفات[١] وتقييدات وحواش وكان له وظيفة الخطابة بجامع مرزة جربجي ببولاق ووظيفة تدريس بالسنانية أيضاً ، وينزل إلى بلدة الجديه في كل سنة مرة ، ويقيم بها أياماً ويجتمع عليه أهل الناحية ، ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم وأنكحتهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة إلى حضوره ، ولا يثقون إلا بقوله . ثم يرجع إلى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله إلى قابل ، مع الحشمة والعفة . توفي بعد أن تعلل أشهراً في أواخر شهر ذي الحجة ، سنة اثنتين ومائتين والف ، وجهز وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ، ودفن عند شيخه الشيخ محمد الجداوي في قبر أعده لنفسه رحمه الله تعالى .

الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري

يتيمة الدهر . وعلامة القطر . الفاضل الكامل . والعالم العامل . قال الإمام الجبرتي : ولد ببلده كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى ، فقرأ القرآن وحفظ المتون بالمحلة ، ثم حضر الى مصر ، وحضر شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ محمد الحفني والشيخ علي الصعيدي ، ومهر في الفقه[٢] والمعقول ، وتصدر

---

(١) منها : شرح البيقونية في الحديث ، ومنها : ديوان خطب .

(٢) من تصانيفه : شرح الأجرومية في النحو ، وعليها وعلى الشرح حواش كثيرة مطبوعة ، والدر المنظوم بحل المهمات في الختوم ، ورسالة في أحكام المتحيرة ، وكلاهما في الفقه الشافعي .

ودرس وأفتى واشتهر ذكره ، ولازم الاستاذ الحفني ، وتداخل في القضايا والدعاوى وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه النـاس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره وراش جناحه ، وتجمل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوي بحارة الشنواني بعد موت ابنه سيدي علي ، فزادت شهرته ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام واستعمل مكارم الأخلاق ، ثم تزوج ببنت المعلم درع الجزار بالحسينية وسكن اليها ، فاجتمع عليه أهل تلك الناحية واولوا النجـدة والزعارة والشطارة ، وصار لهم بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده ، ولو من الحكام ، وتردد الى الأمير محمد بك أبي الذهب قبل استقلاله بالإمارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني . فلما استبد بالأمر ولم يزل يراعي له حق الصحبة ويقبل شفاعته في المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد ، فزادت شهرتـه ، ونفذت أحكامه وقضاياه ، واتخذ سكناً على بركة جناق أيضاً ، ولما بنى محمد بك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رئاسة التدريس والافتاء ومشيخة الشافعية ، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الإفتاء ، وهم الشيخ أحمد الدردير المالـكي والشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي والمترجم ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها ، أنشأها لهم بظـاهر الميضأة بجوار التكية التي جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور ، حصة من النهار في ضحوة كل يوم للافتاء ، بعد إلقائهم دروس الفقه ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ، فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشأنه عند الأمراء والناس وأبرزه لهم في قالب الولاية ، ويجعل شعوذته وسيميـاه من قبيل الخوارق والكرامات ، الى أن اتضح أمره ليوسف بك فتحامل عليه وعلى

قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من إيذائها في حياة سيده ، فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه في بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتاء ، وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخليفي ، وانكسف باله وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه الاقليلا ، حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول ، ونسيت القضية ، وبطل أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله لا كالأول . ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهوراً وتعلل ، وذلك في عشرين شعبان من السنة الثانية بعد المائتين والألف ، وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين .

ومن مؤلفاته إعراب الآجرومية وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة ، وكان قوي البأس شديد المراس ، عظيم الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب على طبعه حب الرياسة ، والحكم والسياسة ، ويحب الحركة بالليل والنهار ، ويمل السكون والقرار ، وذلك مما يورث الخلل ، ويوقع في الزلل ، فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل ، ويصاحبه الخوف والوجل ، ويجمل بالتقوى ويُزَيَّن بالعفاف ، ويحلى باتباع الحق والانصاف ، أوقع صاحبه في الخذلان ، وصيره مثلة بين الاقران ، كما قال البدر الحجازي رحمه الله تعالى :

إذا بعبد أراد الله نائبة	أعطاه ماشاء من علم بلا عمل
فعده لاصطياد المال مصيدة	يعدو به عدو معدود من الهمل
مثل الحمار الذي الأسفار يحملها	وما استفاد سوى الاجهاد والملل
يقول بالأمس عندالقاضي كنت كذا	عند الأمير وقد أبدى البشاشة لي
وقام لي وبقدري قام أطعمني	حلوى وألبسني الحالي من الحلل
ومن مكاني والحكام طوع يدي	وأين مثلي وما في الكون من مثلي
أجيد فقهاً وتفسيراً ومنطق مع	علم الحديث وعلم النحو والجدل
وغيرها من علوم ليس من أحد	يحاول البعض منها غير منخذل

فصال إذ صار بالأشرار متصلاً … على الأنام صيال الصارم الصقل
له يشار إذا ماسار وهو على … ركوب بغل سمين في الدواب علي
يقال هذا فلان والصحاب به … قد أحدقت ملأت كفيه بالقبل
يصيح إذ رام يقريهم بهمته … صياح شخص عن المعقول في عقل
يقول ذا مذهبي أو ما فهمت وذا … بالرد عندي أولى ليس ذا بجلي
كأنه في الورى قد صار مجتهدا … كالشافعي وأبي ثور او الذهلي
فتاه في تيه وادي العجب ليس له … الى هداه سبيل ما من السبل
وصار منجدلاً في المقت ميت هوى … أثوابه كفناً عدت بلا جدل
فيا لداهية دهياء قد نزلت … به وزل بها في هوة الزلل
أذ أعقبته عقاباً لا عقيب له … وعلة ماعلاها قط من علل
فحين حلت به حلت حلاه وما … لمن يحاول عنه الحمل من حيل
فعنه فجنّا شنيعاً خذ بعيد ردى … على متون جياد العزم وارتحل
إذ ذلك الشخص إبليس التعيس ومن … له بإبليس بالناس من قبل
اليك ياملجأ الجاني لجا حسن … هو الحجازي الذي قد جال في الوجل
من الدعاء الذي لا نفع فيه ومن … فحش المقال وسوء الحال والحل
وصل رب وسلم ما استنار ضحى … على نبيك طه أفضل الرسل
والآل والصحب والأتباع من كملوا … ما أوجد الله من عال ومستفل

اللهم الطف بنا ووفقنا وارحمنا وأحسن عاقبتنا وقنا واكفنا شر أنفسنا يا أرحم الراحمين ، اللهم آمين .

الشيخ حسن بن اسماعيل بن حسين المغربي
حفيد صاحب البدر التمام

كان بارعاً في جميع العلوم والمعارف شيخ مشايخ عصره ، قال في البدر الطالع بعد بيان مناقبه : والحاصل انه من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت

الله عز وجل ، وكل شؤونه جارية على نمط السلف الصالح ، وكان اذا سأله سائل أحاله في الجواب على أحد تلامذته ، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبال ، سواء كان المسؤول عنه خفياً أو جليا ، لأنه جبل على التواضع .

ومع هذا ففي تلامذته القاعدين بين يديه نحو عشرة مجتهدين ، والبعض منهم يصنف اذ ذاك في أنواع العلوم ، وهو لايزداد إلا تواضعا . وكان في كل علم غاية ، وفي كل فن قد بلغ بالنسبة لأمثاله النهاية . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثمان .

الشيخ حسن بن خالد الحازمي العريشي

عالم كبير ، وفاضل شهير ، قال في التاج : ولد سنة الف ومائة وسبعين وقد صار لمزيد ذكائه ، وفرط وداده ووفائه ، وحسن حفظه ، وقوة إدراكه ، من أفضل العلماء الأعلام ، والسادة القادة الكرام ، ثم لما استولى أهل نجد على بلاد أبي عريش ودخل الشريف حمود في طاعتهم ، صار هذا عنده هو المرجوع اليه ، والمعتمد في الأمور الشرعية عليه ، وكاد حمود يطيعه ، ويأتم به ولا يخالفه ، ثم ارتفعت درجته حتى صار يقود الجيوش ، ويتولى الحروب ويقيم الحدود مستقلا ، وحمل الناس على العمل بالسنة (١) ، ومنعهم من التدريس في فقه المذاهب بأسرها ، فعظم ذلك على المقلدة . ولم يزل على هذه الطريقة حتى قتل في المعركة سنة الف ومائتين وأربع وثلاثين .

---

(١) له : نثر الدرر ، على منظومة الشيخ محمد سعيد سفر ، في عدم التعصب والابتداع .

الشريف حسن أبو أحمد بن علي الحسيني البخاري القَنّوجي العالم العلامة

فرع من ذؤابة هاشم ، ونبعة من وشيج تلك المكارم ، من آل السيد جلال الدين البخاري ، وهو من عصبة كلهم سادة مكرمون ، لايمس صحف مجدهم إلا المطهرون ، من حدث البشرية ، ودنس الهيولى الدنية ، من كل من قضى للعلياء وطرها ، وتلا آيات الكرامة وسورها ، تعبق منهم أنفاس النبوة ، وتجر لهم على وجه البسيطة أذيال الفتوة ، ولم تمح محاسنهم من صحائف الليالي والأيام ، ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والأقلام .

ولد رحمه الله سنة الف ومائتين وعشر . ثم قرأ القرآن وتعلم الفنون الآلية وحصل الأدب وسافر إلى البلاد ، ودار على المشايخ الأمجاد ، من أجلهم أبناء الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي ، وهم الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر رحمهم الله تعالى ، وكان له محبة أكيدة مع الشيخ اسماعيل الشهيد ، والشيخ عبد الحي المرحوم ، وكانت بيعته على يد السيد العارف أحمد البريلوي ، سافر معه الى خراسان ، وجاهد في الله باللسان والجنان والبيان ، والصارم والسنان ، ثم عاد الى موطنه قنوج ، وألقى به عصا التسيار ، واشتغل بالتأليف والتذكير ، وهدى الناس الى هدى الله الجبار ، وكان آية بينة من آيات الله في التقوى والعبادة والعمل ، وتأثير الوعظ وقلة الأمل ، وإيثار القناعة في المأكل والمشرب والملبس ، ذا سطوة عظيمة ، وهيبة فخيمة ، يخافه الأمراء والعلماء ، لسانه أمضى من السيف البتار ، وسوطه على المبتدعين والمشركين يثير قتار الدمار . لم يزل مواظباً على الطاعات والعبادات ، قائماً لله تعالى بالحجج البينات ، عاملاً بالدليل ، تاركا للاقتدا بالغير ، متباعداً عن التقليد متمسكا

بالسنة المطهرة في كل حقير وجليل ، معتصما بكتاب الله العزيز لايبـالي بعدوّ ولا خليل .

مات شابا ولم يخلف شيئـاً سوى الكتب التفسيرية والحديثية (١) ، وتأسف الناس على فقده فوق الوصف ، ومنذ توفي ذهب رونق الإسلام ، وعلو شعائر الدين من ذلك البلد ، وكان قد نوى الهجرة من بلد الهند الى الحرمين الشريفين ، فاخترمته المنية ، قبل بلوغ هذه الأمنية ، وإنما الاعمال بالنيات ، توفي سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين . وأرخه بعضهم بقوله مات بخير اه من التاج المكلل باختصار .

الشيخ حسن سكر الميداني الدمشقي

كان رجلاً من أهل الجذب ، وكان لايتناول من الدنيا شيئا ، وزعم الراوي عنه انه اتفق له مراراً متعددة في مجالس متعددة أنه يشير بيده ثم يفتح كفه عن أنواع من الدراهم والدنانير ويأخذها الحاضرون منه وينظرون اليها ، ثم يأخذها منهم ، ويشير بيده ثم يفتح كفه فلا يجدون شيئاً (٢) . وله من خوارق العادات أمور كثيرة مشاهدة لكثير من الناس . وكان غالباً لايلبس على بدنه الا مايستر به عورته ، مات رحمه الله نهـار الثلاثاء سابع شهر رمضان المبارك سنة تسعين ومائتين والف ، ودفن في تربة باب الصغير .

---

(١) هو والد العلامة صدّيق حسن خان . تعلم في دهلي ، وعاد الى بلده قنوج . له تصانيف باللغات الثلاث : العربية والهندية والفارسية ، منها : الاختصـاص في الحدود والقصاص ، تقوية اليقين ، في الردّ على عقائد المشركين ، نور الوفا من مرآة الصفا ، وهداية المؤمنين (من الأعلام ومعجم المؤلفين) .

(٢) رأينا من هذه الغرائب الشيء الكثير ، والمحترفون بها يدعون الناس اليها ، ويرونهم هذه الأمور الخفية العجيبة ، ويأخذون أجرهم عليها .

الشيخ حسن السفرجلاني الشافعي الدمشقي الشاذلي

شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق وإمام الحنفية ، بجامع بني أمية ، وكان مهابا معظما ، ذا قدر واعتبار ، فصيحاً ذا محاضرة ، مات سنة عشرين ومائتين والف ، ودفن بباب الصغير .

الشيخ حسن الدنا بن الشيخ أديب الدنا

التائه الكبير ، والمعتقد الشهير ، المجذوب الغائب بمولاه ، عما سواه ، كان في أغلب أمره مكشوف العورة (١) ، مأخوذاً عن نفسه يتقدم تارة في مسيره ويرجع أخرى ، وهو يفرك بيديه ويعض على أصـابعه ، ولا يتكلم أبدا ، مات سادس عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين ومائتين والف .

السيد حسن بن تقي الدين بن حسن بن مصطفى بن اسماعيل ابن محب الدين بن شمس الدين بن ضياء الدين حميده ابن زين الدين البوصلي البلقاوي الشافعي الدمشقي الشهير بتقي الدين الحصني مفتي دمشق الشام

صدر الصدور ، وزينة الأزمنة والدهور ، قد فض عن فم أمانيه ختما ، واستمال قلوب الحكام اليه حتما ، وكان جسوراً فصيح المقال ، مقدماً في زمانه على ذوي المهابة والإجلال ، وتعرض لمنصب افتاء دمشق الشام في أيام حسين افندي المرادي ، فعزلت الحكومة حسين افندي المرقوم من الافتاء ووجهته على المترجم المرقوم ، فجعل لنفسه قدراً عظيما ، ورونقـاً جسيما ، حتى انه إذا أراد التوجه لمركز الحكومة لابد أن يمشي بركابه

---

(١) اذا أخذ ماوهب ، أسقط ماوجب .

أربعون رجلًا من الشجعان ، كلهم مقلدون بأنواع الأسلحة ، وإذا وصل لمركز باب الحكومة يقوم لاستقباله متسلم البلد المعروف بتفنكجي باشى [١] ، ويمشي أمامه الى أن يجلس في مكانه ، ثم يتصدى لتعاطي الأمور ، ومدار الحكم في القضايا عليه لا على غيره يدور ، وبقى مفتيـاً ستة أشهر وأياما [٢] ، ثم عزل عن الإفتاء وغيره . ولما بلغه ذلك اعتزل في داره الى وفاته ، وكان ذلك سنة أربع وستين ومائتين والف ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى وتأسف كثير من الناس عليه لما لديه من الشهامة الهاشمية ، والمآثر العربية ، والنصرة لكل قاصد ، والمساعدة لكل راسم رائد ، عوضه الله الجنة ، وأجزل له عنده المنة آمين .

الشيخ حسن بن محمد الشهير بالعطار الأزهري
المصري مولدا المغربي محتدا

عظيم شأن لاعيب يضاف اليه ، سوى ان أهل عصره قد دار أمرهم في علومهم عليه ، فهو فرد المعارف والعوارف ، وكعبة حرم اللطائف لكل طائف ، به جمال محيا العلم قد ازدهى ، واليه كمال الفهم قد انتهى ، فلله دره من همام قد ارتقى سماء الفضائل ، وانتقى لنفسه أحسن الخصال والشمائل . ولقد انفرد في علم الأدب وأجاد فيما نظم ونثر ، وأحاطت به الفنون إحاطة الهالة بالقمر ، وكان مقره بالجامع الأزهر ، والمقام الأنور . ولما استولى الفرنسيس على مصر ، وجعل زمامها اليه بالقوة والقهر ، وسام أهلها كل ضيم وبلية ، وكاد أن يجرعهم كؤوس المنيـة ، خرج المترجم فاراً بنفسه

---

(١) رئيس صانعي البنادق ، أو القوى المسلحة .

(٢) وقد تقلد منصب نقابة الأشراف بدمشق وبقي بها مدة قصيرة ، ثم انتقلت للسادة بني العجلان ، وتقلد عضوية المجلس الكبير الى أن مات ، كما في منتخب التواريخ .

الى دمياط ، لما حصل في مصر من الشطط والشيـــاط ، وفي عام ألف ومائتين وسبعة عشر ، توجه الى بلاد الروم فاستقام بها مدة واستقر ، وفي سنة خمس وعشرين توجه الى الشام ، فدخلهـــا زوال يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول شهر ولادة سيد الأنام ، فتلقاه أهلها بما لاق ، وعقدوا على تفوقه وتفرده بالفضائل كلمة الاتفاق ، فتعلق به والدي تعلق اللازم بالملزوم ، وحضر دروسه في أكثر العلوم والفنون ، فكان لوالدي كالروح للجسد ، وكان هو يقبل على والدي إقبال الوالد على الولد ، لمـــا يرى له من علو الهمة ، وسهر الليالي المدلهمة ، ولم يزل لمجالسه ملتزما ، وفي سلك الملتقطين لدرر نفائسه منتظما ، إلى أن خرج من الشام بعد الثلاثين ، وكان قد استقام بها نحواً من خمس سنين ، فرجع الى مصر بعد هذه المدة ، وكان قد زال عن مصر ماكان بها من شدة ، وحينما عزم على السفر استجـــازه والدي فأجازه ، وأنعم عليه بهذه الإجازة ، وهي : بسم الله الرحمن الرحيم .

إن أحسن مايقدمه السائل في مقاصده ، ويلتزمه في مصادره وموارده ، حمد الله بأعظم محامده ، وشكره على أيمن بره وعوائده ، فهو الذي يجيب السائل إذا دعا ، ويثيبه على ما اليه من الخير سعى ، شرف هذه الأمة باتباع أشرف رسول وكتاب ، فانجاب بصبح شريعته من دياجي الجهالات جلباب ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً من كل باب ، وقامت بنصره صحابته الأطهار ، وأشياعه الأخيار ، فباؤوا بحسن المثاب ، وخير المآب ، ولم تزل هذه الشريعة الغراء والمحجة البيضاء واضحة البرهان ، مشيدة الأركان ، بوراثة العلماء ، وجهابذة العظماء ، على خدمتهـــا قوامون ، قليلًا من الليل مايهجعون ، للأحكام يستخرجون ، وللدقائق الجسام يستنبطون ، وكلما مضى سلف ، أعقبه خلف ، وهكذا حتى تقوم الساعة ، وتنقضي الدنيا التي هي كساعة ، فلله من خصيصة بهذه الامة اختصت ، وامتازت بها عن غيرهـــا وجلت ، فعليه من المولى سحب صلاة يتوالى مدرارها ، ويتسامى تكرارها ،

وعلى آله وصحبه ،وجنده وحزبه ، مالمع برق ، وتدفق ودق ، وسلم تسليما كثيراً

أمـا بعد فإن الشاب الفاضل ، والاديب العالم العامل ، الشيـخ حسن بن الشيخ ابراهيم البيطار ، قد حضر عندي حينما حضرت الى الشام ، جميع دروسي التي قرأتها على التمام ، حضور تدقيق ودراية ، غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الاحاديث الشريفة على طريق الرواية ، ثم استجازني بما تجوز لي روايته ، وتستند الي عن شيوخي الاعـاظم درايته ، فتمنعت قدر الامكان ، واعترفت بأني لست من أهل هذا الشأن ، وعندما ألـح على استخرت الله وأجزته ، وبمطلوبه ومرغوبه أسعفته ، بما تجوز لي روايته ، وتنسب الي درايته ، عن أشياخي الذين اقتبست أنوارهم ، واغتنمت أسرارهم ، فهم ولله الحمد عدد كثير كلٌ له قدر خطير ، فمنهم العلامة الشيخ محمد الصبان ، والفهامة الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن المغربي ، والشيخ أحمد السجاعي ، والشيخ أحمد العرومي ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ محمد الشنواني ، والشيخ عبد الله سويدان ، وغير هؤلاء من السادة الشافعية ، وأما من السادة المالكية : فالإمام الشيخ محمد الأمير ، والشيـخ محمد عرفه الدسوقي ، والشيخ أحمد برغوث ، والشيخ البيلي ، وغيرهم . وقد يسر الله لي حين سياحتي في الديار الرومية والشامية والحجازية ، فرأيت جهابذة فضلاء ، وأساتذة نبلاء ، قد تسنموا غارب الفضل ، واجتنوا ثمار العقل ، فأخذت عنهم بعضاً من العلوم ، وربحت تجارتي بمـا استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم ، و كذلك قد أجزته بمالي من التآليف ، التي انتهزت فيها من الدهر فرصة بعد طول تسويف ، فهي جملة من الرسائل والحواشي والشروح ، التي لاتخلو إذا نظرت بعين الانتقـاد عن مطاعن وجروح ، فليست مما يستحق أن ينشد في المجالس والمحافل ، ويذكر في مجـالس الأفاضل ، ولكن سأذكر بعضها إزاحة لعلة التشوف ، وتبريداً لغليل التطلع والتلهف ، فمنها حاشية شرح قواعد الاعراب ، وحاشية الأزهرية ، وحاشية

العصام على الوضعية ، وحاشية شرح ايساغوجي ، وحاشية النخبة ، وحاشية السمرقندية ، وحاشية السلّم ، وحـاشيتان على ولدية المرعشي في آداب البحث ، وشرح المنظومة الوضعية ، وشرح المنظومة التي في آداب البحث ، وشرح منظومة التشريح ، وشرح نزهة الشيـخ داود في الطب ، وحاشية شرح أشكال التأسيس في علم الهندسة ، وحاشية المغني ، أسأل الله أن يتمها . ولنا رسائل عديدة في مسائل متفرقة من علم الحكمة ، والكلام وغير ذلك . وقد أجزته بجميع ذلك بشرطه المعتبر ، عند أهل النظر ، سائلاً من الله أن يصلح أحوالنا ، ويبلغنا آمالنا ، وأرجوه أن لاينساني من صالح الدعوات ، في سائر الاوقات ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه بيده الفقير حسن بن محمد الشهير بالعطار ، خادم العلم الشريف بالازهر ، عفا الله عنه بمنه .

انتهى كلام هذا المترجم رفع الله قدره ، وجعل اعلى الجنة مقره . ثم انه لم يزل يترقى مقامه وقدره ، ويعظم بين الناس جاهه وفخره ، والناس يقصدونه من كل جانب ، لما اشتمل عليه من الفضائل والمناقب ، الى أن خطبته المنية ، الى الدار العلية ، وذلك في حدود سنة الف ومـائتين وخمس وثلاثين .

الشيخ حسن بن سالم الهواري المالكي الأزهري المصري

روح مجمع أهل الكمال ، ودوح أهل المعارف والكمال ، المتوج بتـاج الاتقياء ، والمنتهج منهج الاصفياء ، من تفجرت ينابيع العلوم على لسانه ، وفاضت عيون الحقائق من جلال جنانه ، وسطعت شموس معارفه ، وزكت عروس عوارفه [1] ، وطابت في الناس سيرته ، وحسنت سجاياه ومريرته ، وهو من رجال الإمام العلامة الجبرتي فقال في ترجمته : قرأ على الشيخ

---

(١) جمع عارفة ، وهي المعروف ، والعطية .

الصعيدي ولازمه في دروسه العامة ، وبعد وفاة شيخه ولي مشيخة رواق الصعايدة ، ، وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زائـــدة ، مع ملازمته للدروس ، وتكلمه في طائفته مع الرئيس والمرؤوس ، وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة جرأة ، واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر ، وعمرها داراً لسكنه ، وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب المدرسة السنانية ، وكان مكتباً عظيما ذا واجهتين وعامودين وأربع بوايك ، وزاوية جداره من الحجر النحيت عجيبة الصنعة في البروز والإتقان ، فهدمه وادخله في بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق ، وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم يسخّرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم ، فيستعملونها في نقل تراب الشيخ لأجل التبرك ، إما قهراً أو محاباة ، ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذي لا يرد ، وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة وسكن فيهـــا ، وأحدق به الجلاوزة (١) من الطلبة يغدون ويروحون في الخصومات والدعاوى ، ويأخذون الجعالات (٢) والرشوات من المحق والمبطل ، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيماً من غير مبالاة ولا حياء ، ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى البوابين في الوكائل ، وسكان الطباق وباعة النشوق ، وينسب الكل إلى الأزهر ، ومن عذلهم ولامهم كفروه ونسبوه الى الظلم والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشريعة ، وزاد الحال وصار كل من رؤساء الجماعة شيخاً على انفراده يجلس في ناحية ببعض الحوانيت يقضي

---

(١) جمع جلواز ، وهو الذي يخف في الذهاب والمجيء بين يدي الأمير ، والشرطي لجلوزته في ذهابه ومجيئه .

(٢) جمع جعالة ، وهي أجر العامل والرشوة .

ويأمر وينهى ، وفحش الامر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشنج شهوراً ، وتوفي في السنة العاشرة بعد المائتين والألف رحمه الله تعالى .

السيد حسن وادي بن السيد علي بن السيد خزام بن السيد علي الخزام ابن السيد حسين برهان الدين الخالدي الرفاعي الصيادي

ترجمه ولده العمدة الفاضل ، والنخبة الكامل ، السيد محمد افندي ابو الهدى أطال الله بقاه ، وأعلى في مدارج السيادة مرتقاه ، في كتابه المسمى بقلادة الجواهر ، في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ، فقال : وأما السيد الجليل ، والشيخ الفاضل الاصيل ، شيخ العائلة الصيادية ، وصاحب السجادة الرفاعية ، مولانا الوالد السيد الشيخ حسن وادي افندي حفظه الله وأبقاه ، وحرسه بعين الكرامة والعناية وحماه ، آمين . ولد طول الله عمره في سنة خمس وأربعين ومائتين وألف قبل وفاة والده رحمه الله بسنتين ؛ ونشأ بين أهله وأقاربه إلى أن بلغ عمره الثانية عشر ، فجذبته يد العناية بنفحة من نفحات الرحمن ، فدلته الى جناب شيخه الولي البركة الشيخ رجب الصيادي دفين كفر سجنا ، فالتفت بكليته إليه ، وأقبل بقلبه عليه ، فأقامه خليفة عنه ، فجلس على السجادة الرفاعية بزاويته المعمورة بتقوى الله المشهورة في قصبة خان شيخون الملحقة الآن بمعرة النعمان من أعمال حلب ، واشتهر أمره ، وسار في البلاد ذكره ، وانتسب له خلق كثير من القبائل والقرى والمدن ، وانتفع بـــه جماعة كثيرة من الموحدين ، وله مناقب مأثورة ، وعنايات مشهورة ، ومما منّ الله به عليه أن يقرأ على قطعة من السكر وان لم يوجد فعلى أي شيء كان مما يصح أكله ، ويطعمه للناس ، فمن أكله لا يضره سم الحيات وغيرها من المسمّات ، ولا يؤثر فيه ضرر الكلب العقور وغيره من الحيوانات المضرة باذن الله تعالى ، وإذا قرأ على

السكر أو غيره باسم رجل وحفظ السكر من أن يلمس بيد أحد في صرة ، وكان الرجل المقروء باسمه في بغداد والسكر في الشام ولدغت الحية أو غيرها من المسمات ، أو عض الكلب الأكلب ذلك الرجل وهو في بغداد ، لا يضره أمرهم باذن الله تعالى ، وببركة الحضرة الرفاعية ، وإذا سم رجل في بلدة وكان الشيخ صاحب الترجمة في بلدة أخرى ، وتعذر حمل المسموم إليه ، وجاء رسول المسموم وسمى نفسه باسم المسموم ، فان الشيخ المشار إليه يقرأ على قطعة من السكر أو غيرها من المأكولات كما تقدم ويطعمها لرسول المسموم الذي سمى نفسه باسمه ، ويضربه بيده ضربة خفيفة ، فان المسموم بإذن الله يبرأ من البلدة الأخرى كما هو مشهور في البلاد الحلبية وغيرها عنه . ومن مناقبه الشريفة أيضاً أن الله تعالى قد منّ عليه ببركة اليد الكريمة ، فإذا وضع يده على عليل أو من بـه وجع يشفيه الله على الغالب . وأما سخاؤه وكرم طبعه ففي نواحيهم اشهر من أن يذكر ، وأما علو مظهره ومعونة الله له في أموره وتأييد ظهوره فهي أشهر من نار على علم ، وما عانده في أمره بقصد خفض شأنه أحد ولا تعدى عليه وعلى أهله ومتبعيه المخلصين متعد ، إلا وأخذ بإذن الله تعالى أو ذل وقهر وكل ذلك معروف مشهور ، وكل ما حصل له من الفتوح والبركة سببه الأجل كثرة الصلاة على النبي ﷺ فإنه كثير الصلوات ، على سيد السادات ، وهي ورده الأعظم ، وطريقه الاقوم ، وقد برزت عليه أنوارهـا ، وظهرت آثارها . قُصد لأخذ الطريقة العلية من أكثر الجهات والبلدان ، وسارت بذكره الركبان ، وانتسب إليه خلق لا يحصى عددهم ، وزادت خلفاؤه عن المائة خليفة

سكن حفظه الله حلب الشهباء ، من سنين يسيرة ، وعمر الزاوية الرفاعية فيها وكثر باطرافهـا مريدوه واخوانه ، وعلت شهرته في حلب الشهباء ونواحيها ، وحسن فيه اعتقاد الناس ، ومدحه الفضلاء والبلغاء وأعيان الناس ، ومن الجملة مدحه بالقصيدة الآتية الفاضل الكامل ، سلالة الاماجد

الافاضل ، السيد عبد القادر افندي القدسي ، أوحد أعيان حلب الشهباء ، وابن المرحوم نقيبها المشهور تقي الدين افندي القدسي ، وهي كما هي درة يتيمة ، وصحيفة كريمة :

إذا ضاقت بك الأيام فالجأ ... بحسن وسيلة لحمى الرسول (١)

فإن حمى الرسول وحق ربي ... أمان كل آن للدخيل

وأقرب ما توسلت البرايـــا ... به للمصطفى آل البتول

هم الطهر الكرام بنو المعالي ... شموس الكون جيلاً بعد جيل

لهم جاه وعز مستفاض ... من المختار بالفيض الجزيل

هم الوراث للمختار طه ... هم أهل الرداء المستطيل

وودهم بأمر الحق فرض ... وهذا أجر مولانا الرسول

إذا أديت حق الود فيهم ... فأبشر بالسعادة والقبول

ودونك سيد السادات شيخي ... فلذ بجنابه العـــالي الجليل

هو الحسن الحسيني الخزامي ... خلاصة عترة العلم الطويل

له شرف الحضور حضور قلب ... مــع المختار غياث النزيل

فتى بيت الرفاعي الغوث روح الـــ ... ـطريق وفلذة الشرف الأثيل

ضيا هذا الزمان أبو الموالي ... سليل الآل مولود الفحول

امام القوم زبدة آل طه ... ملاذ الملتجي باب الوصول

همام من بني الكرار شهم ... يقابل ذا الاســاءة بالجميل

أمير من بني الصياد فرد ... تذل له الرجال بكل قيل

علي القدر رحب الصدر مولى ... الأيادي صاحب الباع الطويل

فللمختار جــدهم صلاة ... من الرحمن ترقى في نزول

---

(١) إن خير وسيلة لنا هو ايماننا بما أنزل الله ، وطاعتنا لرسوله ، ومحبتنا له ولآل بيته الطاهرين .

وأصحـــاب وأولاد كرام غياث الناس[1] في اليوم المهول
مدى الأزمان ما وافى محب بحسن وسيلة لحمى الوصول

وهو الآن بحمد الله على قدم استقامته القديمة الأصلية عــلى أحسن حال، معرض عن غير الله متوكل عليه مسلم له الحال، معتمد عليه تعالى في الأقوال والأفعال، ولم يزل يترقى الى أن خطبته المنية للمكان الارقى، وذلك عام الف وثلاثمائة واثنى عشر ودفن في حلب .

السيد حسن بن السيد محمد الصيادي الرفاعي ويعرف بخدام الصياد

ترجمه السيد أبو الهدى افندي فقال : كان صاحب الترجمة شيخاً مباركا صالحاً معمرا، أخذ الخلافة في الطريقة العلية الرفاعية آخر عمره من الشيخ الكامل العارف السيد الحاج احمد افندي بن السيد مصطفى الجندي ثم الصياد، شيخ الطريقة الرفاعية بمعرة النعمان، وبيتهم بيت كرم وصلاح، توفي المترجم بحدود سنة الف ومائتين وخمس وسبعين ودفن بمقبرتهم بقرية كفر زيتا . انتهى ملخصا .

الشيخ حسن جبينة بن احمد آغا بن عبد القادر آغا جبينة

امام صالح، وهمام في تقواه راجح، لطيف المنادمة، حسن المكالمة، اكب من صغره على طلب العلوم، واستفادة المنطوق والمفهوم، وحضر دروس العلامة الشيخ سليم العطار، والعلامة الشيخ احمد الكزبري والشيخ احمد البغال، والفاضل الشيــخ قاسم الحلاق وغيرهم . وكان يغلب عليه السكون، والخضوع والتواضع والركون، وبعد انتقال المرحوم الشيــخ

---

(١) تقدم معنا أن غياث المستغيثين، هو الله ربّ العالمين جلّ وعلا .

قامم الحلاق الى جامع السنانية صار في مكانه اماماً ومدرساً وخطيباً في جامع حسان . وكان يغلب عليه الفقر ، إلا أنه كان حسن الصبر ، وفي آخر مدته مرض مرض الاستسقاء وطال امره ، إلى أن توفي سنة الف وثلاثمائة وخمس وعمره نحو الخمسة والستين ، ودفن رحمه الله تعالى في تربة باب الصغير .

حسن حسني بك بن حسين عارف بن حسن سهراب بن محمود بن مسيح بن عالي من مهاجرة الأتراك والامراء في الروملي

ترجمه احمد عزت باشا في كتابه العقود الجوهرية ، في مدائح الحضرة الرفاعية ، فقال : هو الفاضل الاديب الاريب حسن حسني بك ، إلى أن قال : من مهاجرة الأتراك والامراء في الرومللي ، هاجروا اليه منذ أكثر من ثلاثة قرون ، وسكنوا طويران وكانوا من أمرائهـا ، وتقلبوا في مناصب كثيرة ، وجرثومتهم من العائلة البايندرية ، وينسب المترجم إلى طويران ، هاجر جده إلى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف . وولد هو سنة ست وستين ومائتين والف في مصر ، وتوفي والده وربي يتيما في بيت نفسه ، ونشأ نشأة أدبية . ولما بلغ الثالثة عشرة أكب على التحصيل من الاساتذة ليلاً ونهـارا ، وصرف النظر عن الترقيات المادية إلى طلب العلوم والادب ، فقال الشعر العربي في الخامسة عشرة ، ورزقه الله القبول ، واشتهر بالشعر والإنشاء والتـأليف ، واشتغل بالحكمة الدينية ، والاخلاق والفنون السياسية وغيرها . وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سافر إلى وطنه الاصلي ، لاستخلاص أملاكه وأوقاف أسلافه ، وساح البلاد ، ثم عاد إلى مصر ، وقدم من مصر لدار السعـادة سنة ثلاثمائة والف ، وهو الآن بها .

أقول : وقد اجتمعت به فرأيته حسن الاخلاق ، صاحب شهامة

طبع ، وفصاحة لسان ، وجودة ذهن ، وكمال اطلاع ، وله آثار كثيرة ، منها : ثمرات الحياة ، ديوان شعر في مجلدين ، وطوالـــع الاماني ، ولواحق الثمرات ، وشطحات القلم . وهذه كلها دواوين شعر ، ومصابيح الفكر ، في السير والنظر ، وشمس المشرق في سماء المنطق ، وهو مطبوع ، ونور العين ، رسالة زجلية ، وقصة الوارث بن تارك ، وإرشاد الخليل في فن الخليل ، وعصمة الجماعة ، في وجوب الطاعة . وحجة الكرام في علم الكلام ، وعصمة الإسلام في فضل الإمـــام ، ويوم الدهر في أحوال مصر ، وسر القدر ، وَمَنَازه الأحباب في جنات الآداب ، وكتاب الوطن ، والنشر الزهري ، في رسائل النسر الدهري ، والانصاف في حقوق الاشراف ، وفلسفة الاخلاق ، والتذكار في التوحيد ، والبديع في البديع ، والسيف القاطع ، والنور الساطع ، وارتياح الجنان ، بأرواح الجنان ، ورسالة التوحيد ، ومطية الحقيقة ، ومجمع الرسائل ، ومعراج الاخلاف لمنهاج الاسلاف ، وبهجة الكرام في محجة أهل الإسلام ، وعدة رسائل باللغة التركية . ومؤلفاته كثيرة وقوة قلمه وذهنه شهيرة . وله نسبة كما قرر من جهة أمه الدوحة الحسينية ، يدل على صحتها حسن أخلاقه المرضية ، لازال كريم الجناب ، بهجة الأحباب ، ومن نظمه :

أهوى الأماني وسعيي ليس يوضيها ⁂ تدنو إليَّ وصرف الدهر يقصيها
كم ليلة بت أستجلي محاسنهـــا ⁂ وأنجم الأفق صرعى في مجاريها
تسعى إليَّ براح من غوايتها ⁂ فاستقيها صبابات وأسقيهـــا
روحين في جسد كنا توحدنا ⁂ أهواؤنا وتمنينا مباديهـــا
لانعرف البعد حيث القرب يعصمنا ⁂ ولا نخاف الليالي في عواديهـا
كأننا فرقدا أفق المسرة لا ⁂ تهاب صدِّي ولا أخشى تجافيهـا
كم قلت والليل مسدول ستائره ⁂ نعم الليالي التي جادت أياديهـا
كم همت في وجنة من ورد وجنتها ⁂ والخال قد عم من طيب مجانيها

حتى أضعت شعوري في مسلسلة　　من الشعور يروي الدور ساحيها

وهي طويلة ؛ ومن نظمه :

هي الهمة العلياء والزمن النكد　　عدوان للأحرار إن أحجم الجد
يبيت فتى الفتيان رهن همومه　　وقد فاز من ليلاته السافل الوغد
ويصبح مقدام البهاليل[1] اعزلا　　ويمسي أنوف الأنف قد خانه السعد
فيا عجبا للدهر تعدو ذئابه　　وقدهزلت في عزأعياصها[2] الأسد
وياحربا تسمو الشموس أهلة　　ويرتفع الوادي وينخفض الطود
وياطربا تمسى المواضي طريحة　　ويحمل في أعناق أبطالها الغمد

ومن نظمه يمدح العارف بالله السيد أحمد الرفاعي قدس الله تعالى سره فقال بعد أبيات كثيرة :

أستقبل الدهر أبكيه ويضحكني　　فلم يقاني ولم أطلبه ملتجئـا
رفعت يا ابن الرفاعي عبء كلكله　　عن عاتقي فتوانى بعد ماجرؤا
شبل الحسين رفيع الجاه أحمد من　　يرجى اذا الخطب من ضوضائه امتلأ
آثاره بهرت أنواره ظهرت　　كتابه حجة برهـانه برأ
أتى على فترة يدعو لواضحة　　صوابها قد محا الآثام والخطـأ
جرى على سنن المختار مقتضبـا　　نوراً جلا صيقل الاذهان إذ صدئا
وجاء بالفتح عن داعي الهدى فكبت　　اجراه من تخذوا آياته هزؤا
دعا إلى الله بالبرهان فاتضحت　　سبل الهدى فهدى برهانه الملأ
وقام عن جده حق القيام فيـا　　نعم الإمام بعلم جهلنـا درأ
رست قواعد علياه على جبل　　من التمكن يحمي كل من لجأ
تنزهت ذاته عن كل شـائبة　　لما على سدرة الإيقان قد وطئا

---

(١) جمع بُهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .
(٢) جمع عِيص ، وهو منبت خيار الشجر .

وقدس الله بالتقوى سرائره فمن أراد له شأواً طغى فنأى
وأكرم الله مثواه على قدر تنزلت آية تستتبع النبـأ
كأن يوسف معناه أقام له في مقعد الصدق للألباب متكئا
أكرم بأحمد أشياخ اليقين لقد حمى اليقين فمن لم يقفه خسئا
شيخ عيال عليه كل ذي أثر بدا فأبدى طريقاً قيّما بـدأ
بحر من العلم لازالت جداوله تزيل عن وادي ساحاته الظمأ
هيهات يعرف أبطال الوجود له شأواً تعالى وشأناً عز ما فتئا
أنى يضاهى وطه مد راحته اليه والجمع من شم الأنوف رأى
كـأنه آية من ربه سبقت فجسمت فهو من آياته نشأ
فقل لمن رام تفضيلاً وتكرمة الله أدرى بمن أولى وما درأ
عليه رضوان مولاه وما برحت علياه ذكراً يطيب الكون ما قرئا

وقد توفي رحمه الله تعالى عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر .

ملا حسن افندي الشهير بالبزار بن ملا حسين ابن ملا علي الموصلي

ترجمه صاحب العقود الجوهرية، في مدائح الحضرة الرفاعية ،أحمد عزت باشا، فقـال : هو الأديب الفاضل ، والأريب الكامل ، ولد في الموصل بمحلة حسان البكري يوم الثلاثاء عاشر شهر جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين والف . وكان فطناً ذكياً ، وشابا لوذعيا ، وبعد إكماله قراءة القرآن الكريم ، باشر في قراءته العلوم على علامة وقته الشيخ صالح افندي ابن المرحوم الحاجي طه الخطيب المشهور ، ولما انتهى إلى المنطق ، ترك ذلك ، واشتغل بنظم الشعر مع كونه مشغولاً في صنعة البزازة (١) ولا زال

---

(١) البزازة : تجارة أو حرفة البزّاز ، وهو بائع الثياب من الكتان أو القطن .

شعره يترقى ويروق ، ويعلو على شعراء عصره ويفوق ، فإن غزله ونسيبه أرق من نسيم الصبا ، وأمداحه محصورة في مدح حضرة المصطفى ، والأولياء والصلحاء . وديوان شعره طبعوه في حلب ، تتداوله أيدي الفضلاء ، وأكف البلغاء . ولما كنت في الموصل لازال يزورني ويهدي إلى فكري لطيف إنشاده ، وما كان يقطع زيارته على معتاده . ثم انه أخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ حاجي سلطان ، والطريقة النقشبندية من المرحوم الشيخ السيد محمد افندي النوري . ولا زال يترقى حاله في الصلاح ، وطريق النجاح ، حتى استخفه الشطح ، فكان طوراً تجذبه حبال الجذبة ، وطوراً يعقله زمام العقل ، وحالاته أصبحت ممتزجة بالقبض والبسط ، والرفع والحط . ثم انه فقد بصره ، وبقي أغلب أحيانه يمشي بالأزقة ويرقد فيها ليلاً ، ويجر في أوحالها ذيلا ، لكنه قبل وفاته كما قيل لي بأنه قد عاد اليه عقله ، واصطلح فرضه ونفله ، وإنه عند أغلب أهل جلدته ، وأكابر بلدته ، مظنة الولاية ، مع ماينضم اليها من الدراية ، ومن نظمه :

قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب ... والصبر عن قربكم للوجد مغلوب
لا أستفيق غراماً في محبتكم ... وهل يضيق من الأشواق مسلوب
ياقلب صبراً على هجر الأحبة لا ... تجزع لذاك فبعض الهجر تأديب
هم الأحبة ان صدوا وإن وصلوا ... بل كل ماصنع الأحباب محبوب
إني رضيت بما يرضونه وبهم ... والله يعذب للمشتاق تعذيب
فالروح والقلب بل كلي لهم هبة ... وكيف يرجع شيء وهو موهوب
لي فيهم سيّد طاب الوجود به ... فمنه في كل ناد يعبق الطيب
هو الرفاعيّ سامي الجد أحمد من ... قد لاذت العجم فيه والاعاريب
أكرم به سيداً طابت عناصره ... وكيف لا وهو للمختار منسوب
أنعم به منهلاً راقت موارده ... فكم صفا منه للأحباب مشروب
هذا الذي يفخر الفخر السنيّ به ... هذا الذي هو للمطلوب مطلوب

هذا الذي شرف الاشراف تم به ... هذا الذي هو للعلياء مخطوب
هذا الذي يسعد العبد الشقي به ... فكم وكم نال فيه الأمن مرغوب
غيث مغيث لمن فيه استغاث (١) وكم ... نجا بهمته العلياء مكروب
وكم ذليل به قد عز جانبه ... وكم بعيد به أدناه تقريب
سر من الله في كل الوجود سرى ... منه إلى الخلق ترغيب وترهيب
شمس المعارف من إشراق حكمته ... للعارفين بدت منها أعاجيب
بني رفاعة سدتم رفعة وعلا ... وذكركم في جباه الفخر مكتوب
نمت محامدكم في عز أحمدكم ... فمجدكم مثل في الكون مضروب
هو الإمام الذي ديوانه أبدا ... في الكائنات مدى الايام منصوب
فرد به مفردات الفضل قد جمعت ... ندب بكل شديد الهول مندوب
روحي وراحي وريحاني مدائحه ... وحبه لفؤادي فيه تهذيب
يا أحمد الاولياء انظر إليّ وقل ... لاتخش أنت عليّ اليوم محسوب
ياصاحب الهمة العلياء خذ بيدي ... إني وحقك للأعداء مغلوب
يشفى لديغ الافاعي من عزائمكم ... وعبدكم بأفاعي البعد ملسوب (٢)
حاشا لمجدك أن ترضى ببعد فتى ... له إلى بابكم بالذل تأويب
ياعترة المصطفى أنتم أكارم لا ... يخيب فيكم لدى الآمال مطلوب
ان تقبلوني على عيبي فيا شرفي ... فليس لي غيركم قصد ومرغوب
فأنعموا بقبولي واملؤوا قدحي ... من راحكم فهو للأرواح مصحوب
صلى الاله على المختار جدكمو ... مافاح في الكون من ذكراكم الطيب
والآل والصحب مانادى محبكمو ... قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب

توفي رحمه الله في شهر ربيع الأول من عام الف وثلاثمائة وخمسة وما بقي في البلد كبير ولا ولد حتى شيع جنازته ، رحمة الله عليه آمين .

---

(١) المغيث هو الله ، « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم »
(٢) لسبته الحية : لدغته .

الشيخ حسن بن الشيخ علي بن قويدر الأزهري الخليلي

الاديب الناظم الناثر ، ذو الفضائل والمآثر ، من رقى أوج المعارف ، وانتقى برج العوارف ، وخاض بحور العلوم ، ونزه صائب فكره في رياض المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه كامل المقاصد ، جيد القصائد ، شعره المنسجم السهل ، يزري بشعر الأخطل وابن سهل ، ونثره البليغ البديع ، يحاكي مقامات الحريري والبديع ، وهو ثقة فيما يؤخذ عنه من النقول ، وحجة في علمي المعقول والمنقول ، كثير المعارف والفنون ، غزير اللطائف قليل المجون ، لم يتخذ الشعر حرفة ، ولا سكن من بيوته غرفة ، بناء على أنه جل صناعته ، أو أجل متاعه وبضاعته ، وإنما دعاه اليه حب الأدب ، ولواه اليه ما اشتمل عليه من طوية العرب ، وكان رحمه الله ، وأحسن مقره ومثواه ، غاية في الزهد والديانة ، آية في العفة والامانة ، كثير الود للاخوان ، مهيبا بين الاحبة والاقران ، لا تمل وإن طالت مجالسته ، ولا تعل وإن زادت مفاكهته ، لما كانت تشتمل على الفوائد ، العائدة على محبيه بالصلات والعوائد ، وكانت له صدقات وفية ، مستورة عن الإظهار خفية . وقصارى الكلام ، في هذا الفرد الهمام ، إنه كان حسنة من حسنات عصره ، وجوهرة يتيمة في جيد مصره .

ولد بمصر سنة الف ومائتين وأربع ، وتربى في حجر والده على الرحب والسعة ، وإن أصوله من المغرب من ذرية ولي ذي مقام روحاني ، يعرف بسيدي عبد الله الغزواني ، وان علامة من كان من ذرية هذا الولي المعروف بالهدى والصلاح ، انه إذا جاء لزيارته أحد يفتح له الباب من غير مفتاح ، وإن بعض ذرية هذا الولي انتقل الى مدينة سيدنا الخليل عليه صلاة المنان ، وتناسل بالمدينة المذكورة واشتهرت تسمية نسله بالمغاربة ، وهم معروفون بذلك هنالك الى الآن ، ثم ان والد المترجم انتقل الى مصر القاهرة ،

وأقام بها وكان ذا تجارة وافرة ، وبها رزق بصاحب الترجمة المذكورة ، صاحب الشمائل المأثورة ، فلما أن بلغ أشدّه ، وجه عنان همته للطلب بكل اقبال وشدة ، فقرأ على جملة من العلماء ، والسادة الفضلاء ، منهم العلامة الشيخ حسن الابطح ، والفهامة شيخ الازهر الشيخ حسن العطار ذو الارج الافيح ، والمرحوم الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الاسلام ، والشيخ ابراهيم السقا عمدة الانام ، وغيرهم من مشايخ العصر ، المتصدرين للافادة في أزهر مصر ، وكان شافعي المذهب ، خلوتي الطريقة ، قد أخذها عن الاستاذ معدن السلوك والحقيقة ، العارف بالله تعالى صاحب الامداد ، السيد الشيخ احمد الصاوي أبي الارشاد . ومن تآليفه المفيدة ، وتصانيفه العديدة ، شرحه على منظومة شيخه الشيخ حسن العطار في علم النحو ، وقد أجاد به أحسن اجادة ونحا ألطف نحو ، وقد قال في شرحه عليها ، موجها جميل مدحه اليها :

منظومة الفاضل العطار قد عبقت ... منهـا القلوب بريا نكهة عطرة
لو لم تكن روضة في النحو يانعة ... لما جنى الفكر منها هذه الثمرة
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها ... والليل داج أرانا وجهها قمره
قالوا جواهر لفظ قلت لا عجب ... بحر البلاغة قد أهدى لنا درره

ثم قال : ومن شغفي بتلك العرائس الخواطر ، حملتني بواعث الخواطر ، على أن أكتب عليها شرحاً ، وأبني على دعائمها صرحا ، وأشد بنطاق البلاغة لها كشحا ، فوقفت على أقدامي ، مترددا في تأخري واقدامي . الى أن قال بعد كلام طويل ، ليس له في البلاغة مثيل : فشددت نطاق (١) العزم ، وتقلدت بصارم الحزم ، وقومت سنان يراعي ، وبسطت

---

(١) النطاق : مايشدّ به الوسط .

في حومة هذا الميدان باعي، واني لأرى التوفيق يقوم أمامي، والعناية تقود زمامي

واذا العناية صادفت عبد الشرا　　نفذت على ساداته احكامه

فاجتنيت من رياض العلوم الاثمار، واجتليت بنات الافكار، وافتضضت من المعاني الابكار، ورصدت من بين النجوم الاقمار، وأتيت بمؤلف يزرأ بقلائد النحور، ويعبث بألحاظ الحور، تتألف نجوم المعارف من مطالع أفلاكه، وتتناثر درر اللطائف من قلائد أسلاكه، جعلته تاجا لتلك العروس، ونزهة لنفائس النفوس، ونمقته تنميقا عجيبا، وسبكته سبكا غريبا، وشحنت زورقه بالدرر، وأثقلت أغصانه بالثمر، وجعلت لشرح أبيات الغزل خواتم، كأنها في أصابع الدهر خواتم، بينت فيها معاني ألفاظه المنظومة اللغوية من كتب صحاح، كقاموس البلاغة والصحاح، وضمنتها سجعاً مأثورا، ودراً منظوماً ومنثوراً، ونوادر أدبية يرشفها السمع مداما، وتميل الاذواق السليمة الى محاسنها غراما، لتكمل المناسبة بين الاصل وفرعه، ويحتلب الطالب دَرّ الأدب من ضرعه، ويكون ذلك ترويحا للنفس وتنشيطا للبدن، بالانتقال من فن الى فنن.

تنقل فلذات الهوى بالتنقل　　ورد كل صاف لاتقف عند منهل

ولا تتبع قول امرىء القيس انه　　ضليل ومن ذا يهتدي بمضلل

الى آخر ماقال، وأجاد في المقال، وهذا الشرح في نحو ثلاثين كراسا قد أحكمه فرعا وأساساً، ومنها شرح مزدوجته (١)، وقد تناولته أيدي الضياع قبل انتقاله الى مبيضته، وهو يزيد على مائة كراس، قد أودعها مايزري باللؤلؤ والماس، ومنها رسالة الأغلال والسلاسل، في مجنون اسمه عاقل، ومنها زهر النبات، في الانشاء والمراسلات، ومنها نيل الأرب في مثلثات العرب، الذي مدحه محمد أفندي في بقوله :

---

(١) ازدوج الكلام : تشابه في سجع أو وزن .

ياصاح إن رمت النشب ورغبت في أعلى الرتب

وأردت سفراً نافعـــا من در ألفاظ العرب

فمثلثـــات قويـــدر هي كاسمها نيل الأرب

هـــي روضة مطلولة منها صبا الآداب صب

ياحسنهـــا من حلية تزري بأطواق الذهب

أهدى لئالئها لنـــا بحر خضم في الأدب

أمثلثـــات قويـــدر سعداً لمن لك قد كتب

قد كاد (فني) أن يهيم بحسن طبعك من عجب

أبدى محاسنها لنـــا بالطبع في الشهر الأصب

الأسعد المولى الذي زبد الفنون قد انتخب

ذو الهمة العليا الـــتي منها المعارف تكتسب

رحـــم الاله له أبا هو للفضائل خيراب

ياحبذا من عـــارف كلٌ مـــآثره أحب

ياطالما عن قـــاصديه أزاح بأساء الكرب

وأراحهم ممـــا ألمّ من المشقة والتعب

للحمد والشكر اجتنى ولموجب الذم اجتنب

وله غير هذه من التآليف ، وجميل التصانيف . ومن أشعاره الفائقة ، وأفكاره الرائقة ، قصيدته التي مطلعها :

ياطالب النصح خذ مني محبرة ُتلقى اليها على الرغم المقاليد

عروسة من بنات الفكر قد كسيت ملاحة ولهـــا في الخد توريد

كأنها وهي بالأمثـــال ناطقة طير لها في صميم القلب تغريد

احفظ لسانك من لغط ومن غلط كل البلاء بهذا العضو مرصود

واحذر من الناس لا تركن الى أحد　　فالخل في مثل هذا العصر مفقود
بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت　　فالشر طبع لهم والخير تقليد
هذا زمان لقد سادت أراذله　　قلنا لهم هذه أيامكم سودوا

وهي قصيدة طويلة ، وله قصيدة ثانية ، أرسلها إلى بعض الناس أولها :

يامن له خلق كنفحة عنبر　　بالله كف سهام لومك عن بري

وله أيضاً قصيدة قال في براعة استهلالها :

لو كان أمر فؤادي دائماً بيدي　　لما وضعت يدي اليمنى على كبدي

وله مزدوجة جميلة متداولة مشهورة . وله غير ذلك من القصائد الطنانة ، والمقاطيع الرنانة :

تلك آثارنا تدل علينا　　فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومات ولم يدوّن شعره في ديوان ، كما جرت بذلك عادة الشعراء من غابر الازمان ، ومع اشتغاله بالعلم ليلا ونهارا ، كان يشتغل بالتجارة متعففاً عما في أيدي الناس سراً وجهارا ، ولم يزل في زيادة نعم مع كمال الاحترام ، رفيع القدر بين الخاص والعام ، حتى انتقل إلى دار السلام ، في شهر رمضان سنة الف ومائتين واثنتين وستين .

ومن العجائب ان محمود أفندي الساعاتي الشاعر المصري المشهور قبل وفاة المترجم بثلاث ليال ، رأى في منامه ان الشيخ المترجم توفي ، وكان ذلك في مرض موته فانتبه قائلاً :

رحمة الله على حسن قويدر　　فحسب هذه الجملة فكانت تاريخا

٦٤٨ ، ٦٦ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ٣٢٠

للسنة التي وقعت فيها الرؤيا . ثم توفي المترجم بعد ذلك بثلاث ليال ، فكانت تاريخا أيضاً لوفاته . ثم ان محمود أفندي المرقوم أشار إلى ذلك في قصيدته الطنانة ، التي رثى بها المترجم المرقوم بقوله :

بكت عيون العلا وانحطت الرتب　　ومزقت شملها من حزنها الكتب

ونكست رأسها الأقلام باكية ... على القراطيس لما ناحت الخطب
وكيف لا وسماء العلم كنت بها ... بدراً تماماً فحالت دونك الحجب
ياشمس فضل فدتك الشهب قاطبة ... إذ عنك لا أنجم تغني ولا شهب
لما أصابك لاقوس ولا وتر ... سهم المنية كاد الكون ينقلب
ماحيلة العبد والأقدار جارية ... العمر يوهب والأيام تنتهب
لو افتدتك المنايا عندما فتكت ... بخيرنا لفدتك العجم والعرب
سقى ضريحك غيث العفو منسجما ... ولا ارتوت بعدك الأغصان والعذب
ولا استهلت عيون القطر باكية ... الا عليك وان حلت بك النوب
أمست لفقدك عين العلم سائلة ... ترجو الشفاء وأنى ينجح الطلب
بكت عليك السما والأرض واضطربت ... كأنما نالها من حزنها طرب
ما كنت أحسب قبل الموت ان لدى ... نصف النهار ضياء الشمس يحتجب
لو كان يدري فؤادي يوم نكبته ... كان الفداء وهذا بعض مايجب
بالرغم مني حياتي بعد مصرعه ... سيان فرقة من أحببت والعطب
قل للذي يدعي من بعده أدبا ... هيهات والله مات العلم والأدب
قضى الذي كان يزهو سيف فكرته ... بشاردات المعاني حين يقتضب
لو كانت السمر من أقلامه اشتبكت ... على المنية مااهتزت لها قضب
وافاه صرف القضا يسعى وفي يده ... كأس عليها المنايا والردى حبب
لاتطلبن من الأيام مشبهه ... عز الدواء وأنى يشتفي الوصب (١)
فما تريك الليالي مثله أبدا ... قد ينقضي العمر والآمال ترتقب
حلم وعلم وجود في الوجود له ... فضل وفيض سحاب دونه السحب
ليت المنام الذي في صدقه غصص ... قد حال من دونه في اليقظة الكذب
وليت أحكام أحلامي التي نفذت ... قضت بحتف أناس حلمهم غضب
أين المنايا وأين الشامتون به ... والمظهرون نفاقاً أنهم نكبوا
إن الكآبة لاتخفي سرائرهم ... قد يُعرفون بسيماهم وإن ندبوا

(١) الوَصَب : المرض والوجع الدائم.

إن يظهروا الجد من حزن فإنهم ... إذا خلوا بشياطين الهوى لعبوا
لايشمتوا ان للأيام منقلبا ... عليهم والليالي أمنها رهب
ألم يروا كم أباد الدهر قبلهم ... من القرون وهم من بعدهم ذنب
آمالهم خيبت فيهم وما علموا ... إن المنايا لها في حيهم طنب
لكنهم قوم سوء طال عمرهم ... وقصروا في العلا هذا هو السبب
لو لم يكن خيرهم والله يرحمه ... ماعاجلته المنايا وانقضى النحب
إنا فقدنا البقايا الصالحات به ... والصبر عز وجل الويل والحرب
من للقوافي التي كانت محجبة ... إذا بدت وهي بالأحزان تنتقب
لقد سبتها المراثي في مناقبه ... ودمعها في انسجام هامل سرب
كأن كهف المعالي لم يكن أبدا ... للناس عوذاً إذا ماحلت الكرب
لم يبق في الأرض شيء بعده حسن ... إلا خلال له تعزى وتنتسب
لما دعاه الى الفردوس خالقه ... لباه شوقاً وكادت مهجتي تثب
طافت عليه بها الولدان حاملة ... من اللجين كؤوساً ملؤها ضرب[1]
والحور مذ جاءها قالت مؤرخة ... بشرى فقد جاءنا المقصود والأرب

٥١٢ ٢٣٩ ٢٧١ ٢٤٠ سنة ١٢٦٢

وقال فيه أيضاً وقد سئل رثاه :

قالوا قضى حسن المناقب فارثه ... فأجبتهم ومدامعي تتحدر
لا أستطيع رثاه من لمصابه ... أضحى لساني في فمي يتعثر

وكانت وفاة هذا الهمام العلي القدر في رمضان كما تقدم سنة الف ومائتين واثنتين وستين بداء الصدر رحمة الله عليه .

---

(١) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

الشيخ حسن افندي المعروف بالدرويش الموصلي

النجيب الأريب ، واللبيب الأديب ، أعجوبة الزمان ، ونادرة الوقت والأوان ، الذكي الالمعي ، والسميدع (١) اللوذعي ، كان من أعجب العجائب في عصره ، مميزاً شهيراً في مصره ، طاف البلاد والنواحي ، وجال في الممالك والضواحي ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزي لكل قبيل ، ويخالط كل جيل ، فمرة ينتسب الى فارس ، وتارة الى بني مكانس ، ومرة ينتمي الى هندستان واخرى الى أفغانستان ، فكأنه المعني بما قيل ، في غابر الاقاويل .

طوراً يمان إذا لاقيت ذايمن　　　　وان رأيت معد"يا فعدناني

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جأش وجنان ، والمشاركة في كل فن من الرياضيات ، وطول الباع في المحاضرة والادبيات ، حتى يظن السامع كل الظن ، أنه منفرد في ذلك الفن ، وليس الامر كذلك ، وانما قوة الفهم والحفظ والقابلية سلكته هذه المسالك ، فحاز على رتبة الترقي ، من غير حاجة الى الاخذ والتلقي ، وساعده انقراض أهل الفنون ، فكاد أن يتكلم بما لايفهمه الحاضرون ، ومع ذلك يحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه في الفاظه ينمقها ويرونقها تدل على عدم جهله ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة وأشياخا يستند اليها ، يقل الوصول والاطلاع عليها ، ولمعرفته باللغات خالط كل ملة ، فيظن من خالطه أنه منهم من غير علة ويحفظ كثيراً من الشبه العقلية ، والعقائد والبراهين الفلسفية ، مع اهماله الواجبات الشرعية ، والفرائض الدينية القطعية ، وربما قلد كلام الملحدين ، وشكوك الخارجين المارقين ، وكثيراً ماكان يزلق في بعض المجالس ، فيطلق لسانه بغلطات من ذلك ووساوس ، فلذلك طعن الناس عليه في

---

(١) الشريف ، والكريم ، والشجاع .

الدين ، وأدخلوه في فرقة الملحدين ، وساءت فيـه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد مماته بما كانوا يخفونه في حياته اتقاء لشره ، وتباعداً من ضره ، لانه كان له تداخل عجيب في الاعيان ، وذوي السلطان والشان ، ومع ذوي الصولة ، من كل دولة ، ولم يزل يعلو ويسمو ، ويعظم قدره وينمو ، الى أن أصابه مرض خفيف وكان له مجلس عظيم في قلعة مصر قد وضعته الدولة المصرية بهـا رئيسا على المتعلمين ، فنزل من القلعة وافتصدَ وعـاد ، وعنده حنق على بعض المتعلمين فضربه بشدة فانحلت الرفادة وسال منه دم كثير فحم على أثر ذلك واستمر اياما الى ان توفي ، ودفن في جامع السراج البلقيني بين السيارج ، وعند ذلك زاد قول الشامتين وصرحوا بما كانوا يخفونه في حياته ، فمنهم من يقول مات رئيس الملحدين ، وآخر يقول انهدم ركن الزنادقة المارقين ونسبوا اليه ان عنده الذي الفه ابن الراوندي لبعض اليهود ، وسماه دافع القرآن ، وانه كان يقرأه ويعتقد به ، واخبروا بذلك رئيس الحكومة ، فطلب كتبه فتصفحوها فلم يجدوا بها شيئا من ذلك . وكانت وفاته يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الثانية سنة أحدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ حسن بن احمد بن نعمة الله الحلبي الشافعي

الفقيه الفاضل ، والعالم العامل ، المقري الديّن الناسك الصالح ، أحد القراء المعروفين بجودة الحفظ والتلاوة والأداء الراجح . ولد في حلب سنة خمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على عبد القادر المشاطي ، وجمع القراءات السبع على طريق الشاطبية بالتلقين من شيخ القراء الشمس محمد بن مصطفى البصيري التلحاصدي ، وأبي اليمن محمد بن طه العقاد ، وأتقن وبرع وحفظ وسمع قصة من صحيح الامام أبي عبد الله

محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي على أبي السعادات طه بن مهنا الجبريني وسمع البعض من الصحيح المذكور وبعض كتب الحديث على أبي اليمن المذكور ، وعلى الشيخ علاء الدين محمد بن محمد الطيب المغربي المالكي الفاسي نزيل المدينة المنورة لما قدم حلب ، وعقد مجلس السماع والتحديث بالجامع الأموي ، وأجازه بالإجازة العامة مع من حضر ، وتفقه على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي ، وأبي زكريا يحيى بن محمد المسالحي ، وقرأ العربية على الشهاب أحمد بن محمد المخملي ، وأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري المصري ، وغيرهم . وكان يستقيم غالب أوقاته في الجامع الأموي في حلب ، يتلو القرآن العظيم دراسة وتعليما مع الديانة والصلاح . توفي سنة الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ حسن بن عبد الرحمن الكليسي الحنفي ابو محمد

العالم الفاضل المتقن الأصولي المنطقي المفسر ، الزاهد الورع التقي النقي المستبصر ، مولده بكليس سنة ثمان وستين ومائة والف ، وقرأ بها القرآن العظيم ، وبعض المقدمات على الشيخ أبي بكر البستاني ، ثم اشتغل بالتحصيل والأخذ ، فقرأ على أبي عبد الله محمد المرعشي النحو والصرف ، وعلى الشيخ مصطفى اكسيوركي رسالة في المنطق ، وأخرى في الآداب ، وعلى فخر الدين عثمان المفتي الشهيد شرح الشمسية ورسالة في الآداب ، ثم ارتحل إلى عنتاب ، وقرأ بها على المحقق أبي حفص عمر بن محمد العنتابي الأوشاري البعض من كتب المنطق والمعاني والبيان ومصطلح الحديث والفقه ، وقرأ على أبي عبد الله محمد الضميفي العنتابي حصة من تفسير البيضاوي ، وحصة من الصحيح للامام البخاري ، وملتقى الأبحر لابراهيم الحلبي ، وعلى أبي الثنا محمود المقرىء المفتي حرز الأماني وختم عليه القرآن العظيم للسبع على طريق الشاطبية . ثم ارتحل إلى توقات وقيصرية وبهنسة ، واشتغل على الفحول من علماء تلك البلاد ، كالبرهان ابراهيم التوقاني ، وأبي عفان

عثمان المفتي ، والسراج عمر الخربوطي ، وأبي عبد الله محمد بن الحسين الحجابي ، وغيرهم . وقرأ الكتب المطولة في غالب العلوم والفنون ، وقدم حلب وقرأ بها أكثر الصحيح للبخاري ، وحصة من صحيح مسلم ، ونخبة الفكر وحصة من تفسير القاضي البيضاوي ، على أبي اليمن تاج الدين محمد بن طه بن محمد العقاد وسمع عليه وأجاز له ، ودرس بحلب ، وأقرأ واشتغل بالإفادة ، ثم ولي تدريس المدرسة العثمانية ودرس بها ، ولازمه جماعة . وكان من العلماء الأذكياء والفضلاء المشهورين ، وقد اجتمع فيه بحلب سنة خمس ومائتين والف خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام ، وكل منهما قد أسمع الآخر من فوائده . ولم أقف على تاريخ موته ومحل دفنه [1] .

السيد حسن بن أحمد بن أبي السعود محمد بن أحمد ابن محمد بن الحسن الحلبي الحنفي الشهير كأسلافه بالكواكبي الزهراوي الحسيني السيد الشريف بدر الدين

الفاضل الالمعي ، والكامل اللوذعي ، كعبة الادباء ، ونخبة العلماء ، من اشتهر بالفضائل ، وشهد له السادة الافاضل .

مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائة والف ، ونشأ بكنف والده وقرأ ونبل ، وأقبل على العلم حتى حصل ، وكان له في الادب والشعر

---

(١) أقول : بعد أن نقل الأستاذ الطباخ في تاريخ حلب هذه الترجمة بالحرف ، عن تاريخ الأستاذ الجد وقال ١ هـ (حلية البشر) زاد ماملخصه : كان قدومه (أي المترجم) الى حلب في حدود سنة الف ومائتين ، ثم عين مدرساً للمدرسة العثمانية بعد وفاة مدرسها ، لمعرفته باللغة التركية ، وذلك على مقتضى شرط واقفها أن يكون أحد مدرسيها عالماً بهذه اللغة ، (الى أن قال) : وكانت وفاته سنة الف ومائتين وخمسين ، ودفن في تربة الجبيلة في أوائلها من الجهة الغربية ، وحوله قبور ذريته ، وهو جد الأسرة الشهيرة بحلب المعروفة ببيت المدرّس . (ا هـ ج ٧ ص ٢٥٤) .

اليد الطولى ، وتولى منصب الافتاء العام من طرف السلطان في مدينة حلب ، وكان حسن الاخلاق كريم الطباع ، وكان له تردد عظيم ومحبة صافية مع العالم الشريف خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام حينما كان في حلب . ولما مرض المترجم المرقوم وعاده خليل افندي وكان قد أشرف على الصحة أنشده من لفظه لنفسه وذلك سنة خمس ومائتين والف قوله :

قد كنت مضنى عليلا ... وصار جسمي نحيلا
وليس لي من طبيب ... يبري لدائي غليـــلا
فـــأنعم الله مولى ... بـــين الانام خليلا
من خير أصل وفرع ... مفضـــلا وأصيـــلا
من آل بيت المرادي ... مشرفـــاً وجليـــلا
أنعم به من كريم ... قد حاز مجداً أثيلا
أباؤه الغـــر قوم ... أوفوا الكمال الجزيلا
فـــكم لهم من سجايا ... تولى العطـاء التزيلا
كانوا ملاذاً وذخراً ... لمن غـــدا مستنيلا
وبيننـــا إنتســـاب ... جيلًا وجيلًا وجيـــلا
وجدهم قطب وقت ... أعني المراد الجليـــلا
وإنه شيخ جدي ... به يؤم السبيـــلا
ونجله كان شيخا ... لوالدي مستميـــلا
وأنت ياخير نجـل ... أرجوك اذنا وقيلا
تحيي مـــآثر قوم ... شادوا العماد الطويلا
لازلت غوثا وغيثا ... وبالايادي همـــولا

وأنشد لنفسه أيضاً :

ياخليلي ومنيـــتي ومرادي ... طيب الاصل يارفيـــع العماد

جامع الفضل والمحاسن طرا ذو بهاء وكامل في الوداد
حيث وافيت منزلي زال مابي من عناه وطاب مني فؤادي
صانك الله من صروف الليالي وحماكم من أعين الحساد
لم تزل في سعادة وسرور ملجأ القاصدين من كل ناد

فكتب اليه خليل افندي هذه الابيات يمدحه ويثني على أسلافه ، وأسمعه إياها من لفظه ، وهي من لزوم مالا يلزم :

مجد بني الزهراء والكواكبي يزاحم الجوزاء بالمناكب
ونسب علا لهم وغيرهم يفخر في بيت كما العناكب
لقد رقوا من العلا منازلا تحسدها زواهر الكواكب
هم جمال الوقت لازالوا به أعزة وزينة المواكب
حيا ربوعاً وحمى يضمهم من الحيا كل ملث (١) ساكب

ومن نظمه أيضاً يمدح بني المرادي حين شرفوا الى حلب :

حبذا حبذا اتفاق الزمان بموافاة سادة العرفان
يارعى الله يومنا حيث فيه شرفوا حيّنا ونلنا الاماني
قادة شيدوا منار المعالي وعلاهم يعلو على كيوان
صفوة الشام بل هم الانجم الزهـ ـر وأقمار ذروة الدوران
عن ثقات لقد سمعنا علاهم فعرفنا مصداقها بالعيان
هم مرادي وبغيتي ومرامي ثم قصوى بشائري وأماني
منهم سيد همام بهي كامل الذات غرة الاعيان
روح انس ونزهة الدهر حقا ذو صلاح وعابد الرحمن
خصه الله بالكمال مع اللطف وأولاه بالعلى والشأن
وكذا الفاضل الوقور عليّ من علا بالتقى وحذق البيان

---

(١) ألث المطر : دام أياما .

جوهر خالص ودر نضيد   فاق إجلاله على الاقران
إن أجاد النظام نذكر قسا   أو أفاد العلوم كالنعمان
وكذا المصطفى الشقيق المصفى   بارع الذهن حائز الافتنان
من له في العلوم فوق وتوق   وترق بها وصدق اللسان
وكذا الكامل الاديب سمي   حسن الذات من بني الاسطواني
لايزالون في نعيم من العيش   مقيم على مدى الازمان

فأجابه مجد الدين المراهي

حبذا حبذا بلوغ الاماني   وبشير وافى بعقد الجمان
جاءنا مخبراً بأي سرور   وحبانا وعمنا بالتهاني
نحمد الله صح جسم المعالي   بدر أفق العلوم بحر المعاني
وبه أصبح الزمان معافى   من سقام الكدور والأحزان
يالها نعمة تعم البرايا   غمرتنا باللطف والاحسان
أيها السيد الهمام المفدى   معدن الفضل روح هذا الزمان
حسن الذات والصفات المسمى   حسناً والكتاب كالعنوان
يا ابن قوم تزينت بحلاهم   حلب وازدهت على البلدان
طلعوا في العلا كواكب علم   وهمى جودهم بكل مكان
جمع الله فضلهم فيك حتى   حزت ما عنه كلّ كل لسان
وملكت القلوب باللطف يهوى   لك كالبيت كل قاص ودان
وسحرت العقول بالنظم مما   فيه من رقة وحسن بيان
ياله مفحما ولله عقد   منه وافى يروق حور الجنان
ماظننا من قبله النجم ينصا   غ حلياً وزينة للحسان
حفظ الله حاذقاً صاغ هذا الشعر   فضلاً يهدى إلى الاخوان
وكفاه شر الحسود وأبقى   جاهه شامخاً على كيوان

بالغاً مايروم والعيش صاف في نعيم وصحة وأمان
مع أهليه والبنين خصوصا وجميع الأحباب والخلان
ماحلا ذكره الجميل وغنت صادحات الحمام في الأفنان

وتوفي سنة الف ومائتين ونيف وعشرين تقريباً رحمة الله تعالى عليه (١)

الشيخ حسن بن عبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر التادفي الشافعي

الشيخ أبو محمد الفقيه المقريء، مولده بتادف سنة خمس وخمسين ومائة والف، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي محمد عبد الرزاق المكتبي، وارتحل الى حلب وتوطنها، وتفقه بأبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري وغيره، وكان صالحاً تقياً نقياً زاهداً عابداً ديناً كريماً، توفي رحمه الله سنة الف ومائتين و...

الشيخ حسن الهابط

المجذوب لمولاه، والمنقطع عمّا سوى الله، صاحب الكرامات الظاهرة، والخوارق العجيبة الباهرة، ولد سنة الف ومائتين وعشرين، ونشأ في حجر

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء (ج ٧ ص ١٨٨) بعد أن نقل ترجمة الأستاذ الجد له، قال: وترجمه الشيخ عبد الله العطائي في رسالته: الهمة القدسية المدرجة بتمامها في ترجمته الآتي ذكرها: ومن آثاره كتاب سمّاه (النفائح واللوائح من غرر المحاسن والمدائح) جمع فيه نظم والده، وما مدح به من شعراء عصره، وما مدح به أسلافه، وعقد لكل واحد من هؤلاء الشعراء ترجمة .. وكانت وفاته كما هو محرر على قبره في جامع جدّه أبي يحيى في رجب الفرد سنة الف ومائتين وتسع وعشرين رحمه الله تعالى .

والده ، وعلمه صنعة حياكة الحرير ، ثم غلب عليه الجذب والسكوت وترك الحياكة ، ولازم الساحة المعروفة ، في ميدان الحصا بساحة الحمّام ، يعني حمام التوتة ، وهذه الساحه قد دفن بها جملة من السادات المجاهدين ، وبها قبورهم ظاهرة مشهورة مقصودة بالزيارة ، غير انه لم يعرف من اسماء أصحابها إلا الشيخ حرب والشيخ موسى ، وكثير من الناس قد حفروا في تلك الساحة فوجدوا بعض المدفونين بها بحالهم ، وعندهم بعض اسلحة من الطرز القديم ، كالسيف والنشاب والدرقة ، واذا الانسان مر بين قبورهم في ليل أو في نهار يجد انساً وروحانية وفرحاً ومرورا ، نسأل الله تعالى أن يلهم أهل الحمام الذي في جوارهم صيانتهم واحترامهم من فرشي الزبل والأقذار التي يفرشونها بين قبورهم وعلى مدافنهم المدروسة فان القبور تصان لاتبتذل وتهان ، خصوصا قبور السادة المجاهدين في سبيل الله ، فان من آذاهم وان أمهل لا يهمل ، نسأل الله الحماية ، والحفظ والوقاية (١) ثم نرجع الى المترجم فانه رضي الله تعالى عنه كان ملازما للوقوف في هذه الساحة ، ويتردد بها قليلاً ولا يخرج عنها ، وكان في أيام الشتاء والبرد ينزل عليه المطر الغزير والثلج الذي ربما يرتفع على الأرض ذراعا ، ولا يتظلل ولا ينتقل ، حتى انه مرة كان واقفاً فنزل الثلج وكثر ، فجلس على الأرض وجلل عليه الثلج حتى ستره بالكلية ، فتفقده الناس فلم يجدوه ، ففتشوا عليه فوجدوه مستوراً في الثلج ، فحينما وجدوه وأزاحوا الثلج عنه خرج البخار من عنده ، وكأن محله فيه نار ، ولما نظروا اليه وجدوه ضاحكاً باسماً يتكلم بكلام لا يعرفونه ولا يفهمونه ، لأنه كان يهمس في الكلام همسا ، وكان لا يلبس على جسمه سوى قميص وبوطية من الصوف ، وكان إذا أظهر المحبة الى انسان شمه بانفه ،

---

(١) لقد جمعت العظام من تلك القبور ، ووضعت في قبر واحد ، وأقيم مكانها ملجأ ، وغرس فوقه أشجار .

وكان دائما نظره الى الارض مطرقاً برأسه يدور في محله ويتردد ، كأنه محتار مدهوش واقع في مهم عظيم . وفي سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، حينما طلب السلطان عبد المجيد والدي ودعاه الى ختان أولاده ، فكانت المكاتيب من والدي إلينا متواصلة ، الى أن انقطعت عنا المكاتيب مدة طويلة ، فصعب علينا الأمر ، وانشغلت أفكارنا وكثرت التأويلات في هذا الأمر من الناس ، فحصل عندنا جزع عظيم ، فخرجت من دارنا الى الجامع المعروف بجامع الدقاق في الميدان الذي هو في محل اقامتنا وصلاتنا وقراءتنا ، وكان اليوم يوم خميس ونحن في غاية الضيق ، فوجدت المترجم يتردد أمام حجرة والدي ، ولم يكن له عادة في الانتقـــال من الساحة المتقدمة ، فاستغربت الأمر كثيرا ، وعرفت انه ما كان ذلك إلا لحكمة ، فتقدمت إليه وسألته ، فقال بلسان فصيح يأتي الشيخ يوم الاحد ، فقلت له وأي احد ؟ فقال يوم الاحد ، فكررت عليه وهو لا يزيد عن ذلك ، في ثاني يوم صباحاً ورد علينا المكتوب من بيروت بحضوره إليها ، وكان وصوله إلينا يوم الاحد كما قال المترجم . وكان كثيراً ما تأتي إليه جملة من اكابر المجاذيب ليلا ، فيجلسون عنده ويتذاكرون معه ، وإذا مر عليهم أحد سكتوا عن الكلام الى أن يبعد عنهم ، ورؤوسهم متدانية بعضها من بعض ، خوفاً من أن يسمعهم أحد . وأما صغار المجاذيب فانهم لا قدرة لهم على المرور من محلته ، حتى لو جرهم احد يتمنعون من مطاوعته ، ويظهرون الخوف والتباعد ، ومع حالته رضي الله عنه وعدم كلامه كان جماليـــاً لا جلاليا ، يأنس الانسان به ، وليس له حالة فظيعة ولا مسبة ولا كلام بشتم ولا غيره ، كما يحصل من بعض المجاذيب ، بل كان يسكت عند كلام الناس ولا يجاوب أحداً إلا في بعض الأوقات ، إذا كان السرور متجلياً عليه . ولم يزل على حاله الى أن توفي عاشر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائتين والف

ودفن في جبانة باب الله .(١)

السيد الشيخ حسن افندي بن السيد سليم الدجاني الحنفي اليافي المتصل نسبه بالسيد المصطفى ﷺ

العالم الأديب ، والنحرير الاريب ، والهمام الفاضل ، والإمام العامل ، حبر العلوم العقلية والنقلية ، وبحر درر المنظوم والمنثور والمعارف السنية ، المتفنن في اللغات الثلاث العربية والفارسيه والتركية ، والمعتمد عليه في أمانة الفتوى الشرعية .

ولد في مدينة يافا سنة الف ومائتين وحدود الثلاثين ، ونشأ في حجر والده وقرأ عليه بعض الفنون ، ثم انتقل الى الجامع الأزهر المصون ، فحضر دروس السادة الأكابر ، الى أن صار يفتخر به الحاضر على الغابر ، ثم عاد بعد التكميل ، ونال في محله أرفع مقام جليل ، الى أن ولي بيافة المحروسة أمانة الفتوى ذات البها ، وكانت لا تليق إلا له ولا يليق إلا لها . ولقد اجتمعت به عام توجهي الى الرحاب القدسية ، لزيارة الأماكن العلية ، فقطعنا مدة إقامتنا في يافا في مذاكرات علمية ، ومطارحات أدبية .

من كل معنى يكاد الميت يفهمه   حسناً ويعشقه القرطاس والقلم

فكنا تارة نتذاكر في أخبار من سلف ، وتارة نتفاكه في بدائع الملح والطرف ، وآونة نجول في معاني المسائل الشرعية ، وآونة في معاني الأحاديث والآيات القرآنية ، وسأل مني عن المعرفة في الربع المجيّب والمقنطر ، وأخبرني أنه قرأ المجيّب لا المقنطر فطالعته معه أياماً ولم

---

(١) قلنا في مقدمة هذا الكتاب : ان المؤلف رحمه الله ، قد وصف فيه عصره ، وجرى فيه على طريقة المحبي والمرادي ، فإن تواريخهم مرآة لعصورهم على اختلاف الرجال والأحوال ، وقد نقلوا جميعاً بعض مايؤثر عن بعضهم من حكايات غريبة ، أو أمور مبتدعة ليست في كتاب ولا سنة ، كما يرى القارىء في تعليقاتنا على كثير منها بالكلم الوجيز .

نقض من التكميل الوطر ، لأنه قد ضاق الوقت ونحن على جناح السفر ، غير أنه حصل عنده الالمام ، يقتدر به على تحصيل المرام . وكان جسوراً حسن الأخلاق ، حقيقاً باللطف والوفاق ، جميل الذات كامل الصفات ، عفيفاً زاهداً ، ورعا عابدا ، متحريا للصواب ، في السؤال والجواب ، محبوبا عند الناس ، مجلسه لايمل لما فيه من الملاطفة والايناس ، لين الجانب متواضعا ، متذللا لمولاه خاضعا ، حسن الأوصاف ، متواصل الأضياف ، له شهرة حسنة ، وآثار مستحسنة ، وجاه عال رفيع ، وقدر سام بديع ، وجلالة في القلوب ، وهيبة فوق المطلوب والمرغوب ، وهيئة تشهد له بفضله وعلاه ، وهمة سامية تقضي له بأنه زينة الكمال وحلاه ، ولما توجه حضرة العالم الأفخم ، والصدر الأبهى الأعظم ، سيدي الإمام الامير السيد عبد القادر بن السيد محي الدين الجزائري إلى بيت المقدس الشريف للزيارة مر في طريقه على مدينة يافا ، ونزل في دار العالم العامل الشهير الشيخ حسين الدجاني ، فقدم أخوه المترجم المرقوم لحضرة الامير السيد عبد القادر هذه القصيدة وهي :

عهدنا بغرب مطلع البدر مشرقا ... وإنا نراه الآن قد لاح مشرقا

وللغرب أصل الفضل إذ هو مطلع ... وإن يك ذاك البدر في الشرق أشرقا

رعى الله بدراً قد سرى بمحمد السرى ... الى الحرم القدسي وهام تشوقا

فلله من يوم به وصل المنا ... وجاد بشير الانس بالوصل واللقا

وأشرقت الدنيا بطلعته التي ... بدت شمس حسن نورها قد تألقا

بروحي أفدي من علقت بحبه ... وأضحى اليه الاب بالرهن موثقا

سما في سما العليا كمالاً وبهجة ... ولطفا وظرفا فوق عرش البها ارتقى

لطلعته تعزى المحامد مثلما ... لحضرة محي الدين حمدي تحققا

ومرآه عيد للتهاني كمقدم ... لمولاي عبد القادر السامي مرتقى

إمام محاريب الافاضل جامع ... لكل كمال في الانام تفرقا

همام بيوم الحرب أثنت حرابه ... عليه وفي المحراب أضحى موفقا

طويل نجاد وافر الفضل كامل ... بسيط الندى قد فاق فيها ومنطقا
وما هو إلا سيد وابن سيد ... له المحتد العالي من الدر منتقى
مليك إذا ما أم ساحة جوده ... أسير العنا في الحال منّ وأعتقا
حوى البأس والمعروف والجد والذكا ... وحاز المعالي والمكارم والتقى
ولا عيب فيه غير أن عطاءه ... أبان لعجز الشكر لما تفتقا
سل الصارم الهندي عنه فإنه ... يحدث عن فضل به الضد صدقا
وابس لماضي عزمه من مضارع ... لعليائه الامر انتهى وتعلقا
زهت جلق مذرامها منزلاً له ... فزدْ من بروج البدر في العدّ جلقا
وأضحت دمشق مذ أناخ بسوحها ... كجنة خلد نشرها قد تعبقا
وكنا سمعنا من مآثر فضله ... فهمنا على حب السماع تعشقا
فكان عياناً فوق ما وصفوا لنا ... وشاهدتُ فرداً بالكمال تخلقا
وحاشاه أن أحصي بمدحي نعوته ... وهل يحص ودق (١) في البرية أغدقا
وما الشعر من دأبي ولا أنا أهله ... وإن أك أحياناً به متعلقا
ولكن أياديه التي عم فضلها ... وحبي لآل المصطفى العروة الوثقى
دعاني الى هذا القريض وانني ... مقر بتقصير به أطلب العتقا
أمولاي محي الدين والسيد الذي ... على فضله الاجماع قام وأطبقا
هنيئاً هنيئاً بالقدوم الذي به ... لقد أقبل الاقبال واستدبر الشقا
ووافى الوفا (يافا) بكم وتشرفا ... وفاقت على الامصار فخراً ورونقا
فبشراك يابدر العلا بزيارة ... بها فتح تقريب لما كان مغلقا
ولا زلت في أوج السيادة راقيا ... ودام لك الاسعاد والعز والبقا
وهاك عروساً في مديحك قد حلت ... بحلي ثناكم جيدها قد تمنطقا
على خجل وافت تؤم رحابكم ... فمن عليها بالقبول تصدقا

(١) الودق : المطر اهـ .

وصل وسلم يا الهي تكرما على المصطفى خير الخليقة مطلقا
وآل كرام ثم أصحاب هديه مدى الدهر ماغصن المسرة أورقا
وما حسن نجل الدجاني قد شدا وقال يمن من كنجم السهى رقى
وأضحى بيمن بالقدوم مؤرخا الى المسجد الأقصى سرى يطلب التقى

ثم قدمها اليه فحظيت منه بالقبول ، ونالت من الالتفات غاية المأمول ، وكان حضرة الأمير يعظم المترجم ويظهر له الحب والوداد ، لما كان منطويا عليه من الأدب واللطف وحسن المذاكرة والمحاضرة وفصاحة اللسان وحسن الهيئة وجمال الخصال الممدوحة .

وفي منتصف شوال سنة الف ومائتين وأربع وسبعين توجه مع أخيه المرحوم العلامة الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا الى الحجاز وقبل توجههما نظم أخوه قصيدة يطلب بها الاذن من حضرة النبي ﷺ بالحج وأولها :

ياطائر البان خذ مني مراسلة لروضة قد حواها أشرف الرسل

وقد شطرها المترجم وذيلها ونص الذيل قوله :

يا كعبة الجود ياشمس الوجود ويا بدر الشهود على علياك متكلي
بالله خذ بيدي عطفاً ومُنَّ على عبد مشوق قليل الحول والحيل
فارحمه يارحمة الدارين ياسندي وكن شفيعي يوم العرض من خجلي [١]
أرجو الوصال فقدطال المدى ولقد قل اصطباري ووجدي غير منفصل
لناظم الاصل مفتي العصر جد وعلى أخيه وهو أبو الاقبال يا أملي

وله تشطير بيتي أخيه الموجودين في ترجمته بعد هـذه الترجمة ، وله أبيات كثيرة ، وقصائد شهيرة ، موجودة في ديوان شعره ، المحتوي على

---

(١) للشفاعة الشرعية شرطان : الإذن من المولى سبحانه للشافع والرضى عن المشفوع له ، قال تعالى : « يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ، ورضي له قولاً » سورة (طه) الآية ١٠٩ .

نظمه وبعض من غرر نثره ، واذا أردت الإطالة فيما له من المناقب والآثار ، والفضائل وجميل الأخبار ، خرجت عن المطلوب من الاختصار ، عليه رحمة العزيز الغفار ، مات سنة الف ومائتين ونيف وتسعين ودفن في مقبرة يافا وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك بزيارته .

الشريف الحسن بن علي البدري العوضي

السيد الأفضل ، والسند الأكمل ، المقري بن المقري ، والفهامة الذي بكل فن يدري ، والبدر الذي أضاء في ليالي العرفان ، والصدر الذي أوضح دقائق المشكلات بإتقان ، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكامل كشف عن محيا الطرائف لثام رموزها ، فأظهر الأنفس من نفيسها ، وجنى ثمار حكمها من أفنان غريسها ، ولعمري إنه بذلك جدير وحقيق ، كيف لا وهو الهمام الذي به كل مدح يليق . ربي في حجر والده المصون ، وحفظ القرآن والمتون ، وأتقن القراءات الأربع عشرة ، وحضر أشياخ الوقت وأنجب ، وقرأ الدروس ونظم الشعر وأطرب وأغرب ، وشهد له الفضلاء ، والسادة العلماء ، وله ديوان مشهور بين الناس ، قد امتدح فيه العلماء والأعيان الأكياس ، وبينه وبين الصلاحي وقاسم بن عطا الله مطارحات أدبية ، ومذاكرات شعرية ونثرية ، ومن مطارحات العالم العلامة ، والجهبذ الفهامة ، الشيخ محمد الأمير ، ذي الفضل الشهير ، للمترجم قوله :

حي الفقيه الشافعي وقل له ... ما ذلك الحكم الذي يستغرب
نجس عفوا عنه ولو خالطه ... نجس فإن العفو باق يصحب
وإذا طرا بدل النجاسة طاهر ... لاعفو يا أهل الذكاء تعجبوا

فأجابه المترجم بقوله :

حُييت إذ حييتنا وسألتنا ... مستغرباً من حيث لا يستغرب

العفو عن نجس عراه مثله   من جنسه لا مطلقا فاستوعبوا
والشيء ليس يصان عن أمثاله   لكنه للأجنبي يجنب
وأراك قد أطلقت ماقد قيدوا   وهو العجيب وفهم ذلك أعجب

ومن نظمه مؤرخاً لمولد السادات بني الوفا قوله :

قصدناكم فأتنينا عليكم   بأجمل مدحة وأجل صيغة
وشاهدنا الذي جددتموه   فأرخنا موالدكم بليغه

وله في مدائح الاستاذ أبي الأنوار بن وفا قصائد طنانة وغير ذلك ، وهو كثير مذكور في ديوانه . وله أيضاً تآليف وتقييدات وتحقيقات ورسائل في فنون شتى ، ورسالة بليغة في قوله تعالى « أستكبرت أم كنت من العالين »[1] وكان الباعث له على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفي في تفسير الآية بمجلس علي بك الدفتردار ، فظهر بها على الشيخ المذكور ، وأجازه الأمير المذكور ، بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسيني ، ورتب له معلوما بوقته ، وقدر له كل يوم عشرة انصاف فضة يستغلها من جانب الوقف في كل شهر ، واستمر يقبضها حتى مات ،في شعبان سنة أربع عشرة ومائتين وألف ،ولم يخلف بعده مثله في معارفه وعوارفه .

السيد حسن حسني بن السيد محمد بن السيد اسماعيل
ابن السيد محمد بن السيد درويش بن السيد عبد الله
الاعوج الموصلي سكنا وموطنا وولادة المدني أصلا ينتهي
نسبه الى النبي ﷺ القاضي العام بدمشق الشام

عالم الأوان ومصنفه ، ومقرظ البيان ومشنفه ، بتآليف كأنما

---

(١) سورة (ص) الآية (٧٥)

الخرائد [1] وتصانيف أبهى من القلائد، حلى بها من الزمان جيداً عاطلاً، وأرسل بها غمام الاحسان هاطلاً، ووضعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من اتقان وإبداع، واستوى من الأدب على أعلاه، وخاض لجوده حتى وصل الى منتهاه، فلا غرو أنه قطب مدار العلوم، وفلك اشراق المنطوق والمفهوم، وارشاد طريق الهدى، وميدان الحلم والنـدى، ولد سنة الف ومائتين وثمان وأربعين ونشأ في حجر والده، وما زال من حين صباه مكبًا على الطلب حتى أولاه من الفضل ما أولاه، دعاه منصب القضاء لهامه تاجا، ورعاه لكل فضيلة سبيلاً ومنهاجا، وفي سنة الف وثلاثمائة وأربع في محرم الحرام، زاد الشام فضلاً بتشريفه متقلدا بقلادة القضاء العام، فاعترف بفضله الأفاضل، وأقروا اتصافه بأنواع الفضائل.

وله من التآليف الحسنة، والتصانيف المستحسنة، شرح الرائية، في الحضرة الطائية، وشرح البرهان في المنطق، وله التفسير المسمى بفتـح الرحمن بتفسير القرآن، كتب فيه مجلدين الى سورة الأنعام، أحسن الله له البدء والختام، وله كتب أخر ورسائل، تدل على أنه من أجل ذوي الفضائل والفواضل، وحينما اطلعت على تفسيره، وأمعنت النظر والفكر في معـاني تقريره، وجدته التفسير الوحيد، يحق له أن يكون من منظوم التفاسير بيت القصيد، وقد كتب عليه تقريظاً أئمة عظام، وسادات كرام، وكنت فهمت من تلويح مؤلفه، ومنمقه ومصنفه، أن أكون داخلاً في عدادهم وإن كنت أحقر إنسان محسوب من آحادهم، فامتثلت الأمر وكتبت، وعلى الله توكلت:

بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لمن سرح عيون القلوب، في رياض رياحين الغيوب، وكشف عن محيا مخدرات معاني القرآن، حجاب الستر حتى برزت للشهود والعيان، فتجلت لها من مكنون الخيام عرائسها،

---

(١) جمع خريدة، وهي اللؤلؤة التي لم تثقب.

وبرزت من مصون الخدر نفائسها ، مطوقة الجيد بنظيم العقود ، متحلية بلباس قديم الألفاظ الفارقة بين الشاهد والمشهود ، وصلاة وسلاماً على المؤيد بمعجزات تتلى ، على ممر الدهور لاتخلق ولا تبلى ، فلم تصل الى لمسها يدُ فكر عن التمسك بالحق حائدة ، ولم يتطرق اليها سنان ألسنة لقبيح الطعن رائدة ، بل حميت حديقتها بحصون القول المصون ، « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١) فتمنعت بجيوش صولة الإعجاز ، عن رؤية جاهل لايفرق بين الحقيقة والمجاز ، وعلى آله الذين مهدوا منهاج البلاغة ، وأصحابه الذين امتثلوا أوامره وصدقوا بلاغه ، وعلى التابعين وأتباعهم الكرام ، إلى قيام الساعة وحشر الأنام .

أما بعد فإن روض الكلام القديم لاتزال أفنانه تترنح بنسمات القبول ، وثمرات أدواحه لايعتري نضارتها مدى الدهر ذبول ، وتلاوة آياته أشرف عبادة وأجل طاعة ، وخدمته على كل حال لذوي العرفان أجل بضاعة ، بيد أنه لايتيسر لكل إنسان الدخول لحرم فهم آياته ، ولا يرتقي ُمعانيه لمعالي َمعانيه ومجالي مرآته ، إلا بشرح يشرح القلب والخاطر ، ويجلو غين الاغيار عن عيون البصائر ، فلذلك شمر عن ساعد الجد والاجتهاد ، وحسر ذيل العوائق عن الوصول إلى أوج المراد ، حضرة المتحلي بحلية الفضائل ، والمتخلي عما لايعد من أكمل الشمائل ، جمال العلوم والمعارف ، المتفيء ظل ظليلها الوارف ، من أشرقت بسنا علومه مطالع بروجه ، واشتهر في الأقطار ارتقاؤه على مدارج عروجه ، المولى الهمام ، عمدة العلماء الأعلام ، فخري زاده السيد حسن حسني أفندي قاضي الشام ، بلغه الله في الدارين المراد والمرام ، فكتب من التفسير إلى سورة الأنعام ، وذكر مايشهد له بأنه قد أولى الناس أولى منة وإنعام ، ولعمري قد رمى قلوب حساده بشرر كالقصر ، ونشر

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩)

أعلام فضله على هام علاه فهي تخفق بالنصر ، كيف لا وقد كان استمداده من فيض فتح الرحمن ، واستيفاؤه من بحر الوارد والإلهـام والتنوير والوجدان ، فلذا كان هذا التفسير في التحقيق بيت القصيد من ديوان التفاسير ، يحسن صرف نقد العمر في اقتناء ما أودع فيه من أجل التحابير ، ويحق له أن يذكر ، ويثني عليه ويشكر ، ولسان حاله يخاطب موافيه ، وينادي علناً بملء فيه :

وأولاك الجميل بغـير مطل　　وعن وجه الندى رفع الحجابا

وبل ثراك بالجدوى فحق　　عليك تصـير التقريظ دابا

فلله تفسير جمع ماهو لطرف الدهر حور ، ولجيد العصر عقد يزدرى بفرائد الدرر :

فتـحُ الرحمن له تحنو　　مهـج العلماء مدى الزمن

تفسير راق ورق وفـا　　ق وجاء على أعلَى سـنن

إن كان فريـداً لا عجب　　لاينكر حسن عن حسـن

لازال مؤلفه يسـدي　　مَن يمّمَه أوفى المـنن

أدام الله إشراق فجر مجده ، وإبراق لوامع طوالع سعده ، وأدام به نفع العباد ، وحسم بقواطع حججه هام الأضداد والحساد ، ماتلا الفـاتحة إمام ، وختم بالثناء والصلاة والسلام ، وحرر خامس ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وأربع ، بقلم الفقير أحقر الورى عبد الرزاق بن حسن البيطار ، عفا عنهما الملك الغفار اهـ . ثم ان المترجم المذكور له نظم بديـع ، ونثر رائق رفيع ، وقد أسمعني حفظه الله جملة من قوله ، منه :

وقائلة هل علاك الشيب من كبر　　أم من هموم توالت مالها طب

أجبتها من بني الأوغاد ما حملت　　أكبادنا من كلام أمرع الشيب

ومنها في معرض التبريك لوصفي أفندي باشا كاتب شورى الدولة :

ومنحك نيشان المجيدي ثانيا　　دليل على مجد حوى الصدر أرفع

فصدرك وصفي بالكمال مرصع علي لنيشان الفضائل موضع

ومنه في ذم « وان » ، وقد مكث بها في منصب القضا :

سائلي عن بلد وليتها كيف كانت نسبة بين المُضر

إن ترم شرحاً لوانٍ موجزاً دار جهل وفسوق وكفر

ومن جملة ما أسمعني حفظه الله من نظمه ، وكان قد قدمه للحضرة السلطانية ، قوله :

قلوص تخب البيد(١) من أرض موصل إلى موصل الآمال يبغي هجوعها

وتسكن إن وافت بروجا ترفعت بابصار قصر شاد ممكا يروعها

فيحلو بها مر الفيافي لراكب وثيق بمهطال يروّي ربوعها

وتذهله النعماء عن حب موطن تصورها يهدي اليه بديعها

بقسطنطينة الدنيا ومرة أرضها يضيء له قصد السرى ولموعها

لمشم أياد للخليفة أصبحت أياد على العافين يسدى صنيعها

وأعتاب سلطان سرادق ملكه يباهي بها سمك السماء ضلوعها

أمير لكل المسلمين ومالك رقاب الملا عقداً حباه رفيعها

حميد المزايا مجده بالغ السُّهى وشمس علاه أبهرتنا سطوعها

يبصر غاويها المحجة هديه ويشكر نعماه التقي مطيعها

بإشفاقه الأرحام توصل في الورى بأيد أياديها يروق مريعها

ونيران ظلم كاد يسطو لهيبها بعدل أراه الناس كان هجوعها

جنى الدهر أنواع الرزايا فأظلمت عن الملة البيضا وبانت صدوعها

فقام لحل المعضلات بهمة يضاهي الجبال الراسيات منيعها

فدام له شكر الأنام لراحة براحته العليا أعيد زموعها(٢)

---

(١) القَلوص من الإبل : الطويلة القوائم ، والباقية على السير ، وهي تقطع الفلوات .

(٢) عودها وثباتها .

فإنك ظل الله في الناس قائم ... على شرعة المختار تحيا فروعها
وأجنادك الفرسان في حومة الوغى ... أسود كأمثال الجبال جموعها
وأجدادك الغر الكرام بجدهم ... أضاءت بها البلدان حقا شموعها
وقد أكثروا فتح البلاد وأعمروا ... فأعلامهم في الحرب فاقت لموعها
لهم خدمة للدين من عهد فاتح ... وقبلاً وبعداً غير خاف صنيعها
فلا برح السلطان فاتح وقته ... حميداً على رغم الأعادي جميعها
ولا زال للعلم الشريف مرغباً ... لأهليه بالإحسان يدنو شسيعها
ولا برح الدين المبين بوقته ... كشمس وفي برج القلوب طلوعها
ولا انفكت الرايات تخفق نصرة ... كخفق قلوب الكافرين تروعها
أتيتك ظل الله شارح نسخة ... لبرهان ميزان فهان منيعها
هدية محتاج لأعتاب حضرة ... بإخلاص نفس اطمأنت ضلوعها
أرجي به فيضاً تعوده الورى ... لأحظى بألطاف نداكم يذيعها

وغب تشريفه إلى دمشق ، قدم إلى حضرته صالح أفندي المنير هذه الأبيات :

بشرى دمشق بعدل ... يسمو بصدر حق
قاضي القضاة الشريف ... الحسن خلق وخلق
علامة العصر حاوي ... أزكى صلاح ورفق
مذ جاء أنشدت بيتا ... مؤرخاً قول صدق
الشرع نادى هناء ... حسني بدا بدمشق

وقلت مرونقاً شعري بمدحه ، ومنوراً نظامي بمنثور أوراق دوحه :

مال بي للوجد قلبي حين مال ... اهيف قد شب في حجرا لدلال
ونسيم الفجر يثني عطفه ... لجنوب ويمين وشمال
مفرد في الحسن إلا أنه ... من سنا صدغيه قد ضاء الهلال
حينما يبسم خلت المبسما ... قفل مرجان على كنز اللآل

لو تراءى في الدياجي سافراً عن محيا قلت ذا بدر الكمال
صحت مذ أخفاه عني شعره كيف يخفى البدر في داجي الليال
ما صبا يوماً لصب مدنف (١) قاده الوجد لسقم واعتدال
كم ليال بت ابكي عندما عند ما أيقنت منه الاعتزال
كلما أشكو له فعل الجفا مستغيثاً بالوفا قال محال
وانثنى عني وولى معرضا يتهادى بين تيه ودلال
ظن بالهجران سلواني له لا ومن سواه فرداً في الجمال
عاذلي دع عنك عذلي واسترح ليس يلويني عن الحب مقال
قد نأى قلبي ولي في الهوى واصطباري ضل والهجران طال
فأتني حتى متى اشكو النوى عوض الهجران عطفاً بالوصال
ليت شعري ما كفاني في الهوى ان جسمي صار من غير خيال
قد رماه الهجر في ضنك الضنا واعتراه السقم حتى قيل زال
هل غرامي للامي موجب واحتراقي فيك باقي لن يزال
من يلمني في هوى ريم (٢) رمى مهجتي ويلاه في اسوأ حال
هو عندي عادل مهما بدا منه من هجر وصد وملال
فاق كل الناس في الحسن كما فاق فضلاً حسنُ قطبُ الكمال
شبل ممدوح الورى محمد من رقى اوج التقى في كل حال
ياله شبل على متن العلا قد علا خلقاً وخلقا وجمال
بحر علم ما له من ساحل موجه يقذف دراً ولآل
طاهر من كل عيب سالم قد روى حلية اصحاب وآل
عنه أخبار المعاني حدثت انه فرد الورى كنز النوال

---

(١) من لازمه المرض .

(٢) الظبي الخالص البياض ، ومنه استعير للانسان .

عادل عن نهج جور عادل   صادق اللهجة محمود الخصال
حاكم بالحق لا يلويه عن   صدعه بالحق مال أو مقال
كيف لا وهو ابن من ساد الملا   منقذ الغاوين من غي الضلال
دام في عز إلى يوم اللقا   كاسياً ثوب فخار وجمال

مات المترجم رحمه الله في الاستانة وكان مفتش الأوقاف، في حدود الألف وثلاثمائة وستة عشر رحمه الله تعالى .

حسين افندي بن علي افندي المرادي مفتي دمشق الشام

عالم عامل، وإمام فاضل، ولد في دمشق سنة الف ومائتين، وغب أن قرأ القرآن، وجوده على ذوي العرفان، أخذ عن عمه خليل افندي، وعن السيد شاكر مقدم سعد، وعن غيرهم من علماء الشام، ذوي المناقب والشمائل والفضل التام، وقد تولى منصب الإفتاء عن استحقاق، ولم يزل إلى أن دعاه داعي الفراق إلى الرفاق، وكانت وفاته سنة الف ومائتين وسبع وستين، ودفن في مدفن بني المرادي في دارهم في سوق صاروجا (١) رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطي الرشيدي

العمدة النبيه، والفاضل الفقيه، تعلق بالعلم وانخلع من الأمرية والجندية، وحضر أشياخ زمانه، وعلماء وقته وأوانه، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي،

---

(١) هو ابن أخي خليل افندي مفتي دمشق، وصاحب التاريخ في أعيان القرن الثاني عشر . انتخب المترجم، وانتقلت اليه الفتوى بعد وفاة والده، وكان عنده عدة أمناء للفتوى من الجهابذة، أحدهم السيد محمد أمين عابدين . وكان فقيهاً فاضلاً كريم اليد، تهابه الأمراء والعلماء .

وانتقل من مذهب الحنفية إلى الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن في بداية أمره بوشيد ، وجوده على السيد صديق ، وحفظ شيئاً من المتون قبل مجيئه إلى مصر ، وأكب على الاشتغال في الأزهر ، وتزيا بزي الفقهاء بلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرّس في الفقه والمعقول وغيرهما .

ولما وصل محمد باشا إلى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة أبي قير فجعله إماماً له يصلي خلفه الأوقات وحضر معه إلى مصر ، ولم يزل مواظباً على وظيفته ، وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصاً وإقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد العظيمة ، ويأخذ ممن يتولى عليهم الجمالات والهدايا ، وأخذ أيضاً نظر وقف الأزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو ، واستمر المذكور على القراءة والاقراء ، حتى توفي أواخر سنة تسع وعشرين ومائتين والف .

الشيخ حسين بن حسن الكتاني بن علي المنصوري الحنفي الأزهري

الفاضل المفضل ، والكامل المبجل ، عمدة العلماء الأعلام ، ونخبة الأساتذة الكرام ، تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصوري والشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الفارمي والشيخ عمر الديركي والشيخ محمد المصيلحي ، وأقرأ في فقه المذهب دروساً في محل جده لامه في الأزهر . ولما كانت حادثة السيد عمر مكرم النقيب ، نفوه من مصر إلى دمياط وكتبوا فيه عرضاً للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوي من الشهادة عليه في أمر ادعوا عليه به وهو يتبرأ منه وينكره ، كما تعصبوا عليه وعزلوه من مشيخة الحنفية وقلدوها المترجم ، فلم يزل يخدمها حتى مرض . وتوفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في جمعية عظيمة ودفن في تربة المجاورين رحمة الله علينا وعليه آمين .

الشيخ حسين المعروف بالرسامة الحنفي الدمشقي

العالم الإمام ، والحبر الهمام ، أحد العلماء الأعلام ، ولد بدمشق ونشأ بها على العلم والعمل ، مع التقوى والعبادة والتواضع والخشوع والوجل ، وكان مستقيم الأوطار ، جميل الأطوار ، عاملاً بالسنة ، ذا نفس مطمئنة ، مات بدمشق سنة أربعين ومائتين والف ودفن بباب الصغير . وكان إمام أهل الفرائض (١)

الشيخ حسين بن حسين بن محمد الدمشقي الحنفى العطار الشهير بالمدوس

ولد في دمشق الشام في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ، وكان عالماً استاذا ، وفاضلاً ملاذا ، تتقاطر مياه التقوى من وجهه ومحياه ، ويشرق نور المصباح من مشكاة هداه ، قد تردى بجلباب الذكاء والفهوم وفتح له أوسع باب من حقائق العلوم ، فهو العالم العامل الناجح ، خاتمة السلف الصالح ، الناهج منهج العلماء العاملين ، والسالك في قويم طريق السادة المتقدمين ، الورع الزاهد ، والناسك العابد ، والنحوي الفقيه ، والمحدث اللغوي والمفسر النبيه ، من يقتدى بآثاره ، ويهتدى بأنواره ، أخذ عن علامة الأقطار الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير ، وعن الشيخ محمد بن سليمان المدني ، والعلامة ابراهيم الحلبي ، والعلامة الجينيني ، والعلامة علي بن محمد بن

---

(١) كان فرضي دمشق ورئيس حسابها ، وهو أحد تلامذة السيد ابن عابدين صاحب الحاشية ، ذكره السيد علاء الدين ولده في تكملة الحاشية ، مات بدمشق سنة ١٢٤٠ ، وهو جدّ والدة العلامة عبد المحسن الأسطواني ولخوانه . (منتخبات الحصني ج ٢ ص ٦٤٧) .

علي بن سليم الشافعي الشهير بالسليمي ، وغيرهم . وأجازوه جميعا هم وغيرهم بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم فأفاد واستفاد ، وأخـــذ عنه كثير من العلماء السادة الأمجاد ، وأجازهم كما أجازه من قبله ، ورووا عنه الحديث وغيره . وعرفوا مقـــامه وفضله ، وشهرته بكل منقبة كافية ، وبكل كمال وافية ، فللناس به فخر عظيم كبير ، ولا ينبئك مثل خبير . مات رضي الله عنه غرة شعبان سنة عشرين ومائتين والف ، ودفن في جبانة باب الصغير رحمه الله تعالى .

حسين بن عمر بن ابراهيم بن حسين بن زين العابدين بن شمس الدين محمد بن كمال الدين بن شمس الدين بن كمال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن تاج الدين بن أحمد الشهـــاب بن شرف الملك محمد بن علي بن محمد العجلاني بن الشريف علي بن الشريف محمد بن الشريف جعفر بن حسن الشجاع بن الشريف العباس بن الشريف حسن بن الشريف العباس ابن الشريف حسن بن الشريف حسين أبي الجن العجلاني المدفون بمحكمة الباب بدمشق الشام ، بن الشريف علي بن الشريف محمد بن الشريف علي ابن اسماعيل الاعرج بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن سيد الشهداء الحسين بن السيدة البتول فاطمة الزهراء ابنة سيد العالمين وصفوة الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين

ولد هذا المترجم في دمشق ونشأ في الطاعة من صغره ، ولم يزل يزداد منها إلى نهاية عمره ، وطلب العلم على جملة من الأفاضل ، إلى أن كان من ذوي الفضائل ، وهذه السلسلة المذكورة هنـــا الدالة على شرفهم هي نظير الموجودة عندهم ، غير أن بني عجلان عموما ينكرون شرفهم وانهم ليسوا من بني عجلان ، وسمعت ذلك منهم في عدة مجالس ، ويقولون إن

هؤلاء الطائفة من سلالة الوزير منجك باشا ، إلاّ أنهم تزوجوا من بني عجلان فحازوا على هذه النسبة ، ويقولون بأن شرفهم من جهة النساء ، وهذا لاينكرونه ، ونحن نقول بأنهم على كل حال لهم شرف عظيم ، وفضل جسيم ، حيث لهم نسبة إلى سيد الأمم ، ﷺ. (١) توفي المترجم سنة ... ومائتين والف ودفن في مدفنهم المشهور .

الشيخ حسين بن الشيخ سليم بن سلامة بن سليمان بن عوض بن داود بن سليمان بن السيد عبد الله بن السيد أحمد الدجاني بن السيد علاء الدين الشيخ علي بن السيد محمد بن السيد يوسف بن السيد حسن ابن السيد ياسين بن السيد بدر الدين بن السيد محمد بن السيد يوسف ابن السيد بدر بن السيد يعقوب بن السيد مطو بن السيد غانم بن السيد محمد بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد الحسن بن السيد عوض الاكبر بن السيد زيد بن السيد زين العابدين بن السيد علي ابن السيد الحسين أمير المؤمنين ابن السيد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين .

وهو العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، تاج الافاضل ، ومنهاج ذوي الفضائل والفواضل ، اشتهر فضله اشتهار البدر ، وملأ ذكره البر والبحر .

ولد في مدينة يافا مدينة من مدن الشام على رأس الاثنين بعد الألف والمائتين ، ونشأ في حجر والده الشيخ سليم الدجاني الشافعي وقرأ

---

(١) لشيخنا القاسميّ رحمه الله رسالة مطبوعة في صحة شرف الأسباط ، ومنهم الحسن والحسين سبطا النبي عليه وآله الصلاة والسلام .

عليه النحو والصرف وعدة كتب من الفنون الأدبية ، والعلوم الشرعية المحمدية . واخذ عنه معظم الكتب المتداولة من فقه السادة الشافعية ، حتى ترعرع وبرع ، وشملته بركة والده وبه انتفع ، ثم رحل بأمر والده الى الجـــامع الأزهر ، والمقام الباهر الأنور ، سنة سبع وعشرين فأدرك الطبقة العاليـــة من المشايخ ، ممن لهم في علو الاسناد القدم الراسخ ، كالأستاذ الفضالي ، والعلامة الأمير ، وشبله الأوحد ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد الدمنهوري ، ذوي التدقيق والتحرير ، والفاضل الكامل الشيخ أحمد الصاوي ، والعارف بالله الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وحضر بعض كتب السادة الحنفية ، على السيد أحمد الطحطاوي خاتمة المحققين في البلاد المصرية ، وكان أكثر انتفاعه بالعالم الفاضل ، والإمام الكامل ، السابق في ميدان الفضل اذاجوري ، الشيخ ابراهيم الشافعي الباجوري ، وهو الحامل له على غالب مؤلفاته النافعة ، التي هي بين الناس مستعملة وشائعة ، فكان يوافقه لشدة عطفه من بين تلامذته عليه ، وميله القلبي إليه ، وغب أن حضر عليه شَرْحَ المنهج في فقه السادة الشافعية ، حصلت له اشارة باطنية ، بالحضور في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، على ضريحه سحائب الرحمة والرضوان ، فاستشار بعض أشياخه الكرام فأذنوا له كوالده بقصد الافتاء ونفع الانام ، وبقى الى موتـه يتعبد على مذهب إمامـه النفيس ، عالم قريش محمد بن ادريس ، ومن أشياخه في الفقه النعماني شيخ الحنفية ، في الديار المصرية ، ذو التحقيق الوافي ، الشيخ منصور اليافي ، وممن لازمهم وانتفع عليهم بالحضور ، شيخنا القدوة المشهور ، ذو السر الوهبي السيد محمد بن حسين الكتبي ، مفتي السادة الحنفية ببيت الله الحرام ، وبه كان انتقاله لدار السلام ، وقد صنف بعض مؤلفات وهو في الجامع الازهر ، وبالجملة فعلو همته لا ينكر ، وفضله أشهر من أن يذكر ، ثم بعد ان أجازه شيوخه الأمجاد ، بالاجازات العلية الاسناد ، قدم لوطنه يافا المحروسة ، وسر أبوه

والاهالي برؤيته المأنوسة ، وذلك في حدود عام خمسة وثلاثين ، ولازم والده الى أن توفي عام تسعة وثلاثين ، وقد ناهز والده من العمر ثمانين فورث حال أبيه الغنيّ فضله عن الاطراء والتنويه ، ولا شك أن الولد سر أبيه ، وواظب بعد والده على الاقراء والتدريس ، وقرت بـه عين كل فاضل وجليس ، فانتفع به كثير من الطلاب ، وفاقوا ببركة انفاسه على الاقران والاتراب ، وولي وظيفة الفتوى بيافة المحمية ، على مذهب السادة الحنفية ، بمنشور من مقام المشيخة الكبرى في الدولة العثمانية ، وذلك في حياة والده سنة ست وثلاثين ، واستمر بخدمة الفتيا ما ينوف عن أربعين ، متحلياً بالورع والتقوى ، متحريا الصواب وما عليه الفتوى ، وكانت الاسئلة ترد إليه من أقصى البلاد ، لما اشتهر عنه من العفة وسلوك منهج السداد ، وكانت فتواه نافذة في الآفاق ، وهو المرجع عند الاختلاف والشقاق ، وكان منهلاً لكل قاصد ورائم ، عاملاً بعلمه لا يخشى في الله لومة لائم ، محبـاً للعلماء والاشراف ، ولا يحب أن يأكل مرة إلا مع الاضياف ، وكثيراً ما كان يترنم بما قيل ، من بديـع الاقاويل ، بمـا يدل على حالته ، وانفراده في جوده وسماحته .

لا مرحبـاً بالليل إن لم يأتني في طيه ضيف ملمّ نازل
والصبح ان وافى فلا أهلاً بـه ان كان عندي فيه ضيف راحل

والحاصل أنه كان مطبوعاً على المعروف والخير ، مجبولاً على المساعدة ودفع الضير ، حسن الظن والاعتقاد ، بكل حاضر وباد ، كثير النصيحة والفوائد ، جديراً بالعطايا والعوائد ، عظيم الهيبة ، كريم الشيبة ، مجلسه محفوظ من الهزل المخل والفحش والهذيان ، لا تخلو أوقاته من الكتابة والافادة والمراجعة والتحرير في كل آن ، وكان متعلقاً بتعمير الجوامع والمساجد ، وكان زاهداً في الدنيا معرضاً عما فيها من الحطام ، قانعـا بما تيسر من اللباس والطعام ، كثير التحمل ، صادق التوكل ، عريض الجـاه بين الورى ،

مقبول الكلمة عند الحكام والأمرا ، وطالما كان ينشد قول من قال ، وأحسن في المقال :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا

وقد جمع الله له بين العلوم الباطنة والظاهرة ، حتى كان في علم الشريعة والحقيقة آية باهرة ، مقصوداً للزيارة والرواية عنه من البلاد ، موروداً للبركة والدعاء والامداد ، وقد كان علامة المذهبين ،مشتهر الفضيلة في الخافقين ، أخذ الطريقة الخلوتية البكرية من العارف بالله ذي الارشاد والتمكين ، نجل المحقق الصوفي السيد مصطفى البكري الصديقي وهو السيد كمال الدين . وأخذ هذه الطريقة بعينها عن الفاضل المشهور في كل ناد السيد الشيخ أحمد الصاوي ابي الارشاد ، وتكمل على يد الأستاذ العلامة السيد الشيخ فتح الله المالكي خليفة الأستاذ الصاوي ، حينما قدم ليافا عام مائتين وأربعين لزيارة البيت المقدس الذي هو لكل خير حاوي ، فأذن له بالخلافة والارشاد ، كما أذن له شيخه أبو الارشاد ، وأخذ عنه الطريقة الدسوقية الابراهيمية ، وحرر له بخطه اجازة سنية ، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ العماوي الفالوجي الهمام ، والأحمدية البدوية عن الشيخ صالح العِلا"ري السادة الكرام ، والرفاعية عن صاحب المشرب الانسي ، الشيخ حسن الغزالي الرفاعي القدسي ، والشاذلية عن والده السيد سليم الدجاني ، ونال من الله الآمال والاماني ، وكان له أطوار وأحوال ، مع ثبات قدمه على نهج ذوي الكمال ، فلم يمنعه ذلك عن دروسه وقراءته ، ولا عن طاعته وتقواه وعبادته .

وكان في كل سنة يتوجه إلى القدس والخليل بقصد الزيارة ، وله عدة قصائد في مدح السيد الخليل جعلها لنفسه أربح تجارة ، وله قصائد عدة يمدح بها غيره من السادة الأخيار ، قد جمعها في ديوانه المخصوص بالأشعار ، وله بيتان كتبهما على باب سيدنا داود أبي سليمان ، عليه وعلى إخوانه الصلاة والسلام والرضوان ، وهما :

ان (باب الخليفة)[١] كعبة فضل لاح منه للعالمين ضياء
في الوحاب الشريف نيل العطايا من نحاه له المنى والعطاء

وكان يصحبه في الزيارة جمع من المريدين والاخيار ، من أكابر أهل العلم والطريق وذوي الصناعة والتجار ، كالأستاذ الفاضل الشيخ محمد الجسر الطرابلسي أبي الاحوال ، والشيخ العارف الشيخ محمود الرافعي صاحب الكمال ، والأستاذ الشيخ صالح اللاذقي الطويل ، والأستاذ الكامل الشيخ محمد القاوقجي الشاذلي ابن خليل ، وكثير من ذوى المقامات العالية ، والمناقب الرفيعة السامية ، وكلهم يتأدبون بين يديه ، ويعولون في مهمات أمورهم عليه ، وأما كشوفاته وكراماته ، وأخباره الغيبية وصلاته ، ومقاماته المرتقية الى ذروة الكمال ، فلو أردنا بسطها لخرجنا عن الاختصار المطلوب الى الاطالة في المقال ، وله من بديع التآليف ، وجميل التصانيف ، عدة وافرة ، نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة ، وكان كثير التعلق بالذات المحمدية ، وله عدة أشعار يمدح بها ذاته العلية . منها

قد عيل صبري وأيام الصبا ذهبت واليد صفر ودمع العين كالديم
ولي حنين مما في كل آونة لخير من جاء بالتبيان والحكم
وقد خشيت من الأيام تمنعني عن الوصول لباهي النور والشيم
يارب سهل طريقي في زيارته من قبل أن تعتريني شدة الهرم

وله رحمه الله

يا نسمة هبت بطيب من قبا أنعشت حيًّا في الحجاز لقد صبا
سيري لطيبة خبري عن صبها ما زال يصبو للمعاهد والربا
وإذا دخلت لروضة قد طهّرت قولي حسين لإذنكم مترقبا
قد شاب رأساً ياكرام ترحموا فعساه يقضي من حماكم مأربا

---

(١) لو قال : إن هذا الرسول لاستقام الوزن .

ولـه أيضاً

إليك رسول الله وجهت وجهتي　　　وأرسيت في تيار جودك مركبي

فمن لي رسول الله منك بنظرة　　　ازاحم فيهـا الأصفياء بمنكبي

وله أيضاً

يا أهل طيبة هل لنا من زورة　　　ومتى بقربي باكرام تجودوا (١)

قد طال هـذا الانتظار ولمتي　　　بيضا وفي قلبي لهيبٌ وقود

وله أيضاً

ألا ليت شعري والأماني كثيرة　　　أأبلغ ما أرجوه من سادة الحمى

وهل أنظرن أرض الحجاز وطيبه　　　ومن زمزم يروى الفؤاد من الظما

وله هذان البيتان مع تشطيرهما لأخيه حسن افندي :

أيا راكباً اما عرضت فبلغن　　　ولوعي لخير الخلق في العرب والعجم

فذاك هو المعني وان قلت نبئن　　　شقيقةَ بدر التم ما بي من النحب

واكثر حنيني في حماها لعلها　　　تمن بانقاذ المعنى من الكرب

فياشرفي أن قيل سُعداك قدغدت　　　تجود بابدال التباعد بالقرب

وله

رسول الله لاحظني فإني　　　ضعفت جوانحاً وكبرت سنـا

فلي أمـل عـلا فيكم قوي　　　ومن صغري فقد أحسنت ظنـا

فقربني رسول الله فضـلًا　　　وعجل لا تطيل البعد عنـا

فبالنظر الشريف العبد يرقـى　　　الى مرجاه من سُعدى ولبنى (٢)

---

(١) لابدّ من تقدير لمحذوف ، مراعاة للقواعد النحوية ، كأن يقال : متى تجودوا بقربي أقربْ منكم ، فتكون (متى) شرطية جازمة ، لا استفهامية .

(٢) الكناية عن الذات الإلهية بسعاد وسُعدى ولبنى ، هو إلحاد في أسمائه تعالى وصفاته ، وقد قال في محكم كتابه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا ، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه ، سيُجزون ما كانوا يعملون » (سورة الأعراف ، الآية ١٧٩) .

فلاحظني فعيل الصبر مــني عسى فيكم يقر العبد عينـا

وله هذه القصيدة يمدح بها المصطفى ﷺ :

أيا رحمة الدارين والسيد الذي لأمته حصن منيع ومعقل
فأنت حبيب الله أشرف كائن وأشرف أهل الكون عقلاً وأكمل
فلا خير إلا من جنابك يرتجى ولا فضل إلا عن علاك يسلسل
وأنت مــلاذ العالمين بأسرهم رؤوف رحيم واصل متوكل
عليك مدار الأمر خير من التجى إليه وأسنى من بـه يتوسل
أغثني وأوصل من سعاد حبالنا وعجل بتقريبي عليك المعول (١)
ولاحظني في كل الشؤون فإنني بصنع جميل منكم متـأمل
فعنكم أموري ياصفيّي انطتها فانك أنت المنعم المتفضـل
عليك صلاة الله ثم سلامـه مدى الدهر ما قلب بذكر يُعلل
ومابن الدجاني المفتي زاد تشوقاً لدار بهـا خير النبيين منزل

وقال مشطرا بيتي سيدنا حسان في مدح المصطفى ﷺ :

وأحسن منك لم تر قط عين ومجدك لا يواريه عـلاء

---

(١) لو كانت الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة الدنيا ، لطُلب من النبيّ صلوات الله عليه أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمارة في الحروب ، وإرسال البعوث ، وإقامة الحدود ، وإيصـال الحقوق ، وقسم المواريث والغنائم والصدقات .

هذا وإن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفّين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها . وكلّ هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحسّ والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ مايتجدّد من الوقائـع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عُرف من سنن الصدر الأول للاسلام . اللهم يا غياث المستغيثين ، إياك نعبد وإياك نستعين .

ولا سمعت بمثلك أذن حي　　وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب　　وشيمتك الفتوة والسخاء
وصورك المصور محض خير　　كأنك قد خلقت كما تشاء

وكم له من قصائد وأبيات ، أكثرها في الحكم والتوسلات ، قد افردت بديوان كبير ، وهو في قطره معروف وشهير ، ثم انه في منتصف شوال سنة اربع وسبعين ومائتين وألف قاده الشوق والغرام ، لحج بيت الله الحرام ، فرأى المصطفى ﷺ في المنام ، وشكا إليه الفاقة فتعهد له بتيسير المرام ، فعند ذلك شد إزار السفر ، وتوجه معتمداً على بارىء البشر ، وسار معه جملة من الأفاضل ، وذوي الفضائل والفواضل ، كأخيه السيد حسن الفاضل الهمام ، وابن عمه السيد عبد القادر أبي رباح كعبة السادة الكرام ، والسيد عبد اللطيف الرفاعي والسيد أحمد أبي الأنوار ، وغيرهم من القادة الأخيار ، وبعد قضاء الحج ناداه مولاه ، واختاره لجواره واصطفاه ، وكانت وفاته بمكة المكرمة في يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وأربع وسبعين ، ودفن في المعلا مابين آمنة الرضا وخديجة أم المومنين ، بجوار العالم الدمشقي الشيخ عبد الرحمن الكزبري قدوة المحدثين ، وكان مرضه ثلاثة أيام ، عليه رحمة الملك السلام .

حسين افندي بن احمد الشهير والده بامام حسن باشا الصدر الاعظم القاضي بدمشق

ولد بدار السلطنة السنية ، وجد واجتهد في طلب العلوم الشرعية والأدبية ، ونفح نشره ، وعلا صيته وذكره ، وكان متضلعاً في العلوم العقلية ، مستحضراً للعلوم النقلية ، كثير العبادة متواضعاً مهاباً متعففاً عن أموال الناس . قدم دمشق سنة إحدى وأربعين ومائتين والف في أول شعبان بوظيفة القضاء فتعاطى الأحكام ، على أحسن مرام ، وامتزج مع العلماء امتزاج

الراح بالماء ، ووجه عليه قضاء مكة المكرمة ، وذلك أيام سلطنة الإمام الأعظم السلطان محمود ، ولم يزل مثابراً على طاعته ، مواظباً على مطالعته وعبادته ، واقفاً على قدم التقوى ، في السر والنجوى ، إلى أن دعته المنية ، إلى الدار الأخروية . فمات ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير قرب مقام الصحـــابي الجليل سيدنا بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه .

الشيخ حسين الدمشقي المعروف بفشافش المجذوب المستغرق صاحب الكرامات

كان له كرامات كثيرة ، وأخبار صـــادقة شهيرة ، وكثيراً مايتكلم بكلام لايفهم الناس معناه في الوقت ، وبعد مدة يقع كما أخبر فيفهمون حينئذ معنى كلامه ، وكان يقف لدى باب البلطجية في دمشق ، ويقول ضربنا الخبر من هنا فوصل إلى الاستانة ، وضربناه من هنا فوصل إلى مصر ، ويعدد محلات كثيرة ، والناس لايفهمون هذا المقال ، ولا يخطر لهم معناه على بال ، وبعد مدة جعلوا المحل الذي كان يقف عنده ويشـــير اليه محلاً للتلغراف فـكان كما أخبر ، وليست هذه أول كراماته . مات رحمه الله في دمشق الشام سنة ثمانين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ حسين الدمشقى الحنفى الشهير بالاطوش امين الفتوى بدمشق الشام

العلامة الفقيه ، والفهامة المحقق النبيه ، إمـــام أهل الفروع والأصول ، الجامع بين طرفي المعقول والمنقول ، المجتهد الـكامل ، والهمام الفاضل ، فريد عصره ، ووحيد دهره ، ولي أمانة فتوى دمشق الشام ، أيام الحبر البحر

العلامة الإمام ، حسين افندي المرادي ولا زال في أمانة الفتوى حتى توفي [١] سنة وماتين والف ودفن بباب الصغير .

الحسين بن النور علي بن عبد الشكور الحنفى الطائفى

الإمام الذي غذي بلبان الفضل وليداً ، وعدّ لبيد اذا قيس بفصاحته بليدا ، من له في المعالي أرومة ، وفي مغارس الفضل جرثومة ، ولد بالطائف كما ذكره الإمام الجبرتي ، وبها نشأ وتكمل في الفنون العرفانية ، وتدرج في المواهب الإحسانية ، وأحبه السيد عبد الله ميرغني وتعلق بأذياله ، وشرب من صفو زلاله ، فتاه وهام ، وقطع ربقة الأوهام ، وأخذ بالحرمين من عدة علماء كرام ، وشارك في العلوم ، ونافس في المنطوق والمفهوم ، الا أنه غلب عليه التصوف ، وعرف منه ما فيه الكمال والتصرف ، وكان بينه وبين الشيخ العيدروس مودة أكيدة ، ومحبة عتيدة ، ومحاورات ومذاكرات وملاطفات ومصافاة ، وقد ورد مصر في سنة أربع وسبعين ومائة وألف وسكن ببيت الشيخ محسن على الخليج ، وكان يأتيه السيد العيدروس والسيد مرتضى وغيرهم ، فأعاد روض الأنس نضيرا ، وماء المصافاة نميرا ودخل الشام وحلب ، وبها أخذ عن جماعة من الأكابر ، منهم السيد اسماعيل المواهي فقد عدّه من شيوخه وأثنى عليه ودخل بلاد الروم ، وحظي بها بروم ، وعاد الى الحرمين وقوض عن الأسفار الخيام ، ثم قطن بالمدينة

---

(١) يحكى أن القاضي بدمشق اطلع على فتوى منه بنص ضعيف بزعمه ، وأهانه عليها ، فما كان من العلماء وأهل الشام إلا أن جاؤوا الى القاضي وأخرجوه من المحكمة الشرعية ، وأغلقوها ومنعوه من الدخول اليها ، وبلغ ذلك الحكومة ، فبالحال كتب الوالي بعزله ، لأنه كان الحق بيد أمين الفتوى صاحب الترجمة (م سنة ١٢٤٢ من منتخبات التواريخ ج ٢/٦٥١) .

المنورة ، وكتب اليه الشيخ السيد العيدروس وهو بالطائف يستدعيه لبستان يسمى الشريعة فقال :

أحسين كأس الأنس دائر ولنا الصفا واف ووافر
راقت لنا خمر الصفا فزماننا زاه وزاهر
أحسين روّح مهجتي من راح قربك لي وبادر
أحسين سحبا في النوى عنكم لنظم الأنس ناثر
أحسين عين الما بكت شوقاً لكم ياذا المفاخر
هذي الأزاهر مزقت أكمامها فارع الأزاهر
هذي الغصون تضاربت من بعدكم فالروض خاضر
هذي الشريعة أنسها الساري لكم بالقرب آمر
فاقرب ولا تشطح ببعد بواطن فالشرع ظاهر
هيا فلي شوق غدا مثلاً من الأمثال سائر

فأعاد المترجم الجواب ، وقال :

ما أنس رنات المزاهر والروض بالأفراح زاهر
وسنى عقود علقت في جيد غيد والجآذر[1]
والدر في ، في من أحب منظماً فاق الجواهر
والوصل بعد القطع من سامى الربى سامى المفاخر
كلا ولا عطر العرو س كذا المحاظي في المجاظر
أشهى وأبهى من سنا نظم لطيّ الأنس ناشر
ألفاظه تحكي الشمو س ونورها باه وباهر
فيه المفصل مجمل يبدو لأرباب البصائر
أغنت عن التوضيح والتسهيل هاتيك الأشاير
وكست براعته العبا رة بهجة والامر ظاهر

---

(١) جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

في طرسه طرز سمت حسناً على طرز الحرائر
تحكي العيون عيونــه سيناتــه تحكي الضفــائر
ألفاتــه تحكي القــدو د رشاقــة ولهــا تناظر

الى أن قال :

آيات فخر بينــا ت أولا وكذاك آخر
ويؤم أرباب النهــا ية والنهى من كل كابر
يتلونــه جمــلا فيتــلو من مفصّله الأوامر
اعني الوجيــه بن النبيــه ابن النبيــه بلا مناكر
المصطفى بن المصطفــى بن المصطفى حامي العشائر
لاغرو في حوز لــه فخراً بحسن السمت فــاخر
اذ جــده شمس الشمــو س العيدروس أبو المظاهر
مــا ان له من ساحــل وبذاك قد عقدت خناصر
أوصافهــا عنهــا البديــع وان يكن سحبان قاصر

وللسيد العيدروس قصيدة بائية أرسلها له وهي بليغة مطولة ، وغير ذلك من مطارحات كثيرة ،وللمترجم مؤلفات حسان ، وكلها على ذوق أهل العرفان ، منها المنظومة التي تعرف بالصلاتية عجيبة وشرحها مزجا كأصلها على لسان القوم ، ولما حج الشيخ التاودي بن سوده كتبها عنه ووصل بها المغرب ونوه بشأنها ، حتى كتب منها عدة نسخ ، ونوه بشأن صاحبها ، حتى عين له سلطان المغرب بـصُرّة في كل سنة تصل إليه مع الركب ، والناس في المترجم مختلفون ، فمنهم من يصفه بالبركات والكمال وأولئك الذين رأوا كلامه ، فبهرهم نظامه ، ومنهم من يصفه بالحلول عن ربقة الانقياد ، ويرميه بالحلول والاتحاد ، وهو ان شاء الله تعالى مبرء مما نسب إليه ، معتمد في الارشاد والامداد عليه ، ولما اجتمع به العلامة محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري ونزل في منزله فكان انيساً له في سائر أحواله ، قال : اختبرته

حق الاختبار ، فلم أجد له غير لسان مثار ، قال وبعد أشهر تبرم عن ملازمته وتباعد عن مجالسته واتخذ له حجرة في الحرم ، وعزل نفسه عنه اعتزال التقي عن الحُرَم ، وحكى عنه أشياء عجيبة ، وأموراً غريبة وهو بها معذور ، وكل منهما على قصده مثاب ومأجور ، غير أنه لو تباعد عن الطعن فيه لكان أولى ، ولو سلم له حاله لكان أعلى ، وما كل إنسان يفهم المقصود من كلامهم ، ولا كل امرىء يدرس سامي مرامهم ، لأن لهم اصطلاحاً لا يدريه سوى أهله ، فمن لم يعلمه فلا يلمهم بل يبكي على جهله ، ولأهل الروم فيه اعتقاد جميل ، ومواهبهم تصل إليه في كل قليل ، مات رحمه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف .

السيد حسين بن يحيى بن ابراهيم الدؤلي الذماري الحنفي الماتريدي

قال في البدر الطالع : ولد في سنة ألف ومائة وتسع وثلاثين وبيني وبينه من المودة ما لا يعبر عنه ، وهو من جملة من رغبني في شرح المنتقى ، فلما أعان الله على اتمامه ، راسلني في الارسال إليه بنسخة ، ولما ألفت الرسالة التي سميتها « ارشاد الغبي الى مذهب أهل البيت في صحب النبي » ونقلت اجماعهم من ثلاث عشرة طريقة ، على عدم ذكر الصحابة بسب وما يقاربه ، وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الروافض فجالوا وصالوا ، وتعصبوا وتحزبوا ، وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب والمشاتمة ، وكتبوا أبحاثاً نقلوها من كتب الإمامية وزاد الشر وعظمت الفتنة ، واعانهم علي جماعة ممن له صولة ودولة ، وتعصّبَ أهلُ العلم لها وعليها ، وكل من له أدنى معرفة بعلم ، يعلم اني لم اذكر فيها إلا مجرد الذب عن اعراض الصحابة الذين هم خير القرون ؛ ثم قال : وان المترجم ناشر للعلم في مدينته ذمار ، مع تحمله لما يلاقيه من الجفاء الزائد من أهل بلده بسبب نشره لعلم الحديث بينهم ، وميله الى الانصاف في بعض المسائل ، مع مبالغته في التكتم

وشدة احترازه . مات رحمه الله سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين من الهجرة ، وكان عمره مائة سنة ولا زال مثابراً على العلم الى انتهاء أجله [١] .

الشيخ حسين بن علي مفتي السادة المالكية بمكة المكرمة حرسها الله

الإمام الصالح ، والهمام الناجح ، الناهل من مناهل الأفاضل ، والكامل الذي شهد بكماله ذوو الفضائل ، كان يغلب عليه التقوى والعبادة ، والتقشف والزهادة ، ولد والله أعلم في حدود الخمسين والمائة والألف ، وأخذ عن المحدث الفقيه ، والإمام الفاضل النبيه الشيخ محمد الورتلاني المغربي المالكي ، وعن الشيخ محمد الغرياني التونسي ، وأخذ أيضاً حين دخل دمشق الشام ، عن مشايخها الأعيان الكرام ، ومن أجلهم الشهاب أحمد العطار ، ثم رحل الى مكة المشرفة وتوفي بها لثلاث مضت من شهر محرم الحرام سنة ثماني عشرة ومائتين وألف ، ودفن بمقبرة المعلى رحمه الله تعالى ورضي عنه .

الشيخ حسين السقطي بن عبد القادر الصالحي الدمشقي الشافعي

بقية السلف ، وعمدة الخلف ، المقتدى بأفعاله ، والمعمول بأقواله ، بركة الانام ، ونخبة العلماء الاعلام . ولد بصالحية دمشق سنة تسعين ومائة والف ، ونشأ بها وقرأ على أخيه العلامة الشيخ عبد الغني وعلى العلامة الشيخ محمد شاكر الشهير بمقدم سعد ، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين والف ودفن عند أسلافه بمقبرتهم .

---

(١) في الأعلام نقلاً عن نيل الوطر والبدر الطالع أن ميلاده ١١٤٨ هـ وأن وفاته (١٢٤٩) أي أنه عاش أكثر من مائة سنة ، وان اختلف تاريخ الولادة والوفاة عما هنا ، وذكر له من المؤلفات « العروة الوثقى ، في أدلة مذهب ذوي القربى » مجلدان « وجلاء الأبصار في شمائل المختار » وأراجيز نظم بها بعض كتب الفقه والأصول ، منها « نظم المعيار » في الأصول ، ورسائل في الاستعارة و « صوم يوم الشك » أوغير ذلك .

الشيخ حسين بن اسماعيل بن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره

العالم الاستاذ ، والكامل الملاذ ، ولد رضي الله عنه سنة الف ومائة وخمسين ، وأخذ عن والده وعن العلامة الشيخ صالح الجينيني وعن الشهاب المنيني والشيخ أسعد المجلد والعلامة الحفني مات سنة الف ومائتين وإحدى عشرة ودفن في مقبرة بني النابلسي .

السيد حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أحمد ابن أحمد المنزلاوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني في مصر المحمية

العمدة العلامة ، النبيه الفهامة ، بضعة السلالة الهاشمية ، وطراز العصابة المطلبية ، حضر على الشيخ الملوي ، والحفني والجوهري ، والمدابغي والشيخ علي قايتباي والشيخ البيسوني ، والشيخ خليل المغربي ، وأخذ أيضاً عن سيدي محمد الجوهري الصغير ، والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعراني ، والشيخ سعودي الساكن بسوق الخشب ، وتضلع بالعلوم والمعارف وصار له ملكة وحافظه واقتدار تام واستحضار غريب ، وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ ، وانشأ الخطب البديعة ، وغالب خطبه التي كان يخطب بها بالمشهد الحسيني من إنشائه على طريقة لم يسبق اليها ، وانتمى الى الشيخ أبي الانوار السادات وشملته أنواره ومكارمه ويصلي به في بعض الاحيان ويخطب بزاويتهم أيام المواسم ، ويأتي فيها بمدائح السادات ماتقتضيه المناسبات ، وله منظومة بليغة في سلسلة السادة الوفائية سماها السيد حسن بن علي العوض بعقد الصفا في ذكر سلسلة ساداتنا بني الوفا ، وذكرها في كتابه مناهل الصفا ، يقول في أولها مانصه :

سماء بها الزهر الازاهر تشرق ... بأنوارها قد نار غرب ومشرق
وزانت صفا مرآتها وهي حفظها ... لمستمع قد جاء للسمع يسرق
إذا مد كف النحو نحو سمائها ... يكف بشهب للمعاند تحرق
فما هي إلا عرش كنز حقائق ... بها الحق مشهود لمن يتحقق
رياض معانيها بهن نوافح ... لازهار أسرار بها الطيب ينشق
فكم أورقت فيها غصون وكم حلت ... بها ثمرات للمحقق ترزق
بلعلعها غنت فصاح بلابل ... فأعربت الألحان والحان مطرق
رعى الله ماقد راق منها وما حلا ... وأعلى سماء برقها متألق
حمى الله مرقاها ومعراج قدسها ... بكوكبها السامي الذي ليس يلحق

إلى آخرها وهي طويلة ، وله غير ذلك رحمه الله تعالى من النثر والنظام ، وبديع التحقيق وبليغ الكلام ، مما يدل على رفعة قدره ، وسمو مقامه وكمال بدره ، توفي في منتصف شهر شعبان المبارك من السنة الثانية عشرة بعد المائتين والالف رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين بن الشيخ أحمد الشهير بالكبيسي
أمين فتوى دمشق الشام

العالم النحرير ، والفاضل الشهم الشهير ، ذو السيرة العالية ، والمعارف السامية ، والذهن المقصور على الصواب ، والكلام الذي لايتعدي فصل الخطاب ، قد انفرد للفتوى بالامانة ، وورد مناهل التقوى بالصدق والصيانة ، واشتهر فضله في الآفاق ، وانعقد على كماله الاتفاق ، وأذعنت لانفراده أفراد الرجال ، وجال رفيع ذكره كل مجال ، لم يزل للفتوى أجل أمين ، لايحيد عن الحق ولا يمين (١) إلى أن دعته لحديقة القرب المنية ، وخطبته الحور

---

(١) وقد تصدر لنفع الخاص والعام ، واستفاد من دروسه كثير من ذوي الأفهام ، وكان أميناً للفتوى في زمن حسين المرادي مفتي دمشق ، هو ومحمد أمين بن عابدين صاحب الحاشية . (المنتخبات)

للدار العلية ، وذلك سابع عشر رمضان عام الف ومائتين واثنين وخمسين من هجرة سيد ولد عدنان ، ودفن في مقبرة دمشق ذات الفلاح ، المعروفة بالدحداح ، رحمه الله تعالى .

قاضي القضاة السيد حسين افندي خوجه زاده
القاضي العام بدمشق الشام

حاكم صالح عابد ، وإمام ورع فاضل زاهد ، ناهج منهج الصواب والكمال ، لايلويه عن الحق جاه ولا مال ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، بل هو على ساق العبادة والتقوى قائم ، كان أوصى أنه إذا مات يدفن في جورة في مقبرة باب الصغير ، بقرب مقام سيدي الصحابي الجليل الشهير ، بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه ، وأن يحوط على الجورة بتابوت من خشب . والذي دعاه الى ذلك أنه سمع من بعض العلماء أن الأقرب أن سيدنا بلالا الحبشي مدفون في هذه الجورة ، وقيل في الجورة الثانية بالقرب منها ، وملخص الكلام ، في هذا المقام ، أن أكثر العلماء يقولون بأن إحدى الجورتين بها مدفون الصحابي المذكور ، والثانية بها مدفون سيدنا فضالة بن عبيد أمير المدينة في أيام التابعين رضي الله عنهم وعنه ، وكان في كل من الجورتين محراب ظاهر ، ولكن الآن لطول الأيام قد ارتفع التراب فيهما حتى تساويا مع أرض الجبانة ، ورفع الناس بعد ذلك صورة القبور خوفاً من الاندراس . توفي المترجم المذكور في رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، ودفن في تربة باب الصغير في المحل الذي أوصى أن يدفن فيه ، وقام الوصي بوصيته في عمل المقام على الجورة . رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين ابو عبد الله بن أبي بكر بن خالد بن عثمان الحلبي الشافعي الحسيني

الشريف الفقيه الصالح ، والعفيف النبيه الفالح ، والتقي الزاهد ، والنقي العابد ، مولده سنة ثلاثين ومائة والف ، قرأ القرآن الشريف على خال والده الشيخ أبي الضيا هلال بن أحمد القادري وحفظه على غيره ، وتفقه وحفظ بعض المتون العلمية على جماعة ، وسمع الكثير من كتب الحديث وغيره على جمع ، منهم بدر الدين حسن بن شعبان السرميني ، وأبو عبد الفتاح شمس الدين محمد بن الحسين الزنار ، وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ، وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وفخر الدين عثمان بن عبد الرحمن العقيلي العمري ، ومحمد علاء الدين بن محمد الطيب الفامي المغربي المالكي لما قدم حلب ، وعقد بها مجلس التحديث والسماع ، وتاج الدين محمد بن طه العقاد وغيرهم ، وأخذ الطريقة السعدية عن شهاب الدين أحمد السعدي الجباوي الدمشقي لما قدم دمشق ونزل عنده ، وأخذ الطريقة القادرية وغيرها عن الشيخ تقي الدين أبي بكر أحمد الحلبي القادري ، وأخذ عن الشيخ أبي الخير سعد بن عبد الله اليماني نزيل حلب وانتفع بهم ، وأجاز له غالب مشايخه ، وأقام الذكر والتوحيد على عادتهم ، واعتقده الناس ، وقد أخذ عنه العالم العلامة خليل أفندي المرادي واستجازه بجميع ما تجوز له روايته فأجازه إجازة عامة ، وذلك حين رحلة خليل افندي المرقوم الى حلب سنة خمس ومائتين وألف كما رأيت ذلك بخط خليل افندي ، ومات المترجم بعد ذلك ، ولم اقف على تعيين تاريخ موته رحمه الله تعالى [1] .

---

(١) نقل هذه الترجمة الأستاذ الطباخ في تاريخه لحلب الشهباء وعزاها لحلية البشر ، ولم يزد عليها شيئاً ، ولكنه في فهرس التراجم جعله في وفيات سنة ١٢٠٥ هـ .

الشيخ حسين بن الشيخ محمد التدموري أصلاً الدمشقي وطناً الميداني إقامة الشافعي الإمام بجامع كريم الدين

عالم قد فاق أهل زمانه ، وترقى في الكمال حتى عرف بالتقدم في اوانه ، قد اعتصم بحبل الوفا ، وتقدس عن الفظاظة والجفا ، وتمسك بعرى التقوى والعبادة ، وتحلى بحلية القناعة والزهادة ، وطار في الناس فضله ، واشتهر في الملأ العام قوله المحمود وفعله ، حضر مجالس السادات ، وأخذ عنهم أنواع العلوم الشرعية والآلات ، ثم درّس وأفاد ، وانتفع به الكثير واستفاد ، وكان مستقيماً في الميدان لتعليم الناس ، وكان يتعاطى وظائف جامع كريم الدين من خطبة وصلاة وتدريس ، فأحيا المكان بعد قرب الاندراس ، وكان رقيق الكلام ، حسن الاعتذار عمن يستوجب الملام ، صادقاً في الاعتماد على مولاه ، لا يشغله عنه ما سواه ، فهو بقية السلف وزينة الخلف ، توفي بعد خدمة الجامع المرقوم نحو اربعين سنة عن نحو ثمانين سنة ، وذلك في سنة اربع عشرة ومائتين وألف من الهجرة ، ودفن بتربة باب الله وقبره مشهور رضي الله عنه .

الشيخ حسين بن عبد الشكور المدني

العالم الكبير والأوحد الشهير ، ولد سنة الف ومائة ، قال في النفس : وفد الى مدينة زبيد داعياً لأهلها الى حسن الوضوء والصلاة وتعريفهم طريق ذلك ، ونظم في ذلك منظومة عظيمة اولها :

لك الحمد بدءاً منك بحسن والختما　　عليك وشكراً لا أطيق له كتما

وشرح هذه المنظومة شرحاً حافلا ، وبأكثر المسائل كافلا ، وجعل على الشرح حاشية عظيمة ، وفائدتها وافية عميمة ، لا ينقل فيها من كتاب ،

بل انما كان يميل الى الاجتهاد ويراه هو الصواب ، وكان يشتهر بذي العلوم اللدنية ، والفيوضات الإلهية ، حتى قال بعضهم فيه :

لقد رأيت اماما احار بالعلم لبي
فقلت من أي شيخ فقال من فيض ربي

وكان كثير البحث والمذاكرة ، ملازماً لدعاية الخلق الى ما ينفعهم في الآخرة ، لا يوقر في ذلك كبيرا ، ولا يترك صغيراً ولا حقيرا ، ومن تشطيره :

من راقب الناس مات غما وحظه الويل والثبور
ومن تخلى عنهم تحلى وفاز باللذة الجسور

مات في زبيد سنة الف ومائتين .

الشيخ حسين بن عبد اللطيف الدمشقي الشهير بالعموي

من اولاد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولد بدمشق الشام سنة اثنتين وستين ومائة وألف في شهر ربيع الأول وهو الامام الكبير ، والمؤرخ الشهير ، أخذ عن مصطفى الأيوبي الأنصاري المعروف بالرحمتي وعن علي افندي الداغستاني وعن الشهاب أحمد البعلي الدمشقي الخلوتي مفتي الحنابلة بدمشق وعن الشيخ محمد البخاري والشيخ مصطفى بن أسد اللقيمي وابن سليم الصالحي وغيرهم وله تاريخ سماه المواهب الاحسانية في تراجم العمرية ، مات رحمه الله سنة الف ومائتين .

حسين بن علي بن عبد الكريم الانصاري المدني

هو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، لعمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني ، فقال في ترجمته : ذو نجدة ومروة ، ومجد وفتوة ، سجعت بمحاسنه حمائم شمائله ، ولمعت من سما مكارمه بوارق فضائله ، فبهر بأخلاقه الرضية ، واشتمل بما البسه رداء الثناء بين

البرية ، وله النظم الحسن المقاطع ، والابداع الذي أتقن به البدائع ، منه قوله لما وقعت في المدينة الفيحاء ، فتنة العام المؤرخة بهذه القصيدة الغراء ، أنشدها متوجعاً باكياً ولحضرة الرسالة شاكياً :

أخي إذا ما جئت في سوح أحمدا ... تضرع له وامدد الى نحوه اليدا
وناد وقل ياسيد الرسل نجدة ... تفرج عنا ما أقام وأقعدا
عسى نفحة منكم عسي لمحة بنا ... تحف عسى المولى يجيب لنا الندا
لقدطال هذا الكرب واشتد عسره ... وشتت جيش الصبر طرا وبددا
وكدر وجه الدهر بعد ابتهاجه ... ونغص عيش المؤمنين ونكدا
وأذهب راحات النفوس جميعها ... فلله ماولى ولله مابدا
ولم يبق إلا أن يذيب رسومنا ... وأما قلوبا قد أذاب وأكبدا
كأن كروب الدهر أجمع أمرها ... على حربنا فاستنفرت نحونا العدا
هموم غموم ثم قلة راحة ... وحزن عظيم كلما رث جددا
ثلاثة أعوام نكابد همها ... وإن لم تداركنا هلكنا فأنجدا
ومن قبلها قد كان قحط وشدة ... وأشجار ظلم أثمرت علة ودا
وكم جرعتنا كأس صبر وحنظل ... مرارتها أدنى المصائب والردى
فرادى ومثنى حيثما ثم سكرنا ... تركنا حيارى قط لانعرف الهدى
فنسأل رب العرش تفريج كربنا ... بجاهك يارب السماحة والندى
ومذ شق أقوام عصاهم وشمتوا ... عدام وأضحى كل وغد مسودا
تهلل وجه الرفض بعد اغبراره ... وأصبح ذو رفض عزيزاً وسيدا
يجر ذيول التيه في أرض طابة ... وكم من لعين منهم السيف جردا
وسروا سروراً لم يسروا بمثله ... وغنى مغنيهم لذاك وغردا
وقد مر دهر لايجرون ذيلهم ... ومن جر أمسى بالتراب موسدا
وما قصدهم إلا انتهاك محارم ... وتخريب دور المؤمنين أولى الهدى
وما منهم إلا لعين وملحد ... وجد مجوسي وابن تهودا

حفاة عراة كالكلاب تنابحوا على فرعيهم والأصل لعنٌ تأبدا
فلو لم يكن هذا الشقاق لما جرى على مثلنا من مثلهم ذا ولا عدا
فيا سيد الكونين صار الذي ترى من الحزن والكرب الذي قد ترددا
ويا كهف من يلوي عنانا ببابه وياخير من نودي مريعاً فأنجدا
تلاطم بحر الكرب واشتد موجه على أهل حق بالجوار تأكدا
عسى نظرة منكم تؤلف بينهم ليصبح سيف الدين في الكفر مغمدا
فصلى عليك الله ما لاح بارق وما لاح قمري الأراك وغردا
حسين بن أنصار اليك انتماؤه يرجي فكن عونا لهم ثم مسعدا (١)
ومع غاية الاحصاء قلت مؤرخا لقد أشمتوا فينا أعادي وحسدا سنة ١١٨٨

انتهى توفي المترجم المرقوم بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد محمد الحمزاوي الدمشقي الحنفي الحسيني

أحد العلماء الأعلام ، نقيب السادة الأشراف بدمشق الشام ، وإنسان عين الأعيان ، ولسان ذوي الفضل والشأن . ولد بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائة والف ، ونشأ على كمال التقوى والصيانة ، والعلم والفهم والديانة ، إلى أن اختارته الآخرة ، لمراقيها الفاخرة . وذلك سنة سبع عشرة ومائتين والف ، ودفن بمرج الدحداح لدى أسلافه رحمهم الله تعالى .

(١) من الغريب جداً أن لايمتثل أمر الله تعالى في مثل قوله : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

الشيخ حمزة بن علي الدمشقي الحنفي العجلاني نقيب الاشراف ومفتي دمشق الشام

الصدر المهاب ، والرئيس العالي الجناب ، والفاضل الهمام ، والكامل الإمام ، سلالة السادة ذوي الشرف والنسب ، وصفوة خلاصة ذوي المجد والحسب ، من فاقت شهرته ، وعلت رتبته ، واشتهر في الأنام ، اشتهار البدر لدى التمام ، لازم مدة حياته العلم والعمل ، واجتنب مناهج القصور والكسل ، وصان عمره عن أن يصرفه فيما لايعنيه ، بل كان في كل كمال على طريقة جده وأبيه ، إلى أن وافته المنية ، داعية له الى الجنة العلية ، وذلك سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في تربة أسلافه رحمة الله عليهم أجمعين .

الشريف حمود بن محمد الحسني صاحب أبي عريش

قال في البدر الطالع : ولد بعد سنة الف ومائة وستين تقريبا ، ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية الراجعة إلى أبي عريش كصبيا وضمد والخلاف السليماني ، وكان متولياً لذلك من طريق مولانا الإمام المنصور رحمه الله تعالى . ثم حدث ماحدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين بلاد أبي عريش ، فأمر عبد الوهاب بن عامر المسيري المعروف بأبن نقطة ، بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود ، فتقدم في نحو عشرين ألفا ، والشريف حمود استقر في أبي عريش لقلة جيشه ، فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش ، فدخلها في شهر رمضان عام الف ومائتين وسبعة عشر ، وقتل من الفريقين فوق الألف ، ثم استسلم الشريف حمود ودخل في الدعوة النجدية ، ثم خرج على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللحية ، وعلى بندر الحديدة ، وعلى زبيد ، وما يرجع إلى هذه الولايات ،

واختط مدينة الزهراء ، وصار ملكا مستقلا . ثم أفسد مابينه وبين النجدي، فأمر أبو نقطة المذكور من يغزوه ، فالتقيا بأطراف البلاد ، فقتل أبو نقطة وانهزم جيش الشريف حمود ، وقتل منهم نحو الفين ، وكان جيشه من يام ومكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفا ، وكان جيش ابن نقطة كما قيل نحو مائة الف ، لأنه أمده النجدي بجماعة من أمرائه كابن شكبان والمضائفي ، ثم ان جيش صاحب نجد بعد قتل ابن نقطة وهزيمة الشريف تقدموا على أبي عريش ، وجرت بينهم ملاحم كبيرة ، وانحصر الشريف في أبي عريش ، وشحن سائر بلاد أبي عريش بالمقاتلة ، ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش ، والحرب بينهم سجال ، وكان هذا الحرب الذي قتل فيه أبو نقطة في سنة الف ومائتين وأربع وعشرين . وفي سنة الف ومائتين وثمان وعشرين وقــع الصلح بينه وبين مولانا الإمام المتوكل على الله . وحاصل الصلــح أنه يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد ، ثم بعد هذا انتقض الصلــح بينه وبين الإمام المذكور ولم يزل الحرب ثائراً بينه وبين الامام الى سنة الف ومائتين وتسع وعشرين وهو مستمر على الانتماء إلى صاحب نجد . ثم مات سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين .

الشيخ حمود العمري بن سعيد بن محمد بن عمر بن عبد اللطيف الدمشقي الفاروقي

نشأ على منهج الكمال ، مرتديا برداء الحسن واللطافة والجمال ، ممتزجاً مع العلماء كامتزاجه مع الادباء ، محمود السيرة ، ممدوحاً بصفاء السريرة ، وكانت وفاته نهار السبت الحادي عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان

أديب له في الأدب اليد الطولى ، ومن التأليف في أنواع العلوم مايشهد له بكمال المعرفة فروعاً وأصولا ، ولقد ترجمه السيد حسن بن السيد هادي العاملي فقال :

البارع فلا يبلغ كنهه المادح وإن أطنب ، والواصف وإن أسهب ، لأنه قد استغرق جميع صفات الكمال ، وفاز منها بأعلى القداح نصيباً حتى جل عن الأضراب والأمثال ، وكيف تجد له من مثيل ، وقد جـاء في سائر نظمه بكل معنى جليل ، يبهر السامعين ، ويبهت المنشدين . وله من المصنفات في كتب الادب كتـابه المسمى بالعقد المفصل ، في قبيلة المجد المؤثل ، الذي دل على سعة باعه ، وغزارة اطلاعه ، وأما شرف نفسه فلا يحتاج لشهرته الى بينة وبرهان ، وأنى وقد امتلأ بذكره المشرقـان والمغربان ، وتحلى جيد الدهر بعقد مفخره ، وأضاءت بسواد مفارق الايام لوامع درره ، ولقد كان مع قلة ذات يده يترفع عما يتصف به الشاعر ، وألزم نفسه بالرثاء والمدح للنبي والأطايب من عترته وذويه كابراً بعد كابر ، ومن جرى على مثالهم من العلماء ، والسادات الفضلاء ، فياله من ماجد بلغ من السخاء حداً تضوع في الخافقين نشره ، فطوى ذكر من قد سلف من أهل المكارم صيته وذكره ، وكان في عباداته وأوراده وأذكاره ، سواء في حضره وأسفاره . يجفي العين لذيذ النوم اللذيذ مناجاة ربه ، مواظباً على التهجد يتنفس عن قلب أقلقه خوفه من الله كأن القيامة قامت الى جنبه ، مع مالازمه من العلل الموهية لصفات قوته ، وهو مع ذلك يتجدد نشاطه على العبادة كأنها بعض فطرته :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

الى أن قال : وأما مولده الطاهر فانه ولد ليلة النصف من شعبان من

شهور سنة ست وأربعين بعد الألف والمائتين هجرية ، وتوفي وله من العمر تسع وخمسون سنة . وأما وفاته فانه توفي عشية الاربعاء ليلة التاسعة من شهر ربيع الآخر من شهور السنة الرابعة بعد الثلاثمائة والألف هجرية .

ومن نظمه رحمه الله تعالى وقد حرره في ضمن كتاب :

في فمي لم يزل لذكرك نشر طيّب واختبر بذاك النسيما
وبمرآة فكرتي لم يزل شخصك نصب العينين مني مقيما
وعلى النحر من علاك ثنائي ليس ينفك عقده منظوما
لاتظن البعاد يحجب عني منك ذيّالك المحب الكريما
أنت عندي بالذكر أحضر من قلبي بقلبي فكن بذاك عليما
لست أقوى لحمل عتبك يا من حملت فخره المعالي قديما
فائن من غرب عتبك اليوم عني فبه قد تركت قلبي كليما

ومن نظمه :

ظن العذول أدمعي تناثرت حمراً لعمري غره مايبصره
وإنما يقدح زند الشوق في قلبي ومن عيني يطير شرره [١]

حيدر الغازي الهندي سلطان الولاية التي يقال لها لكهنو

قال صاحب التاج المكلل : وقفنا على كتاب مشتمل على وصف حاله

---

(١) قال في معجم المطبوعات : عرف (المترجم) بشاعر أهل البيت ، حيث انتحى في أكثر شعره مدحهم ورثاهم ، وترجمته في كتابه : العقد المفصّل ، ووصفه بأنه أثر أدبي لغوي انتقادي تاريخي ، وهو جزءان طبعا في بغداد سنة ١٣٣١ هـ وطبع الدر اليتيم في بمبي سنة ١٣١٢ هـ وله ومية القصر ، في شعراء العصر ، والأشجان في مراثي خير إنسان .

صنفه أحمد الشرواني [١] الراحل إلى بلاد الهند، وتاريخ هذا الكتاب سنة الف ومائتين وخمس وثلاثين، ذكر فيه أنه شاهد فيلا ينوح على الحسين السبط رضي الله عنه في الشهر المحرم بشعر موزون وهذا مستبعد جدا، والظاهر أن الفيل يهمهم همهمة تحصل وزن الشعر، فإن كان صدور ذلك بلسان فصيح كنطق الإنسان، فما أظن الناطق من حنجرته إلا شيطان، وقد ينطق من الأصنام وهي جمادات، وهو ينطق من رؤوس من يدعي أنه قد صار له قرين من الشيطان كما هو معروف انتهى كلام صاحب التاج.

أقول إن الله المقدس في ذاته، المنزه عن سمات النقص في صفاته، قد أودع في كل ذرة من مخلوقاته، من بديع صنعه ولطيف آياته، ومن الحكم والعبر، مالا يدركه البصر، قال الله تعالى: «وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون» [٢] وقال تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق» [٣] وقال الشاعر:

في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال الله تعالى: «قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده» [٤] وقال في الهدهد: «فقال أحطت بما لم تحط به» [٥] ومثل هذا كثير، شائع شهير، خصوصاً في الأحاديث الشريفة، والآثار الصحيحة المنيفة، مما لاقدرة للانسان على ردّه، ولا على إنكاره وإثبات ضده، من نطق الذيب والضب، والغزالة والحجر والمدر والشجر،

---

(١) أديب يماني، نزل كلكته من مدن الهند، من كتبه: (نفحة اليمن ـ ط) (وحديقة الأفراح ـ تاريخ) توفى سنة ١٢٥٣ هـ.

(٢) سورة الذاريات الاية (٢٠ و ٢١).

(٣) حم السجدة، الآية (٥٣).

(٤) النمل: (١٨).

(٥) النمل: (٢٢).

وغير ذلك بمـا لايكاد أن تحصى أفراده ، ولا تحصر أعداده ، وذكر في بعض التفاسير أن اخوة يوسف لما أتوا والدهم بقميص يوسف وهو ملطخ بالدم وأخبروه بان الذئب أكل أخاهم يوسف ، فقال لهم اخرجوا في طلب الذئب وائتوني به وإلا دعوت الله عليكم فتهلكوا ، فخرجوا في طلب الذئب حتى أخذوا ذئباً عظيما هائلا ، واجتمعوا عليه حتى كتفوه ووضعوا الحبل في عنقه ، وجعلوا يضربونه ويجذبونه ، حتى أوقفوه بين يدي يعقوب عليه السلام ، فقال لهم يعقوب كيف عرفتموه ؟ قالوا لأنه كان كثيراً مايتعرض لنا في غنمنا وما دخل غنمنا سواه ، فدخل غنمنا وأكل أخانا ، فقال يعقوب سبحان من لو شاء لأنطقك بحجتك ، قال فنطق الذئب ، وقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، يانبي الله إني ذئب غريب ، افتقدت ولداً لي فجئت في طلبه حتى بلغت نحو بلدك هذه ، فأتى أولادك فضربوني ، وقد اتهموني بذنب لم أفعله ، والذي أنطقني بهذا إنك إن خليتني جئت اليك بكل ذئب في بلدك هـذا ، فيحلفون لك أنهم لم يأكلوا ولدك ، وكيف يأكل الذئب ولد الأنبياء . فأمر يعقوب بتخليته اهـ ووقع مثل هذا كثيراً ، فان قيل لعل ذلك من معجزات الأنبياء ، أقول ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، ومن المعلوم أن سيدنا الحسين رضي الله عنه من أكبر الأولياء ، وأفضل الأصفياء ، فلا حاجة لما ذكره التاج ، بل تسليمه على ظاهره من أولى طريق وأحسن منهاج ، ومن أبدع الغرائب ، وألطف العجائب ، ماذكره الإمام الدميري (١) قال :

---

(١) هذه القصة العجيبة أوردها الدميري في أول الجزء الثاني من طبعة القاهرة سنة ١٢٧٥ هـ وهذا الجزء مبدوء بالزاغ من حرف الزاي ، وقد نقلها عنه الأستاذ الجد بالحرف . وقال الدميري : وهذا الخبر قد رواه الحافظ أبو طاهر السلفي على غير هذه الطريقة ، وذكرها (انظرها إن شئت) ——

رأيت في المنتقى من انتخاب الحافظ السلفي، وفي آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمـــد بن اسماعيل السعدي أنه قال : وجّه إليّ يحيى بن أكثم فتوجهت اليه ، فلما دخلت عليه ، إذا عن يمينه قمطر ، فأجلسني وأمر

— الدميري : نسبة إلى دَميرة بمصر ، وهو محمد بن موسى أبو البقاء (م : سنة ٨٠٨ هـ) والسلَفي : أحمد بن محمد بن سِلَفَة أبو طاهر الأصبهـــاني (م : سنة ٥٧٦ هـ) .

وقد ذكر المؤلف نقلاً عن الدميري أنه رأى هذه الحكاية في آخر ورقة من عجائب المخلوقات أيضا ، قلت : هو كتـــاب عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات المطبوع ، والورقة الأخيرة منه هي خاتمة الكتاب وهي في حيوانات غريبة الصور والأشكال ، وفي حيوانات تخالف صورها وأشكالها أشكال الحيوانات المعهودة ، وذكرها في ثلاثة أقسام ، (القسم الأول) : أمم غريبة الأشكال والصور ، خلقها الله تعالى في أكناف الأرض وجزائر البحر ، (والقسم الثاني) : الحيوانات المركبة ، وهي التي تتولد بين حيوانين مختلفين في نوعيهما ، (والقسم الثالث) : أفراد الحيوانات التي هي غريبة الصور والشكل على سبيل الندور . وقد ذكر أصنافها وأوصافها ، وذكر هذا الزاغ في القسم الثالث منها . ومؤلف عجائب المخلوقات هو زكريا بن محمد بن محمود القَزويني ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري (رضي الله عنه) وله : كتاب آثار البلاد وأخبار العبـــاد (م : سنة ٦٨٢ هـ)

ولأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م : سنة ٢٥٥ هـ) كتاب الحيوان المطبوع بمصر بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وقد جاء في الجزء السابع منه (ص ١٨) ما نصه : وسنذكر من فطن البهائم ، وإحساس الوحش ، وضروب الطير ، أموراً تعرفون بها كثرة ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخر لها من الصنعة .

قلت : ويصدق على هذا كله قوله سبحانه : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

فالاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة ، وفي عالم الحس والوجود ، على عجائب وغرائب من صنع الله عز وجل ، مما لا يحيد عنه إلاّ مكابر حسّه ، ومغالط نفسه .

أن يفتح ، فإذا شيء خرج منه رأس كرأس إنسان ، ومن أسفله إلى سرته على هيئة زاغ وفي صدره وظهره سلعتان ، قال ففزعت منه ويحيى يضحك؛ فقلت له ما هذا أصلحك الله ، فقال لي سل عنه منه ، فقلت له ما أنت ، فنهض وأنشد بلسان فصيح :

أنا الزاغ ابو عجوه	أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا	ن والقهوة والنشوة
فلا عدوى يدي تخشى	ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستظر	ف يوم العرس والدعوة
فمنها سلعة في الظهر	لاتسترها الفروة
وأما السلعة الأخرى	فلو كان لها عروة
لما شك جميع النا	س فيها انها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ ، وانطرح في القمطر ، فقلت أعز الله القاضي وعاشق أيضا ، فقال هو ماترى لاعلم لي بأمره إلا أنه حمل الى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله ، لم أقف عليه انتهى مات المترجم سنة الف ومائتين . و . .

السيد حيدر بن الموحوم[1] . . . الحلي

الأديب الشاعر ، والأريب الماهر ، من أشرقت بالفضل أقماره وشموسه وتوج بالعلم عبابه وقاموسه ، وطار ذكره في الفيافي ، واشتهر قدره الوافر الوافي ، فكم نظم ونثر فنفث السحر الحلال ، وتلاعب برقائق الحكم فجرت لبلاغتها وبراعتها مجرى الأمثال ، وضمنها ماتتزين به الطروس ، وقيل له

(١) لم أقف على اسم أبيه .

القلوب والنفوس ، وقلدها من حلي البديع والمعاني ، ماهو أبهى من ضم الخصور وعناق الغواني ، فلله دره من همام تاه في ثوب البلاغة كمالا ، ودهش ألباب أولى الفصاحة لطفا وجمالا ، وكاد نظمه يكتب بماء القلوب على محيا المحبوب ، فمن رفيع كلامه ، وبديع نظامه ، قوله من قصيدة يرثي بها الإمام الحسين روح الله روحه .

سبق الدمع حين قلت سقتها ... فتركت السما وقلت الدموع

فكأني في صحنها وهو قعب ... أحلب المزن والجفون ضروع

بت ليل التمام أنشد فيها ... هل لماض من الزمان رجوع

ودعت حولي الشجى ذات طوق ... مات منها على الغرام الهجوع

وسقتني بجمرتي مقلتيها ... ماعليه انحنين مني الضلوع

شاطرتني بزعمها الدار حزنا ... حيث أنت وقلبي الموجوع

يا طروبا بالقد والنهد دعني ... ما حنيني صبابة وولوع

لم يَرُعني نوى الخليط ولكن ... من جوى الطف راعني مايروع

قد عذلت الجزوع وهو صبور ... وعذرت الصبور وهو جزوع

عجبا للعيون لم تغد بيضا ... لمصاب تحمر فيه الدموع

أي يوم بشفرة البغي فيه ... عاد أنف الإسلام فيه جديع

واستقل الهدى على غارة البين ... وشدت الرشد فيه النسوع [1]

يوم أرمى ثقل النبي على الحتف ... فحفت بالراسيات الصدوع

حيث صكت بالطف هاشمُ وجهَ ... الموت فالموت من لقاها مروع

وقفت موقفا تضيفت الطير ... قِراه فحوّم ووقوع

بسيوف في الحرب صلت فللجوس [2] ... سجود من حولها وركوع

---

(١) جمع نِسْع ، وهو حبل عريض طويل ، تُشَدُّ به الرحال .

(٢) جاس الشيءَ جَوساً : طلبَه بالحرص والاستقصاء .

موقف لا البصير فيـه بصير　　لاندهاش ولا السميع سميع
جلل الأفق فيه عـارض نقع　　بسنـا البيض فيه برق لموع
فلشمس النهـار فيه مغيب　　ولشمس الحـديد فيه طلوع
أينما طـارت النفوس شعاعا　　فلطير الردى عليهـا وقوع
قد تواصت بالصبر فيه رجال　　حفظت عترة النبي إذ أضيعوا
سكنت منهم النفوس جسومـا　　هي بأس حفـائظ ودروع
ســد فيهم ثغر المنية سهم　　لثنايا الثغر المخوف طـلوع
وله الطرف حيث سار أنيس　　وله السيف حيث بات ضجيع
لم يقف موقفاً من الحزم إلا　　وبه سن غـيره المقروع
كيف يلوي على الدنية جيدا　　لسوى الله مالواه الخضوع
طمعت أن تسومه القوم ضيما　　وأبى الله والحسام الصنيـع
وبه يرجـع الحفاظ لصدر　　ضاقت الأرض وهي فيه تضيع
فـأبى أن يعيش إلا عزيزاً　　أو تجلى الكفاح وهو صريـع
فتلقى الجموع فرداً ولكن　　كل عضو في الروع منه جموع
رمحه من بنانه وكأن من　　عزمه حـد سيفه مطبوع
زوّج السيف بالنفوس ولكن　　مهرها الموت والخضاب النجيـع
بأبي كالئاً [١] على الطف خدرا　　هو في حومة الحسام منيـع
قطعوا بعده عراه ويا حبـل　　وريد الإسلام أنت القطيـع
وسروا في كرائم الوحي أسرى　　وعداك ابن أمها التقريـع
لو تراها والعيس جشّمها الحا　　دي من السير فوق ما تستطيع
ووراها العفاف يدعو ولكن　　بـدم القلب دمعه مشفوع
باترى فوقها بقية وجـد　　ملء أحشائها جوى وصدوع

---

(١) كلأ يكلأ عمره : انتهى .

فترفق بهـــا فما هي إلا ناظر دامع وقلب مروع

قوضي ياخيام عـــليا نزار فلقد قوض العماد الرفيـــع

واملئي العين يا أمية نومـــا فحسين على التراب صريـــع

ودعي صكة الجباه لؤي ليس يجديك صكها والدموع

أفَلَطْما بالراحتين فهلا بدم الطعن والرماح شروع

وبكاء بالدمـــع حزنا فهلا بسيوف لاتتقيها الدروع

قللي الإقراع ملومة الخيف فواهاً يافهر أين القريـــع

وقـال

يادار جائلة الوشـــاح حيتك نافحة الرياح

وسقتك من ديم الحيا وطفاء[1] ضاحكة النواحي

كم فيك قد نادمت من قمر يطوف بشمس راح

وخريدة تختـــال عن لدن وتبسم عن أقاح

نشوانة الأعطـاف من خمر الصبا خَود رداح

ملكت قلوب بني الغرا م بلاحظ سكران صاح

جهد العواذل فيَّ أن أسلو هوى الغيد الملاح

فمتى محب قـــد سلا هيفاء تسفر عن براح

ومن الذي قد كلف الطير ان مقصوص الجنـــاح

هيهـــات أخطأ ظنهم أن يستلين لهم جماحي

وهي قصيدة طويلة يرثي بها الامام الحسين الشهيد رضي الله عنه وله قصائد كثيرة كلها غرر . ولقد توفي المترجم رحمه الله تعالى عام الف وثلاثمائة وستة وكان عمره نحواً من خمس وخمسين سنة .

---

(١) سحابة وطفاء : مسترخية لكثرة مائها .

حرف الخاء

الشيخ خالد أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي الدمشقي إقامة

إمام العصر ، وغرة الشام ومصر ، من قلد جيد الزمـــان بقلائد بره وإحسانه ، وقيّد السِنة الثناء عن غير شكر نعمته وامتنانه ، أعظم العلماء قدرا ، وأعلام شهرة وذكرا ، لو نطق لسان الليل لقال إنه البدر بلامين ، أو لسان النهار لقال بأنه الشمس التي تجلى نورها في المشرقين والمغربين ، خلاصة العبّاد من العباد ، وصفوة أهل الزهادة والارشاد ، سلطـان ذوي العرفان ، ودليل أهل الذوق والوجــدان ، كأن لسان زمانه يقول فيه بملء فيه :

يا من له في الناس ذكر سائر ... كالشمس يشرق نورها وتجول
ومواهب حضرية سيـــارة ... لا ينقضي سفر لهـــا ورحيل
وخلائق كالروض رق نسيمه ... فسرى وذيل قميصه مبلول
وتلاوة يجلي الدجى أنوارهـــا ... قد زانهـــا الترتيب والترتيل
وإذا تهجد في الظلام حسبته ... من نور غرته له قنـــديل
ملأت لطائف بره أوقـــاته ... فزمـــانه عن غيره مشغول
هذا هو الشرف الذي لايدعى ... هيهات ماكل الرجال فحول
أيامه كست الزمان محاسناً ... فكأنهـــا غرر له وحجول
نفقت لديـــه سوق كل فضيلة ... والفضل في هذا الزمان فضول

فلعمري لقد شاد ربوع الطريقة وأقام أود متونها ، وزاد في بيان مشكلات الشريعة وعانى رمد عيونها ، ولقد ترجمه صوفي الزمان ، ومرشد الأوان ،

خليفته المنسوب اليه ، العلامة المرشد الشيخ محمد الخاني رحمة الله عليه ، في كتابه البهجة السنية ، في آداب الطريقة الخالدية ، ناقلًا عن الحديقة ، قال : اعلم أن شيخنا هو أبو البهاء ذو الجناحين ، ضياء الدين حضرة مولانا الشيخ خالد الشهرزوري الأشعري عقيدة ، الشافعي مذهبا ، النقشبندي المجددي طريقة ومشربا ، القادري السهروردي الكبروي الجشتي إجازة ، ابن أحمد بن حسين العثماني نسباً ، ينتهي نسبه الى الولي الكامل بير ميكائيل صاحب الأصابع الست المشهور بين الأكراد بشش انكشت ، يعني ست أصابع ، لأن خلقة أصابعه كانت هكذا . وهذا الولي معروف الانتساب الى الخليفة الثالث منبع الإحسان والحياء ذي النورين عثمان بن عفان الأموي القرشي رضي الله تعالى عنه .

العالم العلامة ، والعلم الفهامة ، مالك أزمة المنطوق والمفهوم ، ذو اليد الطولى في العلوم ، من صرف ونحو وفقه ومنطق ووضع وعروض ومناظرة وبلاغة وبديع وحكمة وكلام وأصول وحساب ، وهندسة واصطرلاب [1] ، وهيئة وحديث وتصوف ، العارف المسلك مربي المريدين ، ومرشد السالكين ، ومحط رجال الوافدين ، وأمه ينتهي نسبها إلى الولي الكامل الفاطمي بير خضر المعروف النسب والحال بين الأكراد قدس سره .

ولد رضي الله عنه سنة الف ومائة وتسعين تقريباً بقصبة قره داغ من أكبر سناجق بابان ، وهي عن السليمانية نحو خمسة أميال تشتمل على مدارس ، وتكتنفها الحدائق ، وتنبع فيها عيون عذبة السلسال ، ونشأ فيها وقرأ ببعض مدارسها القرآن ، والمحرر للامام الرافعي في فقه الشافعية ، ومتن الزنجاني في الصرف وشيئاً من النحو ، وبرع في النثر والنظم قبل بلوغ

---

(١) الاصطرلاب : آلة رصد قديمة ، لقياس مواقع الكواكب ، وساعات الليل والنهار . (يونانية)

الحلم ، مـــع تدريب لنفسه على الزهد والجوع والسهر والعفة والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة . ثم رحل لطلب العلم إلى النواحي الشاسعة ، وقرأ فيها كثيراً من العلوم النافعة ، ورجع إلى نواحي وطنه ، فقرأ فيها على العالم العامل ، والنحرير الفاضل ، ذي الأخلاق الحميدة ، والمناقب السديدة ، السيد الشيخ عبد الكريم البرزنجي رحمه الله تعالى ، وعلى العالم المحقق الملا محمد صالح ، وعلى العالم المحقق الملا ابراهيم البياري ، والعالم المدقق السيد الشيخ عبد الرحيم البرزنجي أخي الشيخ عبد الكريم ، والعالم الفاضل الشيخ عبد الله الخرباني . ثم رحل إلى نواحي كوي وحرير ، وقرأ شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على العالم الذكي ، والنحرير الألمعي ، الملا عبد الرحيم الزيادي المعروف بملا زاده . وأخذ في تلك النواحي غير ذلك عن غيره فعاد الى قصبة كوي ، للأخذ عن العالم العامل ، الورع الكامل ، ذي الفضل الجلي ، الملا عبد الرحمن الجلي ، رحمه الله تعالى ، فصادفه مريضاً مرضه الذي توفي فيه . ورجع إلى السليمانية ثانياً فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطول والحكمة والكلام وغير ذلك ، وقدم بغداد وقرأ فيها مختصر المنتهى في الأصول ، ورجع إلى محله المأهول ، وحيث حل من المدارس ، كان فيهـا الأتقى الأورع السابق في ميادين التحقيق كلّ فارس ، لايسأل عن مسئلة من العلوم الرسمية إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يمتحن بغويصة من تحفة ابن حجر أو تفسير البيضاوي إلا ويكشف عن وجوه خرائد الفوائد النقاب ، وهو يستفيد ويفيد ، ويقرر ويحرر فيجيد ، الى إنصـــاف وذكاء خارق ، وقوة حافظة بذهن حاذق ، ومهما دقق في درسه على مايريد ، يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه القائل لسان حاله هل من مزيد ، وطال ما ألقى السؤال ، واستشكل الإشكال ، فلم يكن المجيب إلا هو بأبدع منوال ، هذا مع تصاغره لدى الأساتذة والأقران ، وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان ، حتى انه يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته ،

بتحقيق يتحير فيه أهل مادته ، فاشتهر خارق علمه ، وطار إلى الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه ، إلى أن رغب بعض الأمراء في نصبه مدرساً قبل التكميل في إحدى المدارس ، وان يوظف له وظائف ويخصه بالنفائس ، فلم يجبه إلى هذا المرام ، زهداً فيما لديه من الحطام ، قائلاً إني الآن لست من أهل هذا المقام ، فرحل بعدها الى سندج ونواحيها وقرأ فيها العلوم الحسابية والهندسية، والاصطرلابية والفلكية، على العالم المدقق جغميني[١] عصره، وقوشجي[٢] مصره ، من في إشارته شفاء كل داء ، ونجاة كل عليل بالجهل سقيم ، الشيخ محمد قسيم[٣] السنندجي ، وكمّل عليه المادة ، على العادة ، فرجع الى وطنه قاضي الأوطار ، وصيته الى أقصى الأقطار طار ، فولي بعد الطاعون الواقع في السليمانية عام الف ومائتين وثلاثة عشر تدريس مدرسة أجل أشياخه المتوفين بالطـاعون المذكور السيد عبد الكريم البرزنجي ، فشرع يدرس في العلوم ، وينشر المنطوق منها والمفهوم ، غير راكن الى الدنيا ولا الى أهلها ، مقبلاً على الله تعالى متبتلاً اليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها ، لايتردد الى الحكام ، ولا يحابي أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الأحكام ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، وهو نافذ الكلمة محمود السيرة يأخذ بالعزائم ، حتى صار محسود صنفه ، عزيزاً في وصفه ، مع الصبر على الفقر والقناعة ، واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة ، الى أن جذبه سنة الف ومائتين وعشرين شوق الحج الى بيت الله الحرام ،

---

(١) هو محمود بن محمد بن عمر الجغميني الخوارزمي من علماء القرن التاسع للهجرة ، له الملخص في الهيئة ، مع شرح عليه لموسى بن محمود الشهير بقاضي زاده الرومي (طبع الهند سنة ١٢٩٢ هـ) ، وطبع معه شرح آخر .

(٢) هو علاء الدين علي بن محمد (م : ٨٧٩ هـ) كان ماهراً في العلوم الرياضية وغيرها ، وله شرح على تجريد الكلام للطوسي (توحيد) وبهامشه حاشية صدر الدين الشيرازي (طبع الهند سنة ١٣٠٧ هـ) .

(٣) في معجم المطبوعات : محمد وسيم (بالواو) الكردي السنندجي ، له حاشية المحاكمات ، وهو مطبوع مع كتاب أخيه عبدالقادر المسمى « تقريب المرام ، في شرح تهذيب الكلام » وهذا الشرح على قسمي المنطق والكلام (ج ٢ بولاق سنة ١٣١٩) .

وتوق زيارة روضة خير الأنام ، عليه الصلاة والسلام ، فتجرد عن العلائق ، وخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله الصادق ، فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل وديار بكر والرّها وحلب والشام ، واجتمع بعلمائها الأعلام ، وصحب في الشام ذهابا وإيابا العالم الهمام ، شيخ القديم والحديث ، ومدرس دار الحديث ، الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى وسمع منه وأخذ عليه ، فقربه وقرّ به عيناً وفاز بما لديه من علو الاسناد ، وإجازات المسلسلة الجليلة المفاد ، وصحب تلميذه كذلك الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي متع الله الطلاب بطول حياته ، فأجازه لشيخه بأشياء ، منها الطريقة العلية القادرية ، فخرج منها على جادة العزائم بأحسن قدم ، يطعم ولا يطعم ، فوصل المدينة المنورة ، ومدح الرسول ﷺ بقصائد فارسية بليغة محررة ، ومكث فيها قدر مايمكث الحاج ، وصار حمامة ذلك المسجد الوهاج ، (قال) وكنت أفتش على أحد من الصالحين ، لأتبرّك ببعض نصائحه لعلي أعمل بها كل حين ، فلقيت شيخاً يمنياً متربضاً ، عالماً عاملاً صاحب استقامة وارتضا ، فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصر ، من العالم المستبصر ، فنصحني بأمور ، منها : لاتبادر بالانكار في مكة على ماترى ظاهره يخالف الشريعة ، فلما وصلت الى الحرم المكي الشريف وأنا مصمم على العمل بتلك النصيحة البديعة ، بكرت يوم الجمعة الى الحرم ، لأكون كمن قدم بدنة من النعم ، فجلست الى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل ، إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زي العوام قد أسند ظهره الى الشاذروان ووجهه الي من غير حائل ، فحدثتني نفسي أن هذا الرجل لايتأدب مع الكعبة ، ولم أظهر عتبه ، فقال لي يا هذا ما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجهي اليك ، أما سمعت نصيحة من في المدينة وأكد عليك ، فلم أشك في أنه من أكابر الاولياء ، وقد تستر بأمثال هذه الاطوار عن الخلق ، فانكببت على يديه وسألته العفو وان يأمرني بدلالته على الحق ، فقال لي فتوحك لايكون في هذه الديار ، وأشار بيده الى الديار الهندية ، وقال تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في هاتيك الأقطار ، فأيست من تحصيل

شيخ في الحرمين يرشدني الى المرام ،ورجعت بعد قضاء المناسك الى الشام ،انتهى.
فاجتمع ثانياً بعلمائها ، وحل في قلوبهم محل سويدائها ، فأتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات ، وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وَعدَّه الحسنات الأ وُل سيئات ، مستقيما على أحسن الأحوال ،متشوقاً الى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال ، الى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه ، فاجتمع به وأظهر احترافه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه ، فقال الهندي ان لي شيخا كاملا ، مرشداً عالماً عاملا ، عارفاً بمنازل السائرين الى ملك الملوك ، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبندي الطريقة ، محمدي الأخلاق علما في علم الحقيقة ، فسر معي حتى نسعى الى خدمته في جهان اباد ، وقد سمعت اشارة بوصول مثلك هناك الى المراد ، فانتقش القول في قلبه ، وأخذ بمجامع لبه ، وعزم على المسير بالتجريد تاركا منصب التدريس والوظائف ، فرحل سنة الف ومائتين واربع وعشرين الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري ، يطوي بأيدي العيس بساط البيداء أسرع طي ، فوصل طهران ، وبعض بلاد ايران ، والتقى مع مجتهدهم المتضلع بضبط المتون والشروح والحواشي ، اسماعيل الكاشي ، فجرى بينهما البحث الطويل ، بحضر من جمهور طلبة اسماعيل ، فأفحمه افحاما أسكته ، وأنطق طلبته ، بأن ليس لنا من دليل ، وقد أشار الى هذه الواقعة في قصيدته العربية ، متخلصا لمدح شيخه الآتية أوصافه العذبية ، ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور ، وزار امام الطريق البحر الطامي ، الشيخ ابا يزيد البسطامي ، قدس سره ، ومدحه بمنظومة فارسية ،وزار في تلك البلاد ، من الأولياء الأمجاد ، حتى وصل طوس ، وزار بها مشهد السيد الجليل المأنوس ، نور حدقة البتول والمرتضى ، الامام علي الرضا ، ومدحه بقصيدة غراء فارسية ، اذعن لها الشعراء الطوسية ولظهور البدع فيها عجل الارتحال والقيام ، الى تربة شيخ مشايخ الجام ، شيخ الإسلام ، الشيخ احمد النامقي الجامقي ، فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة فدخل بعدها بلدة هراة من بلاد الافغان ، واجتمع مع علمائها بالجامع

فجاروه في ميدان الامتحـان ، فوجدوه بحراً لاساحل له ، وأقر كل منهم بالفضل له ، فانثنى يحل لهم ما أشكل عليهم من المسائل بأبلغ مقال ، ولما رحل عنهم ودعوه بمسير أميال ، لما شاهدوه فيه من بديع الحال ، فسار في مفاوز يضل فيها القطا ، ويخفق قلب الاسد مخافة خوارج الافغان المقتحمين مهالك السطا ، حتى وصل قندهار وكابل ، فاجتمع بجم غفير من علماء البلد المذكور وامتحنوه بمسائل ، من علم الكلام وغيره فرأوه فيها كالسيل الهائل ، والغيث الهاطل ، ثم رحل الى بلد لاهور فسـار منها حتى وصل الى قصبة فيها العالم النحرير ، والولي الكبير ، اخو شيخه في الطريقة والانابة الى مولاه ، الشيخ المعمر المولى ثنـاء الله النقشبندي ، فطلب منه الامداد بالدعـــاء ، قال فبت في تلك القصبة ليلة فرأيته في واقعة أنه قد جذبني من خدي بأسنانه المباركة يجرني اليه وأنا لا أنجر ، فلما أصبحت ولقيته قال لي من غير أن أقص عليه الرؤيا سر على بركة الله تعالى الى خدمة أخينـا وسيدنا الشيخ عبد الله مشيراً الى أن فتوحي سيكون عند الشيخ المقصود ، وهناك تؤخـذ المواثيق والعهود ، وتنجز الوعود ، فعرفت أنه قد أعمل همته الباطنية العلية ليجذبني اليه ، فلم يتيسر لقوة جـاذبة شيخي المحول فتحي عليه ، فرحلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والوهـاد ، الى أن وصلت دار السلطنة الهندية ، وهي المعروفة بجهان اباد بمسير سنة كاملة ، ولقد أدركتني نفحـاته واشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة ، وهو أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي الى أعتاب قبابه ، وليلة دخوله الى جهـــان اباد أنشأ قصيدته العربية الطنانة من بحر الـكامل يذكر فيها وقائع السفر ، ويتخلص لمدح شيخه قدس الله سره الأنور ، ويستعطفه سائلاً من الله القبول ، شاكراً له على الوصول ، مطلعها :

كملت مسافة كعبة الآمال ‏ ‏ ‏ ‏ حمداً لمن قد منّ بالإكمال

وأراح مركبي الطليح من السرى ‏ ‏ ‏ ‏ ومن اعتوار الحط والترحال

وأزاح عني قيد حب مواطني ‏ ‏ ‏ ‏ وعلاقة الاحباب والاموال

وهموم أمهتي وحسرة إخوتي ‏ ‏ ‏ ‏ وغموم عم أو خبال الخال

وتشاحن الاقران في رتب العلا ‏ ‏ ‏ ‏ وملامة الحساد والعذال

وأعاذني من فرقة أفاكة ‏ ‏ ‏ ‏ وأجارني من أمة جهال

أعني روافض اذربيجان الألى ‏ ‏ ‏ ‏ هم أشنع المخلوق في الافعال

ومضلها الكاشي اسماعيل إذ ‏ ‏ ‏ ‏ قد حار لما شاب نار جدال

سحقاً له من مدع متزخرف ‏ ‏ ‏ ‏ بعدالة من منكر مضلال

وغلاة فرس في حديث مسند ‏ ‏ ‏ ‏ قد بشروا بإطاعة الدجال

وشرار أهل الطوس من سموا الرضا ‏ ‏ ‏ ‏ ونفوسهم سموا أحبة آل

وفساد قطاع الطريق بخيبر ‏ ‏ ‏ ‏ ومن المجوس ومالهم من وال

منعوا الأذان رعاية الإسلام إذ ‏ ‏ ‏ ‏ ضلوا وخاضوا أبحر الإضلال

ومنها متخلصا

وأنالني أعلى المآرب والمنى ‏ ‏ ‏ ‏ أعني وصال المرشد المفضال

من نور الآفاق بعد ظلامها ‏ ‏ ‏ ‏ وهدى الخلائق بعد طول ضلال

نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى ‏ ‏ ‏ ‏ كنز الفيوض خزانة الاحوال

كالارض حلماً والجبال تمكنا ‏ ‏ ‏ ‏ والشمس ضوءاً والسماء معالي

عين الشريعة معدن العرفان وال ‏ ‏ ‏ ‏ إحسان والايقان والافضال

قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل ‏ ‏ ‏ ‏ غوث الخلائق رحلة الابدال

شيخ الانام وقبلة الاسلام صد ‏ ‏ ‏ ‏ ر للعظام ومرجع الاشكال

هاد إلى الاولى بهدي مختف ‏ ‏ ‏ ‏ داع الى المولى بصوت عالي

محبوب رب العالمين من اهتدى ‏ ‏ ‏ ‏ بهداه نال السبق للأمثال

أخفاه رب العرش جل جلاله ‏ ‏ ‏ ‏ في قبة الإعزاز والإجلال

ومنها يخاطب السالك

لكن بذا الوادي المقدس خالعا نعلي هوى الكونين باستعجال
حجر مقامك بالمقام بلا صفا من طوف حضرة كعبة الآمال

ومنها

من شام لما من بروق دياره بشام روض الشام كيف يبالي
آنست من تلقاء مدين مصره ناراً تهيج البال بالبلبال
فهجرت أهلاً قائلاً لهم امكثوا أرجع اليكم غب الاستشعال
ونويت هجران الأحبة كلهم وركبت متن الاجرد الصهال
فطوى منازل في مسيرة منزل واهاً لجار سابح شملال

ومنها

سلب الهوى لبي فما في خاطري غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرفي بوصاله من لي بشكر عطية الايصال
فكنا قضيت إلمنا في أشهر طياً لبعد مسافة الأحوال
ووهبت إقداماً على طي الفلا ونزول غور وارتقاء جبال
ورزقتنا تقبيل عتبة قبلة فاز المقبل منه بالإقبال
فارزق إله العالمين بحقه أدبا يليق بذا الجناب العالي
وأمدنا بلقائه وبقائه وعطائه ونواله المتوالي
زدنا حضوراً في حضور قبابه أدم الورى بجاهه تحت ظلال

ومنها

زد كل يوم في فؤادي وقعه ما دمت حياً في جميع الحال
وأمتن مرضياً لديه وراضيا عنه رضي يجدي مفاز مآل
فالحمد للفتاح أبواب العطا القادر المتقدس الفعال
ثم الصلاة على الرسول المجتبى خير الورى والصحب بعد الآل

وهي طويلة اكتفينا بذكر هذا القدر منها وفيه الكفاية ، لطالب الدراية

والرواية . وله غيرها من المقاطيع العربيـــة ، ومن الفارسية ، قصائد ومقاطيع كثيرة أنسية ، منها قصيدة غراء في مدح شيخه قدس سره أيضا .
وبعد وصوله تجرد ثانياً عما عنده من حوائج السفر ، وأنفق ماله كله على المستحقين ممن حضر ، فأخذ الطريقة العلية النقشبندية بعمومها وخصوصها ، ومفهومها ومنصوصها ، على شيخ مشايـــخ الديار الهندية ، وارث المعارف والأسرار المجددية ، سباح بحار التوحيد ، سياح قفار التجريد ، قطب الطرائق ، وغوث الخلائق ، ومعدن الحقائق ، ومنبع الحكم والإحسان والإيقان والرقائق ، العالم النحرير الفاضل ، والعلم الفرد المكمل الكامل ، المتجرد عما سوى مولاه ، حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره . واشتغل بخدمة الزاوية مـع الذكر والمجاهدة ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة ، وبشره شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعيان ، وحل منه محل إنسان العين من الإنسان ، مع كثرة تصاغره بالخدم ، وكسره لدواعي النفس بالرياضات الشاقة وتكليفها خطط العدم ، فلم تكمل عليه السنة حتى صار الفرد الكامل العلم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
ولا غروفان من الســـالكين من وصل في لحظة ، ومنهم من وصل في ساعة ، ومنهم من وصل في يوم ، ومنهم من وصل في اسبوع ، ومنهم من وصل في شهر ، ومنهم من وصل في سنة ، ومنهم من وصل في سنين ، كما هو مذكور في كتاب منهاج العابدين . وشهد له شيخه عند أصحابه وفي مكاتيبه المرسولة اليه بخطه المبارك بالوصول الى كمال الولاية ، وإتمام السلوك العادي مع الرسوخ والدراية ، والفناء والبقاء ، الأتمين المعروفين عند الأولياء ، وأجازه بالإرشاد ، وخلفه الخلافة التـــامة في الطرائق الخمسة : النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية . وأجاز له جميـــع مايجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأحزاب وأوراد ، واجتمع بإشارة من شيخه قدس سره بالعالم الفاضل ، المدرس الواعظ الصوفي الكامل ،

صاحب التآليف النفيسة في التفسير ، ورد الروافض بأبلغ تحرير ، الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفي النقشبندي ابن العالم العامل ، المولى الكامل، ولي الله الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى . فأجاز له روايات الصحاح الستة وبعض الأحزاب ، وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : صاحب الهمة العلية في طلب الحق . ثم أرسله بعد ملازمته سنة بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه إلى هذه الأقطار والبلاد ليرشد المسترشدين ، ويربي السالكين ، بأتقن إرشاد وشيمه بنفسه نحو أربعة أميال ، ليأتي أوطانه ممتثلا للأمر الواجب الامتثال ، سائراً في طريقه براً مدة وبحراً نحو خمسين يوما ، لم يطعم طعاماً فيه ولم يشرب الماء متغذيا مترويا بالعبادة والذكر والمشاهدة والزهادة ، حتى خرج من بندر مسقط الى نواحي شيراز ويزد وأصفهان ، يعلن الحق أينما كان ، وكم مرة تجمع بعض الروافض لضربه وقتله ، بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله ، فهجم عليهم بسيفه البتار ، فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار ، ثم أتى همدان وسنندج فوصل السليمانية عام الف ومائتين وستة وعشرين باستقبال أعيان وطنه معززاً مكرما ، فقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه مدينة الزوراء ، ليزور السادة الأولياء ، فنزل في زاوية الغوث الأعظم ، سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم ، وابتدأ هناك بإرشاد الناس ، على أحكم أساس ، فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع الى وطنه بشعار الصوفية الأكابر ، مرشداً في علمي الباطن والظاهر ، ولما اطردت سنة الله في الذين خلوا من قبل ، أن يجعل حساداً لكل من تفرد بالفضل ، وكلما كان الكمال والمحبوبية أمد ، كان الإنكار والحسد أشد ، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبهتان ، ووشوا عليه عند حاكم كردستان ، بأشياء تنبو عن سماعها الآذان ، وهو بريء من كلها بشهادة البداهة والعيان ، فلم يقابل

صنيعهم الشنيع ، إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخب نارهم ، وما زاد إلا شرهم وعوارهم .

وقد قيل :

كل العداوات قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

فخلام وشأنهم في السليمانية ، ورحل الى بغداد عام الف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية ، فألف الذي تولى كبر البهتان من المنكرين رسالة عاطلة من الصدق والصواب ، ومهرها بمهور إخوانه المنكرين مشحونة بتضليل القطب المترجم وتكفيره ولم يخشوا مقت المنتقم الشديد العقاب ، وأرسلها الى والي بغداد سعيد باشا يحرضه على إهانته ، وإخراجه من بغداد بسعايته ، فبصره الله تعالى بدسائسهم الناشئة من الحسد والعناد ، وأمر بعض العلماء بردها على وجه السداد ، فانتدب له العالم النحرير ، الدارج الى رحمة الله القدير ، محمد أمين افندي مفتي الحلة سابقا ، وكان مدرس المدرسة العلوية لاحقا ، بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها أعجازهم فولتهم الأدبار ثم لاينصرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ومهرت بمهور علماء بغداد ، وأرسلت الى المنكرين فسلقتهم بألسنة حداد ، فخبت نارهم ، وانطمست آثارهم ، ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية ، محفوفاً بالكمالات الإحسانية ، وبالجملة انتفع به خلق كثيرون من الأكراد ، وأهل كركوك واربل والموصل والعمادية وعينتاب وحلب والشام والمدينة المنورة ومكة المعظمة وبغداد ، وهو كريم النفس حميد الأخلاق باذل الندى حامل الأذى حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثبت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللسان ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفل الأرامل والأيتام ، شديد الحرص على نفع الاسلام .

وله من المؤلفات شرح لطيف على مقامات الحريري لكنه لم يكمل ، وشرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام إلا أنه باللغة الفارسية ،

وأكثر شعره فارسي ، وله فيه ديوان نظم بديع ، ونثر يفوق أزهار الربيع ، وهو الآن أعني تاريخ عام الف ومائتين وثلاثة وثلاثين يدرس العلوم ، من حديث وأصول وتصوف ورسوم ، ويحيي للأولياء الرسوم ، ويداوي الكلوم ، ويربي السالكين على أحسن حال ، وأجمل منوال ، وقد مدحه أدباء عصره من مريديه وغيرهم بقصائد فارسية وعربية ، ورحل اليه كثير من الاقطار الشرقية والغربية ، وبابه محط رحال الافاضل ، ومخيم أهل الحاجات والمسائل ، لايشغله الخلق عن الحق ، ولا الجمع عن الفرق ، لازال ظله ممدوداً ، ولواء ترويج الشريعة والطريقة بوجوده معقوداً ،آمين .

إن الذي قلت بعض من مناقبه ... مازدت الا لعلّي زدت نقصانا

انتهى . ثم قال صاحب الحديقة سيدي محمد بن سليمان في رسالته المرقومة : ولقد حبب الي أن أثبت هنا قصيدة نظمتها سنة الف ومائتين واحدى وثلاثين في مدحه ، مستندياً مستجيزاً من فيض فتحه ، حتى تتخلد في الدفاتر ، وتبقى من المآثر ، وهي هذه برمتها .

تبدت لنا أعلام علم الهدى صدقا ... فصار لشمس الدين مغربنا شرقا
وأشرق منها كل ما كان آفلا ... وأصبح نور السعد قد ملأ الأفقا
سقى الله من ماء المحبة وابلا ... قلوبا به هامت فقل كيف لاتسقى
لقد زهدوا فيما سواه فأصبحت ... قلوبهم مملوءة للقا شوقا
لقد غرقوا في بحر حب المهم ... فناهيك من بحر وناهيك من غرق
اذا مامرت للسر أسرار شوقهم ... لسيدهم زادوا لرتبته حرقا
قلوب سرت نحو الهدى بمعسكر ... فعادت سهام الحب ترشقها رشقا
وجاء من التوحيد جيش عرمرم ... فأفنى الذي أفنى وأبقى الذي أبقى
هم القوم لايشقى جليسهم غدا ... وهل أحد يحظى بقربهم يشقى
ابا خالد ذلت لديك عصابة ... فوالاهم حبا وأدناهم وفقا

لك الله ياشمسا أضاء بنورها — من الدين ماقد كان أظلم وازرقا
سقيت قلوبا طالما شفها الظما — فأمطرتها من ماء علم الهدى ودقا
فأحييت منها كل ما كان ميتا — ورقيت منها كل ما كان لايرقى
وأخرجتها من كل جهل وظلمة — فمها دجا ليل ألحت له برقا
وأدخلتها حسن التوكل مخلصا — وأمسكتها للعز بالعروة الوثقى
شفيت بأنوار الغيوب قلوبنا — فاسمك تنشق القلوب له شقا
وقد كان سلطان الهوى متمكنا — فأوسعها ذلا وعبّدها رقا
فاعتقتها من رقها بتلطف — فجوزيت من خير منحت الورى عتقا
اذا استبقت بالعارفين خيولهم — فخيلك بالتوحيد قد حازت السبقا
وان ركبوا نحو المعارف مركبا — ركبت اليها في بحار الهوى عشقا
سموت بنور الله عن كل ناظر — فصرت ترى في الغيب مالا ترى الزرقا
فانت امام العارفين ونورهم — ومنطقهم مهما أردت بهم نطقا
فعطفا على من لايلوذ بغيركم — بان ترشقوه من ندى فيضكم رشقا
فأنتم كرام لايضام نزيلكم — بجاهكم لاتمنعوا الوصل والعتقا
عليك سلام الله ماذر شارف — وما صدحت شجوا لموكرها ورقا
وصل على المختار من آل هاشم — كما جاء بالحق الذي أظهر الحقا

ومن خوارقه ان من جالسه ولازمه ، وراعى الآداب ظاهرا وباطنا معه ، انتفع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه ، من الانوار والاسرار ووجد تأثير ذلك في الحال ، وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال ، واستيقظ من نومه وأفاق متفكرا في المآل ، وكاد أن يهجر الأهل والعيال ، وهذه الخاصة لا توجد إلا عند الكمل من الرجال ، فالحمد لله الذي شرفنا برؤيته ، وأدخلنا في زمرته ، وأسأل من رب العباد ، أن يمن على المريدين بحصول المراد ، إنه كريم رحيم جواد ، ونعم

ما قيل :

ومن بعد هذا ما تجل صفاته　　　وما كنه أحظى لديّ وأجمل

ثم ارتحل قدس سره من بغداد الى الشام بأهله وعياله واستوطن دمشق ، واشترى داراً رفيعة بالمحلة المشهورة بالقنوات ، ووقف بعضها مسجدا لله تعالى وأقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة ، وعمر فيها كثيرا من المساجد الخربة ، وأحيا فيها كثيرا من الجوامع المندرسة ، وذلك عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف . ولم يزل متردّياً برداء الجود والكرم ، ناشرا للعلم والفضائل والحكم ، وامتدحه جمع من شعرائها وأدبائها بقصائد لطيفة ، ومقاطيع منيفة ، فمنها ما مدحه بعضهم بها في عام قدومه دمشق ، وذلك عام ١٢٣٨ ألف ومائتين وثمانية وثلاثين :

يا ملاذاً قد حبانا بالنوال　　　وبدا إرشاده يحكي الهلال
وسما بين البرايا عندمـا　　　بالهدى جاء على نهج الكمال
مرشد القوم إمام كامل　　　وإليه منهج الإرشاد آل
حبذا مولىً به نلنا الهدى　　　قد أدام النفع فيه ذو الجلال
فاح عرف الفتح لما جاءنا　　　وعليـه النور يعلوه الجمال
بل طبيب القوم في حال الهدى　　　عارف بالله لا يثنيه حـال
بحر علم من لدن رب العلى　　　سار بالتحقيق أهل الاتصال
نوره يهدي الى الحق فقل　　　عنده ما شاء ربي المتعال
وبه الشـام غدت باسمة　　　إذ غدا عرفانه السحر الحلال
نقشبند العصر مناح الهدى　　　مذ أتانا قلت مه يا للرجال
هذا من دانت له أهل الحمى　　　في دمشق الشام أرباب النوال
زين عقد العارفين الفضـلا　　　شمس فضل ما له حقاً مثال
عين هذا الدهر نور واضح　　　ليـس يثنيه لإرشاد ملال
كنز فضل الهدي مصباح الورى　　　ليس في مجلسه تلقى جدال
أشرقت بلدتنا فيه كمـا　　　أشرقت شمس التهاني بالوصال

جلّ أستاذاً تسامى رفعة ولِيَّ العرفان إذ نال المنال
أرفعيٌّ ألمعيٌّ ذو تقى جامع الشرع لنا حالاً وقال
كوكب العزّ بدا مبتسماً في دمشق الشام مذ فيها استطال
لذّ شرباً ورده في حانه فابتغ الورد لديه لا تبال
فهو بحر مورداً طاب وكم من مريد مدحه السامي أطال
ثق به إن رمت أسنى منحة من إلـه في علاه متعال
فهو حبر جهبذ سادت به عصبة الذكر فحقق ما يقال
خمره المجلي شفاء قد غدا فاحتسي يا طالباً صافي الزلال
وارتشف من خمره ثم اجتني ثمراً ينفى به الـداء العضال
والزم السر بذكر ترتقي رتبـاً جلت كمالاً عن مثال
والتزم نور الهدى مرشدنا تلق حقاً درسـه مجلى جمال
سادتي لا تهجروني وارفقوا بفتىً علاه وجـد وانتحال
ليس يرجو في الورى إلا كم لا ولا يبدي الى الغير سؤال
فاسعفوه وانجدوه كرماً فلكم في بابكم حطت رحال
واعذروني فقصوري ظاهر واصفحوا فالصفح من حسن الخصال
دمت للارشاد ما قال امرؤ يا ملاذاً قد حبـانا بالنوال

هذا ولو أردت أن أذكر عشر معشار ما مدح به ذلك الأستاذ ، والقطب الأوحد الفرد المـلاذ ، لخرجت عن منهج السداد ، وتحولت عن الايجاز الذي هو المراد ، وعلى كل فشهرته في العالم كافية ، وسيرته المحمودة سنية وافية ، وقد أخذ سيدي الوالد عنه ، وحصّل جلّ نفعه طريقة وعلماً منه ، ولازمه الى انتهاء أجله ، وكان غاية مراده ومنتهى أمله ، وكان للسيد المترجم به عناية قوية ، ومحبة أبوية ، ولما قرب ارتحاله رضي الله عنه من دار الفناء ، الى دار البقاء ، وآن أوان اجابة روحه الزكية ، لأمر ربها راضية مرضية ، كأن الله تعالى كشف له عن ذلك ، فأمر بحفر

القبر المبارك ، وعين مكانه في الصالحية خارج دمشق الشام ، في تل تحت جبل قاسيون مقابل مقام الأربعين ، فاستقاموا في حفره ثلاثة أيام ، فبعد أن تم الحفر بيوم أو يومين ابتدأه المرض يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ذي القعدة عام ألف ومائتين واثنين وأربعين . وتوفي ليلة الجمعة رابع عشره بالطاعون ، فجمع الله له بين شهادات متعـددة : الطاعون والجمعة والغربة وطلب العلم ، ودفن في القبر الذي أمر بحفره . وقد بنى حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم السلطان عبد المجيد خان ، رحمه الله رحمةً دائمة الى آخر الزمان ، على قبره الشريف بناء جميلاً مشتملاً على قبة على القبر الشريف ومسجداً وعدة مقاصير للمريدين المتجردين ، ومطبخاً وبركة عظيمة الماء ، وجميع ذلك في محله ظاهر معروف مشهور مقصود للزائرين والواردين . وقد رثاه الفاضل النبيل ، جناب الشيخ اسماعيل بقوله :

ما للجبال الراسيات تميل ... ما للبـدور يرى بهن أفول
ما للظلام يجر ذيل ردائه ... فوق الضياء فلم يقله مقيل
ومخدرات الحر تنثر لؤلؤاً ... من دمعها فوق الخدود يسيل
والورق أكثرت النواح مخضبا ... كف البطائح دمعها المهمول
والدهر ألبس أهله حلل العنا ... وعلا رياض الشام منه ذبول
والحزن قام على منابر حيِّنا ... أبداً خطيباً لا يكاد يزول
والأرض ترجف والنوائب أدهمت ... والبين يهجم والخطوب تجول
هذا مصاب ليس يحدث مثله ... تالله كم دهشت لديه عقول
ماذا بدا في الكون يا أهل النهى ... هل مخبر عني الشكوك يزيل
هل كان يوم الصعقة الأولى وهل ... دهم الورى بالصور اسرافيل
أم زلزلت تلك القيامة وانطوت ... حجب الحياة وعاجل التهويل
أفصح لنا عما بدا ياذا الحجا ... فغدا لسان الحال منه يقول
قف وانتبه ما قد بدا فيما استوت ... فيه الخـلائق عالم وجهول

قدمات كهف العلم سلطان التقى حبر له المعقول والمنقــول
سند السيادة والرياسة للورى قاصٍ ودانٍ فضله مأمول
صدر المجالس إن بدا فكأنه الـــنعمان يروي عن عطا ويقول
بحر أفاض على الورى مدراره فروى العطاش زلاله المعسول
وتفجرت منه ينابيع حــلا منها لورّاد الهــدى التعليل
بكت العيون على فراقك سيدي وبكاؤها لك بالدمــاء قليل
وافى ضياء الدين بدر زمانه قطب الوجود وللعلا إكليل
عند المليك الحق قد أضحى له في مقعد الصدق الأجلّ مقيل
هيهات إن جاد الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيــل
يا خالداً في حضرة القدس التي كم طاح دون فنائها مقتول
أدناك ربك منزلاً ترقى به فلك الشهود وكم بذاك نزول
وأباح روحك حضرة قدسيةً عند المهيمن ما لهــا تبديل
وأناخ سحب الفضل تهطل دائماً بفناء رمسك لا تــكاد تزول
ما قال اسماعيل يرثي سيداً ما للجبال الراســيات تميل

والمراثي في حقه كثيرة ، وهي به حقيقة وجديرة ، أضربنا عن ذكرها خوف التطويل ، على أن كثرة المدح ، وإطالة الشرح في حقه أمر قليل .

الشيخ خالد الجزيري النقشبندي الخالدي

إمام قد تحلى بعقود الكمال ، وتولى على روض البهاء والجمال ، حميد الخصال ، الذي لمعت في سماء الإجلال بوارقها ، وطلعت في آفاق الكمال شوارقها ، إن ذُكر الفضل فهو من ذويه ، أو امتدت سواعد البذل سبقها بالعطاء لمستحقيه ، توشح بالعلم والعرفان ، وتصفح وجوه مخدرات الفضائل فتخير لنفسه الحسان ، وبعد أن فاق بالعلم والعمل ، وحاز من التقدم في الطاعة والعبادة على الأمل ، أخذ عن الأستاذ العارف بالله ، والمتباعد عما سواه ، مولانا خالد شيخ الحضرة النقشية ، وإمام المعارف والرياضات

العلية ، فسلك على يديه السلوك التام ، الى أن رآه حضرة الاستاذ بلغ المرام ، أقامه عنه خليفةً في إعطاء الطريق ، وأذن له بانشاء الحضرة الشريفة مع كل مريد صدوق بالعهد الوثيق ، فكان لعمري نور حدقة الفضلاء ، ونور حديقة الكملاء ، يشار إليه بالطاعة والعبادة ، ويفتخر به بالتقوى والفضل والزهادة وكان في الاستقامة على جانب عظيم ، وفي أمر السلوك على حال جسيم ، الى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف وأربعين .

خالد بك القاضي العام بدمشق الشام

أقسم بالقمر إذا اتسق ، وحل في دارته آمناً من كدر السحب والشفق ، لهو الانسان في حدقة الزمان ، واللسان الذي صين عن زلة في البيان ، والكامل الذي نظمه الدهر في عقود حلاه ، والفاضل الذي ارتقى على فلك الفضائل علاه . دخل الشام قاضياً في أواخر رجب المحرم سنة أربع وثلاثمائة وألف ، فعامل الناس باللطف والإكرام ، وصار له جلالة ومحبة في قلوب الخاص والعام ، وسار في الناس بسيرة حسنة ، وكانت جميع معاملاته مستحسنة ، وكان مصوناً عن مد يده الى شيء من المال ، عفيفا نقياً حسن الخصال ، ولم يزل ينهج منهج الطاعة والعبادة ، حتى دعته المنية الى دار السعادة ، فلبى الدعوة مطهراً من كل أموال الناس بالباطل تطهيراً ، قد تواترت الشهادة له بأنه لم يأخذ من أحد قليلاً ولا كثيراً ، وقد اجتمعت به غير مرة ، فلم أجد ما يطعن بكماله مقدار ذرة ، ولما مات ما وجد عنده ما يكفيه ، لتجهيزه وتكفينه ودفنه بقبر يواريه ، حتى جمع له بعض أحبابه مقداراً من الدراهم صرفوه عليه الى أن واروه في ترابه . وكان ذلك يوم الثلاثاء عاشر محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة وألف ، وكان عمره نحو سبعين سنة ، ودفن في مقبرة باب الصغير في قبر والده رحمهما الله تعالى .

السيد خزام بن السيد علي آل خزام بن السيد حسين برهان الدين الصيادي الرفاعي الخالدي

هو من رجال تنوير الأبصار ، في طبقات السادة الرفاعية الأخيار فقال مؤلفه : ومنهم الشهم الهمام ، بقية آل الرفاعي الأعلام ، نزيل بني خالد بديار حماة الشام . ثم قال : قال الشيخ محمد أبو الوفا الرفاعي في مجموعته عند ذكر السيد علي الخزام : ترك ولداً له سماه الخزام كان عمره يوم وفاة أبيه اثنتي عشرة سنة . وقد نص صاحب قاموس العاشقين ، على انه هو وأصوله من ذرية سيدنا خالد سيف الله بن الوليد المخزومي القرشي الصحابي الجليل الأمير الشهير ، دفين حمص ، فاتح بلاد الشام ، وصاحب الفتوحات الشهيرة التي لاتحصى في الإسلام ، رضي الله عنه . نعم قال ابن الأثير بانقراض ذرية سيدنا خالد في كتابه أسد الغابة ، ونقض كلامه في تاريخه الكامل ، في غير موضع ، وخالف كلامه في أسد الغابة جماعة من فحول أعلام العلماء ، منهم النسابة العلامة الإمام السمعاني والشيخ عبد الغافر في تاريخيهما ، والإمام السبكي في طبقات الشافعية ، والبقاعي في تاريخه ، وشيخ الإسلام السراج المخزومي في صحاح الأخبار ، وغيرهم رحمهم الله ، وأثبتوا كلهم الذرية الخالدية وترجموا جماعة من رجالها ، وقال العلامة السويدي ، وهو من رجال عصرنا ، في سبائك الذهب ، عند قوله بنو خالد بالشام ما ملخصه : انهم يدعون النسب لسيدنا خالد بن الوليد .

والنسابون يقولون بانقراض ذريته وهم من بني عمه ، ويكفيهم شرفاً أنهم من قريش . أقول : والأحاديث بفضل قريش لاتعد ، وهي أشهر من أن ينبه عليها . أقام السيد خزام بقبيلة بني خالد ، يضيف الوارد ، ويغيث الشارد ، وقد حماه الله من ارتكاب المآثم ، ووهبه خلقاً جميلاً

حسناً من أحسن أخلاق الأسخياء الأكارم ، وقد اشتهر عند العموم أن أهل هذا البيت من قديم وحديث لايشبعون وجيرانهم جيـــاع ، ولا يمنعون عن السائل شيئاً من مال أو زاد أو متاع ، كل ذلك لوجه الله حبا في الله . نقل خال أبي الصالح الأصيل منصور العابدي أن المترجم سمع شيخاً في جامع المعرة يقول : من صلى أربعين سبتاً صلاة الصبح في مرقد سيدنا أويس القرني بالمعرة مخلصاً يرى الخضر عليه السلام ، فكان يترك أهله كل يوم سبت ويجيء إلى المعرة يصلي الصبـــح في المقام ، ويرجع ، فعند تمام الأربعين رأى بعدخروجه من المقام رجلاً رث الهيئة أشعث أغبر يسيل من ريقه على لحيته ، فأخذ قصبة الدخـــان من يده وعبث به فلم يتكدر منه ، لأنه كان حليما سليما ، وبش في وجهه ولاطفه ، ولكن لم يخطر له أنه الخضر ، فلما لم يكلمه قال له : تريد أن أدعو لك ؟ فقال إي والله ياسيدي ، فقال الله يسترك أنت وذريتك ويعمر بيتك ويميتك على الايمان الكامل . ومس بيديه على وجهه ، فمس السيد خزام صاحب الترجمة بيديه على وجهه ، فلما رفع يديه عن وجهه لم يجد الرجل ، فعرف أنه الخضر وحمد الله وشكره ، وكان يقول مفتخراً تحدثا بنعمة الله . انا ببركة دعاء الخضر عليه السلام (١) بيتي معمور وذريـــتي مستورة ، وأنا ميت على الايمان الـكامل إن شاء الله . مات المترجم سنة تسع ومائتين والف ودفن في قرية حيش وراء قبة أبيه .

---

(١) كم للاعتقاد من تأثير ، على الكبير والصغير ، ولو كان الخضر حيًا لوجب عليه الإيمان بخاتم النبيين ، ومكة أو المدينة لاتبعد كثيراً عن أرض فلسطين ، وهذه الحكايات يرويها الآخر عن الأول ، ولو كان لها سند صحيح صريـــح ، لكنا بها من أول المسلّمين .

الشيخ خليل بن عبد السلام بن محمد الكاملي الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق سنة ست وأربعين ومائة والف ، ونشأ بها ولازم العلماء ، وأخذ عن الفضلاء ، وبرع في الفنون ، وحاز على القدر المصون ، وأخذ عنه الأفاضل . مات سنة الف ومائتين وسبع ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ خليل بن محمد خليل بن عمر بن سعيد الدمشقي الشافعي المعروف بالخشة

كان عالماً إماما ، ومحدثا هماما ، وكان له قدر واعتبار ، بين العلماء الأخيار ، وكان بديع التقرير متين التحقيق ، متحلياً بدقة النظر وكمال التدقيق ، حلاّل المشكلات ، مزيل المعضلات ، ذا ذهن ثاقب وقريحة وقادة ، وسرعة فهم ونظر مستقيم ومروءة فوق العادة . ولد بدمشق في اليوم الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين ومائة والف (١) ، ونشأ بها واشتغل في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها الاجلاء الفخام ، منهم بل أجلهم السيد علي الداغستاني الحنفي ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الكردي الشافعي ، والعلامة الفهامة علي بن محمد السليمي ، والعلامة البخاري ، والشمس محمد الكزبري ، والعلامة الشيخ أحمد العطار ،

---

(١) قال الشطي في روض البشر : ولد بدمشق سنة تسع وسبعين ومائة والف كما رأيته بخطه . . .

وكان عليه نظر وتدريس المدرسة الباذرأية التي تولاها بعده الجد الشيخ حسن ، ولم تزل في يدنا نظراً وتدريساً إلى الآن (١٣٢٥) ا ه .

والعلامة منصور الحلبي ، والعلامة السيد مصطفى البكري الصديقي وغيرهم [١]
مات سنة اثنتين واربعين ومائتين والف ، ودفن في تربة الدحداح
رحمه الله .

الشيخ خليل السعدي الجباوي الشافعي الدمشقي الميداني
شيخ الطريقة السعدية

الأستاذ الصالح ، المعتقد ، البركة ، القدوة ، الورع ، الزاهد ، العابد ،
المقصود خصوصاً من بلاد الاناطول والروم ، قطب الواردين ، ومراد
القاصدين ، كان مواظباً على إقامة الاذكار في زاويتهم المعلومة في ميدان
الحصى المشهورة بزاوية سعد الدين . وكان حاتم زمانه مهابا نير الوجه ،
أخذ الطريق عن ابن عمه الشيخ الصالح أسعد بن محمد بن مصطفى ، ولقنه
الذكر وسلكه وأرشده ، ثم أذن له في اعطاء الطريق لمن فيه اهلية للأخذ
مات رحمه الله سنة أربع وستين ومائتين والف ، ودفن في مدفنهم المشهور
في تربة باب الله [٢]

---

(١) قال في منتخب التواريخ : تصدر للتدريس والإقراء في الجامع الأموي ، وفي
مدرسة الصادرية بقرب جامع الأموي ، وهي أول مدرسة بنيت بدمشق ، وعليه
توليتها ، وفي عصرنا هذا تولاها بنو الأسطواني . وهو جدّ بني الخطيب
الأكارم لأمهم ، انتفع به خلق كثير ، وله اجازات كثيرة لعلماء دمشق والحجاز
وبيروت ومصر وقت ذهابه الى الحجاز ، وقد أجاز سبطه محمد زاهد من علماء
المدينة المنورة وصاحب أدلة الخيرات اهـ .

(٢) أي باب القاصدين إلى بيت الله الحرام ، وهو آخر الميدان من جهة الجنوب ،
وإلى اليسار مقابر الميدان .

الشيخ خليل المدابغي الأزهري الشافعي

حبر الفضلاء ، وبحر ورود العلماء ، صاحب التحرير والتحقيق ، والتحبير والتدقيق ، عرف بالمدابغي لسكناه بحارة المدابغ ، حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ، وكان مفرداً في عصره معقولاً ومنقولا ، واشتهر فضله مع فقره ، واعتزل عن الناس تباعداً عما يطعن بكمال قدره ، وكان متواضعاً زاهداً ، متديناً عابداً ، يكتسب من الكتابة ، ولا يمشي الى حاكم ولا يدخل بابه ، ولا يتجمل بالملابس ولا يعرف أنه من العلماء الكرام ، بل إذا مشى بين الناس يظن أنه من العوام . توفي يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ خليل بن عبد الكريم بن خلاص الحلبي الشافعي الاشعري

الإمام ابو الصفا غرس الدين العالم الفقيه الورع المقرىء العلامة الفاضل . مولده في حدود الاربعين بعد المائة والألف ، وقرأ القرآن العظيم ، وحفظه على المقرىء أبي الحسن علي البانقدمي ، وقرأ العربية على غرس الدين خليل القتال ، وقرأ على غيره بعض الفنون كأبي الحسن علي بن ابراهيم العطار ، وابي محمد عبد الوهاب بن احمد المصري الأزهري ، ونور الدين علي بن يحيى الالتونجي ، والشهاب احمد بن احمد المصري نزيل حلب ، وتفقه بأبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي ولازمه مدة خمس وعشرين سنة . وقرأ وفهم وبرع وفاق وتنبل وانتفع به الكثير ، وثقل سمعه في حدود التسعين ومائة والف ، بحيث لايسمع الا بعد مشقة عظيمة ، وكان كثير التلاوة دائبا على التقوى والعبادة آناء الليل وأطراف النهار ، وشهد بفضله مفتي الديار الدمشقية العلامة الإمام

الهمام خليل افندي المرادي حين اجتماعه به سنة خمس بعد المائتين والالف وكلٌ قد أخذ عن الآخر . وتوفي المترجم عـام الف ومائتين واثني عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ خليل التميمي الداري مفتي بلد سيدي ابراهيم الخليل

سيد مجده اثيل ، ومنصبه جميل جليل ، فاق أدباء عصره ، وزكت به شهرة مصره ، كيف لا وهو أحد أئمة عصابة العلم والسيادة ، المتوج من المولى المنان بتاج العز والسعادة ، ولد هذا الاستاذ والعمدة الملاذ ، سنة الف ومائتين وتسع وعشرين . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وستين عندما توجه عمه الشيخ التميمي مفتي الديار المصرية وقتئذ الى دار السعادة مدعواً من لدن ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ، لحضور ختان أنجاله العظام ، كان المترجم مجاوراً بالجامع الأزهر ، فصحب عمه المشار اليه الى الآستانة وبأثناء وجوده فيها تقلد افتاء مدينة الخليل ، وكان رحمه الله تعالى على جانب عظيم من التقوى والصلاح وسعة العلم ، وكانت تأتيه الفتاوى من المدن العظيمة فيجيب عنهـا ، وانقطع في آخر حياته عن الأشغال ولازم بيته لايخرج منه الا لصلاة الجمعة . وقد اجتمعت به في الخليل سنة الف ومائتين وتسع وثمانين حينما توجهت لزيارة الحرم الأقصى ، فرأيت رجلاً فضله فوق شهرته ، وأخلاقه الجميلة قد زادته رفعة الى رفعته ، مع عبادة وتقوى ، وتمسك لدينه بالسبب الأقوى ، وزهد وصيـانة ، وعفة وأمانة ، وله نثر أرق من الصهبا ، وألذ من نشوة الصبا ، ومن نظامه أبياته التي سأل بها من مفتي الشـام محمود افندي الحمزاوي عليه رحمة الملك السلام وهي :

لك الحمد يامولاي في النظام والنثر كذلك شكر ليس يحصر بالحصر
وأهدي صلاة يستمر ثوابها لأفضل خلق الرب من جاء بالنصر
وآل وصحب ما تسلسل عنهمُ أحاديث أحكام كما الأنجم الزهر
ومن بعدها أدعو بكل حميدة الى السيد المفضال ذي المجد والفخر
امام الهدى مفتي دمشق أخي التقى ومن قد دعي محمود حمزة في العصر
سيعرض هذا العبد بين يديكمو سؤالا أجيبوا عنه بالنظم والشعر
وذاك أنّ المصطفى سيد الورى تفضل بالإقطاع للأرض للداري
وقد شاع هـذا عند كل محدث بطرق لها في الكتب أصل بلا نكر
فمن جملة المروي ما قد رويته له ولأعقابٍ له مدة الدهـر
فهل نستفيد الملك من ذي بأسرها أم الوقف أم أرصادها يا أخا البدر
فان قلتم بالملك تجريد مثله وان قلتم بالوقف أفصحه بالنثر
وان قيل بالأرصاد ما العمل الذي تدوم عليه في بنيه وفي الأجر
أيمنع أعلى القوم منهم لاسفل أم العبد منهم يستوي هو بالحر
وهل ماترى من أرضه مرصدا به على غير اولاد يخلص بالجبر
وهل يؤجر الاولاد أرضا لغيرهم لينتفعوا فيها بشيء من الحكر
فقصوا لنا فيه الجواب ليشتفي بذاك عليل النفس من ربقة الامر
وعدوا لهاتيكَ الاراضي برقمكم لأروي من الصافي الزلال من الصدر
فلا زال أهل العلم راجين نقلكم ولا زال سيب العلم من ذاتكم يجري
فقد قاله مفتي الخليل مصـدرا لك الحمد يامولاي في النظم والنثر

فأجابه مفتي الأنام ، السيد محمود الحمزاوي الهمام :

لك الحمد يامولاي في السر والجهر على نعم لم تحص بالعد والحصر
وأزكى صلاة مع سلام متمم على سيـد الخلق المؤيد بالنصر
وآل وأصحـاب نجوم ثواقب واتباعهم حسنا الى آخر العصر

وبعد فان المصطفى سيد الورى تفضل بالاقطـاع قصداً الى البر
فأقطع أقواماً تطول شروحهم تميم بن اوس منهم شائع الذكر
فأعطاه حبرونا وعينون سرمدا بانباطها والسهل والطود والوعر
ومن قبل فتح الشام كان عطاؤه خصوصية للمصطفى طيب النشر
وما ذاك وقف ياخليلي عندنا ولا هو بالارصاد قطعا بلا نكر
ولكنه ملك يباع ويشترى ويورث ان ماتوا ويؤخذ بالاجر
ويعطى لمن شـاؤوا بقسم مقدر كنصف وثلث أو لخمسٍ أو العشر
واني بمجمـد الله أرويه مسنداً باسناد أثبات ثقات عن الحبر
امام الورى يعقوب أي في خراجه حكى البيع والميراث فانظره يا ذخري
كذلك في اقطاع عثمان قدروي لسعد وعبد الله ذي المجد والفخر
بثلث وربع يعطيان قطيعة وعن اعمش هذا الحديث اخي الخبر
وفي التحفة المرضية الزين قد حكى اجازة اقطاع وناهيك من بحر
وقد قسم الزين القطيعة جيدا الى اثنين تمليك الخراج الى الغير
وأخرى لنفس الأرض ان كان مالكا ولا شك أن المصطفى مالك الامر
وان ترم التفصيل فيما ذكرته فذاك في الاقطاعات للعالم المصري
كذلك في أشباهه والتحفة التي سردت لها قبلا كذلك في الدر
وفي رد محتار أطال امـامه كتاب خراج للامام أبي العذر
فهذا مع العجز الذي قد وجدته وضيق زماني ياسميري لو تدري
فكن عاذري وادع الإله فانني أبيت وأضحى طامس الذهن والفكر
وأختم قولي بالصـلاة مسلما على سيد الرسل الكرام ذوي القدر

وإن لهذا الإمام شمائل عليّة ، وأخلاقا ممدوحة نبويّة ، وقد أجازه الفاضل الباجوري ، والكامل السقا ، والشيخ عليش والشيخ التميمي مفتي الديار المصرية ، وغيرهم من العلماء الأعلام والسادة القادة العظام ، ولم

يزل في بلده الخليل ، ينشر لهم كل علم جليل ، من معقول ومنقول ، وفقه وحديث وفروع وأصول ، مع غـاية الاستقامة ، وسلوك سبيل السلامة ، أجزل الله أجره ، وجعل الجنة مقره . توفي رحمه الله تعالى في أواخر رمضان عام الف وثلاثمائة وسبعة عشر ودفن في مدفن اجداده رحمه الله تعالى .

داود باشا والي مدينة بغداد دار الخلافة العباسية

الإمام الألمعي ، والهمام اللوذعي ، حبر العلماء ، وبحر اعتراف الفضلاء ، ولد سنة الف ومائة وثمان وثمانين ، وهو من الكرج ، ثم لما صار عمره احدى عشرة سنة جلبه بعض النخاسين الى بغداد ، فاشتراه مصطفى بيك الربيعي ثم اشتراه منه سليمان باشا والي بغداد ، فرباه وأحسن تربيته ، وعلمه القرآن والكتابة وأنواع العلوم ، الى أن شهد له الخاص والعام ، بأنه فاق في زمانه على العلماء الأعلام ، وقد جود القرآن العظيم على شيخ القراء في بغداد محمـد امين افندي الموصلي ، ثم قرأ علم النحو والصرف على المنلا حسن بن محمد علي الزوزوجي ، وقرأ المطول على المنلا محمد اسعد بن عبيد الله ، وقرأ على الحافظ احمد مدرس السليمانية علوماً جمة ، منها علم التصوف والحقائق ، وقرأ أيضا المطوّل ، وعلم آداب البحث والمناظرة وعلم البيان والمعاني ، وشرح المواقف على المنلا اسعد بن عبيد الله بن صبغة الله مفتي الحنفية والشافعية في بغداد ، وعليه تخرج في سائر العلوم ، وعُدّ من كمل الرجـال أهل الكمالات الموصوفين بالدقة وعلو الفهم والمباحثة والمناظرة ، وقرأ أيضا على صبغة الله بن مصطفى الكردي ، وأجـازه المذكورون وغيرهم بالاجازة الخاصة والعامة . ومن جملة من أجازه أيضا الإمام العالم العلامة السيد زين العابدين بن جمل الليل المدني ، والإمام

الفاضل الشيخ علي بن محمد السويدي البغدادي الشافعي ، وغيرهم ، وقد أخذ عن المترجم جماعة سادة ، وجملة قادة ، منهم السيد محمود البرزنجي قرأ عليه أنواع العلوم ، وانتفع به الى أن صار من أفاضل العلماء ، وصفوة الفضلاء ، المشار اليهم في العراق ، ومحمد افندي ابن النائب البغدادي وغيرهما ممن يطول ذكره . وكان المترجم المذكور حسن الأخلاق جميل المحاضرة ، كثير العطايا دائبا على البحث والمذاكرة في العلوم الشرعية والعقلية ، ولما صار عمره سبعا وعشرين سنة تولى الخازندارية لسليمان باشا والي بغداد . ولم يزل يترقى على درج الصعود ، وتلحظه عين العناية بأنواع الحظ والسعود ، الى أن آلت ولاية بغداد الى سعيد باشا بن سليمان باشا ، وذلك سنه ثمان وعشرين ومائتين والف . وكان الأمير في ذلك الوقت على عرب المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي ، وكان من فرسان العرب وأذكيائهم ودهاتهم ، وكان مكاراً ، وله وقائع وأيام مشهودة أقر له فيها أخصامه وأضداده ، وأموره غريبة يطول الكلام عليها ، فلما تولى سعيد باشا صار أمره بيد حمود ، حتى ما كأنه إلاّ طفل صغير تحت تصرف وصيه أو وليه ، ولهذا أعطاه سعيد باشا مافي جنوب البصرة من القرى جميعها ، وهو يقارب ثلث ايراد العراق فطار صيت بني المنتفق في البلاد ، وأطاعهم الحاضر والباد ، ونفذت أقوالهم ، واتسعت أموالهم ، وقصدهم الشعراء من جميع النواحي والأقطار ، وأجازوهم بما يفوق جوائز ملوك الأمصار ، الى أن قصر مدح الناس عليهم ، وصار لايسمع بين الناس ثناء الا وهو مصروف اليهم ، ولم يزل حمود عند سعيد باشا في بغداد يرفع مكانه ، ويشيد بنيانه ، الى أن تثبت في القلوب قدره ، واعتدل بين الأهالي أمره ، فعلا حمود الى مقره ، ولكن لازال زمام سعيد باشا بيده من سره وجهره ، فلا يفعل سعيد باشا شيئا

الا بعد استئذانه ، فازداد بنو المنتفق من الطغيان ، وامتدت يدهم على الناس بالظلم والعدوان ، فنقم الناس على الباشا المرقوم ، وضاقت صدورهم من فعله المذموم ، وفي سنة تسع وعشرين ومائتين والف ، جعل الباشا المرقوم حضرة المترجم كتخداه ورئيس عساكره ، فنهض نهوض الأسد ، وتهدد الأعراب والطغاة بما يوقعهم في النكد ، ومن أقبحهم خزاعة وُزَبَيد وشَمَّر وآل الضفير ، فانهم منعوا الخراج ونهبوا القرى وقطعوا السبيل حتى إن بعضهم حاصر كربلا مدفن سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه ، وكان إذ ذاك في كربلاء نحو الاربعين الفا من زوار العجم ، ومعهم حرم شاه العجم ، فلما بلغ الوالي افساد العربان حول كربلاء ، خاف أن يصيب الزوار ضرر فيرجع عليهم شاه العجم بالويل والثبور ، وعظيم الأمور ، وتلومهم الدولة على الاهمال ، وعدم الاعتناء فيما يلزم من الأعمال ، حتى آل الامر الى ذلك ، وأدى الى الوقوع في المخاطر والمهالك ، فتوجه أمير العساكر المترجم المرقوم بعساكر وافرة ، ونزل الحلة ووقع بينه وبين العصاة حروب قاهرة لهم وكاسرة ، فركنوا الى الفرار ، وتشتتوا في القفار ، فأرسل بعض عساكره إلى كربلا ، لتأمين الزوار وحفظهم من بلاء اولئك الملا ، ولم يزل محافظاً لهم إلى أن وصلوا إلى مأمنهم ، واطمأنوا من وقوع شيء بهم ، ثم توجه الكتخدا ، داود باشا المرقوم بعساكره إلى خزاعة ، فقابلوه جميعاً بالخضوع والطاعة ، وفي أثناء الطريق عزل شيخ زُبَيد المختال ، ووضع مكانه شَفَلَّح بن شلال ، ثم أرسل وراء كثير من العربان ، وعاقبهم على ماكان منهم من العدوان ، وشن الغارة على أهاليهم ، وغنم مواشيهم وصال على أدانيهم وأعاليهم ، وسار إلى أن نزل بأرض الديوانية مقر العشيرة الروافض الخزاعية ، فصار للمترجم شهرة في الآفاق ، وعلا ذكره في الإقدام وفاق ، ورأى الناس من عدالته وشهامته وشجاعته ومروءته مالم يروه من ذوي الاحكام المتقدمين على مدته ، مع النصح للأمة وعدم

الطمع فيما في أيدي الناس والعفة والصيانة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التقوى والديانة ، ولم يقبل من أحد رشوة ولا هدية ولا يسمع في عساكره وقوع شيء من ذلك بالكلية ، بل كل واحد ممن يلوذ به عارف حده ، وواقف عنده ، ومع كثرة حروب المترجم المرقوم ، لا يرى في وقت غير مشتغل بالمعارف والعلوم ، مع تلامذته الملازمين له في السفر والحضر ، والمتحلين من بحـور لآلئه بعقود الدرر ، وطلب بقية الاعراب منه الأمان ، بعد أن أذاقهم من حروبه كؤوس الذل والهوان ولم يزل المترجم ساعيا لسعيد باشا بالتأييد والنجاح ، والنصح والصلاح ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وكان يعرف الوالي دائماً بدسائس ذوي الفساد ، وينبه على مرادهم من البغي والعناد ، فداخلهم الحسد ، ونصبوا للمترجم شرك النكد ، وأرادوا إتلافه على كل حال ، وشرعوا في إيقاعه في مهاوي النكال ، وكان المترجم يتحمل ذلك لما لوالد الوالي عليه من الحقوق المشهورة ، ويقول « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره [1] » . ولما اشتد غيظ الأعداء والحساد ، قالوا للوالي إن مراد داود قتلك والاستيلاء على بغداد ، وأنت تعلم أن جميع العساكر في قبضته ، والأهالي كلهم متفقون على محبته ، وأتوا بمن شهد على ذلك عند الوزير ، وقالوا إن داود باشا وعدنا على قتلك بمال كثير ، ونحن لحبنا لك وخوفنا عليك ، كشفنا لك عن هذا الأمر وأبديناه اليك .

وعظموا الأمر لديه ، وأكثروا من إقامة البراهين بين يديه ، فدخل على الوالي رعب عظيم ، وخوف جسيم ، ثم إنه اتفق مـع هؤلاء المنافقين بأنهم يوصلون خبراً من طرف الوالي للمترجم بالحضور لمذاكرة في قضية ، فاذا حضر أذاقوه في الحال كؤوس المنية ، فبلغ المترجم جميع ما اتفقوا عليه ، وجنح فكرهم اليه ، فلم ير المترجم أحسن من الفرار والتحصن في

---

(١) سورة الصف ، الآية ٨

بعض الحصون ، خوفا من هذه المضـار ، فخرج من بغـداد وقد تزايد كربه ، قائلا « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه[١] » وكان معه من جماعته نحو المائتين ، ولم يزل الى أن وصل إلى كركوك من غير ضرر ولا شين . وهناك راسل الدولة العلية ، وأخبرها بما كان من سعيد باشا من الأفعال الدنية ، وتضييع حقوق الدولة ، ومعاملة الأعداء بما يوجب لهم كل قدر وصولة ، وكشف لها عن سوء سياسته ، وعن عكس معرفته وفراسته ، وعن تقليده أزمة الممالك المهمة لأعراب البادية ، أهل النهب والسلب والظلم واليد العاديّة . وكان للمترجم عبارات عالية ، وأساليب في الكتابة سامية ، وكان له اليد الطولى في التركية والفارسية والعربية ، وله النظم والنثر والكتابة في هذه اللغات كلها على أتم حالة سنية ، وكانت تشهد له الأفاضل بأنه إمام همام كامل ، فلما وصلت رسالته إلى الدولة العلية ، تحيروا من فصاحتها وبلاغتها وما اشتملت عليه من الأمور السياسية ، فعلموا أن الذي يكتب مثل هذه التحريرات ، ويسطر مثل هذه التسطيرات ، هو الأحق والأحرى بالإسعاف والإسعاد ، بالتولية على ولاية بغداد ، فما كان من الدولة العلية إلا أنهـا بادرت بارسال الفرمان ، العالي الشان ، الواجب الإطاعة على كل إنسان ، إلى داود باشا ذي القدر المصان ، ومضمونه عزل سعيد باشا عن تولية بغداد ، وتولية داود باشا بدله على تلك البلاد . فلما وصل الفرمان اليه قرأه علناً على رؤوس ذوي الطاعة والشقاق ، ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر لانه هو المقيم المقعد في أرض العراق ، وذلك لاجل أن يعلم أن سعيد باشا قد فاته المرام ، وترتفع عنه برؤية صورة الفرمان الشكوك والاوهام ، خصوصاً وهو أكبر أعداء المترجم وأكبر أسباب الفساد والمكر الذي تقدم . فلما وصلت صورة الفرمان إلى

---

(١) سورة الطلاق ، الآية ٣

حمود بن ثامر ، طرحها في الارض وأهملها إهمال المستهزىء الساخر .
فتعجب قومه من إهماله ونبذ الطاعة ، ونصحوه بان أمر السلطان لايلقى في أودية الإضاعة ، ومخالفة أوامر الدولة أمرها وخيم ، وخطرها عظيم ، وان الامر منوط بك فسعيد باشا لاينظر إلا اليك ، ولا يعول في قبوله وعدمه إلا عليك ، والاولى أن تنصحه بالقبول والطاعة وعدم القتال ، لان خصمه رجل مطاع ولو قدم على العراق بمفرده لاطاعه النساء والرجال ، خصوصاً وقد حوى من العقل وحسن السياسة ووفور الخديعة والدهاء نصيباً عظيما ، ومن الشجاعة والقوة وثبات الجنان حظاً جسيماً ، فما بالك لو جر معه عسكراً من الاكراد ، وقدم بهم وبغيرهم إلى بغداد ، فهل يعارضه من أحد ، مع أن الاهالي جميعاً يحبونه محبة الوالد للولد ، فلما أكثر على حمود أعمامه واخوانه وأولاده النصائح ، رجع إلى رأيهم وقال قد اعترفت أنه رأي صالح ، وأرسل إلى سعيد باشا ونصحه بالطاعة وترك القتال ، والانقياد لاوامر الدولة العلية والامتثال ، فأبى سعيد باشا قبول هذا الكلام ، وصغى إلى قول من أشار عليه بالعناد والخصام ، وما قصدهم بالحرب إلا النهب وأخذ الاموال ، وتخريب البلاد وقتل الرجال ، فلما رأى حمود مخالفة سعيد باشا له عرف أنه لاطاقة له على مبارزة داود وان من حسن له أمر المخالفة فقد حسن له المذموم لا المحمود ، ففر من منزله ورجع الى وطنه ومقره ، وترك سعيد باشا يتقلب على فرش ضره .
وتوجه داود باشا من الكركوك إلى بغداد ، ومعه نحو الالفين من الاكراد ، فخافته العباد ، وهابته البلاد ، فلما قرب من الزوراء ، وقع بين الاهالي ثورة عظيمة وغوغاء ، ومرادهم اخراج سعيد باشا بالتي هي أحسن ، فدخل سعيد باشا القلعة وبها تحصن ، فأرسل أهالي بغداد لداود باشا بالدخول ، وانه هو حاكمهم وراعيهم والمحاسب عنهم والمسؤول .

فدخل بغداد بعد الظهر خامس ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف ، ووفد عليه العلماء والفضلاء وهنأه الادباء والشعراء ، لأنه هو الذي كان يعرف مقامهم ، وينشر بين الناس أعلامهم ، ويكرمهم غاية الاكرام ، ويعاملهم بالإحسان والإنعام ، فلما استقر في مركز الحكومة ، خمدت الشرور والفتن ، ورجع إلى الصواب من كان افتتن ، وأمنت الطرقات وذهبت المخوفات ، وارتاح أهل الكمال ، وتعب ذوو الغرور والوبال ، لعلمهم أنه ظهر الذي يعاقب المجرمين ، ويحسن إلى المحسنين ، فرفع أهل الفضائل والعلوم ، ونفذ أوامر الدولة حسب الأمر المرسوم . وبعد استيلاء المترجم المرقوم على بغداد ، قُتِلَ سعيد باشا الوزير السالف ، وكان قتله على مراد الوزير داود باشا المترجم وباشارته . وذكر الشيخ عثمان بن سند البصري أن حضرة العارف بالله الشيخ خالد الحضرة النقشبندي المتقدم الترجمة في حرف الخاء ، قد مر على بغداد سنة تسع وثلاثين ومائتين والف في أيام ولاية المترجم ، فبلغ المترجم أن الشيخ المرقوم عليه ديون ، فأمر بوفائها وكانت ثلاثين الف غازي محمودي كبير ، وصرفها الوالي دفعة واحدة ، وهذا أمر نادر قل مايوجد له نظير ، وغب سنة اثنتين واربعين ومائتين والف تمت سلطنته ، وتناهت قوته ، وأطاعه جميع أهالي العراق من حاضره وباديه وكرده وعجمه ، وقد تاقت نفسه لان يكون سلطاناً مستقلاً ، وقد جلب الصنائع والصناع إلى بغداد من أهل اوربا ، بل ومن سائر الاقطار ، وأخذ في أسباب التمدن والعمران ، وأمر بصنعة المدافع والبنادق على الطرز الجديد ، وشكل جيوشاً عسكرية منظمة بتعليمات مخصوصة اخترعها لهم ، إلى أن بلغت جيوشه أكثر من مائة الف ، وبهذه الجيوش والاستعداد طمع في أنه يستولي على جميع آسية الصغرى والكبرى ، وكان دائماً مطمع أنظاره الاستيلاء على بلاد العجم ، وقد داخلهم الرعب

والخوف منه ومن جيوشه ومن تعليماتهم الغريبة الاشكال والأوضاع ، ولكنه لم تساعده المقادير كما ساعدت محمد علي باشا على ولاية مصر ، فان داود باشا بينما هو في هذه الابهة والسلطنة والاستقلال ، والخروج عن طاعة الدولة العلية ، إذ أرسل عليه السلطان محمود خان العثماني جيشاً نحو العشرين الفاً ، ورئيسهم علي باشا اللاظ ، فلما قرب من بغداد ضحك داود باشا واستهزأ بهذا الجيش الضعيف الذي يريد أن يستولي على بغداد ، فأخذه الغرور ، فقال لو نرسل على هذا الجيش نساء بغداد لما يطيق مقاومتهن ، إلا أن الوزير داود باشا لم يعلم ماهو مخبوء له في زوايا القدر ، مما هو عبرة لمن اعتبر . فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ماوراءه ، إذ دهمه الوباء الطاعوني داخل بغداد الذي أفنى اكثر أهلها ، حتى قيل انه كان يموت في كل يوم اكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد . وأما جيش علي باشا اللاظ فانه بتقدير الله تعالى لم يصبه شيء من ذلك الطاعون ، وذلك تقدير العزيز العليم ، وانقلب الفرح حزناً ، واشتغل الصراخ في كل بيت من بيوت أهل بغداد إلا ماندر . وقيل إنّ الذي مات بهذا الطاعون من أولاد داود باشا لصلبه اكثر من عشرة اولاد الذين يركبون الخيل ، فانكسرت شوكته ، وانحلت قوته ، وداخله الهم ، ولازمه الغم ، وانحل عضده وانفل جيشه ، البعض بالموت والبعض بالهرب والفـرار ، الى البوادي والقفار ، وذلك سنة الف ومائتين وسبع واربعين ، فلما طلب علي باشا اللاظ ، المحاربة معه لم يسعه إلا المصالحة ، على أنه يسلم إلى علي باشا بغداد بما فيها ، وداود باشا يرتحل الى الآستانة ويستقيم بها ، فسافر داود باشا الى الآستانة واستقام بها الى سنة ستين ومائتين والف ، وكان معظما عند السلطان محمود ، ثم عند ابنه السلطان عبد المجيد ورجال دولته لكبر سنه ولطول

زمانه في الوزارة مع كمال عقله ، ووفور رأيه ، حتى إن كسوته الرسمية يوم العيد مكتوب على صدرها شيخ الوزراء بالطراز الملوكاني المذهب ، لأن هذا كان لقبه خاصة ، ثم ان السلطان عبد المجيد أرسله سنة ستين ومائتين والف شيخا على الحرم النبوي ، فاشتغل هناك في العبـادة ، وتفرغ لها فوق العادة ، وكان مرجع الخاص والعام ، فيما يشكل على العلماء الأعلام ، وقرأ بها للطلبة كثيراً من الكتب والفنون النادرة ، وانتفع به العموم فيما يتعلق بدنياهم والآخرة . وفي سنة سبـع وستين ومائتين والف ذهبت مع والدي الى الحجاز الشريف ، فاجتمعت مـع والدي به في المدينة الشريفة ، وكان رجلاً كبيراً مهابا عليه سيما الفضل والصلاح ، وله خضوع وذل وسكينة وتواضع . وكان يمضي بينه وبين والدي الوقت الطويل في المذاكرة ، وقد تبركت به وبدعواته . وفي ليلة عاشوراء حين قراءة المولد النبوي الشريف بين العشائين امرني والدي بقراءة عشر من القرآن ، وكان المسجد قد غص بأهله ، وكان قد حضره كذلك المترجم المذكور ، وكان جلوسه بجانب والدي في الجهة الشمالية من الحرم الشريف متوجهين إلى القبلة ، فعقب قراءة العشر وإتمام المولد قبلت يده ، فدعا لي وبش في وجهي وأظهر لي الالتفات والمحبة ، وكان قد اخبر ان مراده ان يفتـح مدرسة بأمر الدولة في المدينة للافادة والاستفادة في سائر العلوم والفنون ، ولكن اخترمته المنية قبل تمكنه من ذلك في تلك السنة ، وهي سنة سبع وستين ومائتين والف ، ودفن في البقيع الشريف تجاه قبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأمر ان لايبنى عليه تابوت ولا قبة اتباعاً للسنة ، فجعلوا له شبـاكا من الحديد حول قبره . ومن آثاره بالمدينة البستان المعروف بالداودية خارج المدينة ، بقرب سيدنا محمد الزكي عند منهل العين الزرقاء . ولما أتم بناءه وغرسه أرخه شاعر العراق بالاتفاق الشيخ صالح التميمي بقصيدة ، وجعل آخرها

تاريخا ، وهو قوله : (تاريخه غرسه) فأعجب داود باشا وأعطاه جائزة الف ريال ، ركانت هكذا سماحته وقد مدحه الشاعر اللبيب ، والناثر الأديب السيد عبد الباقي العمري ، بمدحية غريبة ، وقصيدة عجيبة ، ملتزما بها لفظة الخال باختلاف معانيها فقال :

إلى الروم أصبو كلما أومض الخال ... فأسكب دمعا دون تسكابه الخال (١)
وعن مدح داود وطيب ثنائه ... فلا القد يثنيني ولا الخد والخال (٢)
مشير إلى العليا أشار فطأطأت ... وأصبح مندكا لهيبته الخال (٣)
مناصبها انقادت لأعتاب بابه ... كما انقاد مرتاحاً الى العطن الخال (٤)
وقد نالها إذ أوتي الحكم حكمة ... إلهية فصل الخطاب لها خال (٥)
مليك ملاك الأمر والنهي كله ... اليه انتهى والحكم في الارض والخال (٦)
حكى نهر طالوت ببسطة علمه ... وفي فضله ذاك الفتى الماجد الخال (٧)
توسم عرّافاً بسيماه دهره ... فخوله النعمى وما كذب الخال (٨)
وصدق فيه ما تخيله النهى ... وفيما سواه قلّ ما يصدق الخال (٩)
فيا لرجال من علاه تفرسوا ... اغر عليه من نسيج العلا خال (١٠)
اذا اعتركت أراؤهم عرضت لهم ... كتائب رأي من نهاه لها خال (١١)
عصامي نفس سودته جدوده ... فلا الجد يجديه ولا العم والخال (١٢)
له العلم خدن والكمال منادم ... وحسن السجايا والحجا الخل والخال (١٣)
هو الصدر منه القلب كالصخر في الوغى ... اذا طاش في غلوائها الوكل الخال (١٤)
ودهم الليالي ان تمادى جماحها ... فهمته الكبرى الشكيمة والخال (١٥)

---

(١) السحاب . (٢) الشامة . (٣) الجبل .
(٤) الجمل . (٥) ملازم . (٦) الخلافة .
(٧) الكريم . (٨) التخيل . (٩) الصادق .
(١٠) ثوب . (١١) لواء . (١٢) أخو الأم .
(١٣) الصاحب . (١٤) الجبان . (١٥) لجام .

نوم قوم ان يجاروه في العلا فلم يجدهم ذاك التفكر والحال (١)
يشق على من لا يشق غبــاره رهان الذي عن شوطه عاقه الحال (٢)
عفا الله عنه قد عفت بعد بُعده من البلدة الزورا المعالم والحال (٣)
وهيهات ما دار الرصافة بعده وما الكرخ إلا السبسب القفر والحال (٤)
ولكن بهذا العصر أمست كجنة بها تتباهى ربوة الشام والحال (٥)
ورضوانها اليوم النجيب مشيرها يحافظها مولى عليهـا هو الحال (٦)
عظيم وقالوا لو تراءى ليذبل تصاغر منحطاً وطاوله الحال (٧)
حماها حماه الله من كل ريبة تشين علاه فهو من ريبة خال (٨)
فلا زال كل منهما طود رفعة يلوح عليه مع تواضعه الخال (٩)
وإني وإن كنت الرديف نظامه لمسبوقة حسن الروي لها الخال (١٠)
فذي معجزاتي ما أرى ابن كرامة يعارضها حتى يصاحبه الخال (١١)

---

(١) التوهم . (٢) العرج . (٣) الأثر .
(٤) موحش . (٥) موضع بالشام . (٦) القائم .
(٧) الأكمة . (٨) بريء . (٩) الكبرياء .
(١٠) نقطة . (١١) الكفن .

توفي المترجم سنة ١٢٦٧ هـ وعلى اسمه ألّف عثمان بن سند البصري كتابه « مطالع السعود ، بطيب أخبار الوالي داود » واختصره أمين بن حسن الحلواني والمختصر مطبوع ، وفيه زيادات على الأصل اهـ من الأعلام .

حرف الدال

الشيخ داود بن احمد بن اسماعيل المعري ثم الحلبي الحنفي ابو سليمان سيف الدين الاكمه

العالم الذي تهلل به محيا العالم بهجة وسروراً ، وتجمل به جيد الدهر فكان له فرحة وحبورا ، ذو النجـدة والمروة ، والمجد والفتوة ، من سجعت بمحاسنه حمائم شمائله ، ولمعت من سماء مكارمه بوارق فضـائله ، فبهر الأنام بأخلاقه الرضية ، واشتمل بما لبسه من الكمال على كل منقبة جلية ، وله من محاسن الكلام ماتشربه أفواه المسامع ، ومن بديع النثر والنظـام مايزري ببدائه البدائع . ولد هـذا الهمام والجهبذ الإمام بمعرة النعمان ، سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ، من هجرة سيد ولد عدنان ، ثم بعد ان قرأ القرآن وأتمه ، وجوده على القراء الأئمة ، دخل مدينة حلب واكب بها على التحصيل والطلب ، واخذ عن جماعة افاضل ، قد اشتهروا بالمناقب والفضائل . منهم العلامة عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني ، وابو الثناء محمود بن شعبان البزستاني ، والنور علي بن احمـد الدابقي ، ومحمد الحلبي بن علي الانطاكي المفتي ، وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلوسي المفتي ، والسيد حسن بن شعبان السرميني ، وابو عبد الله محمد بن محمد الانطـاكي ، وابو العدل قاسم بن محمد البكرجي ، وغيرهم من العلمـاء الأعلام ، والسادات العظام ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته ، وتصح لهم درايته ، ودخل دمشق الشام ، وأخذ ايضاً عن علمائها الأعلام ، وأجازوه

ايضاً اجازة عامة لجميع العلوم ، التي اخذوها عن سادتهم ذوي المقام المعلوم ، وكان ممن يشار اليه ، ويعول بعويصات المسائل عليه ، وممن اجتمع به في حلب ، فرد الشام ومفتي الأنام خليل افندي المرادي وذلك عام الف ومائتين وخمسة ، ولم تكن وفاته بعد ذلك بكثير ، أعلى الله مقامه في فراديس الجنان ، انه المنعم الجواد المحسن المنان ، وقيل ان هذه الأبيات من كلامه ، وبديع نظامه :

ذو جمال همت في عشقته ... فتن العشاق عربا وعجم
لاح بدر التم من طلعته ... وبدا البرق اذا الثغر ابتسم
بات يجلو الراح في راحته ... ويدير الكأس في جنح الظلم
غلب النوم على مقلته ... قلت والوجد بقلبي قد حكم
أيها الراقد في لذته ... نم هنيئاً ان عيني لم تنم
يا هلالاً قد سبى شمس الضحى ... كل ما فيك وعينيك حسن
صل محبا ماله من مسعف ... قد جفاه من تجافيك الوسن
يامريض الجفن يامن لحظه ... سل سيفا للمحبين وسن
جفنك النعسان من كسرته ... كم شجاع منه ولى وانهزم
أيها الراقد في لذته ... نم هنيئا إن عيني لم تنم

وله رحمه الله :

ورد الخدود أرق من ... ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الانو ... ف وذاك يلثمه الفم
فإذا عدلت فأفضل الـ ... ـوردين ورد يلثم
هذا يشم ولا يُضَمُّ ... وذا يضم ويُشْتَمُّ

وله أبيات كثيرة ، وقصائد بديعة بالمدح جديرة .

الشيخ داود البغدادي الموسوي بن المرحوم السيد سليمان البغدادي الشافعي النقشي الشهير بابن جرجيس

امام قد طلع في سماء العلوم بدرا ، وهمام قد برع في المنطوق والمفهوم واحاط بهما خبرا ، بجميل مديحه قد تحلت الطروس ، وبجليل ذكره قد طربت النفوس ، فلا ريب أنه صدر الأكابر والأعاظم ، وكعبة طواف المكارم والأكارم ، والأوحد الذي خيمت البراعة بناديه ، والأمجد الذي لم يعرف غير الفضائل من زمن مباديه .

ولد في مدينة بغداد سنة الف ومائتين واحدى وثلاثين ، ونشأ في حجر والده المعروف بالصيانة والعلم والدين ، وبعد أن قرأ القرآن ، وأتقنه كل الاتقان ، قصر نفسه على العلم وطلبه ، إلى أن فاز منه بمرغوبه وأربه ، وكان كثير الاعتزال عن الناس ، ليس له بغير العلم والعمل استئناس ، مواظباً على الفروض والسنن ، على أكمل حال وأتم سنن . وكان يقرىء الدروس لمن حضر ، وهو ابن ثمانية عشر ، ولم يزل على حاله ، ناهجاً منهج كماله ، إلى أن توفي والده فسافر إلى الحرمين الشريفين ، ومكث بهما نحواً من عشر سنين ، وقد أجازه بهما السادة العلماء ، والقادة الفضلاء ، ثم رجع إلى بغداد ، فصرف نفيس عمره على افادة العلوم وارشاد العباد ، ثم رجع إلى الحرمين بقصد الحج وزيارة سيد الانام ، وتوجه مع ركب الحاج إلى دمشق الشام ، ومكث بها سنتين أو زيادة ، ثم قصد وطنه وبلاده ، ولم يحل في محل إلا وشغله العلم والعمل ، وافادة الطالبين من غير كسل . ثم بعد مكثه مدة من السنين ، سافر إلى الحجاز ومعه ولده الكامل الشيخ بهاء الدين ، ثم بعد أن أتم الحج وزار خير الانام ، توجه إلى مصر والقاهرة وجلس مدة من الايام ، ثم سار حتى

وصل إلى الموصل فمكث بها أياما ، وقد نال بجميع سياحته عزاً واحتراما ، ثم رجع إلى وطنه بغداد ، وقد ارتفع قدره بها وازداد ، ولم يزل يفيد كل طالب ، ويدعو الناس الى الفضائل والرغائب ، إلى أن دعاه مولاه ، وأناله من جميله ما أولاه ، وكان ذلك قبيل المغرب ليلة عيد الفطر آخر يوم من رمضان في سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، ودفن رحمه الله في جانب الكرخ مع مشائخه ، وكان موته مصيبة عظيمة ، ونكبة عامة جسيمة . وقد رثاه الهمام الفاضل ، نسل الأعيان الأفاضل ، محمد أمين افندي الجبوري ، فقال :

قد فل غارب سيف الدين وانثلما ... وانهد ركن من الإسلام وانهدما
وطود علـم جليل دك شامخه ... وشارق من عماد الفضل قد قصما
فاغرورقت اعين الإسلام باكية ... والدين حزناً على خديه قد لطما
به الحقيقة تمت وانتهت وبه ... علم الحديث كذاك الفقه قد ختما
سل العراق وأهل الشام عنه وسل ... أهل الحجاز كذاك الحل والحرما
وأهل نجد من الماحي تعصبها ... ومن إليه سواه ألقت السلما
ولا أخو جدل إلا وألقمـه ... حجـارة فدعاه لا يلوك فما
وكم له من تآليف منضدة ... كأنما الوحي في أقسامها انقسما
هي الصحاح التي يغني بها أبداً ... وهي الادلة إلزاماً وملـتزما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه ... داود بالخلد وافى أرحم الرحمـا

وللأفاضل في حقه مراثي كثيرة ، هي في قطره معروفة شهيرة ، قد ذكر أكثرها ولده الفاضل العارف ، في ترجمة والده المسماة بالطائف ، وله رحمه الله من التآليف ، ما يغني عن الترجمة والتعريف [1] ، ولولا خوف الإطالة والإسهاب ، الخرج ذلك عن اصطلاحنا في هذا الكتاب ، لاوسعت دائرة التحبير ، في بعض مناقب هـذا الشهم الكبير ، ولكن الشمس في رابعة النهار ، لا يحتاج عرفانها إلى خبر واستخبار ، رحمه الله تعالى .

---

(١) منها أشد (١) : الجهاد ، في إبطال دعوى الاجتهاد .(٢) رسالة في الرد على الآلوسي . (٣) صلح الاخوان من أهل الايمان . (٤) بيان الدين القيم ، في تبرئة —

حرف الذال

الشيخ ذيب الحلبوني مولدا الدمشقي اقامة ودفنا رحمه الله تعالى

صاحب الخوارق الباهرة ، والأحوال الغريبة الظاهرة ، والنوادر التي شاعت ، والكرامات التي ذاعت ، وكان قليل الكلام ، كثير الغيبة والاصطلام ، يتناول من الطعام قليلا مما حضر ، واذا لم يجد طوى وصبر ، وكان في أكثر أوقاته ملازماً لمدرسة الشميصاتية (٢) ، الكائنة شمالي جامع

—ابن تيمية وابن القيم . (٥) تشطير البردة . (٦) دوحة التوحيد في علم الكلام . فالرسالة الأولى يرد بها على من يسميهم الوهابية . وما نسبه إليهم من دعوى الاجتهاد فغير صحيح لأنهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل في الفروع ، وموافقون له في أصول الدين وعقائده . وللعلامة الشيخ عبد اللطيف من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاب سماه : منهاج التأسيس والتقديس ، في كشف شبهات داود ابن جرجيس ، (طبع بومباي سنة ١٣٠٩ هـ ص ٣١٠) ردّ فيه جميع مفتريات خصومهم عليهم .

(٢) السميساطية نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد السلمي من أكابر الرؤساء ، توفي بدمشق ، ودفن في داره ، التي وقفها على فقراء الصوفية ، وقف علوّها على الجامع ، ووقف أكثر نعمه على وجوه البر .

وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية ، وكان السميساطي المذكور بارعاً في الهندسة والهيئة ، صاحب حشمة ، وثروة واسعة ، ومروءة وافرة ، عاش ثمانين سنة (انتهى ص ١٥١ ج ٢) من الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي الدمشقي المتوفى (سنة ٩٢٧ هـ) ،

بني أمية . ولد في قرية حلبون قرية من قرى دمشق الشام ، تبعد عنها مقدار ست ساعات بالسير المعتدل ، ونشأ بها ، ثم في سنة خمسين ومائتين والف ، قدم دمشق واستوطنها ، وكان مقصوداً للدعاء والتبرك ، وكان يقصد للاستخارة والفأل الحسن ، وحصل له في الشام شهرة عظيمة ، وكان على استقامة حسنة لايعتريها شائبة طعن ، توفي بدمشق الشام سنة ست وثمانين ومائتين والف ودفن في مقبرة مرج الدحداح .

الشيخ ذيب بن محمد بن ذيب بن قاسم الاريحاوي الشافعي الفرضي

قد اشتهر بالعلم والتقوى والصلاح ، وكان من صغره يتوسمون فيه الخير والفلاح ، فلا ريب أنه بقية من سلف ، ونخبة من خلف . ولد في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة والف ، وتخرج على عمه زوج والدته الشمس محمد بن ابراهيم العاري المفتي ، وانتفع به ولازمه وسمع منه الكثير من فنون متعددة إلى أن مات شيخه رحمه الله ، وبعده تولى المترجم منصب الافتاء باريحا ، وتولى إمامة جامعها الكبير ، وكان كثير التلقي ، ولم يزل سالكا في منهج الترقي ، الى أن خطبته المنية ، الى الدار الآخرة العلية . توفي بأريحا سنة الف ومائتين وبضع وعشرين ، رحمه الله تعالى .

* * *

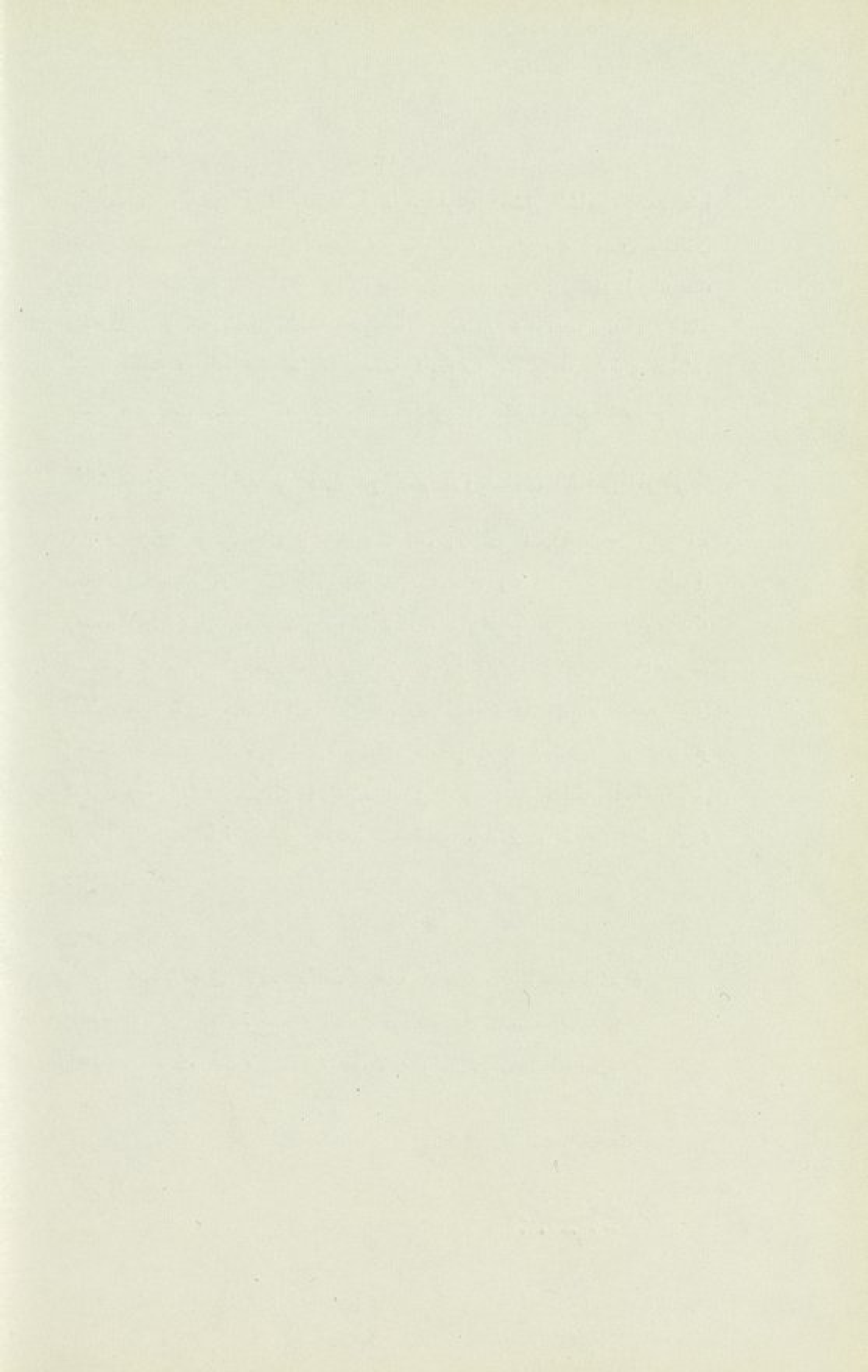
بحمده تعالى : قد تمّ هذا الجزء الأول من « حلية البشر »

(وتراجع فرائده وفوائده في مقدماته)

ويليه الجزء الثاني ، وأوله : راشد بن سعيد الرواحي

وكتبه الضعيف :

محمد بهجة البيطار



فهرس

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

(حرف الباء)

